إتحاف الأكابر

في سيرة ومناقب

الإمام

محيي الدين عبد القادر

الجيلاني الحسني الحسيني ﷺ

(٤٧٠ ـ ٥٦١ هـ)

وبعض مشاهير ذريته أولي الفضل والمآثر

تأليف

الراجي ثواب ربه العزيز الحميد

الشيخ عبد المجيد بن طه الدهيبي الزعبي

الجيلاني القادري الرفاعي...

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

ملتزم الطبع

دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الأكوان ومجري الزمان، الذي كان ولم يكن أينٌ ولا مكان وهو جلَّ جلاله الذي يغير ولا يتغير عَمَّا كان، فهو سبحانه القدوس المنزه عن مشابهة خلقه والحلول في مكان أو أي إنسان، فلا شريك له ولا نظير ولا ند، أزلي بذاته وصفاته لم تحدث له صفة لم تكن في الأزل فإن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، وهذه من صفات الأعراض والأجسام كالصور والألوان والحركات والسكنات والأنوار والظلمات والحيوان، ولا يجري في ملكه من خير وشر وحركات وسكنات إلا بعلمه وخلقه وقدرته ومشيئته فما لم يشأ لم يكن وما شاء كان، نهى عن الشر والمعاصي وأمر بالعدل و الإحسان، ويغضب على أهل الكفر والعصيان. وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الديان وأشهد أنَّ سيدنا محمَّداً عبده ورسوله المصطفى العدنان. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمَّد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل وصحب كل منهم من رفعوا راية الإسلام والإيمان.

أما بعد: يقول العبد الفقير الراجي عفو ربه عبد المجيد بن طه بن خليل بن محمد بن أبي علي إبراهيم بن الأستاذ الشيخ محمد الدهيبي الزعبي الجيلاني الحسني الحسيني دفين دار عمار، بن حسين بن علي المبروك بن يوسف الناصر بن السيد أحمد خالد الزعبي الملقب بالذهبي بن الشيخ الكبير السيد محمد بدر الدين الزعبي الملقب بـ شعفة أو أبي شعفة دفين حصن الأكراد...

فهذا كتاب في بيان سيرة ومناقب إمام الفريقين وشيخ الثقلين، سلطان الأولياء ومعدن الأصفياء، قطب الأقطاب وقائد أولي الألباب، القطب الساطع والفرد اللامع والغوث الجامع، البحر الزاخر والدر الفاخر، والطود الشامخ وشيخ المشايخ، الطراز المذهب والباز الأشهب، ذي الخلق الرفيع والسور المنيع، شيخ الطرائق كلها والجامع لأشتاتها، ناصر الشريعة وقامع البدعة والسيف المسلط على أهل الأهواء والزندقة، ذي المقامات العزيزة والمراتب الرفيعة والأحوال الباهرة، من شهرته بين الأولياء كالشمس الساطعة، وكراماته بين الأنام متواترة، العالم الرباني صاحب الإشارات والمعاني والفيض الرحماني والعلم اللدني، أبي صالح أبي محمد سيدي الإمام عبد القادر الجيلاني ويقال الكيلاني ثم البغدادي، الحسني الحسيني الحنبلي الشافعي، فرد

الأمة وقدوة الأئمة محيي الدين والسنة ﷺ وقدس سره ونفعنا به،كما ذكر فيه بعض أعلام ذريته أولي الفضل والمآثرﷺ: وجاء الكتاب على النحو التالي:

الفصل الأول:

. مقدمة الكتاب، بينت فيها التصوف الصحيح وأهله مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة التي عليها تبنى الحقائق، ثم بينت معنى الكرامة وأن حصولها جائز شرعاً وعقلاً مع بيان من هو الولي الحق، كما تضمنت بيان جواز التوسل بالأنبياء والصالحين، ثم فضل طلب العلم.

. ثم شرعت في بيان سيرة ومناقب الإمام عبد القادر الجيلاني ﷺ فجاءت سيرته في الأبواب الآتية:

١) في ذكر نسبه، مع ترجمة موجزة لأجداده الأشراف.

٢) في مكانته العلمية، مع ذكر بعض مشايخه وتلاميذه وكثرة عدد أتباعه، وثناء بعض المشاهير عليه.

٣) في ذكر بداياته ومجاهداته إلى حين ظهوره.

٤) في ذكر بعض كراماته وعلو قدره.

٥) في ذكر بعض أشعاره المنسوبه إليه. اتاتاعغف لابل للالبلالليبل لبلبالابل

٦) في ذكر بعض أوراده وأحزابه وكيفية أخذ العهد على الشيخ والخلوة.

٧) في ذكر بعض كلامه في الآداب والوعظ والإرشاد.

٨) في ذكر صفته وأخلاقه وتواضعه وأحواله.

٩) في ذكر أولاده

١٠) في ذكر وفاته.

١١) في ذكر بعض مشاهير ذريته وبعض العائلات المنسوبة إليه، ﷺ.

١٢) والخاتمة في ذكر بعض الأدعية والأوراد والفوائد، والله الموفق.

هذا وإن سيرة سيدنا باز الله الأشهب الإمام عبد القادر الجيلاني مميزة فريدة من نوعها فإنه ﷺ من نوادر الدنيا هو أحد أفراد هذه الأمة العظيمة شهرته غطت الآفاق، فلذلك لفت أنظار العلماء والأولياء والمؤرخين والباحثين بحيث أفرد له عدد كبير من المؤلفين تآليف خاصة عدا التراجم الكثيرة في كتب مختلفة، وعلى أغلب الظن لا يوجد إمام افرد له المؤلفون كتبا خاصة بلغت الحد الذي أُلف في سيرة الإمام عبد القادر ﷺ وسبب ذلك أن كل مؤلف رأى

في سيرة الإمام شيئاً مميزاً مدهشاً قد يكون غاب عن المؤلف الثاني مما يدل على عظم قدر هذا الإمام المميز، والسبب الثاني هو التماس الشرف والبركة بالكتابة عنه، وسبب تأليفي لكتابي هذا هو أيضاً التماس البركة والنفحات بذكر سيرته العطرة، وأيضاً أردت أن أبين براءته مما نسب إليه مما يحط من قدره العظيم، من التشبيه والشطح الذي يتجاوز حد التحدث بنعمة الله تعالى، وذلك سببه مغالاة بعض المحبين له، وأيضاً بعض أعداء الأمة ليروجوا بين العوام الأكاذيب التي دست عليه وعلى غيره من الأكابر بهذا القصد.

ومن أسباب تأليفي له أيضاً طلب عدد من الإخوة مني ذلك، تمنوا عليَّ أن أجمع لهم ما أمكنني جمعه من مناقب الإمام، مع ما أمكنني أيضاً جمعه من مناقب مشاهير ذريته وأتباعه نفعنا الله بهم، فأسأل الله تعالى أن يوفقني لذلك وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير.

ذكر بعض الذين ألفوا في مناقب الإمام ممن بلغني العلم بهم وهم:

١) ألإمام أبو حفص عمر السهروردي شيخ الطريقة السهروردية وكتابه(بهجة الأبرار في مناقب الغوث الكيلاني).

٢) الشيخ علي الشطنوفي المصري وكتابه (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار).

٣) الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي الشافعي وكتابه (خلاصة المفاخر في اختصار مناقب الشيخ عبد القادر) أيضاً (أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر).

٤) الشيخ قطب الدين اليونيني البعلبكي موسى بن محمد بن عبد الله وكتابه (الشرف الباهر في مناقب الشيخ عبد القادر).

٥) الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري وكتابه (درر الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر).

٦) الشيخ السيد عبد القادر بن الشيخ العيدروسي اليمني كتابه (الدر الفاخر في مناقب سيدي عبد القادر).

٧) الإمام أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس وكتابه (روضة الناظر في ترجمة سيدنا الغوث عبد القادر).

٨) الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني وكتابه (غِبْطة الناظر في أخبار سيدنا عبد القادر) و أيضا كتاب (روض الزاهر في ترجمة السيد عبد القادر).

٩) العلامة الشيخ أبو العباس احمد بن محمد القسطلاني وكتابه (الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر).

١٠) الشيخ إبراهيم بن علي بن أحمد بن يزيد الديري وكتابه (الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر).

١١) الشيخ حسين بن عبد الرحمن بن محمد اليمني ـ ابن الأهدل ـ وكتابه (الباهر في مناقب الشيخ عبد القادر).

١٢) الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحلبي الحنبلي وكتابه (قلائد الجواهر في ذكر مناقب سلطان الأولياء الإمام عبد القادر).

١٣) الشيخ محمد بن إبراهيم الحلبي وكتابه (الشراب النيلي في ولاية الجيلي).

١٤) الشيخ العلامة ملا علي بن سلطان محمد القاري وكتابه (نزهة الخاطر في ترجمة سيدي الشريف عبد القادر) مخطوط الإسكندرية (٣٠٢٥) ج تصوف.

١٥) الشيخ السيد علاء الدين الجيلاني نقيب أشراف حماه وشيخ الصوفية في الديار الشامية وكتابه (تحفة الأبرار ولوامع الأنوار في مناقب السيد عبد القادر وذريته الأكابر).

١٦) الشيخ أحمد بن عبد القادر وكتابه (عقد جواهر المعاني في مناقب الشيخ الجيلاني).

١٧) الشيخ السيد محمد سعدي الأزهري الكيلاني مفتى حماه وشيخ الطريقة القادرية وكتابه (ذيل تحفة الأبرار ولوامع الأنوار).

١٨) العلامة الشيخ جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي، وكتابه (الجَنَى الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني).

١٩) الشيخ الفقية المحدث أبو محمد عبد اللطيف بن هبة الله الهاشمي البغدادي الترنسي، وكتابه (نزهة الناظر في أخبار الشيخ عبد القادر).

٢٠) الإمام الشيخ أبو بكر عبد الله بن نصر حمزة البكري الصديقي البغدادي، وكتابه (أنوار الناظر في معرفة أخبار الشيخ عبد القادر).

٢١) الإمام محمد بن سعيد بن ذريع الزنجاري، وكتابه (روض النواظر في مناقب سيدي عبد القادر).

٢٢) الشيخ عبد القادر بن يحيى الصديقي، وكتابه (تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر).

٢٣) الشيخ عبد اللطيف بن أحمد الهاشمي، وكتابه (نزهة الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر).

٢٤) الشيخ محمد بن إبراهيم بن أحمد الكيلاني التونسي وكتابه (مناقب الشيخ عبد القادر).

٢٥) الشيخ محمد الأمين التونسي الكيلاني (روض البساتين في أخبار مولانا عبد القادر محيي الدين).

٢٦) الشيخ محمد المكي بن السيد مصطفى بن محمد عزوز مفتي تونس (السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني).

٢٧) الشيخ مولانا شاه محمد من همدان (سلطان الأذكار في مناقب غوث الأبرار).

٢٨) الشيخ قاضي الإسلام محمد صبغة الله من مِدْراس الهند (نسر الجواهر).

٢٩) الشيخ عبد الحق الدهلوي من الهند (زبدة الأسرار من مناقب غوث الأبرار) وكتاب

٣٠) (زبدة الأعصار في أخبار قطب الأخيار) بالفارسية.

٣١) الشيخ محمد غوث الدين الشافعي من مِدْراس الهند(أنهار المفاخر....).

٣٢) الشيخ القاضي محمد المركحي (زين المجالس...) شعر باللغة الأردية.

٣٣) الشيخ سليمان حسبي (مرقاة المراتب...) باللغة التركية.

٣٤) الشيخ ضياء الدين ترك زادة (تنشيط الخاطر...) باللغة التركية.

٣٥) الشيخ أحمد حلمي شاهبانده زاده (إكي غوث الأنام...) باللغة التركية.

٣٦) الشيخ عبد القادر كمال الدين (تفريج الخاطر...) باللغة التركية.

٣٧) الشيخ لالي زاري طاهر محمد (زمرد كلام عبد القادر) باللغة التركية.

٣٨) الشيخ حريري زاده كمال الدين (توفيق الملك القادر في سلوك طريق الغوث عبد القادر).

٣٩) الأستاذ محمد علي العيني (عبد القادر الكيلاني) باللغة التركية والفرنسية والعربية.

٤٠) كتاب باللغة التركية لصدِّيق ويجاني.

٤١) كتاب باللغة الفرنسية.

٤٢) كتاب باللغة الإنكليزية.

٤٣) كتاب باللغة الألمانية.

٤٤) كتاب(الشيخ عبد القادر الكيلاني) للشيخ يونس إبراهيم السامرائي).

٤٥) كتاب الباز الأشهب للشيخ إبراهيم الدروي.

٤٦) كتاب الطراز المذهب للعلامة محمود الألوسي.

٤٧) كتاب الموجز في تاريخ القطب الغوث والباز الأشهب للأستاذ فخري نورس الكيلاني.

٤٨) المناقب الغوثية باللغة الفارسية للشيخ محمد صديق الشابي السعدي.

٤٩) كتاب الفتح المبين للشيخ السيد أبي المظفر ظهير الدين القادري.

٥٠) مناقب المشايخ القادرية باللغة الفاراسية، للشيخ محمد الكنجاوي الهندي.

٥١) كتاب الكواكب الدرية للشيخ محمد نوري بن أحمد الكيلاني.

٥٢) الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر للشيخ عبد الرحمن بن محمد علي السايح.

٥٣) مناقب الشيخ عبد القادر للشيخ عبد الرحمن بن أحمد الطالباني الشهرزوري.

٥٤) الكوكب الزاهر في مناقب الغوث عبد القادر للعلامة الشيخ السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي.

٥٥) كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني للشيخ عبد الغفار العباسي.

٥٦) كتاب الشيخ عبد القادر الجيلاني لأبي الحسن الندوي.

٥٧) تحفة القادرية باللغة الفارسية للشيخ محمد أبي علي المعالي.

٥٨) الدرر السنية في المواعظ الجيلانية للشيخ محمد سيف الدين الكيلاني.

٥٩) رسالة السلوك القادري.

٦٠) نفحات الرياض العلية في بيان الطريقة القادرية للشيخ محمد رفعت.

٦١) نشأة القادرية.

٦٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين للدكتور ماجد عرسان الكيلاني.

٦٣) مناقب عبد القادر مخطوط في مكتبة نور عثمانية.

٦٤) القادرية مخطوط في مكتبة بيازيد.

٦٥) مناقب سيدي عبد القادر لمؤلف مجهول توجد منه نسخة بالمعهد الأحمدي بطنطا تحت رقم (٦٨٣/٢١٦).

٦٦) فضائل عبد القادر الجيلاني لمؤلف مجهول توجد منه نسخة بالمعهد الأحمدي بطنطا أيضاً تحت رقم (٢١٦/٦٨٤)

٦٧) كتاب الشيخ عبد القادر الجيلاني.... للدكتور عبد الرزاق الكيلاني.

٦٨) عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب للدكتور يوسف محمد طه زيدان.

٦٩) فروع القادرية بمصر للدكتور يوسف محمد طه زيدان.

٧٠) الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعلام القادرية للدكتور محمد درنيقة من طرابلس الشام.

هذا ما استطعت جمعه من أسماء المؤلفات التي أفردت فيها ترجمة الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

أما الذين ذكروا ترجمته في كتبهم التي احتوت تراجم غيره أيضاً فهم أكثرمن هذا العدد بكثير منهم الذهبي في عدة كتب من مؤلفاته وكذلك ابن رجب الحنبلي والشعراني في عدة كتب، منها الطبقات الكبرى والمناوي في طبقات الصوفية والسيد محمد مهدى الرواس الصيادي الرفاعي الثاني في كتابه طي السجل وغيرهم كثير، حتى ابن تيمية مع كثرة مخالفاته وتعصبه ضد الصوفية فقد أثنى عليه في عدة كتب من كتبه منها كتاب الفتاوى وكذلك ابن القيم وترجم له الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ومع ذلك فإن بعض الكتب التي أُلفت في مناقبه دخلها بعض التحريف والتشويه لسيرته الطيبة كالغلو في تعظيمه فنسبوا إليه الشطح وبعض الكرامات التي تحط من قدره وهم لا يعلمون.

وأكثر ما كتبته في مناقب الإمام الجيلاني وكراماته أخذته من كتاب غبطة الناظر للإمام الجليل المشهور الحافظ ابن حجر العسقلاني وكتاب قلائد الجواهر للشيخ العلامة الفقيه المؤرخ المفسر اللغوي الأديب القاضي جلال الدين، أبي البركات محمد بن يحيى بن يوسف الربعي التادِفي الحلبي الحنبلي، ثم الحنفي المتوفى سنة ٩٦٣هـ كما في شذرات الذهب (٣٣٩/٨، ٣٤٠)، والأعلام(١١/٨) ومعجم المؤلفين (٧٧٢/٣).

التصوف والصوفية

التصوف والصوفية

اعلم أن سيدنا وقدوتنا الإمام القطب الرباني عبد القادر الجيلاني ﷺ قد اشتهر أمره عند الخاص والعام وهو شيخ الكل في عصره سيد الأولياء، وأكثر ما اشتهر به التصوف والإرشاد والتربية إضافة إلى شهرته في الفنون الأخرى فكان لا بد لنا من بيان حقيقة التصوف وأصله وما عليه أهل التصوف وما ليس من التصوف مما لفق البعض على أئمتنا من أباطيل.

فسيدنا الشيخ عبد القادر هو أحد أئمة التصوف البارزين وطريقته من أول الطرق فقد أسس منهاجاً يتدرج به السالك من مجاهدات وأذكار مصحوبة بالفقه بالدين وهو الأساس عند كل أهل التصوف، فقد قال في ذلك الشيخ عبد القادر."أول ما يجب على المريد أن يتعلم عقيدة أهل السنة على ما يوافق ما كان عليه أهل السلف." أو كما قال، وكان في مواعظه يكثر الكلام في التوحيد والتنْزيه لله، ويحث بشدة على تعلم الفقه في العبادات والأحكام ويحذر من الجهل و يمنع الخلوة والعزلة على من لم يتفقه في الدين.

وإلا فالتصوف كان قبل ذلك ولكن لم يكن على هذا الوجه الذي ذكرناه من حيث التدرج بسلوك طريقة من المجاهدات والأذكار يترقى بها من حال إلى حال، إنما كانوا يسلكون بهمة عظيمة يقطعون المسافات بسرعة بسبب صلاح المجتمع الذي كان أيام السلف الصالح، فهذا سيدنا أبو يزيد البسطامي ﷺ قال: "أنا زهدت الدنيا في يومين" وغيره كثير كانوا على قدر عظيم من الهمة كالحسن البصري وحبيب العجمي ومعروف الكرخي وبشر الحافي، وكذلك أئمة الفقه كانوا على قدر عظيم من التصوف.

وسيدنا الشيخ عبد القادر كان على نسق هؤلاء من حيث الهمة العالية والقدم الراسخة الرفيعة، ولما كانت الأحوال بوجه عام تغيرت عمَّا كان في الماضي أحدث طريقة مبنية على الكتاب والسنة يتدرج بها السالك الضعيف الهمة في البدء ثم تعلو همته فيترقى في المقامات على حسب صدقه واجتهاده وذلك تيسيراً له في الوصول إلى مرضاة الله عز وجل، ثم أسست طرق أخرى كالطريقة الرفاعية والمنبجية العمرية والسهروردية والشاذلية والبدوية والدسوقية والجيباوية السعدية والنقشبندية وغيرها إلى نحو الأربعين طريقة كلها مبنية على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

إن أمر التصوف مشهور معروف من أيام السلف الصالح إلى وقتنا إلا أنه حصل تشويه لصورة التصوف لأسباب منها ما هو متعمد من بعض أصحاب الديانات الأخرى والفرق

الشاذة عن طريق أهل السنة من أصحاب الأهواء كالباطنية والحلولية والمشبهة، ومنها ما هو بسبب جهل كثير من أدعياء التصوف الذين انتسبوا إلى الطرق من غير فقه في الدين ومن غير تعلم الأحكام والآداب الإسلامية التي بني عليه التصوف فسلكوا على أهوائهم متخذين لأنفسهم مرشدين أشدّ منهم جهلاً لا يعرفون حقيقة التصوف والأحوال وغير ذلك مما لا بد منه للمرشد فاتبعوا الأوهام ووساوس الشياطين وبنوا حياتهم على أضغاث الأحلام وأشد من ذلك أن بعض الذين صدروا أنفسهم للإرشاد وتسليك الطريق ما تعلموا علم التوحيد فبعضهم يعلم مريديه عقيدة الحلول والتشبيه والكلمات المخرجة من دين الإسلام ومع ذلك كله يرون ما يفعلونه من أجلِّ الأعمال فيقول أحدهم للفقيه أنت من أهل الظاهر وأنا من أهل الباطن أو الحقيقة، أقول وهل الحقيقة تكون بغير الفقه والشريعة.

فمن طعن في مثل هؤلاء وحذر منهم فهو مأجور وقد قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما أن يطعن في التصوف من أصله فهذا لا يفهم ما يقول وقد يكون حاله بالجهل كحال مدعي التصوف.

فإذا لم يكن هناك دليل على صحة التصوف ما كان انتسب للتصوف آلاف العلماء من محدثين وفقهاء وأصوليين ونحويين وغيرهم والآلاف من الأولياء والمجاهدين والملايين من المسلمين حتى إن كثيراً ممن هو ليس منهم كانوا يمدحون ويثنون على أئمة التصوف فابن تيمية قال في كتابه شرح حديث النُزول عن الإمام الجنيد: (إنه إمام هدى) وكان يقول عن شيخنا عبد القادر الجيلاني (الشيخ الصالح) وإذا ذكر اسمه يقول قدس سره، فإن كان الاعتراض على سخافات المتصوفة فلا مانع وإن كان الاعتراض على مجرد التسمية فهذا عناد وجهل فكلمة صوفي اصطلاح ولكل أصحاب فن اصطلاح فلماذا لم يعترض الوهابية على كلمة شيخ وشيخ الإسلام وعلى اصطلاحات أهل الحديث والنحو والفقه فإنها لم تكن أيام الصحابة ﵃، فأهل التصوف لهم اصطلاحات فيما بينهم فمن أراد معرفتها فليسلك طريقهم كالذي يريد معرفة اصطلاحات غيرهم فإنه لا يعرفها ولا يفهمها إلا بالتعلم.

التصوف

فالتصوف كما عرفه الشيخ عبد القادر قدس سره العزيز : "هو مخالفة النفس والهوى والإعراض عمن سوى الله".

وله أقوال أخرى في التصوف نذكر بعضها في مناقبه، يتبين لنا منها أن التصوف يكون بمخالفة الهوى ولا يكون ذلك إلا بمتابعة سيد الأولين والآخرين محمَّد ﷺ حيث قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**" ذكره النووي في الأربعين.

أي لا يكون مؤمناً من خالفه في أصول الدين الذي بعث به، ولا يكمل إيمانه إلا باتباعه بأداء الفرائض واجتناب المحرمات مع التخلق بأخلاقه ﷺ فالصوفي هو من أشد الناس تمسكاً بهدي النبي ﷺ إذ يحاول أن يتشبه به قدر المستطاع إلا ما كان خاصاً به ﷺ .

ومعنى (الإعراض عمن سوى الله) أي الإعراض عن كل ما يغضب الله، مع عدم تعلق القلب بالعلائق الشاغلة عن حبه والخوف منه والإخلاص الخ. وقد قيل في التصوف:

البحر البسيط

ليس التصوف لبسَ الصوف ترقعه ... ولا بكـــاءك إن غنـــى المغنونـــا

ولاصــــراخا ولارقصـــا ولاطربـــا ... ولا انخباطا كأن قد صرت مجنونا

إنَّ التصـــوف أن تصــفو بــلا كــدر ... وتتبــع الحــق والقــرآن والــدينا

وأن تــــرى خاشـــعاً لله مكتئبـــاً ... علــى ذنوبــك طــول الــدهرمحزونا

وهذا لا ينافي قول من قال: الصوفي من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى وجعل الدنيا منه على القفا، لأن المقصود من لبس الصوف هو المجاهدة للنفس فسيدنا الإمام جعفر الصادق كان يلبس الصوف من الداخل وثوباً فوقه ويقول هذا لله وهذا من أجلكم أي ثوب الصوف أجاهد به نفسي ابتغاء مرضاة الله وهذا حال الصوفية الزهد في الدنيا وترك التنعم وكثرة المجاهدة لتقويم النفس وحملها على الصبر والتوكل على الله إذ أيقنوا أن هذه الدنيا لا تستحق أن يُعتنى بها فإنها دار فناء ليست لحي وطنا فأخذوا منها ما يقويهم على طاعة ربهم وتركوا ما زاد اقتداءً بأنبياء الله صلوات الله عليهم فإن نبينا ﷺ كان يمر عليه وعلى

أهل بيته الشهر والشهران لا يأكلون إلا التمر ولا يشربون إلا الماء وكان ينام على الخشن ولو أنه أراد أن ينقلب الجبل له ذهباً لانقلب بدعائه، وكذلك سيدنا عيسى ﷺ كان يلبس الخشن وينام حيث يدركه المبيت ويأكل من بقل الأرض، وسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام مع ما أعطاه الله من المعجزات فإنه كان يأكل خبز الشعير اليابس، فأهل الكمال من الصوفية يقتدون بالأنبياء وخيرة أصحابهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، فإنهم كانوا من أزهد الناس وأشدهم حباً لله وتوكلاً عليه بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا كله من غير تحريم ما أحله الله من المطعومات والملبوس والسكن إلا أنهم أخذوا بالعزائم وترك التنعم إلى ما بعد الموت.

وقد بينا في الأبيات أن التصوف ليس بمجرد لبس الصوف والثياب المرقعة أو بمجرد البكاء عند سماع القرآن أو الأناشيد الدينية أو الصراخ والانخباط لأن هذه الأمور قد تحصل انفعالاً أو رياءً أو بتأثير الشياطين أو لحالة عاطفية، أما إن حصلت عن حال صادق بسبب هيجان قلبٍ بحب الله أو الخوف منه أو الحزن والندم على ما صدر من عيوب وآثام فلا نقض له لأن قد يغلبه حاله فلا يستطيع السيطرة على ظاهره فهو معذور فليس كل السالكين يستطيعون قهر أحوالهم، والبكاء من خشية الله هو من الأمور العظيمة فقد قال ﷺ: **"عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله"** [رواه الترمذي].

إنما ليس هذا هو أصل التصوف وإنما هو بكمال الاتباع للنبي ﷺ والعمل بكتاب الله ومواصلة التوبة والأذكار والمجاهدات التي منها طلب العلم قال: أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه: "مكثت في المجاهدة ثلاثين عاماً فما وجدت أثقل على نفسي من طلب العلم". معناه قهر نفسه على ذلك بخلاف كثير ممن يدعي التصوف فكيف يقوم الإنسان بشيء هو جاهله نسأل الله السلامة. فقد نقل القشيري في الرسالة عن الإمام الجنيد أنه قال : (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) وقال أيضا :(الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول عليه الصلاة والسلام).

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي قدس سره: "إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة".

وقال إمامنا الكبير السيد أحمد الرفاعي قدس سره: "كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة".

وقال: "من تعلم علم الظاهر ولم يتعلم علم السر فقد تزندق". أي من تعلم علم الأحكام وأمور العبادة الظاهرة من غير أن يتعلم الواجبات القلبية كتنْزيه الله عن مشابهة خلقه وكيف يكون الإخلاص لله والحب له والتوكل عليه وغير ذلك مما هو من واجبات القلب ويتعلم ما هي معاصي القلب حتى يجتنبها كالشرك والرياء، فهو زنديق، وهناك كثير من أقوال أئمتنا في هذا الشأن.

وكلمة صوفي اصطلح عليها أيام السلف، واشتهرت زمن الإمام الجنيد ولم يعترض أئمة الفقه والحديث على هذا الاصطلاح، فسيدنا أحمد بن حنبل ﵁ يذكر في مسنده، (حدثنا فلان ونحسبه من الأبدال)، وكان يجتمع أحيانا ببشر الحافي ﵁ وكذلك الشافعي رحمه الله، وكان الإمام أحمد يقول لأبي حمزة الصوفي: "ماذا تقول يا صوفي"، وكذلك البيهقي يكثر الرواية عن شيخه أبي على الروذباري أحد مشاهير الصوفية وكان تلميذ الإمام الجنيد ﵃ أجمعين وحتى زمننا قد لا نجد حديثاً وصل إلينا إلا وفيه من الرواة من أهل التصوف وكذلك تجد ذلك في أسانيد القراءات التي وصلت إلينا وعلوم الفقه وغير ذلك، فالتصوف ليس بدعة كما تسميه الوهابية ما دام لا يخرج عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع أمته، إنما هم الذين ابتدعوا لمخالفتهم الإجماع في كثير من المسائل في العقائد وغيرها، ومع كل الذي بينته فإن كثيراً ممن انتسب إلى التصوف قد أدخلوا فيه بدعاً منها ما تؤدي إلى الكفر ومنها إلى الحرام، فمن طعن في مثل هؤلاء الذين اعتقدوا عقيدة الحلول فلا لوم عليه.

وأبين الآن عدة أمور ومسائل صحيحة عند أهل التصوف قد حورت بعض الفرق حقيقة الأمر فيها، ثم سأبين بعض البدع السيئة التي يقوم بها بعض جهلة المتصوفة وبعض ما افتري به على أئمة التصوف والطريقة من الأمور العظيمة الضرر التي منها ما يفسد العقيدة.

فمما يفتريه البعض ويدعيه أن أهل التصوف يفترون الناس عن طلب العلم والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، فهذا لا أصل له من الصحة فمن راجع في كتب التراجم الصحيحة والطبقات يجد الكثير من الصوفية على قدر عظيم من العلوم بالإضافة إلى ما فتح الله عليهم من العلوم اللدنية أكثر من غيرهم، ولهم حظ وافر في نشر الدعوة بين الكفار عدا الأعداد التي لا يحصيها إلا الله من الذين تابوا على أيديهم من عصاة المسلمين، فالصوفي الكامل لا تشغله الخلوة والعزلة عما ذكرناه فهو ابن وقته، أي يشغل كل وقته في مرضاة الله

تعالى، يقدم العمل الأولى فِعْلُهُ في كل وقت، وهذا من عمل الصحابة رضوان الله عليهم، فراجعوا في ذلك كتب التراجم والطبقات، وأما انتشارهم في البلاد لنشر الدعوة فهو أمر مشهور عند أهل العلم، فهذه الهند والباكستان وروسيا وغيرها قد أسلم عدد كبير من أهلها على يد أهل الطريقة القادرية وكذلك في بعض المدن والقرى في أفريقية وممن ساهم أيضاً في نشر الدعوة في بعض هذه البلاد أهل الطريقة النقشبندية فالشيخ أحمد الفاروقي القادري النقشبندي المشهور بمجدد الألف الثاني أسلم على يديه الآلاف من أهل الهند، وسيدنا الشيخ أحمد الرفاعي أسلم على يديه أيضاً الآلاف ففي مجلس واحد له أسلم على يديه عشرة آلاف من يهود ونصارى ومجوس، وهذا الشيخ عبد القادر الجيلاني أسلم على يديه أكثر من عشرين ألفاً من الكفار وأكثر اليهود والنصارى الذين كانوا في بغداد من أهل الذمة أسلموا على يديه وكذلك غيرهم من أكابر الصوفية كالدسوقي والبدوي والشاذلي فقد تاب على أيديهم وأيدي أتباعهم آلاف الناس، ولا ينكر ذلك إلا حسود أو معاند.

وأما اشتغالهم في الحروب في سبيل الله فقد استشهد آلاف الصوفية في المعارك ضد الشيوعية لما ظهرت وقبل الشيوعية أيضاً وكذلك في الحروب ضد الصليبيين الإفرنج والمغول وغيرها من المعارك قديماً وحديثاً وشاركوا في الثورات ضد الاستعمار في عدة بلاد فهذا الشيخ محمد بدر الدين الحسني القادري هو الذي أسس الثورة في سوريا ضد الفرنسيين، وأخبار الصوفية في ذلك يطول بيانها إذا أردنا ذكرها والتفصيل فيها نكتفي بما بيناه.

وأما ما نراه اليوم من بعضهم مما هو على خلاف ما ذكرنا فهو ليس من التصوف وليس من دين الله، وقد ساهم هؤلاء الناس في تشويه صورة التصوف والمسلمين، أصلح الله الأحوال.

وقد نقل العجلوني في كتابه كشف الخفا عن إمامنا الشافعي ﵁ أنه قال: "حبب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف".

أقسام البدعة

إعلم أن مذاهب أهل الحق قد ادعى الانتساب إليها قوم أحدثوا أشياء لا تتوافق مع أصول الدين ولا العقل، ولا بد قبل أن أذكر بعض الضلال الذي أحدثه أهل الأهواء ونسبوه تارة إلى أهل التصوف وتارة إلى أهل الحديث وتارة إلى أئمة الأصول والفقه أن أبين معنى البدعة وأقسامها.

قال رسول الله ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** [رواه البخاري ومسلم] ورواه مسلم بلفظ آخر وهو: **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"** أي ما كان مخالفاً للشريعة وروى مسلم أيضاً من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: **"قال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"** فهذه الأحاديث دلت على أن البدعة قسمان فإن كانت على وجه يخالف ما جاء به النبي ﷺ فهي بدعة ضلالة، وإن كانت موافقة لما جاء به النبي فهي بدعة حسنة وأما ما رواه أبو داود **"وكل بدعة ضلالة"** أي ما كان على خلاف الكتاب والسنة أو الإجماع أو الأثر.

ففي شرح النووي لصحيح مسلم ما نصه: قوله ﷺ: **"وكل بدعة ضلالة"** هذا عام مخصوص والمراد به غالب البدع، ثم قسم البدعة إلى خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة.

وهذا التقسيم ذكره الشيخ سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام في آخر كتاب القواعد، ونقله عنه الحافظ بن حجر في كتاب الفتح وسلمه.

وقال الشافعي إن البدعة قسمان حسنة، وضلالة، روى ذلك عنه أبو نعيم والبيهقي وغيرهما، وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه، والفيروز ابادى في القاموس وشارحه مرتضى الزَّبِيدي، والفيومي في المصباح وغيرهم، إلا أن بعضهم ما أحب تسمية ـ بدعة حسنة ـ وأحب أن يقال بدلاً منها ـ مصلحة حسنة ـ والحقيقة أن كلمة بدعة ليست كلمة ممدوحة أو مذمومة لذاتها ولكن ما كان من البدع لا يتعارض مع أصل من

أصول الدين فليس بمذموم، وإلا ما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حين جمع الناس في صلاة التراويح على إمام واحد: "**نعمت البدعة هذه**" [رواه البخاري].

والنبي ﷺ لم يفعل كل المباحات ولا كل المندوبات لأنه كان مشغولاً بما هو أعظم، كالدعوة والجهاد في سبيل الله، ولأجل أن لا يشق على أمته إذ لو أكثر من المندوبات وأحب أحدنا أن يقوم بها كلها لوجدنا مشقة، أو أنه خاف أن تفرض علينا، ولكنه حث على فعل الخيرات، فليس كل شيء لم يفعله النبي يحرم علينا فعله، إنما أمرنا بواجبات ونهانا عن المحرمات وعن أشياء مكروهة، وترك أشياء كثيرة لم يأمر بها ولم ينهَ عنها، فإذا أراد أحد أن يقوم بفعل لم يكن في عهد النبي ﷺ نظر فيه أهل القياس فإذا وجدوه يتوافق مع كتاب الله وسنة نبيه فهو بدعة حسنة أو مباحة، وإن وجدوه يتناقض مع كتاب الله وسنة نبيه فهو بدعة سيئة وقد تكون كفراً أحياناً.

سيدنا خالد بن الوليد ﷺ جاء بضب إلى النبي ﷺ فلم يأكل منه فقال له خالد بن الوليد: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه [رواه البخاري ومسلم]، فهل لأن النبي لم يأكله لا يجوز لنا أن نأكله، وكم من صحابي قام بفعل شيء لم يأمر النبي بفعله ثم حين يعرض عليه ﷺ كان يقره على ذلك، فمن ذلك **قول الصحابي بعد قول النبي ﷺ سمع الله لمن حمده "ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه" فقال له النبي ﷺ: "رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول"** [رواه البخاري]، ومنها إحداث خبيب بن عدي ركعتين عندما قدم للقتل رواه البخاري ومنها زيادة سيدنا بلالٍ ﷺ على الأذان (الصلاة خير من النوم) فأقرها النبي ﷺ [رواه ابن ماجة] بإسناد رجاله ثقات وغير ذلك كثير فمن البدع الحسنة التي أحدثت بعد النبي ﷺ:

١) جمع المصحف بين الدفتين بإشارة عمر على أبي بكر خوف ضياعه رضي الله عنهما.

٢) اجتماع الناس على صلاة التراويح برأي عمر ﷺ.

٣) زيادة عثمان ﷺ أذاناً ثانياً يوم الجمعة. رواه البخاري

٤) جمع عثمان للقرآن على الترتيب الذي عليه المسلمون حتى اليوم.

٥) نقط يحيى بن يعمر المصاحف. رواه أبو داود السجستاني.

٦) وضع أبي الأسود الدُّؤَلِيّ قواعد النحو بعد استشارة علي ﷺ.

٧) الجهر بالصلاة على النبي بعد الأذان.

٨) الطرق التي أحدثها بعض الصالحين كالطريقة الرفاعية والقادرية وغيرها.

٩) الاحتفال بالمناسبات الدينية كالاحتفال بمولد النبي ﷺ.

كل العلماء أقروا ما بيناه وبالنسبة للمولد فقد أقره الحافظ بن حجر والحافظ السيوطي والحافظ العراقي وغيرهم من العلماء، فإذا كان الأمر يقتصر على تلاوة شيء من القرآن وذكر شيء من سيرة النبي ﷺ وإنشاد بعض الأناشيد الدينية المحركة للقلوب لحب الله وحب نبيه والخوف من عذاب الله سبحانه وتعالى فهذا الذي أقره العلماء، وهو شيء حسن حتى ابن تيمية قال في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: (فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ).

أما الغلو الذي في كتاب مولد العروس المنسوب لابن الجوزي زوراً وبهتانا فهو من تأليف بعض المستشرقين.

فقد ورد في هذا الكتاب كلام مناقض لدين الله وهو قوله: "إن الله قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمداً فكانت محمداً" فالله تعالى من أسمائه النور ومعناه الهادي أما النور بمعنى الضوء فهو من خلق الله والله واحد لا يتجزأ سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**﴾ [سورة الكهف]، أي النبي ﷺ خلق من ماء وطين وإنما هو أعظم مخلوقات الله بما اصطفاه الله وأعطاه، فليست الأفضلية لمن كان من نور، قال ﷺ: "**خلق الله الملائكة من نور وخلق الجان من مارجٍ من نار وخلق آدم مما وصف لكم**" [روا مسلم].

والنبي ﷺ من ولد آدم عليه الصلاة والسلام، فليس بصحيح ما رويَ من أن سيدنا محمداً قال: "أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" فهذا الحديث يروونه عن عبد الرزاق وقد اطلع بعض العلماء على مصنفه فلم يجده، قلت: وإن وجد فيه هذا الحديث فليس شرطاً أن يكون صحيحاً لأن الإمام عبد لرزاق لم يشترط أن لا يضع في مصنفه إلا الصحيح، فهذا مسند الإمام أحمد فيه كثيرٌ من الأحاديث الموضوعة والضعيفة وغيره من الكتب أيضاً.

وهذا الحديث مخالف أيضاً لقول الله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ [سورة الأنبياء] ومخالف لحديث رسول الله ﷺ: "**كل شيء خلق من الماء**" [رواه ابن حبان]، وروى البيهقي وغيره أن النبي ﷺ قال: "**إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء**".

فلا يقال عن النبي ﷺ يا أول خلق الله بل يقال يا أفضل خلق الله. ومن الأحاديث المكذوبة ما يروونه عن عائشة أنها أرادت أن تربط على خصر رسول الله ﷺ حزاماً فعاد إليها، يقصدون أن جسده من نور.

أما قولنا محمد نور أو نور الله معناه الهادي بإذن الله. الله تعالى نَوَّرَ قلوب أوليائه، بسيدنا محمد أي بما جاء به من الهداية والحق فعلى هذا المعنى يجوز قول محمد . نور . ﷺ، فأصل المخلوقات الماء وليس كما يزعمون نور سيدنا محمد ﷺ.

ومما يروونه من الأكاذيب العظيمة أن جبريل كان يأتيه الوحي من وراء حجاب فكشف له الحجاب مرة فوجد النبي ﷺ فقال جبريل للنبي ﷺ: "منك وإليك" فهذا الكلام فيه تصريح بنسبة الألوهية لسيدنا محمد ﷺ نعوذ بالله من الكفر.

قال تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ [سورة الشورى].

فالنبي ﷺ ما كان يدري الكتاب ولا تفاصيل الإيمان فكيف يفترون مثل هذه الافتراءات، إلا أنه أُلهم الإيمان بربه من صغر سنه فلم يعبد غير الله عز وجل.

ومن الأكاذيب ما روي في بعض كتب المولد "أن النبي ﷺ سأل جبريل كم عمرت من السنين؟ فقال لا أعلم، غير أن في الحجاب الرابع نجما يطلع في كل سبعين سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال النبي ﷺ :وعزة ربي أنا ذلك الكوكب".

فكيف يكون سيدنا محمد من ذرية سيدنا آدم ثم يقولون كان قبله بالخلق،ومن قال بأن الأفضلية تكون لمن سبق بالخلق؟ فهذا إبليس كافر ملعون خلق قبل سيدنا آدم عليه السلام، فهل يكون إبليس أفضل منه لأنه سبقه بالخلق؟ كلا.

إنما الحديث الذي ورد فيه: "**كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد**". فمعناه كنت معروفا بين الملائكة أي أن الله أطلع ملائكته على أنه سيخرج من صلب آدم محمد ﷺ وهو أحب الخلق إليه تعالى.

ولا يجوز قول: "اللهم صل على سيدنا محمد (عدد كمال الله) لأن كمال الله لا يحد، كماله أزلي أبدي لا يوصف بالعدد ولو قالوا: (عدد مخلوقات الله)" لكان خيراً لهم. فالنبي ﷺ فضله ثابت في القرآن والأحاديث، فهو أعظم مخلوقات الله من حيث القدر وأحبهم إليه فلا

حاجة إلى ما فيه غلو وكذب لإثبات فضله قال رسول الله ﷺ: "**لا تُطْروني كما أطرت النصارى عيسى، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**" [رواه أحمد].

أما إطلاق قول (**سيدنا**) على النبي فليس فيه غلو إنما هو حق فهو سيدنا كما قال رسول الله ﷺ: "**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**". أي لم أقل ذلك افتخاراً وإنما من باب التحدث بنعمة الله علي وقد سمى الله نبيه يحيى عليه والصلاة والسلام في القرآن (**سيداً**) وكلمة سيد تطلق على الرجل التقي وتكره للفاسق وتحرم للكافر فقد قال ﷺ: "**لا تقولوا للمنافق سيدٌ فإنه إن يك سيدَكُم فقد أسخطتم ربكم عز وجل**" رواه أبوداود والبخاري في الأدب المفرد، وقد روى البخاري، أن سيدنا عمر ﷺ قال: "سيدنا أبو بكر أعتق سيدنا بلالاً". وروى البخاري ومسلم أيضاً: "**أن النبي ﷺ قال للأنصار لما أقبل سعد بن معاذ**ﷺ: **قوموا إلى سيدكم**"، وأما ما ورد من أن وفد بني عامر لما أقبل إلى النبي ﷺ فقالوا:**أنت سيدنا،قال: السيد الله، قالوا: وأفضلنا فضلاً، ،وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم، ولايستَجْرِيَنَّكُم الشيطان**" رواه البخاري في الأدب المفرد، فليس في الحديث نهي عن قول سيدنا في حق النبي بدليل قوله قولوا بقولكم إنما أراد أن يعلمهم أن كلمة سيد تطلق على الله يعني أنه سبحانه السيد المطلق أي (**الرب**)فإذا أطلقت على الله تكون على المعنى الذي يليق به، وإذا أطلقت على غيره تكون على معنى آخر،بدليل أنهم قالوا له أنت أفضلنا وأعظمنا،وهذا معنى قول سيدنا في حق النبي، وكذلك إذا قيل عنه سيد الخلق معناه أفضل الخلق، وهذا لا يعاند فيه أحد إلا جاهل مغرور،وكل عظيم قوم سيدهم،**وقد نهى النبي عن قول المملوك لسيده ربي،وقال: ليقل سيدي وسيدتي**". رواه البخاري في الأدب المفرد.

أما مثال البدعة المكروهة فكزخرفة المساجد، **وأما مثال البدعة المباحة** فكالمصافحة عقب الصلاة والتوسع في المآكل والمشارب والملابس مما لا يصل إلى حد الإسراف وإلا يصبح مكروهاً، **ومثال البدعة الواجبة** فكالاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، وتعلم الأدلة العقلية الموافقة للكتاب والسنة للرد على أهل الفرق الضالة والكافرين فهذا فرض كفاية، وما شابه ذلك كتعلم مصطلح الحديث وغيره.

ومن جملة البدع الحسنة المندوبة بناء "الرُبط، أي الأماكن التي يرابط فيها من أجل العلم أو الذكر أو المجاهدات" والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول والكلام في دقائق التصوف وكل ما ذكرته هو من كلام الإمام المجمع على إمامته وجلالته العز بن عبد

السلام الذي بينه في آخر كتاب القواعد، وقال به الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري، وقال مثله ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار.

ومن البدع الحسنة كتابة (ﷺ) عند كتابة اسم النبي،أما كتابة (ص) فهو قبيح وكتابة (صلعم) فهو أقبح.

أما بدعة الضلالة فهي كما بينها العز بن عبد السلام في تتمة لكلامه على الذي مر معنا قال: (وللبدع المحرمة أمثلة منها مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة)، يعنى ما أحدثته هذه الفرق من ضلالات كثيرة وغيرهم من الباطنية والحلولية والقاديانية.

ومن البدع المحرمة لفظ اسم الجلالة الله مع حذف المدة التي على اللام أو حذف الهاء وممن ذكر عدم جوازه الخليل بن أحمد، وعبد الوهاب الشعراني ثم بين أن الذاكر إذا غلب فهو معذور قاله في الأنوار القدسية.

وأعظم من ذلك قول بعض المتصوفة أن (آه) من أسماء الله مستندين إلى حديث موضوع روي في تاريخ قزوين، ورد في هذا الحديث المكذوب: "أن النبي دخل على مريض وهو يئن فلما رآه المريض سكت، فقال له الرسول لم سكتّ ألم تعلم أن الأنين من أسماء الله"، فهذا الحديث لا أصل له لأنه لا يتوافق مع قول الله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ سورة الأعراف. فقول (آه) لفظ شكاية وتوجع، وهي باتفاق المذاهب الأربعة مبطلة للصلاة إن ظهرت من المصلي عمداً، ولو كانت من أسماء الله لما أبطلت الصلاة .

أما اجتماع الناس على الذكر والإنشاد فليس ببدعة أصلاً فقد روى الإمام أحمد والبزار والطبراني وغيرهم بإسناد حسن: "**أن رسول الله ﷺ كان يوماً مجتمعاً مع أصحابه فقال: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، قالوا: لا يا رسول الله، فأمر بإغلاق الباب، وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله، قال شداد بن أوس: فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد. ثم قال رسول الله ﷺ: ألا أبشروا فإن الله تعالى قد غفر لكم**"،فهذا الحديث دليل على صحة ما يفعله الصوفية لكن بشرط اللفظ الصحيح، وأئمة التصوف شرطوا اللفظ الصحيح، وفي الحديث دليل على صحة تلقين الذكر الذي يقول به أهل التصوف وأن به أسراراً عظيمة حيث النبي لقنهم كلمة الذكر.

ودليلهم على تلقين الذكر للفرد مع تغميض العينين ما رُوِي من أن النبي ﷺ قال لعلي: "**أغمض عينيك واسمع منى كلمة التوحيد لا إله إلا الله ثلاثاً ثم أنت تقولها بعدي ثلاثاً وأنت مغمض عينيك**" أو كما ورد.

وهكذا لقن علي رضي الله عنه الإمام الحسن البصري وهكذا إلى يومنا.

وقد صحح الحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهما سماع الحسن البصري لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما الحديث الذي ورد فيه أن النبي ﷺ: "**دخل المسجد فوجد حلقتين حلقة يُذكر فيها الله وحلقة علم، فجلس في الحلقة التي يتدارسون فيها العلم**". فهذا لا ينافي ما بيناه لأنه لم يعترض على حلقة الذكر وفعله فيه إشارة أن العلم والفقه أفضل وكلاهما خير.

وأما ما هو مشهور عند الصوفية من زياراتهم لقبور الأولياء والدعاء عندها والتبرك بآثار الأنبياء والأولياء فليس ببدعة فإن النبي شرع زيارة القبور والتبرك بآثاره ﷺ وعلى هذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم ثم الخلف إلى يومنا هذا، وليس هذا من عمل الصوفية فحسب بل من عمل أغلب المسلمين والحقيقة أن البدعة ارتكبها من حرم هذه الأمور وخصوصاً تحريم زيارة قبر النبي ﷺ، وقد احتجوا بحديث: " **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**" إلخ... فإنه لم يفهم أحد من قبلهم من الحديث تحريم السفر للتجارة أو لزيارة صديق بعيد أو عالم أو مسجد آخر أو غير ذلك مما هو جائز في شرع الله فكيف استدلوا به على تحريم زيارة قبر النبي ﷺ وهذا معنى الحديث كما شرحه العلماء أنه إن كان شد الرحال لأجل مزية في تحصيل الثواب العظيم في مسجد من المساجد فإن هذا لا يكون إلا في هذه المساجد الثلاثة يعني المسجد الأقصى والمسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ، وليس في الحديث تحريم السفر إلى غيرها من المساجد فهذا يشبه حديث النبي ﷺ: "**لا تخالل إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**" [رواه ابن حبان].

فهل يعنى أنه يحرم إطعام غير التقي، إنما في الحديث بيان مزية في إطعام التقي، وإلا فقد مدح الله في القرآن إطعام الكفار في بعض الأحيان في قوله تعالى: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً**﴾ [سورة الإنسان]، والأسير عند المسلم غالباً ما يكون من الكفار.

ويكفي في فضيلة زيارة قبر النبي ﷺ ما بينه لنا في حديثه:﴿**ليهبطَنَّ عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً أو بِنِيَّتِهِمَا، وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه**﴾ [رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي].

وروى البيهقي والدارقطني وابن عدي والحكيم الترمذي وابن خزيمة وغيرهم حديث: "**من زار قبري وجبت له شفاعتي**" وقال الذهبي عن أحاديث الزيارة وردت من طرق يقوي بعضها بعضا.

وأحاديث الزيارة نحو الأربعين، وعلماء الفقه يذكرون في كتبهم . باب أو فصل . في زيارة قبر النبي ﷺ ويقولون إنها من أعظم القرب إلى الله.

وقد نقل الإمام علي بن عبد الله السبكي في كتابه شفاء السقام الإجماع على مشروعية الزيارة وان ذلك أمرمعلوم من الدين بالضرورة، ذكر ذلك في عدة مواضع من الكتاب منها صفحة (٦٣) من الباب الرابع وصفحة (٨٠ و ٨٦) من الباب الخامس.

وأما زيارة قبر غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وزيارة قبور الأولياء فذلك سنة فإن النبي شرع لنا زيارة القبور وقال: "**إنها تذكركم الآخرة**" فمن باب أولى زيارة قبور أحبابه.

وأما الدعاء عند قبورهم فَلِظَنِّ الداعي أنه يُستجاب له إذ أنّ هذه الأماكن تنْزل عليها آثار رحمة الله عز وجل، ولا شك أن الله جعل بعض الأماكن والأزمان أشرف من غيرها فمن الأماكن الشريفة الكعبة والمقام وعرفات، ومن الأزمان التاسع من ذي الحجة وليلة القدر ويوم الجمعة و شهر رمضان وغيرها.

فهذه لا تتغير بمشيئة الله،فكما أن الله شرف قبر النبي ﷺ لأن أحب الخلق إليه دفن فيه وكذلك قبور أحبابه.

وأحياناً يصفو الوقت بسبب حضور رجل من أحبابه فهذه الأماكن والساعات وإن لم تكن مشرَّفة قبل ذلك فقد حصل فيها الشرف والبركة فيرجو الداعي أن يستجاب له فيها.

أما النذر بنية التقرب إلى النبي أو الولي وغيره فهذا منهي عنه وهو كفر، أما إن كان النذر عن روح النبي أو الولي، أي ليصل ثواب النذر إليه بنية التقرب إلى الله ففيه ثواب.

وما أكثر ما نقل المؤلفون عبارة: "فلان قبره معروف يزار". وقد أورد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بأسانيده إلى إبراهيم الحربي أنه قال :(قبر معروف الكرخي الترياق المجرب).

وبإسناده إلى عبد الرحمن بن محمد الزهدي قال: سمعت أبي يقول: "قبر معروف مجرب لقضاء الحوائج".

وبإسناده إلى علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: "إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى".

وكما بينت فإن هذا الأمر مشهور ذِكره في كثير من مؤلفات علمائنا.

وأما التبرك بآثار الأنبياء والصالحين فإنه أشهر. فقد ذكر الله في سورة البقرة قصة طالوت وجيشه وأن الله رد عليهم التابوت الذي فيه بقية من آل موسى، (أي الآثار التي تركها موسى وآله عليهم السلام) وما كان دعاؤهم بأن يأتيهم التابوت إلا ليستأنسوا به ويتبركوا وقد نصرهم الله.

وروى الإمام أحمد: "أن أبا أيوب الانصارى زار قبر النبي ﷺ فوضع جبهته على قبر النبي، تبركاً وشوقاً وأن مروان بن الحكم رآه واضعاً جبهته على القبر من غير أن يعرفه، فقال مروان أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا أبو أيوب فقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آتِ الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **لا تبكوا على الإسلام إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله**".

فهذا سيدنا أبو أيوب الأنصاري من الصحابة ﷺ قد زار قبر النبي ﷺ وتبرك به فلو كان حراماً أو شركاً لما فعل ذلك.

وقد روى البخاري ومسلم وأبو داود: "**أن النبي ﷺ قسم شعره بين الصحابة في عمرة الجِعْرانة في حجة الوداع فكانوا يتبركون به في حياته وبعد مماته ﷺ** ".

وروى الطبراني وأبو يعلى بسند صحيح والهيثمي في مجمع الزوائد: "أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت له قلنسوة في طيها شعر من ناصية النبي ﷺ، فضاعت منه في بعض الغزوات ثم

وجدها، فقيل له لماذا أنت تعتني بهذه القلنسوة كل هذا؟ فقال: إني وضعت فيها من شعر ناصية رسول الله وما حضرت وقعة إلا رزقت النصر، (أي ببركتها)".

ومما ورد أن الصحابي مالك بن سنان يوم أحد، كما رواه الطبراني والبيهقي، مج دم النبي ﷺ: " **فقال النبي ﷺ له لا يدخل النار من خالط دمه دمي**".

وكذلك شرب سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما دم حجامته، فلم ينكر عليه وغير ذلك كثير منها أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتحرى الأماكن التي رأى النبي يصلي فيها فيصلي فيها. [رواه البخاري].

وعائشة رضي الله عنها أوصت بأن يضعوا على صدرها في الكفن خرقة من قميص رسول الله ﷺ وقالت: "**ادفنوها معي لعلي أنجو بها من عذاب القبر**". [رواه مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء].

وروى السيوطي وغيره أن معاوية بن أبي سفيان أوصى بأن يكفن بجبة النبي التي اشتراها من كعب بن زهير بعشرين ألف درهم وكان عنده من أظافر النبي وشعره فأوصى بأن توضع على عينيه وفمه في القبر.

وممن قال باستحسان التبرك بآثار النبي ﷺ وبآثار الصالحين الإمام أحمد فقد روى عنه ذلك ابن حجر والعيني في شرح صحيح البخاري وغيرهما ولم نرَ أحداً حرم ذلك إلا أتباع ابن تيمية ومع ذلك فإن أتباعه يوم مات أخذوا الماء الذي غسل به ليتبركوا به فما هذا التناقض؟ وقد رُوِي عن الإمام أحمد أنه كان عنده قميص للشافعي فكان يغسله ويشرب الماء الذي غسله به وأنه كان يضع شعرة من شعر النبي ﷺ على فيه ويقبلها وعلى عينه ويغمسها بالماء ويشربه ويستشفي به، وكان لا يرى بأساً في مس رمانة منبر النبي ﷺ ومس الحجرة النبوية، وهذه الأخبار منها ما رواها العيني ومنها الذهبي ومنها ابن كثير ومنها ابن حجر وغيرهم.

وروى ابن عساكر في تحفته أن فاطمة رضي الله عنها وقفت على قبر النبي ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينها وبكت وأنشدت تقول: البحرالكامل

مــاذا علــى مــن شــمَّ تربــةَ أحمــد ... ألا يشــم مــدى الزمــان غواليــا

صُـــبَّتْ علــى مصـــائبُ لـــو أنهـــا ... صـبت علـيّ الأيـام عـدن لياليـا

وكتابة الحروز ليست من البدع السيئة إذا كتب فيها شئ من كلام الله أو من أسمائه. وليست هذه هي التمائم التي سماها النبي شركاً. وكذلك الرقي بكلام الله أو بدعاء ليس شركاً أو حراماً.

إنما الشرك أن تعلق شيئاً مع اعتقاد أن هذا الشيء يدفع عنك الضر بنفسه، أو أن تكون الرقية بما فيه استعانة بالشياطين أو بحمل ماكتب فيه شعوذة تؤدي إلى الكفر أو الحرام، هذا الذي نص عليه العلماء، وهذا تفسير حديث رسول الله ﷺ: "**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**" رواه أبو داود.

فقد ثبت أن النبي رَقَى وعلم الرَّقْيَ في أكثر من حديث بما فيه استعانه بالله تعالى بالدعاء أو بآيات الله عزوجل.

وأما كتابة الحروز فقد فعلها بعض الصحابة والأئمة وذكر العلماء بيان جوازها إنْ كُتِبَ فيها كلام مفهوم من دعاء أو آية أو أسماء لله تبارك وتعالى.

وقد روى ابن أبي شيبة أن ابن عباس علم ما يكتب لمن تعسرت ولادتها رواه في مصنفه.

وروى جواز ذلك ابن المنذر في الأوسط.

وروى شمس الدين بن مفلح الحنبلي في كتاب الآداب الشرعية أن الإمام أحمد كتب الحروز.

وروى ذلك أيضاً عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب مسائل الإمام أحمد، لأبي داود السجستاني. ورُوِيَ في كتاب معرفة العلل وأحكام الرجال أن الأمام أحمد أجازه.

وروى جوازه الإمام البيهقي في السنن الكبرى وبين الفرق ما بين التمائم التي كانت في الجاهليه وبين ما يكتب فيها من آيات الله وأسمائه سبحانه وتعالى وجواز هذا الأمر ذكره كثير غير من ذكرنا وهو مشهور ولا يحرمه إلا معاند.

وأما ما ينكره البعض على الصوفية من أمر سياحاتهم وأنهم مخالفون للشرع في بعض ما يقومون به أثناء سياحاتهم من التشديد على أنفسهم.

فقد ذكر الإمام السهروردي في كتاب (عوارف المعارف) وغيره: أنه من شروط السياحة ألا يكونوا أقل من ثلاثة وأن يحملوا معهم ما يحتاجون إليه من زاد وماء وشيء يقيهم الحر والبرد والمشط والمرآة وغير ذلك مما كان يحمله النبي معه أثناء غزواته.

فإن قيل ومع ذلك فإن هذا لم يرد، أقول لم ينهَ عنه وقد ورد ما يشبهه فقد مدح النبي ﷺ الذي يتخذ شعبا من الشعاب ويعبد الله فيه إذا كان لم يستطع الصبر على مخالطة الناس والصبر على أذاهم.

وفي السياحة يتعلم الإنسان الصبر والتوكل والزهد وأكثر الصوفية عادوا إلى مخالطة الناس بعد سياحاتهم بهمة عظيمة لإرشاد الناس.

وبعضهم تأهل لذلك من غير سياحة بصحبتهم لأهل الصلاح فتعلموا منهم ما تعلمه غيرهم بالسياحة.

وأما ما حصل من بعضهم من أنه كان يخرج في السياحة وحده من غير زاد وما يحتاج إليه الإنسان عادة مما ظاهره ورد فيه النهي، فذلك بسبب حال عظيم قد يغيبه عن هذه الأمور وقد يخرق الله العادة له فسيدنا خالد بن الوليد شرب السم فلم يضره بسبب حال عظيم من التوكل على الله حل في قلبه، وأراد مرة أن يتصدى وحده لجيش قدر بخمسين ألف رجل، فهذا في الأصل لا يجوز لأنه يؤدي إلى الهلاك، ولكن حين يخرق الله العادة لوليه لم يعد حراماً لأنه على يقين من ربه أنه لا يخذله.

وقد ربط أحد الصحابة نفسه تحت الشمس بسب معصية ارتكبها، فعل ذلك لأنه حصل له خوف عظيم من الله غلبه على فعل ذلك حتى أمر الرسول ﷺ بفكه، فالإنسان يعذر أحيانا بسبب غلبة الحال عليه. أما الحكم بوجه عام فهو المتابعة لسنة النبي ﷺ. فليس للإنسان العادي الذي ليس له مثل هذه المقامات أن يفعل ذلك، فإذا شرب السم مثلاً رجل ليس على الحال الذي كان عليه سيدنا خالد فإن ذلك منه انتحار ومعصيته من أكبر الكبائر بعد الكفر بالله.

كذلك يُنَهى المرء عن السياحة وحده إن لم يتمكن فإنه قد يعرض نفسه للسباع وقطاع الطريق.

ولا بد للذي أراد السياحة أو العزلة من الفقه وإلا كيف يعرف دخول وقت الصلاة أو القبلة أو أحكام التيمم، وكيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكيف ينجو من وساوس الشيطان إن لم يكن تفقه بالدين.

وأما النوبة وهي الضرب على الطبول أو الدفوف فالأصل فيها الجواز لأن الصوفية في الأصل لا يستعملونها للهو وإنما في مناسبات وأحوال معينة، منها: إظهار البهجة في الأعياد أو الفتوحات، والأصل في جواز ذلك حديث أبي داود وهو: "**أن امرأة أتت النبي ﷺ، فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: أوفي بنذرك**..." وذلك بعد عودته ﷺ سالماً من بعض المعارك، فلو كان حراماً لنهاها النبي عن ذلك لأنه لا يصح النذر في المعصية.

وقد قال النووي ﵁ في المنهاج: "ويجوز دف لعرس وختان وكذا غيرهما في الاصح" وأحاديث جواز الدف كثيرة منها ما رواها البخاري والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وأما الطبل فمنها طبل الحرب فجائز بالإجماع كما ذكره الهيتمي في كف الرعاع، ونقل جواز استعماله للحج والأعياد، يعنى أن الطبل هو وسيلة إعلان للحج أو الحرب ثم استعمل للإعلان عن رمضان ولإيقاظ الناس على السحور، وفي الزوايا للإعلان عن بدء حلقة الذكر أو العلم، واستعمل أيام العباسيين للإعلان عن الوفاة وكانت النوبة تسير أمام الجنازة لا وراءها لأن من السنة في تشييع الجنازة الذكر والاعتبار، وبهذا لا يحصل مخالفة، بل تبقى وسيلة إعلان يسمعها الناس، فيتبادرون لتشييع الجنازة،وأما الحديث الذي رواه البهيقي (إن الله يحب الصمت عند ثلاث وذكر منها عند تشييع الجنازة...) فقد قال عنه العلماء إنه ضعيف فلا يحتج به في الأحكام، ومع كونه ضعيفا لا يفهم منه تحريم الكلام لأن في هذا الحديث أيضا ذكر النهي عن الكلام أثناء القتال، فهل يفهم من هذا تحريم الكلام أثناء القتال، أليس القائد يكلم جنوده ويوجههم في المعركة، فيكون النهي عندئذ عن الكلام الذي لا خير فيه، أما ما يفعله البعض من استعمال النوبة للإعلان عن وفاة الأغنياء أو الوجهاء دون الفقراء من باب الفخر فهو حرام.

وليس شرطاً أن تستعمل النوبة للإعلان عن الوفاة أو في المناسبات، وإنما فقط أردت أن أبين الحكم، والنوبة تستعمل بالطبول التي كطبل الحرب،وأما الكوبة فإنها محرمة، وتستعمل بالدفوف أيضاً، وأما استعمال الصفاقتين يعنى الصنج وهما دائرتان من نحاس أو حديد، فقد نقل ابن حجر الهيتمي في كف الرعاع أنه مختلف فيها أي في الضرب عليها، فالذين قالوا

بجوازها دليلهم أنها ليست آلة مطربة بمفردها وأن استعمالها في النوبة أي مع الطبول أو الدفوف لا يدل على فعل المخنثين، وهذا قول أكثر المتأخرين وبعض المتقدمين، والقول الآخر هو قول البعض بأنها حرام لأنها من عادة المخنثين وإن كانت لا تطرب.

قلت: وبما أنها من الأمور المختلف فيها فلا داعي إلى التشدد، فلا يعترض على من أخذ بجواز الضرب عليها ما لم تستعمل لأمر محرم، أي لشاربي الخمور، أو للرقص المحرم وما شابه ذلك : فإن العنب مثلاً مع جواز أكله فإنه يحرم بيعه لمن يريد أن يتخذ منه خمراً مع العلم بذلك الخ...

وأما ما ينسب إليهم من أنهم حلوليون، أقول إن بعض الذين انتسبوا للتصوف حرفوا أصل التصوف المبني على توحيد الله وتعظيمه وتعظيم شعائره.

فمن هؤلاء أناس حلوليون، ومنهم من يقول عن الجنة خشخاشة الصبيان وهذا استهزاء بالجنة، ومنهم من سمى جهنم (مستشفى) وهذا استهزاء بوعيد الله للكافرين وبعض العصاة، ومنهم من سمى القرآن (رغيفاً) وقال أنا أستغني عن قراءته بصلاة الفاتح (أي صيغة من الصلاة على النبي ﷺ) ومنهم من يدعي أنه يأكل من ثمر الجنة وأنه يضاجع الحور العين، ومنهم من قال من أخذ الورد عنا يصل إلى درجة أعلى من الأنبياء، ومنهم من أحل الحرام وحرم الحلال بدعوى أنه وصل إلى مرحلة اليقين، ومنهم من نسب إلى أئمة التصوف أفعالاً وأقوالاً لم تثبت عنهم مما تخرج الإنسان عن دينه، قصدهم تعظيم مشايخ طرقهم وقد نقصوا قدرهم وهم لا يعلمون، ومنهم من قال إن (آه) من أسماء الله، ومنهم من ادعى أن مشايخهم يعلمون الغيب، ومنهم من يختلي بالنساء بحجة أنه شيخهن وكأنه مثل والدهن على زعمه، ومنهم من يعتقد عقيدة الاتحاد، يقولون إن هذا الكون هو الله والله هو الكون، وبِدَعُ بعض المتصوفة المخالفة للأصول كثيرة لا أستطيع حصرها.

وإن الذي بيناه من بدعهم يؤدي إلى الخروج من دين الله، وإن التصوف وأهله الحقيقيين لا يعتبرون هؤلاء وأمثالهم من المسلمين.

وخصوصاً عقيدة الحلول والاتحاد وما فيه من تشبيه لله بخلقه كاعتقاد أن الله نور بمعنى الضوء أو أنه روح أو أنه في جهة من الجهات أو أن له حداً أو مكاناً. فإنهم لا يعتبرون أصحاب هذه العقائد من المسلمين.

فإن ما وجدناه في أقوال الأئمة الصوفية المشهود لهم بالعلم والصلاح أنهم أشد حرباً على مثل هؤلاء الناس الدجالين الذين شوهوا سمعة الدين ومن أسباب حدوث هذه البدع الجهل بعقيدة أهل السنة عند هؤلاء الناس، حيث استطاع الكفار وأهل الأهواء من الباطنية والمشبهة إدخال هذه العقائد إلى أذهانهم.

وسأبين عقيدة أهل السنة مع ذكر أقوال بعض الأئمة من المعروفين بالتصوف وغيرهم، في التوحيد والتنْزيه، وأذكر عقيدة الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، التي هي عقيدة أهل السنة والتي تُظهِرُ براءته مما نسب إليه من أقوال واعتقادات فاسدة في بعض كتبه المدسوس فيها، وما ذكر في كتبٍ غيرها مما فيه غلو وشطح لا يليق بشيخ أجمع المشايخ من فقهاء وأولياء على جلالة قدره وشدة حرصه على متابعة جده رسول الله ﷺ.

ولم ينقل عن العلماء الذين عاصروه وأخذوا عنه وسمعوا منه ما ينسب إليه مما هو مخالف للأصول، وكذلك العلماء من ذريته وأتباعه ممن ينتسبون إليه ما نقلوا عنه هذه العقائد الزائغة.

إلا نسبة قليلة ممن ينتسبون إلى طريقته غالوا في تعظيمه فنسبوا إليه بعض الشطح الذي منه ما يخرج من الإسلام، والشيخ بريء من ذلك، فإن الشيخ عبد القادر قال عن نفسه أنه كان متابعاً لطريق جده المصطفى ﷺ قدماً بقدم إلا ما كان خاصاً بالنبي ﷺ، وهذا ما شهد له به جمهور المشايخ من فقهاء وأولياء.

فمما دُسَّ على الشيخ عبد القادر في كتاب الغنية القول: "بالجهة لله والقعود على العرش وأن محمداً يقعد معه على العرش يوم القيامة محتجاً بحديث موضوع وأنه يقول إن كلام الله الذاتي الأزلي بحروف وأصوات وأن الحروف غير مخلوقة"، ودست عليه أشياء أخرى، وعلامة الدس في الكتاب المذكور أن هذه العبارات الشاذة محشوة بين عبارات صحيحة، مثل القول: (بالقعود والجهة) مذكور بعد ذكر القول إن الاستواء بلا كيف.

ومثل القول: (إن الحروف غير مخلوقة) ذكر بعد ذكر القول إن الله متكلم بلا كيف ولا تشبيه.

وكذلك دُسَّ في هذا الكتاب الطعن بالأشاعرة على طريقة المشبهة، وأنه دعا عليهم مع أن في الكتاب بيان بعض ضلالات الفرق الشاذة مع ذكر أسمائهم مع تعليق يختلف عن التعليق المذكور عند ذكر الأشاعرة مما يدل على أن كل ما في هذا الكتاب من عقائد تخالف

عقائد إمامي أهل السنة الأشعري والماتريدى هو من دس المشبهة المجسمة ومما يدل على ذلك غير الذي بيناه أن عقيدة الشيخ المنقولة عنه والتي سنذكرها موافقة لعقيدة أهل السنة من الاشاعرة والماتريدية.

ومما افتري به على الشيخ عبد القادر ﷺ من الذين غالوا به وظنوا أنهم يعظمونه بذلك وقد ذموه وهم لا يعلمون، أنهم قالوا: "إن الشيخ عبد القادر كلّم الله وسأله هل لك مكان وأنه سأله هل تأكل أو تشرب إلخ..." مما فيه نسبة الحلول لله والاتحاد وغير ذلك من الضلالات، رأيت ذلك في كتاب الفيوضات الربانية وذكر كلام طويل. فهذا فيه نسبة الجهل للشيخ عبد القادر حيث إن الطفل المسلم يُنَزه الله عن مثل ما نسب للشيخ، وفيه أيضاً أنهم جعلوه كَليمَ الله حيث يذكرون في أول القصة: "أن الله ناداه: ياغوث الأعظم ".

وفي نفس الكتاب ذُكرتْ له بعض الأسماء التي لا يسمى بها أحد غير الله تعالى، وفيه أيضاً بعض الشطح المنسوب إليه كالقول: "إن الكعبة تطوف حوله، وأنه لو ألقى سره على لظى أي جهنم لانطفأت بسر برهانه، مع أن الشيخ ذكر في عقيدته أن الجنة والنار خالدتان، ومما يرويه البعض عنه أنه وصل إلى مرحلة صار يقول للشيء كن فيكون"، نعوذ بالله من ذلك، ولو قالوا: أعطيَ التصرف بالكرامات لكان خيراً لهم.

ومما افتري به عليه قولهم: "إن ملك الموت قبض أرواح بعض تلاميذه فطار وراءه وأخذ منه أرواحهم وردها وقال له كيف تقبض أرواحهم من غير أن تستأذن منى"، فهذا افتراء عظيم عليه.

وأما ما ورد من أن الله أحيا بعض الأموات على يديه فهذا صحيح وهذه كرامات. لكن على غير الوجه الذي نسب إليه فإن ذلك قلة أدب واعتراض لأن سيدنا عزرائيل ينفذ أمر الله وليس بحاجة لاستشارة أحد.

ومما افتري عليه أيضاً قول بعضهم: "إن الشيخ كان يرقص في حلقة الذكر ويغيب عن وعيه وأنه حين يغيب يقول (أنا الله) فقال له أحد مريديه لقد قلت أنا الله فقال له إن سمعتني قلت هذا مرة ثانية فاضرب عنقي بالسيف، فلما كانت الحضرة الثانية وقال ذلك ضربه مريده بالسيف فلم يعمل به".

أقول إن هذه الافتراءات وأمثالها لم تثبت عن سيدنا الشيخ عبد القادر قدس سره لأنه ﷺ قد وصل إلى مقام عال فهو أحد الصديقين المتمكنين في علم الشريعة والحقيقة الذين

قهروا أحوالهم وقد كان يحذّر من الشطح المخالف للشرع وقد شهد له بذلك مشايخ عصره ولم ينقل أحد منهم عنه مثل هذه السخافات.

وأما ما ينسب إليه من القول أنا كذا وكذا مما سيأتي ذكر بعضه عند ذكر مناقبه فهذا ليس من الشطح المخالف للشرع إنما هو من باب التحدث بنعمة الله عليه مما أذن له الكلام فيه ليزيد المريدين همة ويقينا وتوكلا على الله سبحانه وتعالى.

أما ما رُوي من أنه قال: "قدمي هذه على رقبة كل ولي لله". فهذه الكلمة أوَّلَهَا من أثبتها له على المعنى المجازي أي أن المراد هنا بالقدم الطريق، وهذه الكلمة اشتهرت عنه اشتهاراً واسعا نقلها العديد من المؤلفين.

أما الذي قاله الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي ثم القادري في كتابه قلادة الجواهر:إن هذه الكلمة لم تعرف عن الشيخ ولم تنشر عنه إلا بعد نحو مائة سنة تقريباً، وقال: إن الذي روى هذه القصة هو صاحب كتاب بهجة الأسرار (الشيخ علي الشطنوفي) وأنه لم يذكرها أحد قبله، وأن أسانيد هذه القصة لم تثبت، وقال: إن كان قصد صاحب هذا الكتاب تعظيم الشيخ عبد القادر، فهو أجل من أن يذكر مثل هذه الكلمة عنه، وقال إن الشيخ عبد القادر كان بعيداً عن مثل هذا الشطح، وأنه كان يحذر من مثله، وقد نقلت كلام الشيخ أبي الهدى بالمعنى، لأنه ذكر كلاماً طويلاً.

إعلم أيُّها القارئ بأن أولياء الله أشد أدباً مع الله من غيرهم فلا يتجرؤون على مثل ما افْتُرِيَ به على الشيخ عبد القادر، فإن قال قائل لعله قال مثل هذه الكلمات في حال الغيبة، أقول إن الشيخ عبد القادر لم ينقل عنه أحد من معاصريه أنه كان يحصل له غلبة إلى حد الغيبة، حتى في ابتداء أمره ما ثبت عنه أنه كان يتكلم بمثل هذه الكلمات مع قوة الأحوال التي كانت تأتيه فكيف بعد تمكنه وبروزه لإرشاد الخلق، تأدبوا مع أولياء الله وأحبائه.

وهناك كلمات كثيرة مخالفة للشرع نجدها في كثير من كتب الصوفية وغيرهم أيضاً.

أقول إن كل شيخ من علماء هذه الأمة المشهود له بالتقوى والورع والموافقة لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة، علينا أن نحسن الظن به إن وجدنا في كتابه ما يخالف أصول الدين، على أنه مدسوس عليه أو كتب بالخطأ، لأن أعداء الدين يحاولون على مدى العصور تشويه ديننا العظيم، فكما تعلمون حَرَّفَ قوم بعض كتب الله، ووضعت أحاديث كثيرة بعضها يضرب أصول العقيدة الإسلامية، وأُلِّفت كتب فيها من الطامات ككتاب الإسراء والمعراج المنسوب

لابن عباس رضي الله عنه وهو لم يؤلف هذا الكتاب، وكتاب مولد العروس ونسب لابن الجوزي وهو لم يؤلفه بل إن كثيراً مما في هذا الكتاب يخالف ما كان عليه ابن الجوزي رحمه الله، ودس على الإمام أحمد وادعت المعتزلة أن أبا حنيفة رضي الله عنه منهم وهو من أشد المحاربين لهم ودس على الإمام أبي الحسن الأشعري واتهمته المجسمة بأنه معطل، ودس على الإمام الغزالي ومحيي الدين بن العربي، ونسبت بعض البدع للشيخ أحمد الرفاعي في عدة كتب، كما نسب إليه كتاب الفتح المبين بأكمله الذي يحتوي على كثير من التحريف وهو ليس من تأليفه، واتهم الشاذلي بالزندقة وغيرهم كثير، وكل هؤلاء مشهود لهم بعلو القدر من الخاصة والعامة، فليتنبه لذلك.

وفي كل الأحوال على المسلم أن يتعلم عقيدته وأن يتعلم ما يحتاج إليه من أمور الفقه، والآداب الإسلامية ليضع الأمور في ميزان الشرع ليسلم من دعاة على أبواب جهنم، وينقذ غيره ما استطاع، وكل محاسب يوم القيامة، فاهتم بإصلاح نفسك وأْمُرْ بالمعروف وانهَ عن المنكر والعاقبة للمتقين.

وأما ما ورد في كتب الصوفية مما لا يخالف الشرع من الدقائق مما يحتاج إلى شرحها، فليس لأحد أن يعترض عليها، وهي لم تؤلف لكل إنسان، فإن المبتدئ لا يفهم الكثير من العلوم كالنحو ومصطلح الحديث وبعض أمور الفقه والتفسير وغير ذلك، فهل ينكرها أو يعترض عليها، أم يتهم نفسه بالتقصير وعدم فهمها، ثم يسعى في تحصيلها، كذلك كلام الصوفية في المحبة والعشق والأحوال والأذواق والمقامات وغير ذلك، يحتاج طالب العلم السالك إلى وقت حتى يفهم دقائقها ومعانيها، فإذا فهم معانيها مع الذوق هاج قلبه واضطربت أعضاؤه وصفا من الكدر، الخ.

ومع كل الذي بينته فقد نسب إلى التصوف وخصوصاً في العصور الأخيرة كثير من أهل الزندقة والحلول والوحدة المطلقة، وبعضٌ لم يصلوا إلى هذا الحد، شوهوا حقيقة التصوف والطريقة، من الذين تزيوا بزي الصوفية ولم يتفقهوا، فترى أحدهم يرقص من غير غلبة، ويحرفون اسم الله أثناء الحضرة، وبعضهم يأكل أموال الناس بالباطل ظاهره زاهد وباطنه كذاب متعلق أكثر من غيره بالدنيا، يتركون العمل تكاسلا بادعاء الزهد، ويتركون النفقة الواجبة عليهم بحجة صحبة بعض المشايخ، والشيخ الكامل لا يأمر بعقوق الوالدين وقطع الرحم وترك النفقة الواجبة من أجل صحبته، واكتفى بعضهم بذكر حكايات الصالحين، وإن كثيراً مما يروونه غير صحيح، وكان الأولى بهم أن يسعوا في تحصيل العلوم الشرعية والقيام بها حتى يصبحوا من أهل الحقيقة، فإن الحقيقة في تطبيق الشريعة . وما منعهم من ذلك إلا اتباع الهوى الذي نهينا عنه، مع العلم بأن أكثر ما قيل في التصوف هو عدم إتباع الهوى.

أقول بأن مثل هؤلاء لا يحكم من خلالهم على أن في التصوف ما يَشِين ولم يضروا إلا أنفسهم بمخالفتهم، ولا يضر انتسابهم إلى التصوف أهل التصوف الحقيقيين كما لا يضر سيدنا عيسى ﷺ انتساب من خالفه إليه ممن عبدوه من دون الله ولا يضر سيدنا محمداً ﷺ افتراءات الملحدين عليه ومن وضعوا الأحاديث الكاذبة لتحريف ما جاء به.

وكما انتسب إلى طرق أهل الله بعض أهل الحلول والزندقة، انتسب إلى أهل المذاهب الفقهية بعض المجسمة والمعطلة والمعتزلة وغيرهم، فكما لا يعاب على الإمام أحمد انتساب بعض المجسمة إليه مثلاً فلا يعاب على مشايخ الطريق انتساب بعض الدجالين إليهم،

وكما لا يُعاب على المذاهب الفقهية التي فيها خلاف بالمسائل الفرعية المتوافقة في الأصول، كذلك لا يُعاب ولا ينكر على تعدد الطرق التي اختلفت في أسلوب التربية وتزكية النفس مع اتفاقها وجميع المسلمين في أصول العقيدة.

بيان فضل علم التوحيد وأهميته

إعلم أن علم التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق، لأنه يتعلق بمعرفة الله عز وجل، وما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه سبحانه وتعالى، وما يتبع ذلك من أمور النبوة والآخرة والأصول، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، لذلك هو أشرف العلوم وأفضلها

فالتوحيد هو أصل الدين قال الله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا اله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾** [سورة محمد ﷺ].

في الآية تقديم التوحيد على الاستغفار لأن التوحيد هو الأصل، والاستغفار عمل صالح فلا يقبل من غير توحيد كما لا يكون فرع من غير أصل.

وقال تعالى: **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾** [سورة النساء].

وقال تعالى: **﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾** [سورة الفتح]. فلا يصح الإيمان بالله إن لم يقترن به الإيمان برسوله محمد ﷺ مع التصديق بكل ما جاء به وأخبر به.

وقال ﷺ: **"أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله"**[رواه البخاري]. أي أن الإيمان هو أفضل الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك.

ومن أهمية التوحيد أن من مات عليه لا بد أن يدخل الجنة، فإن كان مؤمناً طائعاً لله أدخله الله الجنة بفضله من غير سابق عذاب، وإن كان مؤمناً فاسقاً إن شاء الله أدخله الجنة وإن شاء عذبه، ثم يدخل الجنة بعد مدة عقابه في النار، قال ﷺ: **"يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان"** [رواه البخاري]، أما من مات على الكفر فهو خالدٌ في نار جهنم ليس له شفيع ولا نصير. والآيات والأحاديث التي تدل على فضل التوحيد كثيرة.

وقد اهتم أئمتنا من أهل السلف والخلف بعلم التوحيد وَوُفِقوا لاستنباط الأدلة العقلية الموافقة للأدلة النقلية للرد على بدع أهل الأهواء من الفرق التي ظهرت، ولحفظ عقائد المسلمين من الزلل المخالف لأصول الدين المجمع عليه.

ويسمى علم الكلام وهو فرض كفاية، ودليله من القرآن قال تعالى: **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** [سورة النحل].

وأيضاً ما ورد في سورة البقرة إخباراً عن سيدنا إبراهيم ﷺ، في جداله للنمرود وإقامة الحجة عليه وغير ذلك من الآيات، فهذا ممدوح شرعاً لم يذمه إلا جاهل، وقد جادل الصحابي عبد الله بن عباس الخوارج بأمر سيدنا علي رضي الله عنهما وكذلك الإمام الأعظم أبو حنيفة جادل المعتزلة كثيراً وأقام الحجة عليهم وكذلك الحسن البصري والإمام أحمد، وقد ألف أبو حنيفة في هذا العلم خمسَ رسائل كذلك جادل الشافعي حفصاً الفرد المعتزلي وكفره في مسألة خلق القرآن وردَّ على البراهمة وألف كتاب الرسالة والقياس، وكذلك أبو الحسن الأشعري ألف في هذا العلم وردَّ على المعتزلة وغيرهم بالأدلة العقلية كغيره من السابقين وكذلك أبو منصور الماتردي وكل هؤلاء من السلف، وقد اقتدى بهم أكثر علماء الخلف كأبي سليمان الخطابي وأبي منصور البغدادي والجويني والبيهقي وغيرهم.

وأما ما ورد من ذم الجدل في القرآن أو السنة وعند أهل السلف (أي علم الكلام المذموم) فهو ما كان لإحقاق الباطل وإبطال الحق، وهذا مذموم، وهذا ما ذمه الشافعي وغيره من الأئمة والدليل ما بيناه من أنهم اشتغلوا بعلم الكلام المؤيد بالدلائل الشرعية فالحذر من خلط الأمور.

وقد تكفل الله بحفظ دينه حيث قال سبحانه وتعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [سورة الحجر].

فيسر له بفضله ومَنِّه من ينصره ويدافع عنه في كل زمان رغم الفتن التي تظهر، مجاهدين من العلماء والقادة حاملين لواء الحق ينتصرون لدين الله ويدافعون عنه تارة بالبيان وتارة بالسنان.

وقد قال ﷺ: **"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها"** [رواه أبو داود والحاكم].

وقد يكون في القرن الواحد أكثر من مجدد فمن المجددين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح.

ومن المجددين الذين اشتهروا بنشر العلم أصوله وفروعه أي علوم الدين، الإمام الشافعي وأبو منصور الماتردي وأبو الحسن الأشعري وغيرهم كثير.

ومن المجددين الذين اشتهروا بالتصوف والإرشاد الإمام الجيلاني والرفاعي وغيرهما.

وقد أطلقت الأمة على أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي اسم إمامي أهل السنة والجماعة حيث قاما بعمل هو من أعظم الأعمال وهو جمع مسائل التوحيد والعقيدة التي أجمع عليها أهل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم المؤيدة بالكتاب والسنة، وأهل السنة حتى زماننا هذا على هذه الأصول التي قاما بجمعها، وهم الجماعة والسواد الأعظم،ولا عبرة بمن خالفهم من الفرق الشاذة مع ادعائهم أنهم من الجماعة.

وبين لنا حبيب الله سيدنا محمد ﷺ صحة ما بيناه بقوله: **"وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة"** [رواه أبو داود] وورد بروايات أخرى.

وقال أيضاً: "**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم**" [رواه ابن ماجه].

فالسواد الأعظم هم الأشاعرة والماتريدية وخصوصاً الأشاعرة فأغلب أهل السنة منهم من علماء ومحدثين وفقهاء وفاتحين ومجاهدين ومنهم أغلب أئمة التصوف فإذا كان هذا الأمر فهل يلتفت إلى من خالفهم أو حمل عليهم من أهل الفرق الشاذة الذين لا حجة لهم، وهؤلاء هم الذي اشتغلوا بعلم الكلام المذموم الذي حذر منه أئمتنا، فمنهم من شبه الله بخلقه بحجج واهية ومنهم من كذب بالقدر ومنهم من وصف الله بالجبر والظلم ومنهم من قال بالحلول والاتحاد ومنهم من أحل المحرمات ومنهم من اعتقد قدم العالم وأزليته وغير ذلك.

وسبب ذلك كله اتباعهم الهوى وتكبرهم على الحق وعنادهم فحل بهم ما حل باليهود وغيرهم من الكفار والمشركين الذين آثروا اتباع الهوى على اتباع ما جاء به الأنبياء والمرسلون من الحق من ربهم.

وأما ما يشيعه أهل التشبيه والتجسيم من أن الأشاعرة يعطلون بعض صفات الله وأنهم مخالفون لعقيدة الإمام أحمد فهو افتراء، وهل نقل ما تكلم به الإمام أحمد من مسائل الأصول غير الأشاعرة أو الماتريدية، وهو من جملة ما يحتجون به: وذلك لعدم فَهْمِ المجسمة لكلام الإمام، ثم تعصبهم لعقيدتهم الزائغة جعلهم يدسون عليه ما لم يثبت عنه بإسناد، كقولهم إن الحروف غير مخلوقة وأن كلام الله الذاتي حرف وصوت، وينسبون ذلك لغيره أيضاً كالإمام الشافعي وغيره، كما دسوا ذلك على الشيخ عبد القادر في كتاب الغنية وجعلوا الشيخ منهم كما جعلوا أحمد بن حنبل منهم، ولم ينتبهوا إلى أن الله جعل في هذه الأمة من يغربل الفاسد من الصحيح.

ومن أراد أن يعرف أن عقيدة الإمام أحمد لم تتعارض مع عقيده الأشاعرة فليطلع على كتاب الاعتقاد وكتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي الشافعي الأشعري وكتب الإمام عبد القاهر البغدادي الشافعي ككتاب أصول الدين، وعلى كتاب الباز الأشهب في الرد على من خالف المذهب وكتاب دفع شبه التشبيه للإمام ابن الجوزي الحنبلي الأشعري وغيرهم.

ومن أراد أن يعرف براءة الإمام الأشعري مما نسب إليه من تعطيل وتشبيه فليطلع على كتاب تبيين كذب المفتري للإمام ابن عساكر وعلى ما نقله الأشاعرة في كتبهم من العقائد عنه.

ومن أراد أن يعرف براءة الشيخ عبد القادر مما نسب إليه فليطلع على عقيدته التي وردت في بعض الكتب التي ألفت في مناقبه، وما عليه العلماء الذين انتسبوا إلى طريقته حيث لم يرووا عنه مثل هذه العقائد المدسوسة عليه في بعض الكتب المنسوبة إليه.

واعلم أن أئمة التصوف اهتموا بعلم العقيدة ونشرها كغيرهم من علماء الأصول من السلف والخلف مع أن كثيراً من الفقهاء كأبي حنيفة وغيره هم صوفية من حيث المعنى وإن لم يطلق عليهم هذا الاسم فحياتهم كلها مجاهدة، وزهدهم مشهور ولهم كرامات.

فسيدنا الإمام الجنيد البغدادي قدس سره الذي جمع أصناف العلوم والملقب بإمام الفريقين وإمام الصوفية كان يتكلم بعلم التوحيد على رؤوس الأشهاد وهو أول من تكلم بهذه الطريقة أمام الجموع بأسلوب يبهر العلماء والحكماء وما ذلك منه إلا انتصارلعقيدة أهل السنة والجماعة.

وكذلك الإمام القشيري صاحب الرسالة، وكذلك الإمام أحمد الرفاعي الكبير كان يتكلم بهذا العلم في مجالس وعظه التي وصل عدد حضورها أحياناً إلى المئة ألف وكذلك أتباعه، فقد قرأت في عدة كتب للرفاعية فرأيت اهتمامهم بعلم التوحيد ونبذهم للعقائد الفاسدة التي منها عقيدة الحلول والاتحاد.

وقرأت في بعض كتب النقشبندية وغيرهم فوجدت اهتمامهم بعلم التوحيد.

وكذلك إمامنا الشيخ عبد القادر الجيلاني فقد كان اهتمامه عظيماً بالعقائد الإسلامية فقد كان لا يخلو مجلس من مجالس وعظه إلا ويتكلم في توحيد الله وتنْزيهه عن مشابهة خلقه، وكذلك أتباعه قاموا بنشر العقيدة شرقاً وغرباً ودخل ألوف الناس على أيديهم في الإسلام.

فبعد الذي بيناه فلا يلتفت إلى ما أحدثه بعض أدعياء التصوف والذي اتخذه البعض حجة إلى محاربة التصوف، ولا يلتفت إلى ما يُعّلّم في بعض الجامعات والمدارس من أن التصوف فلسفة وعقيدة حلولية وأنه مأخوذ من بعض الديانات الأخرى، وأكثر ما يبنون عليه كلامهم - الحلاج - والحلاج أكثر صوفية عصره تبرؤا منه كفروه لقوله: "أنا الحق" وقوله: "ما في الجبة غير الله" وغير ذلك، وعلى رأسهم الإمام الجنيد الذي كان الحلاج يحضر مجلسه أحيانًا.

وقد قال الجنيد للحلاج: "لقد فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا قطع رأسك".

وقد أصدر فيه القاضي أبو عمر المالكي في بغداد أيام الخليفة المقتدر بالله حكم التنكيل فيه والقتل ليرتدع غيره عن مثل ذلك، فقطعت يداه ورجلاه ثم رقبته ثم أحرق وذر رماده في دجلة، وقد افتتن به بعض المنتسبين إلى التصوف من أهل الجهل فضلوا بذلك لأنهم اعتقدوا أن الله حالٌ في العالم أو في بعضه أو بعض الناس.

وأما الذين لم يتبرؤا منه في عصره من الصوفية فهم أربعة ذكر الشيخ عبد القاهر البغدادي منهم ثلاثة في كتابه أصول الدين وهم ابن عطاء وابن خفيف وابن القاسم النصر ابادي، فإنهم يعتبرونه قال ما قال في حالة سكر أي كان غائباً عن وعيه بسبب غلبة الحب عليه، مع اعتقادهم بأن ما صدر منه كفر إلا أنه لم يكن مكلفا حين نطق بهذه الكلمات، وكذلك من جاء من بعدهم على قسمين منهم من كفره كالإمام أحمد الرفاعي حيث قال فيه: "لو كان على الحق ما قال أنا الحق".

ومنهم من لم يكفره ظناً منهم أنه كان غائباً عن وعيه، كالإمام عبد القادر الجيلاني فإنه قال: " عثر الحلاج ولم يكن في زمنه من يأخذ بيده ولو كنت في زمنه لأخذت بيده " يعنى لأيقظته من استغراقه إلى حالة الصحو بعون الله ".

يفهم من هذا في كلا الأمرين أن أئمة التصوف بريؤن من عقيدة الحلول.

أما سيدنا أبو يزيد البسطامي فإنه مفترى عليه ما ينسب إليه من قول: "أنا الله" وقول: "سبحاني أو سبحانك سبحاني".

وافتري على الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي وحشيت بعض كتبه بالدسائس الكثيرة ككتاب الفتوحات المكية، فمن بعض ما نسب إليه قول: " إن دينكم دنانيركم وما تعبدون تحت قدمي هذه ". وأنه قُتِل بأمر الحاكم لهذه المقولة فإن ذلك افتراء وكذب والشيخ محيي الدين مات على فراشه لم يمت قتلا كما يزعمون، وكذلك نسب إليه عقيدة الحلول والاتحاد، وعدم تكفيره لفرعون لعنه الله وغير ذلك من الافتراءات والدسائس التي ذَكَرَ بيان براءته منها كثير من العلماء منهم الشيخ عبد الوهاب الشعراني، فقد ذكر في كتابه اليواقيت والجواهر أنه اطلع على نسخة الفتوحات المكية التي كانت بحوزة الشيخ أبي الطاهر المغربي نزيل مكة فلم يجد فيها شيئاً مما دس في بعض النسخ الأخرى، وذكر شيئاً من عقيدته التي فيها تنْزيه الله عن المكان والحلول والاتحاد، وتكفيره لفرعون وأن إيمانه لا ينفعه لأنه كان في حال اليأس، وبيَّن الشعراني أن الشيخ محيي الدين ابتلي بما ابتلي به عدد من أئمتنا كالإمام أحمد حيث دس

الزنادقة تحت وسادته في مرض وفاته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته.

وذكر الشعراني أنه دس على الفيروز ابادي صاحب القاموس كتاب يكفر به الإمام أبا حنيفة، وذلك في حال حياته ثم انكشف الأمر، وبين أنه مفترى عليه، قال الشعراني كما دسوا على الإمام الغزالي، وقال: " دسوا علي أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة".

وأما بعض العلماء الذين تكلموا على الشيخ محيي الدين وهم قلة فإنه لم يصل إليهم ما وصل غيرهم من براءته فكلامهم كان من باب النهي عن المنكر وعدم القراءة في كتب الشيخ محيي الدين التي دس فيها حرصاً على دين الله ولو وصل إليهم ما وصل لغيرهم لأمسكوا عن الطعن في الشيخ واقتصروا على التحذير مما دس عليه.

وكذلك الشيخ عبد القادر دس عليه كما بينا، ومع ذلك فإن كثيراً من أكابر علماء الأمة أثنوا على الشيخ محيي الدين بن العربي وسَمَّوْه الشيخ الأكبر.

فالسلامة بعد الذي بيناه هو بتعلم علم الدين من أهل العلم الأتقياء حتى تزان الأمور بميزان الشرع لا بميزان الهوى، وخصوصاً علم العقيدة فهو الأصل فلا تَحِدْ عن عقيدة أهل السنة والجماعة الذين هم من قاموا بفتح البلاد ونشر دين الله فيها وهم من جمعوا الحديث وصنفوا التفاسير.

وهم من وضعوا قواعد اللغة العربية وهم من دافع عن بلادنا طوال العصور الماضية وهم من حفظ الله دينه بهم، كما صنفوا كثيراً من الكتب في مختلف الفنون النافعة للدنيا التي قدموها للأمة فجزاهم الله خيراً وعزاً.

أما غيرهم من الفرق الشاذة فإن أكثر ما قاموا به هو محاربة أهل السنة بكل الوسائل غافلين بأهوائهم وعنادهم عن الحق.

قال ﷺ: **"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"** [رواه أبن ماجه وأبو داود والبيهقى وغيرهم].

عقيدة أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وطرقهم

قال الإمام أبو حنيفة ﷺ في الفقه الأبسط: "اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، والفقه معرفة النفس مالها وما عليها". وقال: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه وما يتعلق منها بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر".

وقال الإمام الشافعي ﷺ: "أحكمنا هذا قبل ذاك". أي علم التوحيد قبل فروع الفقه.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: " أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه".

إعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله عزّ وجل موجودٌ لا كالموجودات شيءٌ لا كالأشياء ومعنى الشيء إذا أطلق على الله الثابت الوجود لكنه سبحانه لا يشبه الأشياء، ويطلق على الله النفس ومعناه الذات فهو سبحانه ذات موصوف بكل كمال يليق به: لأن من الكمال ما يليق بالمخلوق ولا يليق بالله كوصف إنسان برجاحة العقل أو الخشية والتقوى، فإن الله لا يجوز وصفه إلا بما وصف به نفسه، فلا يشبه الله تعالى بخلقه ولو بصفة واحدة بدعوى المجاز فإن مجاز التشبيه لا يطلق على الله، ويطلق على المخلوق كقولك فلان قمر أي يشبه القمر في جماله، فلا يقاس الخالق على المخلوق فإنه سبحانه لا تدركه العقول.

ويستحيل عليه سبحانه وصفه في مكان أو جهة أو أنه حالٌّ بالعالم أو أنه محيطٌ بالعالم بذاته، ويستحيل عليه الوصف بالحد والجسم أو الجواهر أو الأعراض أو الأعضاء والجوارح وكل ما هو من صفات المخلوقين، فإن الخالق سبحانه لا يشبه مخلوقه، إذ لو كان الله يوصف بصفة من صفات خلقه لكان له أشباه كثيرة ولكان كخلقه ولو كان كخلقه لم يكن خالقاً للخلق مبدعاً له

فهو الأول القديم الذي لا بداية له وما سواه له بداية.

وهو الآخر الباقي الذي لا نهاية له، فلا موجود أزلي أبدي بذاته إلا الله أما بقاء الجنة والنار ليس ذاتيا بل بإبقاء الله لهما ولولا أن الله شاء لهما البقاء لجاز عليهما الفناء عقلاً كما جاز على غيرهما.

وهو سبحانه سميع بسمع أزلي أبدي ليس بجارحة كسمعنا.

وبصير ببصر ليس بحدقة أو جارحة كبصرنا.

وهو مدبر قائم بنفسه ليس بحاجة لأحد من خلقه، وكل ما سواه بحاجة إليه لا يستغني عنه طرفة عين.

وهو واحد لا شريك له، أحد لا يتجزأ ليس مركباً، ولا متبعضاً سبحانه.

وهو حي بحياة أزلية أبدية ليست كحياتنا لا يفنى ولا يسهو ولا يغفل.

وهو سبحانه مخالف للحوادث لا يشبه شيئاً من خلقه، خلق الخلق لا لحاجة، ولكن إظهاراً لقدرته فلا يحتاج إلى مكان يحل فيه أو يسكنه فكما أنه منَزَّه عن الجهة السفلية وعن الحلول فيها لأنها مخلوقة، فهو منَزَّه عن أن تحويه جهة من الجهات الأخرى التي منها جهة العلو لأنها مخلوقة فكما صح وجود الله عقلا قبل الخلق ولا خلق قبل المكان ولا مكان قبل العرش ولا عرش قبل الجهات الست، صح وجوده تعالى بعد أن أحدثها من غير أن يكون في شيء من خلقه أو عليه أو منه.

وهو خالق الأجسام الكثيفة كالإنسان والجبال، والأجسام اللطيفة كالروح والنور والهواء، وهو خالق الأشكال والصور والهيئات والكيفية والحدود فلا يشبه شيئاً منها.

ولا يقال لا نعرف كيفيته أو كيفية صفاته لأن في ذلك إثبات الكيفية له مع جهل حقيقتها، فإن في خلق الله أشياء كثيرة لا نعرف كيفيتها ولكن لها كيفية.

والكيف يطلق على ما له حد وطول وعرض وهيئة وصورة وجسم كثيف أو لطيف والله لا يشبه شيئاً من ذلك، قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [سورة الشورى].

وهو سبحانه عالم بعلم أزلي أبدي لا يزداد ولا ينقص، علم الأشياء قبل حصولها.

وهو سبحانه قادر بقدرة أزلية أبدية قادر على إيجاد الممكن وإعدامه وقدرته تامة.

وهو الخالق لكل شيء وبإرادته كل شيء فكل ما دخل في الوجود فهو بعلم الله وخلقه وقدرته وإرادته سواء في ذلك الأعيان والأعمال الخير منها والشر، والخير منها بأمره ومحبته ورضاه، والشر لا بأمره ولا محبته ولا رضاه، فكل شيء بقضاء وقدر أي بخلق الله ومشيئته.

والإرادة على وجهين إرادة محبة ورضا كقوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ [سورة البقرة].

وإرادة التخصيص أي المشيئة، والمشيئة يخصص الله بها الممكن العقلي بصفة دون صفة وبوقت دون وقت.

ويقال أيضاً: جعل كل شيء على ما هو عليه أي على حسب ما سبق به علم الله ومشيئته.

فالإرادة بمعنى المشيئة تابعة للعلم فما علم الله كونه أراد كونه، في الوقت الذي علم الله أنه يكون فيه، فعلمه تعالى لا يتغير ومشيئته لا تتغير.

وليست المشيئة بمعنى الأمر ولا تابعة للأمر، فلا يقال كل شيء بأمر الله ولكن يقال كل شيء بتقدير الله أي بمشيئته، فقد يأمر الله بشيء ولم يشأ وجوده كما أمر سيدنا إبراهيم ﷺ بذبح ولده فنفذ الأمر بالذبح ولكن الله لم يشأ ذبح إسماعيل.

وليست المشيئة بمعنى الجبر، فإن الله تعالى إذا علم أن فلانا من أهل الكفر يقدره على ذلك بمشيئته فينساق هذا العبد إلى الكفر باختياره بعلم الله ومشيئته الأزلية، فلا يكون بذلك مجبراً لأن علم الله فيه أنه يكون كافراً وعلم الله لا يتغير، والإرادة كما بيَّنَّا تابعة للعلم فيكون اختِيَار هذا العبد للكفر بإرادة الله أي أن الله أقدره على فعل ما سبق بعلمه الأزلي.

فلا يكون هذا العبد مجبراً كما قالت الفرقة الجبرية، ولا يكون اختياره بغير مشيئة الله كما قالت الفرقة القدرية المعتزلة.

والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ [سورة التكوير].

وقوله تعالى: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منِّي لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [سورة السجدة].

ومن الأدلة على أن كل شيء بخلق الله قوله تعالى: ﴿**والله خالق كل شيء**﴾ [سورة الرعد].

وقوله تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ [سورة الصافات].

وقوله تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق**﴾ [سورة الفلق].

تبين لنا أن كل ما دخل في الوجود هو بخلق الله ومشيئته سبحانه وتعالى.

مسألة مهمة:

إعلم أن قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجب العقلي ولا المستحيل العقلي كذلك مشيئته، وعدم تعلق القدرة والمشيئة بالواجب العقلي والمستحيل العقلي كمال في حقه تعالى.

لأن الواجب العقلي لا يتصور في العقل عدمه، فالله تعالى واجب الوجود، لأن العقل لا يقبل عدمه، فإن من يقبل الوجود والعدم مخلوق له ابتداء ويجوز عليه النهاية عقلاً، فكل ما دخل في الوجود له بداية، والله تعالى لا بداية لوجوده، فلا يقال: {الله أوجد نفسه أو شاء لنفسه الوجود}، فهذا الكلام معناه أنه سبحانه سبق وجوده عدم، وهل من يسبق وجوده عدم يكون له قدرة في حال عدمه إذا هو لم يكن موجوداً أصلاً.

بل يقال الله موجود بذاته، كذلك صفاته تعالى واجبة له فلا يقال جعل نفسه عالماً أو باقياً لأن هذا معناه أنه لم يكن عالما أو باقيا أو سميعاً فصفاته تعالى أزلية بأزلية ذاته أبدية بأبدية ذاته.

لأن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات ومن كان حادثا لم يكن إلهاً خالقاً.

وكذلك لا تتعلق قدرته تعالى ومشيئته بالمستحيل العقلي، لأن المستحيل العقلي لا يقبل الوجود أصلاً، كالشريك لله فإنه لا يقبل الوجود لأن من جاز أن يكون له شريك أو ولد أو شبيه لا يكون إلها لأن ذلك يدل على الاحتياج والتغير والتطور وكل ذلك من صفات المخلوقين، والله خالق ليس مخلوقاً، فيستحيل عليه الشريك والمثيل والشبيه والولد والزوجة وكل ما هو من صفات الخلق.

فلا يقال قدرة الله ومشيئته تتعلقان بالواجب العقلي والمستحيل العقلي، فإن في ذلك نسبة النقص لله.

ولا يقال غير قادر على ذلك لأن في ذلك نسبة العجز لله، والعجز نقص في حقه ونسبة النقص له تعالى كفر.

إذاً يقال قدرة الله ومشيئته لا تتعلقان بالواجب والمستحيل العقلي، وإنما تتعلقان بالجائز العقلي، وهو ما يصح في العقل وجوده أو عدمه فيقال شاء الله لفلان الموت أو الحياة أو الغنى أو الفقر، ويقال الله قادر على أن يفني العالم كما أوجده أو أن يخلق مثل هذا العالم إن أراد، وغير ذلك من الممكنات.

وهو سبحانه موصوف بالكلام فهو متكلم بكلام أزلي أبدي ليس بحرف ولا صوت ولا لغة ككلام المخلوقين.

والقرآن كلام الله تعالى وله إطلاقان فإن أطلق على كلام الله الذاتي الأزلي فليس بحرف ولا صوت وهو كلام الله غير مخلوق.

وإن أطلق على اللفظ المنَزَّل فهو حرف وإذا تلي له صوت ولفظ فالحرف والصوت واللفظ والتلاوة مخلوقة والمتلو كلام الله غير مخلوق أي المعبر عنه هو كلام الله الأزلي ليس بمخلوق.

ولا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبر عنه حادثاً، ألا ترى أننا إذا كتبنا على اللوح الله فقيل هذا الله، فهل معنى هذا أن أشكال الحروف المرسومة هي عين الله وذاته؟ لا يتوهم هذا عاقل، إنما يفهم من ذلك أن هذه الحروف عبارة عن الإله الذي هو موجود معبود خالق لكل شيء ومع هذا لا يقال القرآن مخلوق لكن يبين في مقام التعليم أن اللفظ المنَزَّل ليس قائماً بذات الله بل مخلوقاً لأنه حروف يسبق بعضها بعضاً، وما كان كذلك فهو حادث مخلوق.

قال أهل السنة: " لو كان يجوز على الله أن يتكلم بالحرف والصوت لجاز عليه ما يجوز على المخلوق والله لا يشبه شيئاً من خلقه، وقالوا لما كان أسرع الحاسبين كما قال سبحانه".

وذلك لأن الله يكلم كل إنسان يوم القيامة، فيسمعه كلامه، ويحاسبهم فيَفهُم العبد من كلام الله السؤال عن أفعاله وأقواله واعتقاداته، وينتهي الله من حسابهم في لحظة من موقف من مواقف يوم القيامة.

فلو كان حساب الله لخلقه من إنس وجن بالحرف والصوت وعلى حسب لغة كل إنسان ما كان ينتهي من حسابهم في مائة ألف سنة لأن الخلق كثير ومنهم من أعمارهم طويلة ولهم لغات مختلفات.

وأما ما نسب إلى الإمام أحمد من القول إن الحروف ليست مخلوقة وأيضاً نسب ذلك للشيخ عبد القادر وأنه ينقل ذلك عن الإمام أحمد، فإن هذا افتراء وكذب وفيه نسبة الجهل للإمام أحمد، فإن الحروف تكتب وتمحى ولها ابتداء ولها انتهاء فمن يقول إنها ليست مخلوقة كالمجنون.

وإنما المجسمة فهمت من بعض كلام الإمام أحمد هذا مع أن كلامه لا يفهم منه ما فهمته المشبهة المجسمة فمما قاله الإمام أحمد ما رواه حنبل عن عمه أحمد قال: "لم يزل الله تعالى متكلماً والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق".

وقال عبد الله بن الإمام أحمد سمعت أبي يقول: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به أن القرآن مخلوق فهو كافر".

وروى عبد الله عنه مطلقاً أنه قال: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر"

عنى به ما ذكره في الرواية الأولى.أي أن الإمام كفر قائل هذه الكلمة إن قصد بها أن القرآن مخلوق، لأنه كما بينا يطلق القرآن على الكلام الذاتي الأزلي الذي ليس ككلامنا والذي من قال بحدوثه كفر.

وروى أبو عوانة الحافظ عن أبي الحسن الميموني قال: "خرج أبو عبد الله أحمد بن حنبل إليّ يوما فقال: ادخل فدخلت منْزله، فكنت أنا وهو فقلت: أخبرني عما كنت فيه مع القوم وبأي شيء كانوا يحتجون عليك، فقال: بأشياء من القرآن منها قوله تعالى: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾ [سورة الأنبياء]، قال: "قلت يحتمل أن يكون تنْزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه". فكلام الإمام هنا واضح بأن ما ينْزل يكون محدثا أما الذكر أي كلام الله الأزلي المعبر عنه فليس بمحدث.

وقد حَدَّثَ أبو حامد الشارقي عن أبي القاسم سمع عن أحمد بن حنبل قال: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع".

وقال عبد الله: "كان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ يعنى فيقال مخلوق أو غير مخلوق". فكان يخشى أن يُعْتَقَدَ أن كلام الله الأزلي مخلوق.

أما لما فهمت المشبهة من كلامه أن الحروف والأصوات والألفاظ غير مخلوقة وأن الله متكلم بحرف وصوت كما يتكلم المخلوق صار لا بد من تبيان معنى كلام الإمام حيث وضح هو ما بينه أهل السنة بالإجمال.

فالكلمات والحروف التي نقرأها في القرآن هي من جملة ما كتب على اللوح المحفوظ واللوح مخلوق والقلم كتب بأمر الله على اللوح فإذا كان اللوح مخلوقاً والورقة مخلوقة والقلم مخلوقاً والحبر مخلوقاً وما كتب على الصحيفة يمحى بعدما كتب، وصفات الله تعالى لا تتغير والله لا يحل في شيء وصفاته لا تحل في شيء، فكيف يقول قائل إن كلام الله الذاتي حروف وأصوات وهي حالة في الصحف وينطق بها مخلوق، وهل يصح أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره.

كما قال بعض المبتدعة إن الله أسمع كلامه لموسى ﷺ من الشجرة، فإن كان الأمر كذلك على زعمهم لم يسمع موسى كلام الله الذي ليس ككلامنا وإنما سمع كلام الشجرة.

فكما أن ذات الله تعالى لا كيف له كذلك صفاته لا كيف لها، والتفكر في ذات الله يوصل إلى الكفر، لأنه كما قال بعض العلماء: " لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله".

وإنما الواجب علينا أن نعرف أن الله موجود موصوف بصفات تليق به تدل على الكمال مع نفي الكيفية عنها، وأن ننَزِّهه عن كل ما لا يليق به، فكل ما يتصور في العقل وتدركه العقول والأوهام لا يليق وصف الله به، فالعقل يدرك أن لهذا العالم خالقاً لأنه لا يصح في العقل وجود فعل ما من دون فاعل ولا صنعة من دون صانع، فالعالم يدل على أن خالقاً بارئاً مصوراً مبدعاً أوجده من العدم، والعقل يدرك معرفة أن الصانع لا يشبه صنيعه أما غير ذلك فلا يطلب منا، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

"العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن ذاته كفر وإشراك"

وينسب إليه أيضاً رضي الله عنه: "سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته"، أي عن معرفة الإحاطة.

وإلا فمعرفتنا بالله كما بينا فيما تقدم من شرح.

وعلى هذا تبين أن لا خلاف بين عقيدة الإمام أحمد وبين الأشاعرة.

وقد قال قبل الإمام أحمد الإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما: " نحن نتكلم بالآلات والحروف والله متكلم بلا آلة ولا حرف".

وقال الإمام البخاري: "ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة ثم قال: فحركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما المقروء المتلو المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعي في القلوب فهو كلام الله تعالى ليس بخلق ولا مخلوق قال الله تعالى: ﴿**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**بل هو ءايت بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾.

ثم قال: "فأما المداد والرَّق ونحوه فإنه خلق كما أنك تكتب (الله) فالله سبحانه في ذاته هو الخالق، وخطك واكتسابك من فعلك خلق".

وله كلام أيضاً مثل هذا رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد، فواضح من كلام البخاري ما وضحناه، وهو التلاوة مخلوقة والمتلو كلام الله الأزلي ليس بمخلوق، كما إذا قلت (الله) فتلاوتك لهذا الذكر مخلوقة والمذكور (الله) ليس بمخلوق كذلك اللفظ المنَزَّل للقرآن وإن كان مخلوقاً دل على كلام الله الأزلي لأنه عبارة عنه فيسمى أيضاً كلام الله ولأنه ليس من تأليف أحد، أنزله الله علينا بلغة عربية حتى نعرف أوامر الله ونواهيه وغير ذلك، وأنزل الإنجيل على عيسى ﷺ بلغته السريانية حتى يعرف قصد الله تعالى من الأوامر والنواهي فالإنجيل كلام الله كما القرءان كلام الله كما التوراة الذي نزل بالعبرية بلغة موسى ﷺ، وكل ذلك دال على كلام الله الأزلي أي عبارات تدل على الكلام الذاتي الأزلي الذي ليس بلغة عربية ولا سريانية ولا عبرية ولا لغة من اللغات، لا يشبه كلام الخلق، متكلم سبحانه أزلاً وأبداً بلا كيف ولا تشبيه فكيف يُنسب للإمام أحمد والإمام عبد القادر كلام فيه عين التشبيه وهما ممن أجمعت الأمة على صدق متابعتهما للنبي ﷺ، وهما أعرف بالله من كثير من عامة علماء الأمة.

وكل منهما كان يقول في آيات الصفات: "أمروها من غير تعطيل ولا تشبيه" ثم يُنسَبُ إليهما التشبيه افتراءً للتمويه على عوام المسلمين وتضليلهم.

واعلم أن صفات الله تعالى منها ما يعرف عن طريق النقل مع العقل، فمن جحد صفة من هذه الصفات يكون كافراً، كأن نفى وجوده تعالى أو قدرته أو علمه أو سمعه وكل ما يعرف عن طريق العقل، لأن الله تعالى لا يوصف بمضاداتها فالله يوصف بالقدرة فَنَفْيُ هذه الصفة معناه وصفه بالضعف ونفي صفة العلم معناه وصفه بالجهل وهذا محال على الله تعالى، وهكذا.

ومن صفاته تعالى ما لا سبيل إلى معرفته إلا بطريق النقل فقط، فمن أنكر صفة من هذه الصفات لعدم علمه يعذر ولا يكفر إلا إذا أعطي الدليل فأنكر فعندها يكفر، كعدم علمه مثلاً بأن الله موصوف باليد والوجه فإن هذا لا يعرف إلا بطريق النقل فمن جحد بها بعد بيان ذلك كفر، هذا معنى كلام الشافعي الذي ورد عنه.

واعلم أن ما وصف الله به نفسه بما يعرف عن طريق العقل أو عن طريق النقل فهو صفة له بلا كيف ولا تشبيه.

فيقال مثلاً الله موصوف باليد بلا كيف وموصوف باليمين بلا كيف وموصوف بالعين بلا كيف.

ومعنى بلا كيف أي ليس كما يخطر في الأذهان من الأعضاء والجوارح وكذلك كل آية متشابهة يوهم ظاهرها نسبة الجهة لله أو المكان أو الحلول أو غير ذلك مما يخطر في الأذهان فمعناه غير ظاهره فإنه سبحانه: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ وهذا معنى قول السلف: " أمروها من غير تعطيل ولا تشبيه" أي ليس معناها على ظاهرها مما يوهم الجسمية والمكان والجهة وغير ذلك من صفات المخلوقين وقولهم في بعض الروايات: " أمروها بلا تكييف" أي مع نفي الكيفية عنه سبحانه.

وهذا يسمى تأويلاً إجمالياً، وإن الذين أولوا تأويلاً تفصيلياً من بعض السلف وأكثر الخلف ليسوا على باطل إنما هم على الحق كالذين أولوا التأويل الإجمالي فكل من الفريقين لم يعطلوا وكل منهما ينَزِّه الله عن مشابهة الخلق، وإنما الضرورة تستدعي التأويل التفصيلي أحياناً لرد شبه من شبه من الفرق ومن عطل منهم، وليس هذا هو الخوض الذي حذر الله منه في سورة آل عمران وإنما الذي حذر الله منه اتباع المتشابه المؤدي إلى التشبيه أو التعطيل.

وقول بعضهم القرآن لا يؤوّل مردود فالقرآن من غير تأويل لا نفهم منه إلا القليل .

ثم إن التأويل يشترط فيه عدم تناقض الآيات بعضها ببعض وهذا لا يسلم منه إلا من كان على قدر في فهم اللغة العربية وعلى قدر في فهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فليس لكل إنسان أن يتصدر للتفسير والاجتهاد، وإلا وضع معاني الآيات في غير محلها فأقل ذلك فسق ومنهم من يصل إلى حد الكفر كالذين نسبوا لله المكان والأعضاء والجسم وهؤلاء يَدَّعُونَ

أنَّ ما يقولونه في كتاب الله وحديث رسول الله، ولم يعلموا أنه يجب حمل الآيات المتشابهات على الآيات المحكمات كقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [سورة الشورى].

وقوله تعالى: ﴿**هل تعلم له سميا**﴾ [سورة مريم].

وقوله تعالى: ﴿**ولله المثل الأعلى**﴾ [سورة النحل]، أي لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره.

وقوله تعالى: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ [سورة النحل]، أي لا تشبهوه بخلقه.

وقوله تعالى: ﴿**قل هوالله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾ [سورة الإخلاص].

فمن الكفر قول بعضهم: { نحن أبناء الله أو أولاده} وإذا نهيته عن ذلك قال لم أقصد الحقيقة إنما أقول ذلك من باب المجاز وقد كفر ابن عطية قائل هذا الكلام في تفسيره ولو قصد المجاز، ثم ما ورد في الحديث الضعيف: "**الخلق كلهم عيال الله**" معناه لو صح الحديث (فقراء لله أي مفتقرون إليه) ولا يوجد في اللغة عيال بمعنى أولاد. فلا يجوز وصف الله بما لم يصف به نفسه، ولا يجوز تسميته بما لا يدل على الكمال.

فلا يجوز أن يسمى الله بـ: *آه* أو سبب أو علة، وقد كفر الإمام السغدي من سمى الله سبباً أو علة.

ولا يجوز وصفه بأنه عقل أو بأن له فماً أو غير ذلك مما لم يصف الله به نفسه، ولا يجوز وصفه تعالى وتسميته بالروح كما قال بعض ملاحدة المتصوفة.

ولا يجوز وصفه بأنه قوة خفية أو قدرة كما قال بعض الفلاسفة وبقولهم هذا جعلوا القدرة هي السمع والبصر والكلام والإرادة، وجعلوا ذات الله هو القدرة والقدرة هي الذات وهذا محال.

بل الله تعالى هو ذات موصوف بصفات لا هي عين الذات ولا هي غيره كما قال الإمام النسفي في عقيدته، قال تعالى: ﴿**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾ [سورة الذاريات]، أي الموصوف بالقوة.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: " لا ينبغي أن ينطق بشيء في ذاته ولكن نصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً".

"وإن أسماءه تعالى صفاته وصفاته أوصافه" كما قال البيهقي في كتاب الاعتقاد.

فإذا قلت الله (عليم) معناه موصوف بالعلم، وإذا قلت (قدير) فمعناه ذو القدرة وإذا قلت الله(نور) معناه ذو النور أي الهداية أي أنه الهادي وليس معناه نوراً بمعنى الضوء فقد فسر ابن عباس قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ [سورة النور]، أي هادي أهل السماء من الملائكة وأهل الأرض من مؤمني الإنس والجن لنور الإيمان.

وإذا قلت الله (علي) فمعناه الموصوف بعلو القدر.

وإذا قلت: الله (كبير) فمعناه الموصوف بأنه أكبر من كل شيء قدراً.

غير أن بعض ما وصف الله به نفسه لا يسمى به فقد قال تعالى: ﴿**الله يستهزئ بهم**﴾ [سورة البقرة]، وقال: ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾ [سورة آل عمران].

يعني أن الله وصف نفسه بأنه يستهزئ بالكافرين وأنه يمكر بهم أي ينتقم منهم ويعاقبهم ليس معنى المكر هنا إيصال الضرر للغير عن طريق الخداع، وكذلك استهزاؤه تعالى بالكافرين ليس كاستهزاء البشر بعضهم ببعض.

فلا يسمى الله تعالى ماكراً أو مستهزئاً، فلا يقال عن الله يا ماكر يا مستهزئ، إنما يقال يا سميع ويا بصير ويا حكيم ويا عليم...

ثم إن الدليل على جواز التأويل قول النبي ﷺ لابن عباس: "**اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب**".رواه ابن ماجه وابن سعدٍ والطبراني في الكبير، **وفي رواية** :"**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**". رواه الإمام أحمد والطبراني

فلو لم يكن له تأويل لما دعا النبي ﷺ لابن عباس بهذا الدعاء، والمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله هو ما كان من المغيبات كنُزول عيسى وخروج دابّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، أما غير هذا فالنبي ﷺ يعلم تأويله وإلا كيف يدعو إلى مالا يعلمه على حسب زعم من يرفض التأويل، فالصحابة ﷺ كانوا يفهمون، وكذلك علماء السلف ما أحد منهم فهم من آية الاستواء نسبة الجلوس لله على العرش ولا أحد منهم فهم من الآيات والأحاديث المتشابهات نسبة الحركة لله

أو الجهة أو الحلول أو أنه في السماء بذاته، إنما فهموا معانيَ تليق بالله، فإن قال أحد فَلِمَ لم يُؤَوِّلوا إذاً؟ نقول إنهم أولوا تأويلاً إجمالياً حيث نفوا عن الله الكيفية، وإن الحاجة إلى التأويل التفصيلي في زمانهم كانت قليلة ولما كان أحد علماء السلف يحتاج إلى التأويل التفصيلي كان يؤوِّل، وذلك عند ظهور فتنة كفتنة المشبهة أو المعتزلة وغيرهم.

فقد روى البيهقي أن ابن عباس أول: (الساق) بالهول والشدة.

وروى أيضاً عن مالك بن أنس أنه أوَّل حديث النُّزول بأنه نزول رحمة لا نقلة.

وروى عن أحمد بن حنبل أنه أوَّل قوله تعالى: ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾ [سورة الفجر]، وذلك عندما كان يناظر المعتزلة في مسألة خلق القرآن كما قالت المعتزلة، فقال لهم عندما احتجوا عليه بهذه الآية (جاءت قدرته) أي آثار قدرته، وكذلك لما قالوا له حديث الرسول ﷺ: "**تأتي سورة البقرة وآل عمران يوم القيامة تحاجان عن صاحبهما**"، قال إنما يأتي الثواب.

وكذلك البخاري من السلف أوَّل قول الله تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [سورة القصص] قال: "إلا ملكه" أي سلطانه، يعني ملكه لا يفنى أما ملك غيره فيفنى كنمرود من الكفار وكسليمان ﷺ من الأنبياء.

وأوَّل أيضاً الضحك الوارد في حق الله (بالرحمة) يعني الحديث الذي ورد فيه الضحك.

وإن الذين لم يُؤوِّلوا التأويل التفصيلي من السلف والخلف من أهل السنة ما كانوا يعترضون على من أوَّل منهم أي من أهل السنة يعني التأويل الذي لا يؤدي إلى تعارض المحكم، وعدم تأويلهم ليس لأنه بدعة أو منهي عنه، وإنما ذلك من فروض الكفاية لدحض من فارق الجماعة كالمشبهة فإمامنا الجيلاني وكذلك الرفاعي سلكا مسلك أكثر أهل السلف ليس لجهل منهما بهذا الفن من العلم، وإنما كان في كل زمن من الأزمنة من هو قائم بالرد على الفرق الضالة بالأدلة النقلية والعقلية فكان اهتمام البعض الآخر بالفقه والبعض بالحديث والبعض باللغة والبعض بالإرشاد والتربية كالجيلاني مع رده على الفرق الضالة ببعض التأويل لما دعت الحاجة.

وما ورد عن الإمام عبد القادر من أنه كان يذم علم الكلام فمن لاحظ عباراته علم أنه كان يذم منه ما اشتغل به أهل البدع والأهواء والفلاسفة.

ثم لتوضيح ما بيناه سنورد بعض أقوال الأئِمة من سلف الأمة وخلفها ممن هم معروفون بالتصوف أو غير معروفين به لنؤكد أن عقيدة أهل السنة عقيدة واحدة، وأن أهل التصوف هذه هي عقيدتهم ومن شذ شذ في النار.

قال الله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [سورة الشورى].فكما آمنَّا به سبحانه ونحن في الدنيا بأنه لا كيف له ولا شبيه وهذا ما يقتضيه الشرع والعقل،كذلك بعد الموت يراه المؤمنون وهم في الجنة كما وصف نفسه بلا كيف ولا تشبيه كلٌ يراه من مكانه مع تفاوت درجاتهم من غير أن يكون في جهة أو مكان كما يرى المخلوق، وأنكرت المعتزلة ذلك لجهلهم معتقدين أن المخلوق لا يمكن أن يرى الخالق

قال الإمام مرتضى الزبيدي اللغوي في شرح الإحياء: "والباري سبحانه موجود فصح أن يرى". أي ذلك ليس مستحيلاً لأنه تعالى موجود، فكما آمنا بوجوده بلا كيف يمكن أن يرى كما وصف نفسه بلا كيف.

وقال سيدنا عليّ ﷺ وكرم وجهه: "كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان." رواه أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق والنسفي في تفسيره وشمس الدين الرملي في فتاويه بسنده المتصل إلى الإمام علي رضي الله عنه.

وقال أيضاً: "إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذه مكاناً لذاته" رواه أبو منصور في نفس المصدر.

وقال أيضاً: "من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود" حلية الأولياء والمحدود ماله حجم، يعني أن الله منَزه عن الحجم.

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي ﷺ : "أنت الله الذي لا يحويك مكان" وقال أنت الله لا تحد فتكون محدوداً" إتحاف السادة المتقين لمرتضى الزبيدي.

قال الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان ﷺ في الفقه الأكبر: " والله تعالى يُرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة"

وقال في كتاب الوصية: "ولقاء الله تعالى لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة حق".

وقال في الفقه الأبسط: " قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؟ يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلْق ولا شيء وهو خالق كل شيء.

وقال في الوصية: "ونقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً."

وقال في الفقه الأكبر: "والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له". "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". لا جسم ولا عرض ولا حد له ولا ضد ولا ند ولا مثيل لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه وهو شيء لا كالأشياء (أي ثابت الوجود قال تعالى: "**قل أي شيء أكبر شهادة قل الله**") والله لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم، والتغير والاختلاف في الأحوال يحدث في المخلوقين. ومن قال "إنها محدثة أو مخلوقة أو توقف فيها أو شك فهو كافر".

وقال في الفقه الأكبر: "وليس قرب الله تعالى من طريق المسافة ولكن على معنى الكرامة، والمطيع قريب منه تعالى بلا كيف والعاصي بعيد عنه بلا كيف والقرب والإقبال يقع على المناجي كذلك جواره تعالى في الجنة والوقوف بين يديه والرؤية في الآخرة بلا كيف".

وقال في الفقه الأبسط: "كان الله ولا مكان كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافر. كذلك من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض". قال الشيخ العز بن عبد السلام في كتابه حل الرموز في بيان مراد أبي حنيفة: "لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه".

وأيد الشيخ ملا علي القارئ كلام ابن عبد السلام في شرح الفقه الأكبر وقال الإمام أحمد الرفاعي مثل ابن عبد السلام في أول كتاب البرهان المؤيد وقال الإمام أبو حنيفة أيضاً في الوصية: "لا يوصف بصفات المخلوقين". وقال في الفقه الأكبر: " ولا يقال أن يده قدرته أو نعمته ولكن يده صفته بلا كيف".

وقال في الفقه الأبسط:" ووجهه ليس كوجوه خلقه وهو خالق كل الوجوه"

وقال أيضاً: " ورضاه وغضبه صفته بلا كيف".

وروى البيهقي في الأسماء والصفات عن أم سلمة ومالك رضي الله عنهما أنهما قالا " ولا يقال كيف (أي عن الله) وكيف عنه مرفوع.

وروى عن الإمام مالك أيضاً أنه قال: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول".

وروى الإمام مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين عن الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي ﷺ ما نصه: " إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته".

وروى الإمام البيهقي في مناقب الإمام المجتهد أحمد بن حنبل ﷺ: أنه كان ينَزه الله تعالى عن الجسم والصورة والحد

وروى الإمام الرفاعي عنه في البرهان المؤيد أنه قال: " استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر". وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية: "وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد (أي أحمد بن حنبل) من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه.

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات".

ومعنى الحد نهاية الشيء . والغايات . النهايات وهذا من صفات الأجسام . ومعنى الأركان . الجوانب . ومعنى الأعضاء . أي الأجزاء الكبيرة وذلك من خصائص الأجسام . ومعنى الأدوات . أي الأجزاء الصغيرة وهذا من خصائص الأجسام . ومعنى لا تحويه الجهات الست . أي لا تحيط به الجهات الست وهي فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف، لأن هذه لا تصح إلا لمن هو جرم أي جسم والله تعالى خالق الأجسام كثائفها ولطائفها.

وقال الطحاوي الحنفي أيضاً:" ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر".

وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري ﷺ ما نصه: "كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه".

رواه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري.

وقال الأشعري في كتاب النوادر: "من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به".

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي ﷺ في كتاب التوحيد: "إن الله سبحانه كان ولا مكان وجائز ارتفاع الأمكنة وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جل عن التغيير والزوال والاستحالة" يعنى بالاستحالة التحول والتطور والتغير وهذا مستحيل، سبحانه وتعالى.

وقال أيضاً في كتاب التوحيد: "وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة، ولله أن يتعبد عباده بما شاء ويوجههم إلى حيث شاء، وإن ظنّ من يظن أن رفع الأبصار إلى السماء لأن الله من ذلك الوجه إنما هو كظن من يزعم أنه إلى جهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجهاً في الصلاة ونحوها، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة، أو نحو مكة لخروجه إلى الحج، جل الله عن ذلك".

ومن أئمة الخلف قال الإمام البيهقي ﷺ في كتاب الاعتقاد: "وفي الجملة يجب أن يُعلم أن استواء الله تعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان ولا مماسة لشيء من خلقه، ولكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف، ولا أبن وبائن من جميع خلقه (أي لا مشابهة بينه وبين جميع خلقه) وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه (أي ذاته) ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها ونفينا عنه التكييف، فقد قال ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ وقال ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ وقال: ﴿**هل تعلم له سميا**﴾.

وروى البيهقي عن الإمام أبي سليمان الخطابي ﷺ أنه قال: "إن الذي علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة فإن الصورة تقتضي الكيفية والكيفية منفية عن الله وعن صفاته.

وروى عنه أيضاً في الأسماء والصفات: "والله تعالى لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد وإنما يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما

من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما: "ليس كمثله شيء" ونقل عن الإمام الأشعري في نفس الكتاب قوله: "إن الله تعالى لا مكان له".

وقال الزركشي في تشنيف المسامع في الذين اعتقدوا قدم العالم وأزليته بمادته وصورته أو مادته فقط: " وكفرهم المسلمون وضللوهم"

قال تعالى: ﴿**هو الأول والآخر**﴾ [سورة الحديد].

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وغيره: **"كان الله ولم يكن شيء غيره"**

ومن أقوال الصوفية في تنْزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه.

قال الشيخ أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي الحنفي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ في بيان عقيدة الصوفية ما نصه: "اجتمعت الصوفية على أن الله لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان" (التعرف لمذهب أهل التصوف).

وروى القشيري في الرسالة عن سيد الطائفة الصوفية الإمام أبي القاسم الجنيد البغدادي رضي الله عنه أنه قال: "التوحيد إفراد القديم من المحدث".

وفي الرسالة أيضاً عن الإمام أبي بكر الشبلي قال: " الواحد المعروف قبل الحد وقبل الحروف قال القشيري وهذا صريح من الشبلي أن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه.

وروى عن الإمام الجنيد قال عندما سئل عن التوحيد: "إِفرادُ الموَحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

وكان الإمام الجنيد يقول لو كنت حاكما لقطعت عنق من سمعته يقول:" لا موجود إلا الله" وهذه الكلمة أحدثها ملاحدة المتصوفة يعنون بها أن الكون أجزاء من الله هؤلاء المسمون أهل وحدة الوجود، لكن كثيراً من عوام المسلمين صاروا يقولونها من غير فهم لمعناها ويظنون أن معناها أن الله هو المسيطر على كل شيء فهؤلاء لا يكفرون لأنهم لا يفهمون منها المعنى الكفري لكن ينهون عنها.

وروى أبو نعيم في الحلية عن الإمام الصوفي ذى النون المصري قال: (البحر البسيط)

ربـي تعـالى فـلا شـيء يحـيط بـه **وهـو المحـيط بنـا فـي كـل مرتصـد**
لا الأيـن والحيـث والتكييـف يدركـه **ولا يحـــد بمقـــدار ولا أمـــد**
وكَيْـــف يدركـــه حـــد ولـــم تـــرهُ **عـين ولـيس لـه فـي المثـل مـن أحـد**
أم كيـــف يبلغـــه وهـــم بـــلا شـــبه **وقـد تعـالى عـن الأشـباه والولـد**

وفي الرسالة عن الإمام سهل بن عبد الله التستري ﷺ قال: "ينظر إليه تعالى المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية".

وقال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لي ما هو فقال: "هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عزّ وجل وحده لا شريك له".

وسئل الشبلي عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال: "الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى".

وروى القشيري أيضاً أن جعفر بن نصير سئل عن قوله تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ فقال: " **استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء**".

وروى عن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ أنه قال: "من زعم أن الله في شيء أو على شيء أو من شيء فقد أشرك إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو كان على شيء لكان محمولاً أو كان من شيء لكان محدثاً".

وروى أن رجلاً سأل صوفيا بقوله . أين الله) فقال له الصوفي أسحقك الله "قال القشيري رأيت ذلك بخط الأستاذ أبي علي الدقاق".

وروى عن الواسطي أنه قال: "ما أحدث الله شيئاً أكرم من الروح" قال القشيري: "صرح بأن الروح مخلوقة" وهذا رد على بعض أدعياء التصوف الذين وصفوا الله بأنه روح وهذا كفر لأنهم كذبوا قول الله تعالى: ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ [سورة الإسراء].

وأما قوله تعالى: ﴿**فنفخنا فيه من روحنا**﴾ [سورة التحريم]، فإن الإضافة هنا إضافة تشريف وملك وليست إضافة صفة لأن روح المسيح من الأرواح المشرفة كباقي أرواح النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإنما خص عيسى بالذكر لأنه أتى من غير أب وكذلك

خص آدم عليهما السلام لأنه خلق من غير أب وأم فهو سبحانه على كل شيء قدير، فإن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يضع فيه الروح المشرفة، ومعنى "وكلمته ألقاها إلى مريم" أي بشارته حيث أمر جبريل أن يبشر مريم بعيسى عليه السلام.

وروى القشيري عن الإمام أبي علي الروذباري رحمه الله أنه سئل عن التوحيد فقال:" التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد في كلمة واحدة كل ما صوره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه لقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

وروى عن شيخ وقته أبي القاسم النصرأبادي أنه قال: "الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبته لك باقية ببقائه فشتان بين ما هو باقٍ ببقائه وبين ما هو باق بإبقائه" قال القشيري: وهذا الذي قاله الشيخ أبو القاسم هو غاية التحقيق فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقيات ببقائه تعالى، فننبه على هذه المسألة، ونبين أن الباقي باق ببقائه بخلاف ما قاله مخالفو الحق".

وقال الإمام أبو القاسم القشيري ﷺ في افتتاحه كتاب الرسالة القشيرية: "فسبحانه من عزيز لا حد يناله ولا عد يحتاله ولا أمد يحصره ولا أحد ينصره ولا ولد يشفعه ولا عدد يجمعه ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركه ولا فهم يقدره ولا وهم يصوره تعالى عن أن يقال كيف هو أو أين... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

وقال بعد أن ذكر عدة أقوال في التوحيد والتنْزيه لأئمة الصوفية: "قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد: إن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراض، ولا يتصور في الأوهام، ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان".

وقال الإمام أحمد الرفاعي الكبير قدس سره في كتاب حكم الشيخ أحمد الرفاعي: "غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان".

وفي كتاب إجابة الداعي قال الإمام الرفاعي: "وأنه (أي الله) لا يحل في شيء ولا يَحُلُّ فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان".

وقال الإمام الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨ . أيضاً في كتاب البرهان المؤيد:" أي سادة . نزهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين وطهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك وإياكم والقول بالفوقية والسفلية، والمكان، واليد والعين بالجارحة، والنُزول والإتيان والانتقال فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ما ذكر فقد جاء في الكتاب والسنة مثله ما يؤيد المقصود، فما بقي إلا ما قاله صلحاء السلف، وهو الإيمان بظاهر كل ذلك ورد علم المراد إلى الله ورسوله مع تنْزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث".

وقال في الكتاب نفسه: "قال الشافعي لما سئل عن ذلك: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي عن الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك". وقال وقد جمع إمامنا الشافعي رضي الله عنه جميع ما قيل في التوحيد بقوله: "من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل، وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد" أي مؤمن.

وقال: سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست أسماؤه فقال للسائل: "إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء وإن سألت عن صفاته فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وإن سألت عن اسمه فهو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، وإن سألت عن فعله فكل يوم هو في شأن" أي يرفع قوماً ويضع آخرين كل يوم تتغير فيه الأحوال بفعل الله ومشيئته والله لا يتغير.

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (٧٦٨ هـ) بعد أن ذكر عقيدة الصوفية في تنْزيه الله عن الجهة والمكان في كتاب روض الرياحين: " فأنا أذكر الآن عقيدتي معهم على وجه الاختصار فأقول وبالله التوفيق الذي نعتقده أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منَزها عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، لا يقال أين كان ولا كيف كان، ولا متى، كان ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان، تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار" والإمام اليافعي شافعي المذهب قادري شاذلي الطريقة.

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد:" حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي

الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية (أي الذين يقولون إن العالم أجزاء من الله وإن الله هو العَالَمْ والعَالَم هو الله)

فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي الصانع؟ ". وسيدنا المرسي هو خليفة الإمام الشاذلي رضي الله عنهما.

وقد قال القاضي عياض المالكي ـ ٥٤٤ هـ في الشفا: "أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول الباري سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة".

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الأشعري الشافعي مذهبا والشاذلي طريقة (٦٦٠هـ): "ليس ـ أي الله ـ بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، ولا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كون المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان" رُوِيَ في طبقات الشافعية الكبرى.

وقال أيضاً في قواعده الكبرى: "من زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر".

وقال القاضي عياض رحمه الله في الشفا في فصل حديث الإسراء ما نصه: "اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ﵁: ليس بدُنو حد وإنما دنوّ النبي ﷺ من ربه وقربه منه إبانةُ عظيم منْزلته وتشريف رُتبته".

وقال الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري الشاذلي (٧٠٩ هـ): "وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فجلَّ ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء".

وقال الشيخ العلامة العارف عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي مذهباً القادري النقشبندي طريقة ـ ١١٤٣هـ: " فيتنَزه سبحانه وتعالى عن جميع الأمكنة العلوية والسفلية وما بينهما". ثم ذكر كلاما في تنْزيه الله عن الجهات والمكان ـ ذكره في كتاب رائحة الجنة شرح إضاءة الدُجنَةُ.

وقال الشيخ الصوفي العارف العلامة خالد بن أحمد النقشبندي القادري دفين دمشق:" أشهد بأن الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، وكذلك صفاته، لا يقوم به حادث ولا يحل في

شيء ولا يتحد بغيره مقدس عن التجسم وتوابعه وعن الجهات والأقطار". من كتاب – علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري.

وقال العارف بالله العلامة الشيخ محمد مهدي بن علي الصيادي الحسيني الشافعي مذهباً والرفاعي طريقة المشهور بالرواس . ١٢٨٧ .: "الوسيلة الأولى صحة الاعتقاد ولنذكر ذلك بالاختصار على الوجه الكافي، وهو أن يعتقد المرء أن الله واحد لا شريك له، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن ليس كمثله شيء، لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السموات".

وقال أيضاً في الرد على أهل الوحدة المطلقة وأهل الحلول أبياتاً نذكر بعضها:

دع وهم أهل الوحدة المطلقة — وافهم رموز الجمع والتفرقة

كل اتحاد حكمه باطل — وشاهد الظاهر قد مزّقه

إلى أن قال: (البحر السريع)

فنَزه الخالق عن قول من — أشرك واطرح هذه الشقشقة

ما وحد الله تعالى امرؤ — معتقد للوحدة المطلقة

وقال الشيخ يوسف النبهاني الشافعي مذهبا القادري طريقة دفين بيروت .١٣٥٠هـ في كتاب الرائية الكبرى:

فلا جهة تحويه ولا جهة له — تنَزه ربي عنهما وعلا قدرا

وقال الشيخ العارف بالله عبد الفتاح الزعبي الطرابلسي اللبناني القادري نسباً وطريقة في كتاب المواعظ الحميدية . ١٣٥٥هـ . ما نصه: "كيف يحيط العقل بمن تقدس عن الكمية والكيفية والأينية فنَزهوا ربكم وقَدِسُوه عن الخواطر الفكرية".

وقال في الكتاب نفسه ص ٨٦ .: "كل ذلك يدل على وجود صانع منَزه عن الكيفية والمثلية ومقدس عن خطرات الأوهام ومزاعم الحلولية.

وقال في ص ٩٦ ـ عندما تحدث عن معراج الرسول ﷺ ورؤيته للذات المقدس بفؤاده من غير أن يكون الذات في مكان ما نصه: "مع شهودٍ منَزه عن الكيفية وقرب مقدس عن المكان والأينية إذ الحق لم يفتقر إلى شيء فيتخذ له تعالى محلاً، ولكن دعاه الحق تعالى إلى ذلك المكان ليريه من آياته عجائب بدائع الإمكان".

وقال الشيخ عبد الكريم الرفاعي الدمشقي ـ ١٣٩٣ ـ هـ أحد خواص تلاميذ الشيخ العارف المحدث بدر الدين الحسني القادري في كتاب المعرفة في بيان عقيدة المسلم ما نصه:" يستحيل على الله التقيد بالمكان لأن المتمكن فيه إما ساكن أو متحرك، وقد تقدم استحالة الحركة والسكون على الله تعالى، فإذا استحال على الله تعالى أن يتقيد بالمكان. ويستحيل أن يكون الإله في جهة أو يكون له جهة لأن الجهة التي هي الفوق والتحت والأمام والوراء واليمين والشمال لا تتصور ولا تعقل إلا ملازمة للجرم، وقد تقدم استحالة الجرمية عليه، فإذاً لا يتصور أن يكون له جهة أو يكون في جهة.

وقال الشيخ العلامة ملا علي القارى الحنفي المذهب القادري ١٠١٤ هـ) في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان ﷺ ما نصه: "فمن أظلم ممن كذب على الله أو ادعى ادعاءً معينا مشتملا على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافراًُ لا محالة.

وقال في الكتاب نفسه من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها فهو كافر وإن عُدَّ قائله من أهل البدعة، وكذا من قال: بأنه سبحانه جسم وله مكان ويمر عليه زمان ونحو ذلك، حيث لم يثبت له حقيقة الإيمان.

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره في بداية كتابه الفتوحات المكية في بيان عقيدته التي هي عقيدة أهل السنة ما نصه: " ليس ـ أي الله ـ بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء ـ مقدس عن الجهات والأقطار، استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده كما أن العرش وما حواه به استوى وله الآخرة والأولى لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان لأنه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها....

وهذا يؤكد أن ما في كتبه مما يخالف العقيدة الصحيحة مدسوس عليه كما قال الشعراني والفيروزأبادي وأيضاً الذهبي قال في سير الأعلام: "ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل إلا

كتاب فصوص الحكم، وَرَدُّنَا على ذلك أن جميع ما ينسب إلى الشيخ من ضلالات مهلكات إنما دس عليه....

ومثله قال ابن حجر الهيتمي في كتابه الفتاوى الحديثية.

وكذلك الإمام الغزالي قدس سره ذكر عقيدة أهل السنة في الجزء الأول من كتابه الإحياء والتي هي موافقة لعقيدة من ذكرنا أقوالهم من أهل السنة، كذلك الإمام الشعراني الشافعي المذهب السهْرَوَرْدِي الطريقة هذه هي عقيدته التي بينها في كتابه اليواقيت والجواهر.

وهي أيضاً عقيدة أتباع الإمام أحمد بن حنبل ﷺ التي بينها الإمام ابن الجوزي الحنبلي ـ ٥٩٧هـ في كتبه ككتاب دفع شبه التشبيه وكتاب الباز الأشهب في الرد على من خالف المذهب، وأيضاً الإمام أبو الوفاء على بن عقيل البغدادي شيخ الحنابلة في زمانه ـ ٥١٣ ـ هـ وغيرهما.

وقد قال الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي الإسفراييني ـ ٤٢٩– هـ في كتابه الفرق بين الفرق: "وأجمعوا ـ أي أهل السنة ـ على أنه ـ أي الله ـ لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان.

وعلى هذه العقيدة الإمام البخاري وابن حبان وغيرهما من المحدثين وكذلك الشيخ علي بن خلف المالكي المشهور بابن بطال وابن حجر العسقلاني والقسطلاني شراح صحيح البخاري كذلك النووي شارح صحيح مسلم، كذلك الإمام محمد بن جرير الطبري ـ ٣١٠ هـ والإمام اللغوي إبراهيم بن السَّري الزجاج ـ ٣١١ ـ هـ في تفسير أسماء الله الحسنى، والشيخ الصوفي أبو عثمان المغربي سعيد بن سلام ـ ٣٧٣ ـ كما في الرسالة القشيرية، والإمام الباقلاني أبو بكر محمد المالكي ـ ٤٠٣ ـ في كتاب الإنصاف وأبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن فورك ـ ٤٠٦هـ كما في كتاب مشكل الحديث، وأبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي ـ ٤٥٦ هـ كما في كتابه علم الكلام الذي نقل فيه هذه العقيدة عن الإمام المزني صاحب الشافعي ﷺ، والإمام أبو المظفر الإسفراييني ـ ٤٧١هـ كما في كتاب التبصير في الدين، والإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني المعروف بإمام الحرمين ٤٧٨ هـ في كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة وغيره، والإمام الحافظ المؤرخ علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكر كما في كتابه تبيين كذب المفتري، والسلطان صلاح الدين الأيوبي الشافعي الأشعري ـ ٥٨٩ ـ الذي ألف بأمره الشيخ الفقيه النحوي محمد بن هبة الله رسالة في العقيدة أسماها: حدائق الفصول وجواهر الأصول وسميت بالعقيدة الصلاحية.

والإمام فخر الدين الرازي ـ ٦٠٦ ـ، وابن الأثير ـ٦٠٦ـ وفخر الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن عساكر ـ٦٢٠ـ والشيخ جمال الدين محمود بن أحمد الحَصِيري شيخ الحنفية في زمانه ـ ٦٣٦هـ والإمام القرطبي صاحب التفسير ٦٧١هـ والشيخ الصوفي الصالح عبد الله بن سعد المعروف بابن أبي جمرة ٦٩٩هـ والشيخ ابن دقيق العيد ٧٠٢هـ والإمام المفسر عبد الله بن أحمد النسفي ٧١٠هـ والعلامة اللغوي محمد بن مكرم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور ٧١١هـ صاحب كتاب لسان العرب، والإمام المفسر على بن محمد المعروف بالخازن ٧٤١هـ صاحب تفسير الخازن، والإمام العلامة الحافظ المجتهد الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي الأشعري ٧٥٦هـ والعلامة مسعود بن عمر التفتازاني ـ ٧٩١ـ في كتابه شرح العقيدة النسفية، والحافظ ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ٨٢٦هـ في كتاب طرح التثريب والشيخ بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ٨٥٥ هـ أحد شراح صحيح البخاري في كتابه عمدة القاري، والحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٩٠٢ هـ في كتابه المقاصد الحسنة، والشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري ـ ٩٢٣هـ ـ أحد شراح صحيح البخاري، والشيخ القاضي زكريا الأنصاري الشافعي ـ ٩٢٦هـ ـ في شرحه على الرسالة القشيرية، والحافظ المؤرخ محمد بن علي المعروف بابن طولون الحنفي– ٩٥٣هـ ـ والإمام عبد الوهاب الشعراني ـ ٩٧٣ هـ ـ والشيخ أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهيتمي ـ ٩٧٤هـ والشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المصري المالكي ١٠٧٨هـ في شرح جوهرة التوحيد، والعلامة كمال الدين البياضي الحنفي ١٠٩٨هـ في إشارات المرام، والشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي ـ ١١٢٢ هـ في شرحه على موطأ الإمام مالك ﷺ، والشيخ عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الحسيني ١١٣٢هـ في كتاب عقيدة الإسلام، والشيخ العلامة أبو البركات أحمد بن محمد الدردير المصري ١٢٠١ هـ في كتاب الخريدة البهية، والحافظ اللغوي الفقيه محمد مرتضى الزبيدي الحنفي الحسيني ١٢٠٥ هـ في إتحاف السادة المتقين، والشيخ الفقيه محمد أمين بن عمر المعروف بابن عابدين الحنفي الدمشقي الحسيني ١٢٥٢هـ في كتاب علماء دمشق، والشيخ محدث بيروت محمد بن درويش الحوت الحسيني ١٢٧٦هـ في كتاب رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة، والشيخ العلامة المحدث أبو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي اللبناني الحنفي ١٣٠٥هـ في كتاب الاعتماد في الاعتقاد، والشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن السكندري من أهل القرن الماضي في كتاب الدليل الصادق على وجود الخالق، والشيخ مفتي ولاية بيروت عبد الباسط الفاخوري الشافعي ١٣٢٣هـ في كتاب الكفاية لذوي العناية، والشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي النقشبندي ١٣٣٢هـ في كتاب تنوير القلوب، والشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسي اللبناني ١٣٢٧هـ في كتاب الحصون الحميدية،

والشيخ سليم البشري المصري شيخ الأزهر ١٣٣٥هـ في فرقان القرآن، والشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري ١٣٤٨هـ في كتاب شرح تائية السلوك، والشيخ عبد المجيد المغربي الطرابلسي اللبناني ١٣٥٢هـ في كتاب رسالة علمية في الإسراء والمعراج، والشيخ محمد الخضر الشنقيطي ١٣٥٣هـ مفتي المدينة المنورة في كتابه استحالة المعية بالذات، والشيخ محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي اللبناني١٣٦٢ هـ في كتابه تفسير القرآن، والشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية ١٣٧١هـ في كتاب مقالات الكوثري وغيره، والشيخ المحدث أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي الحسني الشاذلي ١٣٨٠هـ في كتاب المنح المطلوبة، والشيخ المحدث محمد عربي التبان المالكي المدرس بمدرسة الفلاح والمسجد المكي ١٣٩٠هـ في كتاب براءة الأشعريين.

والشيخ محدث الديار المغربية عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني المالكي المذهب الشاذلي الطريقة ١٤١٣هـ في كتاب قصص الأنبياء، والشيخ محمد حمدي الجويجاتي الدمشقي ١٤١١ هـ كتاب العقيدة الإسلامية.

والشيخ العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري حفظه الله تعالى في كتابه شرح العقيدة الطحاوية وغيره.

ولم نذكر من علماء أهل السنة الذين هم على عقيدة الإمام الأشعري أو الماتريدي إلا عدداًَ قليلاً خشية الإطالة وأكثر من ذكرناهم من الأشاعرة، وكلهم على عقيدة أن الله لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان وأنه منَزه عن الحلول والاتحاد والتجزؤ والاتصال والانفصال والحيز في جهة من الجهات والجسمية والأعضاء وعن مشابهة المخلوقات.

وفيه بيان براءة الإمام الأشعري مما دس في كتابه الإبانة، وهو قول: اتفق المسلمون في دعائهم على قول يا ساكن السماء" فإن ذلك افتراء ظاهر حيث لم ينقل عنه هذا القول أحد من أصحابه أو أتباعه من المسلمين الذين هم أكثر أهل السنة وهم السواد الأعظم من هذه الأمة.

وإن أكثر ما يحتج به المشبهة الذين جعلوا لله مكانا وجهة هو حديث الجارية مع أنه حديث مضطرب لا يحتج به في الصفات لأن الإجماع منعقد على أنه لا يحتج بحديث من أحاديث الصفات إلا إذا كان متفقاً على صحته، وإن أصح ما ورد في حديث الجارية رواية ابن حبان ولفظها، قال رسول ﷺ: للجارية أتشهدين أن لا إله إلا الله فقالت: نعم قال أتشهدين أني رسول الله فقالت: نعم فقال رسول الله ﷺ: **"أعتقها فإنها مؤمنة"** ومثلها رواية الإمام

مالك في الموطأ فهذه الرواية توافق الأصول، ومن أصولِ أهل السنة أن الإنسان لا يحكم به بالإيمان بقول . الله في السماء . لأن هذه الكلمة اليهود والنصارى يقولونها والصحيح أن الدخول في الإسلام يكون بالنطق بالشهادتين وهذا الذي يوافق الحديث المشهور المتواتر: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله الخ...."** فرواية الإمام مسلم تخالف ما ورد في هذا الحديث، وفي كل الأحوال قد بينا أن المتشابه يرد إلى المحكم مع عدم التشبيه والتكييف والتعطيل، أو تأوّل تأويلاً لا يؤدي إلى تناقض الآيات بعضها مع بعض، وكذلك الأحاديث تؤوّل بتأويل يليق بجلال الله عزّ وجل.

وكما افتُرِيَ على كثير من الأئمة، فإنه افتري كما بينا على سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ودس المشبهة في كتبه وافترى عليه بعض أدعياء التصوف بما لا يليق به، ونذكر له الآن جملة من كلامه في العقيدة والتنْزيه لله عز وجل مما يدل على براءته من التشبيه والذم للإمام الأشعري الذي ورد في كتاب الغنية وأنه كذب وافتراء عليه وأن عقيدته موافقة لعقيدة الإمام الأشعري وبدليل آخر وهو أن أكثر أتباع الإمام ﷺ على عقيدة إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري ﷺ.

قال سيدنا شيخ الفريقين باز الله الأشهب ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي كيف الكيف وتنَزه عن الكيفية، وأيَّن الأين وتعزَّز عن الأينية..

قال: فهو أول كل شيء وليس له آخرية. إن قلت : أين؟ فقد طالبته بالأينية. وإن قلت: كيف؟ فقد طالبته بالكيفية:

وإن قلت: متى؟ فقد زاحمته بالوقتية.

وإن قلت: ليس، فقد عطلته عن الكونية.

وإن قلت :لو، فقد قابلته بالنقضية.

وإن قلت : لِمَ، فقد عارضته في الملكوتية.

سبحانه وتعالى لا يسبق بوقتية، ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية، ولا يقرن بشكلية، ولا يعاب بزوجية، ولا يعرف بجسمية.

سبحانه وتعالى، لو كان شخصا لكان معروف البنية، ولو كان جسماً لكان معروف الكمية، بل هو واحد رداً على البنوية (أي النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وأن الله تجسد في عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام).

قال: صمد . أي الله . رداً على الوثنية، (أي الذين عبدوا الأوثان والحجارة التي صنعوها بأيديهم، والله تعالى صمد أي كل شيء بحاجة إليه وهو غني عن كل شيء، ليس بحاجة إلى أحد).

قال: لا مثل له . أي الله . طعناً على الحشوية، (أي المشبهة المجسمة الذين وصفوا الله بالجسم والأعضاء والحد والجهة).

قال: لا كفؤ له . أي الله . رداً على من ألحْدَ بالوصفية، (أي المعطلة الذين ينفون ما وصف الله به نفسه، على زعمهم أرادوا تنْزيه الله عن مشابهة خلقه فجحدوا ما وصف به نفسه، وهؤلاء المعطلة لا ينحصرون تحت اسم جماعة معينة لأنه يوجد في المعتزلة منهم وفي الروافض أيضا، والمعطلة بعكس المشبهة، فالمشبهة أخذوا بأخبار الصفات على ظاهرها فوصفوه بالجسم والحد وغير ذلك) وأما أهل السنة أهل الحق فوصفوا الله بما وصف به نفسه ونفوْا عن الله الكيفية فسلموا من التشبيه والتعطيل.

قال قدس سره العزيز: "لا يتحرك متحرك في خير أو شر، في سر أو جهر، في بر أو بحر إلا بإرادته رداً على القدرية (القدرية هم المعتزلة الذين ينكرون القدر فمنهم من يعتقد أن الله قدر الخير دون الشر ومنهم من يعتقد أن العبد هو يقدر لنفسه الخير والشر دون مشيئة الله ومنهم من يعتقد أن العبد يخلق أفعاله، وهذا الاعتقاد فيه نسبة العجز إلى الله حيث جعلوا الله تعالى عاجزاً عن تدبير أمور خلقه وأنه يحدث في خلقه ما لم يرده فجعلوا الله مغلوباً على أمره والله يقول في [سورة يوسف] ﴿**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾. وقد مرَّ معنا الكلام على معنى المشيئة.

وقد جاء عن النبي ﷺ في ذم القدرية قوله ﷺ: "**لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر**". رواه أبو داود

وقوله ﷺ: "**صنفان من أمتي ليس لهما نصيب في الإسلام القدرية والمرجئة**". رواه البيهقي في كتاب القدر وابن جرير الطبري في كتاب تهذيب الآثار.

وقوله ﷺ: "**مجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر. فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وهم شيعة الدجال فحق على الله أن يحشرهم معه**" رواه البيهقي والإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد قال الإمام أبو بكر بن العربي: "إن من أعظم أمور الإيمان القدر فمن أنكره فقد كفر". وقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي تكفير الأمة للمعتزلة في كتبه الفرق بين الفرق وأصول الدين وتفسير الأسماء والصفات.

وأما (المرجئة) فمن أشهر مقالاتهم تأخير العمل عن الإيمان يعني أنهم يعتقدون أن الذي قال لا إله إلا الله محمد رسول الله أي آمن لا يضره أي ذنب يقترفه ولا يدخل النار مهما ارتكب من المعاصي، كما أن الكافر لا تنفعه الطاعة ما دام على كفره، وقولهم هذا تكذيب للقرآن والسنة والإجماع أي قولهم بأن المؤمن لا تضره المعصية.

قال الشيخ نور الله ضريحه: "لا تضاهى قدرته . أي الله . ولا تتناهى حكمته تكذيباً للهذلية" (الهذلية فرقة من المعتزلة أتباع شيخهم أبي الهذيل).

قال: "حقوقه الواجبة وحجته البالغة ولا حق لأحد عليه إذا طالبته نقضاً للقاعدة النظامية" (النظامية من المعتزلة أتباع إبراهيم النظام).

قال الشيخ رحمه الله تعالى: "عادل لا يظلم في أحكامه صادق لا يخلف في إعلامه متكلم بكلام قديم أزلي لا خالق لكلامه، أنزل القرآن فأعجز الفصحاء في نظامه إرغاما لحجج المرادية، (وهم من المعتزلة أتباع عيسى المعروف بأبي موسى المردار ومن عقائدهم القول بأن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه كما قاله النظام أيضاً).

قال الشيخ: "يستر العيوب ربنا ويغفر الذنوب لمن يتوب، فإن امرؤ إلى ذنبه عاد فالماضي لا يعاد محضاً للبشر تنَزه عن الزيف وتقدس عن الحيف.

ونؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين وأنه أضل الكافرين رداً على الهاشمية (وهم فرقة من المعتزلة أتباع هشام بن عمرو القوطي وكان هشام يمنع الناس من أن يقولوا أن الله تعالى ألف بين قلوب المؤمنين وأضل الفاسقين، ويمنعهم من قول حسبنا الله ونعم الوكيل لأنه كان ينكر أن الوكيل من أسماء الله وهذه اعتقادات فيها تكذيب للقرآن).

قال الشيخ: "ونصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس رداً على الجعفرية (وهم من المعتزلة أتباع جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر)

قال الشيخ: "ونقر أنه . أي الله تعالى . يرى نفسه ويرى غيره وأنه سميع بكل نداء بصير بكل خفاء رداً على الكعبية (وهم فرقة من المعتزلة أتباع أبي القاسم عبد الله بن أحمد المعروف بالكعبي وهؤلاء يعتقدون أن الله لا يسمع ولا يبصر وأن ما ورد في القرآن من أنه سبحانه سميع بصير على معنى العلم وهذا تعطيل للصفات تكذيب للشرع والعقل).

قال الشيخ: "خلق خلقه في أحسن فطرة وأعادهم بالفناء في ظلمة الحفرة وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة رداً على الدهرية (وهم أهل الجحود والإلحاد)".

قال الشيخ: "فإذا جمعهم ليوم حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر يرى كالقمر(أي كما أن الذي يرى القمر ليلة البدر ولا يشك في أن الذي يراه هو القمر كذلك عندما يرى المؤمن ربه في الآخرة بعين رأسه لا يشك أن الذي رآه هو الله سبحانه وتعالى، وليس معناه أن الله يشبه القمر فهو سبحانه يرى كما وصف نفسه ليس كمثله شيء).

قال الشيخ: "لا يحجب إلا من أنكر الرؤية (المعتزلة ينكرون رؤية المؤمن لربه في الآخرة مأولين قوله تعالى (**وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**) [سورة القيامة] أي نعمة ربها وهذا مخالف للقرآن والسنة والإجماع والعقل فإنه يصح في العقل أن يرى كما قال الإمام الأشعري، أما الكفار فإنهم محجوبون عن رؤيته سبحانه).

قال الشيخ عند ذكر آخر عقيدته: "هدية الحب قد أصبحت واضحة جلية فيالها من قواف بهية وعقيدة سنية على أصول مذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية: عصمنى الله تعالى وإياكم من الذين فرقوا فمرقوا كما يمرق السهم من الرمية.

وقد ورد حديث في الخوارج وهو قوله ﷺ في رأس الخوارج وأصحابه: "**فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**" رواه ابن حجر في فتح الباري وروى أحمد في مسنده: " **إنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه فاقتلوهم هم شر البرية**". والخوارج فرق متعددة بعض الأئمة كفروهم بالجملة لقول النبي ﷺ فيهم يمرقون من الدين" والخوارج هم الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويكفرون من لم ينتسب إليهم واستحلوا

دماء المسلمين بدعوى التأويل فحكموا على سيدنا علي ﷺ بالكفر، وعبد الرحمن بن ملجم الذي قتل علياً من الخوارج.

فمع وصف النبي لهم بأنهم يكثرون من الصلاة والصيام وقراءة القرآن وصفهم أيضاً بأنهم خارجون من الإسلام لمخالفتهم في الاعتقاد ومفارقة الإجماع وقد قال ﷺ: **"من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم"** رواه مسلم.

فإن المخالفة في الاعتقاد ظلم عظيم فإن أكثر الفرق التي شذت عن أهل السنة وصلوا إلى حد الكفر بسبب خرقهم للإجماع في مسائل الاعتقاد مع كون الكثير منهم يؤدي صورة الصلاة والصيام والحج ومثل هؤلاء المشبهة والحلولية وصلوا وزعماء المعتزلة ومن تبعهم في اعتقاداتهم الكفرية كالتكذيب بالقدر، والفلاسفة الذين اعتقدوا قدم العالم وغيرهم.

ولو أنهم ارتكبوا المحرمات مع الاعتقاد الصحيح ما وصلوا إلى حد الكفر وكان مآلهم ولو بعد العذاب إلى الجنة عافانا الله من الابتداع واتباع الأهواء.

وإن سيدنا الشيخ عبد القادر حذر من كل فرق الضلال مع ذكر أسمائهم في بعض كتبه فمن جملة من حذر منهم الرافضة وهم فرق كثيرة والجهمية القائلين بأن العبد مجبر وليس له شيء من الاختيار بعكس المعتزلة والقائلين بفناء الجنة والنار وغيرهم من الفرق الشاذة عن أهل السنة والجماعة فتبين أن كلام الإمام الجيلاني في طعن الفلسفة وعلم الكلام المراد به كلام أهل الأهواء وليس كلام أهل السنة، كما يفهم بعض الجهلة من أن ذم الشافعي وغيره لعلم الكلام من غير تفصيل، يفهمون أن كل علم الكلام مذموم وهذا خطأ لأن الشافعي وغيره من أئمة الهدى اشتغلوا بعلم الكلام الذي يتوافق مع كتاب الله وسنة نبيه للرد على الفرق الضالة.

ومن كلام الإمام عبد القادر ﷺ في التنْزيه ما نقله الشيخ محمد بن يحي التادفى الحنبلي عنه في قلائد الجواهر، والإمام اليافعي في كتابه نشر المحاسن الغالية، قال: " لا إله إلا هو" كذب العادلون به، و(كذب أيضا)من ادعى له ندا أو اعتقد له شبيها أو سميا سبحان الله عز وجل....

وقال: "واحد ـ أي الله ـ أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا شبيه له ولا نظير ولا عون له ولا ظهير ولا شريك له ولا وزير ولا ند له ولا مشير، ليس بجسم فيمس، ولا جوهر فيحس، ولا عرض فينتفي، ولا ذى تركيب فيتبعض ولا ذي آلة فيمثل ولا ذى تأليف فيكيف ولا ذي ماهية مخيلة فيحدد ولا ذي

طبيعة من الطبائع ولا طالع من الطوالع ولا ظلمة تظهر ولا نور يزهر، حاضر الأشياء علما من غير ممازجة، شاهد لها اطلاعاً من غير مماسة، قاهر حاكم فرد، معبودٌ حيٌ لا يموت أزلي لا يفوت، حاكم عادل قادر راحم غافر ساتر خالق فاطر، أبدي الملكوت سرمدي الجبروت، قيوم لا ينام عزيز لا يضام منيع لا يرام، له الأسماء الحسنى والصفات العليا والمثل الأعلى والجد الأبقى، لا تصوره الأوهام ولا تقدره الأفهام ولا يدرك بالقياس ولا يمثل بالناس ولا تكيفه العقول ولا تحده الأذهان جل أن يشبه بما صنعه أو يضاف إلى ما اخترعه...

ثم قال: " أجرى أفعال عباده على مقتضى مراده منهم فاستحق أن يقال له عالم على الحقيقة، لا يشابهه أحد ولا يمثل ولا يكيف ولا يشابه ذاته ولا صفاته ذات ولا صفات فوجب أن يقال له ليس كمثله شيء..

ومن أقواله في التوحيد أيضاً: "ومبادئ التوحيد والتنْزيه تنادي في صفحات الوجود أن الله لم ينتقل إلى مكان ولم يتغير عما كان،

ومن أقواله: "وهو أي الله . منَزه عن مشابهة خلقه، ولا يخلو عن علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان.

ومثله قال ابن فُورَك الأشعري المتوفى سنة ٤٠٦هـ ثم قال أي ابن فورك وهو مذهب المعتزلة. أي قول(الله موجود في كل مكان) يعني أن هذه الكلمة من مذهب المعتزلة وهم أول من أحدثها.

والجهمية يعتقدون أن الله بذاته في كل مكان وهذا مثل قول الحلولية وهو كفر.

أما بعض الناس فيقولون (الله موجود في كل مكان ويفهمون منها أنه عالم بكل مكان فهؤلاء ينبهون عن هذه الكلمة ولا يكفرون لأنهم لم يفهموا منها المعنى المكفر.

ومن الذين حذروا من قول (الله موجود في كل مكان) البيهقي وابن كثير والغزالي وعبد الوهاب الشعراني وغيرهم ونقل ابن كثير الإجماع في النهي عن هذا القول الذي هو من عقائد الجهمية وبعض المتصوفة الحلولية نقل الإجماع في تفسيره.

وقال الشيخ عبد القادر قدس سره: " هناك طائفة ضلوا في تيه التمويه ووقعوا في التجسيم والتشبيه، الذين أهلكهم الشقاء حين ابتلى أخبارهم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

ومنهم فرقة حاروا في أضاليل التعطيل.

ومنهم عصابة هلكوا بأباطيل الحلول، وأغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً. وقال واصفا حال الصوفي: "متعبداً لربه بمفارقة الجهات الست" وكلام الشيخ في التوحيد والتنْزيه كثير فإنه كما ذكرت في بداية هذا الفصل لا يخلو مجلس من مجالس وعظه إلا وتكلم فيه بشيء من التوحيد.

ثم إنه تكلم في بقية أمور الاعتقاد التي يجب على كل مسلم معرفتها وسأذكرها باختصار.

يجب الإيمان بالملائكة وأنهم خلقوا من نور ليسوا بإناث ولا ذكور ويتشكلون بهيئة الذكور فقط من غير آلة الذكورية ولهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع ومنهم أكثر بكثير، وأنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعددهم كبير جداً لا يعلمه إلا الله قال تعالى﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ سورة المدَّثر، والإضافة في الآية للتشريف لا لأنَّ الله بحاجة إلى الملائكة.

وأن هاروت وماروت ملكان لم يعصيا الله كما يُفترى عليهما بأنهما أحبا امرأة يقال لها الزهرا وزنيا بها وشربا الخمر وقتلا الغلام فهذا كله كذب وافتراء وقصتهما في سورة البقرة ليس فيها شيء من هذا بل الذي ورد أنَّهما نزلا بأمرٍ من الله ليعلمان النَّاس السحر لا ليعملوا به وإنَّما ليميزوا بين السحر والمعجزة لأنَّ بعض الجنِّ قالوا إنَّ سيدنا سليمان عليه السلام كان يسخِّرهم بواسطة السحر فصدَّق بذلك بعض النَّاس وهذا كفر فبيَّن الملكان للنَّاس حقيقة السحر حتى يعلموا أنَّ تسخير الجنِّ لسيدنا سليمان كان بمعجزة من الله تعالى وليس بالسحر.

والملائكة عليهم السلام لهم وظائف أطلعنا الله على بعضها فمنها نزول سيدنا جبريل عليه السلام بالوحي على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وله وظائف أخرى وهو أفضل الملائكة ووكل ميكائيل بالسُحُب والرياح ووكل عزرائيل بقبض الأرواح وإسرافيل بالنفخ في الصور ورقيب وعتيد بكتب الحسنات والسيئات ومنكر ونكير بسؤال الميت في القبر ومنهم الحفظة ومنهم ملائكة الرحمة والعذاب ومنهم رضوان خازن الجنة ومنهم مالك خازن النار ومنهم إسماعيل خازن سماء الدنيا ومنهم ريتائيل موكل بسلي الأحزان من قلوب المؤمنين والله أعلم.

وأن إبليس من الجن وهو أبو الجن ليس من الملائكة وليس طاووس الملائكة وقد كفر بالله بعد أن كان مؤمنا كثير العبادة بسبب غروره وتكبره وحسده، وأن الجن خلقوا من نار، ولا يراهم أحد من بني آدم على هيئتهم الأصلية إنما قد نراهم متشكلين، وهم يتشكلون بصور شتى.

ويجب الإيمان بكتب الله وهي مائة وأربعة كتب وأشهرها القرآن والإنجيل والزبور والتوراة.

ويجب الإيمان بأنبياء الله ورسله وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً، منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رسولاً، وأول نبي رسول آدم عليه الصلاة والسلام وأول رسول أرسل إلى الكفار سيدنا نوح ﷺ ، أما سيدنا آدم فإن ذريته إلى زمن سيدنا إدريس ﷺ كلهم كانوا على الإيمان ولم يحصل الشرك بين الناس إلا بعد نبي الله إدريس عليه الصلاة والسلام فكان أول رسول إلى الكفار هو نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام.

وآخر الأنبياء والمرسلين هو سيدنا محمد بن عبد الله القرشي ﷺ وهو أفضلهم وأفضل خلق الله أجمعين، وأولوا العزم من الرسل خمسة وهم سيدنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح ﷺ.

وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ، والرسول من أوحي إليه بشرع جديد. والنبي من أوحي إليه بإتباع شرع الرسول الذي قبله وكلاهما أمر بالتبليغ لقوله تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾**. [سورة البقرة].

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**". رواه البخاري فقوله يبعث إلى قومه أي أمر بتبليغهم، وأما ما جاء في بعض الكتب من القول: (بأنَّ النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو نبي رسول)، فهذا ينافي ما جاء في الكتاب والسنة كما مر معنا، لأنه ما معنى أن يبعث الله نبيا ولم يأمره بالتبليغ، فإذا كان الواحد منا مأموراً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف بأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قلت: والذي علينا أن نحسن الظن بهؤلاء العلماء الذين قالوا بهذا القول من أنهم يفهمون منه معناً يوافق الحق، لأنه إن لم يكن كذلك وأُخذ على ظاهره فظاهره فيه تكذيب لكثير من الأيات القرآنية والسنة النبوية، فالقول الأول هو الصحيح الذي اعتمده المحققون منهم: الإمام المناوي ذكر ذلك في مقدمة فيض القدير (ص ١٥) وينقل ذلك عن أئمة أعلام كالكمال بن الهمام والرازي والجرجاني والتفتازاني، ومنهم

الحافظ الذي توفي منذ سنوات قليلة السيد أحمد الغماري، مع رده على القائلين بالقول الآخر وذلك في كتابه (جؤنة العطار)، ومنهم المفسر البيضاوي في تفسيره (الجزء الرابع ص ٥٧) و غيرهم كثير.

والله تعالى لم يقص في القرآن إلا بعض قصصهم، فلم يطلعنا على أسماء كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن هم: **سيدنا آدم، وسيدنا إدريس، وسيدنا نوح، و سيدنا هود، وسيدنا صالح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا لوط، وسيدنا إسماعيل، وسيدنا إسحاق، وسيدنا يعقوب، وسيدنا يوسف، وسيدنا أيوب، وسيدنا شعيب، وسيدنا موسى، وسيدنا هارون، وسيدنا ذو الكفل، وسيدنا داود، وسيدنا سليمان، وسيدنا إلياس، وسيدنا اليسع، وسيدنا يونس، وسيدنا زكريا، وسيدنا يحيى، وسيدنا عيسى، وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام.**

وأفضلهم خمسة يسمون أولوا العزم وهم: **سيدنا محمد، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا عيسى، وسيدنا نوح، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.**

كما وردت أسماء بعض الأنبياء في بعض الأحاديث وكتب التاريخ غير الذين أوردنا ذكرهم **كسيدنا يوشع عليه السلام** فإنه مجمع على نبوته كما في كتاب أصول الدين للإمام عبد القاهر البغدادي.

كما اختلف في بعض منهم **كسيدنا الخضر عليه السلام** فمنهم من قال بنبوته ومنهم من قال بأنه من أولياء الله.

عصمة الأنبياء

تجب العصمة لأنبياء الله من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة، وأما بعد النبوة فقد قال الإمام الأستاذ عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه(أصول الدين ص ١٦٧): أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها،وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب...(أي الخطأ الغير متعمد فإن الأنبياء معصمون من تعمد الخطأ) وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة (أي الصغائر التي لا خسة فيها)، وتأولوا على ذلك كل ما حكي في القرآن من ذنوبهم...أهـ وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره وفي كتابه (الأربعين في أصول الدين) عند كلامه عن عصمة الأنبياء : والأكثرون على هذا القول، وقال بذلك أيضاً الإمام القاضي عياض المالكي في كتابه (الشفا) وغيره.

وأما ما ورد في حق سيدنا آدم ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى**﴾ سورة طه فإن ذلك كان قبل النبوة، وهذه المعصية التي هي الأكل من الشجرة ليست من الكبائر ولامن الصغائر التي فيها خسة، ومما يدل على أن هذه المعصية لا خسة فيها أن العتاب في القرآن كان لسيدنا آدم أكثر مما هو لسيدتنا حواء وذلك بسبب علو مرتبته عند الله حيث اجتباه الله بعد أكله من الشجرة وجعله نبياً رسولا، وأما بعد النبوة فكل ما ورد في القرآن والسنة مما ظاهره يوهم نسبة المعصية والاثم إليهم فهو مؤول، وما ورد في القرآن من عتاب الله لبعض أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن ذلك من باب التنبيه لحصول خطأ ما غير متعمد لا يصل إلى حد الإثم، وما ذلك إلا لعلو مراتبهم، فإنك تجد بين الناس أحياناً العتاب على رجل راجح العقل كثير العلم أشد إذا صدر منه تصرف خطأ وإن لم يكن فيه إثم أكثر من عتابهم على من هو أقل منه مرتبة، فلا يدل عتاب الله لبعض أنبيائه على أن هذا النبي وقع في الإثم، فإن قيل ورد في القرآن ذكر التوبة في حق بعض الأنبياء قلنا إنها توبة عن خطأ ليس فيه معصية ولا يحط من مراتبهم العالية، فإن التوبة بمعنى الندم تكون أحيانا عن فعل ترك الأولى، فإذا كان بعض الأولياء أحيانا يبكون أياما لحصول فعل أمر منهم ليس فيه معصية، وقد قال الإمام ذو النون المصري:(توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة) فما بالكم بأنبياء الله الذين هم أفضل خلق الله وأعلم الخلق بالله وأخشاهم له، ومع ذلك قد لا يحصل مثل هذه الأخطاء مع أنبياء الله إلا مرة في العمر.

ولا يجوز على الأنبياء الخطأ في الدين وفيما أمروا بتبليغه، وما حصل من سهو مع النبي في الصلاة لا يسمى خطأ في الدين، والحكمة في ذلك ظاهرة حيث تعلمنا من ذلك مسألة شرعية، ومثل هذا السهو ليس فيه تنقيص من قدره ﷺ.

وتجب العصمة للأنبياء عن الخطأ في نقل الأخبار وإن كانت هذه الأخبار تتعلق بأمر دنيوي كما جاء في كتاب الشفا للقاضي عياض المالكي، وأما ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم(**أنه ﷺ قدم المدينة وهم يؤبر النخل (أي يلقحونها) فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه ... قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه فنقصت، فذكروا ذلك له، فقال: إنما أنا بشرٌ ... إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشرٌ**)، وفي رواية (**أنتم أعلم بأمر دنياكم**) وفي رواية (**إنما أنا بشرٌ فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب**) فإن ما ورد في هذا الحديث لا يدل على أنه ﷺ أخطأ في نقل خبر دنيوي، وأما هذا يسمى إنشاءً أي إبداء رأيه في أمر دنيوي لا يقدح بقدره، لأنه أبداه من قبل الظن لا من قبل الوحي، وإلا فهو ﷺ من

أعلم الناس حتى بأمور الدنيا كما دلت الأحاديث الكثيرة على ذلك، وأما الحكمة من حصول مثل هذا الخطأ وأمثاله هو ترك المجال للناس ليتعاطوْا في أمور دنياهم بما يعرفون مما لا يخالف الشرع، ويفيد ذلك أيضاً أنه ﷺ لا يعلم كل الغيب.

ولا يصح على الأنبياء سبق اللسان، لأن سبق اللسان الذي يحصل مع غير الأنبياء هو كذب غير متعمد يصدر من غير إرادة، ولو كان يحصل مع النبي مثل هذا لقال من قال ما يدرينا أن هذا الحديث حصل سبق لسان أو غير سبق لسان وهذا يؤدي إلى التشكيك.

ولا يصح ما يروى من أن الشيطان تكلم على لسان النبي ﷺ، فإذا كان قرين النبي أسلم فكيف يصح أن يلبس الشيطان نبياً من أنبياء الله.

وعلى هذه القواعد التي بيَّناها فإن سيدنا إبراهيم ﷺ لم يعبد إلا الله وإنما قوله عن الكوكب والقمر والشمس هذا ربي إنما هو من باب الاستفهام الإنكاري، أي ليس هذا برب يستحق الألوهية قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل**﴾ [سورة الأنبياء].ومن المعلوم أنَّ مناقشة سيدنا إبراهيم لعبدة الكواكب السبعة كانت بعد دعوته للنمرود وقومه إلى عبادة الله كما ذكره الحافظ ابن كثير في كتابيه قصص الأنبياء و البداية والنهاية، قال: كانت مناقشته لهم في حرَّان عندما كان في طريقه من العراق إلى فلسطين، فكيف يقول بعض الجهَّال أن سيدنا إبراهيم كان شاكَّاً بوجود الله ثم استدل من خلال ذلك على وجوده تعالى على حد قولهم، قولهم هذا فيه نسبة الشك إلى سيدنا إبراهيم بعد أن كان مؤمناً يدعو إلى عبادة الله، ومن قرأ الآيات التي ذكرت هذه القصة في سورة الأنعام ولم يكن سقيم العقل فَهِمَ منها أنه كان يناقش قوماً كانوا يعبدون تلك الكواكب بقصد إقامة الحجة عليهم بدليل قوله في نهاية حواره لهم: ﴿ **إني بريء مما تشركون**﴾. [سورة الأنعام].

وكذلك ما ورد في الحديث من أنه قال: "كذبت ثلاث كذبات" فإن ذلك ليس كذباً من حيث الحقيقة والباطن بل هو صدق، فقوله عن زوجته حين دخل أرض الجبار في مصر . أختي . أي أخته في الدين، وقوله إني سقيم أي من كفركم وأفعالكم، وقوله بل فعله كبيرهم أي مبالغتكم في تعظيم كبير الأصنام حملني على تكسيرهم وتركه أي ترك كبيرهم من غير تحطيم لإقامة الحجة عليهم.

وكذلك فإنه لم يشك في قدرة الله حين سأله أن يريه كيف يُحيي الموتى، وإن ما ورد في الحديث: "شك إبراهيم ونحن أحق بالشك منه" رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات، فهذا

فيه نفي الشك عنه يعنى ما شك إبراهيم إذ لو شك لكنا نحن أحق بالشك منه، وقال بعضهم شك في أنه هل يستجاب له ولم يشك في قدرة الله.

وكذلك سيدنا يوسف لم يهم بالزنى بإمرأة العزيز إنما هم بضربها ودفعها عن نفسه، وقيل أيضاً في قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه" نفي الهم عنه أي لولا أنه من عباد الله المخلصين وأنه رأى برهان ربه وأنه من الأنبياء لكان هم بها وهو القول الراجح.

ومن الافتراء العظيم ما ينسب لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام من أنه وجد امرأة عارية فتعلق بها ثم أرسل زوجها إلى المعركة ليتخلص منه ويتزوجها، فإن هذا لا نرضاه لأنفسنا فكيف يرضاه عاقل لنبي من أنبياء الله.

وافترى بعض الملاحدة على نبينا ﷺ أنه شرب الخمر فلما سكر ثم أفاق من سكره حرمه، وأنه سجد للصنم قبل البعثة، وأنه كان متعلق القلب بالنساء، وهذه الأباطيل، من اطلع على سيرته ﷺ علم أنها كذب وافتراء فإن النبي ﷺ كان في صغر سنه إذا استحلفه أحد باللات والعزى قال لم أجد في قلبي بغضا لأحد كبغضي لهذه الأوثان، والخمر حرمها الله على مراحل وكان تحريمها النهائي بعد الهجرة وليس كما قال المبطلون، أنه شربها فلما سكر قتل الراهب بحيرا فلما رأى ما حصل حرم الخمر، فإن النبي ﷺ التقى بالراهب بحيرا قبل البعثة كان في سن الثانية عشرة.

وأما تعدد زوجاته فكان لمصلحة نشر الدين بين النساء ولتقارب الأنساب وإنما كان ذلك بوحي من الله، وإلا فنبينا ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر كثير البكاء من خشية الله مشتغلا بالدعوة والجهاد.

وتجب لهم العفة والفطانة والذكاء والشجاعة ويستحيل عليهم الغباوة وبلادة الذهن والجبن وغير ذلك من الصفات القبيحة، فسيدنا موسى ﷺ لم يفر من فرعون جبنا وخوفا منه إنما ذهب ببني إسرائيل بأمر من الله، كذلك سيدنا محمد ﷺ لم يفر من قومه جبناً إنما هاجر بأمر الله.

وسيدنا عيسى ﷺ لم يحل أكل الخنْزير فإن أكل الخنزير محرم في كل الشرائع، ولم يقل: (قليل من الخمر يفرح القلب).

ومن الضلال ما ينسب إلى سيدنا موسى أنه قال للكلب أنت أفضل مني، وأنه رأى إنساناً لا يعرف الصلاة فعلمه ثم انشق له البحر، ثم إن الرجل نسي ما علمه فلحقه فمشى

على وجه الماء وقال له يا نبي الله علمني فإني قد نسيت فقال له ابقَ كما أنت فأنت خير مني، فمثل هذه الحكايات تؤدي بالذي يعتقدها إلى الكفر والعياذ بالله.

ومثلها ما يروى عن بعض أنبياء الله يقولون إنه وجد كلباً جائعاً فصار يقطع من لحم فخذه ويطعمه، فهذا مما نهى الله عنه فكيف يُنسبُ إلى أنبياء الله: وبعض الجهلة قال إن النبي ﷺ لما انقطع عنه الوحي فترة حاول الانتحار وهذا كفر من قائله، وإنما الذي ورد في الحديث أنه أراد أن يلقي نفسه عن شاهق يعني ﷺ كان على حال أنه لو ألقى بنفسه لم يتأذَّ، وليس فيه لفظ الانتحار، والنبي كان على حال عظيم يعلم أنه لو ألقى بنفسه لم يتضرر، وإلا لم يكن يهم بمثل هذا الفعل الذي فيه هلاك للنفس وهذا حرام، ومع ذلك فإن هذا الحديث مقطوع كما قال ابن حجر في فتح الباري.

فما كان من الحكايات مما فيه تنقيص من قدر الأنبياء فانبذه، فإن أكثرها من الإسرائيليات أو مما أدخله أهل الإلحاد، فإن الله لم يختر لمنصب النبوة إلا أكمل الناس قال تعالى عن أنبيائه: **﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾**. [سورة الأنعام].

لذلك لا تصح النبوة لإخوة يوسف الذين ارتكبوا كبائر الذنوب، وهم مَنْ سوى بنيامين والأسباط الذين ذكرهم الله في القرآن هم من نُبِّئَ من ذريتهم.

وقد حفظ الله أنبياءه من الأعراض والأمراض المنفرة، كالجذام وخروج الدود من الجسد، كما يفترى على نبيه أيوب عليه السلام، ومن الخرس والطرش والعمى وغير ذلك، وسيدنا يعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن فقيل إنه حصل له العمى لفترة ثم شفاه الله ، وقيل إنه لم يعمَ تماماً إنما حصل له ضعف في بصره من كثرة بكائه ثم عاد كما كان.

ويجوز عليهم ما سوى ذلك من الأمراض التي لا تنفر والأوجاع فإن النبي ﷺ قال في مرض وفاته: **"إنني أوعك كما يوعك الرجلان منكم"**، رواه الشيخان وغيرهما، وأيضاً يجوز عليهم الخوف الطبيعي الذي لا يمنع من القيام بما أمروا به من التبليغ والثبات في ملاقاة العدو، أي الذي ليس فيه جبنٌ، والخوف الطبيعي مثل الذي حصل لسيدنا موسى عندما رأى فجأة عصاه انقلبت حية ضخمة جداً بقدرة الله، ثم لما أمره الله أن يأخذها أخذها من نابِهَا متوكلاً على ربه من غير خوف.

ولا يوجد في الجن أنبياء، إنما فيهم العلماء والأولياء منهم المؤمن ومنهم الكافر، ولا في النساء إلا قولاً ضعيفا في سيدتنا مريم أنها نبية، قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم**﴾. [سورة يوسف]، وقال بعضهم بنبوة آسية زوجة فرعون ،وهذا أيضاً ضعيف.

ويجب اعتقاد أن كل الأنبياء من سيدنا آدم إلى سيدنا محمد جاءوا بدين واحد هو الإسلام، وكل دين سوى الإسلام باطل ابتدعه الكفار قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [سورة آل عمران] وقال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [سورة آل عمران] وقال تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه**﴾. [سورة الشورى]

والحكمة في أن دينهم واحد أمر ظاهر فإن ذلك يدعو إلى توحيد الناس على عقيدة واحدة، وقول البعض بأن الله أرسل كل نبي بدين غير الدين الذي عليه غيره من الأنبياء فيه نسبة عدم الحكمة إلى الله تعالى حيث جعلوا الله يأمر بالتفرقة، وإنما الصحيح أن يقال كلهم على دين واحد وهو عبادة الله وحده وعدم الإشراك به شيئاً، وأن شرائع الرسل مختلفة حيث أن الله أنزل على كل رسول أحكاما تناسب الحال الذي عليه الناس، فلذلك يقال الشرائع السماوية أو الكتب السماوية ولا يقال الأديان السماوية.

قال ﷺ: "**الأنبياء إخوة لِعَلاَّت دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي**" رواه البخاري، معناه أن دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة أي متعددة.

ومع اختلاف الشرائع في بعض الأمور فإن هناك أموراً واجبة في كل الشرائع كالأمور الست التي هي: حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال والعِرْضِ، وغيرها.

وهناك أيضاً أمور محرمة في كل الشرائع كأكل لحم الخنزير والدم المسفوح والميتة والربا وقتل النفس بغير حق والزنا...

واعلم أن الدين وضعٌ إلهيٌّ سائق لذوي العقول السليمة باختيارهمُ المحمودِ إلى ما هو خير لهم بالذات، وهو السعادة الأبدية.

وأصول الدين أربعة: الكتابُ، والسنة، والإجماع والقياس المعتبران، وما خالف هذه الأربعةَ فهو بدعة وضلالة، ومن كان مسلوب العقل أو مغلوباً عليه (كالمجاذيب) نفوض إلى الله شأنَهم مع وجوب إنكار ما يقع منهم مخالفاً للشرع حفظاً لقوانين الشريعة.

ويجب على كل بالغ عاقل وُلِدَ صحيح السمع وسمع بأصل الدعوة الإسلامية أن يدخل في دين الإسلام، فإن من سمع بالإسلام ولم يدخل به ومات على ذلك خلد في نار جهنم.

واعلم أن من الفساد العظيم قول بعض أدعياء العلم المداهنين إن الله أعطى حرية الأديان مستشهدين بقوله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ الأولى من [سورة البقرة] والثانية من [سورة يونس] فإنه لا يفهم من هاتين الآيتين أن الله أعطى حرية الأديان فإن قوله تعالى لا إكراه في الدين" قيل بأن هذه الآية منسوخة بآيات القتال، وقيل فيها: أنك لا تستطيع إكراه قلوب الناس على الإسلام وإنما ظواهرهم، وقيل فيها: إذا دفع أهل الكتاب الجزية وعاشوا تحت حكم المسلمين فليس عليك إكراههم، كذلك قوله تعالى: "**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**" فالمقصود أننا لا نستطيع إكراه قلوبهم على حب الإسلام، وإلا فإن علينا جهادهم لردعهم عن الكفر والله يتولى سرائرهم، قال تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكونَ الدينُ لله فإن انتهوْا فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ [سورة البقرة]، والمقصود بالفتنة في هذه الآية هو انتشار الكفر وكذلك قوله تعالى:﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدُّ من القتل**﴾ فليس المقصود بالفتنة هنا الفتنة بين رجلين كما يتوهم بعض الناس إنما المقصود منها انتشار الكفر وهو أي انتشاره بين الناس أشد من القتل وقال تعالى:﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾ [سورة التوبة]. فهؤلاء الأدعياء للعلم حرفوا في دين الله وعطلوا بذلك باب الجهاد، وعلى زعمهم لا يجوز للمسلمين أن يقاتلوا الكفار إلا دفاعاً.

وإنما الصواب أن الجهاد من أعظم الأعمال وهو يكون دفاعاً ويكون لنشر الدين ويكون لقمع الكفر الذي هو أعظم الذنوب، هذا عدلٌ وليس ظلما كما يقول بعض أصحاب الأديان الأخرى، فهل نشر الفضيلة والإسلام الذي به يدخل الإنسان الجنة وينجو به من الخلود في جهنم وقمع أعظم المنكرات الذي هو الكفر يكون ظلماً، فالجهاد شُرِع رحمة للناس قال تعالى عن نبيهﷺ:"**وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين**" سورة الأنبياء. فلما قام بعض الطغاة

بصد الناس عن الدخول في هذه الرحمة التي هي دين الإسلام دين العدل الذي به النجاة من النار والخلود الأبدي في الجنة شرع الله لهذه الأمة قتالهم لأنهم ينشرون الفساد والظلم في الأرض فإذا كان قتل الحية والعقرب والهوام المؤذية مشروع بسبب ما يصيب الناس من أذاها فكيف بالذي أذاه أشد من ذلك بكثير وهو الصد عن سبيل الله والرحمة والجنة، ودعوته إلى الكفر والفساد في الأرض الذي به الخلود الأبدي في جهنم، ثم إن كل القوانين الوضعية تعاقب الخارجين على القانون فلماذا يعترضون على المسلمين أن يقيموا دستور ربهم، وقد قال ﷺ: " **أتدرون ما حق الله على العباد قالوا الله ورسوله أعلم قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً** " رواه البخاري، ومع ذلك فإن للجهاد شروط وقد يكون هناك صلح بين المسلمين والكفار وعقد أمان أو ذمّة كل ذلك بشروط ذكرها الفقهاء في كتب الفقه.

ومن البلاء ما يفعله البعض حيث فتحوا مكاتب للدخول في الإسلام فإذا جاء أحد بعد الوقت المحدد ليدخل في الإسلام قالوا له ائتِ في وقت آخر فيؤخرونه عن الإسلام وهذا يسمى رضا بالكفر والرضا بالكفر كفر قال تعالى: **"ولا يرضى لعباده الكفر"**. سورة الزمر

فلا يجوز تأخير من أراد الدخول في الإسلام ولا لحظة حتى ولو كنت في الخلاء فقال لك رجل علمني الإسلام فقل له قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

روى الإمام مسلم بما معناه أن رسول الله ﷺ (أتاه رجل مرة وهو يخطب وقال يا رسول الله علمني الإسلام فقطع الرسول خطبته ونزل عن المنبر وأمره بالتشهد ثم عاد واستأنف الخطبة). فلا يُشْغَلُ بالاغتسال قبل الدخول في الإسلام، وإن كان لا يحتاج إلى إقناع فلا تشرح له التفاصيل قبل أن يدخل في الإسلام فإن في ذلك تأخيره عن أعظم الخير بحيث لو مات قبل ذلك مات كافراً فكيف يُؤَخَّر بعد أن أراد الإسلام.

والإسلام لغة هو الانقياد وشرعاً هو انقيادٌ مخصوصٌ لله تعالى، ويصح أن يقال هو الالتزام بأحكام الدين مع التشهد، وأقل الإسلام هو النطق بالشهادتين وأقل الإيمان هو التصديق بالقلب لمعنى الشهادتين فلا يصح أحدهما دون الآخر كما قال الإمام أبو حنيفة: "فهما كالظهر مع البطن" فمن نطق بلسانه ولم يصدق بقلبه فهو كافر منافق ليس بمسلم ولا مؤمن وإن حكمنا عليه من حيث الظاهر بأنه مسلم لأننا لا نعلم ما في القلوب أما عند الله فهو كافر، وكذلك العكس إلا إذا عجز عن النطق بسبب الخرس أو مفاجأة الموت أي أراد أن ينطق بالشهادتين قبل حالة اليأس والغرغرة فمنعه من ذلك فجأة الموت فهذا إسلامه صحيح.

فقول بعض الناس: كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ليس بصحيح لأنه لا يصح أحدهما دون الآخر.

وكل المؤمنين في أصل الإيمان سواء، ثم تكون الزيادة في الإيمان على حسب الأعمال، فالإيمان يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ولا يسلب اسم الإيمان عن المؤمن مهما ارتكب من المعاصي ما لم يقع بنوع من أنواع الكفر، وما ورد من آيات أو أحاديث ظاهرها يوهم أن مرتكب بعض المعاصي لا يدخل الجنة فإن معناه أنه لا يدخل الجنة مع الأولين ومآله في النهاية على أي حال إلى الجنة ما لم يقع في الكفر والعياذ بالله.

ومن ذلك قوله ﷺ: " **لا يدخل الجنة قتّات**" (أي نمام). رواه البخاري.

ومنها قوله ﷺ: "**ثلاثة لا يدخلون الجنة العاقُّ لوالديه، والديوث، ورجلة النساء**" رواه النسائي والبزار والحاكم (أي لا يدخلون الجنة مع الأولين) وكذلك حديث: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

فليس المقصود منه أنه ليس بمسلم إذا لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، وإنما معناه ليس مسلماً كاملاً.

فمرتكب المعاصي يقال عنه مسلم عاص أو ناقص ويقال له مؤمن عاصٍ أو ناقص، والمؤمن الذي أدى الوجبات واجتنب المحرمات يقال عنه مؤمن كامل أو مسلم كامل.

ويجب الإيمان بالقدر خيره وشره أي المقدور خيره وشره من الله.

ويجب الإيمان بكل ما بلغه الرسول ﷺ عن ربه فمن ذلك، عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين منكر ونكير.

ويستثنى من السؤال الأطفال الذين ماتوا دون البلوغ والشهداء والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وإن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون فلا تبلى أجسادهم وكذلك شهداء المعركة وكذلك بعض أولياء الله،وكذلك المؤذنون المحتسبون لحديث (**المؤذن المحتسب لا يدود كالشهيد**) رواه الطبراني.

ويجب الإيمان بالنفخ في الصور والذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام، وأنه يموت ويصعق من أثر ذلك من في السموات والأرض إلا من شاء الله، فإن الحور والولدان في الجنة لا يموتون بإذن الله، وكذلك الشهداء لا يصعقون لأن أرواحهم تكون في الجنة.

وآخر من يموت ملك الموت فإن الله يخرج روحه بقدرته ليس هو الذي يقبض روح نفسه كما يشاع عند البعض فليس بصحيح ما يرويه البعض بأنه يقبض روح نفسه ويقول عند ذلك لو كنت أعلم ما يحصل بقبض الروح ما كنت قبضت روح أحد" فهذا كذب وفيه اعتراض على الله فملك الموت مأمور من الله، ويعلم أن قبض الروح يسبب الآلام وهو ملك لا يعصي الله ولا يهمَّ بالمعصية حيث الملائكة جُبِلُوا على طاعة الله ومحبته والتسليم له وكلهم أولياء لله ومنهم رسل.

واسم ملك الموت عزرائيل هكذا ورد اسمه في حديث رواه الطبراني ونقل القاضي عياض في الشفا الإجماع على أن تسمية ملك الموت عزرائيل.

ويجب الإيمان بالبعث من القبور، وكذلك الحشر، ويكون الناس يوم الحشر على ثلاثة أحوال:

١. الأتقياء ويكونون راكبين كاسين طاعمين تحت ظل العرش.

٢. ومنهم حفاة عراة على الأقدام وهم الفساق.

٣. ومنهم حفاة عراة يحشرون على وجوههم وهم الكفار يطأهم الناس بأقدامهم لكفرهم وتكبرهم. هذه الأحوال الثلاث وردت في حديث رواه الإمام أحمد وغيره.

ويجب الإيمان بالميزان، ووزن الأعمال، والحساب ، والصراط، والجنة والنار وأنهما موجودتان الآن، وأن المؤمنين خالدون في الجنة، وأن الكفار خالدون في النار، وأن بعض الفساق من المؤمنين يدخلون النار ثم يخرجون منها، ويجب الإيمان بالحوض والرؤية لله تعالى بالعين في الآخرة للمؤمنين بلا كيف ولا جهة ولا مكان، ويجب الإيمان بالشفاعة، (والشفاعة طلب الخير من الغير إلى الغير)، يعني أن الشفعاء يوم القيامة يطلبون المغفرة من الله لبعض العصاة.

وأول من يشفع يوم القيامة سيدنا محمد يشفع الشفاعة العظمى وهي لكل أتباع الأنبياء المؤمنين لتعجيل الحساب ثم يشفع لأمته، ثم الأنبياء يشفعون من بعده، وممن يشفع يوم

القيامة العلماء العاملون والشهداء والأطفال الذين ماتوا دون البلوغ يشفعون لوالديهم المؤمنين، ولا أحد يشفع لكافر يوم القيامة، ويبقى قسم من الفساق أهل الكبائر لا أحد يشفع لهم فيخرجهم الله تعالى من النار بعد مدة عقابهم بعفوه، ويسمون عتقاء الرحمن وعندما يخرج آخر رجل من المؤمنين من النار يزداد الكفار حسرة حيث لا خروج لهم منها ولا يخفف عنهم من عذابها.

ويجب الإيمان بما جاء في القرآن أو الحديث من أخبار الأمم السابقة وبما جاء من أخبار لاحقة، فما أخبر به النبي ﷺ من مغيبات فهو من جملة معجزاته، كإخباره بأن الناس يتطاولون في البنيان وكثرة الزنى وشرب الخمر ورفع الحياء والخشوع والعلم وانتشار الجهل وأن زمام الأمور يتسلمه غير أهله، وظهور المهدي وهذه من علامات الساعة الصغرى وقد ظهر أكثرها، وكذلك علامات الساعة الكبرى . أي يجب الإيمان بها، كخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء وخروج يأجوج ومأجوج وخروج دابة الأرض وغير ذلك، فإن كل ما ذكرته من عقائد تجده في كتب خاصة موسعة مع أدلتها ولولا أني أردت الاقتصار لوسعت في ذلك مع ذكر الأدلة فمن أراد الاستزادة فليطلب ذلك.

ويجب الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء.

فالمعجزة أمر خارق للعادة تظهر على يد نبي للدلالة على صدقه، وهي مقرونة بالتحدي، سالمة من المعارضة بالمثل، أي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، بخلاف السحر الذي يكون بمعاونة الجن فإنه بإمكان ساحر آخر أن يأتي بسحر مثله.

فإن الكفار كانوا إذا ظهر فيهم النبي طلبوا منه دليلاً على صدقه ومع ذلك فإن كثيراً منهم لم يؤمنوا بعد رؤيتهم للمعجزات تكبراً منهم وعناداً.

فمن المعجزات خروج الناقة وفصيلها من صخرة لنبي الله صالح ﷺ، ومنها أن النار لم تؤثر في نبي الله وخليله إبراهيم ﷺ .

ومنها انقلاب عصا موسى حية حقيقية كبيرة فأكلت حبال السحرة وعصيهم فأسلموا لأنهم كانوا يعرفون السحر، وتبين لهم أن انقلاب عصا موسى ﷺ حية حقيقية ليس سحراً وإنما بقدرة الله سبحانه، ومنها انشقاق البحر له، وغير ذلك.

ومنها تسخير الرياح لنبيه سليمان ﷺ والجن وأنه عُلِّمَ منطق الطير وغير ذلك.

ومنها ما حصل لنبيه عيسى ﷺ من إحياء الموتى وإبراء الأكمه - الأعمى - والأبرص والمشي على وجه الماء وغير ذلك.

وأما معجزات نبي الله وحبيبه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحصيها إلا الله تعالى وقد قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: "ما أعطى الله نبيا معجزة إلا وأعطى نبينا مثلها أو أعظم منها".

وأعظم معجزات سيدنا محمد ﷺ القرآن، لأنه معجزة دائمة على مر العصور وما استطاع أحد أن يأتي بمثله أو بسورة منه ولا يستطيع، وحفظ من التحريف والتبديل.

وأما معجزاته ﷺ في حياته فكثيرة منها خروج الماء من بين أصابعه ومنها حنين الجذع اليبيس له، ومنها انشقاق القمر له.

ومنها إسراؤه من مكة إلى المسجد الأقصى وعروجه من هناك إلى ما فوق السماء السابعة ودخوله الجنة، ورؤيته لربه سبحانه بلا كيف ولا مكان بفؤاده على قول جمهور العلماء.

وعلى قول بعضهم بعين رأسه وممن قال بذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني فهذا من المختلف فيه، واعتبروا أن ذلك خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي رؤيته لربه بعينه واعلم أن المعراج ليس المقصود منه وصول النبي ﷺ إلى مكان ينتهي فيه وجود الله تعالى، فإن الله تعالى كما بينا بطريق الشرع والعقل، موجود لا كالموجودات موجود بلا مكان، وإنما المقصود بالمعراج إطلاع النبي ﷺ على عجائب العالم العلوي.

وقد سمع النبي ﷺ كلام الله الذاتي الذي لا يشبه كلام خلقه.

كما سمعه موسى ﷺ، وموسى كان على الأرض، فإن الله يستحيل عليه أن يكون له مكان على الأرض يستحيل عليه أن يكون في أي مكان آخر فكل الأماكن خَلْقُه تعالى والله لا يحتاج إلى شيء من خلقه.

وأحذر من بعض ما راج على ألسنة بعض الناس بسبب مطالعتهم لبعض الكتب المزيفة، منها القول: إن الله أسمع نبيه صوت أبي بكر في السماء حتى يستأنس به، وأعظم من ذلك ما قاله البعض من أن الله كلمه بصوت أبي بكر وهذا كفر لأنه تشبيه لله بخلقه.

ومنها ما شاع من أن النبي قال: التحيات لله الخ فقال الله له السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقالت الملائكة السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فهذا كذب وصيغة التشهد في الصلاة، النبي ﷺ علمها لأصحابه عندما سمعهم يقولون في صلاتهم السلام على الله السلام على جبريل... فقال لهم إن الله هو السلام ولكن قولوا التحيات..." رواه البخاري وغيره، ومنها ما هو موجود في كتاب الإسراء والمعراج المنسوب زورا وبهتانا لا بن عباس ففيه أقوال كثيرة مخالفة للشرع منها بعض الذي بيناه ومنها القول: إن النبي رأى امرأة معلقة بثدييها فسأل سيدنا جبريل عن ذلك فقال له هذه التي ترضع ولد غيرها بغير إذن زوجها، فإن ذلك مخالف لما جاء في الشرع حيث أن الفقهاء بينوا أنه يجوز للمرأة أن ترضع ولد غيرها ولو بغير إذن زوجها لأن اللبن ملكها وليس ملك زوجها.

ومنها القول: إن جبريل قال للنبي ﷺ عند بيت المقدس لو شربت الماء لتهودت أمتك ولو شربت الخمر لتنصرت أمتك، والثابت أن جبريل قدم للنبي ﷺ كأساً فيه من خمر الجنة الذي لا يسكر وكأساً من لبن الجنة فاختار النبي اللبن فقال له جبريل اخترت الفطرة.

فإني أحذر من القراءة في هذا الكتاب وكتاب مولد العروس وكتاب مناجاة موسى فإن فيها كثيراً من الضلال، وبالجملة أنصح بأن لا يأخذ أحد علمه من الكتب فإن من لم يتمكن بعلم العقيدة وشيء من علوم الفقه وغيره فإنه لا يستطيع أن يميز بين الصواب وغيره.

ثم من أراد أن يعلم أكثر عن أخبار معجزات سيدنا محمد ﷺ فليطلع على كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض المالكي وغيره من الكتب المعتمدة.

وأما الكرامة: فهي أمر خارق للعادة فهي تشبه المعجزة من هذه الناحية تظهر على يد المؤمن الكامل المستقيم بطاعة الله وهي دليل على صدق من ظهرت على يديه، في متابعة نبيه، فإن الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد ولي من أولياء الله كرامة لهذا الولي هو أيضاً معجزة للنبي الذي اتبعه هذا الولي إذ لو لم يتبعه متابعة كاملة بأداء الواجبات واجتناب المحرمات والإكثار من نوافل الأعمال ما ظهرت على يديه تلك الكرامة، والكرامة ليست بالضرورة مقرونة بالتحدي حتى تظهر على يد الولي فقد تظهر الكرامة من غير تحدٍ، فأحيانا يظهر الولي الكرامة لنصرة الدين وأحيانا لتقوية إيمان مريديه وغيرهم، وأحيانا لكف ألْسِنةِ بعض الذين يفترون عليه بشيء مخالف للدين وليس فيه ليمتنعوا عن المعصية لله بإيذائهم لأولياء الله، وقد تظهر الكرامة للولي من غير طلب منه ، وأحيانا من غير أن يعرف فضلا من الله، وذلك لأن أكثر الأولياء لا يعرفون أنفسهم أنهم وصلوا إلى هذا المقام وهم في حال

حياتهم، ولكن عند خروج روحه من جسده كل ولي يعرف نفسه لأن الملائكة يقولون له: أبشر يا ولي الله برحمة الله ورضوانه.

فإن الولي في الدنيا من شأنه التواضع والاتهام لنفسه بالتقصير، والخمول – أي عدم الظهور وكلما ازداد قربا ظن أنه مقصر لأن معرفته بالله تزداد ويرى أن الله هو المتفضل عليه فيزداد حياؤه من ربه وخوفه منه ومحبته له.

فالولي في الغالب يستحي من الظهور بإظهار كراماته إلا لضرورة كنصرة الدين أو بإشارة لمصلحة إرشاد الناس ودعوتهم إلى الحق، كالإمام الجيلاني والرفاعي والبدوى والدسوقي والشاذلي والنقشبندي وغيرهم فإن ظهورهم كان فيه مصلحة عظيمة حيث تاب العديد على أيديهم واشتغل أتباعهم بنشر العلم والإصلاح بين الناس وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله مُقتدين في ذلك بأصحاب النبي ﷺ، ثمَّ إنه في الآونة الأخيرة صار كثير ممن ينتسبون إلى هؤلاء الأكابر يكتفون بالانتساب إلى طرقهم مع ترك العلم، وقلة العمل، وحَرَّفَ البعض أصول طرقهم المبنية على أصول الدين وأكثر ما يشتغلون به ذكر حكايات الصالحين وأحياناً يروون حكايات لا أساس لها، مع تركهم الاقتداء بأعمالهم، وإلا فعند ذكر الصالحين تنْزل الرحمات، ولكن العبرة في ذكر حكاياتهم هو تنشيط الهمم للعمل ، لا مجرد ذكر ذلك مع الكسل وإيهام الناس بأنه على شيء، فالرجل الكامل هو الذي يؤثر في قلوب الناس بحاله ومقاله، وفي حاله أكثر من مقاله.

وقد قال الإمام الرفاعي: "لا تقولوا قال أبو يزيد قال الحلاج قال فلان ولكن قولوا قال النعمان قال الشافعي قال مالك" أو كما قال ومثله كان يقول الباز الأشهب الجيلاني يعني لا تستغنوا عن طلب العلم والعمل به بذكر حكايات الصالحين.

ثم إنه ما جاز أن يكون معجزةً لنبي جاز أن يكون كرامة لولي إلا ما كان خاصاً بالأنبياء، كالقرآن فإنه معجزة خاصة للنبي ﷺ فلا ينزل مثله على ولي، كذلك النبي فتح له باب الجنة ليلة المعراج ودخلها وسلم على الحور العين بالقول ورددن عليه السلام وقلن له نحن خيرات حسان زوجات قوم كرام، وما شابه ذلك من الخصوصيات، فإنه لا يحصل مثله لولي، وكذلك هناك أمور خاصة بالنبي ﷺ ليس لأحد أن يقتدي بها، مثل: دخوله المسجد وهو جنب ومثل تعدد الزوجات أكثر من أربع وغير ذلك من الخصوصيات.

ثم إن بعض الكرامات التي ظهرت على يد الأولياء مما لم يحصل مثلها تماما معجزة على يد الأنبياء، كالطيران في الهواء مثلاً فإن هذا لا يدل على تفضيل الولي على النبي، فكل

الأولياء لا يعدلون درجة نبي واحد، ومع ذلك فإن هذا يشبه المعجزة من حيث خرق العادة فليس للجاهل أن ينكر مثل هذه الكرامات بدعوى أنه لم يحصل مثلها على يد الأنبياء، فأهل الكهف الذين قص الله لنا حكايتهم في سورة الكهف كانوا أولياء من أمة سيدنا عيسى عليه الصلاة السلام، ألقى الله عليهم النوم فناموا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً من غير طعام ولا شراب ولم يموتوا ولم يمرضوا ثم بعثهم بعد نومهم أي أيقظهم فظنوا أنهم لم يلبثوا في نومهم إلا يوماً أو بعض يوم، وهذا ما سمعنا بأنه حصل لنبي من أنبياء الله مثله، فهل ينكر بدعوى أنه لم يحصل مع نبي مثله، وهل يقتضي تفضيلهم بذلك على الأنبياء ؟. كلا فالنبوة أعظم المقامات.

وليس لأحد من الأولياء أن يدرك مقام النبوة مهما جاهد نفسه واشتغل بالعبادات ثم إن ظهور الخوارق على يد الولي لا يدل دائما على أنه أفضل من غيره من الأولياء الذين لم نسمع بظهور الخوارق على أيديهم، فإن كثيراً من أخيار الصحابة لم نسمع بظهور الخوارق على أيديهم، ومع ذلك هم أفضل ممن جاء بعدهم.

فإنه يكفيهم من الكرامات صحبة النبي ﷺ وقوة يقينهم وتوكلهم على الله وما فتح الله على أيديهم من البلاد، ونشر الإسلام، وما يَنْعَمُ به المسلمون حتى اليوم هو ببركة جهدهم.

فإن الصحابة رأوْا المعجزات من نبينا ﷺ فكان ذلك سبباً في تقوية يقينهم، فكأنهم لم يعودوا بحاجة إلى رؤية الخوارق بخلاف من جاء من بعدهم، فإنه كثر بينهم رؤية الخوراق على يد الأولياء، فكان في ذلك مصلحة لتثبيت العوام ودلالة على أن ما جاء به النبي حق وصدق، ومع ذلك فإنه حصل بعض الخوارق على يد بعض الصحابة.

والكرامات التي تظهر على أيدي أولياء الله كثيرة ومتعددة وليس شرطا أن تظهر كل أنواع الكرامات على يد كل ولي لله فالله تعالى خص كل ولي بأشياء قد لا تكون لولي آخر وتتفاوت مقامات الأولياء فقد يكون بين ولي وولي من حيث المقام كما بين السماء والأرض، وأحياناً أكثر.

وبعض أكابر الأولياء يعطيهم الله التصرف التام بالكرامات فتظهر على أيديهم خوارق كثيرة مختلفة ومن هؤلاء الإمام الجيلاني والرفاعي رضي الله عنهما وقد تكون الكرامة معنوية كأن يُفْتَحَ على هذا الولي باب العلم أو كثرة العبادة أو كثرة المجاهدة أو ينزل به بلاء كبير فيوفق للصبر العظيم والتسليم الكامل.

فالأصل هو الاستقامة وليس الأمر الخارق قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "الاستقامة عين الكرامة" لأنه قد يظهر على يد رجل أمر خارق بمساعدة الجن أو استدراج، أو بِسِّرٍ غيره فتكون الكرامة ليست له إنما للذي كانت بسره، فإذا ظهر أمر خارق على يد رجل نظرنا إن كان مستقيماً حسَّنا به الظن أنه من الأولياء، وإلا فلا نظن به الولاية، كأن كان جاهلاً في معرفة أمور الدين الضرورية أو كان يترك بعض الفرائض أو كان يصر على المعاصي، فالولي ليس معصوماً عن المعاصي ولكن وقوعه في المعصية يكون قليلاً ولا يصر عليها ويتوب فوراً مع ندم شديد.

والأدلة على ثبوت الكرامة في القرآن والسنة كثيرة، وقد أنكرت المعتزلة وجود الكرامة، ومن جملة أسباب إنكارهم لها أنه لم تظهر كرامة على يد واحد منهم وكذلك كل الفرق التي شذت عن الإجماع لم تظهر كرامة على يد واحد منهم لذلك نجد الكثير من أتباع هذه الفرق ينكرون الكرامات، وهذا مثل الأعمى الذي لا يرى الشمس فقد ينكر وجود الشمس لأنه لم يرها.

فمن أدلة القرآن غير قصة أهل الكهف قصة مريم قال تعالى: ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾ [سورة آل عمران].

وكذلك قصة صاحب سليمان عليه الصلاة والسلام آصف بن براخيا الذي أتى بعرش بلقيس بلحظة بإذن الله قال تعالى: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي**﴾ [سورة النمل].

وجاء في الحديث قوله ﷺ: "**اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**" رواه الترمذي وغيره.

وأيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به وبصره الذي يُبصرُ به ويدهُ التي يبطشُ بها ورجلَهُ التي يمشى بها إن سألني أعطيتُهُ ولئِن استعاذني لأعيذَنهُ** ". رواه البخاري

وفي رواية "**ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ومؤيداً**". وهو مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته.

وفي رواية: "**فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش**".

والمعنى: أنه لا يسمع إلا ذكري ، ولا يلتذ إلا بتلاوة كلامي ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي، ورجله كذلك، كما قاله الفاكهاني.

يعنى أن الله يوفقه في هذه الجوارح للازدياد من الخيرات والحسنات التي تقربه من ربه ويحفظ له جوارحه من الوقوع في المعاصي.

وليس كما يقول أهل الاتحاد وهو قولهم أن الله يكون يد الولي ورجله وعينه وسمعه على الحقيقة وهذا كفر والعياذ بالله.

والولي مع كونه ليس بمعصوم من المعاصي فهو محفوظ من الكفر فلا يصدر منه نوع من أنواع الكفر في حالة صحوه إلا أن يكون مستغرقاً مغلوباً فقد يصدر منه كلام كفري في هذه الحالة أحيانا، لكنه معذور لأنه لا يكون مكلفاً في هذه الحالة ومع ذلك ينهى ويزجر عن ذلك كالمجنون ولا يقتدى بالولي المغلوب أي المجذوب وهو في حال الجذب، فإن قال قائل كيف يغيب الولي عن وعيه؟ نقول لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على أن الولي محفوظ من ذلك، وهذا لا ينافي العقل، فإن الواحد منا إذا غلب عليه حب شيء من ملذات الدنيا قد يدهش به ويغيب عمن حوله فقد تراه غير شاعر بما حوله، كذلك إذا خاف أحدهم من شيء ما فقد يؤدي به الخوف إلى الضياع والجنون ، فمن هذا يجوز على الولي أن يغيب عن وعيه بسبب غلبة الحب لله والشوق إلى لقائه والخوف منه، وبعض الأولياء عندهم قوة تحمل أكثر من البعض الآخر: لذلك أولياء الصحابة لم نسمع بأنه كان يغيب أحدهم مع كونهم أفضل ممن جاء بعدهم وذلك بسبب تمكنهم في المقامات.

والدليل على أن الولي لا يصدر منه كفر في حال صحوه قوله تعالى: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**﴾ [سورة يونس].

واعلم أن الكرامات قد تواتر خبرها بكثرة عن أولياء السلف والخلف، وحكم منكرها على وجه العناد كأن علم ذكر الكرامة في القرآن ـ الكفر ـ ومن لم يعلم ذلك ولم يكن إنكاره على وجه العناد يُعَلَّمُ ولا يُكفر.

ومن أراد أن يتعرف إلى الكثير من الكرامات فليطلع على الكتب التي صُنِّفَتْ في ذلك، ككتاب طبقات الصوفية للمناوي وكتاب صفة الصفوة لابن الجوزي وحلية الأولياء لأبي نعيم والطبقات للشعراني وجامع كرامات الأولياء للنبهاني وغيرها.

جواز التوسل بأنبياء الله والصالحين

اعلم أن التوسل بالأنبياء والصالحين لا ينافي التوحيد، فليس شركاً بالله، وأن أمة سيدنا محمد ﷺ التي ورد فيها في الحديث الذي رواه مسلم نصف أهل الجنة، وفي حديث الترمذي ثلثا أهل الجنة، أكثر من ثلاثة أرباعها يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلو كان التوسل شركاً لما كان ثلثا أهل الجنة منها.

والنبي ﷺ سجد له معاذ بن جبل على وجه التحية والتعظيم عندما عاد من الشام فقال له النبي ﷺ: "ما هذا؟ قال يا رسول الله رأيت أهل الشام يسجدون لبطاركتهم (أي قوادهم) وأساقفتهم وأنت أولى بذلك قال: "لا تفعل، لو كنت آمُرُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها". رواه ابن حبان وابن ماجه فمع كون السجود في شريعتنا لشخص على وجه التحية لا العبادة محرماً فإن النبي ﷺ نهى معاذاً رضي الله عنه عن ذلك ولم يكفره فكيف يتسرع أحدهم في تكفير من قال يا محمد أو يا بدوي مثلاً وقول المنكرين على المتوسلين بلا دليل، وهو بدعة أي الإنكار هو البدعة لأن النبي ﷺ هو الذي علمنا أن نتوسل به وبعباد الله الصالحين وبالأعمال الصالحة.

وهؤلاء المنكرون يحتجون بآيات نزلت في الكفار وهم يحملونها على غير وجهها وعملهم هذا كعمل الخوارج من قبل فقد أوَّلوا بعض الآيات على أهوائهم فَكَفَّرُوا بسبب ذلك المسلمين ومن جملة الذين كفروهم سيدنا علياً رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم.

والإجماع منعقد على جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته في حضرته وفي غير حضرته وبعد وفاته.

ومن الأحاديث التي وردت في جواز التوسل ما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لما اعترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم ، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ، قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله، صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك"** رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ورواه البيهقي أيضاً في دلائل النبوة ورواه الطبراني وزاد فيه : (وهو آخر الأنبياء من ذريتك). ورواه السيوطي في خصائص النبوة.

فهذا الحديث دليل على جواز التوسل به ﷺ قبل خلقه فإن أول الأنبياء والمرسلين توسل به مع عظم قدره عند الله وتوكله على الله، فعلم أن التوسل لا ينافي التوحيد والتوكل على الله وهو سبب لتفريج الكروب وقضاء الحوائج، فكما أن شرب الدواء قد يكون سبباً للشفاء والشافي في الحقيقة هو الله تعالى وليس الدواء، فهل لمجرد الأخذ بسبب من أسباب الشفاء يعتبر هذا الإنسان الذي تعاطاه صار مشركاً مع اعتقاده أن الله هو المؤثر الحقيقي سبحانه، كذلك مجرد النداء أو الاستغاثة بالنبي أو الولي حياً كان أو ميتاً مع صحة الاعتقاد أن الله هو الفعال لما يريد وهو خالق الأسباب والمسببات، وليس مجرد هذا النداء إلا سبباً عسى أن يغيثه الله ببركة هذا النبي أو الولي، لا يكون كفراً أو شركاً وحديث:(**إذا استعنت فاستعن بالله**) فليس فيه ما يخالف ما نقول لأن اعتقاد هذا المتوسل أن الله هو الذي يقضي الحاجات تماما كشارب الدواء فاستعانته بتناول الدواء واستعانته بالطبيب ليس فيها معنى الاستغناء عن الله تعالى بغيره، ومع ذلك من أراد أن يدعو الله تعالى من غير أن يتوسل فليفعل، ولكن من غير أن يحكم على المسلم الذي توسل بالشرك والضلال، ففي قوله هذا تكفير الأمة قاطبة سلفها وخلفها، ناهيك عن الأنبياء فإن النبي ﷺ هو الذي شرع لنا ذلك فهذا سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما خدرت رجله قيل له اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد) رواه البخاري في الأدب المفرد وغيره، فهل يعتبرونه كافراً لأجل هذا النداء، مع أن الفقهاء يذكرون هذا الحديث ليعمل به الناس حتى يومنا هذا. وممن روى حديث ابن عمر ابن تيمية في كتابه الكلم الطيب.

وأما ما يحتجون به مثل قوله تعالى: ﴿**يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أقرب من نفعه**﴾ [سورة الحج]، وقوله تعالى ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له**﴾. [سورة

الأحقاف]، وقوله تعالى: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [سورة الزمر] . وغير ذلك من الآيات فلا يوجد مفسر من المفسرين قال إن هذا في النداء أو الاستغاثة إنما فسروه بالدعاء على وجه العبادة التي هي نهاية التذلل، ولا يوجد مفسر أو لغوي فسر قوله تعالى (**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**) على أن هذا النداء هو عبادة لغير الله تعالى ولا أحد من المفسرين فهم من قوله تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [سورة الفاتحة]. أن الاستعانة بمخلوق تكون شركاً، وإلا لما قال ﷺ: (**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**).

وقال ﷺ: "**تدنو الشمس من رؤوس الناس يوم القيامة فبينما هم كذلك إذْ استغاثوا بآدم : يا آدم أنت أبو البشر اشفع لنا إلى ربنا**..." رواه مسلم. ففي الحديث ذكر الاستغاثة بسيدنا آدم فلذلك لا يفهم من قوله تعالى: (**وإياك نستعين**) تحريم الاستعانة أو الاستغاثة بغير الله مع حسن الاعتقاد.

وأما الحديث الذي ورد فيه: أن أبا بكر قال: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: "**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله**" فهو حديث متفق على ضعفه ففيه (ابن لهيعة) وهو ضعيف وهو معارض للحديث الذي قبله وهو صحيح رواه مسلم وقد سمى النبي ﷺ في حديث الاستسقاء. المطر . (غيثا مغيثا).

ثم من الأحاديث الدالة على جواز التوسل أيضاً ما رواه الطبراني في معجميه الكبير والصغير عن عثمان بن حنيف **أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، وقال إيت الميضأة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين، ثم قل: أللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتُقضى لي، ثم رح حتى أروح معك. فانطلق الرجل ففعل ما قال، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه على طنفسته، فقال: ما حاجتك؟ فذكر له حاجته، فقضى له حاجته وقال: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه الساعة، ثم خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: (إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك)؟ قال : يا رسول الله إنه شق عليّ ذهاب بصري وإنه ليس لي قائد، فقال له: إيت الميضأة فتوضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك... الدعاء قال عثمان بن حنيف: ففعل الرجل ما قال،**

فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر كأنه لم يكن به ضُرّ قط).

هـذا الحـديث فيـه دليـل علـى جـواز التوسـل بـالنبي ﷺ في حضـرته وفي غـير حضـرته والشـاهد في الحديث قـول عثمـان بـن حنيـف (فـوالله مـا تفرقنـا ولا طـال بنـا المجلس حتى دخـل علينا الرجل وقد أبصر) يعنى أنه لما توسل كان في مكان غير المكان الذي كان فيه النبي ﷺ حين علمه الدعاء الذي فيه التوسل به صلى الله عليه وسلم،والشاهد في الحديث ايضاً قول الصحابي يا محمد، يعني لما توسل به لم يكن في حضرته ، لأنه من المعروف حرمة قول يا محمد في حضـرته لأن الله امرنـا بتعظيمـه ، فهـذا فيـه رد علـى مـن قـال لا يجـوز التوسـل إلا في الحـي الحاضر ،فإذا ذكرنا لهم حديث الأعمى يقولون هذا في حياته، متوهمين انه توسل به في حضرته ولم ينتبهـوا إلى مـا في هـذا الحـديث مـن معـاني، منهـا أنـه توسـل في غـير حضـرته ،وانـه صـلى الله عليه وسلم علمنا هذا ليتوسل به كل من أراد إلى ما شاء الله، وإلا لما كان سيدنا عثمان بن حنيف علمه لذلك الرجل، ولا شك ان الصحابة أفهم من غيرهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يفهـم إلى مـا أشرنا إليه حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما خدرت رجله فقال:(**يا محمد**) فنشط كأنه قام من عقال، فبقوله يا محمد علمنا أنه توسل به في غير حضرته، فإذا جاز التوسل به قبل خلقه وفي حياته بغير حضرته جاز التوسل به بعد وفاته وإلا لما علم عثمان بن حنيف صاحبه أن يتوسل بالنبي بعد وفاته، وعثمان بن حنيف من الصـحابة الـذين هـم أفهـم منـا بحـديث النـبي ﷺ ويقينـه أقـوى مـن يقيننـا، ومـا قـولكم في أمـير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ الذي جاءه بلال بن الحارث المزني عام الرمادة وأخبره بأنه توسل بالنبي ﷺ عند قبره بقول . يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: إيت عمر فأقرئه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له: عليك بـالكيس الكيس، فلمـا سمـع عمـر منه بكـى وقـال : يـا رب مـا ءالـوا إلا مـا عجـزت) يعـني أن عمر ﷺ أقره على ذلك ولم يزجره فلو كان فيه كراهة لكان نهاه وزجره فكيف لو كان محرما أو كـان شركاً وهذا الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، وأورده الحـافظ ابن كثير في البداية والنهاية وقال عقبه (وهذا إسناد صحيح).

وحديث عثمان بن حنيف الذي رواه الطبراني في معجميه قال فيه(والحديث صحيح) وهو أصح حديث للطبراني.

وأما التوسل بالصالحين فدليله حديث الخروج إلى المسجد الذي ورد فيه: (من قال إذا خرج إلى المسجد: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم اخرج أشَرَاً

ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك) ومعنى أقبل الله عليه بوجهه أي برحمته) رواه ابن ماجه وغيره وحسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في نتائج الأفكار والحافظ الدمياطي في المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح والحافظ أبو الحسن المقدسي في الترغيب والترهيب، والحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار.

والشاهد في الحديث قوله:(بحق السائلين عليك) وأما قوله: (بحق ممشاي) دليل على جواز التوسل بالأعمال الصالحة، فقول من يحرم التوسل (لا يجوز أن يُسْأَلَ الله بغيره) عندهم معناه لا يجوز التوسل بالمخلوق إلى الله . ومع ذلك يقولون يجوز التوسل بالعمل الصالح، فهل الأعمال غير مخلوقة بزعمهم أم يقولون ذلك حتى يموهوا على الناس لكي يمنعوهم من التوسل بحبيب الله ﷺ.

فمن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن كل ما دخل في الوجود مخلوق لله حتى الأعمال قال تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ [سورة الصافات].

وقال تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾. [سورة الأنعام].

أفهمنا الله تعالى من هذه الآية أن الأعمال التي لنا فيها اختيار كالصلاة والتي ليس لنا فيها اختيار كالموت ملك لله مخلوق له، فكما يجوز التوسل بالعمل الصالح يجوز التوسل بالذوات الفاضلة كذوات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومن الأحاديث الدالة على جواز التوسل بالأولياء ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ: "**فإذا أصاب أحدكم عرجةً بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله**" رواه البزار وحسنه الحافظ ابن حجر في الأمالي، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله ثقات.

ومن أقوال العلماء في جواز التوسل ما ذكره الشيخ علاء الدين علي المرداوي وهو من مشاهير علماء الحنابلة في كتابه الإنصاف ما نصه: (ومنها يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل: يستحب، قال الإمام أحمد للمروذي: يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره).

وذكر الإمام السيوطي في طبقات الحفاظ فقال: وذُكر (أي صفوان بن سليم) عند أحمد فقال: هذا رجل يستسقى بحديثه وينْزل القطر من السماء بذكره، مات صفوان بن سليم سنة أربع وعشرين ومائة. يعني أن الإمام أحمد قال ذلك بعد وفاته بزمن.

وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد بن حنبل قال: قال ابن عيينة: رجلان صالحان يستسقى بهما ابن عجلان ويزيد بن يزيد بن جابر.

وقال الإمام الحافظ التقي السبكي في شفاء السقام ما نصه: (وأقول إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال: قبل خلقه، وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة، وهو على ثلاثة أنواع.

ثم بين رحمه الله هذه الأنواع مع أدلتها، واعلم انه لو أردنا أن نذكر كل ما ورد في جواز التوسل لاحتاج ذلك إلى كتاب خاص ضخم.

فإن قيل لِمَ لَمْ يؤلف علماء السلف كتباً خاصة بجواز التوسل، قيل إنه لم يكن أيام السلف من يتكلم على تحريم التوسل ثم أيام الخلف لم يتكلم أحد في ذلك إلى أن ظهر من ادعى أن التوسل بالنبي ﷺ بدعة قبيحة بالإجماع، والحقيقة أنه هو الذي خالف الإجماع، لذلك ألف بعد ذلك إلى يومنا عدة كتب ذكر فيها جواز التوسل.

ونحن نعلم أن المسلم إذا توسل بالنبي ﷺ أو بالرجل الصالح، لا يعتقد أن النبي ﷺ هو الذي يقضى حاجة هذا المتوسل بنفسه، إنما اعتقاده أنه سبب في ذلك، فَلِمَ يُحْكَمُ عليه بالكفر، وقد قال الإمام القاضي عياض في كتاب الشفا،:(وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة).

فالأمة كما ذكرنا من قبل لا تجتمع على ضلالة فإذا كان كل المسلمين من خواصهم وعوامهم يجيزون التوسل ويتوسلون بالنبي والصالحين فكيف ينكر عليهم.

وأما قولهم كيف يسمع البعيد أو الميت فلا حجة به، فإنه ثبت أن الميت يسمع، والله قادر على إسماع البعيد كرامة للولي أو معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، أليس ثبت عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه كان يخطب الجمعة بالمدينة ونادى عن المنبر . يا سارية الجبل الجبل . فسمع سارية بن زنيم النداء فانحاز إلى الجبل وهزم جيش الكفار، وهو كان في نهاوند البعيدة عن المدينة مئات الآميال، وهذه الكرامة رواها البيهقي وأفردها الحافظ الدمياطي بتأليف وصححها والأحاديث التي وردت في أن الميت يسمع وأن الأنبياء أحياء في قبورهم كثيرة وأن

النبي يرد السلام على من سلم عليه سواء كان المسلم عند قبره أو بعيداً، فعلى مريد الاستزادة من الأدلة فليراجع الكتب المختصة بذلك فإن ما بينته يكفي لذي لب وفهم، والله الموفق.

فضل العلم

قال الله تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [سورة المجادلة].

وقال تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ [سورة الزمر].

وقال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [سورة فاطر] أي أن العلماء العاملين هم أشد خشية لله من غيرهم.

وقال تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [سورة التوبة].

قال رسول الله ﷺ: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**" رواه البيهقي.

وقال ﷺ: "**من سلك طريقاً يلتمس به علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة**" رواه مسلم.

وقال ﷺ: "**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**".

وقال ﷺ: "**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**". رواه الترمذي

ومعنى الصلاة هنا من الله الرحمة ومن الملائكة والنملة والحوت ـ الاستغفار.

وقال ﷺ: "**نَضَّر الله أمراً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فربّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع**" رواه الترمذي.

وقال ﷺ: "**يا أبا ذر لأن تغدو فَتعلَّم آيه من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فَتعلَّم بابا من العلم عُمِلَ به أو لم يُعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة**" رواه ابن ماجه.

وقال ﷺ: "**من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع فإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**". رواه ابو داود والترمذي.

وقال ﷺ: " **من يرد الله به خيراً يفقِّهْهُ في الدين**" رواه البخاري، أي من أراد الله به خيراً يسر له من يعلمه أمور الدين.

وقال ﷺ: "**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**" رواه الترمذي.

وقال ﷺ: "**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علمٍ ينتفعُ به، أوْ ولدٍ صالحٍ يدعو له**" رواه مسلم.

وقد ورد عن سيدنا عيسى ﷺ في مدح أمة سيدنا محمد ﷺ: (علماء حكماء بررة أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء).

وعنه عليه السلام أيضاً: (من تعلم وعمل وعلم يدعى عظيماً في ملكوت السموات والأرض) رواه الغزالي في الإحياء.

وقال ابن رسلان في الزبد:

والعلم أسنى سائر الأعمال　　　وهو دليل الخير والإفضال

والكلام في فضل العلم كثير جداً فلم تجد نبيا أو عالما ولا صالحاً إلا وحث على طلب العلم، لأنه لا يكون عمل الإنسان صحيحاً مقبولاً من غير أن يعرف شروطه وأركانه ومبطلاته،فما بال أناس لا يتعلمون ويهاجمون العلم ويَدْعُونَ إلى الجهل كما سمعنا من كثير من الناس يقولون إذا لم يتعلم الإنسان لا يؤاخذه الله لأنه جاهل، يقولون الجاهل ذنبه بذنب والمتعلم ذنبه بسبعة فنحن لا نتعلم لأجل ذلك.

فهذا الجاهل فضل الجهل على العلم والظلام على النور، فإن المتعلم الذي لا يعمل بعلمه لا شك مؤاخذ لأن الغرض من طلب العلم العمل به، ولوضع الأمور في محلها وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن دين الله، ثم إن طالب العلم وإن لم يكن معصوماً إن زل تاب لمعرفته بالذنب ومعرفته وجوب التوبة عليه إن كان من أهل التوفيق، أما الجاهل بأحكام الدين فقد يقع بالذنوب العظيمة وهو لا يعلم فتتراكم عليه الذنوب حتى يفتضح في الدنيا والآخرة، وقد يؤدي الجهل ببعض الناس إلى حد أنه يخرج من الدين وهو لا يرى أنه ارتكب شيئاً.

ومن أمثلة ما يخرج الإنسان من دينه قول بعضهم ـ حلال على قلب الشاطر عندما يسمع أن فلاناً سرق أو ارتكب حراماً ـ وقول بعضهم للمرأة ـ أظهري عورتك زكي عنها فهذا جعل الحرام واجباً ـ وقول ـ الكذب ملح الرجال وعيب على الذي يصدق ـ وقول بعضهم كفاك تسبيحاً لله حتى لا تغرقه ـ ونداء شخص لشخص تعالَ يا الله ـ وقول ـ لو كان الحج في المكان الفلاني لما حججت ـ وقول ـ الذي يصلى أو يحج يصبح كذاباً مستهزئاً ـ وقول بعضهم: العرب جرب على الإطلاق إلا إن قال ذلك عن عرب هذا الزمان فلا يكفر لكن حرام، وكذلك قول بعضهم ـ النبي كِيكي أو النبي فحم، أو النبي أسود أو نسونجي أو نسب الجبن لنبي من الأنبياء، أو نسب له كفراً أو كبيرةً أو ما ينقص من قدره من معصية أو مرض منفر أو غيره، وكذلك كل استهزاء بالله أو أنبيائه أو ملائكته كقول بعضهم: يا ابن الملائكة أو نسب لهم المعاصي أو التزاوج لأنه كما هو معلومٌ أن الملائكة مجبولون على طاعة الله ليس لهم عملٌ إلا امتثال أوامر الله قال الله تعالى (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) سورة التحريم وأنهم ليسوا بذكورٍ ولا إناث قال تعالى (**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى**) سورة النجم، وكذلك كل استهزاء بالدين وشعائره، ومن ذلك أيضاً التوسل بالنبي ﷺ بما فيه تنقيص لقدره كأن يتوسل به لحصول أمر محرم فإن ذلك تنقيص من قدر النبي ﷺ، وهذا يحصل أحياناً من بعض الأمهات فإنها تدعو على ولدها الذي هو دون التمييز أي الطفل، فتقول الله يكسر يديك بجاه محمد، وأعظم من ذلك إن قال وهو يدعو ظلما على أحد بجاه الذي خلقك إلا إن حصل ذلك على وجه سبق اللسان فإنه لا يكفر، فإن التوسل بالنبي ﷺ شرع لما فيه قربة أو قضاء حاجة، لا للوصول إلى ما يغضب الله أو رسوله.

وكذلك من الكفر الشك في الله أو اليوم الآخر أو في نبي مجمع على نبوته، أو الشك في صفة من صفات الله الواجبة له إجماعاً كوصفه تعالى بالعلم أو القدرة، أو وصفه بما يجب

تنْزيهه عنه كوصفه بالجسمية والأعضاء والجهة والحد والمكان والحلول والاتحاد . **سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً**.

ومن الكفر التكذيب بالقرآن والاستهزاء به ولو بحرف منه أو بحديث النبي وما جاء به، أو بنفي حرف من القرآن عمداً مجمعاً على أنه منه وكذلك الزيادة عليه عمداً، أو بتلاوته مع أنغام الموسيقى، وكذلك إلقاء الأوراق الشرعية عمداً في القاذورات، أو وضع البصاق عليها أو كتابة القرآن بالبول كما يفعل بعض السحرة أو السجود لشيطانٍ أو كوكب أو صنم كما يفعل ذلك بعض السحرة أو الوثنيين، وكل ما فيه عبادة لغير الله، ومن الكفر نسبة الولد لله أو الزوجة أو الشريك.

ومن الكفر تسمية معابد الكفار بيوت الله، وقول بعضهم . أنا كافر . فتقول له هذا كفر فيقول لك أنا قصدي كافر بالشيطان، فإن مثل هذا لا يعذر، ويشبه ذلك قول بعضهم . لا حمد لله ولا شكر له لا هو ربي ولا أنا أعبده . فتقول له هذا كفر فيقول لك أنا قصدي بذلك الشيطان الذي يلهي، وكذلك قول بعضهم أخلق لي كذا كما خلقك الله إن كان يفهم معنى ما يقول، وكذلك قول لو أمرني الله بكذا لم أفعله . أو لو شفع لك النبي لا أقبل، أو لو استغفر لكافر بعد موته لأنه كذب قول الله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [سورة النساء].

وكذلك يكفر من يسمي جهنم مستشفى، أو يقول لو أعطاني الله الجنة ما دخلتها، أو جهنم أحب إلي لأرى فيها فلاناً أو فلانة فإن ذلك فيه استهزاء بوعيد الله للكافرين وبعض العصاة، ويكفر أيضاً من يقول لا فرق بين مسلم وكافر، وكذلك يكفر من يقول يجب على المسلم أن يوصل زوجته الكتابية إلى أماكن عبادتهم لأن ذلك إعانة على الكفر.

ومِنَ الكُفرِ العظيم سب الله أو سب رسوله، أعاذنا الله من كل ما فيه كفر أو معصية. فإن ذلك أي الكفر سوء أدب عظيم مع الله الذي خلقنا وأمرنا بعبادته ومن المعلوم أن الإنسان إن عصى الله فإنه لا يعصيه إلا بنعمته التي أنعم بها عليه بدل أن يشكره عليها، ومع ذلك إن شكرنا فإنه سبحانه من كرمه ومنّه يثيبنا على ذلك مع أن شكره واجب علينا نسأل الله العافية...

وما ذكرته ما هو إلا أمثلة قليلة عما يصدر من بعض الناس، فإن الفقهاء ذكروا كثيراً من الأمثلة فلتراجع، وكتب الفقه على المذاهب الأربعة المعتبرة ورد فيها ما نُبَيِّنُهُ، فلا يعترض عليه إلا أحمق جاهل بالفقه والدين.

واعلم أن الكافر أصلياً كان أو مرتداً لا يصير مسلما إلا بالنطق بالشهادتين بنية الدخول بالإسلام والإقلاع عن الكفر، ويشترط أن لا يكون عازما على العود إلى الكفر، لذلك قال أهل العلم إن التشهد العادي لا ينفع للدخول في الإسلام لأنه ليس فيه نية التبرؤ من الكفر ولا نية الدخول في الإسلام إلا إذا أراد أن يتشهد بنية الدخول في الإسلام فشرد ذهنه فنسي أن يتشهد ثم بعد ذلك تشهد على وجه العادة فينفعه هذا التشهد لأنه متبرئٌ من الكفر وما منعه عن التشهد بنية الدخول في الإسلام إلا السهو، لذلك نفعه التشهد العادي ولا يلزمه أن يتشهد مرة ثانية بنية الدخول في الإسلام ولو تذكر، وإن فعل فقد حكم على نفسه بالكفر من غير سبب، ولا يعذر المتلفظ بالكفر لا في حالة المزاح ولا الجد ولا الغضب لقوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾ [سورة التوبة].

وقوله ﷺ: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً**" رواه البخاري ومسلم والترمذي والشاهد في الحديث قوله لا يرى بها بأساً، وأنه يهوي في النار سبعين خريفاً وذلك قعر جهنم ولا يصل إلى قعرها إلا كافر، فمن البلاء العظيم في هذا الزمان أن بعض المتمشيخين إذا سُئل أحدهم عن المتلفظ بمثل هذه الكلمات الصريحة بالكفر يقول هذا كفرٌ ولكن لا أحكم على قائله بالكفر، فقولهم هذا فيه عدم التفريق بين المسلم والكافر وبين الحق والباطل والنور والظلام وهذا مخالف للقرآن والسنة والإجماع فإن الشك في الكفر الصريح كفر.

١) لكن قال علماء الأصول: إن من تلفظ بلفظ كفري وهو لا يفهم معنى ما يقول بل يفهم من اللفظ معنى آخر فإنه لا يكفر، أما إن كان يفهم المعنى الفاسد من الكلمة فإنه يكفر وإن قال أنا ما قصدت ذلك للآية السابقة وللحديث السابق الذي ورد فيه **لا يرى بها بأساً**، (٢) وكذلك يستثنى من الوقوع في الكفر من نطق بالكفر في حالة غيبوبة العقل كالمجنون والنائم،(٣) وكذلك حالة سبق اللسان كالذي نطق به بلا إرادة كأن أراد أن يقول مثلاً: ما أنا من المشركين فسبق لسانه وقال: وما أنا من المسلمين، (٤) وحالة الإكراه كأن أكره بالقتل على النطق بالكفر، فنطق به وهو مطمئن بالإيمان أي من غير انشراح الصدر

لكلمة الكفر، (٥) وكذلك يستثنى من ذلك من نطق به على وجه الحكاية كأن قال: (فلان يقول كذا) فإنه لا يكفر بذلك إلا إذا كان ذلك على وجه الرضا بالكفر، فإن الرضا بالكفر كفر، (٦) وقال علماء الأصول أيضاً أن من كان قريب عهد بالإسلام أو شبهه كمن عاش في بادية بعيدة عن العلماء أو كان في مثل مجتمعنا اليوم لم يجالس العلماء وأنكر شيئاً من الدين لجهله وإن كان معلوماً من الدين بالضرورة فإنه لا يُكَفر إلا إذا كان على وجه العناد بل يعلم، هذا إذا لم يكن الأمر من القطعيات التي تعرف عن طريق العقل، ومن أمثلة ذلك أنه لا يعذر من شبه الله بخلقه أو نفى صفة من صفاته تعالى التي تعرف عن طريق العقل كوصفه تعالى بالعلم والقدرة والإرادة، ولا يعذر أيضاً من استهزأ بالله تعالى أو أنبيائه أو دينه لأن من الإيمان التعظيم لله ولكل ما عظمه الله تعالى، والاستهزاء ينافي التعظيم يعني ينافي الإيمان، (٧) وقالوا أيضاً بعدم تكفير المتأول مثل الذين منعوا الزكاة في خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنهم ظنوا أن الزكاة لا تجب عليهم إلا في حياة النبي ﷺ متأولين لقوله تعالى ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ [سورة التوبة] قالوا إن الله قرن الأمر بالزكاة مع صلاة النبي ﷺ عليهم وبوفاته ﷺ انقطعت صلاته عليهم وبما أن الزكاة مقرونة مع صلاته عليهم فقد ارتفع حكمها بوفاته، ولا شك أن هذا تأويل فاسد لكن رفع عنهم حكم التكفير لأن إنكارهم لفرضية الزكاة كان عن تأول ولم يكن عن عناد، والأمثلة على ما ذكرناه كثيرة جداً، لكن لا يعذر المتأول في القطعيات التي وقع بها المجسمة المشبهة والمنكرون للقضاء والقدر وغير ذلك مما مر معنا في المسألة السابقة.

ونعود إلى تكملة موضوع فضل العلم وذم الجهل، إن طالب العلم عليه أن يأخذ علمه بالتلقي من أهل العلم الثقات العاملين الأتقياء الذين يغارون على دين الله ويشفقون على الناس ولا يبيعون دينهم بالدنيا الفانية، فالعلم لا يكون بمجرد مطالعة الكتب كما هو حاصل عند كثير من الناس، فيفهمون الأمور على غير وجهها ويناقضون القرآن والحديث لأنهم ما أخذوا أصول العلم من أفواه العلماء بالتلقي، فالعلم يُتَلَقّى كما تلقاه الصحابة من الرسول ﷺ، ثم تلقاه منهم من بعدهم من التابعين وهكذا إلى يومنا.

قال رسول الله ﷺ: **"يا أيُّها الناس تعلموا فإنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"** رواه الطبراني. فمن البلاء العظيم في أيامنا هذه أن كثيراً ممن يدعون الإرشاد يتصدرون لإرشاد الناس وهم لا يفهمون من الدين شيئاً، وبسبب عدم التمييز عند البعض يتبعونهم فيضلون ومن أمثلة ما يحصل: أن شخصاً كان يدرس في مسجد فقال: (غدا يوم القيامة ترون الله مثل القمر مدوراً) والعياذ بالله فهذا شبه الله بالقمر لجهله بالعقيدة

ولم يفهم معنى حديث النبي ﷺ، وقال آخر في بعض مجالسه: الله . يدندل علينا رأسه من السماء فما أقبح ضلاله.

وقال آخر ناسباً لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: (أنه رأى خنْزيراً فقال له: السلام عليكم) فهذا من الضلال وعلى زعمه أنه يصف عيسى عليه الصلاة والسلام بالتواضع.

وقال آخر عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: إنه قال للكلب أنت أفضل منى) مدعياً بذلك نسبة التواضع لسيدنا موسى ﷺ ولم يعلم أن ذلك تكذيب للقرآن حيث قال تعالى إخباراً عن أنبيائه: ﴿**وكلاً فضلنا على العالمين**﴾ [سورة الأنعام].

فهناك كثير من القصص المكذوبة على الأنبياء وكذلك الأولياء تجدها في كثير من الكتب، كذلك تجد كثيراً من الفتاوى المعارضة للشرع في بعض الكتب، فهذا المطالع لها ممن لم يأخذ قواعد الدين وأصوله من أهل العلم يرويها على الناس من غير تمييز، فلا رحم نفسه ولا رحم غيره وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: "**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْق عالماً اتخذ الناسُ رؤوساً جهالاً فسئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**" رواه البخاري ومسلم.

ولا يغترَّ أحد بفصاحة إنسان وحسن أسلوبه مع جهله بالدين فإن بعض هؤلاء ينمقون كلامهم ويبرهجونه استدراجاً للعوام ليوقعوهم في الضلال وقد حذر النبي ﷺ من أمثال هؤلاء بقول: "**أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان**" رواه الروداني.

وقال التابعي محمد بن سيرين ﷺ: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) رواه مسلم.

فالحذر من أخذ العلم من غير أهله، والحذر من الفتوى بغير علم، فلا يستحي المدرس إن سئل عن شيء لا يعرفه من قول لا أدري، فإن ذلك لا يحط من قدره، فقد سئل الإمام مالك ﷺ مرة عن ثمانية وأربعين سؤالاً فأجاب عن ستة وقال عن البقية لا أدرى) روى ذلك عنه صاحبه هيثم بن جميل.

وسئل سيدنا علي كرم الله وجهه عن مسألة فقال لا أعلم وقال: (ما أبردها على كبدي أن أقول فيما لا أعلم لا أعلم).

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال محذراً من الفتوى بغير علم: "**من أفتى بغير علم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**" رواه أحمد، وما ذلك إلا لعظم الضرر الذي يحصل من جراء ذلك فليتق الله امرؤ يفعل هذا.

ومن الناس من يفتي بغير علم فيفسر آية أو حديثا برأْيه وإذا قُلْتَ له ما هذا؟ يقول: (أنا أجتهد) فيحرف الحقائق بجهله عن وجهها الصحيح وقد يؤدي به ذلك إلى الكفر أحيانا، وأقل ما يقع به هو الفُسُوق لأن الفتوى بغير علم من الكبائر.

فهذا الجاهل لا يعلم أن الإنسان ليس له أن يجتهد إذا لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد، فالمجتهدون من هذه الأمة كالأئمة الأربعة وغيرهم أفنوا حياتهم في تحصيل العلوم وسهروا الليالي حتى بسطوا لنا أمور الدين فجزاهم الله عنا خيراً وصدق من قال:

البحر البسيط

لولا الأئمة لم تؤمن لنا سبل ولكان أضعفنا نهباً لأقوانا

فيتبجح بعض المدعين اليوم فيقولون: نحن رجال وهم رجال فلماذا لا نجتهد كما اجتهدوا وهؤلاء بعضهم لا يعرف كيف تقرأ الفاتحة على وجهها الصحيح وتراه لا يعرف أحكام الصلاة ولا الصيام وغير ذلك ثم يقول: لا داعي لأن نتبع مذهبا من المذاهب الأربعة، وبعضهم يقول: هؤلاء الأئمة فرقوا الأمة باختلافهم، هذا الجاهل الذي يقول هذا الكلام إنما هو الذي يريد تفريق الأمة حيث يريد أن يكون كل إنسان على دين أو على هوىً وهذا ما يسعى إليه أعداء الأمة الإسلامية وهم وراء هذه الأفكار المسمومة التي يبثها بعض الناس في بلادنا.

من تمويه هؤلاء على الناس قولهم: (أليس المجتهد له أجر إذا أخطأ وله أجران إن أصاب) حتى يهوّنوا ذلك على الناس.

فقولهم هذا صحيح إن كان هذا الإنسان الذي اجتهد توافرت فيه شروط الاجتهاد، أما إن لم يكن مؤهلاً لذلك فمن أين له أن يجتهد وقد ثبت عن النبي ﷺ: (**القضاة ثلاثة قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار قاضٍ قضى بعلم بحق فهو في الجنة وقاض قضى بجهل فهو في النار وقاضٍ قضى بجور فهو في النار**) رواه أبو داود.

فقوله ﷺ وقاضٍ قضى بجهل يدل على أنه لما اجتهد من غير معرفة أوقع نفسه في الهلاك المؤدي إلى جهنم ولم يعذره جهله أما الحديث الذي ورد فيه: "**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر**" رواه البخاري.

فالمراد به من توافرت لديه شروط الاجتهاد، وشروط الاجتهاد كما بينها العلماء كالغزالي في المستصفى والنووي في مقدمة المجموع وغيرهما: أن يكون حافظاً لآيات الأحكام وأحاديث الأحكام مع معرفة أسانيدها ومعرفة أحوال الرواة من حيث الثقة والضعف وأن يكون عارفا بالمسائل التي أجمع عليها المجتهدون وأن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ وأن يكون ضليعاً باللغة العربية وعلم النحو ويكون ذا قريحة وذكاء لمعرفة استنباط المسائل، فهذا الذي إذا اجتهد فأخطأ له أجر وإلا فقد أفتى بغير علم والفتوى بغير علم من الكبائر كما مر معنا في الحديث الذي رواه أحمد.

وليعلم أنه لا مجال للاجتهاد في أصول العقيدة وأنه لا يعذر المخطئ في الاعتقاد بخلاف المخطئ في الاجتهاد في فروع الأحكام، فإن علماء المسلمين أجمعوا على تكفير القائلين بقدم العالم أو الذين كذبوا بالقدر أو الذين شبهوا الله بخلقه كالذين نسبوا لله الجهة أو الحيز والمكان أو وصفوه بالجسمية أو بأنه نور يملأ الفضاء أو أنه حال بالأجسام وما شابه ذلك لأن معرفة أن الله لا شبيه له من القطعيات فلا يعذر المخالف في مثل هذه الأمور وإن ادعى أنه متأول وإنما علماء المسلمين لم يكفروا بعض المتأولين فيما هو دون ذلك أي مع كونهم خالفوا الإجماع متأولين لا عن عناد.

فأصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم من أئمتنا لم يختلفوا في أصول العقيدة وإنما كان اختلافهم في الأحكام، اجتهدوا في فروعها فلم يكن في ذلك تضليل من بعضهم لبعض ولا تبديع، فكان اختلافهم في فروع الأحكام رحمة للأمة لأنه يجوز اعتناق أي مذهب من مذاهب أهل السنة التي اتفقت الأمة على توثيق أصحابها.

فبعد الذي بيناه أقول إن الواحد منا مع ما هو عليه من قلة العلم لو أراد أن يعرف أحكام الطهارة مثلا من غير طريق مذهب من المذاهب الأربعة المشهورين لعاش طول حياته يبحث في القرآن والسنة ولن يعرف، فكيف سيعرف باقي الأحكام، ومصيره بعد ذلك أنه سيقع في التناقض والبدع المخالفة كما هو حاصل في أيامنا عند كثير من العوام والفِرَقِ، وهذه هي نتيجة الجهل والتكبر على أئمة المسلمين، فجزى الله عنا نبينا ﷺ خيراً وجزى الله عنا أئمتنا خيراً.

وينبغي لصاحب العلم أن يكون على همة عالية مقدما رضا ربه على هوى نفسه فإن من كان همه الآخرة هان عليه أمر نفسه ودنياه، وبذلك يفرغ من وقته لتعليم الناس وإرشادهم، فإن تقصير بعض العلماء في تعليم الناس وتقصير العوام عن طلب العلم أدى إلى ما نحن فيه من الفتن والتخبط.

وإن كتم العلم الواجب تعليمه مع وجود الطالب حرام، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: (من سئل عن علم فكتمه أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار) رواه ابو داود والترمذي.

وقال ﷺ: "**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**".

وقال جل جلاله: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [سورة آل عمران].

وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ [سورة التحريم].

قال علي رضي الله عنه في هذه الآية: **﴿علموا أنفسكم وأهليكم الخير﴾** أي أن وقاية النفس والأهل من عذاب الله في الآخرة هي بتعلم علم الدين، وعلم الدين الواجب على كل مسلم هو علم ما يصح به اعتقاده ومعرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج وبعض أمور المعاملات وأحكام الزواج ومعرفة الأمور المحرمة حتى لا يقع بها وكل أمر إذا أراد القيام به يجب عليه أن يعرف حكم الدين فيه، فهذه الأمور هي فرض عين على كل مسلم وهي المعنية بقوله ﷺ: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**" وقوله كل مسلم يشمل الذكر والأنثى وأما باقي العلوم كعلم التفسير والنحو والطبابة وغيرها مما يحتاج اليها المسلمون فهي فرض كفاية فإذا قام بها العدد الكافي سقط الإثم عن الباقي.

فالعلم أخي المسلم هو مفتاح أبواب الخير وهو أول طريق السالك ولا تقوى من غير علم، ولا يغرنك بعض المنتسبين إلى التصوف حيث قال بعضهم أنا علي بالتقوى ثم الله يعلمني عن طريق الرؤيا أو غير ذلك من غير أن أتلقى العلوم من معلم ثم قال أليس الله يقول:(واتقوا الله ويعلمكم الله) فهذا ما فهم معنى الآية، فإن معنى الآية هو أن الإنسان إذا اتقى الله بأن تعلم الواجب عليه من أمر الدين ثم أداه واجتنب المعاصي واستقام على ذلك مع الإكثار من النوافل، فتح الله عليه وعلمه من العلم اللدني الذي علمه لسيدنا الخضر عليه السلام، وإلا فكيف يتقي الله وهو لم يعرف كيف حقيقة التقوى.

لذلك إن عددا ممن يزعمون السلوك لطرق أهل الله تزندقوا لأنهم سلكوا من غير فقه في دين الله، فسولت لهم أنفسهم ووسوس لهم الشيطان بأنهم على شيء فصاروا لا يقبلون من أحد، لأن أحدهم على زعمه صار أعلى من باقي الناس فصاروا يشطحون، ويتكلم بعضهم بما هو كفر صريح من غير أن يكون في غيبوبة عقل كقول بعضهم . أنا الله . أو كفرت بدين الله، وهناك كثير من الأناشيد التي يرددونها فيها ما هو مخرج من دين الله كقول بعضهم: (ما الكون إلا القيوم الحي) وقول بعضهم عن الله (أنت أنا وأنا أنت) وغير ذلك، وأحذر من كتاب مزامير داود فإن فيه كثيراً من الأناشيد التي دخلها التحريف، وكثير من كتب الأناشيد والكتب التي تحتوي على الأوراد والفوائد التي نراها هذه الأيام مليئة بالكلام المسموم، فإن الإنسان الذي لم يحصل العلم الذي يؤهله التمييز يتضرر بمطالعة هذه الكتب، أما المتمكن في علم الدين فإنه يستطيع أن يأخذ ما هو صحيح من هذه الكتب ويترك ما هو فاسد فعليك بتعلم الواجب عليك قبل كل شيء لتسلم.

(البحر الوافر)

فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال من الحرام

فلا تستحي من أن تأتي أهل العلم لتتعلم وتسأل عن أمر دينك واصبر على ذلك فإن الصبر في الدنيا على طاعة الله أهون بكثير من عذاب الله في الآخرة ولئن تلق الله وهو راضٍ عنك أعظم من ان تلقاه وهو ساخط عليك حيث خلقك ومَنَّ عليك بكل نعمة أنت تنعم بها ولم يكلفك من الأوامر أكثر من طاقتك ومع ذلك فإن أكثر الناس غافلون، ولا يستحون من الذي لا يغفل ولا يسهى ويتجرؤون على الكفر والمعاصي، يعصونه سبحانه بنعمه التي هو أنعم عليهم بها ولا حول ولا قوة إلا بالله. (البحر الطويل)

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وأختم هذا الفصل بأبياتٍ من كتاب ديوان الشافعي رضي الله عنه: (البحر الطويل)

اصبر على مر الجفا من معلم ... فإن رسوخ العلم في نبراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعاً لوفاته

وذات الفتـــى والله بـــالعلم والتقـــى إذا لـــم يكونـــا لا اعتبـــار لذاتـــه

إعلم أيُّها القارئ أن الغرض من تأليف مثل هذه الكتب، أي كتب المناقب وأخبار الصالحين، ليس لمجرد رواية الحكايات وإنما لنعرف كم مَنَّ الله على أمة سيدنا محمد ﷺ حيث جعل فيها من العلماء والأولياء والمجاهدين ما لا يحصيه إلا هو ولم يكن ذلك بهذا القدر في كل الأمم السابقة مجتمعة، فإن مثل هذه الكتب من شأنها أن تشد عزيمة القارئ ليشمر عن ساعده ويعمل قدر المستطاع ليلحق بالأوائل ويحشر معهم: فإن المرء يحشر يوم القيامة مع من أحب ومن معاني المحبة الموافَقةِ أي موافقة من تحب، فهذا سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ لما كان عام الرمادة أكل الزيت لمدة سنة ولما عرض عليه ولده عبد الله والسيدة عائشة أن يأكل اللحم والسمن ليتقوى بذلك على القيام بطاعة الله وعلى شؤون المسلمين ، قال: (صدقتما ولكن تركت صاحِبَيَّ على جادة لئِن زحت عنها لِن أبلغهما في المنْزل)

يعنى أنه في تلك المجاعة صار يأكل ما يأكله أفقر الناس مع استطاعته أكل أفخر المطعومات زهداً منه اقتداء بالنبي الأعظم ﷺ وأبي بكر الصديق الأكبر ﵁ حتى يحشر معهما، فهذه من علامات المحبة، **(إن المحب لمن يحب مطيع)**.

وهكذا في كل زمان يوجد رجال عظام على طريق سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ قال سيدنا علي كرم الله وجهه لكميل بن زياد: (لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة).

ومن هؤلاء الرجال الذين برزوا سيدنا وقدوتنا الإمام المجدد الطراز المذهب والباز الأشهب قدوة العارفين وسلطان الأولياء وشيخ الأقطاب وعلم الشريعة والحقيقة العالم الرباني عبد القادر الجيلاني ﵁ وقدس سره العزيز

فإن ذكره الطيب وسيرته العطرة تهيجان القلب والجوارح وتشدان الهمم لسلوك الطريق للوصول إلى مرضاة الله عز وجل وذلك لمن كان له فهم وعزيمة والله تعالى هو الموفق لكل خير، اللهم افتح لنا أبواب الخيرات ووفقنا للوصول إلى مرضاتك يا أكرم الأكرمين.

وهذه سيرته ومناقبه أقدمها إليك أيها القارئ على قدر المستطاع مع اعترافي بالتقصير وابدأها بذكر نسبه الطاهر الشريف.

ذكر نسبه الشريف

أقول هو سيدنا الإمام محي الدين شيخ الإسلام أبو محمد أبو صالح عبد القادر الجيلاني قدس سره ابن السيد الشريف أبي صالح موسى جنكي دوست وقيل جنكا دوست (ومعناه يحب القتال وجنكي دوست لفظ أعجمي) ابن السيد الشريف عبد الله الجيلي ابن السيد محمد ابن الإمام يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله الرضا ويلقب بالشيخ الصالح أيضاً ، ابن الإمام موسى الجَوْن ابن الإمام عبد الله المحض ويقال الكامل أيضاً أي الخالص حيث لم يدخل فيه نسب آخر، ابن الإمام الحسن المثنى ابن السيد الإمام الجليل الخليفة الخامس وسيد شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن ابن السيد الإمام أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب ﵁ وعنهم أجمعين، وهو زوج السيدة الطاهرة الزهراء فاطمة البتول رضي الله عنها، بنت سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقدوتنا وقرة أعيننا أفضل الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين ورسوله إلى جميع خلقه محمد ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهربن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدٍّ بن عدنان، ونسب عدنان إلى سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل منهم أجمعين.

ويتصل نسب باز الله الأشهب بسيدنا الإمام الحسين السبط ﵁ من طريق أمِّهِ أَمَةَ الجبار السيدة الجليلة أم الخير فاطمة وكانت معروفة في جيلان بالزهد والتقوى والورع، وهي

بنت الشيخ السيد عبد الله الصومعي الحسيني أحد مشايخ جيلان ومن رؤساء زهادهم له الأحوال السنية والكرامات الجلية.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد القزويني في الشيخ عبد الله الصومعي: كان مجاب الدعوة إذا غضب انتقم الله له وإذا أحب أمراً يسره الله له، وكان مع ضعف قوته وكبر سنه كثير النوافل دائم الذكر ظاهر الخشوع صابراً على حفظ أحواله ومراعاة أوقاته ، ولقد كان يخبر بالأمر قبل وقوعه فيقع كما يخبر.

قال: وحكى لنا بعض أصحابنا أنهم خرجوا تجاراً في قافلة فخرجت عليهم خيل في صحراء سمرقند قال فصحنا بالشيخ عبد الله الصومعي فإذا هو قائم بيننا ونادى سبوح قدوس ربنا الله تفرقي يا خيل عنا ، ففرت بهم في رؤوس الجبال وبطون الأودية وسلمنا منهم، وطلبنا الشيخ من بيننا فلم نجده ولم نر أين ذهب، ولما رجعنا إلى جيلان وأخبرنا الناس بذلك قالوا والله ما غاب الشيخ.

وقد ظن بعض الذين ألفوا في مناقب الشيخ عبد القادر أن نسبه يعود إلى الحسين ﵁ وذلك بسبب وفاة والد الشيخ عبد القادر وهو طفل فكان الذي يعتني به بعد وفاة والده، الشيخ الزاهد عبد الله الملقب بالصومعي فكان البعض يقول عن الشيخ عبد القادر في طفولته ابن عبد الله الصومعي والبعض يقول وخصوصاً حين قدم بغداد هذا سبط الشيخ عبد الله الصومعي وهذا هو الصحيح، فيكون السيد عبد القادر نال البركة عن طريق والده الحسني وعن طريق والدته بنت الشيخ عبد الله الصومعي الحسيني ابن السيد الشريف جمال الدين محمد ابن السيد الشريف أبي العطاء عبد الله ابن السيد الشريف كمال الدين عيسى ابن السيد الشريف الإمام أبي علاء الدين محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام الهمام السيد زين العابدين علي السجاد ابن الإمام الهمام سيد شباب أهل الجنة الشهيد بكربلاء أبي عبد الله الحسين السبط ﵁ وعنهم أجمعين.

كما يتصل نسب سيدي القطب الرباني بالخليفة سيدنا الصديق الأكبر ﵁، فإن والدة السيد عبد الله الشيخ الصالح ابن السيد موسى الجَوْن اسمها أم سلمة رحمها الله تعالى بنت السيد محمد ابن السيد طلحة ابن السيد عبد الله ابن السيد عبد الرحمن ابن سيدنا أبي عبد الرحمن عبد الله العتيق أبي بكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ بالغار ﵁

وأيضاً من طريق والدته، فإن أم الإمام جعفر الصادق هي فروة بنت القاسم بن محمد ابن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ

وقد ورد في آخر كتاب فتوح الغيب أن نسب الإمام عبد القادر يتصل أيضاً بالفاروق عمر وذى النورين عثمان رضي الله عنهما ، وذلك أن والدة الإمام عبد الله المحض الجد التاسع لسيدنا الغوث الجيلاني تزوجت بعد وفاة زوجها الحسن المثنى، السيد عبد الله بن المظفر بن عمر بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أجمعين.

ووالدة السيد عبد الله بن المظفر المتقدم ذكره اسمها حفصة بنت الإمام عبد الله ابن سيدنا ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ﷺ. وبهذا يكون نسب الإمام الجيلاني قدس سره من أعرق الأنساب.

قد شكك بعض نسابة الشيعة في صحة نسب الباز عبد القادر بل أنكره بعضهم منهم ابن عنبة أحمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٨٢٨ هـ.

قال الدكتور يوسف زيدان في كتابه: الشيخ عبد القادر الجيلاني: "وحجته (أي ابن عنبة) أن كلمة جنكى دوست عجمية، أقول إن اسم والد الشيخ عبد القادر موسى، وجنكى دوست هو لقبٌ لُقِّبَ به ومعناه الذي يحب القتال وأي غرابة في ذلك وخصوصاً إذا كان يعيش في جيلان وهي بلاد عجمية وكم من الأشراف في البلاد العجمية تسموا بأسماء عجمية فهل يمنع هذا كونهم من الأشراف..

ويحتج أيضاً بأن السيد عبد الله بن يحيى الزاهد لم يخرج من الحجاز، فيقال ما المانع بأن ولده خرج من الحجاز ، فلا حجة عندهم. أهـ

قلت: ثم إن الشيخ عبد القادر نقل عنه أنه كان ينسب نفسه إلى أهل بيت النبوة كما ذكر ذلك عدد من الذين ألفوا في مناقبه، وسيأتي ذكر بعض كلام الشيخ عبد القادر في هذا الشأن.

إلا أني أذكر الآن ما نقله التادفي في قلائد الجواهر أن الشيخ عبد القادر ﷺ قال: رأيت في المنام كأني في حجر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأنا أرضع ثديها الأيمن ثم أخرجت ثديها الأيسر فرضعته، فدخل رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة هذا ولدنا حقاً.

وقد حصل بعض الاختلاف في بعض التراجم فذكر البعض أن الشيخ هو بن عبد الله الجيلي بن موسى، والبعض ذكر أنه ابن موسى بن عبد الله وهو الصواب، وقال بعضهم إنه من ذرية سيدي الإمام الحسين ﵁ والصواب أنه من ذرية سيدي الإمام الحسن ﵁. مع اتصاله بنسب الإمام الحسين.

وقد قال في ذلك سيدي الشيخ القاضي عماد الدين نصر ابن سيدي الشيخ عبد الرزاق ابن سيدي الإمام عبد القادر قدس الله أسرارهم: (بحر الرمل)

نحـــن مـــن أولاد خيـــر الحســـنين	**مـــن بـــه أصـــلح بـــين الفئتـــين**
يشـــبه المختـــار فـــي أعـــلاه إذْ	**كـــان أدنـــاه شـــبيهاً بالحســـين**
ســـر كتمـــان أبينـــا أصـــله	**أنـــه قـــال بـــأن الفقـــر زيـــن**

ونسب الإمام عبد القادر إلى النبي ﷺ مشهور ذكره عدد كبير من النسابة والمؤرخين وأصحاب التراجم والطبقات ممن لهم شهرة كبيرة ودراية عالية ومن نواحي شتى من البلاد الإسلامية فلا ينكره إلا حسود أو جهول. (البحر الكامل)

نســب عليــه مــن شــمس الضــحى	**نــورا ومــن فلــق الصــباح عمــوداً**
مـــا فيـــه إلا ســـيد مـــن ســـيد	**حـــاز المكـــارم والتقـــى والجـــودا**
أكـــرم بـــه نســـباً شـــريفا رصـــعت	**فـــي جيـــدهِ أيـــدي الزمـــان عقـــودا**
قـــد حـــاز فخـــراً فـــي كـــرام ســـادةٍ	**لبســـوا مـــن الشـــرف الجليـــل بـــرودا**

ترجمة موجزة لأجداد الإمام عبد القادر الجيلاني ﷺ

(١)

السيدة البتول فاطمة الزهراء (رأس أهل البيت)

سيدة نساء الأمة عليها السلام ورضي الله عنها.

وهي بنت سيد الأولين والآخرين سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، عبد الله ورسوله إلى جميع الخلق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وهي رضي الله عنها أصغر بنات النبي ﷺ سناً، فعلى الترتيب: السيدة زينب هي الأولى، زوجة أبي العاص بن الربيع ثم السيدة رقية، ثم السيدة أم كلثوم، زوجتا سيدنا عثمان ﷺ ثم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهن.

وكان ولد للنبي ﷺ قبلهن سيدنا القاسم عليه السلام مات صغيراً. وولد له بعد مبعثه ﷺ سيدنا عبد الله، المسمى بالطيب والطاهر، ومات صغيراً، وقيل: الطيب والطاهر) ولدان آخران.

وآخر أولاد النبي ﷺ هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولد في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة، وأمه مارية القبطية بنت شمعون التي أهداها إليه الملك المقوقس ملك مصر، دخل بها النبي ﷺ وهي ملك يمين بعدما أسلمت، وقد عاش سيدنا إبراهيم نحو سبعة عشر شهراً، ومات في السنة العاشرة من الهجرة قبل وفاة النبي ﷺ بنحو ثلاثة أشهر.

وما عدا سيدنا إبراهيم كلهم من السيدة خديجة الكبرى ﷺ أجمعين.

ولدت السيدة فاطمة رضي الله عنها قبل البعثة بخمس سنين وقيل بنحو سنة.

وقد روى الحافظ الدمشقي مرفوعاً: "وإنما سميت فاطمة لأن الله تعالى قد فطمها وذريتها من النار".

وروى النسائي: "لأن الله فطمها ومحبيها من النار".

وأما تسميتها بالزهراء: "فلما زانها الله تعالى به من جمال وجلال وصفاء لون وإشراق وجه وشبه برسول الله ﷺ الذي كان أجمل الناس وجهاً، وهو أزهر اللون، أي أبيض مشرب بالحمرة ﷺ.

وأما تسميتها بالبتول فلأنها كانت منقطعة عن ملذات الدنيا وشهواتها فلا يشغل قلبها إلا حب الله وذكره تعالى.

وبعد هجرة النبي ﷺ وبعد شروعه ببناء مسجده ومنازله أرسل زيدَ بن حارثة وأبا رافع رضي الله عنهما لإحضار زوجته أم المؤمنين سودة بنت زمعة وبنتيه السيدة أم كلثوم والسيدة فاطمة ومن آل أبي بكر سيدتنا عائشة وأمها، فتعرض لهن بعض لئام قريش فنجاهن الله تعالى منهم.

وأما زواجها من سيدنا علي عليه السلام فكان بعد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، وبنى بها في شهر ذي الحجة وقيل في ذي القعدة.

وقيل إن زواجها كان بعد معركة أحد.

وكان سنها آنذاك خمس عشرة سنة وأشهراً، وكانت سن سيدنا علي رضي الله عنه يومئذ إحدى وعشرين سنة وأشهراً، وقيل: كان سنها تسع عشرة سنة وقيل عشرين.

وقد روى النسائي وابن حبان وغيرهما: أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تقدما لخطبة السيدة فاطمة رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ : "إنها صغيرة، فخطبها علي رضي الله عنه فزوجها منه".

وورد أيضاً: أن النبي ﷺ كان قد وعد بها علياً رضي الله عنه، فلما تقدم لخطبتها كل من سيدنا أبي بكر وعمر اعتذر لهما لسابق وعده لعلي، كما رواه ابن سعد في طبقاته.

ولما تزوجت دعا لها رسول الله ﷺ قائلاً: "**اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**" قبل دخول علي رضي الله عنه عليها، ودعا لهما أن يبارك الله لهما في ذريتهما.

- **أولادها:**

رزقت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من الأولاد ساداتنا الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم ورقية عليهم السلام.

فأما رقية فماتت قبل البلوغ، وأما محسن فمات صغيراً.

وأما السيدة زينب فقد تزوجت من ابن عمها السيد عبد الله ابن سيدنا جعفر الطيار ابن أبي طالب فولدت له علياً، وعونا، وجعفرا، وعباساً وأم كلثوم، وماتت رضي الله عنها عنده.

وأما أم كلثوم رضي الله عنها فقد تزوجت من أمير المؤمنين سيدنا عمر الفاروق ﵁.

روى ابن سعد في طبقاته وغيره: خطب عمر ﵁ أم كلثوم إلى علي ﵁، فقال (أي عليّ): إنما حبست بناتي على بني جعفر، فقال: زوجنيها، فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من كرامتها ما أرصد. قال: قد فعلت، فجاء عمر ﵁ إلى المهاجرين بين القبر والمنبر، فقال: رفئوني، فرفؤوه، فقالوا من تزوجت؟ قال: بنت علي ﵁، إن النبي ﷺ قال: " **كل نسب وسبب سيقطع يوم القيامة إلا نسبِي وسبَبِي**". وكنت قد صاهرت[١]، فأحببت هذا أيضاً. وأمهرها سيدنا عمر ﵁ أربعين ألفاً. وولدت له زيداً ورقية، مات زيد صغيراً وأما رقية فقد تزوجت من إبراهيم بن نعيم بن عبد الله النحام فماتت عنده ولم تلد، وانقطع النسب الشريف من جهتهما. وقيل أن زيداً مات رجلاً.

- **وأما فضائلها وخصائصها رضي الله عنها فكثيرة جداً منها:**

أنها ابنة خير خلق الله ﷺ .

وأنها أفضل إخوتها، ففي المستدرك للحاكم وغيره أن النبي ﷺ قال: "**أحب أهل بيتي إلي فاطمة**".

---

[١] يعني بزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من إبنته حفصة رضي الله عنها

وفي المستدرك أيضاً: "أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سُئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة، فقيل: فمن الرجال قالت: زوجها، إن كان ما علمت صواماً قواماً ".

هذا لا يتعارض مع الحديث الذي ورد فيه حب النبي للسيدة عائشة وأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وروى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا دلاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها".

وفي رواية: "أنها كانت تقبل يده ﷺ" كما في سنن أبي داوود والترمذي والمستدرك وصحيح ابن حبان.

وفي مسند الإمام أحمد وشعب الإيمان للبيهقي: "**عن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة رضي الله عنها**".

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: "**أن النبي ﷺ زارها في مرض وفاته فبكت ثم زارها ثانية فضحكت، فأخبرت بعد وفاته ﷺ انه في المرة الأولى أخبرها بقرب وفاته فبكت، وفي المرة الثانية قال لها: "يا فاطمة، أما تحبين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ "قالت فضحكت**".

وفي رواية: "**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة وأنك أول أهلي لحوقاً بي، فضحكت**".

ومما جاء في فضلها على النساء أن الحافظ أبا داود سئل أيهما أفضل خديجة أم عائشة فقال: خديجة أقرأها النبي ﷺ السلام من ربها، وعائشة أقرأها السلام من جبريل فالأولى أفضل،

فقيل له: من أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: قال رسول الله ﷺ **"فاطمة بضعة مني ولا أعدل ببضعة رسول الله أحدا"**

- **ومن خصائصها:**

"انه لما أراد سيدنا علي ﷺ أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة رضي الله عنها، قال النبي ﷺ : "**إني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً**".

وفي رواية ذكر فيها: " **ان فاطمة بضعة مني، وأنا أكره ما يسوؤها**".

وفي رواية: "**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني**".

وفي رواية: "**فإنما هي بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها**" هذه الروايات بعضها في البخاري ومسلم وبعضها في أبي داود والنسائي والترمذي والطبراني.

ومن خصائصها أن من كان منسوباً إليها فهو منسوبٌ إلى النبي ﷺ، لقول النبي ﷺ: "**إن فاطمة بضعة مني**".

وللحديث الذي رواه مسلم وغيره، عن عائشة رضي الله عنها قالت:"**خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ**[1] **مرجَّل**[2] **من شعر أسود: فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**".

وفي رواية قال: "**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**".

---

١. مِرطُ: معناه ثوب غير مخيط قد يكون من الصوف أو الخز أو الكتان.

[٢] . مرجَّل: من برود اليمن أي كان بردة يمانية، أو عليها نقوش لأنها تأتي بهذا المعنى كما في لسان العرب.

وللحديث الذي رواه النسائي: أن النبي ﷺ: "**كان يقول لفاطمة رضي الله عنها: ادعي لي ابنيّ (يعني الحسن والحسين) فيضمهما إليه ويشمهما**"، وغير ذلك من الأحاديث التي سيأتي ذكر بعضها وهذه خصوصية لها رضي الله عنها.

وكون هذه الذرية الطاهرة منها دون إخوتها، يدل على علو قدرها وشرفها وسيادتها في الدنيا والآخرة.

- **دعاء النبي ﷺ بالبركة في نسل علي وفاطمة عليهما السلام**

روى النسائي في عمل اليوم والليلة: أن نفراً من الأنصار قالوا لعليّ ﷺ: لو كانت عندك فاطمة، فدخل ﷺ على النبي ﷺ يعنى ليخطبها فسلم عليه فقال: ما حاجتك يا ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال: مرحباً وأهلاً ولم يزده عليها فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ذلك بعد ما زوجه قال: يا علي لا بد للعرس من وليمة، قال سعد ﷺ: عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة، قال فلما كان ليلة البناء قال: لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعا ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما. ورواه آخرون مع حذف بعضه كما قال ابن حجر الهيتمي المكي في الصواعق المحرقة.

وهكذا نرى أن هذا النسل المبارك الشريف قد ملأ الأرض بدعوة النبي ﷺ وذلك عن طريق السبطين الحسن والحسين عليهما السلام.

قال النسابة الشريف إيهاب بن يعقوب الكتبي الحسني في كتابه المنتقى بما معناه: أن ذرية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي أكبر ذرية اليوم وأنها تعد بالملايين.

توفيت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة وقيل ثمان وعشرين وقيل غير

ذلك بعد وفاة أبيها ﷺ بستة أشهر، فكانت أول أهله لحوقاً به، وغسلها زوجها الإمام علي رضي الله عنه وصلى عليها، وقيل أن الذي صلى عليها العباس رضي الله عنه وقيل أبو بكر رضي الله عنه، ودخل في قبرها علي والفضل بن العباس رضي الله عنهم ودفنت ليلاً في البقيع. وكان سبب وفاتها مرض أصابها بسبب كمدها على أبيها ﷺ. ومروياتها في كتب الحديث ثمانية عشر حديثاً. قدّس الله روحها الطاهرة ورضي عنها وأمدنا بمددها . آمين

(٢)

أمير المؤمنين سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين

وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي ﷺ وصهره ووصيه ووارثه.

هو عليه السلام سيدنا علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف القرشي، ومن أسمائه حيدرة، ويكنى بأبي الحسن وأبي تراب وأبي الريحانتين وأبي السبطين.

ومن أسمائه وألقابه: أسد الله وسيفه . وسيد العرب . ويعسوب الدين ويعسوب الأمه . والمرتضى . والأمين . والشريف . والهادي . والمهتدي . وذو الأذن الواعي . والفاروق . والصديق الأكبر . وباب مدينة العلم . وباب دار الحكمة . ومصباح التوحيد.

وقد روى محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري في الرياض النضرة في باب مناقب سيدنا علي وخصائصه، أن رسول الله ﷺ قال: "**من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوحٍ في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب**" وفي رواية، زاد: "**وإلى يوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب**" (يعني من باب التشبيه) وهو أقرب العشرة نسباً من رسول الله ﷺ.

وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أول هاشمية تزوجت هاشمياً، أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة المنورة، وشهدها النبي ﷺ وتولى دفنها، ونزع قميصه وألبسها إياه، وكان ﷺ يسميها أماً لأنها ربته، وهي أم سائر أولاد أبي طالب.

ولد ﵁ لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، في بيت الله الحرام، كما رواه ابن سعد في الطبقات وإخوته: طالب مات قبل البعثة، وعقيل وجعفر وعلي أصغرهم وكل واحد أكبر من الآخر بعشر سنين، وله أختان أم هانئ فاختة، وجمانة، وكل أولاد أبي طالب أسلموا إلا طالباً.

ومن خصائص سيدنا علي ﵁ كفالة النبي له وذلك قبل البعثة، وسبب ذلك ضائقة نزلت بأبي طالب، فتكفل العباس جعفرا رضي الله عنهما، والنبي ﷺ علياً.

فلما بعث ﷺ كان أول من أسلم بعد السيدة خديجة، وأول من صلى مع رسول الله ﷺ .

ومن خصائصه في الهجرة إبقاء النبي ﷺ له في مكة في فراشه مكانه ليفتديه بنفسه، وليرد الودائع والأمانات لأصحابها، فمكث في مكة ثلاثة أيام ثم لحق بالنبي ﷺ، وهذا يدل على شجاعته وقوة ثباته.

وقد شهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا يوم تبوك خلفه الرسول ﷺ على أهله والمدينة، ولما قال له سيدنا علي ﵁: يا رسول الله ما تخلفت عنك في غزاة قط قبل هذه: قد زعم المنافقون أنك خلفتني استثقالاً فقال النبي ﷺ : "**كذبوا ولكن خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي، أفلا ترضى أن تكون مني بمنْزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي**".

ومن خصائصه تزويجه بالسيدة فاطمة الزهراء، وكونه أباً لذرية النبي ﷺ .

ومن خصائصه استثناؤه مع النبي ﷺ دخول المسجد وهو جنب: ومن خصائصه: أنه أول من قام بجمع القرآن، روي أنه جمعه على تنْزيله.

ومن خصائصه قيامه بغسل النبي ﷺ، والعباس والفضل وقثم يساعدونه، وخصائصه رضي الله عنه وفضائله كثيرة جداً.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: "ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي" ذكره الهيتمي في الصواعق. وهو أول خليفة أبواه هاشميان.

بويع له بالخلافة سنة خمس وثلاثين للهجرة بعد استشهاد سيدنا عثمان بخمسة أيام، يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة، وقد شُغل رضي الله عنه مدة خلافته عن الفتح بإزالة الفتن التي حصلت بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وكان رضي الله عنه على الحق في كل حروبه. فقد روى البزار والطبراني أن سيدنا علياً رضي الله عنه قال: "أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين".

(والناكثون) أهل الجمل لأنهم نكثوا بيعته، (والقاسطون) أهل الشام لأنهم جاروا عن الحق في عدم مبايعته، (والمارقون) أهل النهروان (الخوارج).

وروى الطبرى في الرياض النضرة،: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: "**إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا: قال عمر: انا هو يا رسول الله ، قال: لا ولكن خاصف النعل**" وكان أعطى علياً نعله يخصفها. أخرجه أبو حاتم. وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر.

استشهد رضي الله عنه يوم الجمعة سحراً لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين للهجرة عن عمر ثلاث وستين سنة، واختلف في موضع دفنه فقيل في قصر الإمارة بالكوفة، وقيل في رحبة الكوفة، وقيل: بنجف الحيرة، قال ابن الأثير في الكامل: والأصح أن قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرك به. وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن بثلاثة أثواب بيض ليس فيهن قميص، وصلى عليه الحسن. والذي قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الشقي الملعون.

روى الطبري في الرياض النضرة وغيره: عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: **"من أشقى الأولين يا علي؟ قال: الذي عقر ناقة صالح عليه السلام، قال: صدقت فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال رسول الله ﷺ. أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه، وأشار إلى يافوخه"**، فكان علي يقول لأهله: والله لوددت إن لو انبعث أشقاها.

وروى الهيتمي في الصواعق وغيره: أن سيدنا علياً ﵁ قال على المنبر بالكوفة: "وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهدٌ عَهَدَهُ إلي حبيبي ؟أبو القاسم ﷺ.

ولما أصيب دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لهما: "أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى منها عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم أنصاراً، واعملا لله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا تواثق أمراً دونهما، ثم قال أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله إلى أن قبض كرم الله وجهه.

وروي أيضاً أن من جملة وصيته بعد كلام طويل في آخرها قال: "يا بني عبد المطلب، لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً، تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي، انظروا، إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة، ولا تمثلوا به، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**، الخ والأخبار التي تتعلق بهذا الموضوع كثيرة، منها أن ابن ملجم قتل ومثل به ثم أحرق.

صفته ﵁: كان عليه السلام شديد السمرة حسن الوجه كالقمر ليلة البدر، أدعج العينين عظيمهما كثير التبسم، عظيم البطن مع كونه قليل الطعام، عظيم اللحية بيضاءها، كثير شعر الصدر، ربعة من الرجال إلى الطول أقرب، عريض ما بين المنكبين عظيم الكراديس، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق.

- ذكر بعض سيرته وفضائله:

منها ما رواه ابن سعد أنه ﷺ: لم يعبد الأوثان قط لصغره". وقال الهيتمي في الصواعق: ونقل أبو يعلى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء". ومنها أنه لم يشرب الخمرة.

ومن فضائله أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يذكرون . أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم . أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، قال ودعا له فبرئ حتى كان كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية**".

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: "**آخى النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي ﷺ تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال ﷺ أنت أخي في الدنيا والآخرة**".

وروى مسلم ﷺ، عن علي ﷺ قال: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأميّ إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق".

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا ﷺ.
"ولما سأل عليّ رسول الله ﷺ: أينا أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: "**فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز عليَّ منها**" رواه الطبراني.

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط والحاكم وابن عدي والترمذي، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أنا مدينة العلم وعلي بابها**".

وأخرج البزار عن سعد ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ لعلي: "**لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**".

وروى الحاكم وصححه عن أم سلمة قالت: "**كان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا علي**".

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من سب علياً فقد سبني**".

وللحاكم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله**".

وأخرج الترمذي والحاكم أن النبي ﷺ قال: "**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان**".

وللشيخان عن سهل، أن النبي ﷺ **وجد علياً مضطجعا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي ﷺ يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب، فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه لأنه ﷺ كناه بها.**

ومن فضائله مع ذكر غيره معه ما ذكره الطبرى في الرياض النضرة وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "**لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي**".

وفي رواية: "**لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن...**" أخرجه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه.

وروى الطبرى في الرياض أيضاً في فضل عدد من الصحابة منهم علي رضي الله عنهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، "**أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وسعداً وسعيداً كانوا يعني على حراء فتحرك الجبل فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد، فسكن حراء**".

وروي عنه ﷺ : "**أرحم هذه الأمة بها أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأفرضهم زيد بن ثابت وأقضاهم علي بن أبي طالب وأصدقهم حياء عثمان بن عفان وأمين هذه**

الأمة أبو عبيدة بن ا لجراح وأقرؤهم لكتاب الله عز وجل أُبي بن كعب وأبو هريرة وعاء من العلم وسلمان عالم لا يدرك ومعاذ ابن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر". ذكره الهيتمي في الصواعق وذكر روايات أخرى قريبة منه.

كان ﷺ من أعلم الصحابة وأقضاهم روى ابن سعد عنه: قال : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولاً ولساناً ناطقاً وإنه الوحيد من بين الصحابة الذي كان يقول: "اسألوني" وكان في آخر حياته يقول: "اسألوني قبل أن تفقدوني".

وأما شجاعته وقوته فما حارب جيشاً إلا هزمه وما بارز فارساً إلا غلبه وما صارع رجلاً إلا صرعه.

ومن صفاته ما نقله الهيتمي وغيره، أن معاوية قال لضرار بن حمزة صف لي عليا فقال: اعفني، فقال: أقسمت عليك بالله فقال: كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا ـ لا نكاد نكلمه هيبة له، يُعَظِمُ أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد: لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ـ أي اللديغ ـ ويبكي بكاء الحزين يقول: يا دنيا غري غيري ألي أو إليَّ تشوفت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك.

ومن كراماته: أنه تترس بباب حصن خيبر، فلما ألقاه ما استطاع أن يحمله إلا أربعون رجلاً.

ومن كراماته: أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره والوحي ينْزل عليه، وعلي لم يصل العصر فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس فقال النبي ﷺ: "**اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت**".

قال: الهيتمي في الصواعق المحرقة: وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي . أي عياض . في الشفا وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردوا على جمع قالوا إنه موضوع.

ومنها أيضاً: "أنه حدث بحديث فكذبه رجل فقال له: أدعو عليك إن كنت كاذباً، قال أي الرجل: ادع، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره". ذكره الهيتمي.

ومنها ما نقله المحب الطبرى في الرياض النضرة، عن الأصبغ قال: "أتينا مع علي رضي الله عنه فمررنا بموضع قبر الحسين رضي الله عنه، فقال علي: ههنا مناخ ركائبهم، وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد ﷺ يقتلون بهذه العوصة تبكي عليهم السماء والأرض وروى الإمام أحمد: "**أن النبي ﷺ بعث إلى علي رضي الله عنه يوم خيبر فقال له: يا رسول الله إني أرمد العين، قال أي علي . فتفل في عيني وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد**" قال علي: "فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ". وكراماته عليه السلام كثيرة

وأما كلامه رضي الله عنه: فلم ينقل عن أحد من الصحابة ما نقل عنه، فهو أحد أعظم العلماء الربانيين الذين أنطقهم الله بالحكمة مع بلاغة عز نظيرها.

هذا وقد روى أصحاب السير والتواريخ والمناقب كثيراً من ثناء الإمام علي على ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة ومن ثنائهم عليه وعلى عظم المحبة التي كانت فيما بينهم، وعلى أنه لم يكن بينهم غل أوحسد: كيف يكون ذلك وقد ورد في فضلهم مئات الأحاديث ما بين صحيح وضعيف: وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز.

قال الله عز وجل: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ [سورة التوبة]. وغير ذلك من الآيات البينات.

وعلى سيرة سيدنا علي رضي الله عنه سار بقية أهل البيت، ساداتنا الحسن والحسين والحسن المثنى ومحمد النفس الزكية، وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق، والعباس وأولاده،

وغيرهم إلى يومنا هذا كلهم على اعتقاد أن أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين: " أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة" رضي الله عنهم ونفعنا بهم وأمدنا بإمداداتهم.

- **أولاده عليه السلام:**

وأما أولاده ﵁ من غير السيدة فاطمة عليها السلام فهم: العباس . وجعفر . وعبد الله . وعثمان، قتلوا مع أخيهم الإمام الحسين بكربلاء، ولا بقية لهم غير العباس وأمهم: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة.

وتزوج أيضاً: ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة تميم، فولدت له: عبيد الله وأبا بكر. قتلا مع الحسين، وقيل: أنّ عبيد الله قتله المختار بالمذار، ولا بقية لهما.

وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية، فولدت له: يحيى . وعونا . ومحمدا الأصغر، وقيل إن محمداً لأم ولد، وقتل مع الحسين، ولا بقية لهم.

وتزوج أيضاً أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، فولدت له: محمداً الأوسط ولا عقب له.

وتزوج أيضاً أم سعيد ابنة عروة بن مسعود التقنية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى . وأم كلثوم.

وتزوج أيضاً مخبئة وقيل محياة بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم، من كلب، فولدت له جارية ماتت صغيرة.

ومن أولاده أيضاً السيد محمد الأكبر الذي يقال له ابن الحنفية، وأمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة، تزوجها فولدت له محمداً ومات بالطائف وصلى عليه ابن عباس، وله عقب، وله من الصهباء، وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بجير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهي من

السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد ﷺ بعين التمر، وولدت له: عمر ورقية وهما توءمان، فعمَّر السيد عمر بن علي حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز على نصف ميراث علي عليه السلام، ومات عمر بن علي بينبع.

قال ابن الأثير في الكامل: وكان له بنات من أمهات شتى لم يذكرن لنا، وهن: أم هانئ . وميمونة . وزينب الصغرى . ورملة الصغرى . وأم كلثوم الصغرى . وفاطمة . وأمامة . وخديجة . وأم الكرام . وأم سلمة . وأم جعفر . وجمانة . ونفيسة. كلهن من أمهات أولاد.

قال ابن الأثير بعد أن سرد أسماء أولاد سيدنا علي كرم الله وجهه: "فجميع ولده أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة امرأة وكان النسل منهم: للحسن . والحسين . ومحمد بن الحنفية . والعباس بن الكلابية . وعمر بن التغلبية، ﷺ.

روى المحب الطبرى في الرياض النضرة قال: عن الحسن البصرى أنه سمع الحسن بن علي يقول:" أنه سمع أباه في سحر اليوم الذي قتل فيه يقول لهم: يا بني رأيت النبي ﷺ في نومة نمتها، فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من اللأواء واللدد (أي ضيق العيش، والخصومة الشديدة) فقال: ادع الله عليهم، قلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي من هو شرمني، ثم انتبه، وجاء مؤذنه يؤذنه بالصلاة فخرج فقتله ابن ملجم.

وفضائل سيدنا علي ومناقبه وثناء السلف الصالح عليه امتلأت بها الكتب وقد أفرد له عدد من العلماء مؤلفات خاصة في مناقبه وسيرته ﷺ وكرم وجهه.

(٣)

الإمامان أبو محمد الحسن الخليفة الخامس
وأبو عبد الله الحسين الشهيد بكربلاء
عليهما السلام والرضوان (أفضل أبناء الصحابة)

ولد سيدنا السبط الشهيد أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، في منتصف شعبان، وقيل في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، قال الإمام محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، قال أبو عمر هذا أصح ما قيل.

ولما ولد رضي الله عنه"**أذن النبي ﷺ في أذنه**" رواه أحمد وغيره، "**وعق عنه كبشاً**" رواه أبو داود وغيره ، "**وأمر السيدة فاطمة رضي الله عنها أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة على المساكين ففعلت**" رواه الامام أحمد وغيره.

ولما ولد سيدنا الحسين فعل له كما فعل لأخيه الحسن رضي الله عنهما.

أما ولادة سيدنا أبي عبد الله الحسين فكانت: لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع، كما في تاريخ بغداد للخطيب وغيره وقيل سنة ست.

وكان ختان كل منهما في اليوم السابع.

وفاة الإمام الحسن عليه السلام

توفي رضي الله عنه سنة خمسين في شهر ربيع الأول وعمره سبع وأربعون سنة، ودفن إلى جنب أمه السيدة فاطمة عليها السلام في البقيع، قال ثعلبة بن أبي مالك: شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع فلقد رأيت البقيع لو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان". كما في الإصابة وتهذيب الكمال وبكى الناس سيدنا أبا محمد الحسن رضي الله عنه رجالاً ونساءً في كل مكان،

وانقطعت الأسواق سبعة أيام، وناحت عليه نساء بني هاشم شهراً، وحدَّت عليه نساؤه ونساء بني هاشم سنة" كما في المستدرك للحاكم والبداية لابن كثير قال الهيتمي في الصواعق وغيره: "وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دس إليها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت، فمرض أربعين يوماً، فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها: إنا لم نَرْضَكِ للحسن فنرضاك لأنفسنا. وبموته مسموماً . شهيداً . جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبي بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقي في مقدمة شرح التقريب، وقال بعض أهل العلم أن وفاته كانت بسبب مرض ألم به وليس بسبب السم.

ولما مرض رضي الله عنه قال لأخيه الحسين: "لقد سقيت السم مرارا" ما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعود، فقال له الحسين:أي أخي من سقاك؟ قال: وما تريد إليه أتريد أن تقتله؟ قال نعم، قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة وإن كان غيره فلا يقتل بي بريء ورأى كأنه مكتوبٌ بين عينيه: قل هو الله أحد، فاستبشر به هو وأهل بيته، فقصوها على سعيد بن المسيب رضي الله عنه فقال: إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله، فما بقي إلا أياماً حتى مات.

وروى أبو نعيم في الحلية، عن رقبة بن مصقلة قال: لما حضر الحسن بن على الموت قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات، فأخرجوا فراشه، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر ثم قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي فكان مما صنع الله له أن احتسب نفسه عنده.

وروى الحاكم: أن عمير بن اسحاق دخل على سيدنا الحسن في مرض وفاته مع رجل من قريش، فقال الحسن للرجل: سلني قبل أن لا تسألني، قال: "ما أسألك شيئاً، يعافيك الله".

وكان رضي الله عنه قد أوصى الحسين أن يدفنه عند قبر أبيه (أي النبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا خاف الفتنة فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة رضي الله عنها فطلب ذلك إليها، فقالت: نعم وكرامة، فبلغ ذلك مروان بن الحكم فمنعهم، فحمل الحسين ومن معه السلاح، فبلغ ذلك أبا هريرة، فقال: والله ما هو إلا ظلم، يمنع حسناً أن يدفن مع أبيه، والله إنه لابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم

انطلق إلى الحسين فكلمه وناشده الله وقال له: أليس قد قال أخوك: إن خفتْ أن يكون قتال فردني إلى مقبرة المسلمين، فلم يزل به حتى فعل وحمله إلى البقيع.

فلم يشهده يومئذ من بني أمية إلا سعيد بن العاص وكان أمير المدينة قدمه وسلم الحسين للصلاة على أخيه، وقال: لولا أنها سنة ما قدمتك.

فكان من عمره عليه السلام سبع سنين مع رسول الله ﷺ وشهران ثم مع أبيه ثلاثون سنة، ثم خليفة ستة أشهر ثم تسع سنين ونصف سنة بالمدينة.

وفاة سيدنا الإمام الحسين عليه السلام
وبعض سيرته

توفي رضي الله عنه شهيداً بكربلاء يوم الجمعة في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة وله من العمر أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر.

واختلف في الموضع الذي دفن فيه رأس الحسين رضي الله عنه فقال بعضهم: أنه في عسقلان، وقالت الشيعة الإمامية وبعض الصوفية أنه دفن مع الرأس بكربلاء، وقال بعضهم إن رأس الحسين بالمشهد القاهري بمصر ورجح القرطبي أنه حمل مع أصله إلى المدينة فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن. ذكر ذلك الشيخ عبد المجيد الخاني الشافعي النقشبدي في الحدائق الوردية.

ذكر أهل التواريخ والتراجم: أن سيدنا الحسن رضي الله عنه بعد أن تنازل عن الخلافة لمعاوية ترك الكوفة وعاد بأهله وأقربائه إلى المدينة، فكان المقدم من آل البيت بعد الحسن أخاه الحسين رضي الله عنهما، ولم يزل الإمام الحسين بالمدينة حتى وفاة معاوية سنة ستين، ولما طلب عامل المدينة المنورة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان من الحسين أن يبايع يزيد بن معاوية تمهله الحسين، ثمَّ خرج ليلاً إلى مكة المكرمة بعد خروج عبد الله بن الزبير بليلة.

ولما علم أهل الكوفة بموت معاوية وأنه كان أوصى بالخلافة لولده يزيد، صار أهل الكوفة يراسلون الإمام الحسين ويبايعونه وحثوه أن يأتي إليهم لإعادة الحق إلى أصحابه ورفع

الظلم، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ليتقصى الأخبار، فأرسل إليه ابن عمه أنه قد بايعك ثمانية عشر ألفاً وأكثر.

فلما عزم الإمام الحسين على الخروج إليهم، نصحه سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما بعدم الخروج وقال له: تخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملاً لهم، وقال له كلاماً طويلاً، فلما رآه عازماً صار ابن عباس يبكى ويقول "واحبيباه".

ونصحه أيضاً عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعدم الخروج فوجده مصراً فبكى وقبله بين عينيه وقال له: "استودعتك الله من قتيل".

وأدركه أبو واقد الليثي بين مكة والمدينة فناشده الله بالرجوع، فقال: "لا أرجع". وفي مسيره التقى بالفرزدق فقال له: "قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية".

ولما اقترب من القادسية وهو غير عالم بما جرى لمسلم بن عقيل، أتاه خبر قتله مع ابن يزيد التميمي وقال له: ارجع فما تركت لك خلفي خيراً ترجوه، وذلك أن أهل الكوفة خذلوا مسلما بن عقيل ﷺ حتى قتل بيد أعدائه فقال له بعض أصحابه: ننشدك الله إلا رجعت من مكانك فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك أن يكونوا عليك، فوثب بنو عقيل وقالوا: والله لا نبرح حتى يدرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم الخ..

وهكذا خذل أهل العراق الإمام الحسين، ولما كان يوم الجمعة يوم عاشوراء ووصل الحسين إلى كربلاء القريبة من الكوفة ولم يكن معه من المقاتلين إلا نحو الثمانين وكان جيش يزيد بن معاوية بقيادة عبيد الله بن زياد ثلاثون ألفاً.

قال سيدنا الحسين حين وصل إلى كربلاء: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا كربلاء، قال: "كرب وبلاء". ووقع البلاء فقتل سيدنا الحسين بعد أن قُتِلَ أصحابه، وذلك بعد أن ذكرهم بأنه ابن خير الناس وبأن يكفّوا عن قتاله ولكن كانت قلوبهم أقسى من الحجارة، وآخر من طعن الحسين الطعنة التي مات بها هو سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي ثم ذبحه وحز رأسه، فوجد بعد قتله في جسده ثلاثون طعنة وأربعٌ وثلاثون ضربة.

ولما حمل سنان رأس الحسين إلى ابن زياد قال: (بحر الرجز)

إمـــلأ ركـــابي فضـــة وذهبـــاً　　　فقـــد قتلـــت الملـــك المحجبـــا

ومـــن يصـــلي القبلتـــين فـــي الصـــبا　　　وخيـــــرهم إذ يـــــذكرون النســـــبا

قتلت خير الناس أماً وأبا

فغضب ابن زياد من قوله وقال: إذا علمت هذا فلم قتلته؟ والله لا نلت منى خيراً ولألحقنك به، ثم ضرب عنقه، لعنة الله عليهما. وقد انتقم الله من كل من شارك بقتله فبعضهم مات حرقاً وبعضهم مات عطشاً كما منعوه من شرب الماء وأصيب أكثرهم بالجنون وسلط على آلاف منهم من قتلهم، ومن انتقام الله منهم أن الناس ما زالوا يلعنونهم.

ومن شدة قسوتهم قطعوا رؤوس أصحابه وأرسلوا برأس الحسين إلى يزيد مع من بقي من النساء وابنه علي زين العابدين وكان مريضاً وَهَمَّ ابن زياد بقتله فاعتنقته السيدة زينب وقالت له أما شفيت قلوبكم فإن أردت أن تقتله فاقتلني معه فتركه.

ثم طيف برأس الحسين في المدن والبلاد فمروا من جانب دير فرآه راهب الدير فسأل عنه فعرفوه به فقال: بئس القوم أنتم هل لكم في عشره آلاف دينار ويبيت الرأس عندي هذه الليلة قالوا نعم، فأخذه وغسله وطيبه ووضعه على فخذه وقعد يبكى إلى الصبح ثم أسلم، لأنه رأى نوراً ساطعاً من الرأس إلى السماء، ثم خرج عن الدير وصار يخدم أهل البيت.

وقال ذمي: بيني وبين داود سبعون أباً، وإن اليهود تعظمنى وتحترمني وأنتم قتلتم ابن نبيكم.

ووجد مكتوباً على حائط:　　　(البحر الوافر)

أترجـــو أمـــة قتلـــت حســـيناً　　　شـــفاعة جـــده يـــوم الحســـاب

قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول: وفي الكامل أن أهل المدينة سمعوا منادياً ينادى، وذكر بعضهم أن الجن ناحت وهم يقولون.　(البحر الخفيف)

أيهـــا القـــاتلون جهـــلاً حســـينا　　　أبشـــــروا بالعـــــذاب والتنكيـــــل

كـــل أهـــل الســـماء يـــدعو علـــيكم　　　مـــــن نبـــــي ومـــــلاك وقبيـــــل

قــد لعنــتم علــى لســان ابــن داود ومــوســـــى وصـــــاحب الإنجيـــــل

وقالت زينب ابنة عقيل بن أبي طالب: (البحر البسيط)

ماذا تقولون ان قال النبي لكم بعترتي مـــاذا فعلـــتم وأنـــتم آخـــر الأمـــم

وبـــــأهلي بعـــــد مفتقـــــدي مـــنهم أســـارى وقتلـــى ضـــرجوا بـــدَم

ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم أن تخلفــوني بســوء فــي ذوي رحمــي

وقتل مع الحسين من ذرية السيدة فاطمة سبعة عشر رجلاً، كما في البداية لابن كثير، كما قتل عدد من أبناء جعفر وأبناء عقيل، ومن إخوة الحسين لأبيه ﵁ أجمعين.

ثم إن يزيد أمر بتسيير نساء أهل البيت وأطفالهم إلى المدينة وأخرج الترمذي أن أم سلمة رضي الله عنها رأت النبي ﷺ في منامها باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال: قتل الحسين آنفاً.

وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم، فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم.

روى الإمام أحمد وغيره، عن أنس بن مالك قال: **استأذن مَلَك المطر ربه عزّ وجل أن يزور النبي ﷺ فأذن له فجاء وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها، فقال: يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد. فبينما هي على الباب إذ جاء الحسين ففتح الباب فجعل يتقفز على ظهر النبي ﷺ، والنبي ﷺ يلثمه ويقبله، فقال له الملك: تحبه يا محمد؟ قال نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أن أريك من تربة المكان الذي يقتل فيه، قال: فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه فأتاه بشهلة حمراء، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها،** قال ثابت البناني الذي روى الحديث عن أنس: كنا نقول: إنها كربلاء.

وفي رواية: قالت أم سلمة ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل، فلما رأت أم سلمة الرؤيا التي مر ذكرها فتحت القارورة التي وضعت بها التراب فوجدته قد صار دماً ووردت عدة روايات غير هذه.

وروى عمر الملا عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن جبريل ـ عليه السلام ـ أخبرني أن الله ـ عزّ وجل ـ قتل بِدَمِ يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ سبعين ألفاً وهو قاتل بدَمِ الحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً**". هذا وقد حصلت أمور غريبة يوم استشهاده، وكل ذلك من كراماته الدالة على علو قدره، وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء.

صفته: روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: كان الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به ما كان أسفل ذلك" كان أسمر جميل الوجه فكان رضي الله عنه أشبه بأبيه من الصدر إلى أعلى، وهذا لا يعنى أنه ليس فيه شبه برسول الله ﷺ أي في وجهه.

وكان من ألقابه: السبط ـ والرشيد ـ والطيب ـ والوافي ـ والسيد ـ والزكي ـ والمبارك ـ والتابع لمرضاة الله تعالى.

وكان رضي الله عنه من أشجع الشجعان، كثير العباده، مهيباً ـ معظماً ـ قيل لسيدنا علي زين العابدين رضي الله عنه: ما كان أقل ولد أبيك، قال: العجب كيف ولد له، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فمتى كان يتفرغ للنساء.

وحج رضي الله عنه خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد بين يديه.

وأتى مرة سيدنا عمر رضي الله عنه وهو يخطب على المنبر فصعد إليه وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال له: " لم يكن لأبي منبر، وأخذه فأجلسه معه، وقال: من علمك؟ فقال: والله ما علمني أحد".

ومن كلامه رضي الله عنه:

"اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نِعَمِ الله ـ عزّ وجل ـ فلا تَمَلُّوا النَعَم، فتعودَ نِقماً، واعلَموا أن المعروف يُكْسِبُ حَمْداً، ويُعقبُ أجراً، فلو رأيتم المعروفَ رجلاً لرأيتموه رجلاً حَسَناً جميلاً يسُرُّ الناظرين، ولو رأيتم اللؤْمَ رجلاً لرأيتموه رجلاً سمجاً مقبوحاً تنفر منه القلوب، وتغضُّ

دونه الأبصار، واعلموا أن مَنْ جاد ساد ومن بَخِلَ رذل. ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: إياك ودمَ آل أبي طالب، فإني رأيت بني حرب لما قتلوا حسيناً ﷺ نزع الله عزّ وجل الملك منهم.

- **أولاده وهم:**

عليّ الأكبر قتل مع أبيه، وأمه: ليلى ابنة أبي مرة عروة الثقفى، وأمها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب ـ وجعفر . وعبد الله . وكلهم لم يعقبوا، فجعفر مات صغيراً . وعبد الله قتل صغيراً مع أبيه: أمه وأم سكينه هي: الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي، خطبها من بعده عدد من أشراف قريش فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله ﷺ ، وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى ماتت كمداً. الكامل في التاريخ، وأبو بكر قتل معه بكربلاء، وعلي زين العابدين ﷺ، ومنه انتشرت الذرية الحسينية.

وللحسين ﷺ من البنات: زينب . وفاطمة . وسكينة وكن معه بكربلاء، وحملن إلى يزيد.

أولاد زين العابدين علي عليه السلام والرضوان: أحد عشر ذكراً وأربع إناث.والذين أعقبوا منهم ستة وهم: السادة ـ محمد الباقر ـ وعبد الله الباهر، وزيد الشهيد، وعمر الأشرف والحسين الأصغر ـ وعلي الأصغر.

وتكاثرت هذه الذرية الطاهرة حتى ملأت الأقطار ولله الحمد وخرج منها أئمة عظام وعلماء وأولياء وأقطاب، منهم الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر، وموسى الكاظم ـ وعلي الرضا ـ ومحمد الجواد ـ وعلي الهادي ـ وأبو محمد الحسن العسكري الخالص.

ومنهم الأقطاب ـ أحمد الرفاعي ـ وأحمد البدوي ـ وإبراهيم الدسوقي وغيرهم وغيرهم ﷺ ونفعنا بهم.

• صفة الإمام الحسن وبعض سيرته:

روى البخاري وغيره، عن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر الصديق ﵁، حمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، وليس شبيهاً بعليّ وعليّ يضحك (وروى أيضاً عن أنس بن مالك ﵁ قال: "لم يكن فيهم أحد أشبه بالنبي من الحسن بن علي".

وروى الترمذي، عن أبي جحيفة قال: رأيت النبي وكان الحسن بن علي يشبهه".

ومرضعة الحسن كانت أم الفضل زوج العباس ﵄، أرضعته بلبن قثم بن العباس. رواه أحمد.

ومن ألقابه: السبط . والسيد . والتقي . والزكي . والطيب . والولي . والمجتبى، وهو الإمام والخليفة بعد أبيه.

بويع له بعد أبيه فبقي بالخلافة ستة أشهر ثم تنازل لمعاوية عنها لإطفاء الفتنة وحقناً لدماء المسلمين بعد أن شرط عليه عدة شروط، وهذا الموقف من أشجع المواقف التي تدل على علو قدره وحلمه وزهده.

وبهذا تكون معجزة جده ﷺ قد تحققت حيث جاء في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد والنسائي وأبو داود والترمذي والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في دلائل النبوة بروايات متعددة، منها:

عن أبي بكرة قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول:" إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين".

وحديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء"** رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم ولهذا الحديث روايات أخرى.

فكانت آخر المدة يوم سلم الحسن الأمر لمعاوية، وذلك يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وتسمى هذه السنة سنة الجماعة" رواه ابن حبان في

صحيحه مطولاً. علم من هذا أن تنازله عن الخلافة لم يكن عن جبن وضعف، فإنه لما بويع كان جيشه ٤٠ ألفاً وقيل ٩٠ ألفاً.

وأما عبادته: فإنه كان كثير العبادة كان ﷺ كل ليلة بعد صلواته وعبادته يقرأ سورة الكهف.

وروى الحاكم في المستدرك وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً، وإن الحسن بن علي قد حج خمساً وعشرين مرة وإن النجائب لتقاد معه،وكان يقول : إني لأستحي من ربي أن ألقاه، ولم أمشِ إليه.

وروى ابن خلكان في وفيات الاعيان: أنه كان إذا توضأ وفرغ من الوضوء تغير لونه، فقيل له في ذلك فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه".

وكان إذا صلى الصبح جلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويتحلق حوله وجوه الناس وأشرافهم ويتحدثون إليه" كما في تهذيب الكمال للمزي.

- وأما حلمه وأخلاقه:

قال عمير بن إسحاق: ما تكلم عندي أحد كنت أُحِبُ إذا تكلم ألا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة واحدة.... وهي قوله لشخص: ليس له عندنا إلا ما يَرْغُم أنفه، قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط". رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء وأخرجه ابن سعد.

وكان ﷺ بينه وبين مروان بن الحكم كلام، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له، والحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه، فقال الحسن ﷺ: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه، والشمال للفرج، أف لك، فسكت مروان" رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء والذهبي في سيره، يعنى أن الحسن سكت لما كان الأمر متعلقاً به، فلما خالف مروان السنة غضب لله.

ولما مات رضي الله عنه، بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين رضي الله عنه: أتبكيه وقد كنت تجرّعه ما تجرّعه؟ فقال": إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار إلى الجبل" تهذيب الكمال للمزي.

ودخل رجل من الشام المدينة فرأى الحسن راكبا على بغلة ولم يكن يعرفه فقال: لم أرَ أحسن وجهاً ولا سمتا ولا ثوباً ولا دابة منه فمال قلبي إليه،فسألت عنه، فقيل هذا الحسن بن علي فامتلأ قلبي بغضاً له، وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه، فقلت: أأنت ابن علي؟ قال: أنا ابنه، فقلت: أفعل بك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامي، قال لي: أحسبك غريباً، قلت:أجل، قال: مل بنا فإن احتجت إلى منْزل أنزلناك، وإن احتجت إلى مالٍ آسيناك، أو إلى حاجة عاونّاك، قال: فانصرفت عنه، وما على الأرض أحب إلي منه، وما فكرت في ما صنع، وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي" رواه ابن خلكان في الوفيات.

ولما بويع بالخلافة: وبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه في وركه فمرض منها شهراً، فقعد على المنبر وقال: "قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا" ثم قال: اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم، وأضيافكم الذين قال الله فينا:" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً". فما زال يتكلم حتى ما يرى في المسجد إلا باكياً" رواه الطبراني في المعجم الكبير.

وأما كرمه وسخاؤه فكان أجود أهل عصره ففي تهذيب الكمال للمزي أن محمد بن سيرين رضي الله عنه قال: "ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمئة ألف".

وفي سير الأعلام والنبلاء للذهبي: أن سعيد بن عبد العزيز قال: "سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه".

وفي تاريخ ابن كثير وغيره: أن الحسن رضي الله عنه رأى غلاماً. في حائط من حوائط المدينة يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحي من أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده

فاشتراه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملكه الحائط (أي البستان)، فقال له الغلام، يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له.

وقال الإمام أبو جعفر محمد الباقر ﷺ: "جاء رجل إلى الحسين بن علي استعان به في حاجة، فوجده معتكفاً فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقضى حاجته، وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر".

وقال ابن سيرين رحمه الله: كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعامه أحداً، ويقول هو أهون من أن يدعى إليه أحد. يعني مع عظم رخائه كان يأكل أكل الزهاد والفقراء.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم: أن الحسن ﷺ: قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إنه كان يعطي الخف ويمسك النعل ، وقالوا :إنه خرج من ماله مرتين.

وكان ﷺ محببا إلى الناس فكانوا إجلالاً له وتقرباً من النسب الشريف يزوجونه، وكان والده سيدنا علي عليه السلام يقول لهم: "لا تزوجوه، فإنه مطلاق، قد خشيت أن يورثنا العداوة في القبائل، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا مَنْ شاء. ابتغاء صهر رسول الله ﷺ، رواه ابن سعد في طبقاته.

وروي أيضاً عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: كان الحسن مطلاقاً للنساء وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه، وأحْصَنَ تسعين امرأة.

وروى البيهيقي وغيره، أن الحسن ﷺ: كان يمتع مطلقاته متعة كثيرة، حتى إنه طلق امرأتين في يوم واحد . وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وزقاق من عسل، فقالت إحداهما: متاع قليل من حبيب مفارق.

وأما عن تسليمه لربه فقد حاز مقام الرضا واليقين، فقد روى ابن عساكر وغيره أنه: قيل للحسن ﷺ إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب من الصحة إلي، فقال ﷺ: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له.

وذكر الهيتمي في الصواعق المحرقة قال: وكان عطاؤه كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له إضاقة شديدة قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: "كيف أنت يا حسن؟ فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عنى فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ قلت: نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟ فقال قل: "اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سؤاك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين" قال: فوالله ما أنجحت فيه أسبوعاً حتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت، الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي، فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق. رواه البيهقي وابن عساكر كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي.

- **إجلال الصحابة له ولأخيه:**

فمن ذلك أن سيدنا علياً ﷺ كان يكرمه إكراماً زائداً ويعظمه ويجله.

روى أبو داود في سننه عن علي كرم الله وجهه: أنه نظر إلى ابنه الحسن ﷺ فقال:إن ابني هذا سيدكما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً.

وقد مر أن الصديق الأكبر ﷺ كان يداعبه ويحمله ويكرمه وذكر الذهبي وابن كثير أن سيدنا الفاروق عمر ﷺ، فرض عطاء الحسن والحسين كعطاء أبيهما ومثل أهل بدر خمسة آلاف.

وكذلك سيدنا عثمان ﷺ كان يكرم السبطين ويحبهما، وقد كان الحسن معه يوم الدار وهو محصور فخشي عليه وأقسم عليه ليرجعن إلى منْزله، ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه.

ثم إن سيدنا علياً ﷺ قال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحداً يصل إليه، فلما رأى المحاصرون ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى

خضب الحسن بالدماء على بابه، فلما تسور المهاجمون الدار وقتلوا عثمان ﷺ دون أن يعلم أحد وبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً.. حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً، فاسترجعوا، وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين... ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء. وفي الإصابة لابن حجر: مر الحسين بعبد الله بن عَمْرُو بن العاص فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب الحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه.

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما.

وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي ذكره المزي في تهذيب الكمال. وروى البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما وقد سأله بعض أهل العراق عن المحْرِم يقتل الذباب، فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقد قال: "**هما ريحانتاي من الدنيا**".

• ومن كرامات الإمام الحسن ﷺ:

ما نقله الإمام المناوي في طبقاته: "أن رجلاً تغوط على قبره فجن، فجعل ينبح كما تنبح الكلاب ثم مات، فسُمِعَ من قبره يعوي" قال أخرجه أبو نعيم وابن عساكر.

ومنها: أنه مرَّ يوماً بامرأة معها مولود، فجاء عُقاب فاختطفه فتعلقت أمُّه بالحسن ﷺ وقالت: يا ابن بنت رسول الله ﷺ ابني، فبسط يده ودعا، فجاء العقاب وجعل ولدها على يدها ولم يضره.

• بعض أقواله التي تدل على سعة علمه وبلاغته:

فمن كلامه ﷺ: أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور. السدادُ دفع المنكر بالمعروف، والشرف اصطناعُ العشيرة، وحمل الجريرة. المروءة العفاف وإصلاح المآل، اللؤم احرازُ نفسه، وبذله عرسه.

السماح البذل في العسر واليسر، والشحُّ أن ترى ما في يدكَ شرفاً وما أنفقته تلفاً.

الإخاء المواساة في الشدة والرخاء الغنيمة الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا، فذلك الغنيمة الباردة.

الحلمُ كظمُ الغيظ، وملك النفس، والغنى رضا النفس بما قُسِمَ وإن قل، والفقر شره النفس إلى كل شيء، والكلفة كلامك فيما لا يعنيك.

ولما نزل ﷺ عن الخلافة، كان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين، فيقول: العار خير من النار.

وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لست بمذلِّهم، لكني كرهت أن أقتلكم على الملك.

وكان يقول لبنيه وبني أخيه: يا بنيَّ وبني أخي: تعلموا العلم: فمن لم يستطع منكم أن يحفظَه، أو قال: يرويه، فليكتُبه وليضَعْه في بيْتِه، ذكره الإمام محمد الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد.

قال: وروى الدولابي عن زيد بن الحسن رضي الله عنهما قال: خطب الحَسَنُ رضي الله تعالى عنه الناس حين قتل أبوه علي ﷺ، فحمد الله وأثنى عليْه ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل ثم مدحه، ثم قال: وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه وما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، وأراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عَرفَني ، ومن لم يعرفْني فأنا الحسن بنُ علي وأنا ابن الرضا، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ﷺ ينزلُ فيه ويصعدُ من عندنا وأنا منْ أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترضَ الله تعالى مودَّتَهم على كل مسلم، فقال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودَّة في القربى".

وروي أن سيدنا الحسن كان يمشي كأنه الملك فقيل له أهو غرور فقال: بل عزة الإسلام. كانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام كما في سبل الهدى والرشاد.

وقال في سبل الهدى والرشاد: وكان (أي الحسن ﵁) سيداً حليماً زاهداً عاقلاً فاضلاً فصيحاً ذا سكينة ووقار، جواداً يكره الفتن وسفك الدماء، دعاه ورعه وزهده وحلمه إلى ترك الخلافة، وقال: خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو أقل أو أكثر تنضح أوداجُهم دماً، وكان من أحسن الناس وجهاً وأكرمهم وأجودهم وأطيبهم كلاماً، وأكثرهم حياءً، وكان أكثر دَهْره صائماً، وكان فعله يسبق قوله في المكارم والجود، وكان كثير الإفضال على إخوانه لا يغفل عن أحد منهم، ولا يُحْوِجُه إلى أن يسْأله، بل يبتدئه بالعطاء، قبل السؤال...

روى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين، عن محمد بن معشر اليزبوعي قال: قال علي للحسن ابنه رضي الله عنهما: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربعة أصابع، ثم . قال: اليقين ما رأته عيناك، والإيمان ما سَمِعَتْهُ أذُنُك وصدَقْت به، قال . أي علي . أشهد أنك ممن أنت منه، ذرية بعضها من بعض".

ومن كلامه العظيم الفائدة في القضاء والقدر.

ما روي عن الحسن البصري ﵁، أنه كتب إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر، فكتب فيه الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: "مَنْ لم يؤمنْ بقضاءِ اللهِ وقدره خيره وشره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاعُ استكراهاً ولا يُعْصَى بغلبَةٍ، لأنه تعالى مالكٌ لِمَا مَلَّكَهُمْ وقادر على ما أقْدرهم، فإن عَمِلوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين ما عملوا، فإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهُمْ على ذلك، ولَوْ جَبَرَ الخلْق على الطاعة لأسقَطَ عنهُمُ الثواب، ولَوْ جبرهم على المعصية لأسقط عنهُمُ العذاب، ولَوْ أهملهم كان ذلك عَجْزاً في القدرةِ، ولكن له فيهم المشيئة التي غيبَهَا عنهم، فإن عملوا بالطاعة كان له المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فَلَهُ الحجة عليهم.

انتهى كلامه ﵁ ونفعنا به . آمين.

- **بعض الأحاديث التي وردت في فضل السبطين رضي الله عنهما**

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما تسمَّتِ العربُ بهما في الجاهلية".

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وقال المفضل: إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمَّى بهما النبي عليه الصلاة والسلام ابنيه الحسن والحسين.

وروى الترمذي وابن حبان عن علي ﷺ. وكان الحسنُ أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به ما كان أسفل من ذلك".

وروى أحمد وابن حبان حديثاً جاء فيه: "**أن النبي ﷺ كنّى الحسن أبا محمد، والحسين أبا عبد الله**".

وروي عن أبي رافع والطبراني وابن عساكر عن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت بابنيها إلى رسول الله ﷺ في شكواه التي توفي فيها فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورثهما شيئاً فقال لها: "**وأما حسن فله هيبتي وسؤْدُدي، وأما حسين فإن له جراءتي وجودي**" ذكره في سبل الهدى والرشاد.

وروى الطبراني في الكبير، عن أبي أيوب ﷺ قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه أو في حجره فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: "**وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما**".

وروى أيضاً وأبو نعيم، عن يعْلَى بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: "**الحسن والحسين سبطان من الأسباط**".

وعن ابن عمر وعلي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "**أبناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما**". رواه ابن عساكر.

وللترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: "**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**".

وروى الإمام أحمد وابن عساكر، عن علي، وأبو نعيم عن أبي سعيد ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلاّ ابني الخالة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران**".

وروى البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول: "**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ويقول : إن أباكم إبراهيم ـ ﷺ ـ كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق**" عليهما الصلاة والسلام.

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "**اللهم إني أحبهما فأَحِبَّهما، وأبغض من أبغضهما**" يعنى الحسن والحسين رضي الله عنهما رواه ابن أبي شيبة والطبراني في الكبير.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**" رواه الإمام أحمد وابن سعد وغيرهما.

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما أخذا رقيقا فيضعهما عن ظهره، فإذا رفع حتى إذا

قضى صلاته أقعدهما على فخِذيْه قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، أردهما، فبرقت برقة، فقال لهما: "**الحقَا بأمّكما**" قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما". رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان حاملاً الحسن بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: "**نعم الراكب هو**" رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعدهما الناس، فقال: "**دعوهما بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هذين**" رواه النسائي وابن حبان والطبراني في الكبير.

وروى أحمد عن زهير بن الأقمر رجل من الأزد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي: "**من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب**" ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدثتكم.

وروى أيضاً عن معاوية، قال: رأيت رسول الله ﷺ يمصُ لسان الحسن أو شفته، وأنه لن يعذِّب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ.

وروى ابن حبان عن أبي هريرة، أنه قبل سرة الحسن وقال فداك أبي، حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبله.

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: "**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، وحسين سبط من الأسباط**".

وروى الحاكم أنه ﷺ قال: "**اللهم إني أحبه فأحبه** (يعني الحسين)"،وكان النبي ﷺ يقبل فمه.

ولما نزلت آية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوْا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل**

فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ احتضن ﷺ الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما، ثم قال: "أللهم هؤلاء أهل بيتي" رواه مسلم

وفي الكامل في التاريخ: "لما رآهم الوفد المبعوث من قبل نصارى نجران من أجل المباهلة قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوه وصالحوه، وفي بعض السير لما عادوا إلى قومهم وسألوا عن عدم مباهلة النبي ﷺ أجاب رأسهم قائلاً: لو باهلناه لما بقي نصراني على وجه الأرض، ثم قال رأيت وجوها ألخ.....

ومناقب السبطين وأهل البيت كثيرة وقد أُمرنا بتوقيرهم ومحبتهم.

روى البخاري عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته.

وفي الصواعق المحرقة قال: وصح عن أبي بكر ﷺ أنه قال لعلي ﷺ: "والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي" رواه البخاري.

وأهل بيت النبي ﷺ هم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب، وزوجانه ﷺ، فعلى هذا: فزوجاته ﷺ وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، كلهم أهل بيته.

روى مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ قال رسول الله ﷺ: **"أذكركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد: ومن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، آل علي . وآل عقيل . وآل جعفر . وآل العباس"**.

ومما جاء في فضل أهل البيت قوله ﷺ: **"من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: "اللهم صل على . سيدنا . محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على . سيدنا . إبراهيم إنك حميد مجيد"**. وفي رواية كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وقوله ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة: **"إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"** رواه الترمذي وحسنه.

وإنما تميزت ذرية السبطين عن ذرية باقي أهل البيت لأن المنسوب إليهما منسوب إلى النبي ﷺ، وهذه خصوصية، مع بقاء نسبتها إلى علي رضي الله عنهم أجمعين.

فقد روى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا عصبتهم**".

وروى الطبراني عن سيدنا عمر وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة، فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم**".

ولحديث عمر رضي الله عنه لما خطب أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه وغير ذلك من الأحاديث، وقد قال بهذا الجم الغفير من العلماء والأئمة الأفاضل نفعنا الله بهم.

وببركة النبي ﷺ فإن ذريته التي ظهرت من نسل سبطيه الحسنين أبناء فاطمة وعلي رضي الله عنهم، ظهر فيهم أكثر أكابر الأولياء من هذه الأمة، والأئمة والعلماء فيهم لا يحصون لكثرتهم، ومن راجع كتب التراجم والطبقات والمناقب وجد فيها ما بينته. (البحر الوافر)

كفاكم يا بني الزهراءِ فخراً … إذا ما قيلَ جدُّكمُ الرَّسولُ

أبوكم فارسُ الهيجا عليٌّ … وأمُّكمُ المطهَّرةُ البتولُ

لِأهلِ البيتِ عِزٌ لا يزولُ … وقدرٌ لا تُحيطُ به العقولُ

ومملكةٌ وسلطنةٌ وجاهٌ … فإنْ رُمْتَ الُهدى فَهُمُ السبيلُ

فهل بالمسْتطاعِ مديحُ قومٍ … وخادمُ جدِّهمْ هوَ جَبْرَئيلُ

وفي ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه: **(البحر البسيط)**

يا آل بيت رسول الله حبكُمُ … فرض من الله في القرآن أنزلَهُ

يكفيكُمُ من عظيمِ الفخر أنكُمُ … من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

أي لا تكمل صلاته

- **أولاد الإمام الحسن ﷺ**

وعددهم ثلاثة عشر ذكراً، وقيل خمسة عشر ذكراً، وثمان بنات، والعقب منهم لاثنين وبنت واحدة فقط. وقيل المعقبون من الذكور ثلاثة. وقيل ست بنات. وقيل في الذكور أنهم أحد عشر ذكراً، قولاً ثالثاً.

١. وهم أبو محمد الحسن المثنى، وأمه خولة بنت منظور بن زبان الفزاريّة.
٢. وأبو الحسن زيد، واختاه: أم الحسين أو أم الخير– وأم الحسن، وأمهم: أم بشر بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري البدري. والسادة:
٣. عمر.
٤. والقاسم.
٥. وعبد الله أبو بكر، وعد بعضهم عبد الله الأصغر . وأبو بكر فيكون العدد حتى الآن ستة ذكور، وأمهم أم ولد، واستشهدوا مع عمهم الإمام الحسين ﷺ بطف كربلاء.
٦. وعبد الرحمن، وأمه أم ولد
٧. والحسين الملقب بالأشرم، وأمه أم ولد
٨. وطلحة، وأخته: فاطمة، أمهما:أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ﷺ
٩. ومحمد
١٠. وجعفر
١١. ويعقوب
١٢. وحمزة
١٣. وإسماعيل
١٤. وعقيل

ومن البنات أيضاً . أم عبد الله. وأم سلمة . ورقية . وسكينة.

وزاد بعضهم أن من أولاده أيضاً: علي الأكبر . وعلي الأصغر . ومحمد الأصغر . وعمرو.

وذكر بعضهم: أنه قتل مع الإمام الحسين من أبناء الإمام الحسن أكثر من ستة.

وفي الكامل في التاريخ:أنهم أرادوا قتل الحسن المثنى وعمرو فاستصغروهما فتركوهما

قال النسابون لم يعقب من أولاد الإمام الحسن عليه السلام أي الذكور منهم إلا الإمامان زيد والحسن المثنى، وزاد بعضهم أن محمداً بن الحسن أعقب أيضاً وله ذرية حتى الآن، قال أهل المعرفة بالأنساب أن هذا غير صحيح، وما وُجد في بعض الكتب من نسبة بعض الناس إليه فهو خطأٌ من المؤلف مع صحة نسب هذا الشيخ أو العالم إلى الإمام الحسن ابن عليٍ رضي الله عنهما.

فأما السيد زيد ويكنى بأبي الحسن وقيل أبي الحسين. فكان من أكابر أهل الفضل والكرم وكان جميلاً جليل القدر إذا نظر إليه الناس يقولون: "جده رسول الله ﷺ. كما في طبقات ابن سعد، وكان يثني على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويحذر من بغضهما وكان الشعراء يمدحونه كثيراً، وله روايات في الحديث عن ابن عباس وبعض التابعين والصحابة ولم يخرج مع عمه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، وبعد قتل عمه بايع سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بالخلافة، وكان معه في مواقعه إلى أن قتل أي عبد الله بن الزبير.

وفي أيام سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: كتب عمر بن عبد العزيز: إن زيد بن الحسن شريف بني هاشم فأدّوا إليه صدقات رسول الله ﷺ" أي عطاءهم.

توفي رضي الله عنه بين مكة والمدينة بموضع يقال له: حاجر فحمل إلى المدينة ودفن في البقيع، وقد عاش مائة سنة.

أولاده أربعة ذكور وبنت وهم: السادة محمد قتل مع الإمام الحسين بطف كربلاء . وأبو الحسين يحيى . والحسين . وأبو محمد الحسن، أمير المدينة المنورة أيام العباسيين.

ولم يعقب منهم إلا السيد الحسن بن زيد، ومنه تفرعت ذرية السيد زيد بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أعقب السيد الحسن بن زيد ثمانية ذكور وثلاث بنات والعقب من أولاده الذكور لخمسة منهم بلا خلاف، واختلف في اثنين آخرين.

ومن بناته الثلاث: الولية الجليلة السيدة نفيسة صاحبة المناقب الكثيرة والكرمات المدفونة في القاهرة بمصر، وزوجها: السيد إسحاق بن الإمام جعفر الصادق ﵃ أجمعين.

(٤)

الإمام الحسن المثنى عليه السلام

ابن الإمام الحسن السبط بن سيدنا علي ﵁

ويكنى بأبي محمد: وأمه خولة بنت منظور بن زبان بن سيّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة. وهو أصغر من أخيه زيد.

له ﵁ روايات في الحديث عن أبيه عن جده، وكان وصي أبيه، ووالي صدقات آل علي بن أبي طالب ﵁.

وفد على عبد الملك بن مروان لأمور بينه وبين الحجاج، فأكرمه ونصره على الحجاج، وأقره وحده على ولاية صدقة علي ﵁.

ثم إن عبد الملك بن مروان بلغه: أن الإمام الحسن المثنى يكاتب أهل العراق فاستحضره، فقال له الإمام علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما: يا بن عم، قل كلمات الفرج": لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم" فلما جيء به إلى عبد الملك خلى عنه، والحمد لله.

وكان ﵁ جميلاً جوادا شجاعاً، وكان يحذر من الغلو في أهل بيت النبي ﷺ ويتبرأ ممن يبغض الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

توفي ﵁ سنة سبع وتسعين وقيل تسع وتسعون ودفن في البقيع.

أولاده السادة: محمد وبه كان يكنى، وأمه: رملة بنت سيدنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﵁، ولم يعقب.

وعبد الله المحض . وإبراهيم الغُمر . والحسن المثلث . وزينب . وأم كلثوم وأمهم: السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي ﵄.

روي أن الحسن المثنى عليه السلام، خطب إلى عمه الحسين، فقال الإمام الحسين: يا بن أخي قد انتظرت هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله داره، ثم أخرج إليه بنتيه فاطمة وسكينة، فقال: "اختر". فاختار فاطمة، فزوجه إياها وتزوج أيضاً بنت عمه محمد بن علي ﵄، وتزوج أيضاً بنت عمه عمر بن علي ﵄، وضمهما في ليلة واحدة، وقال سيدنا محمد بن علي: ليلتئذٍ: "هو أعز علينا منهما" فاجتمع عنده بنات أعمامه الثلاثة.

وله من الأولاد أيضاً: جعفر . وداود . وفاطمة . وأم القاسم قسيمة . ومليكة، وأمهم أم ولد فارسية تدعى حبيبة.

والعقب من أولاده لخمسة وهم السادة: عبد الله المحض . وإبراهيم الغمر . والحسن المثلث . وداود . وجعفر فأما السيد إبراهيم الغمر ﵁ فلقب بالغمر لجوده ويكنى أبا إسماعيل، توفي بالسجن سنة خمس وأربعين ومائة عن سبع وقيل تسع وستون سنة، حبسه أبو جعفر المنصور مع اثني عشر رجلاً من بني الإمام الحسن السبط عليه السلام وأعقابه أحد عشر ولداً: ستة ذكور وخمس بنات، وذريته كبيرة.

وأما الحسن المثلث: ويكنى بأبي علي، توفي ﵁ سنة خمس وأربعين ومائة في حبس المنصور بالهاشمية عن عمر ثمان وستين سنة، وأعقابه ستة ذكور وهم: السادة طلحة والعباس وحسن – وإبراهيم وأبو جعفر عبد الله الملقب بالفاضل مات أيضاً بالحبس وله عدة أولاد، وأبو الحسن علي الملقب بالعابد، والمعقبون من أولاد الحسن المثلث هم ثلاثة فقط: إبراهيم- وأبو جعفر عبد الله الفاضل وأبو الحسن علي العابد.

وأما السيد داود ﵁: ويكنى أبا سليمان، وكان يلي صدقات سيدنا علي كرم الله وجهه نيابة عن أخيه السيد عبد الله المحض، فقد أفلت من حبس المنصور بدعاء علمه الإمام

جعفر الصادق عليه السلام لأمه أم داود ويعرف بدعاء أم داود، توفي بالمدينة عن عمر ستين سنة، وأعقابه أربعة ذكران وابنتان وهم: السادة : عبد الله ـ وسليمان ـ ومليكة وحمادة، وكلهم أعقبوا، وأمهم هي :أم كلثوم بنت الإمام علي زين العابدين عليه السلام.

وأما السيد جعفر عليه السلام:ويكنى أبا الحسن وهو أسن إخوته، ويلقب بالخطيب لفصاحته وبلاغته، فهو من جملة من حبسهم المنصور من بني الإمام الحسن، ثم أفرج عنه، وتوفي بالمدينة عن عمر سبعين سنة، وأعقابه عشرة أولاد ستُّ بنات وأربعة ذكور، وذرية السيد جعفر من الذكور من واحد فقط وهو : السيد الحسن بن جعفر.

سلام الله عليهم

(٥)

وأما الإمام عبد الله المحض عليه السلام

وكنيته أبو محمد، ولقب بالمحض ـ والكامل، لأنه علوي فاطمي من جهة الأب والأم. وكان ﷛ شيخ بني هاشم من أكثرهم علماً وفضلاً وكرماً، وقد عاصر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷛ في شبابه، وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز يجله ويحترمه ويكرمه.

ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار فأعطاه ألف ألف درهم، وعاد إلى المدينة، ثم حبسه بها المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه السيد إبراهيم ومحمد، ثم نقله إلى الكوفة فسجن بها، ثم مات ﷛ قتلاً في سجنه، سنة خمس وأربعين ومائة عن عمر خمس وسبعين سنة.

أولاده ثمانية ذكور وخمس بنات وهم السادة: محمد النفس الزكية ـ وإبراهيم ـ وموسى الجون ـ وإدريس ـ وسليمان، ويحيى صاحب الديلم: وأمه قريبة بنت وكيح ـ وعيسى ـ وهارون، ولم يعقبا.

وأما البنات فهن: فاطمة ـ وزينب ـ ورقية ـ وكلثم ـ وأم كلثوم، وليعلم أن أكثر الذريّة الحسنية منه، وأكثر المشاهير والأعلام الحسنيين منه أيضاً.

فأما السيد محمد النفس الزكية وكنيته: أبو عبد الله وقيل أبو القاسم، وأمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي. حدث عن نافع عن ابن عمر ﷺ، وحدث عنه عدد من الرجال، وكان شديد السمرة أثر في وجهه الجدري، ضخماً طويلاً سميناً.

ولقب بالنفس الزكية والمهدي، وكان ذا هيبة عظيمة وشجاعة باهرة كثير الصوم والعبادة.

قتل ﷺ على يد عيسى بن موسى المنتدب من قبل أبي جعفر المنصور العباسي في معركة ضمن المدينة المنورة في محلة أحجار الزيت، وكان مقتله يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وطيف برأسه، وكان الإمام أبو حنيفة والإمام مالك رضي الله عنهما من أنصاره.

أولاده: عبد الله الأشتر قتل بكابل ـ والقاسم ـ وعلي جيء به من مصر فحبس في بغداد في سجن المهدي وتوفي بها- والحسن قتل بفخ (اسم موضع بمكة دفن فيه ابن عمر) قتله العباسيون صبراً وأمهم: أم سلمة بنت محمد بن الحسن المثنى.

والطاهر: وأمه: فاختة بنت فليح من بنى الزبير بن العوام ﷺ وإبراهيم: وأمه أم ولد. وأحمد ـ ويحي ـ وأما البنات ـ فهن فاطمة وزينب، وأمهما أم سلمة، وأم كلثوم وأم سلمة وأم علي.

وأما السيد إبراهيم بن عبد الله المحض فيكنى أبا الحسن وأمه: هند بنت أبي عبيدة لما بلغه مقتل أخيه السيد محمد النفس الزكية خرج بالكوفة على أبي جعفر المنصور، فعرض له عيسى بن موسى في بباخمرا، موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب- فقتله بها وحز رأسه وحمل إلى المنصور. وكان مقتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس

وأربعين ومائة عن عمر ثمان وأربعين سنة، تاركاً عدّة أولاد لم يعقب منهم إلا واحد هو . الحسن بن إبراهيم.

وأما السيد إدريس، وأمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي فإنه هرب إلى مصر بعد أن شارك في معركة فخ مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى والتي قتل بها السيد حسين الذي كان أميراً على فخ في مكة المكرمة على يد جيش الخليفة الهادي العباسي.

ثم إن السيد إدريس انتقل إلى المغرب الأقصى وسكن في طنجة في مدينة فيها تسمى (وليلة) ودعا فيها عدة قبائل من البربر إلى الدين فاستجابوا له وبايعوه، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة.

ثم إنه قدم إليه أحد موالى الخليفة العباسي ويعرف باسم . الشماخ اليمامي . فأظهر له الولاء، فدس له السم فمات به سنة خمس وسبعين ومائة، وقيل سبع وسبعون، ولم يعقب إلا ولداً وأنثى، فأما البنت فهي السيدة فاطمة تزوجت من ابن عمها السيد محمد بن يحيى، وأما الولد فهو السيد: إدريس الثاني الذي بويع ملكاً على المغرب وهو الذي بنى مدينة فاس بالمغرب، وذريته كبيرة. وإليه يعود نسب الإمام عبد السلام بن مشيش، وسيدي عبد الواحد دفين طرابلس الشام، هو ابن عبد الكريم بن محمد بن سيدي عبد السلام بن مشيش.

وأما السيد يحيى بن عبد الله المحض، ويكنى أبا الحسن، وقيل أبا محمد، وأمه قريبة بنت عبد الله بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فقد تلقى علومه على عدد منهم الإمام جعفر الصادق والإمام مالك بن أنس، وكان آدم اللون حسن الوجه والجسم لم يكن بالطويل وكان أصلع.

وكان مع أخيه السيد محمد النفس الزكية فبعد مقتله، تخفى وصار ينتقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى بلاد الديلم، فاجتمع عليه أهل تلك البلاد وبايعوه حتى ظهر أمره وعظم بين الناس فأرسل له الخليفة هارون الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي حتى يفاوضه على التنازل، فتنازل وقدم به على الخليفة الرشيد، ثم سار إلى المدينة المنورة، فوشى به رجل من آل الزبير واتهمه بأنه يحرض الناس على الخليفة وأنه يطلب منهم البيعة لنفسه، فاستدعي والزبيري إلى

الخليفة وحصلت بينه وبين الزبيري مباهلة عند الرشيد فمات الزبيري من يومه بعد أن أصابه الجذام واسود وجهه، وقبل أن يخلى سبيل السيد يحيى كان قد سم في السجن ومات به سنة خمس وسبعين ومائة عن عمر خمس وستين سنة، وله من الأولاد أربع بنات وسبعة ذكور، ولم يعقب من أولاده إلا ولد واحد هو السيد محمد الأثيني الذي مات بالسجن ببغداد عن عمر سبع وثلاثين سنة تاركاً عدة أولاد لم يعقب منهم إلا السيد عبد الله المحدث والسيد أحمد، وأمهما هي السيدة فاطمة بنت إدريس بن عبد الله المحض.

وأما السيد سليمان بن عبد الله المحض، ويكنى أبا محمد، هو وأخوه إدريس من أم واحدة هي عاتكة، فقد قتل مع أخيه السيد محمد النفس الزكية بفخ كما قتل معهما عدد آخر من آل البيت الأشراف، وحز رأس مائة رجل من أصحاب السيد محمد منهم السيد سليمان، مات عن عمر ثلاث وخمسين سنة، وذلك يوم التروية أي قبل الوقوف بعرفات بيوم واحد وأولاده اثنان وهما: السيد عبد الله والسيد محمد،فأما عبد الله فلم يعقب، وأما السيد محمد فقد خرج مع عمه السيد إدريس إلى المغرب ومات بها بقرية يقال لها تلميسين، وأولاده ثلاثة عشر ذكراًً أعقب منهم سبعة ثم تكاثرت ذريتهم.

(٦)

وأما الإمام موسى الجوْن بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى عليهم السلام

فهو وشقيقاه محمد النفس الزكية وإبراهيم من أم واحدة هي هند بنت أبي عبيدة، ويكنى أبا الحسن وقيل: أبا عبد الله، وكان لونه أسود، فلقبته أمه ـ الجون ـ وكانت ترقصه وهو طفل وتقول: (بحر الرجز)

إنــك إن تكــون جونــا أفرعــا يوشـــك أن تســـودهم وتبرعـــا

وكان من جملة أبناء الحسن الذين أخذهم المنصور مع السيد عبد الله المحض إلى سجن الهاشمية بالعراق، وطلبه المنصور ذات يوم وضربه ألف سوط، ثم خلى سبيله ليذهب إلى الحجاز ليأتيه بخبر أخويه محمد وإبراهيم، هذا كان قبل معركة فخ، وكانا متخفيين وقتئذ باليمن.

فبعد قتل إخوته بقي متخفياً إلى أن حج الخليفة المهدي محمد بن المنصور، فبرز له في الحرم الشريف، فقال له في الطواف: أيها الأمير لي الأمان وأدلك على موسى الجون بن عبد الله؟ فقال له المهدي: لك الأمان إن دللتني، فقال: ألله أكبر . أنا موسى بن عبد الله، فقال المهدي: من يعرفك ممن حولك من الطالبية؟ فقال: هذا الحسن بن زيد، وهذا موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهذا الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي كرم الله وجهه، فقالوا جميعاً: صدق، هذا موسى بن عبد الله بن الحسن فخلى سبيله، وعاش إلى أيام الخليفة هارون الرشيد ومات بسويقة . موضع قرب المدينة يسكنه آل علي كرم الله وجهه وهي منْزل آل الحسن ﵃.

أولاده: اثنا عشر ولداً تسع بنات–وثلاثة ذكور فمن البنات: زينب . ورقية . وخديجة . وصفية . وأم الحسن . ومليكة . وفاطمة . وكلثم.

وأما الذكور فهم: السيد محمد درج ولم يعقب– وعبد الله الشيخ الصالح الرضا– وإبراهيم الجون، وأمهما هي: أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﵁.

فأما السيد ابراهيم الجون فأعقب ثلاثة ذكور وخمس بنات ، وله ذرية من ولديه السيد إسماعيل والسيد يوسف الأخضر. وقيل أن ذريته فقط من السيد يوسف الأخضر أمير اليمامة، فعقب السيد يوسف أمير اليمامة من ستة بنين وخمس بنات.

(٧)

وأما الإمام عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجوْن بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى

وأمه أم سلمة البكرية، فقد كان معروفاً بالزهد وكثرة العبادة يؤثر الخفاء والعزلة على الظهور، توارى في أيام الخليفة المأمون العباسي، فكتب إليه بعد وفاة الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم، يدعوه إلى الظهور ليجعله مكانه ويبايع له، فأبى واعتزل،لأن المأمون كان قد أوصى أن تكون الخلافة من بعده للإمام على الرضا لكنه توفي قبله مسموماً ودفنه المأمون بطوس إلى جانب والده هارون الرشيد.

ثم إن السيد عبد الله الشيخ الصالح خرج سائحاً إلى البادية ومات بها، قيل إن عقب السيد عبد الله هو أكثر بني الإمام الحسن عدداً وأشدهم بأساً وأحماهم ذماماً.

أولاده: فمن البنات: السيدة فاطمة . وعاتكة . وأم سلمة ومن الرجال السادة: داود- وإدريس . وعيسى . وأيوب . ويحيى . وأحمد وموسى الثاني . وصالح . وسليمان . وعلي . ومحمد . وإبراهيم . اثنا عشر ذكراً.

فأما السيد محمد وإبراهيم فقد أعقبا بناتٍ فقط.

وقد اتفق النسابون على أن المعقبين من أبناء السيد عبد الله الشيخ الصالح خمسة فقط وهم السادة: يحيى الفقيه السويقي . وأحمد المسور . وموسى الثاني . وصالح . وسليمان.

فأما السيد يحيى الفقيه السويقي، فأمه: خليدة بنت زهير بن زمعة بن ربعي بن خزارة بن معاوية بن قيس بن سيار بن هبيرة من بنى أسد بن خزيمة.

وعقب السيد يحيى من اثنين من أولاده وهما: السيد:أبو حنظلة إبراهيم . وأبو داود محمد، وأمهما: السيدة مريم بنت السيد إبراهيم بن السيد موسى الجون.

وأما السيد أحمد المسور، فأمه عائشة بنت عبد الله بن حميد بن سهيل بن حنظلة بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وكان سيداً جليل القدر عظيم الشأن كثير الفضائل. كريم الأخلاق ذاهمة عالية ومروءة وشهامة وفراسة وشجاعة، له في الحروب مواقف عظيمة، وغارات جزيلة.

وأعقابه يسمون الأحمديين، وهم عدد كثير، أهل رياسة وسيادة، وكانوا يستوطنون نهر العلقمية من وادي ينبع مع عدد من أبناء عمومتهم من بنى الحسن المثنى.

وقد اختفى السيد أحمد المسور بسبب مطاردة العباسيين له فغابت أخباره إلا أن ذريته تكاثرت وتوسع انتشارها في بلاد شتى ومن ذريته ال الكتبي الحسني في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعقبه من ثلاثة من أولاده وهم السادة: محمد الأصغر. وصالح. وداود الأمير، وذريته هي الأكثر وهم الأكثر سيادة وإمارة.

وأما السيد صالح فإنه أقل إخوته عقباً ومن أولاده السيدة: ذلفاء، ولم يعقب من أولاده إلا واحد هو : السيد أبو عبد الله محمد الشاعر.

وأما السيد سليمان، وأمه هي أم شقيقه السيد موسى الثاني، فكان سيداً وجيهاً، وأولاده يعرفون بالسليمانيين، ويسكنون بالبادية بالمخلاف بتهامة الشمالية، وذريته من ولد واحد هو السيد داود.

(٨)
وأما الإمام موسى الثاني بن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى

ويكنى أبا عمر، وأمه: أمامة بنت طلحة بن صالح بن عبد الله بن عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزاري، فقد كان من أهل الحديث ومن كبار الزهاد روي أن سعيداً الحاجب أخذه وولده إدريس أسيرين فاجتمع عدد كبير من العرب من بنى فزارة وغيرهم ليخلصوه منه،

فسمه سعيد، وخلصوا ولده إدريس وكان مقتله بالسم سنة ست وخمسين ومائتين، بسويقة وذرية السيد موسى الثاني كبيرة جداً، وأولاده يقال لهم الموسويون، وعددهم ثمانية عشر ذكراًوعشر بنات.

فمن البنات: أم محمد . وزينب . وفاطمة . وأم موسى هند . وأم عبد الله . وأمامة . ومليكة . وريطة . ومريم.

وأما الذكور فهم السادة: عيسى . وإبراهيم . والحسين الأكبر . وسليمان . وإسحاق . وعبد الله . وأحمد وحمزة . وإدريس . ويوسف . ومحمد الأصغر . ويحيى . وصالح . والحسين الأصغر . والحسن . وعلي . وداود . ومحمد الأكبر.

فأما عيسى فلم يعقب، وأما الحسين الأكبر فلم يذكر له ولد.

وأما إبراهيم . وعبد الله . وحمزة . والحسين الأصغر أو الأعرج فانقرضوا.

وأما السيد سليمان:فأمه أم ولد، وله عقب.

وأما السيد إدريس، فكان سيداً جليلاً وأمه أم ولد مغربية تسمى: أم مجيد، مات سنة ثلاثمائة، وله عقب.

وأما السيد يوسف فيلقب . بالحرف . وله عقب.

وأما السيد يحيى ويلقب . بالفقيه . أو . العابد . وله عقب وأما السيد محمد الأصغر ويعرف بالأعرابي فله عقب من ولدين هما:السيد عبد الله أبو الزوائد . وأبو علي أحمد الأعرج.

وأما السيد صالح ويلقب بالأرت . فعقبه من ابنه السيد محمد.

وأما السيد أحمد فعقبه من ثلاثة هم . السيد الحسن وله عقب بسمرقند . وموسى الفارس وعقبه بالحجاز . والسيد غني وقيل يحيى أبو العجاج وكان فقيها.

وأما السيد الحسن، وكان سيداً شريفاً، وعقبه من ثلاثة وهم: السادة أحمد . ومحمد الأمير الفارس . وزيد، وذريته بينبع وضواحيها.

وأما السيد علي الأصغر فأعقب خمسة، والمعقبون منهم ثلاثة وهم: السادة عبد الله العالم . وعيسى . والحسين.

(٩)

وأما السيد داود الأمير بن موسى الثاني بن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى.

وأمه: محبوبة بنت مزاحم الكلابية، فكان يقال له للتعريف ابن الكلابية، وكان أميراً جليلاً وعقبه من ثلاثة وهم السادة:

محمد . والحسن . وموسى، ويقال إن عقب السيد موسى قد انقرض.

وأم الثلاثة أم ولد رومية، فكان يقال لهم: بنو الرومية للتعريف

فأما ولده السيد الحسن فقد أعقب ثلاثة رجال وهم:

أبو الليل عبد الله . ومحمد . وسليمان، والعقب منهم لأبي الليل عبد الله . وسليمان.

(١٠)

وأما السيد محمد بن داود الأمير بن موسى الثاني بن عبد الله الشيخ الصالح.

ففي ولده العدد، فأعقب من خمسة من أولاده وهم السادة:

علي- وعبد الله الصليصل . وأحمد . وأبو الليل الحسن . ويحيى الزاهد.

(١١)

ثم إن السيد يحيى الزاهد بن محمد بن داود الأمير بن موسى الثاني بن عبد الله الشيخ الصالح، المعروف بإبن الرومية.

أعقب من ثلاثة رجال وهم السادة: محمد - وأحمد وعلي، فمن أولاد علي . الفضل والحسن.

وأعقب السيد أحمد من رجلين هما: السيد رزق الله والسيد عبد الله.

(١٢)

وأما السيد محمد بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود الأمير

فعقبه من رجلين هما: السيد يحيى . والسيد عبد الله الجيلي

(١٣)

ثم إن السيد عبد الله بن محمد بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود الأمير

أعقب السيد يحيى والسيد الجليل أبا صالح موسى الملقب بـ (جنكي أو جنكا دوست).

فأما السيد يحيى فأعقب: السيد محمداً الوارد من أرض الحجاز إلى أرض العراق . وذباباً، ولهما عقب.

(١٤)

وأما السيد موسى جنكي دوست بن عبد الله الجيلي بن محمد بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود الأمير بن موسى الثاني بن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد ﷺ

فأعقب السيد عبد الله مات شاباً ولم يعقب . والسيد الإمام سلطان الأولياء وعلم الأصفياء محيي الدين عبد القادر الجيلاني ويقال الكيلاني ويقال الجيلي المكنى بأبي محمد وأبي صالح.

وهو ﷺ وعن أجداده أعقب تسعةً وأربعين ولداً، سبعة وعشرين ذكراً، واثنين وعشرين بنتاً، مات أغلبهم في حياته.

والعقب منهم لسبعة ذكور وبنتين، على حسب الذي توصلت إلى معرفته والله أعلم.

هذه التراجم التي بينتها من ترجمة الإمام الحسن المثنى حتى السيد موسى جنكي دوست لها عدة مراجع جمع بعضها النسابة السيد إيهاب بن يعقوب الكتبي الحسني الحسيني في كتابه المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى.

وقال شقيقه النسابة أيضاً السيد أنس الكتبي في كتابه الأصول في ذرية البضعة البتول: "والقادريون من مشاهير أهل البيت، ومن أصرح الأنساب المنتمية إلى الإمام الحسن عليه السلام، فنسبهم ثابت لا غبار عليه، والطوامير مليئة بنسبهم الجليل وقال: وقد طالعت وثيقة قديمة باللغة الفارسية فيها النسب المذكور.

قال: وقد طعن ابن عنبة صاحب كتاب عمدة الطالب، وأنكر صحة نسبهم، إذ يقول: أن الشيخ عبد القادر لم يدع هذا النسب، ولا أحد من أولاده، بل ابتدع هذه الدعوة ولد ولده القاضي أبو صالح نصر بن أبي بكر (عبد الرزاق) بن عبد القادر.

قال السيد أنس الكتبي، أقول: "إن هذا قول مردود عليه، فصاحب العمدة لم يكن من معاصري الشيخ عبد القادر، فكيف علم أن الشيخ لم يدع هذا النسب هو ولا أولاده؟ ومن جهة أخرى فالمعروف أن الشيخ عبد القادر كان رجلاً صوفياً اشتغل بخدمة العلم وطلابه طيلة حياته، وجاء أولاده من بعده سائرين على نهجه، وخدموا طريقة والدهم، فجعلوا زاويته بالعراق مفتوحة لطلاب العلم، ولكن عندما جاء حفيده وكان قاضياً عالماً بأمور الشريعة، أظهر ما في حوزته من وثائق وحجج ورثها عن آبائه وأجداده، بعد أن ظهرت الحجة بصحة النسب.

فالبيوت العلوية أدرى بما فيها، وكل بيت علوي فيه دلائله وحججه، ولا نعلم أن الشيخ عبد القادر كان له حكمة من عدم إظهار نسبه واشتهاره، لأنه كان يرى أن دوره في هذه الحياة لا سيما أنه حفيد بيت النبوّة معدن الحكمة والرسالة مقتصر على تعليم الطلاب، فلم يشهر ذلك إلا لخواصه أو من سأله.

أما قول ابن عنبة أن اسم (جنكى دوست) اسم أعجمي، فأود أن أوضح أن صاحب العمدة لم يتحقق مما كتب، وكان من الواجب عليه التحقق من هذا الاسم هل هو اسم أو كنية أو لقب؟ فهو نسابة ويعلم أن كثيراً من الألقاب الأعجمية اختلطت بأسماء أهل البيت بسبب هجراتهم، وتفرقهم في الأرض، وهذا أمر مشهود في كثير من أنساب أهل البيت، وكتاب العمدة مليء بذلك.

وقد ثبت لنا مما تقدم أن والد الشيخ عبد القادر كان يعيش في بلدة كيلان، وهي بلدة أعجمية في شمال إيران، فأهل البيت وصلت هجراتهم إلى أبعد من ذلك، فكل من سكن في بلاد العجم لم يقتصر على التلقب بألقاب العجم، بل سمى بأسمائهم، فكلمة جنكى دوست جاء معناها في المعجم الفارسي ـ أي العظيم القدر.

وهنا نتوقف ونقول: إن والد الشيخ عبد القادر هو موسى، وكنيته أبو صالح، ولقبه جنكى دوست، وهكذا ما أيده كثير من المؤرخين والنسابين، وعند تحققي لهذا الأمر وقفت على وثيقة قديمة محفوظة أصلها في خزانتنا يصل عمرها إلى أكثر من خمسمائة عام، وهي نسبة

أو إجازة في الطريقة القادرية لأحد أجدادنا، وجاء فيها نسب الشيخ عبد القادر ما نصه: هو عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكى دوست بن عبد الله الجيلي...

قال: إنه لا شك ولا شبهة في صحة نسب الشيخ عبد القادر الجيلاني، فنسبه ونسب ذريته واضح كالشمس في رابعة النهار، وقد بارك الله في هذه الذرية، وانتشرت في كثير من بقاع الأرض. فالقادريون كما يقول البعض أو الجيلانيون أو الكيلانيون، وكلهم نسبتهم واحدة،وهم منتشرون في الحجاز ومصر وفلسطين وبلاد الشام والهند وبلاد فارس وغير ذلك، نسبتهم صحيحة.اهـ.

قلت: من المعروف عادة أنه لا يوجد في نسب من الأنساب صلحاء وعلماء كما في نسب أهل البيت، فذرية الإمام عبد القادر فيها من الصلحاء والأولياء الأكابر والعلماء والفقهاء والمحدثين عدد كبير يصعب حصره:وهذا لا يكون بهذه الكثرة عادة إلا في نسب آل البيت الأطهار الأشراف.

ذكر بعض مشايخه، وبعض من أخذ عنه
ومكانته بين العلماء والأولياء، وأنه ﷺ شيخ عصره وإمام وقته

إن سيدي الشيخ عبد القادر قدس سره ترك جيلان ابن ستة عشر عاما" وقيل ابن عشر سنين وبقي في صحراء العراق إلى أن دخل بأمر من سيدنا الخضر عليه السلام بغداد وعمره ثماني عشرة سنة في السنة التي مات بها التيمي وهي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان الخليفة ببغداد إذ ذاك المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله العباسى.

ثم بعد دخوله بغداد جمع بين طلب العلم والسياحة والمجاهدة إلى أن ظهر أمره.

قال الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشافعي اللخمي صاحب كتاب بهجة الأسرار: (فياله من قادم تواردت بقدومه مقدمات السعادة لأرض نزل بلادها وترادفت عليها سحائب الرحمة فعمت طارفها وتلادها وتضاعف فيها الهدى فأضاءت أبدالها وأوتادها وتتابعت إليها وفود التهاني فأصبحت كل أحيانها أعيادها، وأضحى قلب العراق بنور وده بالبشر متواجد ولسان ثغره بإقبال وجهه ينطق لله بالمحامد.

(البحر الطويل)

لمقدمه انْهلَّ السحابُ وأعشبَ العراقُ ... وزالَ الغيُّ واتَّضحَ الرشْدُ

فعيدانُهُ رندٌ وصحراؤه حِمى ... وحصباؤهُ درٌّ وأنواره شهدُ

يميسُ به صدرُ العراق صبابةً ... وفي قلب نجدٍ من محاسنه وجدُ

وفي الشرق برقٌ من مقابس نورهِ ... وفي الغربِ من ذكرى جلالته رعدُ

قال الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي في قلائد الجواهر: ولما علم (أي السيد عبد القادر رضي الله عنه) أن طلب العلم على كل مسلم فريضة وأنه شفاء للأنفس المريضة، إذ هو أفصح منهاج التقى سبيلا وأبلغها حجة وأظهرها دليلاً وأرفع معارج اليقين وأعلى مدارج المتقين وأعظم مناصب الدين وأفخر مراتب المهتدين، شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تحصيله

وسارع في طلب فروعه وأصوله وقصد أشياخ الأئمة أعلام الهدى في الأمة ،وتفقه بعد أن قرأ القرآن العظيم حتى أتقنه وعمر بدراسته سره وعلنه، بأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي وأبي الخطاب محفوظ الكلوذاني الحنبلي وأبي الحسن محمد بن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي والقاضي أبي سعيد المبارك بن علي الُمخَرِمي الحنبلي، مذهبا وخلافاً وفروعاً وأصولاً.

وقرأ الأدب على أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي.

وسمع الحديث من جماعة منهم أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني.

وأبو سعيد محمد بن عبد الكريم بن خشيشا.

وأبو الغنائم محمد بن محمد بن علي بن ميمون الفرسى.

وأبو بكر أحمد بن المظفر.

وأبو جعفر بن أحمد بن الحسين القارى السراج.

وأبو القاسم علي بن أحمد بن بنان الكرخي.

وأبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف، وابن عمه عبد الرحمن بن أحمد

وأبو البركات هبة الله بن المبارك.

وأبو العز محمد بن المختار.

وأبو نصر محمد، وأبو غالب أحمد، وأبو عبد الله يحيى أولاد علي البنا.

وأبو الحسن بن المبارك بن الطيور.

وأبو منصور عبد الرحمن القزاز.

وأبو البركات طلحة العاقولي ، وغيرهم ، وأخذ الفقه الشافعي وعلوماً أخرى

وأخذ التصوف عن شيخ بغداد أبي الخير حماد الدباس بن مسلم بن داوه الدباس وتأدب به وسلك على يده.

وأخذ أيضاً عن الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي الُمخَرِمي ولبس الخرقة منه.

وأخذ أيضاً عن الشيخ يوسف الهمداني.

وقد انتمى إليه جمع من العلماء وتتلمذ له خلق كثير لا يحصون فممن انتمى إليه من المشايخ وأخذ عنه من العلوم الشيخ القدوة أبو عمرو عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلامة القرشي نزيل مصر.

قال الشيخ عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما : لما حج والدي رحمه الله تعالى في السنة التي كنت معه فيها اجتمع به في عرفات الشيخان ابن مرزوق وأبو مدين قدس سرهما ولبسا منه خرقة بركة، وسمعا عليه جزءاً من مروياته وجلسا بين يديه.

وقال الشيخ سعد بن عثمان بن مرزوق المذكور: وكان أبي رحمه الله تعالى يقول: قال شيخنا عبد القادر كذا وكذا، رأيت سيدنا الشيخ عبد القادر يفعل كذا، سمعت أستاذنا الشيخ أبا محمد عبد القادر يقول كذا، كان إمامنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر يفعل كذا.

ومن الذين أخذوا عنه أيضاً القاضي أبو يعلى محمد بن محمد الفراء الحنبلي، قال عبد العزيز بن الأخضر سمعت أبا يعلى يقول جالست الشيخ عبد القادر كثيراً وقلت بإرادته.

وأخذ عنه الشيخ الفقيه أبو الفتح نصر المنى، والشيخ أبو محمد محمود بن عثمان البقال، والشيخ أبو حفص عمر بن أبي نصر علي الغزال . والشيخ أبو محمد الحسن الفارسي . والشيخ عبد الله بن أحمد الخشاب . والإمام أبو عمرو عثمان الملقب بشافعي زمانه– والشيخ محمد بن الكيزان . والشيخ الفقيه رسلان بن عبد الله بن شعبان . والشيخ محمد بن قائد الأواني . والشيخ عبد الله بن سنان الرديني . والشيخ الحسن عبد الله بن رافع الأنصاري . والشيخ طلحة بن مظفر بن غانم العلثمي . والشيخ أحمد بن سعد بن وهب بن علي الهروي . والشيخ محمد بن الأزهر الصيرفينى . والشيخ يحيى بن البركة محفوظ الديبقي . والشيخ علي بن أحمد بن وهب

الأزجي . والشيخ الملقب بقاضي القضاة عبد الملك بن عيسى بن هرباس الماراتى وأخوه الشيخ عثمان وولده الشيخ عبد الرحمن . والشيخ عبد الله بن نصر بن حمزة البكري . والشيخ عبد الجبار بن أبي الفضل القفصي . والشيخ علي بن أبي ظاهر الأنصاري . والشيخ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي الحافظ . والإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي الحنبلي.

قال الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي سمعت عمي الشيخ موفق الدين يقول: لبست أنا والحافظ عبد الغني الخرقة من يد شيخ الإسلام عبد القادر في وقت واحد واشتغلنا عليه بالفقه وسمعنا منه وانتفعنا بصحبته، ولم ندرك من حياته غير خمسين ليلة ومنهم أيضاً الشيخ إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي . والشيخ محمد بن أحمد بن بختيار- والشيخ خلف بن عباس المصري والشيخ عبد المنعم بن علي الحراني . والشيخ إبراهيم الحداد اليمني . والشيخ عبد الله الأسدي اليمنى . والشيخ عطيف بن زياد اليمني . والشيخ عمر بن أحمد اليمني الهجري . والشيخ مدافع بن أحمد . والشيخ إبراهيم بن بشارة العدلي . والشيخ عمر بن مسعود البزاز وأستاذه الشيخ مير بن محمد الجيلاني . والشيخ عبد الله البطائحي نزيل بعلبك . والشيخ مكي بن أبي عثمان السعدي وولده الشيخ عبد الرحمن وصالح- والشيخ عبد الله بن الحسن بن العكبري . والشيخ أبو القاسم بن أبي بكر أحمد، وأخواه الشيخ أحمد وعتيق . والشيخ عبد العزيز بن أبي نصر الجنايدي والشيخ محمد بن أبي المكارم الحجة اليعقوبي . والشيخ عبد الملك بن ديال، وولده الشيخ أبو الفرج . والشيخ أبو أحمد الفضيلة . والشيخ عبد الرحمن بن نجم الخزرجي . والشيخ يحي التكريتي . والشيخ هلال بن أمية العدني . والشيخ يوسف مظفر العاقولي . والشيخ أحمد بن إسماعيل بن حمزة . والشيخ عبد الله بن أحمد بن المنصوري سدونة الصيريفينى . والشيخ عثمان الباسري . والشيخ محمد الواعظ الخياط- والشيخ تاج الدين بن بطة . والشيخ عمر بن المدايني والشيخ عبد الرحمن بن بقا . والشيخ محمد النخال . والشيخ عبد العزيز بن كلف - والشيخ عبد الكريم بن محمد المصري . والشيخ عبد الله بن محمد بن الوليد . والشيخ عبد المحسن بن الدويرة . والشيخ محمد بن أبي الحسين . والشيخ دلف الحريمي . والشيخ أحمد بن الدبيقي والشيخ محمد بن أحمد المؤذن- والشيخ يوسف بن هبة الله الدمشقي . والشيخ أحمد بن مطيع . والشيخ علي بن النفيس المأموني . والشيخ محمد بن الليث الضرير .

والشيخ الشريف أحمد بن منصور . والشيخ علي بن أبي بكر بن إدريس . والشيخ محمد بن نصرة . والشيخ عبد اللطيف بن محمد الحراني . والشيخ أبو محمد عبد الله الجبائي.

قال الحافظ بن النجار في تاريخه ما معناه: (عبد الله الجبائي الشامي من طرابلس، (أصله من قرية بشري من قرى جرود شمال لبنان)، كان أبوه نصرانيا فمات والده وهو صغير فأسلم في صغره وحسن إسلامه وحفظ القرآن وقدم بغداد طالباً للعلم في سنة أربعين وخمسمائة وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل... ولد سنة إحدى وعشرين تقريباً وأسلم في الحادية عشرة من عمره ومات بأصبهان يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وستمائة، ودفن بخانقاه بهاء الدين الحسن بن أبي الهيجاء. وروى عنه عدد من الأكابر. وكان من أصحاب الكرامات والأحوال النفيسة).

ومنهم الشيخ بديع الدين خلف بن عياش الشارعي الشافعي.

قال الشيخ بديع الدين: (بعثني الشيخ أبو عمرو عثمان السعدي شافعي زمانه إلى بغداد لأحصل له مسند الإمام أحمد ﷺ، فلما قدمت بغداد وجدت الناس ملهجين بذكر الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ، فقلت في نفسي إن كان هذا الرجل كما يقال عنه فهو يكاشفني بما أصوره في نفسي ثم رتبت صورة لا توافق العادة وقلت في نفسي أريد إذا دخلت على الشيخ وسلمت عليه لا يرد علي ويعرض عني بوجهه ويقول لخادمه ائتنى بقطعة من تمر على قدر قرعة هذا الرجل وبقل بدانقين لا يزيد حبة ولا ينقص حبة فإذا أتاه بذلك ألبسني الطاقية قبل أن أسأله ويرد علي السلام، قال وقمت على الفور وأتيت مدرسته فوافيته جالساً في المحراب فنظر إليّ نظرة فهمت منها أنه علم جميع ما في نفسي، قال فسلمت عليه فلم يرد علي السلام وحول وجهه عني وقال لخادمه افعل كذا وكذا أي ما قلته في نفسي، فلما جاءه خادمه أخذ الطاقية وهي طاقيتي وجعل فيها قطعة من تمر فكانت كأنها لها قالب وقدم لي البقل ثم ألبسني الطاقية ورد علي السلام ثم قال : يا خلف أنت أردت هذا كله قال فأقمت عنده وتحملت عنه العلم وسمعت عليه الحديث، والشيخ بديع الدين كان من العلماء الصلحاء المحدثين سكن بمصر وهو الذي ألبس أهلها الخرقة القادرية، أي أول من نشر هذه الطريقة بمصر.

ثم إن ممن كان يحضر مجالس الشيخ عبد القادر ويأخذ عنه من أجلاء مشايخ ذلك العصر الشيخ الكبير علي بن الهيتي . والشيخ بقا بن بطو . والشيخ موسى بن ماهين وقيل ماهان . والشيخ ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهروردي . وابن أخيه الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري شيخ الطريقة السهروردية . والشيخ الخليفة بن موسى النهر ملكي – والشيخ مكارم بن إدريس النهرخالصي . والشيخ جاكير الكردي– والشيخ مطر الباذراني . والشيخ أبا الحسن الجوسقى . وغيرهم من أعيان مشايخ العراق وساداتها، وبالجملة فإن غالب مشايخ عصره انتموا إليه.

والشيخ شعيب أو مدين المغربي ﷺ أحد الصديقين الأكابر وهو شيخ المغرب وهو أحد المشايخ الذين أخذ عنهم الإمام القطب شيخ الطريقة الشاذلية السيد أبو الحسن علي الشاذلي الحسني قدس سره العزيز.

وكذلك الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي هو أحد أعيان المشايخ في مصر الذين أبرزهم الله وكان على شأن عظيم من حيث المقام والتصرف ﷺ.

وأما الشيخ الحافظ بن قدامة المقدسي فهو صاحب كتاب المغني وهو أحد أصحاب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ﷺ أجمعين كذلك ابن نجا الواعظ كان من أصحاب السلطان صلاح الدين ومستشاره كابن قدامة.

وقد ذكر المؤلف ماجد عرسان الكيلاني في كتاب (هكذا ظهر جيل صلاح الدين) أن أكثر جيش السلطان صلاح الدين كان ممن تخرجوا من مدرسة الشيخ عبد القادر والشيخ الإمام محمد الغزالي قدس سرهما.

ولا يوجد إحصاء كامل لعدد الذين تأهلوا للإرشاد ممن صحبوا الإمام عبد القادر ومن صحبوا تلاميذه في حياته إلا أن محمد العيني أستاذ جامعة استنبول سابقاً ذكر في كتابه . الشيخ عبد القادر الكيلاني . النسخة الفرنسية أنه كان يتخرج على يد الشيخ كل سنة ثلاثة آلاف رجل، قلت: والذين تخرجوا بصحبته كانوا ينتشرون في الأرض لنشر الدعوة والجهاد ونشر طريقته وهكذا تخرج بصحبتهم عدد كبير، ثم ذرية الشيخ وتلاميذه من بعده اشتغلوا بنشر الدعوة والعلم في أنحاء العالم حتى صارت الطريقة القادرية أكثر الطرق انتشاراً في العالم حتى

يومنا هذا، كما تخرج به عدد من النساء منهن بناته، والشيخة عائشة بنت محمد البغدادي وكانت مشهورة بالعلم والوعظ والصلاح، عمرت طويلاً، توفيت سنة ٦٤١هـ كما في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. والشيخة المعروفة باسم تاج النساء بنت فضائل بن علي التكريتي، زوجة السيد عبد الرزاق بن الإمام الجيلاني، توفيت سنة ٦١٣هـ ودفنت بباب حرب، ذكرها الشيخ عبد العظيم المنذري في التكملة لوفيات النقلة... وغيرهن كثير.

وعدد العلماء والأولياء المنتسبين لهذه الطريقة العلية من زمن الإمام الشيخ عبد القادر حتى يومنا يصعب جمع أسمائهم ومناقبهم لكثرتهم زادهم الله وبارك فيهم وبكل من انتمى إلى طريق من طرق أهل الله وكان على الحق آمين.

وممن كان يحضر مجالس الشيخ عبد القادر وأخذ عنه من الأعلام المشاهير وزير المقتفي لأمر الله، عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، وكان عالما أديبا حنبلي المذهب، وهو أحد مشايخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزي الحنبلي من نسب سيدنا الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﵁.

واعلم أن الإمام القطب الكبير الشريف الشيخ أحمد علوان الحسني النسب الذي اشتهر باليمن بجوزي اليمن لحسن وعظه شيخ الطريقة العلوانية قدس سره أخذ من عدة مشايخ من المشاهير ومن جملة من أخذ عنهم الشيخ أبو الغيث بن جميل وهو أخذ من الشيخ الجليل الشريف علي بن عمر الأهدل وهو أخذ من الشيخ الكبير العارف علي الأحور وهو أخذ من الإمام شيخ الشيوخ عبد القادر الجيلاني قدست أرواحهم الطاهرة.

والشيخ علي الأحور أخذ بعد وفاة الشيخ عبد القادر من الإمام الكبير شيخ زمانه أحمد الرفاعي الحسيني قدس سره العزيز فكما ذكرت آنفا فإن معظم أكابر ذلك العصر انتموا إلى سيدي الإمام عبد القادر ﵁، وإن من أعظم أتباع الشيخ عبد القادر الإمام الشيخ أبا السعود بن شبل البغدادي، فإنه كان إمام وقته في الطريق.

ولما انتشر صيت سيدي الإمام في أصقاع الأرض توافدت إليه الشيوخ والمريدون، فكان يصل عدد الحضور في مجلس وعظه إلى السبعين ألفاً وأحيانا إلى مئة ألف كما ذكر بعض أهل التراجم وكان من كراماته أن الكل يسمعون صوته كما يسمع القريب منه.

وقد ذكر التادفي وغيره أن سيدي الشيخ عبد الوهاب بن الإمام الشيخ عبد القادر قال:"(كان والدي يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بالمدرسة بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء، وبالرباط بكرة الأحد وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم، ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وآخرها سنة إحدى وستين وخمسمائة.

ومدة تصدره للتدريس والفتوى ثلاث وثلاثون سنة أولها سنة ثمان وعشرين وآخرها سنة إحدى وستين، وكان يقرأ في مجلسه قارئان قراءة مرسلة مجردة بغير ألحان، ويقرأ أيضاً في مجلسه الشريف مسعود الهاشمي.

وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة، ويكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالم وغيره، . أي يموتون من قوة الحال يعنى شدة الوجد- وكان كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي ﷺ إهـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه غبطة الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر أن سبط ابن الجوزي قال في مرآة الزمان: (كانت الفتاوى تأتي إليه من بلاد العراق وغيرها فما كان يبيت عنده فتوى بل يكتب عليه عقيب قراءتها من غير تفكر، وكان يفتي على مذهب الشافعي وعلى مذهب أحمد بن حنبل وتعرض أجوبته على العلماء فيكون تعجبهم من إسراعه).

وكان كل من اشتغل عليه بفن من الفنون مهر في ذلك الفن حتى يفوق أقرانه وَيُحتاج إليه.

قال: ونقل عن الأكابر أن الشيخ كان يقرأ في ثلاثة عشر علماً (أي كل يوم) وكان يبدأ في مدرسته بدرس من التفسير ودرس من الحديث ودرس من الفقه ودرس من الخلاف، ويُقرأُ عليه القرآن بالمرويات بعد الظهر.

وقال صاحب البهجة والتادفي: (وقال الشيخ عمر بن مسعود البزاز (ما رأت عيناي أفقه في علوم الحقائق من سيدي الشيخ عبد القادر قيل له إن أحد مريديه يقول إنه يرى الله عز وجل بعين رأسه فاستدعاه وسأله عن ذلك فقال : نعم، فانتهره ونهاه عن هذا القول وأخذ عليه ألّا يعود فقيل له أمحق هذا أم مبطل قال هو محق ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شهدته بصيرته وإنما رأى بصره بصيرته فحسب وهو لا يدري، وكان جمع من المشايخ والعلماء حاضرين فأطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال الرجل ﷺ.

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن أحمد البندنيجى حضرت أنا والشيخ جمال الدين الجوزي (الإمام المشهور بابن الجوزي) رحمهما الله تعالى مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه، فقرأ القارئ آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجهاً، فقلت للشيخ جمال الدين أتعلم هذا الوجه قال نعم، ثم ذكر وجهاً آخر فقلت له أتعلم هذا الوجه قال نعم، فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجهاً وأنا أقول له أتعلم هذا الوجه وهو يقول نعم ثم الشيخ ذكر فيها وجهاً وجهاً آخر فقلت له أتعلم هذا قال لا حتى ذكر فيها كمال الأربعين وجهاً يعزو كل وجه إلى قائله والشيخ جمال الدين يقول لا أعرف هذا الوجه، واشتد عجبه من سعة علم سيدنا الشيخ ﷺ، ثم قال. أي الشيخ عبد القادر . نترك القال ونرجع إلى الحال لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، وخرق الشيخ جمال الدين ثيابه.

يعني أن سيدي الإمام كما هو رأس في علوم الشريعة هو رأس في علوم الحقائق وقوة الحال حتى إن حاله كان يسري في كل الحاضرين مع كثرة عددهم وقد نقل عن الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي أنه تاب على يد الشيخ عبد القادر معظم أهل بغداد وأسلم على يديه معظم يهود ونصارى بغداد– وسكان بغداد في ذلك الوقت يقدرون بألفي ألف تقريباً.

ومما يشهد على أنه سيد أهل عصره وإمام وقته ثناء أكابر العلماء والعارفين عليه ممن عاصروه ومن جاء بعدهم إلى أيامنا، وكذلك عامة العلماء ومؤلفو كتب التواريخ والمناقب.

فمن ذلك ما ذكره ابن الملقن في طبقات الأولياء وغيره أن الإمام القطب الشهير الشيخ أحمد الرفاعي الكبير الحسيني قال عندما ذكر الشيخ عبد القادر في مجلسه: "(الشيخ

عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه ومن يبلغ مبلغه ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيَّهما شاء اغترف، لا ثاني له في وقتنا هذا.

وقال التادفي قال الشيخ عبد الرحيم الرفاعي: (قدمت بغداد وحضرت الشيخ محيي الدين عبد القادر سلام الله عليه فرأيت من حاله وفراغ قلبه وخلو سره ما أذهلني، فلما رجعت إلى أم عبيدة أخبرت خالي الشيخ أحمد عنه بذلك فقال: يا ولدي من يطيق مثل قوة الشيخ عبد القادر وما هو عليه وما وصل إليه.

وقال الشيخ نجم الدين أبو العباس أحمد بن أبي الحسن على البطائحي رحمة الله عليه سمعت أخي الشيخ إبراهيم الأعزب رحمهما الله تعالى . يقول: الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ سيدنا وشيخ المحققين وإمام الصديقين وحجة العارفين وقدوة السالكين إلى رب العالمين ﷺأجمعين.

وسيدي الشيخ إبراهيم الأعزب هو ابن السيدة فاطمة بنت الإمام الكبير أحمد الرفاعي ﷺ ونفعنا به، كان من أكابر العارفين وانتسب إليه عدد كبير وكان له تصرف عظيم في الكرامات وله حال شبيه بحال الإمام الشيخ عبد القادر، وقد تربى الشيخ إبراهيم على يد جده الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره.

وحكي عن جماعة من أصحاب الشيخ أحمد الرفاعي ﷺ أنهم قالوا ذكر الشيخ عبد القادر ﷺ عند شيخنا الشيخ منصور البطائحي فقال: سيأتي زمان يفتقر إليه فيه وتعلو منْزلته بين العارفين ويموت وهو أحب أهل الأرض إلى الله تعالى ورسوله في ذلك الزمان فمن أدركه منكم فليعرف حرمته ويعظم أمره.

والشيخ منصور هو القطب الرباني صاحب المقامات العالية والكرامات الظاهرة والأقدام الراسخة وهو شيخ الإمام أحمد الرفاعي الكبير وخاله، وهو أخذ عن الشيخ الكبير أبي محمد الشنبكي وهو أخذ عن شيخ الشيوخ الإمام أبي بكر بن هوارا، وسيدي الشيخ أبو بكر الهواري البطائحي أخذ عن سيدنا أبي بكر الصديق في المنام بأمر رسول الله ﷺ، وقد ألبسه سيدنا خليفة رسول الله الصديق الأكبر في المنام طاقية وعباءة فلما استيقظ من منامه وجد الطاقية

والعباءة عليه، ثم أخذ باليقظة عن سيدي الإمام سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة ٢٨٣ هـ، وكان سيدي أبو بكر الهواري من أعظم شيوخ عصره فقد أحيا الله على يديه الموتى مع غير ذلك من الكرامات الكثيرة والتي منها أنه دعا الله تعالى أن يحفظ من يزور قبره بعد موته من النار، وقال قد استجيب لي ذلك، ومن كراماته التي ذكرها عدد من أهل التراجم منهم الشعراني في الطبقات الكبرى أنه حدث مرة بالكشف قبل مولد الشيخ عبد القادر بزمن، قال الشيخ أبو محمد الشنبكي قدس سره سمعت شيخنا أبا بكر بن هوارا يقول :(أوتاد العراق ثمانية معروف الكرخي . والإمام أحمد بن حنبل – وبشر الحافي . ومنصور بن عمار . والجنيد . والسري . وسهل بن عبد الله التستري . وعبد القادر الجيلاني، قلت ومن عبد القادر قال:(عجمي شريف يسكن بغداد يكون ظهوره في القرن الخامس وهو أحد الصديقين الأوتاد الأفراد أعيان الدنيا أقطاب الزمان ﷺ أجمعين.

نرى أن مما أكرم الله به سيدي الإمام عبد القادر أن البشائر بظهوره بدأت قبل مولده بأكثر من مئة وسبعين سنة تقريباً نفعنا الله به.

قال التادفي قال الشيخ الفاضل أبو طاهر محمد بن الحسن الأنصاري الخطيب سمعت الشيخ أبا عبد الله محمد القرشي ﷺ يقول سمعت الشيخ أبا الربيع سليماني المالقي يقول: سيد أهل زمانه الشيخ عبد القادر ﷺ.

قال: أبو طاهر فقلت للشيخ القرشي ﷺ الشيخ عبد القادر سيد أهل زمانه؟ فقال نعم، أما الأولياء ﷺفهو أعلاهم وأكملهم، وأما العلماء ﷺفهو أورعهم وأزهدهم، وأما العارفون فهو أعلمهم وأتمهم وأما المشايخ فهو أمكنهم وأقواهم.

وقال الشيخ الأجل أبو الحسن الجوسقي ﷺ : (صمت أذناي وعميت عيناى إن كنت رأيت مثل سيدي الشيخ عبد القادر ﷺ.

وقال الشيخ الكبير أبو مدين شعيب المغربي ﷺ: (لقيت الخضر عليه السلام فسألته عن مشايخ المشرق والمغرب الآن وسألته عن الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ فقال: هو إمام الصديقين وحجة العارفين وهو روح في المعرفة وشأنه القربة بين الأولياء كلهم ﷺ.

وقال الشيخ سويد السنجاري ﷺ غير مرة: (الشيخ عبد القادر ﷺ سيدنا وشيخنا وإمامنا وقدوتنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وهو المقدم على جميع أهل عصره.

وقال الشيخ أبو سليمان داود المنبجي كنت يوماً عند الشيخ عقيل قدس سره فقيل له قد اشتهر ببغداد امرؤ شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر فقال الشيخ عقيل:(فإن أمره في السماء أشهر منه في الأرض...

والشيخ عقيل المنبجي كان شيخ مشايخ الشام في وقته وهو شيخ الطريقة المنبجية أو العمرية، ونسبه يعود إلى الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ، وكان من أصحاب الكرامات ولقب بالطيار لأنه طار مرة وتخرج بصحبته عدد من الأكابر مثل الشيخ الأجل عدي بن مسافر وغيره.

وقال الشيخ عمر الصنهاجي جاء بعض أصحابنا إلى الشيخ أبي نصير يستأذنه في المسير إلى بغداد فقال له: إذا أتيت بغداد فلا يفوتك فيها رؤية رجل بها شريف عجمي اسمه عبد القادر فإذا رأيته فسلم عليه عني واسأله الدعاء وقل لا تنسَ أبا نصير من قلبك فإنه والله لم يخلق في العجم بأسره مثله وإنك لن ترى في العراق مثله وإن المشرق ليفضل على المغرب به وإن علمه ونسبه ميزاه على الأولياء تمييزا واضحا كثيراً.

وقال الشيخ عمر البزاز اشتقت إلى رؤية الشيخ عدي بن مسافر قدس سره واستأذنت الشيخ عبد القادر في زيارته فأذن لي، فسافرت حتى أتيت جبل الهكار فوجدت الشيخ عدياً قائماً على باب زاويته فقال لي: أهلاً يا عمر تركت البحر وجئت إلى الساقية يا عمر الشيخ عبد القادر مالك أزمة الأولياء كلهم وقائد ركب المحبين بأسرهم في هذا الوقت ﷺ.

وقال الشيخ العارف القدوة على بن وهب الشيباني الربيعي المومَوي السنجاري: (الشيخ عبد القادر من هدايا الله تعالى إلى الكون، طوبى لمن جالسه طوبى لمن بات في خاطره الشيخ عبد القادر.

وقال الشيخ يحيى التكريتي لما قدم الشيخ موسى بن ماهين بغداد في طريقه إلى الحج، كنت أنا ووالدي معه فلما اجتمع بالشيخ عبد القادر ﷺ رأينا احترام الشيخ موسى له وأدبه

معه ما لم نره فعله مع غيره، فلما خلونا به قال له والدي ما رأيتك احترمت أحداً مثل ما احترمت الشيخ عبد القادر، فقال: الشيخ عبد القادر خير الناس في زماننا هذا وسلطان الأولياء وسيد العارفين في وقتنا، وكيف لا أتأدب مع من يتأدب معه ملائكة السماء.

وقال الشيخ أبو الحسن عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد النيسابوري سمعت بدمشق سنة ست وتسعين وخمسمائة الشيخ رسلان ـ الدمشقي ـ ﷺ يقول وقد ذكر الشيخ عبد القادر ﷺ: (الشيخ عبد القادر ﷺ من صدور الحضرة وأفراد الوجود، قد أنطق بالحكمة وسلمت إليه أحكام التصريف... وهو نائب رسول ﷺ).

وهؤلاء الأكابر الذين أثنوْا على سيدي الشيخ عبد القادر هم من أعيان ذلك العصر، انظر تراجمهم في قلائد الجواهر، والطبقات الكبرى للشعراني والطبقات للمناوي وغيرهم.

وذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء قال: إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر.

وذكر المناوي أن الشيخ العز بن عبد السلام قال في حق الشيخ عبد القادر: (بلغت الإمامة مبلغ القطع).

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: الشيخ أبو محمد محيي الدين والسنة عبد القادر بن أبي صالح الجيلي الزاهد صاحب الكرامات والمقامات وشيخ الفقهاء والفقراء — أي الصوفية ـ، وكان إمام زمانه وقطب عصره وشيخ شيوخ الوقت بلا مدافعة...

كان الشيخ عبد القادر ﷺ رأساً في العلم والعمل وفي الجملة فكراماته متواترة جمة ولم يخلف بعده مثله.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء تاج الأصفياء محيي السنة مميت البدعة معقل العلم السيد الشريف

الحسيب النسيب الحافظ لأحاديث جده سيد المرسلين محمد ﷺ، الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي الحنبلي شيخ بغداد وغفيرها ﷺ.

وقال الذهبي في العبر: الشيخ عبد القادر بن أبي صالح جنكى دوست الجيلي شيخ بغداد الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وصاحب المقامات والكرامات ومدرس الحنابلة محيي الدين انتهى إليه التقدم في الوعظ والكلام على الخواطر.

وقال الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني في تاريخه: أبو محمد عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح دين خير كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة كتب عنه.

وقال ابن النجار في تاريخه (ذيل تاريخ بغداد): عبد القادر بن أبي صالح جنكا دوست الزاهد من أهل جيلان أحد أئمة المسلمين العاملين بعلمهم صاحب الكرامات الظاهرة، ذكر أنه دخل بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وله ثماني عشرة سنة فقرأ الفقه وأحكم الأصول والفروع والخلاف، وسمع الحديث واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياسة والسياحة والمجاهدة الشديدة وتحمل الأحوال المشِقة والدخول في الأمور الصعبة من مخالفة النفس وملازمة السهر والجوع والمقام في الخراب والصحاري، وصحب الشيخ حماداً الدباس الزاهد وأخذ عنه علم الطريقة ثم إن الله أظهره للخلق وأوقع له القبول العظيم عند الخاص والعام.

وقال الحافظ ابن رجب في طبقاته: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكى دوست بن أبي عبد الله الجيلي ثم البغدادي الزاهد شيخ العصر وعلامة الحين وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة محيي الدين أبو محمد...ظهر للناس وحصل له القبول التام وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار والبلاد وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم.

وقال ابن حجر العسقلاني في غبطة الناظر: وقال الحافظ زين الدين بن رجب في ذيل الطبقات: سيد الحنابلة عبد القادر شيخ العصر وسلطان المشايخ وسيد الطريقة في وقته صاحب المقامات إلى أن قال: وحصل له القبول التام واعتقدوا صلاحه وديانته وانتفعوا بوعظه وانتصر به أهل السنة واشتهرت أحواله وكراماته وكان معظماً في عصره عند مشايخ الوقت من العلماء والزهاد وكان يتوب عنده في مجلسه خلق كثير.

وقال التادفي: وقال شيخ الإسلام الشيخ محيي الدين النووي رحمة الله تعالى عليه في كتابه بستان العارفين: ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي ﷺ، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتمى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وقال بإرادته جم غفير من ذوى الأحوال الفاخرة وتلمذ له خلق لا يحصون عدداً وكثرة من أرباب المقامات الرفيعة وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء ﷺ بالتبجيل والإعظام والإحكام والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه وقصد بالزيارات مع النذورات من كل قطر ورمي بالآمال من كل جهة وأهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق، وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظماً لأهل العلم مكرماً لأرباب الدين والسنة مبغضاً لأهل البدعة والأهواء محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة وبالجملة فلم يكن في زمنه مثله ﷺ).

وقال الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي في كتابه طبقات الصوفية الكبرى: (عبد القادر بن موسى الجيلاني الحنبلي، من ذرية الحسن ﷺ الذي طار ذكره في الآفاق، وأجمع على إمامته أهل الخلاف والوفاق، كان جريء اللسان، ثابت الجأش والجنان، وله إقدام وتمكن أقدام، ملوكي الفتح، عظيم المنْزلة في التصريف، ومواعظه مشحونة بلطائف ورقائق، يُرجى الرَّجاء منها وتُخشى الصواعق، ومجالس يُثني عليها الأئمة، ولو سكتوا أثنت حدائق الحقائق).

وكان في الفقه إماماً، وفي التصوف لا يسام رفعة ولا يسامى، قد تضلع من الأصول والفروع، وتقدم على غيره في كل فن مشروع، قلّ نظيره وعلا على أعلى الأطلس أثيره، اعترف له بذلك كل فقهاء عصره، وصوفية مصره وحسبك قول العز بن عبد السلام في حقه :(بلغت الإمامة مبلغ القطع).

ثم لو أردت أن أذكر في كتابي هذا كل من أثنى على إمامنا وسيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ فإني قد أموت قبل أن أنهي الكتاب وإن ما ذكرته وما سأذكره فهو من باب الاستئناس والتبرك بذكر سيرته ومناقبه وإلا فشهرته تغني عن التعريف ﷺ ونفعنا به.

وقد ألف سيدي الإمام عدة كتب فما أعرفه منها:

١. كتاب الغنية لطالبي طريق الحق
٢. يواقيت الحكم.
٣. إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.
٤. رسائل الشيخ عبد القادر باللغة الفارسية وقد ترجمها إلى العربية حسام الدين المطاقي.
٥. تنبيه الغبي إلى رؤية النبي ﷺ.
٦. الرد على الرافضة.
٧. الكبريت الأحمر.
٨. جواهر الرحمن.
٩. تحفة المتقين وسبيل العارفين.
١٠. أدب المريد.
١١. كتاب سر الأسرار.
١٢. تفسير القرآن الكريم، ذكر المؤلف عبد الرزاق الكيلاني في كتابه- الشيخ عبد القادر – أنه مخطوط في جزأين، وتوجد نسخة منه في مكتبة الشيخ رشيد والد عبد الحميد كرامي أفندي في طرابلس الشام.
١٣. وقد جمعت عدة مواعظ من التي كان يلقيها الإمام في مجالس وعظه فمن الكتب التي اشتملت على هذه المواعظ كتاب فتوح الغيب.

١٤. وكتاب جلاء الخاطر في الظاهر والباطن.

١٥. وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني.

١٦. وله ﷺ أشعار جمع بعضها بعض المؤلفين وله أوراد وأحزاب جمعت في بعض الكتب منها.

١٧. كتاب الأوراد القادرية ، ضبطه محمد سالم بوّاب.

١٨. وكتاب الطريق إلى الله، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول.

قال بعض الذين ألفوا في مناقب الشيخ عبد القادر إنه قد تكون هناك عدة مؤلفات للشيخ عبد القادر غير التي ذكرت، بعضها لم يتعرف إليها بعد، وقد يكون أتلف منها قسم عند غزو التتار للبلاد الإسلامية ودخولهم بغداد وتخريبها وهدم مدرسة الشيخ عبد القادر ﷺ والتي أعيد بناؤها بعد زوال دولتهم، فإن اجتياح بغداد من قبل التتار كان سنة ٦٥٦ هـ أي بعد وفاة الشيخ عبد القادر بخمس وتسعين سنة.

وأذكر أن من أراد المطالعة للكتب عليه أن يكون من أهل التمييز حتى لا يفهم الأمور على غير وجهها من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أكثر كتب التصوف دخلها الدس والتحريف، وألصق بعدد كبير من أكابر العارفين كلام خطير منه ما يؤدي إلى الخروج من الملة، وهم من ذلك بُرَآءُ، وكما بينت في صدر هذا الكتاب أن إمامنا الشيخ عبد القادر دَسَّتِ المشبهة والباطنية في بعض كتبه عقائد باطلة منها كتاب الغنية وغيره فليتنبه لذلك، وبعض الأوراد المنسوبة إليه فيها ما يخالف الشرع، فتحتاج الى تدقيق وتنقية.

فإن أعداء الدين من المنتسبين للإسلام لفظاً لا حقيقة وغيرهم يستغلون في نشر أفكارهم المسمومة والمشبوهة أسماء هؤلاء الأكابر والأعلام فينْسُبونَ إليهم هذه البضاعة الفاسدة لترويجها بين العوام، والسلامة من ذلك بمعرفة ما كان عليه النبي ﷺ ومن تبعه من أئمتنا الأخيار من العقائد والأحكام، بتلقيها من أهل العلم الثقات أصحاب الغيرة على هذا الدين العظيم.

سند الطريقة القادرية
وأنها مبنية على الكتاب والسنة

أخذ سيدى الإمام عبد القادر قدس سره التصوف عن عدد من أكابر أعيان عصره، كالشيخ الكبير حماد الدباس والشيخ الجليل أبي سعيد المخرمي والشيخ تاج العارفين أبي الوفاء محمد الحسيني النسب والشيخ القطب الرباني يوسف الهمداني.

أما سنده في لبس الخرقة وتلقين الذكر فهو من الشيخ العالم الجليل أبي سعيد المخرمي قدس سره، وهو أخذ من الشيخ الكامل أبي الحسن علي بن محمد الهكاري القرشي، وفي بعض التراجم يذكرون اسمه علي بن أحمد الهكاري، وهو أخذ من الشيخ العظيم أبي الفرج الطرسوسي وهو أخذ من الشيخ أبي الفضل عبد الواحد التميمي وهو أخذ من الشيخ العارف الكامل أبي بكر دلف بن جحدر الشبلي وهو أخذ من إمام الطائفتين سيدي أبي القاسم الجنيد البغدادي وهو أخذ من خاله الإمام الشيخ السري السقطي وهو أخذ من الإمام الشيخ الترياق المجرب معروف الكرخي وهو أخذ من الإمام الشيخ المبارك داود الطائي وهو أخذ من الإمام المتوكل حبيب العجمي وهو أخذ من الإمام الأفخم المشهور بسيد الزاهدين في عصره أبي سعيد الحسن البصري وهو أخذ من سيدنا أمير المؤمنين حيدرة الكرار باب مدينة العلم علي المرتضى ﵁ وعنهم أجمعين وهو أخذ من سيد الأولين والآخرين ومحبوب رب العالمين سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقدوتنا وقرة أعيننا وشفيعنا يوم الدين محمد ﷺ.

ولهذه الطريقة العلية سند آخر يمر بأئمة أهل البيت الكرام رضوان الله عليهم، وهو أن سيدي الإمام الشيخ معروف الكرخي أخذ أيضاً عن سيدي الإمام علي الرضا عن سيدي الإمام موسى الكاظم عن سيدي الإمام جعفر الصادق عن سيدي الإمام محمد الباقر عن سيدي الإمام السجاد علي زين العابدين عن سيدنا الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عن أخيه الإمام الخليفة الخامس أبي محمد الحسن عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين.

ولهذه الطريقة سند يعود إلى الصديق الأكبر ﷺ، وهو أن الإمام جعفر الصادق ﷺ أخذ أيضاً عن جده لأمه الإمام القاسم بن محمد بن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ.

ويروى أيضاً أن الإمام القاسم أخذ عن سيدنا سلمان الفارسي ﷺ.

ويروى أيضاً أن الشيخ حبيب العجمي أخذ قبل أن يأخذ من سيدي الحسن البصرى من الإمام الجليل محمد بن سيرين وهو أخذ من سيدنا أنس بن مالك ﷺ وعنهم أجمعين. ورد هذا في طي السجل للإمام محمد مهدى الشهير بالرواس. وورد لهذه الطريقة أسانيد أخرى.

وأما المشايخ الذين أخذ عنهم سيدى الإمام علوم الحقائق والتصوف فمن أجل مشايخ ذلك العصر منهم: الشيخ حماد بن مسلم بن داود الدباس ﷺ، كان أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق وانتهت إليه تربية المريدين ببغداد، وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم وكان من أكابر أهل الكشف وله كرامات مشهورة وكان الشيخ عبد القادر يثني عليه ويروي كراماته.

وذكر بعض أهل التراجم قولهم إن الشيخ حماد صحب الشيخ عبد القادر بدل قولهم الشيخ عبد القادر صحب الشيخ حماد، وذلك لأسباب منها شهرة الشيخ عبد القادر ومنها أن الشيخ عبد القادر قدس سره ما أخذ فناً من الفنون من أحد إلا وفاقه في ذلك الفن حتّى يحتاج إليه من أخذ عنه، وقد ذكر التادفى أن الشيخ حماد قال للشيخ عبد القادر: (الدولة اليوم لنا فإذا صارت لك فارفق بنا).

وكان الشيخ حماد له كلام عال في طريق القوم، وانعقد إجماع المشايخ على إمامته بالإرشاد توفي ببغداد سنة خمس وعشرين وخمسمائة ودفن بمقبرة الشونيزى ﷺ ونفعنا به.

والشيخ حماد لبس الخرقة من الشيخ منصور البطائحى خال الشيخ السيد أحمد الرفاعي الكبير، عن الشيخ أبي محمد الشنبكى عن الشيخ أبي بكر الهوارى.

وأما الشيخ تاج العارفين فهو السيد محمد بن محمد بن محمد بن زيد بن حسن المرتضى الأكبر العريضي بن زيد بن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين السبط ﷺ أجمعين.

قال أهل التراجم هو أول من لقب بتاج العارفين في العراق، وكان سيد مشايخ العراق في وقته وله الكرامات الخارقة وانتهت اليه رياسة هذا الشأن في زمانه وتخرج به جماعة من صدور مشايخ العراق مثل الشيخ على بن الهيتى والشيخ بقا بن بطو والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي وغيرهم وله ﷺ كلام شريف على لسان أهل الحقائق وكان له أربعون خادماً من أصحاب الأحوال.

وكان في أول أمره قاطع طريق فتاب على يد الشيخ العارف الكبير أبي محمد الشنبكي وقال فيه شيخه بعد صحبة ثلاثة أيام أنه وصل إلى مقام عظيم وهو محاذاة الغوثية، وذلك بسبب قوة صدقه بالتوبة، وكان شافعي المذهب وقيل حنبلي، توفي في العشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسمائة بقلمينيا بلدة إلى جانب بغداد ﷺ. «وتسمى طريقته الطريقة الوفائية الشنبكية فإنه قدس سره أخذ عن أبي محمد الشنبكى عن أبي بكر الهواري عن سهل بن عبد الله التستري عن ذي النون المصري عن إسرافيل المغربي عن أبي عبد الله محمد حبيشة التابعي عن سيدنا جابر الأنصاري عن سيدنا عليّ عليه السلام ﷺ أجمعين» ذكره في طي السجل.

وأما الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن زهرة الهمداني ﷺ، فقد قال أهل التراجم: إنه أحد أركان الإسلام وإليه انتهت تربية المريدين بخرسان، وكان يجتمع عنده العلماء والفقهاء والصلحاء وكان منذ صغره حتى وفاته على الطريق المستقيمة وكان على قدر في الوعظ والكلام على طريقة أهل الحقائق وله كرامات عظيمة، دخل بغداد في أواخر حياته فصحبه الشيخ عبد القادر لمدة قصيرة وانتفع به، وكانت وفاته في قرية من قرى همدان تسمى بيامين ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن بها مدة ثم حملت جثته كهيئتها إلى مرو ودفن بها بأقصى سنجار في الحضرة المنسوبة إليه وقبره هناك ظاهر يزار ﷺ ونفعنا به، وكان يطلق عليه لقب القطب الغوث ولطريقته عدة أسانيد منها هذا السند المشهور عند السادة النقشبندية، وهو أن الشيخ يوسف الهمداني أخذ عن الشيخ أبي علي فارمدي وهو عن الشيخ علي بن جعفر أبي الحسن الخرقاني عن الإمام أبي يزيد طيفور البسطامي عن الإمام جعفر الصادق عن جده الإمام القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن سيدنا سلمان

الفارسي عن سيدنا امير المؤمنين علي وسيدنا الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنهم اجمعين.

وأما الشيخ أبو سعيد المبارك بن علي بن الحسن بن بندار المخَرّمي وفي بعض التراجم المخزومي والمخرمي أشهر نسبة الى محلة المخرِمّ شرقي بغداد، نزل بها بعض أولاد يزيد بن المخرِّم، فسميت به وكان محدثاً فقيهاً على مذهب الإمام أحمد، كان شيخ الحنابلة ببغداد وكان على قدر في الأخلاق والأوصاف الحميدة، وقد جمع قدراً كبيراً من الكتب، وضعها في مدرسته بباب الأزج، وقد سلم مدرسته للإمام عبد القادر ﷺ، وسند طريقته المذكور آنفاً ذكره عدد من أهل التراجم منهم التادفي، والشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه الحقيقة والمجاز، والشيخ محمد مهدي الصيادي الرفاعي الرواس في كتابه طي السجل وغيرهم.

قال الشيخ أبو سعيد المخرمي: (لبس عبد القادر الجيلي مني خرقة ولبست منه خرقة يتبرك كل واحد منا بالآخر، وقد ذكر الشيخ الحافظ جمال الدين يوسف بن الإمام بدر الدين حسن بن عبد الهادي الحنبلي القادري في كتابه (**العُلَقة في إلباس الخرقة**) أن كلا من الإمام الجيلاني والمخرمي لبس الخرقة من شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري القرشي، ثم تبرك كل منهما بلبس الخرقة من الآخر.

توفي سنة ٥١٣ هـ عن عمر كبير، وقيل سنة ٥٢٨.

وأما أُسُس هذه الطريقة فهي مبنية على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأكبر شاهد على ذلك ثناء الأكابر عليه من أهل عصره حتى أيامنا هذه.

نقل التادفي في القلائد أن الشيخ عبد القادر قدس سره قال: (كل ولي على قدم نبي وأنا على قدم جدي ﷺ وما رفع قدما إلا وضعت قدمي في موضعه إلا أن يكون قدماً من أقدام النبوة).

ونقل التادفي والشعراني وغيرهما أن الشيخ علي بن الهيتي قدس سره كان يقول عن الشيخ عبد القادر ﷺ: (كان قدمه على التفويض والمراقبة مع التبري من الحول والقوة وكانت طريقته تجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية).

وكان الشيخ عدي بن مسافر قدس سره يقول:(كان الشيخ عبد القادر ﷺ طريقته الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح، واتحاد الباطن والظاهر.

وكان الشيخ بقا بن بطو قدس سره يقول:(كان طريق الشيخ عبد القادر ﷺ، اتحاد القول والفعل والنفس والوقت ومعانقة الإخلاص والتسليم وموافقة الكتاب والسنة في كل نفس وخطرة ووارد، وحال الثبوت مع الله عز وجل، وقال :(كانت قوة الشيخ عبد القادر ﷺ في طريقه إلى ربه كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما، وكانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً).

وقال الإمام الرفاعي ﷺ: من يطيق مثل قوة الشيخ عبد القادر وما هو عليه وما وصل إليه؟

ومن أركان هذه الطريقة الافتقار لله عز وجل حيث قال الشيخ عبد القادر: (دخلت من باب الفقر) وسنورد القصة التي قال فيها هذا القول في الباب الآتي.

ولهذه الطريقة أوراد تؤخذ من الشيخ المرشد تزيد المريد همة في السلوك وتساعده في التحقق بالمقامات العالية والصفات المرضية إن كان ذلك مقروناً بالصدق والإخلاص والعزيمة. وعلى كل من سلك طريقاً من طرق أهل الله الموافقة لطريق المصطفى ﷺ أن يتجمل بالآداب المقرونة بالفقه بالعقائد والأحكام مع العمل والإخلاص لله وحده، وسنذكر بعض هذه الآداب في فصل لاحق مع ذكر جملة من كلام الإمام في الوعظ والإرشاد.

مولده ﷺ

مع ذكر بداياته وبعض الأخبار عن مجاهداته إلى حين ظهوره

ذكر أكثر أهل التواريخ والمناقب والتراجم أن مولد الإمام السيد عبد القادر كان سنة سبعين وأربعمائة، الموافق ١٠٧٧ ولم يختلفوا في أن وفاته في سنة إحدى وستين وخمسمائة.
قال الإمام الحافظ الشيخ عبد الرزاق بن الإمام السيد عبد القادر: (سألت والدي عن مولده فقال: (لا أعلم حقيقة لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي، وعمري إذ ذاك ثماني عشرة سنة، والتميمي مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة). قاله الشيخ اليونيني والتادفي وغيرهما.

والتميمي هو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب، الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان مقرباً من السلاطين، مات في هذه السنة في جمادى الأولى.

وفي هذه السنة أيضاً أي التي دخل فيها الباز الأشهب بغداد، ترك الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، واستناب أخاه، وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون، ووصل في سياحته إلى الشام وزار بيت المقدس، وفي أثناء سياحته ألف كتابه إحياء علوم الدين، وقد سمع منه الخلق الكثير بدمشق ثم حج وعاد إلى بغداد ثم سار الى خراسان وفي أثناء ذلك كان يعظ ويرشد، مات الغزالي ﷺ سنة خمس وخمسمائة بطوس، ذكر ذلك ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ.
فعلى هذا فإن مولد الشيخ عبد القادر سنة سبعين أو سنة إحدى وسبعين كما ذكر البعض الآخر من أهل التراجم.

وكان مولده ﷺ في شهر رمضان وقيل في منتصف شهر رمضان كما في سير أعلام النبلاء للذهبي.

ولد ببلدة الجيل، والجيل موضعان أحدهما اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم مشتمل على بلاد كثيرة ليس منها مدينة كبيرة.

والآخر بلدة الشيخ عبد القادر وهي الجيل وتسمى الكيل بكاف مشوبة بالجيم وبكاف خالصة، وسماها الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعد الدينثى الكال وكأنه أخذه من ابن الحجاج الشاعر فإنه سماها في بعض شعره بالكال وهي قرية تحت مدائن كسرى، هكذا ورد في القلائد للتادفي الحلبي.

وقال مؤلف الروض الزاهر في ترجمته: (هو منسوب إلى جيل بكسر الجيم وسكون الياء وبعدها لام، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها أيضاً جيلان ويقال فيها كيل وكيلان.

وما قيل من أن سيدي الشيخ عبد القادر بُشْتِرِيُ . النسب فالمقصود به أنه ولد في قرية من قرى جيلان تسمي . بُشْتِيْر .كما قال ياقوت الحموي في معجم البلدان، وليس المراد كما قال بعض الحاسدين أو الذين لا علم لهم من أن الشيخ عبد القادر ليس منسوباً إلى سيدنا محمد ﷺ، وإنما المراد بالنسبة هنا الى تلك القرية نسبة مولده فيها، وإلا فنسب سيدي الشيخ عبد القادر إلى الحبيب محمد ﷺ ظاهر مشهور كما مر معنا عند ذكر نسبه الشريف.

فإن من المعلوم كما ذكر المؤرخون في كتبهم كصاحب الكامل في التاريخ: أن أهل بيت النبي ﷺ وصلوا إلى هذه البلاد وأنهم حكموا فيها أكثر من خمسين سنة بقيادة السيد زيد بن محمد من سلالة سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وكان معه من أقربائه من سلالة الحسين ﷺ، روي أنه كان معه جد سيدي عبد القادر الرابع وسميت هذه الدولة بالدولة الزيدية. وجيلان اليوم تعتبر ضمن دولة إيران تقع في الجنوب الغربي من بحر قزوين، ويحدها شمالاً روسيا.

وقد ولد ﷺ في بيت معروف بالصلاح والعلم، فوالده كان من العلماء العاملين كان مشهوراً في بلده بالعلم والورع والتقوى، وقد مات والسيد عبد القادر صغير فعاش يتيماً.

وكان للشيخ عبد القادر أخ اسمه عبد الله نشأ على العلم والعبادة لكنه مات شاباً رحمه الله تعالى، مات بعد مغادرة السيد عبد القادر جيلان ودخوله بغداد.

فالذي تكفل بتربية السيد عبد القادر بعد وفاة والده أمه الولية الصالحة أم الخير بنت الشيخ عبد الله الصومعي ووالدها، الشيخ عبد الله صاحب المقامات والكرامات.

ووالدة الإمام عبد القادر كانت معروفة أيضاً بالخير والصلاح والكرامات وكان للسيد عبد القادر عمة اشتهرت في بلدها بالصلاح، فقد ذكر ابن العماد في شذرات الذهب: (أن جيلان أجدبت فلجأوا إلى عمة الشيخ عبد القادر– واسمها عائشة وتكنى بأم محمد– وطلبوا منها أن تستسقي لهم، فصلت ركعتين ودعت الله، فاجتمع السحاب فوراً وانهمر المطر.

وأما وفاة السيدة الفاضلة أم الخير فاطمة والدة الشيخ عبد القادر فكانت بعد ظهور الشيخ عبد القادر في بغداد، فقد ذكر الشطنوفي في بهجة الأسرار ونقل ذلك ابن حجر العسقلاني في غبطة الناظر: أن الشيخ مفرج بن شهاب كان في مجلس السيد عبد القادر ﷺ وهو يتكلم، فقطع الشيخ كلامه ودمعت عيناه وقال: ماتت أمي، قال ابن شهاب فأرَّخناه فجاء الخبر بعد مدة بأنها ماتت في ذلك الوقت؛ ودفنت قدس سرها في صومعة سَرَا، بلدة من نواحي كيلان، في شارع سردار جنكل، ولها مشهد هناك يزوره الناس، ومن ألقابها (سيدة النساء).

قال الإمام العسقلاني في غبطة الناظر: وأسند الشطنوفي عن نصر بن عبد الرزاق: سمعت الأكابر من مشايخ العجم وعلمائهم يروون عن آبائهم أن الشيخ عبد القادر ﷺ كان لا يرضع في شهر رمضان من ثدي أمه.

قال التادفي الحلبي في القلائد: قالت والدته أم الخير السيدة فاطمة رحمها الله تعالى: لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان، وغم على الناس هلال رمضان . أي في السنة الثانية . فأتوني وسألوني عنه فقلت لهم لم يلقم اليوم ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر ذلك ببلاد جيلان أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان. وقيل إن أمه حملت به وهي في الستين من عمرها، ولا تحمل عادة في سن الستين إلا قرشية.

بداية الشيخ عبد القادر قدس سره العزيز

قال التادفي: كانت الملائكة تمشي حوله وهو ابن عشر سنين تبشره بالولاية.

قال: وقال الإمام الجيلاني ﷺ لما كنت صغيراً في المكتب كان يأتيني في كل يوم ملك لا أعرف أنه ملك على صورة بني آدم يوصلني من دارنا إلى المكتب وكان يأمر الصبيان أن

يوسعوا لي في المجلس ويجالسني حتى أنصرف إلى دارنا، فسألته يوماً من تكون فقال أنا ملك من الملائكة عليهم السلام،أرسلني الله تعالى إليك أكون معك ما دمت في المكتب، وكنت أتعلم في كل يوم ما لا يتعلمه غيري في أسبوع.

وقيل له ﷺ متى علمت أنك ولي الله تعالى قال: كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من دارنا وأذهب إلى المكتب فأرى الملائكة عليهم السلام يمشون حولي فإذا وصلت إلى المكتب سمعت الملائكة يقولون أفسحوا لولي الله حتى يجلس، فمر بنا يوماً رجل ما عرفته يومئذ فسمع الملائكة يقولون ذلك فقال لأحدهم من هذا الصبي فقال له أحدهم هذا من بيت الأشراف، فقال: سيكون لهذا شأن عظيم، هذا يعطى فلا يمنع ويمكن فلا يحجب ويقرب فلا يمكر به، قال الشيخ عبد القادر: ثم عرفت ذلك الرجل بعد أربعين سنة فإذا هو من أبدال ذلك الوقت.

- **توبة قطاع الطرق على يديه:**

ففي غبطة الناظر والقلائد قال الشيخ محمد بن قائد الأواني رحمة الله عليه: كنت عند سيدي الشيخ عبد القادر ﷺ فسألته مسائل منها علام بنيت أمرك؟ فقال على الصدق ما كذبت قط، ثم قال كنت في بلدنا فخرت إلى السواد في يوم عرفة، وتبعت بَقَرَ الحراثة فالتفتت إليّ بقرة وقالت يا عبد القادرما لهذا خلقت[1]، فرجعت فزعاً إلى دارنا وصعدت إلى سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات، فجئت إلى أمي وقلت لها هبيني لله عز وجل لأني أرى المسير إلى بغداد لأشتغل بالعلم وأزور الصالحين فسألتني عن سبب ذلك فأخبرتها خبري، فبكت وقامت إلى ثمانين ديناراً أورثها أبي فتركت لأخي أربعين ديناراً وخاطت في دلقي أربعين ديناراً وأذنت لي في المسير وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي وخرجت مودعة لي وقالت يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك لله عز وجل فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة.

قال: فسرت مع قافلة صغيرة بطلب بغداد فلما تجاوزنا همدان وكنا بأرض فلاة خرج علينا ستون فارساً فأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد فاجتاز بي أحدهم وقال يا فقير ما معك؟

---

[1]. ورد في حديث رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ حدث بأن راعياً سمع كلام البقرة، وورد أيضاً أن ذئباً قد كلّم الراعي بإذن الله يخبره برسالة سيدنا محمد ﷺ فأسلم الراعي وهذه معجزة للنبي ﷺ، ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره

فقلت: أربعون ديناراً، فقال: وأين هي؟ فقلت: مخاطة في دلقي تحت إبطي، فظن أني أستهزئ به فتركني وانصرف ومرَّ بي آخر فقال مثل ما قال الأول وأجبته كجواب الأول فتركني وتوافيا عند مقدَّمهم وأخبراه بما سمعاه مني فقال علي به، فأُتي بي إليه وإذا هم على تل يقتسمون أموال القافلة فقال لي ما معك؟ فقلت: أربعين ديناراً قال أين هي؟ قلت: مخاطة في دلقي تحت إبطي فأمر بدلقي ففتق فوجد فيه أربعين ديناراً فقال ما حملك على هذا الاعتراف؟ قلت : إن أمي عاهدتني على الصدق وأنا لا أخون عهدها، فبكى وقال أنت لم تخن عهد أمك وإني إلى يوم كذا وكذا سنة أخون عهد ربي فتاب على يدي، فقال له أصحابه أنت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوه منهم، فهم أول من تاب على يدي.

وقال ﷺ: كنت صغيراً في أهلي كلما هممت أن ألعب مع الصبيان أسمع قائلاً يقول لي يا مبارك فأهرب فزعاً وألقي نفسي في حجر أمي،وإني لا أسمع الآن هذا في خلواتي.

من أخبار سياحته ومجاهداته، والتقائه بالخضر عليه السلام. قال الشيخ أبو السعود الحريمي: سمعت سيدي الشيخ عبد القادر ﷺ يقول: أقمت في صحاري العراق وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفونني، تأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عز وجل، ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي إلى العراق وما كنت عرفته، وشرط ألا أخالفه، وقال لي اقعد هنا فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني في كل سنة مرة ويقول لي مكانك حتى آتيك، وكانت الدنيا وزخرفها وشهواتها تأتيني في صورها فيحميني الله عز وجل من الالتفات إليها، وتأتيني الشياطين في صور شتى مزعجات ويقاتلونني فيقويني الله عليهم، وتبرز إلي نفسي في صورة فتارة تطالبني بما تريده وتارة تحاربني فينصرني الله عليها وما أخذت نفسي في حال البداية بطريق من طرق المجاهدات إلا ولازمته واعتنقته وأخذته بكلتي يدي.

وأقمت زمانا في خراب المدائن آخذ نفسي بطريق المجاهدات فمكثت سنة آكل المنبوذ ولا أشرب الماء وسنة أشرب الماء ولا آكل المنبوذ وسنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام، ونمت

بإيوان كسرى في ليلة شديدة البرد واحتلمت فقمت وذهبت إلى الشط فاغتسلت، فاحتلمت تلك الليلة أربعين مرة واغتسلت في الشط أربعين مرة ثم صعدت إلى الإيوان خوف النوم.

وأقمت في خراب الكرخ سنين لا أقتات فيها إلا بالبردى ويأتيني رجل في رأس كل سنة بجبة صوف، ودخلت في ألف فن حتى أستريح من دنياكم، وما كنت أعرف إلا بالتخارس والجنون، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وما هالني شيء إلا سلكته ولا غلبتني نفسي في ما تريده قط، ولا أعجبني من زينة الدنيا شيء قط.

- **ومن مجاهداته، وانتصاره على الشيطان:**

روي عن الشيخ عثمان الصيرفيني قال: سمعت سيدنا الشيخ عبد القادر يقول كنت أجلس في الخراب بالليل والنهار ولا آوي في بغداد وكانت الشياطين تأتيني صفوفاً رجالاً بأنواع السلاح وأزعج الصور يقاتلونني ويرمونني بالنار فأجد في قلبي تثبتاً لا يعبر عنه وأسمع مخاطباً من الجو يقول قم إليهم يا عبد القادر فما هو إلا أن أنهض إليهم فيفرون يميناً وشمالاً ويذهبون من حيث أتوا.

وكان يأتيني الشيطان منهم وحده ويقول لي اذهب من هنا وإلا فعلت وفعلت ويحذرني تحذيراً كثيراً فألطمه بيدي فيفر منى فأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فيحترق وأنا أنظر إليه، وأتاني مرة شخص كريه المنظر منتن الريح وقال أنا إبليس أتيتك أخدمك فقد أعييتني وأعييت أتباعي فقلت اذهب فإني لا آمنك فجاءت يد من فوقه وضربت أم رأسه فغاص في الأرض، ثم أتاني ثانية وبيده شهاب من نار يقاتلني به فأتاني رجل ملثم راكب فرساً أشهباً وناولني سيفا فنكص إبليس على عقبيه، ثم رأيته ثالثة جالساً بالبعد منى وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه ويقول قد أيست منك يا عبد القادر فقلت له اخسأ يا لعين فإني لا أزال حذراً منك فقال هذه أشد، ثم كشف لي عن أشراك كثيرة ومصايد ومخايل فقلت ما هذه فقيل لي هذه أشراك الدنيا يصيد بها مثلك ، قال: فنهرته فولى هاربا، فتوجهت في أمرها سنة حتى تقطعت كلها، ثم كشف لي عن أسباب كثيرة متصلة بي من كل جهة فقلت ما هذه فقيل لي هذه أسباب الخلق متصلة بك فتوجهت في أمرها سنة أخرى حتى تقطعت كلها وانفردت

عنها، ثم كشف لي عن باطني فرأيت قلبي مناطاً بعلائق كثيرة فقلت ما هذه فقيل لي هذه إرادتك واختياراتك فتوجهت في أمرها سنة أخرى حتى تقطعت جميعها وتخلص منها قلبي، ثم كشف لي عن نفسي فرأيت أدواءها باقية وهواها حيا فتوجهت في ذلك سنة أخرى فبرأت أدواء نفسي ومات الهوى وصار الأمر كله لله تعالى وبقيت وحدي، والدنيا وهواها من خلفى، وما وصلت إلى مطلوبي بعد، فاجتذبت إلى باب التوكل لأدخل منه على مطلوبي وإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب الشكر لأدخل منه وإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب الغنى أدخل منه فوجدت عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب القرب لأدخل منه على مطلوبي فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب المشاهدة لأدخل منه على مطلوبي فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب الفقر فإذا هو خال، فدخلت منه فإذا فيه كل ما تركته وفتح لي منه الكنْز الأكبر والعز الأعظم والغنى السرمد والحرية الخالصة ومحقت البقايا ونسخت الصفات وجاء الوجد الثاني.

وقال سيدي الشيخ موسى بن سيدنا القطب الغوث عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما: سمعت والدي يقول خرجت في بعض سياحتى إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً فاشتد بي العطش فظللتني سحابة ونزل عليَّ منها شيء يشبه الندى فترويت به، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق وبدت صورة ونوديت منه يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات أو قال ما حرمت على غيرك، فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اخسأ يالعين، وإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبني وقال يا عبد القادر نجوت مني بعلمك وبحكم ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت لربي الفضل والمنة، فقيل له كيف علمت أنه شيطان فقال بقوله أحللت لك المحرمات فعلمت أن الله لا يأمر بالفحشاء.

- **ومن أخباره:**

قال الشيخ أبو محمد عبد الله الجبائي: قال لي الشيخ عبد القادر كنت يوماً جالساً على مكان بالصحراء أكرر الفقه وأنا في مشقة من الفقر فقال لي قائل لم أر شخصه اقترضْ

ما تستعين به على الفقه أو قال على طلب العلم فقلت كيف أقترض وأنا فقير وليس لي شيء أقضيه منه فقال لي اقترض وعلينا الوفاء فجئت إلى رجل يبيع البقل فقلت له تعاملني بشرط إذا سهل الله لي شيئاً أعطيك وإن مت تجعلني في حل، تعطيني كل يوم رغيفا وبنصف رغيف رشاداً قال: فبكى البقال وقال يا سيدى أنا بحلك أي شيء أردت فخذ مني، فكنت آخذ منه كل يوم رغيفا وبنصف رغيف رشاداً، فأقمت على ذلك مدة فضاق صدري يوماً لكوني لا أقدر على شيء أعطيه ، فقيل لي امض إلى الموضع الفلاني فأيش رأيت على الدكة فخذه وادفعه إلى البقال أو قال فاقض به دينك فلما جئت إلى ذلك الموضع رأيت على الدكة قطعة ذهب كبيرة فأخذتها وأعطيتها للبقال.

قال: وقال لي الشيخ عبد القادر: (كان جماعة من أهل بغداد يشتغلون بالفقه فإذا كان يوم الغلة يخرجون إلى الرستاق يطلبون شيئاً من الغلة فقالوا لي يوماً اخرج معنا إلى بعقوبا نحصل منها شيئاً وكنت في ضيق فخرجت معهم وكان في بعقوبا رجل صالح يقال له الشريف اليعقوبي فمضيت لأزوره فقال لي: (مريدو الحق والصالحون لا يسألون الناس شيئاً ونهاني أن أسأل الناس فما خرجت إلى شيء من ذلك بعدها قط.

قال الشيخ الجبائي: (وقال . أي الشيخ عبد القادر . طرقني ذات ليلة الحال فصرخت صرخة عظيمة فسمع العيارون ففزعوا من المسالحة فجاءوا حتى وقفوا عليَّ وأنا مطروح على الأرض فعرفوني فقالوا هذا عبد القادر المجنون أزعجتنا لا ذكرك الله بخير.

العيار هو الذي يكثر المجيء والذهاب، وهنا هم (المتلصصة) كانوا يدورون حول بغداد بالليل لعلهم يرون أحداً يسلبونه. والمِسَالحة هم (الحرس لأنهم يكونون أصحاب سلاح.

وقال الشيخ أبو عبد الله النجار قال لي سيدنا الشيخ عبد القادر: كانت ترد عليَّ الأثقال الكثيرة لو وضعت على الجبال تفسخت فإذا كثرت عليَّ وضعت جنبي على الأرض وقلت . فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً . ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني تلك الأثقال.

قال: وقال لي كنت أشتغل بالفقه على المشايخ وأخرج إلى الصحراء ولا آوي بغداد وأجلس في الخراب بالليل والنهار وكنت ألبس جبة صوف وعلى رأسي خريقة وكنت أمشي حافيا في الشوك وغيره وأقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر

والشط وما هالني شيء إلا سلكته وكنت آخذ نفسي بالمجاهدة حتى طرقني من الله عز وجل طارق وكان يطرقني بالليل والنهار وآتى الصحراء فأصرخ وأهج على وجهي وما كنت أعرف إلا بالتخارس والجنون، وحملت إلى المارستان وطرقتنى الأحوال حتى مت وجيء بالكفن والغاسل وجعلوني على المغسل ثم سُرِّيَ عني.

وقال الشيخ طلحة بن مظفر العلثمي:(قال شيخنا عبد القادر ﷺ: أقمت ببغداد عشرين يوماً ما أجد ما أقتات به ولا أجد مباحاً ، فخرجت إلى إيوان كسرى أطلب مباحاً فوجدت هناك سبعين رجلاً من الأولياء كلهم يطلبون فقلت ليس من المروءة أن أزاحمهم فرجعت إلى بغداد فلقيني رجل لا أعرفه من أهل بلدي فأعطاني قراضة وقال هذه بعثت بها أمك إليك معى فأخذت منها قطعة تركتها لنفسي وأسرعت بالباقي إلى خراب الإيوان وفرقت القراضة على أولئك السبعين فقالوا ما هذا؟ قلت: إنه قد جاءني هذا من عند أمي وما رأيت أن أختص به دونكم ثم رجعت إلى بغداد واشتريت بالقطعة التي معي طعاماً وناديت الفقراء فأكلنا جميعاً.

وقال الشيخ أبو بكر التيمي سمعت سيدنا الشيخ محيي الدين ﷺ يقول: بلغت بي الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياماً لا آكل فيها طعاماً بل كنت أتتبع منبوذات أطعمها فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس والبقل وغير ذلك من المنبوذات أتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلا وجدت غيرى قد سبقنى إليه وإن أدركت شيئاً وجدت جماعة من الفقراء ولا أستحسن مزاحمتهم عليه فرجعت أمشي وسط المدنية فلا أدرك موضعا قد كان فيه شيء منبوذ إلا وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد في سوق الريحانيين وقد أجهدني الجوع وعجزت عن التماسك فدخلت عليه وقعدت في جانب منه وقد كنت أصافح الموت إذ دخل شاب أعجمي معه خبز وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت على نفسي وقلت ما هذا، إذ التفت إليّ العجمي فرآني فقال بسم الله يا أخي فأبيت عليه فأقسم علي فبدرت نفسي إلى إجابته فأكلت مقصراً ، وأخذ يسألني ما شغلك ومن أين أنت ومن تعرف فقلت أما شغلي فمتفقه وأما من أين أنا فمن كيلان، فقال لي وأنا من كيلان فهل تعرف من كيلان رجلاً يسمى عبد القادر الكيلاني ويعرف بسبط الزاهد أبي عبد الله الصومعي، فقلت أنا هو فاضطرب لذلك

وتغير لونه وقال والله يا أخي لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد إلى أن نفدت نفقتي وبقيت بعدها ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلا مما لك معي فلما كان هذا اليوم وهو الثالث قلت قد تجاوزتني ثلاثة أيام لم آكل فيها طعاماً وقد أحل لي الشارع أكل الميتة إذا اضطررت فأخذت من وديعتك ثمن الخبز والشواء فكل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك بعد أن كان في الظاهر لي أنت ضيفي، فقلت وما ذاك فقال: إن أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا الطعام وأنا معتذر به إليك من خيانتي لك مع فسحة الشرع لي في بعض ذلك ، فسكنته وطيبت من نفسه وفضل من طعامنا ما دفعته إليه مع شيء من الذهب فقبله وانصرف.

قال في غبطة الناظر: قال الشيخ عبد القادر: وكانت أمي تشتاق إليّ فتكتب إليّ الكتب بذكر شوقها إليّ وتقطع شعرها تجعله في الكتاب وتنفذه إليّ، فأكتب إليها إن شئت تركت وجئت إليك، فتنفذ إليّ لا تجيئ واشتغل بالعلم.

وقال الشيخ عبد الله السلمي: سمعت سيدنا الشيخ عبد القادر يقول: بقيت أياما لم أستطعم فيها بطعام فبينما أنا في محلة القطيعة الشرقية إذا رجل قد جعل في يدي قرطاسة مصرورة وانصرف فأقبلت حتى دفعتها لبعض البقالين وأخذت منه خبزاً سميداً وخبيصاً وجئت إلى مسجد مفرد كنت أخلو فيه لإعادة الدرس وتركت ذلك في القبلة بين يدي وأخذت أفكر هل آكل أم لا فلمحت قرطاساً مطوياً في ظل الحائط فتناولته فإذا مكتوب فيه من كلام بعض الكتب السالفة: ما للأقوياء والشهوات إنما جعلت الشهوات لضعفاء المؤمنين ليستعينوا بها على الطاعات) فأخذت المنديل وتركت ما كان فيه في القبلة وصليت ركعتين وانصرفت ،قال فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي.

- **ومن أخباره:**

قال سيدي الغوث باز الله الجيلاني قدس سره: أول ما حججت من بغداد وأنا شاب على قدم التجريد وحدي فلما كنت عند المنارة المعروفة بأم القرون لقيت الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه وحده فقال لي إلى أين فقلت إلى مكة المشرفة فقال هل لك في الصحبة فقلت له إني على قدم التجريد قال وأنا على قدم التجريد، فسرنا جميعا فلما كنا في بعض الطريق إذا

نحن بجارية حبشية نحيفة البدن مبرقعة فوقفت بين يدي وحدقت النظر في وجهي وقالت: من أين أنت يا فتى؟ قلت من بغداد من العجم قالت: أتعبتني اليوم فقلت ولم؟ قالت إني كنت الساعة في بلاد الحبشة فشهدت أن الله منحك من فضله ما لم يمنح مثله غيرك فيما أعلم فأحببت أن أعرفك، ثم قالت أنا اليوم أصحبكما وأفطر الليلة معكما قلنا حباً وكرامة فجعلت تمشي في جانب الوادي ونحن نمشي في الجانب الآخر فلما كان وقت المغرب وحل الأكل إذا نحن بطبق نازل من الجو فلما استقر بين أيدينا وجدنا فيه ستة أرغفة وخلا وبقلاً، فقالت الحمد لله الذي أكرمني وأكرم ضيفي إنه لذلك أهل، في كل ليلة ينْزل عليّ رغيفان والليلة ستة إكراماً لأضيافي، فأكلنا كل واحد رغيفين ثم نزل علينا بعد ذلك أباريق من ماء فشربنا منها ماءً لا يشبه ماء الأرض له لذة وحلاوة، ثم ذهبت عنا في ليلتها، قال: وأتينا مكة المشرفة فلما كنا في الطواف منَّ الله تعالى على الشيخ عدي بمنازلة من أنواره فغشي عليه حتى يقول القائل إنه مات، وإذا بتلك الجارية واقفة على رأسه تقلبه وتقول له يحييك الذي أماتك، سبحان الذي لا تقوم الحادثات لتجلي نور جلاله إلا بتثبيته ولا تستقر الكائنات لظهور صفاته (أي آثار صفاته) إلا بتأييده.

ثم إن الله وله الحمد منّ عليَّ بمنازلة من أنواره في الطواف، وسمعت أيضاً خطاباً من باطني وقال لي في آخر ما قال يا عبد القادر اترك التجرد الظاهر والزم التفريد من التوحيد وتجريد التفريد فسنريك من آياتنا عجبا...

ومما سمعه: واجلس لنفع الناس فإن خاصة من عبادنا سنوصلهم على يدك إلى قربنا(الذي سمعه عن طريق الإلهام).

فقالت لي الجارية يا فتى ما أدري ما شأنك اليوم، إنه ضربت علينا خيمة من نور وأحاطت بك الملائكة عليهم السلام إلى عنان السماء، وشخصت الأبصار إليك من الأولياء في مقاماتهم، ثم ذهبت وغابت فلم أرها بعد ذلك ﷺ أجمعين.

- **ومن أخباره:**

قال سيدنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر قدس سره ببغداد على الكرسي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة: مكثت خمساً وعشرين سنة متجرداًُ سائحاً في براري العراق وخرابه وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء ، ثم أفتتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة ويدى في وتد مضروب في الحائط خوف النوم حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السحر، وكنت ليلة طالعاً في سلم فقالت لي نفسي لو نمت ساعة، فقمت فوقفت موضع خطر لي هذا الأمر ثم انتصبت على رجل واحدة وافتتحت القرآن حتى أتيت آخره وأنا على هذه الحالة.

- **صحبته للشيخ حماد الدباس رضي الله عنهما (غبطة الناظر).**

ومن أخباره ما قاله الشيخ عبد الله الجبائي رحمه الله: قال لي الشيخ عبد القادر ﵁: وقع في نفسي أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن التي بها فأخذت مصحفي وعلقته على كتفى ومشيت إلى باب الحلبة لأخرج منه إلى الصحراء، فقال لي قائل أين تمشي ودفعني دفعة خررت منها أظنه قال على ظهري، وقال ارجع فإن للناس فيك منفعة ، قال: فقلت ايش علي من الخلق أنا أريد سلامة ديني قال ارجع ولك سلامة دينك ولم أر شخص القائل ثم بعد ذلك طرقتني أحوال أشكلت علي فكنت أتمنى على الله أن يسهل لي من يكشفها فلما كان من الغد اجتزت بالمظفرية ففتح رجل باب داره وقال لي يا عبد القادر تعال فجئت فوقفت عليه فقال أيش طلبت البارحة أو قال أيش سألت الله بالليل فسكت ولا أدري ما أقول فاغتاظ مني ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة حتى طار الغبار من جوانب الباب إلى وجهي، فلما مشيت قليلاً ذكرت الذي سألت الله ووقع في نفسي أنه من الصالحين أو قال من الأولياء، فرجعت أطلب الباب فلم أعرفه فضاق صدري وكان ذلك الرجل الشيخ حماد الدباس ثم عرفته وصحبته وكشف لي ما كان يشكل عليَّ.

وروى الشيخ كمال الدين محمد بن موسى المشهور بالدُميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى قال: قال الشيخ الزاهد أبو العباس القسطلاني: سمعت الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني إمام مقام إبراهيم بمكة يقول: سمعت الشيخ أحمد خادم الشيخ أحمد خادم الشيخ حماد يقول : دخل الشيخ عبد القادر على الشيخ حماد الدباس يزوره فنظر إليه الشيخ، وكان قد رأى أنه قد اصطاد بازيا فأثرت نظرة الشيخ فيه، فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه.

قال الدميري: ولهذا كان الشيخ عبد القادر يقول:

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها ... طرباً وفي العلياء باز أشهب

وقال الشيخ تقي الدين محمد الواعظ اللبناني في كتابه روضة الأبرار ومحاسن الأخيار: (فلما دخل ـ أي الشيخ عبد القادر ـ إلى بغداد وقف له الخضر عليه السلام ومنعه الدخول وقال له ما معي أمر بأن تدخل إلى سبع سنين فأقام على الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح حتى صارت الخضرة تبين من عنقه، ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب يا عبد القادر ادخل بغداد فدخل وكانت ليلة ممطرة باردة فجاء إلى زاوية الشيخ حماد بن مسلم الدباس فقال الشيخ: أغلقوا باب الزاوية وأطفئوا الضوء فجلس الشيخ عبد القادر على الباب فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأجنب ثم قام فاغتسل فألقى الله تعالى عليه النوم فأجنب ولم يزل كذلك سبع عشرة مرة وهو يغتسل عقب كل مرة فلما كان عند الصباح فتح الباب فدخل الشيخ عبد القادر فقام إليه الشيخ حماد فاعتنقه وضمه إليه وبكى وقال له: يا ولدي عبد القادر الدولة اليوم لنا وغداً لك فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة.

وروى العسقلاني في غبطة الناظر: قال الشيخ عبد الله الجبائي عن الشيخ عبد القادر قال: (وكنت إذا غبت عنه أطلب العلم ورجعت إليه يقول لي ايش جاء بك إلينا أنت فقيه مر إلى الفقهاء وأنا أسكت، فلما كان يوم الجمعة خرج من بغداد ومعه جماعة من أصحابه ليصلي صلاة الجمعة في جامع الرصافة وأنا معه وكان في شدة البرد في الكوانين، فلما وصلت إلى قنطرة النهر دفعني حتى رماني في الماء فقلت: بسم الله غسل الجمعة، وكان عليّ جبة من صوف وفي كمي أجزاءً فرفعت يدي حتى لا تبتل، وخلوني ومشوا فخرجت من الماء وعصرت الجبة وتبعتهم، وتأذيت من البرد أذية كبيرة، وكان الشيخ حماد يؤذيني أذية كبيرة، وإذا غبت عنه أطلب العلم ورجعت إليه يقول: قد جاءنا اليوم الخبز الكثير والفالوذج وأكلنا وما خبأنا لك شيئا، فطمع أصحابه لكثرة ما يرونه يؤذيني أذية كبيرة وجعلوا يقولون أنت فقيه ايش تعمل معنا وأيش جاء بك إلينا فلما رآهم الشيخ يؤذُونني غار لي فوبخهم وقال لِمَ تؤذونه والله ما فيكم أحد مثله إنما أردت لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك.

- **دخوله مجلس الشيخ منصور البطائحي رضي الله عنهما:**

ذكر الإمام الرواس رحمه الله في كتابه طي السجل عند ترجمة الشيخ عبد القادر ﷺ قال: دخل مجلس سيدنا الشيخ منصور الرباني ﷺ فلم يلتفت إليه أحد وكان إذ ذاك شاباً، فقال الشيخ منصور أفسحوا لهذا الشاب فسيصير له مع أهل الصدق منْزلة محمودة.

- **حضوره مجالس الشيخ تاج العارفين أبي الوفاء رضي الله عنهما:**

قال التادفي في القلائد: قال الشيخ مطر: كنت يوما عند شيخنا أبي الوفا بزاويته بقلميْنيا فقال: يا مطر أغلق الباب فإذا شاب عجمي يطلب الدخول عليّ فامنعه، فقمت فإذا الشيخ عبد القادر وهو يؤمئذ شاب يطلب الدخول عليه فاستأذن الشيخ فلم يأذن له في الدخول، ورأيته يمشي في الزاوية كالمنْزعج ثم أذن له فلما رآه مشى إليه خطوات واعتنقا طويلاً وقال له: يا عبد القادر وعزة من له العزة ما منعتك من الدخول أول مرة جحداً لحقك بل خشية منك لكن لما علمت أنك تأخذ مني وتعطيني أمنت إليك.

وقال الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي: كان الشيخ عبد القادر يأتي وهو شاب إلى زيارة شيخنا تاج العارفين أبي الوفا، فحين يراه ينهض ويقول لمن حضره قوموا لولي الله وربما مشى إليه في وقت خطوات يتلقاه وربما قال في وقت من لم يقم فليقم لولي الله، فلما تكرر ذلك منه قال بعض أصحابه في ذلك فقال: لهذا الشاب وقت إذا جاء افتقر إليه الخاص والعام، وقال إذ هو قطبهم فمن أدرك منكم ذلك الوقت فليلزم خدمته.

وقال الشيخ على بن الهيتى قدس سره: كان شيخنا أبو الوفا يتكلم على الناس فوق الكرسي فدخل الشيخ عبد القادر فقطع كلامه وأمر بإخراجه ثم تكرر الأمر وفي الثالثة نزل الشيخ أبو الوفا واعتنقه وقبل بين عينيه وقال قوموا لولي الله يا أهل بغداد ، ما أمرت بإخراجه إهانة له بل لتعرفوه، فوعزة المعبود على رأسه صناجق قد جاوزت دارتها المشرق والمغرب، ثم قال له: يا عبد القادر الوقت الآن لنا وسيصير لك ، يا عبد القادر وهبوك العراق، وكل ديك يصيح ويسكت إلا ديكك فإنه يصيح إلى يوم القيامة ، وأعطاه سجادته وقميصه ومسبحته وقصعته وعكازه.

فقيل له خذ عليه بالعهد، فقال: على جبينه داغ المخرمي، ثم سأله مسائل فأجاب عليه، ثم قال له: لك وقت فإذا جاء فاذكر هذه الشيبة وقبض على كريمته، رضي الله عنهما. قال الشيخ عمر البزاز فكانت مسبحة الشيخ أبي الوفا التي أعطاها لسيدنا الشيخ عبد القادر إذا وضعها سيدنا الشيخ عبد القادر على الأرض تدور وحدها حبة حبة فلما مات أخذها بعده الشيخ على بن الهيتي.

وقال الشيخ مسلمة بن نعمة السروجي رحمه الله تعالى في جواب من سأله يوما عن القطب من هو: هو الآن بمكة مختف لا يعرفه إلا الصالحون، وسيظهر هنا وأشار إلى جهة العراق فتى أعجمي شريف يسمى عبد القادر، له مظهر عظيم بالكرامات الخارقات هو قطب وقته وغوث زمانه، ثم قال: ذلك الذي ينفع الله به وبكراماته من صدق بها من سائر الناس.

- **معرفته بالشيخ أبي سعيد المخرمي وصحبته له رضي الله عنهما:**

قال بعض أهل التراجم منهم التادفي الحلبي في القلائد قال الشيخ عبد القادر ﷺ: (أقمت في البرج المسمى الآن ببرج العجمي إحدى عشرة سنة ولطول إقامتي فيه سمي ببرج العجمي، وكنت بايعت الله تعالى فيه أن لا آكل حتى ألقم ولا أشرب حتى أسقى فبقيت فيه مدة أربعين يوماً لا آكل شيئاً فبعد الأربعين جاء رجل معه خبز وطعام ووضعه بين يدي ومضى وتركني، فعادت نفسي تقع على الطعام فقلت والله لا حلت عما عاهدت الله عليه ، فسمعت صارخاً من بطني ينادي الجوع فلم أرتع له، قال : فاجتاز بي أبو سعيد المخرمي فسمع الصوت فدخل عليّ وقال ما هذا يا عبد القادر قلت: هذا قلق النفس ـ أي هواها ـ وأما الروح فساكنة في مولاها عزّ وجل ـ أي في حب مولاها مستأنسة به.

فقال لي تعال إلى باب الأزج ثم مضى وتركني على حالي ، فقلت في نفسي لا أخرج من هذه إلا بأمر، قال فجاءني الخضر عليه السلام وقال لي قم وانطلق إلى أبي سعيد، قال فجئت فإذا هو واقف على باب داره ينتظرني ، وقال لي: يا عبد القادر ألم يكفك قولي لك تعال، ثم ألبسني الخرقة بيده ولا زمت بعد ذلك الاشتغال عليه.

- **تعرفه إلى الشيخ يوسف الهمداني وأخذه عنه رضي الله عنهما.**

أورد الإمام العسقلاني في غبطة الناظر والتادفي في القلائد أن الشيخ عبد الله الجبائي قال: قال الشيخ عبد القادر ﷺ: قدم بغداد رجل يقال له الشيخ يوسف الهمداني وكان يقال له القطب ونزل في رباط فلما سمعت به مشيت إلى ذلك الرباط فلم أره فقيل لي هو في السرداب قال: فنَزلت إليه فلما رآني قام إلي وأخذ بيدي وأجلسني إلى جانبه ففرسني وذكر لي جميع أحوالي وحل لي جميع ما كان مشكلاً عليَّ ثم قال: يا عبد القادر تكلم على الناس قال: قلت له يا سيدي أنا رجل عجمي وايش أتكلم على فصحاء بغداد فقال لي: أنت حفظت القرآن العظيم والفقه وأصول الفقه مع الخلاف والنحو واللغة وتفسير القرآن العظيم، ألا يصلح لك أن تتكلم على الناس، إصعد الكرسي وتكلم فإني أرى فيك عرقاً وسيعود نخلة.

- **أول كلامه على الناس:**

قال سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ: نوديت في سري يا عبد القادر ادخل بغداد وتكلم على الناس، قال: فدخلت بغداد فرأيت الناس على حالة لم تعجبني فخرجت من بينهم، فنوديت ثانية يا عبد القادر ادخل وتكلم على الناس، فإن لهم بك منفعة فقلت مالي وللناس، علي بسلامة ديني فقيل لي إرجع ولك سلامة دينك، فأخذت من ربي سبعين موثقا أنه لا يُمْكَرُ بي وأن لا يموت لي مريد إلا عن توبة، فرجعت فتكلمت على الناس فرأيت الأنوار تخترق وهي تأتي إلي، فقلت ما هذا الحال وما الخبر فقيل لي إن رسول الله ﷺ يهنئك بما فتح الله عليك، ثم زادت الأنوار فطرقني الحال فتمايلت طربا، فرأيت رسول الله ﷺ، فقال لي يا عبد القادر فخطوت في الهواء سبع خطوات فرحاً برسول الله ﷺ فتفل في فمي سبعاً، ثم جاءني علي ﷺ فتفل في فمي ثلاثا، فقلت لِمَ لَمْ تفعل مثل ما فعل النبي ﷺ، فقال: أدباً معه، ثم ألبسني رسول الله ﷺ خلعة فقلت ما هذه فقال: هذه خلعة ولايتك مخصوصة بالقطبية على الأولياء ففتح عليَّ فتكلمت على الناس.

قال الشيخ عبد الله الجبائي رحمه الله قال أستاذنا الشيخ عبد القادر ﷺ رأيت رسول الله ﷺ قبل الظهر فقال لي يا بني لِمَ لا تتكلم فقلت: يا أباه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال لي افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعاً وقال تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج عليَّ، فرأيت علياً ﷺ فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستاً فقلت لم لا تكملها سبعاً قال أدباً مع

رسول الله ﷺ، ثم توارى عنى، فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتشترى بنفائس اثمان حسن الطاعة (في بيوت أذن الله أن ترفع) ثم أنشد:

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ويحلو له مر المنايا ويعذب

- **ظهوره ﷺ وبناء مدرسته.**

قال الشيخ عبد الله الجبائي رحمه الله تعالى: قال لي الشيخ عبد القادر قدس سره: كنت أءمر وأنْهى في النوم واليقظة، وكان يغلب عليَّ الكلام ويزدحم على قلبي إن لم أتكلم أكاد أختنق ولا أقدر أن أسكت، وكان يجلس عندي رجلان أو ثلاثة يسمعون كلامي ثم تسامع الناس وازدحم عليَّ الخلق، فكنت أجلس في المصلى بباب الحلبة ثم ضاق عليَّ الناس فأخرجوا الكرسي إلى داخل السور بين التنانير، وكان الناس يجيئون في الليل على الشمع والمشاعل يأخذون لهم مواضع ثم ضاق على الناس الموضع، فحمل الكرسي إلى خارج البلد، وكان الناس يجيئون على الخيل والبغال والحمير والجمال ويقفون بما دار في المجلس كالسرر وكان يحضر المجلس نحو من سبعين ألفاً.

قال الإمام العسقلاني في غبطة الناظر قال أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم: (كان القاضي أبو سعيد المخزومي (المخرمي) بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج ففوضت بعده لعبد القادر فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت وسمت وضاقت المدرسة بالناس وكان يجلس عند سور بغداد ويستند إلى الطريق ويتوب عنده في مجلسه خلق كثير ثم عمرت المدرسة ووسعت وتعصبت العامة في ذلك فأقام فيها يدرِّس ويعظ.

وقال أبن النجار في تاريخه: (لما ضاقت المدرسة أضيف لها ما حولها من المنازل والأمكنة فعمروها بالناس ووسعوها، وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتها وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وذلك في سنة خمسمائة وثمان وعشرين، وتصدى الشيخ فيها بالفتوى والتدريس والوعظ وصار يقصد بالصدقات والمبرات، وصنَّف كتباً مفيدة في أصول الدين والتصوف.

وفي غبطة الناظر، قال أبو سعيد السمعاني: كان الشيخ يسكن باب الأزج فلما فوضت له مدرسة أبي سعيد المخزومي أراد أن يوسعها ويعمرها فكان الرجال والنساء يأتونه بالشيء فيبني حتى يعمرها، وجاءت امرأة وزوجها وكان من العَمَلَة فقالت للشيخ: هذا زوجي ولي عليه عشرون ديناراً ووهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الثاني وقد ارتضينا على هذا فقبل الزوج ذلك، وأحضرت المرأة الخط فسلمته للشيخ، وكان يستعمل الزوج في المدرسة، وكان يوماً يعطيه الأجرة ويوماً يحاسبه لعلمه بفقره إن عمل بخمسة دنانير أخرج له الخط فدفعه له.

وقال الشيخ محمد التادفي الحنبلي في القلائد: وتكملت المدرسة في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصارت منسوبة إليه وتصدر بها للتدريس والفتوى والوعظ والاجتهاد في العلم والعمل، وقصد بالزيارات والنذور من جميع الأقطار والبلاد، واجتمع عنده بها من العلماء والصلحاء جماعة من الآفاق فحملوا عنه وسمعوا منه وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق.

واختلفت الألسن ببدائع أوصافه فمن واصف له- بذى البيانين . ومن ناعت له . بكريم الجدين والطرفين . ومن ملقب له . بصاحب البرهانين والسلطانين . ومن داع له . بإمام الفريقين والطريقين . ومن مسم له . بذي السراجين والمنهاجين . ولذلك انتمى إليه جمع من العلماء وتلمذ له خلق كثير لا يحصون.

فعلى هذا كانت مدة كلامه على الناس أربعين سنة ابتداؤها سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وانتهاؤها سنة إحدى وستين وخمسمائة وقد درس ﷺ أيضاً بالمدرسة النظامية المشهورة ببغداد. وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب قال:(ظهر للناس وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة وحصل له القبول التام من الناس واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته وهابه الملوك فمن دونهم.

إسلام معظم يهود ونصارى بغداد على يديه، وتوبة معظم أهل بغداد.

في الفترة الأولى من حياة سيدي الشيخ عبد القادر إلى حين ظهوره كانت الفتن كثيرة في بغداد من اغتيالات للخلفاء والأمراء وظهور بدع وصراعات بين أهل المذاهب، وظهور الحانات وشرب الخمر والسرقة وغير ذلك، فأظهر الله تعالى الشيخ عبد القادر مجددا للدين فأحيا السنة المطهرة وحارب البدع بأنواعها واشتغل بتربية المريدين فتخرج بصحبته كما قال بعض العلماء اثنا عشر ألف ولي وخرج من العلماء والمرشدين آلاف كثيرة وتاب على يديه معظم أهل بغداد كما أسلم على يديه معظم يهود ونصارى بغداد، وقد شارك الكثير من تلاميذه بالحروب ضد الصليبين، وانتشر أتباعه في أنحاء الأرض يدعون إلى الإسلام مع نشرهم العلم والتصوف بين المسلمين.

قال أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان:(تاب على يديه أهل بغداد وأسلم أكثر اليهود والنصارى، وكان يصدع بالحق على المنبر، وكانت له كرامات ظاهرة أدركه جماعة يحكون منها جملة.

وقال التادفي في القلائد وغيره قال الجبائي. قال لي سيدنا الشيخ عبد القادر:(أتمنى أن أكون في الصحاري والبراري كما كنت في الأول لا أرى الخلق ولا يروني، ثم قال: (أراد الله عز وجل مني منفعة الخلق، فإنه قد أسلم على يدي أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى وتاب على يدي من العيارين والمسالحة أكثر من مائة ألف وهذا خير كثير رضي الله عنه.

وقال الإمام العسقلاني قال عمر الكيماني:(لم تكن مجالسه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى أو يتوب من المسلمين من قاطع الطريق أو قاتل النفس وغير ذلك، قال:(وأتاه راهب فأسلم على يديه ثم قال للناس إني رجل من أهل اليمن وإن الإسلام وقع في نفسي وقوى عزمي على أن لا أسلم إلا على يد خير أهل اليمن في ظني وجلست متفكراً فغلب علي النوم فرأيت السيد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقول لي يا سنان إذهب إلى بغداد وأسلم على يد الشيخ عبد القادر فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

ولا يفهم من هذا أن الراهب أخر إسلامه حتى وصل إلى بغداد وإنما المراد إعلان إسلامه عند الشيخ عبد القادر ثم السلوك على يديه.

وقال الشيخ عمر الكيماني أيضاً: وأتاه ثلاثة عشر رجلاً نصارى فأسلموا على يديه في مجلس وعظه قالوا نحن من نصارى العرب أردنا الإسلام فترددنا فيمن نقصده لنسلم على يديه فهتف بنا هاتف نسمع كلامه ولا نراه يقول أيها الركب ذا الفلاح ائتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر فإنه يوضع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته ما لم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس في هذا الوقت. وهكذا تزاحم الخاصة والعامة ببابه ﷺ إلى حين وفاته.

قال التادفي قال ابن نقطة الصيريفيني:

تـــزاحم تيجـــان الملـــوك ببابـــه	**ويكثر في وقت السلام ازدحامها**
إذا عاينتـــه مـــن بعيـــد ترجلـــت	**وإن هـي لـم تفعـل ترجـل هامهـا**

وابن نقطة واسمه عبد الله كان رجلاً مقامراً فتاب على يد الشيخ وصار شيخا عظيماً، وقد قال فيه الشيخ عبد القادر: ابن نقطة جاء بعد الكل فلحق بهم، وحط رحاله بين رحالهم، وهو من الخواص.

وقد تقدم أن ظهور سيدنا الشيخ وكلامه على جموع الناس كان في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

أما بداية أمره في التعليم والإرشاد فكان سنة إحدى عشر وخمسمائة كما ورد في البهجة،فكان يتكلم على الواحد والاثنين ثم صار أمره يظهر شيئا فشيئا حتى ذاع صيته.

ذكر جملة من كراماته ومناقبه إضافة لما مرَّ معنا

قد بينت في القسم الأول من هذا الكتاب أن الكرامة جائزة شرعاً وعقلاً وكل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي إلا ما كان خاصاً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والله على كل شيء قدير.

وقد ذكر عدد من أهل التواريخ والتراجم والعلماء أنه لم يعرف عن أحد من الأولياء كثرة الكرامات على يديه كالشيخ عبد القادر ﷺ: وأن كثرة الكرامات على يديه قد تواترت، فلا يكذب بها أو بغيرها من كرامات غيره من الأولياء إلا من كان في قلبه زيغ وتكبر.

ففي غبطة الناظر للعسقلاني، قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي: (لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه).

وذكر عن العز بن عبد السلام مثله.

وذكر الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني الشافعي في كتابه الكواكب الدرية أن الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي القادري النقشبندي قدس سره قال:(ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبد القادر ﷺ لم تظهر على يد كثير من كمَّل الأولياء السابقين؟ حتى أطلعني الله تعالى على سر ذلك ، وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء ، وفي جانب النُّزول كان نزوله إلى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب.

وقد ذكر عدد كبير من المؤلفين من كرامات الشيخ عبد القادر ﷺ، ففي طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي في المجلد الثاني عند كلامه عن الكرامات، ذكر أن من كرامات الشيخ عبد القادر إحياء الموتى وسماع كلام الموتى، وإبراء العلل.

وقال الإمام الشعراني في كتابه المنن ما معناه: (حكي عنه ـ أي الشيخ عبد القادر ـ أنه) قال: "ما جلست للناس حتى سحت خمسا وعشرين سنة في البراري وكنت آكل من نبات

الأرض وأشرب من الأنهار، وكنت أصبر عن الماء السنة وأكثر قال: "وأعطيت التصرف وأنا سائح في البرية فكنت أجد الموائد منصوبة فآكل منها ما أشتهى، وأقطع من الجبل الحلوى وآكل، وأشرب من الرمل السكر فأضع الرمل وأصب عليه من البحر المالح وأشربه حلواً، ثم تركت ذلك أدبا مع الله تعالى".

أما رؤيته لنبينا ﷺ يقظة مرات عدة فهذا أيضاً من كراماته العظيمة وهذا الأمر جائز عقلا، فقد ثبت في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ رأى ليلة أسري به سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قائما يصلي في قبره.

وأيضاً اجتماع نبينا ﷺ بالأنبياء والمرسلين يقظة في بيت المقدس ثم اجتماعه ببعضهم في السماوات عند عروجه.

وقد جاء بالحديث: "من رآني في منامه فسيراني في اليقظة"، رواه مسلم وغيره، قال بعض العلماء في تفسيره أن رؤيته ﷺ في اليقظة تكون يوم القيامة وقال البعض الآخر أن رؤيته تكون في الدنيا قبل موت الرائي وإلا لم تكن له مزية في ذلك حيث أن كل من مات على الإيمان سيراه يوم القيامة وهذا هو الأصح.

فأكثر الذين يرون النبي ﷺ في المنام، يرونه يقظة عند خروج الروح، يكشف له فيرى النبي ﷺ في قبره مع بعد المسافة فيبشره، والبعض الآخر وهم قليل يرونه يقظة وهم في حال حياتهم العادية أي قبل خروج الروح بزمن قليل أو كثير، وقد حصل مثل هذه الكرامة لعدد من الأولياء.

وقد ذكر الشيخ محمد التادفي الحنبلي في القلائد: انعقاد الإجماع من جماهير الأشياخ من الفقهاء والفقراء ـ أي الصوفية ـ وتضمنت الكتب المدونة أن أصحاب التصرف التام (أي في كثيرٍ من أنواع الكرامات المختلفة) من السادة القادة الأولياء لهم تصرف في حياتهم وفي قبورهم بعد وفاتهم كتصرف الأحياء بتخصيص من الله تعالى لهم: كسيدنا الشيخ عبد القادر،ثم ذكر عددا من الأولياء غيره

أقول وهذا أيضاً لا ينكره إلا معاند عديم التسليم والبصيرة، لأن النافع والضار في الحقيقة هو الله تعالى وهو الفعال لما يريد، فإن الله تعالى جعل النفع مثلا في الشجرة حيث لا روح فيها، فلا توصف بحياة حقيقية ولا موت حقيقي، وكما أن الله تعالى جعل النفع في الولي في حياته فليس بمحال أن يجعل فيه نفعا بعد مماته.

فهذا سيدنا موسى ﷺ: أليس نفع أمة سيدنا محمد ﷺ بعد وفاته، حيث كان السبب في تخفيف الصلوات من الخمسين إلى الخمسة، مع بقاء الأجر بخمسين، وذلك حين فرضت الصلوات على هذه الأمة)، عندما كان النبي ﷺ في معراجه، فإن الله فرض على أمته خمسين صلاة، فلما عاد إلى السماء السادسة قال له سيدنا موسى كم فرض الله على أمتك من الصلاة فقال له: خمسين صلاة، فقال له إن أمتك لا تطيق ذلك فاسأل ربك التخفيف، فسأل ربه التخفيف حتى صارت خمس صلوات.

فكما أن الله تعالى أخرج موسى من قبره بعد موته إلى السماء السادسة واجتمع بسيدنا محمد ﷺ ثم كان السبب في التخفيف عن هذه الأمة فإنه يجوز أن يحصل لبعض الأولياء أن يتصرف بعد موته وينفع وقد يخرج من القبر بإذن الله تعالى، أليس ورد في الحديث الصحيح أنه لما استشهد سيدنا جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة وقد قطعت يداه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في المدينة المنورة:(**هذا جبريل وميكائيل ومعهما جعفر أبدله الله بدل يديه جناحين يطير بهما حيث شاء**)، **رواه الطبراني وغيره بروايات متعددة**، هذا حصل بعد موت سيدنا جعفر رضي الله عنه ودفنه وفي هذا دليل واضح على إمكانية خروج الولي من قبره كرامة له.

وهناك كثير من الكتب المعتمدة ذُكِرَ فيها الكثير من مثل ما ذكرنا من تصرفات بعض الأولياء بعد موتهم، فلا يُكذِّبُ بمثل هذا بعد الذي بيناه وبينه أكابر العلماء والأولياء في كتبهم إلا معاند عديم الفهم.

فإذا كانت الشجرة أو الحجر ينفع بإذن الله فالولي أولى بذلك ولو بعد موته فإنه كان في حياته طائعاً ذاكراً مخلصاً، فكما أعطاه الله من الكرامات في حياته يجوز أن يعطيه ذلك بعد مماته فضلاً منه ورحمة وإذا كانت الجمادات بعضها ينفع بإذن الله فأولى بذلك ذو روح ولو بعد

الممات فإن الروح لا تفنى بإذن الله تعالى ، وأرواح الأولياء لها انطلاق بعد الموت ليست كغيرها، والله تعالى على ما يشاء قدير.

أقول: وكرامات سيدنا الشيخ عبد القادر كثيرة جداً أذكر بعضها مما جاء في كتب التراجم والتواريخ والمناقب.

فمن ذلك ما ورد في غبطة الناظر:قال مفرج بن شهاب، وقيل كما في القلائد مفرج بن نبهان بن بركات الشيباني:

لما اشتهر أمر سيدنا الشيخ عبد القادر ﵁ اجتمع مائة فقيه من أعيان فقهاء بغداد وأذكيائهم على أن يسأل كل واحد منهم مسألة واحدة في فن من العلوم غير مسألة صاحبه ليقطعوه بها وأتوا مجلس وعظه وكنت يومئذ فيه فلما استقر بهم الجلوس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نورلا يراها إلا من شاء الله تعالى، ومرت على صدور المائة ولا تمر على أحد منهم إلا ويبهت ويضطرب ثم صاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم وصعدوا إليه فوق الكرسي ووضعوا رؤوسهم على رجليه وضج أهل المجلس ضجة واحدة ظننت أن بغداد رجت لها فجعل الشيخ يضم إلى صدره واحداً منهم بعد واحد حتى أتى إلى آخرهم ثم قال لأحدهم أما أنت فمسألتك كذا وجوابها كذا حتى ذكر لكل واحد منهم مسألته وجوابها، فلما انقضى المجلس أتيتهم وقلت لهم ما شأنكم قالوا إنا لما جلسنا فقدنا جميع ما نعرفه من العلم حتى كأنه لم يمر بنا قط فلما ضمنا إلى صدره رجع إلى كل منا ما نزع من العلم، ولقد ذكر لنا مسائلنا التي بيتناها له وذكر عنها أجوبة لا نعرفها.

وذكر الشيخ أبو الهدى الصيادى في كتابه قلادة الجواهر عند ترجمة الشيخ عبد القادر، كما ذكر ذلك غيره أيضاً.

أن الشيخ عبد القادر قدس سره كان يتكلم يوماً في مجلس وعظه، ففتر الناس فأنشد:

لا تسقني وحدي فما عودتني	**أني أشح بها على الجلاس**
أنت الكريم وهل يليق تكرماً	**أن يعبر الندماء دون الكاس**

فاضطرب الناس ومات في المجلس واحد واثنان.

وفي غبطة الناظر وغيره: قال الشيخ محمد بن الخضر السنجاري سمعت أبي يقول: "كان يعد من كرامات الشيخ عبد القادر أن من في أقصى مجلسه يسمع كلامه كما يسمع أدناهم مع كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر أهل مجلسه ويواجههم بالكشف، وإذا قام قاموا إجلالاً له، وإذا قال لهم اسكتوا لم يسمع لهم حس سوى أنفاسهم، وذكر أن منهم من كان يضع يده في مجلسه فيدرك باللمس من لا يراه وربما سمعوا وجبة عظيمة من الجو إلى أرض المجلس".

وقال الشيخ المظفر منصور بن المبارك الواسطي المعروف بجدادة: دخلت وأنا شاب على الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ مع جماعة ومعي كتاب مشتمل على شيء من الفلسفة وعلوم الروحانيات، فلما دخلنا عليه قال لي من دون الجماعة قبل أن ينظر في الكتاب أو يسألني عما فيه بئس الرفيق كتابك هذا قم فاغسله فعزمت أن أقوم من بين يديه وأطرحه في شيء ثم لا أحمله بعد ذلك خوفا من الشيخ ولم تسمح نفسي بغسله لمحبتي فيه، وكان قد علق بذهني شيء من مسائله وأحكامه فنهضت لأقوم على هذه النية فنظر إليَّ الشيخ كالمتعجب مني فلم أستطع النهوض وإذا حالي مقيد عليَّ، فقال ناولني كتابك هذا قال: ففتحه فإذا هو كاغد أبيض لا حرف مكتوب فيه فأعطيته إياه فتصفح أوراقه وقال هذا كتاب فضائل القرآن لابن الضريس محمد وأعطانيه فإذا هو فضائل القرآن لابن الضريس مكتوبا بأحسن خط، فقال لي الشيخ تتوب أن تقول بلسانك ما ليس في قلبك فقلت نعم يا سيدي فقال قم فنهضت فإذا أنا قد أنسيت الفلسفة وأحكام الروحانيات ونسخ من باطني حتى كأنه لم يمر بي قط.

وقال: شهدته ﷺ مرة متوسداً فقيل له: إن فلانا وسمى رجلاً كان مشهوراً في ذلك الوقت بالكرامات والعبادة في الخلوات والزهد والطاعات (أي بحسب الظاهر للناس يظنونه من الأولياء وهو مستدرج) نقل عنه أنه قد قال قد تجاوزت مقام يونس بن متى نبي الله عليه السلام فتبين الغضب في وجهه حتى استوى جالساً وتناول الوسادة بيده وألقاها بين يديه وقال قد أصبت قلبه، فنهضنا مسرعين إليه فوجدناه قد فاضت نفسه في ذلك الوقت وكان قبل ذلك سويا لا علة به.

وقال شيخ الصوفية شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي قدس سره: "اشتغلت بعلم الكلام وأنا شاب وحفظت فيه كتباً وصرت فيه فقيها" وكان عمي يزجرني عنه فلا أزدجر فأتى يوماً وأنا معه إلى زيارة الشيخ عبد القادر ﷺ فقال لي يا عمر ها نحن داخلون على رجل يخبر قلبه عن الله تعالى فانظر كيف تكون بين يديه لتنظر بركات رؤيته قال فلما جلسنا قال له عمي: (يا سيدي هذا ابن أخي مشتغل بعلم الكلام وقد نهيته ولم ينته فقال لي يا عمر أي كتاب حفظته فيه، فقلت: الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني قال: فمر بيده المباركة على صدري، فوالله ما نزعها وأنا أحفظ من الكتب لفظة واحدة وأنساني الله مسائلها وأقر الله في صدري العلم اللدني في الوقت العاجل، وقمت بين يديه وأنا أنطق بالحكمة وقال لي يا عمر أنت آخر المشهورين في العراق قال: فكان الشيخ عبد القادر ﷺ سلطان أهل الطريق المتصرف في الوجود بإذن الله، (أي أعطي التصرف في أنواع كثيرةٍ من الكرامات وليس المراد أن له التصرف المطلق لأن المتصرف في هذا الوجود على الإطلاق هو الله وحده).

وقال الشرف ابن المجد عيسى بن الشيخ موفق الدين بن قدامة سمعت أبا عبد الله المرابتي يقول سمعت أبا بكر العماد يقول كنت قرأت في أصول الدين شيئاً فأوقع عندي شكاً فقلت حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر فقد ذكر أنه يتكلم على الخواطر فمضيت إلى مجلسه وهو يتكلم فقال: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة فقلت في نفسي قال هذا الكلام اتفاقاً فتكلم ثم التفت إلى الناحية التي أنا فيها فأعاد القول فقلت يلتفت مرة هكذا ومرة هكذا فالتفت مرة ثالثة فقال يا أبا بكر وأعاد القول ثم قال: قم فقد جاء أبوك فقال: وكان أبي مسافرا فقمت مبادراً إلى البيت وإذا بأبي قد جاء من السفر.

وقال الشيخ يوسف سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان: حكى لي خالي خاص بك قال: كان الشيخ يجلس يوم الأحد فبت مهتماً بحضور مجلسه فاتفق أني نمت فاحتلمت وكانت ليلة باردة فقلت ما أفوت مجلسه وإذا انفض المجلس اغتسلت، وجئت المدرسة، والشيخ على المنبر فساعة وقعت عينه علي فقال: يا دبير تحضر مجلسنا وأنت جنب وتحتج بالبرد.

وقال الشيخ يوسف أيضاً: أن عبد الصمد بن همام كان من ذوي اليسار والثروة الواسعة وكان منحرفاً عن الشيخ عبد القادر كثير الإنكار لما يحكى عنه من الكرامات وكان

منقطعاً عنه بالكلية ثم لازمه ملازمة شديدة فتعجب الناس من ذلك فسئل عن ذلك بعد وفاة الشيخ قال: كنت على ما كنت عليه فاتفق أني اجتزت يوماً بمدرسة الشيخ وقد أقيمت الصلاة فقلت في نفسي أصلي بسرعة ثم أزيل ما بي وكنت حاقناً فدخلت فوجدت حائطه الذي يجلس فيه خاليا فصليت فيه وأنا لا أشعر يوم المجلس فتكاثر الناس بحضور المجلس تكاثراً منعني من التصرف في نفسي والخروج مما كان بي وتزايد ما بي من الاحتياج إلى الخلاء وصعد الشيخ إلى المنبر وقد كدت أتلف فتضاعف ما بي في بغض الشيخ ذلك الوقت وتحيرت في أمري وكدت أحدث في ثيابي ثم قلت افتضح بين الناس ويشم مني رائحة خبيثة فعاينت الموت في دفع ذلك، فبينما أنا مفكر في أمر أفعله إذ نزل الشيخ من المنبر درجات وأسبل كمه على رأسي فرأيت نفسي في روضة خضراء بفلاة من الأرض وماء جار فأزلت مابي وتوضأت للصلاة وصليت ركعتين ثم رفع الشيخ كمه عن رأسي فإذا أنا تحت المنبر على حالي وقد زال ما بي جميعه فكثر تعجبي من ذلك جداً ووجدت أطرافي رطبة من أثر الوضوء فتحيرت في أمري وذهل عقلي فلما انفض المجلس قمت ففقدت منديلي ومفتاح صندوقي وطلبت ذلك في موضعي الذي كنت فيه قاعداً وفيما يليه فلم أجده فمضيت إلى منْزلي وأحضرت صانعاً فتح الصندوق وعمل مفاتيح، وكنت ذلك الوقت على عزم السفر إلى عراق العجم لمهم عراني فتوجهت غداة اليوم الذي فيه المجلس فلما سرت عن بغداد ثلاثة أيام جزت بمكان أفيح وفيه روضة خضراء وماء جار فقال لي بعض الرفقة ألا ننْزل ههنا نصلي ونأكل شيئاً فإنا لا نجد أمامنا ماءً فنَزلت فتخيلته المكان الذي أريته آنفاً لا أشك فيه، فتوضأت للصلاة وقصدت مكانا أصلي فيه فإذا منديلي بعينه وفيه مفاتيحي التي فقدت يوم المجلس هناك فكدت أخرج من عقلي فقضيت سفري وعدت وأهم الأمور عندي ملازمته، وهذا ما لا أذكره مخافة أن يشك السامع في حديثي، فقلت له حدث بما رأيت منه فمثلك لا يتطرق إليه التهم فيما يحكي، فقال ليس لي حاجة فقد كان يحكي عنه من لا أشك في صدقه وعدالته ما يشبه هذا فلا أصدقه، فقلت أراد الله بك خيراً، فقال: الحمد لله إذ لم أمت على ما كنت عليه من قبل.

وفي القلائد: قال أبو الفرج بن الحمامي كنت كثيراً ما أسمع عن الشيخ عبد القادر أشياء أستبعد وقوعها وأنكرها وأدفعها وكنت بحسب ذلك أتشوق إلى لقائه واتفق أني مضيت إلى باب الأزج لحاجة كانت لي هناك فلما عدت مررت بمدرسته والمؤذن يقيم الصلاة فتنبهت

بالإقامة على ما كان في نفسي وقلت أصلي العصر وأسلم على الشيخ وذهب عنى أنني على غير وضوء فصلى بنا العصر فلما فرغ من الصلاة والدعاء أقبل عليَّ وقال أي بني لو قدمتني بالقصد على حاجتك لقضيت لك ولكن الغفلة شاملة لك حيث قد صليت على غير وضوء وقد سهوت عن ذلك، وقال: فتداخلني من العجب بحاله ما أدهشني وأذهل عقلي من كونه علم من حالي ما خفي عنى وخبرني به، ومن حينئذ لازمت صحبته وتعلقت بمحبته وخدمته وتعرفت بذلك شمول بركته.

وفي غبطة الناظر بالسند إلى الحافظ بن النجار قال ونقلت من خط الجبائي: "كان رجل من أهل جيلان مقيما في مدرسة الشيخ وتفقه عليه قال: كانوا إذا أذنّ الظهر يتسابقون في القراءة عليه ويضع السابق كتابه عند سجادة الشيخ ويأخذ بالسبق فإذا صلى الظهر قرأ به قال وكنت قد نمت قبل الظهر فاحتلمت وانتبهت عند أذان الظهر فقلت إيش أعمل إن مشيت واغتسلت فاتني السبق فأخذت الكتاب ووضعته عند سجادة الشيخ فلما صلى الظهر جلست بين يديه وأخذت الكتاب لأقرأ، فصاح علي وقال: قُمْ فمضيت واغتسلت".

وقال ابن النجار: كتب إلي أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي الجبائي قال: كان الشيخ ﷺ يوماً يتكلم في الخلاص من العجب وأنا حاضر فحضر في نفسي كيف الخلاص من العجب، فالتفت إلي الشيخ وقال: (إذا رأيت الأشياء من الله وأنه وفقك لعمل الخير وأخرجت نفسك من البين سلمت من العجب).

وقال الجبائي أيضاً: كنت أسمع كتاب حلية الأولياء على ابن ناصر فرق قلبي وقلت في نفسي أشتهي أن أنقطع عن الخلق في زاوية وأشتغل بالعبادة ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر، فلما صلى جلست بين يديه فنظر إليّ وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسأل الناس عن أمر دينك، ما أحسن صاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنورها.

وكان سيدي الشيخ ﷺ يقص الشعر في مجلسه كثيراً.

ففي القلائد وغبطة الناظر: قال يحيى بن جناح الأديب قلت في نفسي أريد أن أحصي كم يقص الشيخ شعراً في مجلس وعظه، فحضرت المجلس ومعي خيط فكلما قص شعراً عقدت عقدة تحت ثيابي من الخيط وأنا في آخر الناس وإذا به يقول أنا أحل وأنت تعقد.

وفي غبطة الناظر بالسند إلى ابن النجار قال: وسمعت عبد الملك يقول إن أبا محمد بن الخشاب النحوي يقول: كنت وأنا شاب أقرأ النحو وأسمع الناس يصفون الشيخ عبد القادر ويذكرون حسن كلامه فكنت أريد أن أسمعه فلا يتسع وقت لذلك فاتفق أني حضرت يوماً مجلسه مع الناس فلما تكلم لم أستحسن كلامه ولم أفهمه كما ينبغي فقلت في نفسي ضاع اليوم مني قال: فالتفت الشيخ إلى الجهة التي كنت فيها وقال يا هذا اصحبنا نُصَيِّرْك سيبويه، وزاد في القلائد، قال فوالله لقد لازمته فانتفعت به نفعاً كثيراً وتأصل عندي من قواعد النحو وأحكامه وغيره من العلوم العقلية والنقلية ما لا كنت أعرفه ولا سمعته من غيره، وحصل لي منه في أقل من سنة أكثر مما مضى من عمري جميعه.

وذكر الشيخ علي نور الدين الشطنوفي في بهجة الأسرار: قال أبو الخير كروم بن الشيخ القدوة مطر البازراني: لما حضرت أبي الوفاة قلت له أوصني بمن أقتدي بعدك، فقال: بالشيخ عبد القادر فظننت أنه غلبه مرضه فتركته ساعة ثم قلت له أوصني بمن أقتدي بعدك؟ فقال بالشيخ عبد القادر فتركته ساعة ثم أعدت عليه القول فقال: ليكون زمان فيه الشيخ عبد القادر لا يقتدى إلا به، فلما مات أتيت بغداد وحضرت مجلس الشيخ عبد القادر وفيه بقا بن بطو والشيخ أبو سعيد القيلوى والشيخ علي بن الهيتي وغيرهم من أعيان المشايخ فسمعته يقول:لست كواعظكم إنما كلامي على رجال في الهواء وجعل يرفع رأسه إلى الهواء، فرفعت رأسي إلى الفضاء فإذا بإزائه صفوف رجال من نور على خيل من نور قد حالوا بين نظري وبين السماء من كثرتهم وهم مطرقون ومنهم من يبكي ومنهم من يرعد ومنهم من في ثيابه نار، فأغشي عليَّ ثم قمت أعدو وأشق الناس حتى طلعت إليه فوق الكرسي فأمسك بأذني وقال: يا كروم أما اكتفيت بأول مرة من وصية أبيك، فأطرقت من هيبته ﵁.

وفي البهجة أيضاً: قال حامد الحراني الخطيب: دخلت على الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه بمدرسته ببغداد وجلست عنده على سجادة لي فنظر إلي وقال: يا حامد لتجلسن على

بساط الملوك، فلما رجعت إلى حران جبرني السلطان نور الدين الشهيد على ملازمته وقربني وأجلسني على بساطه وولاني الأوقاف فكنت أتذكر كلام الشيخ ﷺ.

وفي غبطة الناظر: قال عمر بن حسين بن خليل الطيب: حضرت مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر وكنت قاعداً محاذياً وجهه فرأيت شيئاً على هيئة القنديل البلور نزل من السماء إلى أن قارب فم الشيخ ثم عاد وصعد سريعاً هكذا ثلاث مرات فما تمالكت أن قلت لأقول للناس من فرط تعجبي، فبادرني وقال: أقعد فإن المجالس بالأمانات فلم أتكلم به إلا بعد موته.

وفي البهجة: قال وتكلم يوماً في قدرة الله تعالى فحصل للحاضرين هيبة وخشوع فمر بالمجلس طائر عجيب الخلقة فشغل بعض الناس بالنظر إليه عن استماع كلام الشيخ فقال: وعزة المعبود لو شئت أن أقول لهذا الطائر مت قطعا لمات قطعاً فما تم كلامه حتى وقع الطائر إلى أرض المجلس قطعاً.

وفي البهجة: (وقال المحدث أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الحنبلي): كنت مع الشيخ بالمدرسة النظامية، واجتمع إليه الفقهاء والفقراء فتكلم في القضاء والقدر فبينما هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف ففر كل من كان حاضراً عنده وثبت هو على حاله فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه فالتوت على عنقه فما قطع كلامه ولا تغيرت هيئته فنَزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوتت بشيء ثم ذهبت، فتراجع الناس فسألوه عما قالت قال: قالت لي لقد اختبرت كثيراً من الأولياء فلم أر مثل ثباتِكَ فقلت لها إنك سقطت علي وأنا أتكلم في القضاء والقدر وهل أنت إلا دويدة يحركك القدر ويسكنك فأردت أن أتبع قولي فعلي.

وفي القلائد: قال الشيخ القدوة محمد بن قائد الأواني): مرت بمجلس الشيخ عبد القادر ﷺ حدأة طائرة في يوم شديد الريح فصاحت فشوشت على الحاضرين، فقال الشيخ ﷺ: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها ميتة رأسها في ناحية وهي في ناحية فنَزل الشيخ ﷺ من الكرسي وأخذ رأسها بيده ومرَّ يده الأخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت بإذن الله تعالى والناس ينظرون ذلك.

وفي غبطة الناظر: قال الشيخ محمد بن الهروي: حضرت يوماً مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه فتكلم حتى استغرق في كلامه وقال: لو أراد الله تعالى أن يبعث طيراً أخضراً يسمع كلامي لفعل فلم يتم كلامه حتى جاء طير أخضر حسن الصورة ودَخل في كمه وما خرج.

وقال أيضاً: تكلم الشيخ يوماً في مجلسه فتداخل بعض الناس فترة فقال:

لو أراد الله سبحانه أن يرسل طيوراً خضراً تسمع كلامي لفعل فلم يتم كلامه حتى امتلأ المجلس طيوراً خضراً يراها من حضر.

وذكر صاحب القلائد وغيره قال الشيخ محمد بن قائد الأواني ﵁: جاءت امرأة إلى الشيخ عبد القادر ﵁ بولدها وقالت: إني رأيت قلب ولدي هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حقي فيه لله تعالى ثم لك ، فقبله الشيخ ﵁ وأمره بالمجاهدة وسلوك طريق السلف قال: فدخلت عليه أمه يوماً فوجدته نحيلا مصفراً من أثر الجوع والسهر ورأته يأكل من قرص شعير قال ودخلت على الشيخ فرأت بين يديه إناءً فيه عظام دجاجة قد أكلها فقالت له يا شيخ أنت تأكل الدجاج وولدي يأكل خبز الشعير؟ قال: فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال لها قومي بإذن الله تعالى الذي يحي العظام وهي رميم فقامت الدجاجة سوية وصاحت: لا إله إلا الله محمد رسول الله الشيخ عبد القادر ولي الله، فقال لها الشيخ إذا صار ولدك هكذاً فليأكل مهما شاء ﵁ ورضي عنا به.

وفي غبطة الناظر: قال الشيخ عمر بن مسعود البزاز: كان سيدي الشيخ عبد القادر ﵁ يوما يتوضأ في المدرسة فبال عليه عصفور فرفع رأسه وهو طائر فسقط ميتاً، فلما أتم وضوءه غسل موضع البول من الثوب وخلعه وأعطانيه وأمرني أن أبيعه وأتصدق بثمنه وقال هذا بهذا.

وقال الشيخ المعمر جرادة: لقد كنت يوماً في دار سيدنا الشيخ عبد القادر ﵁ وهو جالس ينسخ فسقط عليه تراب من السقف فنفضه ثلاث مرات فسقط عليه وهو ينفضه ثم رفع رأسه في الرابعة إلى السقف فرأى فأرة تبعثر، فقال: طار رأسك فسقطت جثتها ناحية

ورأسها ناحية فترك النسخ وبكى ، فقلت يا سيدي ما يبكيك قال أخشى أن يتأذى قلبي من رجل مسلم فيصيبه ما أصاب هذه الفأرة.

وفي بهجة الأسرار: قال سيدي الشيخ عبد الرزاق بن سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما: سمعت والدي يقول كنت ليلة في جامع المنصوري أصلي فسمعت حس مشي شيء على البواري فجاءت أصلة عظيمة ـ أي دابة كبيرة وهي من أنواع الأفاعي ـ ففتحت فاها موضع سجودي فلما أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت فلما جلست للتشهد مشت على فخذي وطلعت على عنقى والتفت عليه فلما سلمت لم أرها، فلما كان الغد دخلت خربة بظاهر الجامع فرأيت شخصا عيناه مشقوقتان طولاً، فعلمت أنه جني فقال لي: أنا الأصلة التي رأيتها البارحة ولقد اختبرت كثيراً من الأولياء بما اختبرتك به فلم يثبت أحد منهم لي كثباتك وكان منهم من اضطرب ظاهراً وباطنا ومنهم من اضطرب باطنه وثبت ظاهره ورأيتك لم تضطرب ظاهراً ولا باطنا، وسألني أن يتوب على يدي فتوبته.

وفي القلائد: قال أبو نظر بن عمر البغدادي المثنى المعروف بالصحراوي سمعت أبي يقول: استدعيت الجان مرة بالعزائم وأبطأت إجابتهم أكثر من عادتي ثم أتوني وقالوا: لا تعد تستدعينا إذا كان الشيخ عبد القادر يتكلم على الناس، فقلت: ولم؟ قالوا إنا نحضره، قلت وأنتم أيضاً؟ قالوا إن ازدحامنا بمجلسه أشد من ازدحام الإنس وإن طوائف منا كثيرة أسلمت وتابت على يديه.

وقال رؤساء صناعة التعزيم: إن بغداد مكثت في حياة الشيخ عبد القادر أربعين سنة لا يصرع فيها أحد، فلما مات الشيخ وقع الصرع ببغداد.

قال: وجاء رجل إلى سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ وقال له أنا رجل من أصبهان ولي زوجة تصرع كثيراً وقد أعياني أمرها وأعيى المعزمين، فقال له الشيخ ﷺ: هذا مارد من مردة وادى سرنديب اسمه خانس، فإذا صرعت زوجتك فقل في أذنها: يا خانس يقول لك الشيخ عبد القادر المقيم ببغداد لا تعد وإن عدت بعدها هلكت فذهب الرجل وغاب سنين ثم جاء، فسئل فقال: فعلت ما قال الشيخ، فلم يعد الصرع إلى الآن.

وقال صاحب حياة الحيوان الكبرى، وصاحب القلائد: وقال أبو سعيد عبد الله بن أحمد بن علي البغدادي الأزجي: صعدت ابنة لي اسمها فاطمة إلى سطح دار في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فاختطفت وكانت بكراً وسنها ستَّ عشْرَةَ سنة فأتيت الشيخ محيي الدين عبد القادر وذكرت له ذلك فقال: اذهب الليلة إلى خراب الكرخ فاجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة في الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله الرحمن الرحيم على نية عبد القادر، فإذا كانت فحمة الليل مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يزعجك شيء منهم، فإذا كان وقت السحر مر بك ملكهم في جحفل منهم فليسألك عن حاجتك فقل له بعثني عبد القادر إليك واذكر له شأن ابنتك، قال فذهبت وفعلت كما أمرني فمر بي منهم صور مزعجة المنظر ولا يقدر أحد منهم يدنو مني ولا من الدائرة وما زالوا يعبرون زمراً زمراً إلى أن جاء ملكهم راكبا على فرس وبين يديه أمم منهم، فجاء ووقف بازاء الدائرة، وقال: يا إنسي ما حاجتك فقلت له بعثني إليك الشيخ عبد القادر فلما سمع بذكر الشيخ ﷺ نزل عن الفرس وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه وقال: ما شأنك فذكرت له قصتي فقال لمن معه من فعل هذا فلم يعلموا من فعله، فأتى مارد وهي معه فقيل له هذا من مردة الصين فقال ما حملك أن تخطف من تحت ركاب القطب، فقال: إنها وقعت في نفسي وأحببتها، فأمر الملك بضرب عنقه في الحال وأعطاني ابنتي، فقلت له ما رأيت منك الليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر ﷺ، فقال نعم إنه ينظر من داره إلى المردة منا وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته إلى مساكنهم، وإن الله تعالى إذا أقام قطبا مكنه من الجن والإنس.

ومن كراماته: ففي بهجة الأسرار قال: زادت الدجلة في بعض السنوات حتى أشرفت على بغداد وأيقنوا بالغرق فأتى الناس إلى الشيخ عبد القادر مستغيثين به، فأخذ عكازه وأتى الشط وركزه عند حد الماء فقال إلى هنا فنقص الماء من وقته.

وفي القلائد قال: وقال عبد الله ذيال: كنت قائما بمدرسة الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ في سنة ستين وخمسمائة فخرج من داره وبيده عكاز فخطر لي أن لو أراني في هذه العكازة كرامة، قال: فنظر لي متبسما وركزها في الأرض فإذا هي نور يتلألأ متصاعدا نوره إلى نحو السماء وأشرق به الجو، وبقيت كذلك ساعة زمانية ثم أخذها فعادت كما كانت، فقال لي يا ذيال أنت أردت هذا.

وقال عبد الله الجبائي حدثني أبو الحسن علي بن ملاعب القواس وكان صدوقاً: قال: حضرت مع جماعة كثيرة نزور الشيخ عبد القادر وكانوا قد قصدوه في مهم يسألونه الدعاء وتبعهم خلق كثير من العوام وفيهم صبي أمرد أعرفه سيِّئ الطريقة لا يزال جنباً ولا يتطهر من بول ولا غيره واتفق أن لقينا الشيخ عبد القادر وذكر له الجماعة ما أرادوه وسألوه الدعاء لهم، ثم تقدمنا إليه وقبلنا يديه وانهرع الجماعة إلى تقبيل يده بأجمعهم فلما وصل ذلك الصبي الأمرد إليه وأراد أخذ يده ليقبلها جعلها الشيخ في كمه ونظر إلى الصبي نظرةً فخرَّ الصبي مغمى عليه ثم أفاق وقد نبتت لحيته في تلك الساعة فقام إلى الشيخ وتاب من وقته، فصافحه الشيخ، ولم يزل الشيخ على ذلك إلى أن دخل داره وخرجنا.

وقال الشيخ القدوة أبو الحسن علي القرشي ﷺ: شهدت مجلس سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ مرة في سنة تسع وخمسين وخمسمائة فأتاه جمع من الرافضة بقفتين مخيطتين مختومتين وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين؟ قال: فنَزل عن الكرسي ووضع يده على أحدهما وقال: في هذه صبي مقعد وأمر ولده عبد الرزاق بفتحها قال: ففتحها فإذا فيها كما قال فمسكه بيده وقال: له قم بإذن الله، قال فقام يعدو، قال: ووضع يده على الأخرى وقال: وفي هذه صبي لا عاهة فيه وأمر بفتحها أيضاً ولده فإذا فيها ولد صغير فقام يمشي قال فأمسك الشيخ ﷺ بناصيته وقال له أقعد فأقعد بإذن الله تعالى، قال فتابوا عن الرفض على يده، ومات في المجلس ثلاثة نفر.

قال: ولقد حضرت عنده يوما فاستقضاني حاجة فأسرعت في قضائها فقال لي: تمنَّ عليَّ ما تريد قلت: أريد كذا كذا وذكرت له أمراً من أمور الباطن، فقال لي: خذه إليك، فوجدته في ساعتي.

وقال الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرشي البغدادي: ركب الشيخ عبد القادر ﷺ يوماً وأتى إلى جامع المنصوري ثم رجع إلى مدرسته وكشف الطرحة عن وجهه وألقى بيده من على جبهته عقرباً فسعت على الأرض وقال لها موتي بإذن الله تعالى فماتت مكانها، ثم قال: يا أحمد إن هذه ضربتني من الجامع إلى هنا ستين مرة.

وقال الشيخ خضر الحسيني الموصلي: خدمت الشيخ عبد القادر ﷺ ثلاث عشرة سنة وشهدت له الخارقات منها أنه كان إذا أعيا الأطباء مريض أءتي به إليه فيدعو له ويمر يده عليه فيقوم من بين يديه وقد شفي ولا يزال يسري عنه حتى يصح في أسرع وقت.

قال: وأتي مرة بمستسقى من أقارب الإمام المستنجد وقد علا بطنه فأمرَّ يده عليه فقام ضامر البطن كأن لم يكن به شيء.

قال: وأتاه أبو المعالي أحمد البغدادي الحنبلي وقال له إن ابني محمداً من خمسة عشر شهراً لا تفارقه الحمى فقال ﷺ: إذهب وقل في أذنه يا أم ملدم يقول لك عبد القادر ارتحلي عن ولدي إلى الحلة، ثم سألناه عن ولده قال: ذهبت عنه لما قلت ما أمرني به الشيخ فلم تعد إلى ولدي، وسألناه بعد سنين فقال ما رجعت إلى بغداد أبداً، وجاء الخبر أن أهل الحلة يحمون كثيراً.

قال: ومرض الشيخ أبو الحسن علي الأزجي فعاده فرأى في بيته راعبيا وقمرياً فقال: يا سيدي هذا الراعبي ما يبيض منذ ستة أشهر، وهذا القمري ما يصيح منذ ستة أشهر، قال: فوقف الشيخ ﷺ على الراعبي وقال له متع مالِكَكَ، ووقف على القمري وقال له سبح خالقك، قال فصاح القمري من وقته حتى كان أهل بغداد يجتمعون إليه يسمعون كلامه وباض الراعبي وفرخ إلى أن مات ببركة الشيخ.

وقال أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبدان القرشي البغدادي البزار: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ يلبس الرفيع من القماش ولقد أتاني يوماً خادمه بذهب وقال أريد خرقة ذراعها بدينار لا يزيد حبة ولا ينقص حبة قال فأعطيته وقلت لمن هي؟ فقال لسيدي الشيخ عبد القادر ﷺ قال فقلت في نفسي ما ترك الشيخ للخليفة لباساً قال: فلم يتم كلامي في خاطري حتى وجدت في رجلي مسماراً، وشاهدت من ألمه الموت واجتمع الناس عليّ لنَزعه فلم يستطيعوا قال: فقلت احملوني إلى الشيخ عبد القادر، قال فلما طرحوني عنده بين يديه قال: ﷺ: يا أبا الفضل ولم تتعرض بباطنك، وعزة المعبود ما لبسْتُ حتى قيل لي البس قميصا ذراعه بدينار، يا أبا الفضل هذا كفن الموت وكفن الموت يجمل، هذا بعد ألف موتة، ثم مر يده المباركة على رجلي فذهب المسمار والألم لوقته، ووالله لا أدري من أين جاء ولا أين ذهب ولا

رأيته إلا في رجلي فقمت أعدو، فقال الشيخ ﷺ لمن حضر: اعتراضه علينا شكل له في صورة مسمار.

ومن كراماته:

قال التادفي: وقصد سلطان العجم مرة بغداد بجيش عرمرم وعجز الخليفة عنه فجاء إلى الشيخ عبد القادر يستغيث به فقال الشيخ للشيخ على بن الهيتى مر هؤلاء أن يرحلوا عن بغداد قال سمعاً وطاعة فقال لخادمه اذهب إلى جيش العجم وانته إلى آخره تجد مئزراً مرفوعاً على عصا كالخيمة وتحته ثلاثة رجال وقل لهم يقول لكم علي بن الهيتي ارحلوا عن بغداد فإذا قالوا لك إنا ما أتيناها إلا بأمر، فقل لهم وأنا أيضاً ما جئتكم إلا بأمر فانصرف الخادم حتى أتاهم وأخبرهم وأخبروه فمد أحدهم يده إلى تلك العصا فألقاها وطوى المئزر وانصرفوا نحو العجم فإذا الجيش قد ألقى الخيم ورجع من حيث جاء. معناه أن الله ألقى في قلوبهم الرعب كرامة لسيدي الشيخ عبد القادر.

وفي غبطة الناظر قال: وقال ابن النجار: بلغني عن أبي نصر الربتني القاضي قال: عزمت على أن أقصد الشيخ عبد القادر وأسأله أن يدعو لي أن يكفيني الله شر جماعة يؤذونني فاتفق أني لقيته في باب الجامع القصر فأردت أن أقول له ذلك فنظر إليّ وتبسم وقال:(فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فأغناني عن السؤال.

وفي القلائد قال: قال عبد الله الجبائي: لقيت بهمدان رجلاً من أهل دمشق اسمه طريف قال: لقيت بشرا المفرض في طريق نيسابور ومعه أربعة عشر حملاً سكراً فقال لي نزلنا في برية قفراء مخوفة لا يقف الأخ لأخيه فيها من الخوف فلما حملت الجمال من أول الليل فقدت أربعة جمال محملة فطلبتها فلم أجدها فانقطعت عن القافلة فتعصب لي الجَمَّال ووقف معي فلما انشق الفجر ذكرت الشيخ عبد القادر ﷺ، وكان قال لي إن وقعت في شدة فنادني فإنها تكشف عنك، فقلت يا شيخ عبد القادر جمالي فرَّت، ونظرت إلى مطلع ضوء الفجر فرأيت رجلاً على رابية وعليه ثياب بيض وهو يشير إلى بكمه فلما صعدت التل لم أجد أحداً ، ثم رأيت الأربعة جمال بأحمالها تحت التل باركة فأخذتها ولحقنا القافلة.

وقال أبو الغنائم الحسيني رحمة الله تعالى عليه: كنت فوق سطح مدرسة شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر بين المغرب والعشاء والوقت صائف ملقى على ظهري، وسيدي الشيخ ﷺ قدامي مستقبل القبلة على السطح فرأيت في الجو رجلاً ماراً في الهواء مرور السهم على رأسه عمامة لطيفة لها عذبة بين كتفيه وعليه ثوب أبيض وفي وسطه فوطة فلما قارب رأس الشيخ نزل كالعقاب على الصيد حتى جلس بين يديه وسلم عليه ثم ذهب في الهواء حتى غاب عن بصري فقمت وقبلت يدي الشيخ وسألته عنه فقال هو من رجال الغيب السيارة عليهم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته وأزكى تحياته.

وقال الشيخان أبو عمرو عثمان الصيرفيني وأبو محمد عبد الحق الحريمي كنا بين يدي الشيخ عبد القادر ﷺ بمدرسته يوم الأحد ثالث صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة فقام وتوضأ للصلاة على قبقاب وصلى ركعتين فلما سلم صرخ صرخة عظيمة وأخذ فردة قبقاب ورمى بها في الهواء فغابت عن أبصارنا ثم صرخ صرخة أخرى ورمى بالفردة الثانية فغابت أيضاً عن أبصارنا ثم جلس ولم يجسر أحد منا على سؤاله، فلما كان بعد ثلاثة أيام مع عشرين يوماً قدمت قافلة من بلاد العجم، وقالوا معنا للشيخ نذر فاستأذناه فأذن لهم، قال خذوه منهم فأعطونا ثياباً من حرير وذهباً، وقبقاب الشيخ الذي رمى به، فقلنا لهم من أين لكم هذا القبقاب ؟ قالوا: بينما نحن سائرون يوم الأحد ثالث صفر خرج علينا عرب لهم مقدمان فنهبوا أموالنا وقتلوا منا جماعة ونزلوا واديا يقتسمون أموالنا فقلنا لو جعلنا للشيخ عبد القادر ﷺ في هذا الوقت شيئاً من أموالنا إن سلمنا، فما استتم كلامنا وذكرناه وجعلنا له شيئاً حتى سمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، ورأيناهم مذعورين فظننا أن قد جاءهم أحد يأخذهم، فجاء إلينا بعضهم، وقال لنا: تعالوا خذوا أموالكم وانظروا ما ذهلنا، فأتوا بنا إلى مقدميهم فوجدنا هما ميتين وعند كل واحد منهما فردة من القبقاب مبتلة بماء، فردوا علينا أموالنا وقالوا لنا إن لهذا الأمر نبأً عظيماً.

وروي أن أحد النصارى وكان ساحراً يتعامل مع الشياطين قيل له إن الشيخ عبد القادر يطير في الهواء، قال: وأنا أطير، فطار الساحر في الهواء ومَرَّ من فوق الشيخ عبد القادر، فأخذ الشيخ نعله ورماه به فطار النعل فأصاب الساحر فوقع على الأرض ميتاً.

وفي بهجة الأسرار: قال الشيخ نصر بن الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر قدست أسرارهم، سمعت أبي يقول: خرج أبي إلى صلاة الجمعة وخرجت معه أنا وإخوتي عبد الوهاب وعيسى فمر بنا في الطريق ثلاثة أحمال من خمر السلطان، ففاحت رائحتها ومعها الأعوان، فقال لهم الشيخ: قفوا، فأسرعوا وساقوا الدواب، فقال الشيخ للدواب: قفي فوقفت، فضربوها فلم تتحرك من موضعها، وأخذهم القولنج، فضجوا بالتوبة فزال عنهم الألم، وانقلب الخمر خلا في الحال، ومشت الدواب، وعلت الأصوات بالتسبيح، فبلغ الخبر للسلطان فبكى وارتعد وزار الشيخ.

وعن الخضر بن عبد الله بن يحيى الموصلي أنبأنا أبي قال: كنا بمدرسة الشيخ فدخل عليه الخليفة المستنجد فاسترضاه ووضع بين يديه عشرة أكياس يحملها عشرة، فأبى أن يقبلها وقال: لا حاجة لي فيها فألح عليه القول، فأخذ منها كيساً بيمينه وكيساً بيساره، وعصرهما بيده فسالا دماً فقال له: يا أبا المظفر أما تستحي تأخذ دماء الناس تقابلني بها فغشي عليه، فقال: لولا حرمة اتصالك برسول الله ﷺ لتركت الدم يجري إلى منْزلك.

قال:ورأيته عنده يوماً فقال أريد أن أرى شيئاً، فقال ما تشتهي؟ قال: تفاح، فمد يده في الهواء فأخذ تفاحتين فناوله أحداهما وكسر الأخرى، ففاح منها ريح المسك، وكسر الخليفة المستنجد تفاحته فإذا فيها دودة فقال: ما هذا؟ قال هذه لمستها يد الظالم فدودت، زاد في القلائد: (وهذه لمستها يد الولاية فطابت).

وفي مرآة الزمان، قال الشيخ يوسف سبط ابن الجوزي: وحكى لي المظفر الحربي وكان رجلاً صالحاً قال: كنت أنام في مدرسته لأجلس في المجلس فمضيت ليلة فصعدت على سطح المدرسة فكان الحَرُّ شديداً فاشتهيت رطباً فقلت: يا الهي وسيدي ومولاي ولو أنها خمس رطبات، فصاح: يا مظفر وما كان يعرفني قبلها خذ ما طلبت.

وفي القلائد: قال الشيخ بقا بن بطو النهر ملكي رضي الله عنه: جاء الشيخ عبد الله ومعه شاب ودخل على الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وقال له يا سيدي ادع له فإنه ولدي، ولم يكن ولده بل كان على سريرة غير صالحة، فغضب الشيخ رضي الله عنه وقال: بلغ من أمركم معي إلى هذا الحد وقام ودخل داره فوقع الحريق في أرجاء بغداد من وقته وكلما طفئ مكان اشتعلت النار في مكان

آخر، ورأيت البلاء نازلاً على بغداد كقطع الغمام بسبب غضب الشيخ، فأسرعت في الدخول فوجدته على حاله فجلست وقلت: قد هلك الناس فسكن غضبه، فرأيت البلاء قد انكشف فانطفأ الحريق كله في الحال.

وقال الشيخ عمر البزاز توجهت مع سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر ﵁ إلى الجامع يوم الجمعة فلم يسلم عليه أحد، فقلت في نفسي نحن في كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلا بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ، فلم يتم كلامي في خاطري حتى هرع الناس إلى السلام عليه فنظر إلي متبسما، فقلت في نفسي ذلك الحال خير من هذا الحال فالتفت إلي مسابقاً لخاطري، وقال: يا عمر أنت طلبت هذا، ثم قال بما معناه: إن الله مكنني من قلوبهم إن شئت صرفتها عني وإن شئت جذبتها إليَّ.

ومن كراماته:

قال التادفي وقال الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرشي البغدادي: شكوت إليه الفاقة والعيال في غلاء نزل ببغداد فأخرج إليّ ويبة من بر - أي مكيالاً من القمح - وقال لي ضع هذه في كوارة وسد رأسها وافتح في جنبها فتحاً، وأخرجوا منه واطحنوا ولا تعيروه، قال فأكلنا منه خمس سنين ثم فتحتها زوجتي فوجدته على حاله أول مرة وقعد إلى سبعة أيام، فقلت ذلك للشيخ فقال لو تركته على حاله لأكلتم منه حتى تموتوا.

ومنها ما قاله خادمه الشيخ أبو الرضا: كان الشيخ يوماً يتكلم في الإيثار على المنبر ثم شخص وسكت ثم قال: لا أتكلم إلا بمائة دينار، فَحمِلَتْ إليه وبقي الناس متعجبين فقال يا أبا الرضا قلت لبيك فقال: امض إلى المقبرة الشونيزية تجد هناك شيخا يلعب بالعود أعطه هذا الذهب واتني به فذهبت فوجدت شيخا قائما يلعب بالعود فسلمت عليه ودفعت إليه الذهب، فصرخ ووقع مغشياً عليه فلما أفاق قلت، يا هذا الشيخ عبد القادر يدعوك فامض معي فلما أتيت به إلى الميعاد وقال: ارفعه إلى المنبر فصعد والعود على كتفه فقال له يا هذا قص قصتك، فقال يا سيدي كنت في حال الصبا أغني وكان لي قبول فلما كبر السن مني ما بقي أحد ينظر إليَّ فخرجت من بغداد وقلت لا غنيت إلا للموتى فبينما أنا أطوف عليهم فجلست عند القبر فإذا به قد انشق وأخرج الرجل إلي رأسه وقال: كم تغنى للموتى، ثم قال لي

سل الحي القيوم مرة واحدة وقد أعطاك ما سألته، فأغمي علي ثم قمت وأنا أقول: (البحر الكامل)

يا ربِّ مالي عدة يومَ اللقا — إلا رجا قلبي ونطقُ لساني
قد أمّكَ الراجون يبغون المنى — وا خَيْبتا إن عُدْتُ بالحرمانِ
إنْ كان لا يرجوك إلا محسنٌ — فبمن يلوذ ويستجير الجاني
شيبي شفيعٌ يومَ عرضي واللقا — فعساك تُنقذني من النيرانِ

فبينما أنا قائم وخادمك أتاني بهذه المائة دينار، وأنا تائب إلى الله تعالى، ثم كسر العود، فقال الشيخ: يا فقراء إذا كان هذا صدق في اللهو فنال ما أراد، فكيف الحال بمن يصدق في فقره وطريقه وجميع أحواله، ثم قال: عليكم بالصدق والصفاء ولولاهما لم يتقرب بشر إلى الله تعالى ألم تسمعوا إلى قول الحق تعالى:(وإذا قلتم فاعدلوا) أي فاصدقوا.

ولما طلب الشيخ الذهب حمل إليه أربعون رجلاً كل منهم مائة دينار فلم يأخذ إلا من رجل واحد، فلما تاب المغَنّي أعطاه بقية القوم ما كانوا حملوه للشيخ، ومات بسبب ذلك اليوم خمسة أنفار.

وفي غبطة الناظر قال: ونقل عن أبي بكر العمري قال: كنت في أول أمري جمالاً بطريق مكة فاتفق أن رجلاً حج معي من جيلان فمرض في الطريق فلما أحس بالموت قال لي: خذ هذه الخرقة وفيها عشرة دنانير وهذا الكسا وسلم على الشيخ عبد القادر وقل له يترحم علي ثم مات فطمعت في الذهب لأنه لم يطلع على الذهب أحد من الناس فبينما أنا في بعض الأيام أمشي فإذا أنا بالشيخ عبد القادر قد أقبل من تلقاء وجهي فبادرت بالسلام عليه وصافحته فقبض على يدي قبضا شديداً وقال لي: أي مسلم لأجل عشرة دنانير وكسا خنت الله وأمانة ذلك العجمي قال: فوقعت مغشيا عليَّ فمضى الشيخ وتركني فلما أفقت أخذت الذهب والكسا فحملتها إليه.

قال: وبالسند إلى ابن النجار: قال أبو الفتح أحمد بن المظفر بن الوزير أبي المظفر يحيى بن هبيرة قال: سألت جدي الوزير أن يأذن لي في زيارة الشيخ عبد القادر فأذن لي وأعطاني

مبلغاً من الذهب وأمرني أن أدفعه إليه وأبتدى بالسلام عليه، قال فحضرت مجلسه فلما انفض ونزل عن المنبر فتحرجت من دفع الذهب إليه في ذلك الجمع ونويت أن أدخل إلى زاويته وأسلمه له في خلوة فبادرني الشيخ سابقاً لفكري وقال: هات ما معك ولا عليك من الناس ولا حاجة بك إلى قصد الزاوية، وسلم على الوزير يحيى، قال: فدفعت له وانصرفت مدهوشاً.

وقال التادفي الحلبي: وقال الخضر الحسيني الموصلي: قال لي الشيخ عبد القادر في سنة ستين وخمسمائة: اذهب إلى الموصل ففي ظهرك ذرية يظهرون أولها ولد ذكر اسمه محمد يعلمه القرآن رجل بغدادي أعمى اسمه علي في سبعة أشهر يستكمل حفظه وهو ابن سبع سنين وتعيش أنت أربعاً وتسعين سنة وشهراً وسبعة أيام وتموت باربل صحيح السمع والبصر والقوة، قال: ولده أبو عبد الله محمد سكن والدي الموصل وولدت بها مستهل صفر الخير سنة إحدى وستين وأحضر لي والدي رجلاً أعمى يلقنى القرآن حفظاً جيداً، فسأله والدي عن اسمه وبلده فقال: اسمى علي وبلدي بغداد قال: فذكر كلام الشيخ ﷺ، ومات والدي بإربل في تاسع صفر سنة خمس وعشرين وستمائة وقد استكمل أربعاً وتسعين سنة وشهراً وسبعة أيام، وحفظ الله عليه حواسه إلى حين مات رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن أبي طاهر إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي نزيل مصر الفقيه الحنبلي الواعظ: حججت مرة وأتيت بغداد أنا ورفيق لي وما كنا دخلناها قبل ولا أعرف فيها أحداً، ولم يكن معنا إلا مدية فبعناها بطسُوج (أي حبتين من الدوانق والدانق سدس الدرهم يعني شيء يسير) واشترينا به أرزاً وأكلنا فلم يطب لنا ولم نشبع ، وأتينا مجلس الشيخ عبد القادر ﷺ فلما دخلنا قطع كلامه، وقال: مساكين الغرباء جاؤا من الحجاز ولم يكن معهم إلا مدية باعوها بطسوج واشتروا به أرزاً وأكلوا فلم يطب لهم ولم يشبعوا فعجبنا منه عجبا شديداً ، فلما انقضى كلامه أمر بمد السماط، فقلت لرفيقي سراً ما تشتهي فقال كشكاً بدراج، فقلت في نفسي وأنا أشتهي شهداً ، فقال الشيخ للخادم على الفور أحضر لنا كشكاً بدراج وشهداً، فأحضرهما فقال: ضعهما بين يدي ذياك الرجلين وأشار إلينا فوضع الكشك قدامي والشهد قدام رفيقي، فقال الشيخ: اقلب تصب، فلم أتمالك أن صرخت، وقمت أتخطى رقاب الناس إليه، فقال لي: أهلاً بواعظ الديار المصرية، قال قلت له: يا سيدي فكيف وأنا لا أحسن الفاتحة، فقال لي: بهذا أمرت أن أقول لك هذا القول، قال:

فاشتغلت عليه بالعلم ففتح الله عز وجل علي في سنة بما لم يفتح على غيري في عشرين سنة، وتكلمت ببغداد ثم استأذنت منه السفر إلى مصر، فقال لي: إنك تصل إلى دمشق تجد بها الغز متأهبين للدخول إلى مصر ليملكوها، فقل لهم إنكم لن تنالوا ما تريدون من مصر في هذه المرة، ألا ترجعون وتعودون إليها مرة أخرى فتملكونها ، قال فلما قدمت دمشق وجدت الأمر كما قال لي ﷺ، وقلت لهم ما قال لي فلم يقبلوا مني، ودخلت مصر فوجدت الخليفة بها متأهباً للقائهم، فقلت له لا بأس عليك إنهم سينقلبون خائبين وترجعون ظاهرين، فلما وصل الغز إلى مصر كُسِرُوا، واتخذني الخليفة جليساً وأطلعني على أسراره، ثم جاء الغز في الثانية وملكوا مصر وأكرموني إكراماً عظيماً بالكلام الذي قلته لهم بدمشق وحصل لي من الدولتين مائة ألف وخمسون ألف دينار بكلمة واحدة من الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ وعنَّا به.

ومنها ما قاله الشيخ عبد الله محمد بن أبي الغنائم الحسيني: دخل الشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي يوماً إلى دار سيدي الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما وأنا معه، فوجدنا في الدهليز شاباً ملقى على قفاه، فقال للشيخ علي بن الهيتي: يا سيدي اشفع لي عند الشيخ عبد القادر ﷺ قال: فلما دخلنا على الشيخ قال: قد وهبته لك، فخرج إليه الشيخ علي وأنا معه وعرفه ذلك فقام وخرج من الكوة وطار في الهواء، وأنا أنظر إليه ثم دخلنا إلى عند الشيخ فقلنا له ما هذا؟ فقال: إنه عبر ماراً في الهواء وقال في نفسه ما في بغداد رجل مثلي، فسلبته حاله، ولولاً الشيخ علي ما رددته عليه.

قال: واجتمع يوماً في شهر الله المحرم سنة تسع وخمسين وخمسمائة في رباط الشيخ من الرواق بالحلبة من الزوار نحو من ثلثمائة رجل، فخرج الشيخ من داخل الدار عَجَلاً، وصاح بالناس أسرعوا إليَّ أسرعوا إليَّ، فأسرعوا إليه حتى لم يبق في الرواق أحد، فسقط السقف، وسلم الناس، فقال إني كنت في الدار فقيل لي أنه سيقع السقف الآن فأشفقت عليكم ﷺ.

وقال الشيخ أبو محمد صالح بن ويرجان الزكالي قال لي سيدي الشيخ أبو مدين ﷺ: سافر إلى بغداد وأْتِ الشيخ عبد القادر ليعلمك الفقر، قال فسافرت إلى بغداد فلما رأيته رأيت رجلاً ما رأيت أكثر هيبة منه فأجلسني في خلوة بابه عشرين يوماً ثم دخل علي فقال: يا صالح أنظر إلى هنا وأشار إلى جهة القبلة وقال: ما ترى؟ قلت الكعبة، قال انظر إلى هنا وأشار إلى جهة المغرب فنظرت فقال: ما ترى؟ فقلت شيخي أبا مدين ثم قال: أين تريد إلى الكعبة أو

إلى المغرب؟ فقلت: بل إلى شيخي أبي مدين، قال: في خطوة أو كما جئت؟ قلت بل كما جئت، قال: هو أتم، ثم قال لي: يا صالح إذا أردت الفقر فإنك لن تناله حتى ترقى في سلمه وسلمه التوحيد، وملاك التوحيد محوكل متلوح من المحدثات بعين السر، فقلت: يا سيدي أريد أن تمدني منك بهذا الوصف، فنظر إليَ نظرة فتفرقت عن قلبي جواذب الإرادة كما يتفرق ظلام الليـــــــــل لهجـــــــــوم النهار،وأنــــــــا انفــــــــق مــــــــن تلــــــــك النظرة رضي الله عنه.

وقال الشيخ أبو الحسن المعروف بابن السطنطنة البغدادي: كنت أشتغل بالعلم على سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وكنت اسهر أكثر الليل أترقب حاجة له، فخرج من داره ليلة من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة فناولته إبريقاً فلم يأخذه وقصد باب المدرسة فانفتح له الباب فخرج وخرجت خلفه وأنا أقول في نفسي إنه لا يشعر بي وانغلق باب المدرسة ومشى إلى قرب من باب بغداد فانفتح له الباب وخرج وخرجت خلفه، وعاد الباب مغلقاً، ومشى غير بعيد فإذا نحن في بلد لا أعرفه فدخل مكانا شبيها بالرباط وإذا فيه ستة نفر فبادروا بالسلام عليه، قال: فالتجأت إلى سارية هناك وسمعت في جانب ذلك المكان أنيناً فلم نلبث إلا يسيراً حتى سكت الأنين ودخل رجل وقصد إلى تلك الجهة التي فيها الأنين ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه ودخل رجل آخر مكشوف الرأس طويل شعر الشارب، وجلس بين يدي الشيخ فأخذ الشيخ عليه الشهادتين وقص شعر شاربه ورأسه وألبسه طاقية وسماه محمداً، وقال لأولئك النفر قد أُمِرْتُ أن يكون هذا بدلاً عن الميت، فقالوا سمعاً وطاعة، ثم خرج وتركهم وخرجت خلفه ماشيا، قال: فمشينا غير بعيد وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح الباب كأول مرة، ثم أتى المدرسة فانفتح بابها ودخل داره، فلما كان من الغد جلست بين يدي الشيخ لأقرأ فأقسمت عليه أن يبين لي ما رأيت، فقال: أما البلد فنهاوند من أقطار البلاد، وأما الستة الذين رأيت فهم الأبدال النجباء وصاحب الأنين هو سابعهم كان مريضاً فلما حضرت وفاته جئت لأحضره. وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين فهو من أهل القسطنطينية نصرانيا أمرت أن يكون بدلاً عن الميت فأتي به وأسلم على يدي وهو الآن منهم. وأما الرجل الذي دخل وخرج يحمل شخصاً على عاتقه فأبو العباس الخضر عليه السلام ذهب به ليتولى أمره،

قال: وأخذ عليّ الشيخ ﷺ أن لا أتحدث بذلك لأحد حال حياته، وقال : احذر من إفشاء السر في حياتي.

تعليق

قلت: إن ثبتت هذه القصة فقد وردت باختصار، وكثير من القصص في القرءان الكريم وردت باختصار، وكثير من مؤلفي السيرة النبوية وأخبار الصحابة والصالحين والحوادث التاريخية اختصروا، واختصارهم هذا لا يؤدي إلى عدم فهم المعاني إلا إذا كان القارئ لها ليس من أهل الدراية والعلم، مثال ذلك أنك تقرأ أحياناً قصة صحابي فتجد فيها: أنه أسلم ثم قام يجاهد في سبيل الله وينشر دين الله بين الناس من غير ذكر أنه تعلم واستقام مع أن ذلك حصل، ولا يفهم القارئ لها أنه صار ولياً من غير تعلم واستقامة مع أن ذلك لم يذكر في القصة، وكثير من الصحابة وصلوا إلى الولاية من ساعة دخولهم في الإسلام وتعلمهم ما يحتاجونه من أمور الدين الضرورية ببركة سيدنا محمد ﷺ بما أفاض الله على قلوبهم من الأنوار والفهم، وبعضهم وصل إلى مقام عالٍ جداً قبل نزول أكثر الأحكام الشرعية بسبب التزامهم بما أمروا به واستقامتهم كسيدنا أبي بكر وعمر وغيرهما، ومنهم من مات قبل أن تفرض الصلوات الخمس وغيرها من الأحكام كالسيدة خديجة رضي الله عنها مع كونها أفضل ثالث امرأة في الدنيا، وتعلم الأمور الضرورية من الدين لا يستغرق أكثر من ساعة وأحياناً أقل من ذلك بالنسبة لإنسان ذكيٍ فطن، فكيف إذا كان ذلك مقروناً بفيض من الله تعالى، أعني ذلك الرجل الذي علمه الإمام الجيلاني بعد أن دخل على يديه في الإسلام وإن لم يذكر ذلك في القصة لأن ذلك معلوم لأهل الدراية، وإنما ذكرت القصة باختصار لأجل إظهار كرامة الإمام الجيلاني صاحب الأحوال والأمداد الباهرة، فلا يتوهم القارئ لهذه القصة أن هذا الرجل وصل إلى هذا المقام من غير تعلم واستقامة، كيف وقد أوردت في عدة مواضع في الكتاب أن الإنسان لا يصير ولياً إلا بعد علم واستقامة وقد بينت أيضاً أن بعض الناس يوفقون للاستقامة بلحظة، وقد قال الرفاعي في البرهان المؤيد: (ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذه لعلمه) فلا يستغرب وصول هذا الرجل إلى

الولاية بسرعة فقد حصل هذا لعدد من سلف الأمة وخلفها، وحصل مثل هذا على يد غير الإمام الجيلاني كالإمام البدوي وغيره، فقد كان يأتي المريد إلى الإمام البدوي فيمر أولاً على خليفته الشيخ عبد العال ثم يعرضه على الإمام البدوي فينظر إليه الإمام نظرة خاصة يصل بها المريد إلى مقام الشهود، فإن قيل كيف يفهم العوام هذه التفاصيل ورموز الصوفية ومصطلحاتهم؟ يقال إن بعض العوام إذا قرأوا أمور العقيدة والطهارة والصلاة وغيرها مما أُلِّف للمبتدئين لم يفهموها إن لم تشرح لهم، فهل تلغى كتب الفقه والتصوف وغيرها لأن كثيراً من الناس إذا قرأوها لم يفقهوا ما فيها وهل تلغى الآيات والأحاديث التي لم يفهم معانيها إلا الراسخون في العلم؟ الصواب أن يقال: إن لكل فن رجال، وعلى المريد طالب الحق أن يطلب العلم وإذا أشكل عليه أمرٌ فليسأل عنه أهل الاختصاص، فإنه ليس من شرط المؤلف أن يبسط من كلامه من أجل أقل الناس فهماً حتى لا تفقد الكلمات فخامتها وخصوصاً إذا كان الكلام في التصوف ومصطلحاته وما كان من كلام العارفين، فإن دقائق كلام العارفين ودقائق هذا العلم لا يفهم حقيقته أحياناً بعض أهل الفقه لأنه قد لا يفهم إلا بالذوق وبفيض من الله تعالى.

ومن كراماته:

قال التادفي: وصعد مرة الكرسي ولم يتكلم ولم يقرأ القارئ فأخذ الناس وجد عظيم وتداخلهم أمر جليل فخطر في بال بعض الحاضرين ما هذا؟ فقال الشيخ: جاء مريد لي من بيت المقدس إلى هنا في خطوة وتاب على يدي والحاضرون اليوم في ضيافته، فخطر بباله من يكون هذا حاله مم يتوب؟ فأجاب الشيخ في الحال: من الخطو في الهواء فلا يرجع إليه، ويحتاج إلى أن أعلمه الطريق إلى المحبة.

وقال الشيخ أبو البقاء العكبري: مررت يوماً بمجلس سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه وما كنت اجتمعت به ولا سمعت كلامه فقلت في نفسي أحضر هذا المجلس وأسمع كلام هذا العجمي ودخلت المدرسة فوافيته يتكلم فقطع الكلام وقال: يا أعمى العين ما تصنع بكلام هذا العجمي، فلم أتمالك أن صعدت إليه إلى فوق الكرسي وكشفت رأسي وسألته أن

يلبسني الخرقة ففعل، وقال لي: يا عبد الله لولا أن الله أطلعني على عاقبة أمرك لهلكت بالذنوب، أدخل في حسبنا قد صرت منا.

وقال الشيخ العارف أبو القاسم محمد بن أحمد بن الجهني: كنت جالساً تحت كرسي الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ وكان النقباء يجلسون في مراقي الكرسي على كل مرقاة اثنان، وكان لا يجلس على الأول إلا صاحب حال وكان يجلس تحت كرسيه رجال كأنهم الأسد هيبة ولقد استغرق مرة على الكرسي حتى انحلت طية من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائمهم وطواقيهم، فلما فرغ من كلامه أصلح عمامته وقال لي: يا أبا القاسم رد على الناس عمائمهم وطواقيهم ففعلت، وتخلف معي عصابة لا أدري لمن هي ولا بقي لأحد في المجلس شيء، فقال لي الشيخ أعطني إياها، فأعطيته فوضعها على كتفه الأيمن، ثم نظرت فلم أرها، فبهت فلما نزل عن الكرسي توكأ على كتفي وقال: يا أبا القاسم لما وضع أهل المجلس عمائمهم وَضَعَتْ أخت لنا بأصبهان عصابتها، فلما رددت على الناس وجعلتها على كتفي مَدَّتْ يدها من أصبهان وأخذتها، ﷺ وعنها.

وقال الشيخ أبو عَمْرُو عُثْمان: رأيت في المنام أن نهر عيسى صار دما وقيحا وسمكه حيات وحشرات وهو ينمو وأنا هارب منه خوفاً أن ينالني منه شيء حتى أتيت إلى منْزلي، فناولني رجل من داخل المنْزل مروحة وقال لي:تمسك بها شديداً فقلت: إنها لا تحملني، فقال إيمانك يحملك أمسك بطرفها، فمسكت فإذا أنا عنده فوق سريره في منْزلي فسكن روعي، فقلت له بالذي منَّ علي بك من أنت؟ فقال: أنا نبيك محمد ﷺ، فارتعدت من هيبته، فقلت: يا حبيبي يا رسول الله ﷺ ادع الله تعالى لي أن أموت على الكتاب والسنة، فقال ﷺ نعم وشيخك الشيخ عبد القادر ﷺ، قلت: يا رسول الله ادع الله تعالى لي أن أموت على كتابه وسنتك، قال نعم وشيخك الشيخ عبد القادر، ثم استيقظت من منامي وقصصت الرؤيا على أبي ومضينا لزيارة الشيخ عبد القادر، وكان ذلك اليوم يتكلم بالرباط، فوافيناه يتكلم ولم نقدر على الجلوس بالقرب منه لكثرة الناس فجلسنا في آخرهم، فقطع كلامه واستدعانا، فحملنا على أعناق الرجال حتى أتى بنا إلى الكرسي، فطلع أبي وأنا خلفه فقال لأبي: ما تأتينا إلا بدليل وألبسه قميصه وألبسني الطاقية التي كانت على رأسه وجلسنا مع الناس فإذا القميص مقلوب فهم أبي أن يصلحه فقيل له اصبر حتى ينفض الناس ، فلما نزل الشيخ أراد أبي أن

يصلحه فإذا هو مصلوح غير مقلوب فغشي عليه واضطرب الناس لذلك، فقال: الشيخ: ائتوني به، فدخلنا عليه فإذا هو في قبة الأولياء، وهي قبة الرباط وسميت بذلك لكثرة ورود الأولياء ورجال الغيب إليه فيها، فقال لأبي: من يكون دليله رسول الله ﷺ وشيخه الشيخ عبد القادر كيف لا تكون له كرامة، وهذه كرامة لك ثم استدعى بدواة وقرطاس وكتب لنا أنه ألبسنا خرقته رضي الله عنه.

قال التادفي: وقال الشيخ عبد الله الأصفهاني الجبلي وسمي بالجبلي لطول إقامته بجبل لبنان: كنت بجبل لبنان في ليلة مقمرة فرأيت أهل الجبل يجتمع بعضهم إلى بعض ويطيرون في الهواء إلى جهة العراق جماعة بعد جماعة فقلت لصاحب لي منهم إلى أين تذهبون؟ قال: أمرنا الخضر عليه السلام أن نتوجه إلى بغداد ونحضر بين يدي القطب، فقلت له من هو القطب؟ فقال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فاستأذنته في المسير معه فقال نعم، فسرنا في الهواء يسيراً فإذا نحن ببغداد وهم بين يديه صفوفاً، وأكابرهم يقولون يا سيدنا وهو يأمرهم ويبادرون لامتثال أمره، ثم أمرهم بالانصراف فرجعوا من بين يديه القهقرى حتى استقلوا في الهواء سائرين وأنا معهم في صحبة صاحبي، فلما رجعنا إلى الجبل قلت له ما رأيت أدبكم بين يديه في هذه الليلة وإسراعكم لامتثال أمره؟ فقال: يا أخي وكيف لا وقد أمرنا بطاعته واحترامه.

وقال الحافظ أبو زرعة ظاهر بن محمد بن ظاهر المقدسي الداري: حضرت مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه وسمعته يقول: أنا كلامي على رجال يحضرون مجلسي من وراء جبل قاف، أقدامهم في الهواء وقلوبهم في حضرة القدس، تكاد قلانسهم وطواقيهم تحرق من شدة شوقهم إلى ربهم عز وجل، قال: وكان ولده عبد الرزاق حاضراً المجلس تحت رجل أبيه، فرفع رأسه نحو السماء وشخص ساعة فاحترقت طاقيته وزيقه فنَزل الشيخ رضي الله عنه وأطفأها وقال: وأنت يا عبد الرزاق منهم قال: فسألت عبد الرزاق رضي الله عنه عما أغشاه فقال: لما نظرت إلى الهواء رأيت رجالاً واقفين مطرقين منصتين لكلامه وقد ملأوا الأفق، وفي لباسهم وثيابهم النار، ومنهم من يصيح ويعدو في الهواء، ومنهم من يسقط إلى الأرض في مجلس الشيخ، ومنهم من يرتعد في مكانه.

وفي غبطة الناظر: قال ونقل القطب اليونيني في مختصر المرآة عن الشيخ أبي سعيد القيلوي قال: رأيت أرواح الأنبياء تحضر مجلس الشيخ غير مرة، قال: ورأيت رجال الغيب يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت الخضر يكثر من حضوره، فسألته عن ذلك فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمته.

قال الحافظ الذهبي في سير الأعلام والنبلاء: (ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكنَّ كثيراً منها لا يصح).

يعني أنه مع كثرة ظهور الكرامات على يديه مع علو القدر والشأن، فإن البعض أضاف له كرامات لم تحصل، وهو ﷺ ليس بحاجة لذلك من أجل إظهار قدره، فيكفيه ما خصه الله به من العلم والقدر والسلطنة على الأولياء والولاية الخاصة، فلا داعيَ إلى الكذب والغلو. فإن بعض ما نسب إليه ﷺ لا يقبله العقل، ولم أذكر في كتابي مما نسب إليه من كرامات مما يحيله العقل.

ثم إنَّ بعض ما ذكرته من الكرامات قد لا يقبله بعض الناس فذلك إما لضعف يقينهم أو عدم اطلاعهم على مثل هذه الأمور وعدم مشاهدتهم لمثل هذه الخوارق، ولا حجة لإنكارهم هذه الخوارق إذا لم يشاهدوا مثلها، فكيف وهم غارقون بالغفلات والشهوات ولم يصحبوا الأولياء، حتى إن بعض الناس من شدة الجهل كأنهم لم يسمعوا بالأولياء في القرآن مرة في حياتهم ليتعرفوا إلى ثبوت الكرامات في القرآن ولا اطلعوا على السنَّة المطهرة، فالجاهل كالأعمى الذي ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً آمين.

ومن كراماته ﷺ كثرة أتباعه وشفاعته لمريديه، وعلو قدره وعظيم شأنه

ومن كراماته:

قال الشيخ علي القرشي قال سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ: (أعطيت سجلاً مد البصر فيه أسماء أصحابي ومريدي إلى يوم القيامة، وقيل لي قد وهبوا لك).

وقال المشايخ أبو السعود عبد الله ومحمد الأواني وعمر البزاز: (ضمن سيدنا الشيخ عبد القادر لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة).

وأعطيَ أن مريديه ومريدي مريديه إلى سبعة يدخلون الجنة.

ثم قال الشيخ قدس سره: وأَمْرُنَا من حيث الحال والقدر أن يحفظ بِهِمَمِنَا أصحابنا وطوبى لمن رآني.

وقال الشيخ أبو الفتح الهروى: سمعت الشيخ على بن الهيثي يقول: لا مريدين بشيخهم أسعد من مريدي الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ الهروي: سمعت الشيخ أبا سعيد القيلوي وقيل أبو سعد يقول ما معناه:(أن سيدنا الشيخ عبد القادر أعطي العهد ، أن من تمسك بذيله نجا).

وقال الشيخ بقا بن بطو قدس سره: رأيت أصحاب سيدنا الشيخ عبد القادر كلهم غراً في جحفل السعداء، وقال بعضهم: أنه قيل للشيخ عبد القادر ﷺ في مريديك البار والفاجر؟ فقال: البار لي والفاجر أنا له ـ أي آخذ بيده فيتوب بفضل الله ومشيئته.

وقال الشيخ عدي بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر، سمعت والدي يقول: قال عمي الشيخ عدي بن مسافر ﷺ سنة أربع وخمسين وخمسمائة بزاويته بالجبل من سألني من أصحاب المشايخ أن أُلْبِسه خرقة فعلت له ذلك إلا أصحاب الشيخ عبد القادر فإنهم منغمسون في الرحمة، وهل يترك أحد البحر ويأتي الساقية.

وقال السادة المشايخ الحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي، وعبد الملك بن ديال رحمة الله عليهم: سمعنا شيخنا عبد القادر ﷺ يقول على الكرسي وقد سئل عن فضل من انتمى إليه: (البيضة منا بألف).

قال التادفي وقال الشيخ عبد القادر ﷺ: (أيما مسلم عبر على باب مدرستي فإن عذاب يوم القيامة يخفف عنه).

وجاء رجل من أهل بغداد وقال له يا سيدي أبي قد مات ورأيته البارحة في المنام وقد ذكر لي أنه يعذب في قبره، وقال لي يا بني اذهب إلى الشيخ عبد القادر وسله لي الدعاء، فقال له الشيخ: أعبر أبوك على باب مدرستي؟ قال: نعم، فسكت ، ثم عاد إليه في ثاني يوم وقال له يا سيدي رأيت والدي البارحة ضاحكاً عليه حلة خضراء، وقال لي : قد رفع عني العذاب ببركة الشيخ عبد القادر، وقد كسيت حلة كما ترى، فعليك يا ولدي بملازمته، فقال الشيخ بما معناه: إن مما أعطاني ربي أن يخفف العذاب عن كل من عبر على باب مدرستي من المسلمين.

وقيل له: إنه سُمِعَ صراخ ميت من قبر بمقبرة باب الأزج، فقال: ألبس مني خرقة؟ فقيل له ما نعلم، قال: أفحضر مجلسي؟ قالوا ما نعلم ذلك، قال: أفصلى خلفي؟ قالوا ما نعلم، فقال: المفرط أولى بالخسارة، وأطرق ساعة فتجللته الهيبة وعلاه الوقار، ثم رفع رأسه وقال: إن الملائكة عليهم السلام قالت لي إنه رأى وجهك وأحسن بك الظن، وأن الله تعالى رحمه بك أو قال بذلك، ولم يسمع له صراخ بعد ذلك ببركة الشيخ.

وفي غبطة الناظر:

وقال الشيخ داود البغدادي: رأيت في منامي في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الشيخ معروفاً الكرخي ﷺ فقال لي: يا داود هاتِ قصتك أعرضها على الله تعالى، قال فقلت: وشيخي عزلوه أعني الشيخ عبد القادر، فقال لا والله ما عزلوه ولا يعزلونه، فاستيقظت وأتيت في السحر إلى مدرسة الشيخ وجلست على الباب لأخبره فناداني من داخل داره قبل أن أراه وأكلمه: يا داود شيخك ما عزلوه ولا يعزلونه هات قصتك أعرضها على الله تعالى، فَوَعزتِهِ ما عرضت قصة لأصحابي ولا لغيرهم فردت علي مسألتي فيها.

وفي القلائد:

وقال الشريف أبو الفتح الهاشمي المقرى: استدعاني الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ للقراءة، فلما قرأت بكى وقال: والله لأطلبنك من الله تعالى، فقام رجل من الأولياء ﷺ وقال له: يا سيدي رأيت في النوم رب العزة سبحانه وتعالى، وقد فتحت أبواب الجنة وقد نصب لك الكرسي، وقيل لك تكلم فقلت: إذا حضر الشريف المقري، فقيل قد حضر فقلت الآن أتكلم.

وقال الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردى قدس سره: كان الشيخ حماد الدباس ﷺ يُسْمَعُ عنده كل ليلة دوي كدوي النحل فقال أصحابه للشيخ عبد القادر في سنة ثمان وخمسمائة وكان يومئذ في صحبه، اسأله عن ذلك، فسأله فقال له: إن لي اثني عشر ألف مريد وإني أذكر أسماءهم كل ليلة وأسأل لكل منهم حاجته إلى الله عز وجل، وإذا أصاب مريد إلى ذنب فلا تنقضي عنه شهوة ذلك إلا ويتوب إشفاقاً عليه أن يتمادى فيه، فقال الشيخ عبد القادر لئن أعطاني الله تعالى منْزلة عنده لأخذت من ربي تبارك وتعالى عهداً لمريديَّ إلى يوم القيامة أن لا يموت أحدهم إلا على توبة، ولأكونن بذلك ضمينا لهم، فقال الشيخ حماد: أشهد أن الله سيعطيه ذلك ويبسط ظل جاهه عليهم.

وقال المشايخ أبو الفرج الدويرة وعبد الكريم الأثري، ويحيى الصرصري، وعلى بن محمد الشهربائي: (كنا عند الشيخ على بن إدريس اليعقوبي سنة عشر وستمائة فجاء الشيخ عمر المريدي المعروف بتريدة فقال له الشيخ علي بن إدريس أقصص عليهم رؤياك) فقال: رأيت في النوم أن القيامة قد قامت والأنبياء وأممهم قادمين الموقف ويتبع بعض الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الرجل الواحد ثم أقبل رسول الله ﷺ وتقدمه أمته كالسيل وكالليل، وفيهم المشايخ ومع كل شيخ أصحابه يتفاوتون عدداً ونوراً وبهجة، وأقبل رجل في عدد المشايخ معه خلق كثير يفضلون غيرهم، فسألت عنه فقيل: هذا الشيخ عبد القادر وأصحابه، فتقدمت إليه وقلت له يا سيدي ما رأيت في المشايخ أبهى منك ولا في أتباعهم أحسن من أتباعك، فأنشد الشيخ:

إذا كـــانَ منَّـــا ســـيد فـــي عشـــيرة   علاهـــا وإن ضـــاقَ الخنـــاق حماهـــا

ومـا اخْتُبِـرَتْ إلاَّ وأصـبح شـيخها ولا افتخـــرت إلا وكـــان فتاهـــا

ومـــا ضـــربت بـــالابرقين خيامنـــا فأصـــبح مـــأوى الطـــارقين ســـواها

قـال: فاستيقظت وأنـا أحفظهـن، وكـان الشـيخ محمـد الخيـاط الـواعظ حاضـراً فقـال لـه الشيخ علي بـن إدريس: يـا محمـد أنشـدنا شيئاً في هـذا المعنى على لسـان الشـيخ عبـد القـادر فقال: (البحر الطويل)

هنيئـاً لصـحبي أننـي قائـد الركـبِ أسير بهـم قصـداً إلـى منْـزل رحـبِ

وأكـنفهم والكـل فـي شـغل أمـرهِ وأنـزلهم فـي حضـرة القـدس مـن ربـي

وأهـل الصـفا يسـعَوْن خلفـيَ كلُّهـم لهم همة أمضى من الصارم العَضْبِ

قلت: قولـه أنـزلهم في حضـرة القـدس مـن ربي كنايـة عـن مقـام الشـهود والقـرب مـن الله وقد بينَّا في مقدمة الكتاب أن القريب قريب من الله على معنى الكرامة وأن البعيد بعيد من الله على معنى الإهانة كما قاله الإمام أبو حنيفة ﷺ، وأما الشهود فسيأتي معناه في الفصل السابع بعد ذكر كلام الإمام في الآداب وبعض المقامات، وليس في هذا الكلام ما يوهم نسبة المكان لله تنزه وتعالى عن ذلك، وقوله أهل الصفا يسعَوْن خلفي أي من أهل عصره.

وقال الشيخ علي الغرثني: قيل للشيخ عبد القادر: أرأيت إن تسمى لك رجل ولم يأخذ منك ولم يلبس لك خرقة هل يعد من أصحابك؟ فقال: من تسمى لي أو انتمى إليَّ قبله الله تعالى وهو من جملة أصحابي.

وقال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه سمعت إبراهيم بن سعد بن محمد بن غانم بن عبد الله الثعلبي الرومي في الثامن عشر من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة بدار الحديث بالقاهرة يقول: سمعت الشيخ عبد القادر الجيلي يقول وقد سئل عن الحلاج فقال: جناح طال دعواه فسلط عليه مقراض الشريعة.

وقال الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي في كتابه قلادة الجواهر عند ترجمة الشيخ عبد القادر، قال الإمام الشعراني قدس سره في طبقاته الوسطى: إن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ كان يقول: عثر الحسين الحلاج عثرة فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده، وأنا لكل من عثر مركوبه من جميع أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده كلما عثر حيا وميتا، فإن فرسي مسرج ورمحي منصوب وسيفي مشهور وقوسي موتور لحفظ مريدي وهو غافل.

وفي رواية كما في القلائد وغيره: (عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ولو كنت في زمنه لأخذت بيده)...

وقال الشيخ أبو الحسن الجوسقي حضر عند سيدنا الشيخ عبد القادر سلام الله عليه الشيخ علي الهيتي والشيخ بقا بن بطو فقال الشيخ عبد القادر: (لي من كل طوالة فحل لا يقاوى، ولي في كل أرض خيل لا تسابق ولي في كل جيش سلطان لا يخالف ولي في كل منصب خليفة لا يعزل)، فقال الشيخ علي الهيتي: يا سيدي أنا وجميع أصحابي غلمانك ﷺ أجمعين.

قال التادفي: وكان ﷺ يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه، وكان يقول: عيني في اللوح المحفوظ وأنا غائص في بحار علمه ومشاهدته، وأنا حجة عليكم، ونائب رسول الله ﷺ ووارثه في الأرض.

وكان يقول: كل ولي على قدم نبي وأنا على قدم جدي ﷺ، وما رفع قدما إلا وضعت قدمي في موضعه، إلا أن يكون قدماً من أقدام النبوة.

وقال ﷺ: أنا شيخ الإنس والجن.

وقال مرة على الكرسي إذا سألتم الله تعالى فاسألوه بي، ويا أهل الأرض شرقاً وغرباً تعالوا تعلموا مني، يا أهل العراق الأحوال عندي كثياب معلقة في بيت أيها شئت لبست، فعليكم بالسلام، أو لآتينكم بجنود لا قبل لكم بها.

يا غلام سافر ألف عام لتسمع مني كلمة، يا غلام الولايات ههنا، الدرجات ههنا، في مجلسي تفرق الخلع، يا غلام سل عني منكراً ونكيراً عليهما السلام حين مجيئهما إلى قبرك يخبراك عني.

وقال وبحري محيط بالبحار بأسرها.

وقال الشيخ علي الخباز سمعت الشيخ أبا القاسم عمراً يقول سمعت سيدي الشيخ عبد القادر ﷺ يقول: من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن نادى باسمي في شدة فرجت عنه، ومن توسل إلى الله بي في حاجة قضيت حاجته، ومن صلَّى ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ويصلى على رسول الله ﷺ بعد السلام من التشهد إحدى عشرة مرة، ويسلم علي ويذكرني باسمي ويذكر حاجته فإنها تقضى إن شاء الله تعالى.

وذكر بعض أهل التراجم أن الشيخ عبد القادر ﷺ قال: الإنس لهم مشايخ، والجن لهم مشايخ، وأنا شيخ الكل.

ومن كراماته ﷺ مما يدل على علو قدره.

قال التادفي: قال سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ وموسى عليه السلام إلى جانبه فقال: يا موسى أفي أمتك رجل كهذا قال :لا، فقال لي : يا عبد القادر وعانقني وألبسني خلعة كانت عليه، وقال: هذه خلعة القطبية على الرجال والأبدال، ثم تفل في فمي ثلاثاً.

قال: ويروى عن الشيخ أبي محمد الشنبكي وقيل محمد . من البشارة التي تدل على جلالة قدره بين الأولياء، وذلك قبل مولده بزمن . قال ﷺ: كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوارا يذكر الشيخ عبد القادر يقول: الذي سوف يظهر بالعراق في وسط القرن الخامس، وينص على فضله، وما كان علمي يجاوز سمعي، ثم كوشفت بمقامات الأولياء فإذا هو صدرهم، وكوشفت بمقامات المقربين فإذا هو من أعلاهم، وكوشفت بأطوار المكاشفين فإذا هو من أجلهم، وسيظهره الله مظهراً لا يظهر فيه إلا الصديقون والمؤيدون العلماء بالله تعالى، وهو

ممن يقتدى بأفعاله وأقواله وسوف يرفع الله ببركته خلقا من عباده إلى الدرجات العلى وهو ممن يباهي الله به الأمم يوم القيامة ﷺ أجمعين.

ومن مناقبه وكراماته كما في غبطة الناظر والقلائد.

قال الشيخ علي بن الهيتي قدس سره: زرت مع سيدي الشيخ عبد القادر، والشيخ بقا بن بطو قبر الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، فشهدته خرج من قبره وضم الشيخ عبد القادر إلى صدره وألبسه خلعة وقال: يا شيخ عبد القادر قد افتقر إليك في علم الشريعة وعلم الحقيقة وعلم الحال.

وقال: زرت مع الشيخ عبد القادر قبر الإمام معروف الكرخي ﷺ، فقال: السلام عليك يا شيخ معروف عبرناك بدرجتين فقال له: من القبر وعليك السلام يا سيد أهل زمانه.

قال التادفي: وحكي أن بعض محبيه حلف بالطلاق الثلاث أنه أفضل من أبي يزيد البسطامي ﷺ، ثم استفتى علماء العراق فلم يجبه أحد فتحير في أمره، فقيل له عليك بالشيخ عبد القادر فهو أخبر بذلك فجاء إليه وقص عليه قصته فقال له: وما حملك على ذلك؟ فقال قد وقع ذلك مني فمرني ما أفعل أفارق زوجتي أو أستمر معها؟ فقال له: ضاجع زوجتك فكل ما وصل إليه أبو يزيد البسطامي وصلت إليه، وسبقته بفضيلة علم الفتوى وهو لم يفتِ، وتزوجت ولم يتزوج، ورزقت الأولاد ولم يرزق ، رضي الله عنهما.

وقال الشيخ أبو مدين المغربي شيخ المغرب ﷺ: لقيت الخضر عليه السلام فسألته عن مشايخ المشرق والمغرب الآن، وسألته عن الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ فقال: هو إمام الصديقين وحجة العارفين وهو روح في المعرفة وشأنه القربة بين الأولياء كلها.

وقال الشيخ العارف مسعود الحارثي ﷺ: حضرت الشيخ جاكير والشيخ علي بن إدريس رضي الله عنهما، فافتتحا ذكر المشايخ وما سلف لهم من صحبتهم، فقال الشيخ جاكير: لم يظهر في الوجود من المشايخ بعد سيدي تاج العارفين أبي الوفا أتم حالاً ولا أنفذ تصريفاً ولا أقوى تمكينا ولا أتم وصفا ولا أعلى مقاماً من سيدي الشيخ عبد القادر، ومنه انتقلت القطبية إلى سيدي علي بن الهيتي.

ثم قال: سيدي الشيخ عبد القادر من تمكنه في أحوال القطبية في مقاماتها واستغراقه في مدارجها واستيلائه على جميع أطرافها وجمعه بين أسبابها نال ما لم ينله غيره من المشايخ فيما نعلم.

قال: فلما انفردنا بالشيخ على بن إدريس سألناه عن قول الشيخ جاكير قدس سره، فقال: أخبر عما شاهد ونطق عما علم مما علمه الله تعالى وهو العدل المبرور في كل أقواله وأفعاله.

وقال الشيخ عمر الصنهاجي جاء بعض أصحابنا إلى الشيخ أبي نصير يستأذنه في المسير إلى بغداد فقال له: إذا أتيت بغداد فلا يفوتك فيها رؤية رجل بها شريف عجمي اسمه عبد القادر، فإذا رأيته فسلم عليه عني واسأله الدعاء وقل لا تنس أبا نصير من قلبك، فإنه والله لم يخلق في العجم بأسره مثله وإنك لن ترى في العراق مثله، وإن المشرق ليفضل على المغرب به، وإن علمه ونسبه ميزاه على الأولياء تمييزاً واضحاً كثيراً.

وفي غبطة الناظر: (وقال محمد بن أبي العباس الخضر الحسيني الموصلي عن أبيه قال: رأيت في النوم ببغداد بمدرسة سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة مكانا عظيم السعة وفيه مشايخ البر والبحر وسيدنا الشيخ عبد القادر في صدرهم، ومن المشايخ من على رأسه عمامة، ومنهم من فوق عمامته طرحة، ومنهم فوق عمامته طرحتان، وفوق عمامة سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر ثلاث طرحات.

وزاد في القلائد: قال فبقيت في النوم مفكراً في تلك الطرحات الثلاث ما هن؟ واستيقظت وإذا به قائم على رأسي فقال: طرحة تشريف علم الشريعة، وطرحة تشريف علم الحقيقة، وطرحة الشرف.

وقال الشيخ أبو البركات صخر بن صخر بن مسافر ﷺ: أخذ له العهد على كل ولي في زمانه أن لا يتصرف بحاله في ظاهر أو باطن إلا بإذنه، وهو من له الكلام في حضرة القدس المطهرة بإذن الله تعالى، وهو ممن أعطي التصريف بعد موته كما كان قبل موته ﷺ ورضي عنابه.

ونُقِلَ في غبطة الناظر عن بهجة الأسرار للشطنوفي: وقال عبد الله الجبائي كان للشيخ عبد القادر تلميذ يقال له عمر الحلاوي، فخرج من بغداد وغاب سنين فلما رجع إلى بغداد قلت له أين كنت؟ قال: طفت بلاد الشام ومصر والمغرب وأظنه قال وبلاد العجم ولقيت ثلاثمائة وستين شيخا من الأولياء فما منهم من أحد إلا ويقول الشيخ عبد القادر شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى.

وفي القلائد: وقال الشيخ الخضر الحسيني الموصلي: رأيت الشيخ قضيب البان الموصلي ﷺ متواضعا متصاغراً وسمعته يقول: الشيخ عبد القادر ﷺ قائد ركب المحبين وقدوة السالكين وإمام الصديقين وحجة العارفين وصدر المقربين في هذا الوقت.

وقال الشيخ خليفة النهرملكي تلميذ الشيخ أبي سعيد القيلوي قدس سرهما: جزت مرة ببلاد السواد فرأيت شخصاً جالساً في الهواء فسلمت عليه وقلت له بم جلست في الهواء؟ فقال: يا خليفة خالفت الهوى وركبت التقوى فأسكنت في الهواء ثم قال: أتيت إلى زيارة الشيخ عبد القادر برباطه فرأيته جالساً في قبة الأولياء وذلك الرجل الذي رأيته في الهواء جالس بين يديه متواضعا، فكلمه الرجل وسأله عن أحكام في الحقائق والمعارف ما فهمت منه شيئاً، ثم قام الشيخ وخلوت بالرجل فقلت له أراك هنا فقال: هل لله ولي مصطفى أو حبيب مقرب إلا وله إلى هنا تردد واستمرار، فقلت له: ما فهمت من كلامك شيئاً، فقال: لكل مقام أحكام ولكل حكم معان ولكل معنى عبارة يعبر بها عنه ولا يفهم العبارة إلا من فهم معناها ولا يدرك المعنى إلا من تحقق الحكمة ولا يتحقق الحكمة إلا من وصل إلى المقام المشار إليه، فقلت: ما رأيت كتواضعك اليوم بين يدي الشيخ عبد القادر ﷺ فقال: كيف لا أتواضع لمن ولاني وصرفني، فقلت له: ما ولاك وفيم صرفك؟ فقال: ولاني التقدمة على مائة غيبي ساكنين في الهواء الذين لا يراهم إلا من يشاء الله تعالى ويأذن له.

وقال الشيخ أبو سعيد القيلوي: قوة سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ مع الله وفي الله وبالله ضعفت عندها قوى الصناديد، ولقد سبق كثيراً من المتقدمين بعروة من طريقة لا انفصام لها، ولقد رفعه الله إلى مقام عزيز بتدقيقه في تحقيقه.

يتبين لنا بوضوح بعد أن نقلنا أقوال بعض الأكابر في الثناء على الإمام عبد القادر وما نقلنا عنه من المناقب والأخبار والكرامات أنه أحد أفراد هذه الأمة وأن ما خصصه الله به من العناية والولاية مميز وأن له خصوصية واضحة بين الأولياء، وكونه ﷺ القطب الغوث سلطان الرجال في عصره والمرجع وسيد العصر، واضح جلي بإجماع جماهير المشايخ في عصره إلى يومنا هذا، ولقد ورد عن عدد كبير من أهل المعرفة أنه لم يأت مثله حتى عصرنا، ﷺ ونفعنا به.

وقد قال ابن المقرفل كان شيخنا الرديني ينتمي إلى الشيخ عبد القادر وينشد إذا ذكرت مناقبه: (البحر المنسرح)

(حسنك لا تنقضي عجائبه ... كالبحر حدث عنه ولا حرج)

وقال غيره: (البحر البسيط)

(كأنه الشمس في البرج المنيف به ... على البرية لا نار على علم)

وقال القاضي أبو بكر بن القاضي موفق الدين إسحق بن إبراهيم المعروف بابن عبد الفتاح المصري يمدحه مبتدءاً بذكر الله:

(البحر الكامل)

ذكر الإله حياة قلب الذاكر ... فأمِتْ به كيد الغرور الغادر

واذكره واشكره على إلهامه ... ذكراً تعنت بالمذكور الشاكر

وأعد حديثك عن ليالٍ قد مضت ... بالأبرقين وبالعذيب وهاجر

سقيا لأيام العقيق وأهله ... ولكل من ورد الحمى من زائر

أخلى من الأمن استبان لخائف ... والوصل بعد تقاطع وتهاجر

أيام لا أقمارها محجوبة ... عنا ولا غزلانها بنوافر

وتعود أعيادي بعود رضاكم ... عني وتملأ بالسرور سرائري

ولقد وقفت على الطلول مسائلا ... عن أهل ذاك الحي وقفة حائر

فأجابني رسم الديار وقد جرت … فيه دموعي كالسحاب الماطر

ذهبوا جميعا فاحْتَسِبْهمُ واصطبِر … فعساك أن تحظى بأجر الصابر

وتزود التقوى فأنت مسافر … وبغير زاد كيف حال مسافر

فالوقت اقصر مدة من أن تنى … فيه فسارِع بالجميل وبادر

واجعل مديحك إن أردت تقرباً … من ذي الجلال بباطن وبظاهر

للمصطفى ولآلِهِ وصِحَابِه … والشيخ محيي الدين عبد القادر

بحر العلوم الحبر والقطب الذي … ورث الولاية كابراً عن كابر

شيخ الشيوخ وصدرهم وإمامهم … لب بلا قشر كثير مآثر

تاج الحقيقة فخرها نجم الهداية … فجرها نور الظلام العاكر

روح الولاية أنسها بدر الهداية … شمسها لب اللباب الفاخر

صدر الشريعة قلبها فرد الطريقة … قطبها نجل النبي الطاهر

ودليله الوقت المخاطب قلبه … بسرائر وبواطن وظواهر

وهو المقرب والمكاشف جهرة … بغيوب أسرار وسر ضمائر

وهو الممنطق والمؤيد قوله … وله فتوح الغيب آية قادر

وله التحبب والتودد والرضا … من ربه بمعارف كجواهر

سلك الطريق فأشرقت من نوره … وعلومه كضياء بدر زاهر

خلع الإله عليه ثوب ولاية … وأمده من جنده بعساكر

فله الفخار على الفخار بفضله … الوافي وبالنسب الشريف الباهر

وله المناقب جمعت وتفرقت … في كل نادٍ ذا ثراء عامر

فابن الرفاعي وابن عبد بعده … وأبو الوفا وعديٌّ بنُ مسافر

وكذا ابن قيس مع علي مع بقا … معهم ضياء الدين عبد القاهر

شهدوا بأجمعهم مشاهد مجده … ما بين بادى فضلهم والحاضر

وأقر كل الأولياء بأنه … فرد شريف ذو مقام ظاهر

أصحابه نِعم الصحاب وفضلهم … بادٍ لكل مناضل ومناظر

وهم رؤوس الأولياء ومنهم الأ … قطاب بين ميامن ومياسر

يـا مـن تخصـص بالكرامـات التـي | صـــحت بإجمـــاع ونـــص تـــواتر
وتناقـــل الركبـــان مـــن أخبارهـــا | ســيرا حلــت لمســامر ومســافر
وظهـرت فضـلاً واحتجبـت جلالـة | وعلـوت مجـداً فـوق كـل معاصـر
وعظمـــت قـــدراً فارتقيـــت مكانـــة | حتـى دنـوت(١) مـن الكـريم الغـافر
رقِّيـــت غايـــات الـــولا مستبشـــراً | مـــن ربـــك الأعلـــى بخيـــر بشـــائر
وبقيـــت لمـــا أن فنيـــت مجـــرداً | وحضـرت لمـا غبـت حضـرة نـاظر
فشـــهدت حقـــاً إذ دهشـــت مهابـــة | وكـذا شـهود الحـق كشـف بصـائر
مـــدحي الطويـــل مقصـــر بمديـــده | عـن وصـف بحـرك بالعطـاء الـوافر
أعددت حبـك بعـد حـب المصـطفى | والآل والأصـحاب خيـر ذخـائري
وجعلـت فيـك المـدح خيـر وسـيلة | لله لا لإجــــــازة كالشــــــاعر
ورجـوت مـن نفحـات تربـك نفحـة | يحيـا بهـا فـي العمـر ميـت خـاطري

ثـم الصـلاة علـى النبـيِّ المصـطفى | خيـــر الـــورى مـــن أول أو آخـــر
فلـــك الرســـالة شمســـها روح النبـــ | وة قدســها للحــق أشــرف ناصــر
الله أنـــزل مدحـــه فـــي ذكـــره | يتلـى فمـاذا قـول شـعر الشـاعر
كـــل الخلائـــق والملائـــك دونـــه | مـا فوقـه غيـر المليـك القـادر
صـلى عليـه الله مـا ابتسـم الـدجى | عـن جـوهر الصـبح المنيـر السـافر

(١) الدنو هنا معناه القرب المعنوي، فلا يخطر ببال مؤمن في هذا الموضع القرب المسافي لأن الله منْزه عن ذلك، وقد مر معنا شرح هذا في الباب الأول من الكتاب.

هذا وقد نقل المناوي في طبقاته وغيره أن الإمام عبد القادر الجيلاني صرح بأنه نال مرتبة الغوثية والسلطنة على الأولياء ﷺ، ولم ينكر عليه أحد من أهل عصره، بل شهدوا له بذلك، كذلك من جاء بعدهم. إن صحبة سيدي الإمام عبد القادر للشيخ حماد الدباس البغدادي والشيخ محمد تاج العارفين أبي الوفا والشيخ منصور البطائحي والشيخ يوسف الهمداني والشيخ أبي سعيد المخرمي كانت سببا في أن يعرف موارد الطائفة الصوفية بأكملها،

ومذاقها وقد شرب من كل هذه الموارد، ووصل حبله بكل فروع هذه الطائفة علوية كانت أو حسنية أو حسينية وصديقية وأويسية وجنيدية وشنبكية هوارية تسترية وغيرها مما جعل طريقته من أعلى الطرق، حيث انهالت عليه بحور من الفيوضات فامتزج بعضها ببعض فأصبحت محيطاً تتفرع منه بحور وأنهار، وهذا معنى قوله قدس سره: بحري محيط بالبحور بأسرها.

وقوله: **غصت البحار وقد أظهرت جوهرها فلا أرى قدماً تعلو على قدمي**

هذا وقد رأيت أن أكثر طرق أهل الله لها صلة بطريقة الإمام عبد القادر قدس سره ، وهذا أيضاً يوضح معنى قوله: بحري محيط بالبحور بأسرها، لذلك أطلق عليه عدد من أكابر العارفين (شيخ الكل) (وشيخ الطرق كلها): فهو ﵁ مجمع الطرق ومن بحث ودقق وتحقق لا يجد في كلامي غلوا أو تعصبا، وغاية ما أردت بيان الحق وما هو حاصل.

فمن هذه الطرق المشهورة المستقلة التي تتصل بطريقةالإمام الجيلاني ﵁

"الطريقة السهروردية" وإمام هذه الطريقة هو:

الشيخ الكبير والقطب الشهير العارف الرباني سيدي أبو النجيب ضياء الدين عبد القاهر السهروردي البغدادي الصديقي ابن عبد الله بن محمد بن عمويه عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النصر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن سيدنا أبي بكر الصديق ﵁، هذا نسبه كما ذكره عدد من المؤلفين منهم الإمام الرواس في كتاب طي السجل.

فإن الشيخ عبد القاهر قدس سره صحب الإمام الجيلاني وأخذ عنه تبركاً كما كان يحضر مجالسه: وابن أخيه الإمام شهاب الدين عمر السهروردي، صحب الإمام الجيلاني برأي عمه وأخذ عنه كما أخذ عن عمه، والشيخ عمر هو الذي أحيى الطريقة السهروردية ونشرها، كما أطلق عليه شيخ بغداد، كان من اصحاب الأحوال والمقامات العالية والكرامات الظاهرة، وله كلام عال على لسان أهل الحقيقة والمعرفة، وله عدة تآليف منها:

١. بهجة الأبرار في مناقب الغوث الكيلاني

٢. بغية البيان في تفسير القرآن

٣. إرشاد المريدين واتحاد الطالبين

٤. أدلة العيان والبرهان

٥. الرحيق المختوم لذوي العقول والفهوم

٦. الأسماء الأربعون

٧. رسالة في السلوك

٨. رشح النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية، حمل فيه على الفلسفة اليونانية

٩. أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى

١٠. السير والطير

١١. جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب

١٢. عوارف المعارف، وغيرها

ـ توفي الإمام عمر السهروردي قدس سره ببغداد سنة ٦٣٢هـ ١٢٣٤ر وأما مولده فكان سنة ٥٣٩هـ ١١٤٤ر بسهرورد بمقاطعة الجبل بفارس. وأما عمه قدس سره فمولده بسهرورد وقيل بشهرزور سنة ٤٩٠هـ ووفاته ببغداد ليلة السبت ١٨ جمادى الأولى سنة ٥٦٣هـ

وللطريقة السهروردية سند آخر ذكره عدد من المؤلفين منهم الإمام الرواس في (طي السجل) فليراجع.

وأما اتصال الدسوقية بالقادرية بالإضافة إلى سندها الخاص،

فهو أن الإمام الرباني والقطب النوارني
والأستاذ العالي سيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي الحسيني ﷺ،

من جملة الذين أخذ عنهم: الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني وهو اخذ عن الشيخ نور الدين عبد الصمد النظري عن الشيخ نجيب الدين علي الترازي عن الشيخ القطب الكبير شهاب الدين عمر السهروردي عن الإمام عبد القادر الجيلاني ﷺ.

والإمام الدسوقي هو احد الأقطاب الأربعة المشهورين الذين انعقد الإجماع على جلالة قدرهم وولايتهم، من أصحاب التصرف والمقامات العالية والكرامات الباهرة وقد أفرده عدد من المؤلفين بتراجم خاصة،ونسبه إلى الإمام الحسين ﷺ على النحو الآتي فهو: الإمام السيد الشريف إبراهيم الدسوقي بن أبي المجد عبد العزيز بن علي قريش ابن السيد محمد أبي الرضا ابن السيد محمد أبي النجا ابن السيد علي زين العابدين ابن السيد عبد الخالق ابن السيد محمد ابن السيد محمد ابن السيد عبد الخالق ابن السيد موسى ابن السيد القاسم ابن السيد إدريس ابن السيد أبي القاسم جعفر الزكي ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط الشهيد ﷺ.

وأما وفاته قدس سره فكانت سنة ٦٧٦هـ ودفن في دسوق من الديار المصرية، ولم يعمر كثيراً ولم يتزوج، والعائلة الدسوقية يعود نسبها إلى أشقاء الإمام نفعنا الله بهم.

أما الطريقة الشاذلية فاتصالها بالقادرية بالإضافة إلى أسانيدها الأخرى، فهو أن الإمام القطب الشهير والولي الكبير شيخ الصوفية السيد الشريف سيدي أبا الحسن الشاذلي الحسني المغربي، ثم المصري ﷺ

من جملة الذين اخذ عنهم: الشيخ الجليل محمد بن أبي الحسن علي بن حرازم، وهو اخذ عن الشيخ أبي محمد صالح بن بنصار بن غفيان الدكالي عن الشيخ الصديق والقطب ذي التمكين والتحقيق سيدي أبي مدين شعيب الأندلسي ثم المغربي الأنصاري عن الإمام الجيلاني رضي الله عنهم.

ولد الإمام الشاذلي سنة ٥٩٣هـ وتوفي في شهر شوال سنة ٦٥٦هـ ودفن . بحميثرا . في برية عيذاب في واد على طريق الصعيد بالديار المصرية.

وكان من أعظم مشايخه القطب الجليل السيد الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني المغربي الذي أخذ هو أيضاً عن سيدي أبي مدين، والإمام الشاذلي هو احد الأقطاب المشهورين أبرزه الله وأظهره لمصلحة من شاء من عباده، وكان كثير البلاء عظيم الصبر والتسليم لله عز وجل، من أصحاب المقامات العالية والتصرف، ونسبه إلى الإمام الحسن رضي الله عنه على النحو الآتي فهو: أبو الحسن علي الشاذلي ابن السيد عبد الله ابن السيد عبد الجبار ابن السيد تميم ابن السيد هرمز ابن السيد حاتم ابن السيد قصي ابن السيد يعقوب ابن السيد يوشع ابن السيد وردان ابن السيد علي ابن السيد أحمد ابن السيد محمد ابن السيد عيسى ابن السيد إدريس ابن السيد عمر ابن الإمام إدريس الثاني ابن الإمام إدريس الأول ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط الشهيد رضي الله عنهم.

وقد ترجم للإمام الشاذلي عدد من المؤلفين، قدس سره.

وأما اتصال البدوية بالقادرية، فإن الإمام القطب الغوث الغضنفر مرعب الأعادي شيخ العرب الملثم سيدي أحمد الملقب بالبدوي الحسيني، المغربي ثم الطنطاوي رضي الله عنه،

من جملة الذين أخذ عنهم بالإضافة إلى بقية أسانيده:

الشيخ أبو العباس البستي و هو أخذ عن الشيخ أبي مدين شعيب المغربي الأنصاري عن الإمام الجيلاني ﵁.

والإمام البدوي أحد الأقطاب الأربعة الذين أبرزهم الله لمصلحة العباد صاحب المدد القوي و التصرف الجلي.

ولد سنة ٥٩٦ هـ بمدينة فاس المغربية، وتوفي سنة٦٧٥ هـ ودفن في مدينة طندتا من الديار المصرية، ترجمه عدد من المؤلفين، ونسبه إلى الإمام الحسين على النحو الآتي فهو: الإمام أحمد البدوي ابن السيد علي المكي ابن السيد إبراهيم ابن السيد محمد علي بن أبي بكر ابن السيد إسماعيل ابن السيد عمر ابن السيد علي ابن السيد عثمان ابن السيد حسين ابن السيد محمد ابن السيد محمد ابن السيد موسى ابن السيد يحيى ابن السيد عيسى ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد الحسن ابن السيد أبي القاسم جعفر الزكي ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط الشهيد ﵁. ولم يتزوج، وآل البدوي هم من ذرية شقيقه.

وأما اتصال الطريقة العلوانية بالقادرية: فهو أن الإمام شيخ الإسلام لسان المتكلمين وقطب العارفين الملقب بجوزي اليمن السيد الشريف صفي الدين أحمد بن علوان الحسني اليمني ﵁.

أخذ عن الشيخ أبي الغيث سعيد بن جميل وهو أخذ عن القطب السيد علي بن عمر الأهدل عن الشيخ الكبير علي الأحور عن الإمام الجيلاني ﵁.

ويعود نسبه إلى الإمام الحسن، فهو: السيد أحمد بن علوان بن عطاف ابن السيد مطاع ابن السيد عبد الكريم ابن السيد حسن ابن السيد عيسى ابن السيد عبد الله ابن السيد الحسن المثلث ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام الحسن الشهيد ﵁، والإمام السيد أحمد بن علوان أحد أكابر الأولياء البارزين لقب بجوزي اليمن لقوة وعظه وله كرامات كثيرة توفي في شهر رجب سنة٦٦٥، ودفن في قريته يَفرُس على نحو مرحلة من مدينة تَعِز اليمنية قدس سره.

وأما اتصال الطريقة المحيوية ويقال الحاتمية بالقادرية فهو أن الإمام الشيخ الأكبر سلطان العارفين سيدي محيى الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي المشهور بأبن العربي ﷺ

لبس الخرقة القادرية عن سيدي الشيخ جمال الدين يونس بن يحيى بن أبي الحسن ويقال أبي البركات الهاشمي العباسي القصار بمكة بالحرم الشريف بعد أن صحبه وتأدب به وإن الشيخ جمال الدين لبس الخرقة عن سيدنا شيخ الوقت الغوث الجيلاني،والشيخ جمال الدين أول ما نزل في جوفه ريق الإمام عبد القادر قدس سره فهو الذي حنَّكه وهو أحد خلفائه البارزين، ورد هذا في كتاب العلقة بلبس الخرقة للشيخ الحافظ جمال الدين يوسف بن الإمام بدر الدين حسن بن عبد الهادي الحنبلي القادري .

وقد رأيت في سند الشيخ محمد بن عبد القادر المعيني الذي أخذ عن الشيخ السيد إبراهيم الكسنَزاني البرزنجي الحسيني نسباً القادري طريقة أنَّ سيدي الإمام محيي الدين بن العربي أخذ عن سيدي الإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق مباشرة عن والده الإمام الجيلاني قدست أسرارهم جميعاً.

كما أخذ الشيخ محيي الدين عن عدد آخر من أصحاب الشيخ عبد القادر منهم الشيخ الفرد الكبير محمد بن قائد الأواني والشيخ الكبير عبد العزيز بن الأخضر وغيرهما.

وهذا الفرع القادري ينتسب إليه عدد كبير من مشاهير العلماء كما رأيت ذلك في كتاب فتح القوي في ذكر أسانيد السيد حسين الحِبشِي العلوي الذي ألفه تلميذه الشيخ عبد الله بن محمد غازي الهندي المكي ، قال عند ذكر بعض أسانيد شيخه بالطريقة القادرية: أنه أخذ عن والده العلامة السيد محمد بن حسين الحِبشِي(الحبشي بكسر الحاء والباء الساكنة — لقب لأحد بيوتات بني علوي اليمنيين) وهو أخذ عن العلامة السيد طاهر بن حسين بن طاهر عن السيد عيدروس الحسيني نسباً بن عبد الرحمن بلفقيه عن والده السيد عبد الرحمن عن والده السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه عن العلامة الجامع الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الشهير بالقشاشي عن الشيخ أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي عن والده الشيخ علي بن عبد القدوس عن الإمام عبد الوهَّاب الشعراني عن الإمام جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي عن الإمام كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن إمام الكاملية عن الإمام شمس

الدين محمد بن محمد الجزري عن الشيخ الزين عمر بن الحسن المراغي عن الإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم عن الإمام محيي الدين بن العربي ...

وهذا الفرع ينتسب إليه عدد كبير من علماء الشام ومصر والعراق تركنا ذكرهم خشية الإطالة.

توفي الشيخ محيي الدين بن العربي سنة ٦٣٨ هـ ودفن في مدينة دمشق تاركا التصانيف الكثيرة والتي دخل عددا منها الدسُّ والتحريفُ.

وأما اتصال النقشبندية بالقادرية، فهو أن السادة النقشبندية عندما يعدون مشايخ سلسلتهم في ختمهم يعدون الإمام الجيلاني منهم، يقولون: إن الإمام القطب الكبير شيخ المحبين وقدوة العارفين شيخ الطريقة النقشبندية السيد محمد بن محمد شاه نقشبند البخاري الحسيني نسبا ومشربا والأويسي الصديقي مشربا قدس سره.

ظهر له الإمام القطب الغوث الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما وقال له: أنقشني في ختمك.

هذا وإن كبار المشايخ النقشبندية وصلوا حبلهم بطريقة الإمام الجيلاني، منهم مجدد الألف الثاني الإمام الرباني الشيخ أحمد السهرندي الفاروقي نسبا، والإمام المجدد مولانا الشيخ خالد بن حسين الشهرزوري العثماني نسبا الشهير بذي الجناحين دفين سفح جبل قاسيون، وغيرهما.

وهذا سند بالطريقة القادرية لأحد مشاهير النقشبندية المرشد الكامل القطب السيد محمد عثمان سراج الدين الحسيني نسباً.

أخذ الشيخ عثمان سراج الدين الطريقة القادرية والإجازة بها عن والده السيد محمد علاء الدين العثماني عن والده السيد عمر ضياء الدين عن والده السيد عثمان سراج الدين الطويلي النعيمي الحسيني عن مولانا الشيخ خالد ذي الجناحين العثماني نسبا القادري حسبا عن الشيخ عبد الله الدهلوي المدعو بغلام علي عن شمس الدين جان جانان مظهر عن الشيخ محمد عابد السنامي عن الشيخ عبد الأحد عن والده الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة عن

والده الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي مجدد الألف الثاني عن الشاه اسكندر عن الشاه كمال الكيتهلي عن الشاه فضيل عن الشيخ السيد كدار رحمان الثاني عن شمس الدين عارف عن الشيخ كدار رحمان الأول عن شمس الدين الصحرائي عن السيد عقيل عن السيد بهاء الدين عن السيد عبد الوهاب عن السيد شرف القتال عن السيد الحافظ عبد الرزاق عن والده الغوث الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني قدست أسرارهم الطاهرة.

كما أن معظم أكابر السادة النقشبندية عرفوا بأصحاب الطرق الخمسة وهي: النقشبندية . والقادرية . والسهروردية . والكبروية . والجشتية.

عرف شيخ الطريقة النقشبندية الإمام محمد بهاء الدين شاه نقشبند بالمقامات العالية والهمة القوية الجاذبة والكرامات الباهرة، ولد سنة٧١٧ هـ في قرية قصر العارفان على فرسخ من بخارى، وتوفي سنة٧٩١ في ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول، ودفن في بستانه.

فهذه أكثر الطرق شهرة، ومعظم الطرق التي جاءت من بعدها إما فروع لها أولها اتصال بها.

وليعلم أن أكثر الطرق اشتهارا بكثرة الفروع وصلة بعض الطرق المستقلة بها: القادرية . والرفاعية، فان بعض الطرق التي مر ذكرها وغيرها لها صلة بالطريقة الرفاعية، وصلة هذه الطرق بالقادرية أو الرفاعية لا يدل على التقليل من قدرها بل العكس لتعدد مشاربها.

وأكثر الطرق انتشاراً على مدى العصور: القادرية فقد ذكر عدد كبير من أهل التراجم أنها أوسع الطرق انتشارا على مدى العصور، كما انتسب إليها المئات والآلاف من أئمة أعلام وعلماء وأولياء.

وقد أجاد الدكتور محمد درنيقة حيث ترجم أكثر من ٣٠٠ من أعلام مشاهير القادرية في كتابه(الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعلام القادرية) ومع ذلك فان الذين لم يذكرهم أكثر بكثير، إلا أنه وغيره من مؤلفي هذا العصر تجنبوا ذكر كرامات أهل الكرمات، واكتفوا بشهرة الشيخ وذكر علمه ومؤلفاته وأحياناً صلاحه.

فلعل سبب تجنبهم لذكر الكرامات أن غيرهم من مؤلفين كتبوا في ذلك، وسبب آخر هو: ألاَّ يفتحوا على أنفسهم باباً من الجدل مع العوام وبعض المنسبين إلى فرق شاذة، إلا أنهم بينوا أن للأولياء كرامات وبينوا بعض الأدلة على ذلك.

والذي أراه أنه لا بأس بذكر الكرامات لا سيما كرامات المتأخرين حتى يعلم الناس أن الدنيا لا تخلو من أولياء ذوي الكرامات.

ومن أمثلة: انتشار القادرية بشكل واسع، ما ذكره الدكتور يوسف محمد طه زيدان في كتابه (الطريق الصوفي وفروع القادرية في مصر) نقلاً عن كتاب بغية المرتاض وغيره. قال: إن ابن تيمية يقول في القرن السابع الهجري، أنه كلما قابل واحداً من عامة المسلمين وجده منتسباً للطريقة القادرية، ثمَّ بين انتشار الطريقة في العالم.

ويقول الشيخ يونس بن إبراهيم السامرائي في كتابه (الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ): "ثمَّ إن صالحاً بن مهدي يذكر في كتابه الأعلام الشامخة ٣٨١ رباطاً قادرياً حوالي سنة ٦٦١ هـ في مكة المكرمة" فهذا دليل واضح على انتشار الطريقة بشكل واسع جداً.

ثمَّ بين في كتابه أن التكايا القادرية ملأت البلاد، ثم ذكر عدداً من التكايا القادرية في العراق، وها أنا أذكرها، قال:

١. تكية العقر (أو عقرة) للشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الكيلاني، له مقام خارج العقر من جبال الموصل وفي شرق سوريا قريب إلى سنجار بلاد الجبال فيها جبل يسمى [جبل عبد العزيز]، مدفون فيه شمس الدين محمد [الاكحل من ذرية الشيخ] عبد العزيز، المتوفي سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨م بقرية الحيال...

٢. تكية الشيخ بيرحلان في برواري زير.

٣. تكية الشيخ أبي الوفاء الترخسي، خليفة الشنبكي وزاويته في العقر وقبره يزار.

٤. تكية الشيخ علي الهيتي في القرية ما بين زاخو وفيشخابور.

٥. تكية الشيخ حسن الجوسقي في قرية جوسق الواقعة في شمال جبال بخير في جهة الغرب قريبة من قرية باكرمة وهي الآن خربة.

٦. تكية الشيخ بقاء بن بطو.

٧. تكية الشيخ جنكيز البهديناني.

٨. تكية الشيخ عليّ البربانكي في قرية بربانك من قرى العمادية وهي قريبة من سرسنك.

٩. تكية العمادية: أسسها الملك خليل العباسي.

١٠. تكية زيوكان القادرية: أسسها الشيخ بير محمود الزيوكي العباسي في نهاية القرن العاشر للهجرة.

١١. تكية بريفكان القادرية: أسسها الشيخ شمس الدين قطب ابن السيد عبد الكريم وهو من ذرية الإمام علي ﷺ.

١٢. تكية كلي رمان: أسسها الشيخ أحمد الكلي رماني.

١٣. تكية السيد علي البندنيجي: أسسها السيد علي البندنيجي في بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة وهي واقعة شرقي جامع الشيخ عبد القادر في محلة فضوة عرب، يشرف عليها المحامي هاشم بن صفاء الدين عبد الله.

١٤. تكية الشيخ موسى البندنيجي في مندلي.

١٥. تكية الشيخ خليفة معروف في مندلي.

١٦. تكية آل العابد في سامراء.

١٧. تكية الشيخ إبراهيم محمد الخلف السامرائي في محلة القلعة بسامراء.

١٨. تكية الشيخ عبد القادر مصطفى آل شيخ الحلقة في عقد النقيب.

١٩. تكية الشيخ محمد بن الشيخ سعيد بن الشيخ محمد كاكه أحمد في السليمانية.

٢٠. تكية الشيخ محمد جميل بن الشيخ محمد علي الطالباني في مدينة كركوك.

٢١. تكية الشيخ محيي الدين السيد صالح البرزنجي (الحسيني) مدينة أربيل.

٢٢. تكية الشيخ شريف بن الحاج مصطفى في مدينة أربيل.

٢٣. تكية قرية الجباري التابعة لناحية قادر كرم في محافظة كركوك القائم عليها السيد عبد الهادي بن السيد نجيب الجباري وهم من السادة الحسينية.

٢٤. تكية بيت السيد قاسم التويجري في منطقة كنعان.

٢٥. تكية الشيخ كاكه مصطفى بن كاكه عبد الله في قرية هيران قرب شقلاوة، كما توجد لهذا الشيخ تكايا في راوتدوز واربيل وداينة وفي كويسنجق وفي صابلاق.

٢٦. تكية الشيخ عبد الجليل القادري في كركوك.

٢٧. تكية الشيخ عبد الكريم التلعفري في أربيل.

٢٨. تكية الشيخ حسام الدين بن عز الدين الطالباني في كويسنجق.

٢٩. التكية الطالبانية مرشدها الآن الشيخ علي الطالباني في كركوك.

٣٠. تكية الشيخ حسام الدين بن الشيخ بهاء الدين في محلة الشاترلو في كركوك.

٣١. تكية السيد محمد بن الشيخ عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد عبد الكريم الكسنَزاني البرزنجي (الحسيني) في كركوك، (ينتسب اليوم لهذا الفرع مريدون كثر)، وقد ألف الشيخ محمد كتاباً بالطريقة (القادرية الكسنَزانية).

٣٢. تكية الشيخ عبد الكريم داره خورما في محلة خانقاه في أربيل.

٣٣. تكية الشيخ عبد الرحمن بن شيخ محمد الأتروشي في أتروش.

٣٤. تكية الشيخ عبد الكريم قادر كرم في كركوك.

٣٥. تكية الشيخ أنور محمد الشيخ عبد القادر البريفكاني في دهوك.

٣٦. تكية الشيخ محمد بن الشيخ عبد القهار في قرية مامان في ناحية الدوزكي في دهوك.

٣٧. تكية الشيخ جلال الدين البريفكاني في قرية بريفكان أسسها الشيخ نور الدين البريفكا.

٣٨. تكية الشيخ محمد طاهر بن الشيخ طاهر في قرية الصولة.

٣٩. تكية الشيخ كاكا بن الشيخ عبد الكريم في أربيل.

٤٠. تكية الشيخ ذياب الشيخ حمادي في مدينة الحرية قرب الكاظمية.

٤١. تكية الشيخ سالم أحمد العلي في مدينة الحرية قرب الكاظمية.

٤٢. تكية الشيخ سليمان الشيخ أحمد الحسين في مدينة الحرية في الكاظمية.

٤٣. تكية السيد محمد نوري بن جرجيس في الموصل.

٤٤. التكية القادرية في مسجد عثمان الخطيب في الموصل.

٤٥. تكية الشيخ إبراهيم الروضان الجميلي في بغداد الجديدة.

٤٦. تكية الشيخ نجم الشيخ حميد العلوان في مدينة الزعفرانية قرب بغداد.

٤٧. تكية الشيخ حميد والشيخ عبد العزيز في صليخ الجديد.

٤٨. تكية الشيخ محسن الشيخ منديل في بلد قرب سامراء.

٤٩. تكية الشيخ أحمد الشيخ محمود الحبيب في الطارمية.

٥٠. تكية السيد إبراهيم السيد حسين السامرائي في بغداد الجديدة.

٥١. تكية محمد التويجري في الزغفرانية ببغداد وغيرها.

ويقول الشيخ السامرائي في نفس الكتاب: "انتشرت الطريقة القادرية في كثير من بلاد العالم فهي موجودة: في العراق . وسوريا . والأردن . وفلسطين . ولبنان . والمغرب . والجزائر . وتونس . وليبيا . ومصر . والسودان . وأثيوبيا . والصومال . وغانا . والنيجر . ومالي . وغينيا . وتشاد . والكمرون . ونيجريا . وموزامبيق . وسيراليون . وإيران . وأفغانستان . وتركيا . والباكستان . والهند . وبورما . وتايلاند . وماليزيا . وأندونيسيا . والصين . والاتحاد السوفياتي . ويوغسلافيا . وألبانيا وغيرها.

وتعد الطريقة القادرية أوسع الطرق الصوفية انتشاراً في دول العالم وكان لرجالها الفضل الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وقارة آسيا ومقارعة الاستعمار بمختلف أشكاله، وقد ذاق الاستعمار الإيطالي والفرنسي والإنجليزي والأسباني والهولاندي والبرتغالي على أيدي أتباع الطريقة القادرية الأمرين.

قال: وقد تفرعت عن الطريقة القادرية فروع كثيرة نذكر منها:

١. العمارية في الجزائر وتونس.

٢. العروسية في طرابلس والمغرب.

٣. الأشرفية في تركيا، أسسها أشرفي أوغلو سنة ١٤٩٣ر.

٤. البكائية في السودان.

٥. السمانية في السودان.

٦. بنياوة في دقان.

٧. بوعلية في الجزائر وتونس.

٨. كوزرمار في الهند.

٩. المشرفية في اليمن.

١٠. العرابية في مصر.

١١. الهندية في تركيا.

١٢. الخلوصية في تركيا.

١٣. النابلسية في تركيا.

١٤. الرومية في تركيا.

١٥. الوسلاتية في تركية.

١٦. اليافعية باليمن والصومال.

١٧. الهالسية في كردستان، أسسها ضياء الدين الطالباني.

١٨. الزنجرية في ألبانيا، أسسها علي بابا من جزيرة كريت.

١٩. اليكطاشية، في البانية.

٢٠. الأهدلية، أسسها السيد علي بن عمر الأهدل اليمني.

٢١. البيومية، بمصر.

٢٢. الكاباشية في السودان، أسسها الشيخ الكاباشي.

٢٣. الفضيلة، أسسها الشيخ محمد فضل بالصحراء.

٢٤. بيناوة أو القادرية الاكبرية في أندونيسيا.

٢٥. بينيوة في الصين.

٢٦. المربدية، في السنغال.

ويذكر الدكتور يوسف زيدان في كتابه الطريق الصوفي..: أن في مصر فروعاً كثيرة للقادرية أبرزها:

٢٧. القادرية الفارضية.

٢٨. والقاسمية.

٢٩. والشرعية.

٣٠. والنيازية، وسأنقل بعض كلامه عن هذه الفروع لاحقاً.

ويذكر الدكتور محمد درنيقة في كتابه (الشيخ عبد القادر وأعلام القادرية). ضمن كلامه عن الانتشار الواسع للقادرية فروعا لها منها: البكائية في السودان.

٣١. والقادرية المختارية.

٣٢. والقادرية أتباع زين العابدين بن سيدي أحمد.

٣٣. والقادرية أتباع الشيخ سيديا.

٣٤. والقادرية الفاضلية جماعة الشيخ سعديو.

قال: فالسواد الاعظم من مسلمي السنغال وغامبية وغينية والنيجر الأعلى هم قادرية من أتباع هؤلاء.

٣٥. ثمَّ في بلاد أولاته، القادرية الرقانية أتباع الشيخ أحمد الرقاني وهم ثلاث فرق...

ثمَّ قال: وبالإجمال فالقادرية هم أكثر مبشري الدين الإسلامي حماسة في غرب أفريقيا، من السنغال إلى بنين التي بقرب مصب النيجر...

وفي بلاد كارتا وماسينة، كلهم من مريدي الطريقة القادرية...

وقال: الفاضلية (أو الفضيلة) كما ذكرها السامرائي، تنقسم إلى أربع فرق:

٣٦. فرقة الشيخ سعد ولهم نفوذ في منطقة الطرارزة والسنغال وغامبيا وغينيا...

٣٧. فرقة الشيخ ماء العينين (الحسني) الذي قاوم الفرنسيين في المغرب وموريتانيا.

٣٨. وفرقة الشيخ الحضرمي، وينتشر أتباعها في قبائل الساراكولية والبمبارا.

٣٩. وفرقة الشيخ محمد الفاضل ولد عبيدي...

قال: وفي الشمال الأفريقي قامت القادرية بنشر الإسلام بين الجماعات البربرية... ثمَّ ذكر بعض الفروع التي مر ذكرها.

قلت: الفرع يكون تابعاً لأصل الطريقة، وقد يكون في بعض الفروع بعض الترتيبات والزيادات أو شيء من التخفيف اجتهاداً أو بإشارة من مؤسسه على حسب أحوال الناس مع البقاء على الأصل الموافق للمؤسس الأول المبني على الكتاب والسنة.

ومن انحرف عن الكتاب والسنة لا يعد من أهل الطريقة وإن ادعى الانتساب إليها، فالفرع فيه شيء من الاستقلالية مع بقاء النسبة للأصل وسبب تعدد الفروع هو أن شيخاً من مشايخ الطريقة يوفق للقيام بالتجديد ونشر دعوته في ناحية أو عدة نواحٍ، فينتسب إليه خلق كثيرون، فيسمون الفرع باسمه أو اسم ملائم للحال فتعدد الفروع دليل خير ودليل على قوة الطريقة وازدهارها قلت: ومن فروع الطريقة أيضاً:

٤٠. الطريقة القادرية الموصلية.

٤١. والكسنَزانية في العراق.

٤٢. والعزيزية نسبة إلى السيد عبد العزيز بن الإمام الجيلاني.

٤٣. والكيلانية نسبة لمشايخ آل الكيلاني الحمويين الذين لهم فضل في نشر الطريقة في عدة دول عربية وعجمية، ويعود سندها إلى السيد عبد الرزاق فيسميها البعض الرزاقية.

٤٤. والزعبية التي وسع انتشارها في عدة دول عربية وتركيا وغيرها وقد تفرع منها.

٤٥. الذهبية: نسبة إلى الشيخ أحمد الدهيبي الزعبي الملقب بالذهبي دفين دار عمار انتشرت في نواحي طرابلس الشام، في الوقت الذي كان معظم المنتسبين للطرق من أهل شمال لبنان لطريقة القادرية بسبب ظهور مشايخ آل الزعبي. ومن فروع القادرية أيضاً:

٤٦. الصمادية، في دمشق نسبة لمشايخ آل الصمادي (الحسينين).

٤٧. والسفرجلانية، في دمشق نسبة لمشايخ آل السفرجلاني (القادريين).

٤٨. والبادنجكية، في حلب، وغيرها.

٤٩. الهلالية، في حلب وغيرها.

٥٠. والمكاشفية، إنتشارها في السودان ودول أخرى.

هذا وقد ذكر الشيخ السيد محمد علي السنوسي الأدريسي الحسني في كتابه (سلسبيل المعين في الطرائق الأربعين) أن للطريقة القادرية أكثر من مائتي فرع ولا شك أن الكلام في هذا المجال يحتاج إلى مجلد ضخم لمن أراد التوسع فيه.

فجدير بالإمام الجيلاني ﷺ أن يطلق عليه: شيخ الكل . وشيخ الطرق . وسلطان الاولياء . وقطب الأقطاب... نفعنا الله به.

ذكر شيء من شعره

كان سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ يكثر من الشعر في مجالسه وله أشعار يتحدث بها عن نعم الله عليه، ومثل هذه القصائد لا تصدر إلا عن متمكن محفوظ من الغرور والكبر، وبعد الإذن بذلك، وإلا فأمثال الشيخ عبد القادر شُغِلُوا بحب الله تعالى حتى عن أنفسهم، وهذا التحدث بما منَّ الله به عليه شعراً كان أو غيره يحرك قلب المريد وينشطه ويزيده تمسكاً بنهج الشيخ الكامل الموافق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه.

أما إن تجاوز الكلام حد التحدث بنعمة الله تعالى فهذا شيء مذموم مردود على صاحبه، ولا يصدر ذلك عن ولي من أهل الصحو، أما إن كان مستغرقاً إلى حد الغيبة عن وعيه فقد يصدر عنه كلامٌ مخالفٌ، وهو في هذا الحال ليس مؤاخذاً لأنه خرج عن حد التكليف، ولكن لا يقتدى به حين يكون بهذا الحال.

أما سيدي الشيخ عبد القادر فهو ممن حفظهم الله تعالى في حالة الاستغراق وغيرها من الشطح الذي يتجاوز حد التحدث بنعمة الله، وقد بينت في صدر هذا الكتاب أن ما نسب إليه من شطحات منها ما يؤدي إلى الخروج من الملة فهو مكذوب عليه، فإن أهل عصره من الأكابر لم ينقلوا عنه مثل هذه التفاهات، بل كانوا يعظمونه ويقولون عنه إنه شديد التمسك بالشريعة.

وما سأذكره من قصائد هنا ليس فيه ما يتجاوز حد التحدث بنعمة الله تعالى عليه، وإن كان بعض ظاهره قد يسميه البعض شطحاً ولكنه من حيث الباطن والمعنى فهو حق، فإن سيدي القطب الرباني عبد القادر الجيلاني من نعم الله تعالى على خلقه.

فمن قصائده نفعنا الله به وأمدنا بإمداداته (البحر الكامل)

ما في الصبابة منهل مستعذب ... إلا ولي فيه الألذُّ الأطيب
أو في الوِصال مكانةٌ مخصوصة ... إلا ومنْزلتي أعزُّ وأقرب
وَهَبَتْ ليَ الأيام رونق صفوها ... فَحَلَتْ مناهلها وطاب المشرب

وغـــدوت مخطوبـــاً لكـــل كريمـــة		لا يهتــدي فيهــا اللبيــب فَيَخْطُــبُ
أنــا مــن رجــالٍ لا يَخَــاف جليســهم		ريْــبَ الزمــان ولا يــرى مــا يَرْهَــبُ
قـــوم لهـــم فـــي كـــل مجـــد رتبـــة		عُلْويَّـــة وبكـــل جـــيش موكـــب
أنـــا بلبـــل الأفـــراح أمـــلأُ دوحهـــا		طربـــاً وفـــي العليـــاءِ بـــازٌ أشـــهب
أضـــحت جيـــوش الحـــبِّ تحـــت مشـــيئتي		طوعـــاً ومهمـــا رُمْتُـــهُ لا يعـــزبُ
أصـــبحت لا أمـــلاً ولا أمنيـــة		أرجـــو ولا مَوْعـــودةً أترقـــبُ
مـــا زلـــت أرتـــع فـــي ميـــادين الرضـــا		حتـــى بلغـــتُ مكانـــةً لا توهـــب
أضـــحى الزمـــان كحلـــةٍ مرقومـــةٍ		تزهـــو ونحـــن لهـــا الطـــراز المـــذهبُ
أفلـــت شـــموس الأولـــين وشمســـنا		أبـــداً علـــى فَلَـــكِ العُلَـــى لا تغـــربُ

* * * * * * *

ومما ينسب إليه:		(البحر الخفيف)

رُفِـعَ الحَجْـبُ عـن بـدور الجمـال		مرحبـــاً مرحبـــاً بأهـــل الجمـــال
مَلكـــوني بحـــبهم ورَضُـــوا عـــن		عبـــدِ رقٍ فسُـــدْتُ بـــين المـــوالي
عـــاملوني بلطفِهِـــم فـــي غرامـــي		فحـــلا فـــي بصـــائِرِ النـــاس حـــالي
فرَّحُـــوني بصـــرف رَاح هـــواهُم		فَتَربيـــتُ فـــي حُجُـــورِ الـــدَّلالِ
إن أرادوا الصـــدود يَفْـــنَ وُجُـــودي		رَحِمُـــوني وأنعَمُـــوا بالوصـــال
وإذا مـــا ضـــللت عـــنهُمْ هَـــدوْني		هكـــذا هكـــذا تكـــونُ المـــوالي
ســـادتي ســـادتي بحقـــي علـــيكمْ		إننـــي عنـــدكم عزيـــز وغـــالي
مـــا بَقَـــيْ لـــي حبيـــبُ قلـــب ســـواكمْ		مـــات وهمـــي بكُـــمْ وبـــانَ خيـــالي
بحيـــاتي علـــيكُمُ يـــا سُـــقَاتي		رَوِّقُـــوا الكـــأسَ إن حِبّـــي مَلاَلـــي

ومما ينسب إليه هذه القصيدة وتسمى الغوثية:		(البحر الوافر)

ســـقاني الحُـــبُّ كاســـات الوصـــال		فقلـــت لِخَمْرتـــي نحـــوِي تعـــالي

سعت ومشت لنحوي في كُؤُوسٍ — فهمت بسكرتي بينَ الموالي
وقلتُ لسائر الأقطاب لُمُّوا — بِحَاني وادخلوا أنتم رجَالي
وهيموا واشربوا أنتم جنودي — فساقي القومِ بالوافِي مَلاَلي
شربتُمْ فضلتِي من بعدِ سكري — ولا نلتُمْ عُلُوّى واتِّصَالي
مقامُكُمُ العُلا جمعاً ولكنْ — مقامي فوقكم ما زال عالي
أنا البازيُّ أشهبُ كلِّ شيخٍ — ومن ذا في الملا أُعْطَى مِثَالي
درستُ العِلْمَ حتى صرتُ قُطباً — ونلتُ السَّعدَ مِنْ مَوْلَى الموالي
كساني خلعة بطرازِ عِزٍّ — وتوَّجني بتيجانِ الكمال
وأطلعني على سرٍّ قديمٍ — وقلدنى وأعطاني سُؤَالي
وولاّني على الأقطاب جَمْعاً — فَحُكْمِي نافذْ في كل عالي
فلو ألقيتُ سِرِّي وسط نار — لذابَتْ وانطفتْ من سرِّ حالي
ولو ألقيتُ سرِّي فوق مَيْتٍ — لقامَ بقدرةِ المولى سَعَى لي
ولو ألقيت سرِّي في جبالٍ — لدُكَّتْ واختفت بين الرمال
ولو ألقيت سرِّي في بحارٍ — لصار الكل غورا في الزوال...

قال:

طبولي في السما والأرض دقَّتْ — وشَاووش السعادةِ قد بَدَا لي
أنا شيخ المشايخ حُزت علماً — بآدابٍ وحلمٍ واتصال
مريدي لا تخف وَشْياً فإني — عزومٌ قاتل عند القتال
مريدي لا تخف فالله ربي — حَبَاني رِفعةَ نلتُ المَعَالي
وكل ولي لهُ قدم وإنِّي — على قدم النَّبي بدر الكمال
أنا الجيليُّ محيي الدين اسمي — وأعلامي على رؤس الجبال
وعبد القادر المشهور اسمي — وجدي صاحب العينِ الكمال
عليه صلاة ربي كلَّ وقتٍ — كتعداد الرمال مَعَ الجبال.

ومما ينسب إليه هذه الأبيات: (البحر الخفيف)

أنـا نشـرُ العلـوم والـدرس شـغلي		أنـا شـيخ الـورى لكـل إمـام
قالـت الأوليـاء جمعـاً بعـزم		أنـت قطـب علـى جميـع الأنـام
يـا مريـدي لـك الهنـا بـدوام		عِـشْ بِعـزٍ ورفعـة واحتـرام
أنـا فـي الحشـر شـافعٌ لِمُريـدي		عنـد ربـي فـلا يُـرَدُّ كلامـي
وكسـاني بتـاجِ تشـريفِ عـزٍ		وطـرازٍ وخِلْعَـةٍ باختتـام
أنـا شـيخٌ وصـالحٌ وَوَلِـيٌّ		أنـا قطـبٌ وقـدوة للأنـام
أنـا عبـدٌ لقـادرٍ طـاب وقتـي		جـدِّيَ المطصـفى شـفيع الأنـام
فعليـه الصـلاة فـي كـل وقـت		وعلـى آلـه بِطُـولِ الـدوام

....

ومن شعره:		(البحر الكامل)

رُفِعَـتْ علـى أعلـى الـورى أعلامنـا		لمـا بلغنـا فـي الغـرام مَرَامَنَـا
إن كـان أخَّرَنَـا الزمـانُ فإنَّنـا		فُقنـا الـذين تقـدَّمَوا قـدَّامَنَا
ضَـرَبَتْ طبـولُ العـزِّ فـي سـاحاتنا		وعلـى السُّهَى شَـرَفاً نَصَبْنَ خِيَامَنَا
ولنـا مقامـات الولايـات العلـى		وإمامنـا المهـدي فهـو خِتَامنـا
وخُيولُنـا مشـهورة بـين الـورى		عـالٍ علـى كـلِّ الرِّكـابِ ركابُنَـا
وجليسـنا لـم يشـقَ يومـاً فـي الـورى		ومريـدُنا مـا زالَ فـي إكرامِنَـا
عِـشْ يـا مُريـدي آمنـاً فـي غِبْطَـةٍ		فـالعِزُّ ثُـمَّ العِـزُّ فـي عَرَصَـاتِنَا
أنـا قطـبُ أقطـابِ الوجـودِ حقيقـةً		رَشَـقَتْ قلـوبَ المنكـرين سِـهَامُنَا
قطـبُ الزمـانِ وغَوْثُـهُ ومـلاذُهُ		والأوليـا جَمْعـاً بِظِـلِّ خِبَابِنَـا
ثـم الصـلاة علـى النبـي محمـد		والآل والأصـحابِ ثـم صِـحَابِنَا

وله أيضاً:		(البحر الطويل)

ولمـا صـفا قلبـي وطابـتْ سـريرتي		ونـادمنى صـحوِي بفـتحِ البصـيرةِ
شـهدْتُ بـأن الله مـولى الولايـةِ		وقـد مـنَّ بالتصريف في كلِّ حالـةِ
سـقاني إلهـي مـن كـؤوس شـرابِهِ		فأسـكرني حقـاً فهمـت بِسَـكْرَتي

وفي حانِنَا فادخُلْ تَرَ الكأسَ دائراً ... وما شرب العشاق إلا بقيَّتي
وجالَتْ خيولي في الأراضي جميعها ... وّزُقَّتْ لِيَ الكاسات من كل وِجْهةِ
ودِقتْ لِي الرايات في الأرض والسما ... وأهل السما والأرضِ تعلمُ نشوتي
وشَاووش مُلْكي سَارَ شرقاً ومغرباً ... فصرْتُ لأهل الكربِ غوثاً ورحمةِ
شربتُ بكاساتِ الغرامِ سلافَةً ... بها انتعشت روحي وجسْمي ومُهْجَتِي
وصرتُ أنا الساقِي لمنْ كان حاضراً ... أديرُ عليهم كرةً بعدَ كرةِ

وما قلتُ هذا القولَ فخراً وإنما ... أتى الإذن حتى تَعْرِفوا من حقيقتي
وما قلت حتى قيل لي قلْ ولا تخف ... فأنتَ وليَّ في مقام الولايةِ
مريدي تمسك بي وكنْ بِيَ واثقاً ... لأحْمِيكَ في الدنيا ويومَ القيامةِ
حوائِجُكُم مقضية غيرَ أنَّني ... أريدُكُمُو تمشون طريق الحميدةِ
وأوصيكمو كسْرَ النفوسِ فإنها ... مراتِبُ عِز عند أهل الطريقةِ
ومن حدثته نفسه بتكبّرٍ ... تجدْهُ صغيراً في عيون الأقلةِّ
ومن كان في حالاتِهِ متواضِعاً ... معَ الله عَزَّتْهُ جميعُ البريَّةِ.

فكن قادِريَّ الوَقْتِ لله مخلصاً ... تعش سعيداً صادقاً بمحبتي
فجدِّي رسول الله طه محمد ... أنا عبد القادر شيخ الطريقةِ

....

ومن شعره: (البحر الطويل)

نظرتُ بعين الفِكْرِ في حانِ حضرتي ... حبيبا تجلَّى للقلوب فحنَّتِ
سقاني بكأسٍ من مدامةِ حبه ... فكان من الساقي خُماري وسكرتي
وسرِّي بسرِّ الله سار بخلقه ... فلذ بجنابي إن اردت مودتي
وأصبحت بالواد المقدس جالساً ... على طور سِينَا قد سموْتُ بخلْعَتِي
وذكري جلىَ الأبصار بعد غِشائِها ... وأحيا فؤاد الصَّبِّ بعد القطيعةِ
وجودي سرى في سِرِّ سِرِّ الحقيقة ... ومرتبتي فاقت على كل رُتْبَةِ
وكلهم عني يقولوا ويَنْقلوا ... ومولاي ما أعطاهم كعطيتي

وُلِّيــت علــى كــل الــبلاد بأســرها لأقصـــى بــلاد الله حقــت ولايتـــي
ولــيس بــأرض الله قطــب مقطــب تخلـف عـن قلبـي وشـوري وطـاعتي
ولاحت لِيَ الأسرار من كل جانب وبانـت لِـيَ الأنـوار مـن كـل وجهـةِ
وشاهدتُ معنى لو بدا كشفُ سِرِه لِصُــمِّ الجبــالِ الراســيات لَــدُكْتِ
وَمَطلــعُ شــمسِ الأُفْــقِ ثــم مَغيبُهــا وأقطَارُ أرضِ الله في الحال خطوتي
أنـا قطـب أقطـابِ الوجـودِ حقيقـةً على سائر الأقطاب قولِي وحُرْمتي
توسـلْ بنـا فـي كـل هـولٍ وشـدَّةٍ أغِثْـكَ فـي الأشـياءِ طُـرّاً بهمّتـي
مريـدي إذا مـا كـان شـرقاً ومغربـاً أغِثْـهُ إذا مـا سـار فـي أيِّ بلـدةٍ
وكــن قــادريّ الوقــتِ لله مخلصــا تعــش ســعيداً صــادقاً بمحبتـــي

....

وهذه الأبيات: (البحر البسيط)

لـي همـة بعضـها تَعْلُـو علـى الهِمَـمِ ولـي هـوىً قبـل خلـقِ اللوح والقَلَـمِ
ولــي حبيــب بــلا كيــفٍ ولا مثــل ولـي مقـام ولـي ربـعٌ ولـي حَرَمِـي
وجدتُ حوْلَ الحِمىَ فرسانَ معركةٍ سـيوفهم مُشْـهَرات قصـدُهُم عَـدمِي
فجلت فيهم وفي أيدي لَهـمْ بَتَـرٌ ولَّـوْا هِزَامـاً لنحـو الـزَّعْم بالحُسَـمِ
للقادريـــــة فُرسَـــــان مُعَرْبِــــدَة بين(العباد) وسِرُّ شاعَ في (الأُمَـمِ)
غصتُ البحارَ وقّدْ أظْهَرْتُ جَوْهَرَهَا فَلَـمْ أر قَـدَماً تَعْلُـو عَلَـى قَـدَمِي

وتكلم ﷺ يوماً في الروح ثم سكت ثم جلس ثم قام وهو يقول:

روحــي ألفــتْ بحكــمٍ فــي القِــدَمِ مـن قبـل وجودهـا وهـي فـي العـدم
هـل يجمَـلُ بـي مـن بعـد عرفـانكم أن أنقـل عـن طـرق هـواكم قـدمي

عَبَـرَّ بالبيت الأول من القصيدة السابقة، وفي هذه الأبيات أن ما به من نعمة وما وصل إليه هو شيء سبق في علم الله الأزلي، بفضل الله وعنايته الأزلية، فكيف ينتقل عما هو به من نعم وهو شيء قد كتب وفضل قد سبق ولله المنة، وبين بقوله: من قبل وجودها وهي في

العدم)، أن الروح مخلوقة، ليست أزلية ولا هي من صفات الله تعالى كما ادعى بعض المتصوفة المشبهة الذين انحرفوا عن طريق أئمة التصوف والمسلمين قاطبة، قال تعالى: "**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**" سورة الإسراء، أي من خلق الله.

وسئل ﷺ مرة بعد رياضة قام بها عن حاله مع الله تعالى فأجاب بأبيات منها:

ومُـذْ عَنـكِ غبنـا ذلـك العـام أننـا ... وَرَدْنَـا علـى بحـر وسـاحله مَغْنَـى

وشـمس علـى المغنـى مطـالع نورهـا ... مَغَارِبُهَـا فينـا ومطلعُهَـا منـا

ومسـتْ يـدانا جـوهراً منـه ركبـت ... لطائفهـا حتـى صـفت فتجوهرنـا

ثمَّ قال: (البحر الطويل)

تركنـا البحـار الزاخـرات وراءنـا ... فمـن أيـن يـدرى النـاس أيـن توجهنـا

شـهدنا جمـالاً مـا تجلـى لغيرنـا ... تلاحظـه أرواحنـا عنـه ماحـدنا

....

وقال بهذا المعنى: (البحر البسيط)

أصبحت ألطَفَ من مر النسيم سَرَى ... علـى الريـاض وكـاد الـوهم يـؤلمني

مـن كـل معنـىً لطيـف اجتلـى قـدحاً ... وكـل ناطقـةٍ فـي الكـون تطربنـي

ولـو شـربت البحـار السبـع مـا رويت ... بهـا عظـامي بـلا رؤيـاه تقنعنـي

....

وقال أيضاً: (البحر البسيط)

يـا دارَ أسـماءَ بانَـتْ عنـكِ أسـماءُ ... وأصـبحَتْ بعـد ذاك الأنـس قفـراء

بانـت فـلا البـان مهـزوز شـمائله ... كـلا ولا الروضـة الغـراء غنَّـاءُ

....

ومن شعره هذه القصيدة والتي يذكر فيها أسماء الله الحسنى: البحر الطويل)

شرعت بتوحيد الإله مبسملاً سأَخْتِمُ بالذكر الحميد مُجَمِّلاً

وأشهد أن الله لا ربَّ غيرُهُ تنْزهَ عن حصر العقول تكمُّلاً

وأرسل فينا أحمد الحقِ مُقْتَدى نبياً به (ضاء الوجود) وقد خلا

فعلمنا من كُلِّ خيْرٍ مُؤَيَّدٍ وأظهرَ فينا العلمَ والحلمَ والوَلاَ

فيا طالباً عزاً وكَنْزاً ورفعةً من الله فادْعُهُ بأسمائِه العُلاَ

فقل بانكسارٍ بعد طهرٍ وقربةٍ فأسألك اللهمَّ نصراً مُعجَّلا

بحقِكَ يا رحمن بالرحمة التي أحاطت فكن لي يا رحيمُ مُجَمِّلا

ويا مَلِكٌ قدوسُ قدِّسْ سريرتي وسلِّمْ وجودي يا سلام من البلا

ويا مؤْمِنٌ هب لي أماناً مُحَقَّقاً وسِتْراً جميلاً يا مُهَيمنُ مُسْبَلا

عزيزٌ أزِلْ عن نفسيَ الذلَّ واحمِني بعزكَ يا جبارُ من كان مُعضِلا

وضعْ جُملةَ الأعداءِ يا متكبرٌ ويا خالقٌ خُذ لي عنِ الشرِّ مَعزِلا

ويا بارئَ النَّعْماءِ زِدْ فيضَ نعمةٍ أفَضْتَ علينا يا مصورُ أوَّلا

رجوتُك يا غفَّارُ فاقبلْ لتوبتي بقهرك يا قهارُ شيطانيَ اخْذُلا

بحقك يا وهابُ علماً وحِكْمَةً وللرزقِ يا رزاقُ كن لي مُسَهِّلا

وبالفتح يا فتَّاحُ نوِّرْ بصيرتي وعِلماً أنِلْنِي يا عليمُ تَفَضُّلا

ويا قابضُ اقبِضْ قلْبَ كلِ معاندٍ ويا باسطُ ابْسُطْنِي بأسْرارِك العُلا

ويا خافضُ اخفِضْ قدْرَ كلِّ منافقٍ ويارافعُ ارفعني بِرَوْحِك أسْأَلا

سألتُكَ عِزّاً يا معزُّ لأهْلِهِ مُذِلٌ فذِلَّ الظَّالمينَ مُنَكِّلا

وعِلْمُك كافٍ يا سميعُ فكُنْ إذاً بصيراً بحالي مُصْلِحاً مُتَقَبِّلاً

ويا حَكَمٌ عدْلٌ لطيفٌ بِخَلْقِهِ خبيرٌ بمَا يخْفى وما هو مُجْتَلا

فحِلْمُكَ قصْدِي يا حليمُ وعُمْدَتِي وأنتَ عظيمٌ عُظْمُ جودِكَ قد عَلا

غفورٌ وستارٌ علكلِّ تائبٍ شكورٌ على أحبابِهِ كُنْ مُوَصِّلا

عليٌ وقد أعلى مقامَ حَبِيبِهِ كبيرٌ كثيرُ الخيرِ والجودِ مُجْزِلا

حفيظٌ فلا شيءٌ يفوتُ لِعِلْمِه مُقيتٌ يُقيتُ الخلْقَ أعلى وأسْفلا

فحُكْمُكَ حسبي يا حسيبُ تولَّني … وأنت جليلٌ كن لِخَصْمِي مُنَكِّلا
إلهي كريمٌ أنت فأكرِمْ مواهبي … وكنْ لِعَدوِّي يا رقيبُ مُجَنْدِلا
دَعوْتُكَ يا مَوْلىً مُجيباً لِمَنْ دَعا … قديمَ العطايا واسعَ الجودِ في المَلا
إلهي حكيمٌ أنتَ فاحْكُمْ مَشَاهِدِي … فَوُدُّكَ عِنْدِي يا وَدودُ تَنَزَّلا
مجيدٌ فَهبْ لي المجدَ والسعدَ … ويا باعثُ ابعَثْ جيشَ نَصْري مُهَرْوِلا
والولا … وحَقِّقْ لي حَقَّ المواردِ مَنْهَلا
شهيدٌ على الأشياءِ طَيِّبْ مَشَاهِدِي … ويكفِي إذا كان القويُّ مَوَكَّلا
إلهي وكيلٌ أنتَ فاقضِ حوائِجِي … أغِثْ يا وليُّ من دعاكَ تَبَتُّلا
مِتينٌ فَمتِّنْ ضَعفَ حَوْلِي وَقُوَّتي … ومُحْصِيَ زَلاَّتِ الورى كُنْ مُعَدِّلا
حمدْتُكَ يا مَوْلىً حَمِيداً مُوَحِّداً … معيدٌ لِمَا في الكونِ إنْ بَادَ أو خَلا
إلهي مُبْدي الفتحَ لي أنتَ والهُدَى … مُميتٌ أمِتْ أعداءَ دِيني مُعَجِّلا
سألتُكَ يا مُحْيي حياةً هنيئةً … قديمِ وكُنْ قَيُّومَ سِرِّي مُوَصِّلا
ويا حيُّ أحيي ميْتَ قلبي بِذِكْرِكَ ال … ويا ماجِدَ الأسرارِ كنْ لَي مُعَوِّلا
ويا وَاجِدَ الأنوارِ أوْجِدْ مَسَرَّتي … ومَقْتَدِرٌ قَدِّرْ لِحُسَّادِنا البَلا
ويا قادِرٌ ذا البطشِ أهلِكْ عَدُوَّنا … منَ الضُّرِّ فضلاً يا مُؤَخِّرُ ذا العُلا
وَقَدِّمْ لِسِرِّى يا مُقدِمُ عَافني … ويا آخِرُ اخْتِمْ لي أموتُ مُهَلِّلا
واسْبِقْ لنا الخيراتِ أوَّل أوَّلا … بباطِنِ غَيْبِ الغيبِ يا باطنٌ وَلاَ
ويا ظاهرُ أظهِرْ لي معارِفَك التي … و مُتعالٍ ارشِدْهُ وأصلِحْ له الْوَلا
ويا وَالِ أوْلِ أمرَنا كلِّ ناصِحٍ … عطايا ويا تَوَّابُ تُبْ وتقبَّلا
ويا بَرُّ يا ربَّ البَرايا ومُوهبَ ال … كذاكَ عَفُوٌ أنتَ فاعْفُ تفضُلا
ومنتقمٌ من ظالِمين نُفُوسَهُمْ … لمنْ قد دَعَا يا مَالكَ المُلكِ أجْزِلا
عَطُوفٌ رءُوفٌ بالعبادِ ومُسْعِفٌ … فجودُكَ بالإكرامِ ما زالَ مُهْطِلا
فألْبِسْ لنا ياذا الجلالِ جَلاَلَةً … ويا جامعُ اجمعْ لي الكمالاتِ في
ويا مقسِطٌ ثبِتْ على الحقِ مُهْجَتي … المَلاَ
إلهي غنيٌ أنتَ فأذهِبْ لِفَاقَتِي … ومُغْنٍ فأغنِ فقْرَ نفسي لِمَا خَلاَ

ويا مانعُ امنعنِي من الذنبِ واشفِني مِنَ السُّوءِ مِمَّا قد جنيتُ تَعَمُّلا

ويا ضار كُن للحاسدينَ مُوَبِّخاً ويا نافِعُ انفَعْنِي بِرَوحٍ مُحَصِّلا

بَديعَ البرايا أرتجي فيضَ فَضْلهِ ولَمْ يَبْقَ إلا أنتَ باقٍ له الوَلا

ويا وارثُ اجعلني لِعِلْمِكَ وارِثاً ورشداً أنِلْني يا رشيدُ تَجَمُّلا

صبورٌ وستارٌ فَوَفِّقْ عَزيمتي على الصبرِ واجعلْ ليَ اختِيارَاً مُزَمِّلا

بأسمَائِكَ الحُسْنىَ دعوتُك سيدي وآياتِكَ العُظْمَى ابتهلتُ تَوَسُّلا

فأسألُكَ اللهمّ ربي بِفَضْلِهَا فَهَيِّئْ لنا مِنْكَ الكمالَ مُكَمِّلا

وقابلْ رَجائِي بالرِضا مِنك واكفِنِي صُروفَ زَمَانٍ صِرْتُ فيه مُحَوَّلا

أغِثْ واشفِنِي من داءِ نفسي واهْدِنِي إلى الخَيْرِ وأصْلِح ما بِعَقْلي تَخَلَّلا

إلهي فارحمْ وَالِدَيَّ وإخْوَتِي ومَنْ هذه الاسماءِ يدعو مُرَتِّلا

أنا الحَسَنيُّ الاصلِ عبدٌ لقادرٍ دُعِيتُ بِمُحْيي الدينِ في دَوْحَةِ العُلا

وَصَلِّ على جدِّي الحبيبِ مُحمدٍ بأحلى سلامٍ في الوجودِ وأكْمَلا

مع الآلِ والأصحابِ جمعاً مُؤَيَّداً وبعدُ- فحمدُ الله خَتْماً وأوَّلا

....

وله ﵁ هذه القصيدة ويسمونها الغوثية:

خُذْ بلطْفكْ يا إلهي مَنْ له زادٌ قليلُ مُفلِسْ بالصدقِ يأتي عندَ بَابِكَ يا جليلْ

ذنبهُ ذنبٌ عَظيمٌ فاغفرِ الذنبَ العظيم إنه شخصٌ غريب مذنب عبد ذَلِيل

منهُ عصيان ونسيان وسهوٌ بعدَ سَهْوٍ منك إحسانٌ وفضلٌ بعد إعطاءِ الجزيلْ

قال يا ربي ذنوبي مثلُ رمل لا تُعَد فاعفُ عَنّي كلَّ ذنب فاصفح الصفحَ الجميل

قل لنارٍ ابرُدي يا ربِّ في حَقّي كَمَا قلتَ قُلْ يا نارُ كوني أنتِ في حق الخليل

كيف حالي يا إلهي ليس لي خيرُ العَمَل سُوءُ أعمالِي كثير زادُ طاعاتي قليل

أنت شافٍ أنت كافي في مهمات أنت حَسْبي أنتَ ربي أنت لي نعمَ

الأمُـــــــــــــــــور الوكيـــــــــــــــــل

عافني من كل داء فاقضِ عَنّي حاجتي إنّ لي قلباً سقيماً أنت مِنْ يشفِي العليل

هب لنا ملكاً كبيراً نجّنا مما نخَاف رَبَّنَـا إذْ أنـتَ قـاضٍ والمنـادي جبْرَئيـل

ربِّ هَبْ لي كنْزَ فضلٍ أنت وهَّابٌ كريم أعطِني ما في الضَّمير دُلَّني خَيْرَ الدليل

....

وقال رضي الله عنه : (البحر الطويل)

ونحـن لمـن قـد سـاءنا سـم قاتـل فمـن لـم يصـدق فليجـرب ويعتـدي

وله رضي الله عنه غير ما ذكرنا من الشعر والقصائد نكتفي بما أوردناه.

أما الذين أثنوْا عليه شعراً من المشايخ فمن الصعب حصرهم، وما قالوه فيه من الشعر يحتاج إلى مجلدات، فاكتفيت بما أوردته تبركاً واستئناساً، وإلا فهو رضي الله عنه أشهر من ان نعرف عن قدره وفضله، رضي الله عنه.

ذكر بعض أوراد طريقته ﷺ

كان سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ دائم الذكر والتضرع والمناجاة لله جل جلاله فأحببت من باب التبرك أيضاً أن أذكر جزءاً يسيراً من أحزابه وأوراد طريقته العلية.

فمن أوراده قراءة هذه الأسماء الشريفة عقب الصلوات الخمس مائة مرة وهي: **بك أستعينُ يا فتاحُ يا عليم يا خبير يا نور يا هادي يا مبين آمنتُ بالله**. ومنها: "**اعتصمتُ بالله واستجرت بالله واستعنت بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**".

ومنها لدفع الوسواس تقرأ هذه الآية: **﴿أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأتِ بخلقٍ جديدٍ وما ذلك على الله بعزيز﴾**. تقرأ سبع مرات بعد كل صلاة

ومنها أيضاً: "**اللهمَّ ما مننتَ به فتمِّمْهُ يا الله وما أنعمت به فلا تسلُبهُ وما سترتَهُ فلا تهتِكهُ وما علمتَهُ فاغفره برحمتك يا أرحَمَ الراحمين**".

وله قدس سره أيضاً : "اللهم إنا نعوذ بوصْلك من صَّدِك وبقربكَ منْ بعدكَ ونعوذُ بكَ منْكَ فاجعلنا من أهل طاعتِكَ وودِّكَ وأهِلْنا بشكرِكَ اللهُمَّ صل على سيدنا محمد.

وله هذه المسبعات العشر، ووقت قراءتها بعد صلاة الصبح وبعد المغرب وهي: (الفاتحة ـ٧ـ آية الكرسي ـ٧ـ ألم نشرح ـ٧ـ سورة القدر ـ ٧ـ سورة الكافرون ـ٧ـ سورة النصر ـ٧ـ سورة المسد ـ ٧ ـ سورة الإخلاص ـ٧ـ المعوذتان ـ٧ـ وـ اللهم صلّ أفضل صلواتك على أسعدِ مخلوقاتك سيدنا ومولانا محمدٍ النبي الأمي وعلى آله وصحبهِ وسلِّمْ عدد مخلوقاتك ومِدَادَ كلماتِكَ كلّما ذكركَ الذاكرونَ وغفل عن ذكرك الغافلونَ ـ٧ـ واسم الجلالةِ أَلْفَ مرةٍ.

ومن أوارد الطريقة قراءة سورة الفاتحة كل يوم مائة مرة يرتبها على الوجه التالي: بعد صلاة الصبح ـ ٣٠ ـ مرة ، وبعد الظهر ـ ٢٥ـ مرة وبعد العصر ـ٢٠ـ مرة، وبعد المغرب ـ١٥ـ مرة، وبعد العشاء ـ ١٠ـ مرات، ويدعو بعد قراءة العدد كل مرة بهذا الدعاء ثلاث مرات،

والمحافظة على هذا الورد فيه فوائد وأسرار كثيرة ويرى منه العجب إن شاء الله تعالى، مع حضور القلب وإخلاص النية.

وهذا هو الدعاء:

(الحمد لله رب العالمين) منور أبصار العارفين بنور المعرفةِ واليقين، وجاذب أزمةِ أسرار المحققين بجذباتِ القربِ والتمكينِ فاتحِ أقفالِ قُلُوبِ الموحدينَ بفاتحةِ التوحيد والفتح المبينِ، الذي أحسن كلَّ شيءٍ خلقَهُ وبدأ خلْقَ الإنسان من طينٍ ثم جَعَلَ نَسْلُهُ من سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ.

(الرحمن الرحيم) العزيز الحكيم العلي العظيم الأول القديم خاطب موسى الكليم بخطاب التكريم، وشرف نبيه الكريم بالنص الشريف (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم).

(مالك يوم الدين) قاهر الجبابرة والمتمردين، ومبيد الطغاة الجاحدين، (ذالكم الله ربكم فتبارك الله أحسن الخالقين)، فيا من لا شريك له ولا معين.

(إياك نعبد وإياك نستعين) معترفين بالعجز عن القيام بحقك في كل وقت وحين، يا باعث الريح العقيم يا محيي العظام وهي رميم.

(إهدنا الصراط المستقيم) صراط أهل الإخلاص والتسليم.

(صراط الذين أنعمت عليهم) صراط الذين تَسَلَّوْا بالهدى وفرحوا بما لديهم.

(غير المغضوب عليهم) هبنا اللهمَّ منك مواهب الصديقين، وأشهدنا مشاهد الشهداء ولا تجعلنا ضالّين ولا مضلّين ولا تحشرنا في زمرة الظالمين.

(ولا الضالّين) آمين اللهمَّ بحق هذه الفاتحة افتح لنا فتحاً قريباً.

بحق هذه الشافية اشفنا من كل آفةٍ وعاهةٍ في الدنيا والآخرة، اللهم بحق هذه الكافية اكفنا ما أهمنا من أمر الدنيا والآخرة.

وأجْرِ تَعلُّقاتي وتعلّقاتِ عبادِكَ المؤمنين على أجلِّ عوائدِكَ.

واسترنا في الدنيا والآخرة إذ لا أرحم بنا وبهم منك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

وله قدس سره هذا الحزب ويسمى الحزب الصغير.

أللهمَّ حل هذه العقدة وأزل هذه العسرة، ولَقني حسن الميسور وقني سوء المقدور وارزقني حسن الطلب واكفني سوء المنقلب اللهم حُجتي وعدتي فاقتي، ووسيلتي انقطاع حيلتي، وراس مالي عدم احتيالي ،وشفيعي دموعي ، وكنْزي عجزي، إلهي قطرة من بحار جودك تغنيني وذرة من تيار عفوك تكفيني فارزقني وعافني واعف عني واغفر لي واقض حاجتي ونفس كُرْبَتِي وفرج همي واكشف غمي برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

وله ﷺ هذا الدعاء ويسمى دعاء النصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ اقطع أجل أمل أعدائي وشتت اللهم شملهم وأمرهم وفرِّق جمعهم واقلب تدبيرهم و بدل أحوالهم و نكِّس أعلامهم وكلَّ سلاحهم وقرب آجالهم وزلزل أقدامهم وغير أفكارهم وخيب آمالهم وخرب بنيانهم واقلع آثارهم حتى لا تبقى لهم باقية ولا يجدوا لهم واقية و اشغلهم بأبدانهم وأنفسهم وارمهم بصواعق انتقامك وابطش بهم بطشاً شديداً وخذهم أخذاً عزيزاً إنك على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهّم لا أمنعهم و لا ادفعهم إلا بك اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم،يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين عليهم فدمرهم تدميرا وتبرهم تتبيرا فاجعلهم هباءً منثورا، آمين آمين آمين يا الله يا الله يا الله بسم الله بحرمة محمد عندك أن تسترنا في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وله ﷺ هذا الحزب ويسمى حزب الفتح.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم:

"إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويُتِمَّ نعمتَهُ عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً".

اللهمَّ يا واجب الوجود و يا واهب الخير والجود، أفض علينا أنوار رحمتك ويسر لنا الوصول إلى كمال معرفتك، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ولا معرفة لنا إلا ما ألهمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم إنّا نسألك من العصمة دوامها، ومن النعمة تمامها، ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها، ومن العيش أرغده، ومن العمر أسعده، ومن الوقت أطيبه، ومن الرزق أوسعه، ومن الفضل أعذبه، ومن اللطف أنفعه، ومن الإنعام أعمَّهُ، ومن الإحسان أتمَّهُ، اللهم كن لنا يا جبار ولا تكن علينا، اللهم حصن بالسعادة آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا، واقْرِنْ بالعافية غدونا وآصالنا واجعل إلى مغفرتك ورحمتك مصيرنا ومآلنا، وصُبَّ سحائب عفوك على ذنوبنا، ومُنَّ علينا بإصلاح عيوبنا، واجعل التقوى زادنا، وفي دينك اجتهادنا، فإنه عليك توكلنا واعتمادنا وثبتنا على نهج الاستقامة إلى يوم القيامة، ربنا خفف عنا ثقل الأوزار، وارزقنا معيشة الأبرار واكفنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا ومشايخنا من الدَّينِ والمظالم والنار، برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار يا حليم يا جبار، و صلى الله على سيدنا خير خلقه محمد و على آله وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين.

وله ﷺ هذا الحزب المبارك. يقرأ في ثلث الليل الأخير:

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ عبدك ضاقت به الأسباب وغلقت دونه الأبواب، وتعسرَّ عليه سلوك طريق أهل الصواب، وزاد به الهمُّ والغمُّ والاكتئاب، وانقضى عمره، ولم يفتح له إلى فسيح تلك الحضرات ومناهل الصفوة والراحات باب، وانصرمت أيامه والنفس راتعةٌ في ميادين الغفلة ودناءات الاكتساب، وأنت المرجوُ لكشف هذا النصاب، يا من إذا دُعيَ أجاب يا سريع الحساب يا عظيم الجناب، ربِّ لا تردَّ مسألتي ولا تدعني بحسرتي، ولا تكلني إلى حولي و قوتي وارحم

عجزي وفقري وفاقتي، وذلِّلْ صعوبة أمري وسهل طريق يسري ، فقد ضاق صدري وتاه فكري وتحيرت في أمري أنت العالم بسري وجهري المالك لنفعي وضري القادر على تيسير عسري.

ربِّ ارحم من عظم مرضه وعزَّ شفاؤه وكثر داؤه وقل دواؤه، وأنت ملجأه ورجاؤه ومغيثه، إلهي وسيدي و مولاي، ضاقت المذاهب إلا إليك، وخابت الآمال إلا لديك، وانقطع الرجاء إلا منك، وبطل التوكل إلا عليك، لا ملجأ و ولا منجى منك إلا إليك، تحصنت بذي الملكِ والملكوت، واعتصمت بذي العزة والجبروت وتوكلت على الحي الذي لا يموت، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الصلاة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

"اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم وأزواجِهِ وذريته وأهل بيته، بحر أنوارك و معدن أسرارك ولسان حجتك وعروس مملكتك وطراز مُلكِكَ المتلذِّذ بمشاهدتك، صلاة تُحلُّ بها عقدتنا وتفرج بها كُربتنا، وتقضى بها حوائجنا، صلاة ترضيك وترضيه وتَرْضَى بها عنا يا رب العالمين، عدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك وشهدت به ملائكتك وجرى به قلمك، عدد الأمصار والأحجار والأقطار والأشجار وملائكة الجبار، وعدَدَ ما خلق مولانا من أول الزمان إلى آخر الزمان، وسلم عليه وعليهم مثل ذلك والحمد لله رب العالمين.

وله ﷺ هذه الصلوات المسماة (بالكبريت الأحمر).

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهـمَّ اجعلْ أفضَـلَ صـلواتِكَ أبـداً، وأنمـى بركاتِـكَ سـرمداً، وأزْكـى تحياتِـكَ فضـلاً، علـى أشرفِ الحقائق الإنسانيةِ، ومعدِنِ الدقائِقِ الإيمانيةِ، وطور التجلياتِ الإحسانية، وَمَهْبَطِ الأسرارِ الرحمانيةِ، وعروسِ المملكةِ الربانيةِ، واسطةِ عِقدِ النبيين، ومقدمِ جيش المرسلينَ، وأفضلِ الخلائق أجمعين، حاملِ لواءِ العزِّ الأعلى، ومالِكِ أَزِمَّةِ الشرفِ الأسنى، ومَنبعِ العلمِ والحلمِ والحِكَمِ، المتخلِّقِ بأعلى رُتَبِ العبوديَّةِ، المتحقِّقِ بأسرارِ المقاماتِ الاصطفائيةِ، سيّدِ الأشرافِ وجامِعِ الأوصاف، الخليلِ الأعظمِ والحبيبِ الأكـرَمِ، المخصـوصِ بـأعلى المراتـبِ والمقامـاتِ، المؤيَّـدِ بأوضَحِ البراهينِ والدِّلالاتِ، المنصورِ بالرُّعْبِ والمعجزاتِ، الجوهرِ الشريف، سيدنا ونبينا محمد المحمودِ الفاتحِ، مَنْ هُدَاهُ سِرُّ كلِّ سِرٍ وسَناهُ، الذي انشقتْ منه الأسرار وانفلقت منه الأنوار، السِرِّ الباطنِ والنورِ الظاهرِ، السيِّدِ الكامِلِ الفاتحِ الخاتِمِ العاقِبِ الحاشِرِ الناهي الآمرِ الناصِحِ النّاصرِ الصابرِ الشاكرِ القانِتِ الذاكرِ الماحي الماجِدِ العزيزِ الحامِدِ المؤمِنِ العابِدِ المتوكِّلِ الزاهدِ القائِمِ التابعِ الشهيدِ الوليِّ الحميدِ البرهانِ الحُجَّةِ المطاعِ المختارِ الخاضِعِ الخاشعِ البرِّ المسْتَنْصِرُ الحقّ المبين، طه ويس، المزّمِّلِ المدَّثّرِ، سيّدِ المرسلينَ وإمامِ المتقينَ، وخاتَمِ النبيينَ وحبيبِ ربِّ العالمينَ، النبيِّ المصطفى والرسولِ المجتبى، الحكَمِ العدْلِ الحكيمِ العليمِ العزيزِ الرؤوفِ الرحيم، محمّدٍ عبدِكَ ورسُولِكَ وصِفيِّكَ وخليلِكَ ودليلِكَ ونَجِيِّكَ ونُخْبَتِكَ وذخيرَتِكَ وخِيرَتِكَ، وإمامِ الخيرِ وقائِدِ الخيرِ ورسولِ الرحمةِ، النبيِّ الأمّيِّ العربيِّ القُرَشِيِّ الهاشِمِيِّ الأبطَحِيِّ المكيِّ المدنيِّ التِّهامِيِّ، الشَّاهِدِ المشْهُودِ، الوليِّ المقرَّبِ السعيدِ المسعودِ، الحبيبِ الشفيعِ، الحسيبِ الرفيعِ، المليحِ البديعِ، الواعظِ البشيرِ النذيرِ العَطوفِ الحليمِ، الجَوادِ الكريمِ، الطيِّبِ المبارَكِ المكينِ، الصادِقِ المصدوقِ الأمينِ، الداعي إليك بإذنِكَ السِّراجِ المنيرِ، الذي أدرك الحقائقَ بحُجَّتِهَا، وفاقَ الخَلائِقَ برُمَّتِها، وجعلْتَهُ حبيباً، وناجَيْتَهُ قريباً، وأدنيتَهُ رقيباً، وختَمْتَ بِهِ الرسالَةَ والدِّلالة والبشارةَ والنَّذارَةَ والنبوةَ، ونصرْتَهُ بالرُّعْبِ وظلَّلْتَهُ بالسُّحُبِ، ورددْتَ لَهُ الشمسَ وشقَقْتَ لهُ القَمَرَ، وأنطقْتَ لهُ الضَّبَّ والظَّبْيَ والذئبَ والجِذْعَ والذِراعَ والجمَلَ والجبَلَ والمدَرَ والشجرَ، وأنبعْتَ من أصابِعِهِ الماءَ الزُّلالَ، وأنزلْتَ من المزْنِ بدعوتِهِ في عامِ الجدْبِ والمحْلِ وابِلَ الغَيْثِ والمطَرِ، فَاعْشَوْشَبَ منهُ القفْرُ والصخْرُ والوعْرُ والسهلُ والرمْلُ والحجَرُ، وأسريْتَ بِهِ ليلاً منَ المسْجِدِ الحرامِ إلى المسجِدِ الأقصى، إلى السموات العلى إلى سِدْرَةِ المنتهى، إلى قابِ قوسيْنِ أو أدْنى، وأريْتَهُ الآيةَ الكُبْرَى، وأنلتَهُ الغايَةْ القُصْوَى، وأكرمْتَهُ بالمخاطَبَةِ والمراقَبَةِ والمشاهَدَةِ،

وخصَصْتَهُ بالوسيلَةِ العذْرا والشفاعَةِ الكبرى يومَ الفَزَعِ الأكبرِ في المَحْشَرِ، وجمعْتَ لهُ جوامِعَ الكَلِمِ وجواهِرَ الحِكَمِ، وجعلتَ أمّتَهُ خيرَ الأمَمِ، وغفرْتَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذنْبهِ وما تأخَّرَ، الذي بَلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانَةَ، ونصحَ الأُمّةَ وكشَفَ الغُمَّةَ، وجَلى الظُلْمَةَ وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ، وعَبَدَ ربَّهُ حتى أتاهُ اليقينُ.

اللهُمَّ ابْعَثْهُ مقاماً محمُوداً يغبطُهُ فيه الأولُون والآخِرونَ، اللهمَّ عظِّمْهُ في الدنيا بإعلاءِ ذِكرِهِ وإظهارِ دينِهِ وإبقاءِ شريعَتِهِ، وفي الآخرةِ بشفاعِتهِ في أُمّتِهِ، وأجْزِلْ أجْرَه ومثوبَتَهُ، وأيِّدْ فضْلَهُ على الأولينَ والآخِرينَ وتقدِيمَهُ على كافةِ المقَرَّبينَ الشُّهودِ، اللهم تقبلْ شفاعتَهُ الكبرى وارفَعْ درجَتَهُ العليا وأعطِهِ سُؤْلَهُ في الآخرةِ والأولى كما أعطيت إبراهيم ومُوسى، اللهُمَّ عظِّمْ بُرْهانَهُ وأبْلِجْ حُجَّتَهُ وأبلِغْهُ مأْمُولَهُ في أهل بيتِهِ وذرّيتِهِ، اللهُمَّ أتْبِعْهُ منْ ذريتِهِ وأُمّتِهِ ما تقرُّ بهِ عينُهُ، واجزِهِ عنّا خيْرَ ما جَزَيْتَ بهِ نبياً عنْ أُمّتِهِ واجْزِ الأنبياءَ كُلَّهم خيراً.

اللهم صلِّ وسَلِّمْ على سيدنا محمدٍ عددَ ما شاهَدَتْهُ الأبصارُ وسَمِعَتْهُ الآذانُ، وصلِّ وسلِّمْ عليه عددَ مَنْ صلى عليهِ، وصلِّ وسلِّمْ عليهِ بعدَدِ من لم يُصَلِّ عليهِ، وصلِّ وسلم عليه كما تحبُ وترضى أن تُصَلِّيَ عليهِ، وصلِّ وسلم عليه كما أمرتَنَا أن نصلي عليهِ، وصلِّ وسلم عليه كما ينبغي أن يُصَلّى عليه.

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله عدد نَعمَاءِ اللهِ وإفضاله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصْحَابِهِ وأولادِهِ وأزواجِهِ وذريَّاتِهِ وأهْلِ بيتِهِ وعِتْرَتِهِ وعشيرَتِهِ وأصهارِهِ، وأحبابِهِ وأتباعِهِ وأشياعِهِ وأنصارِهِ، خزنةِ أسرارِهِ ومعادِنِ أنوارِهِ، وكنوزِ الحقائقِ وهداةِ الخلائق، نجوم الهدى لِمَنِ اقتدى وسلِّمْ تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وارضَ عن الصحابَةِ رِضًا سرمَداً، عدَدَ خلقِكَ وزِنَةَ عرشِكَ ورضَاءَ نفسِكَ ومدَادَ كلماتِكَ، كلما ذكركَ ذاكرٌ وسهى عن ذكركَ غافِلٌ، صلاةً تكونُ لك رضاءً ولحقِّهِ أداءً ولنا صلاحاً، وآتِهِ الوسيلَةَ والفضيلةَ والدرجَةَ العاليَةَ الرفيعَةَ، وابعثْهُ المقامَ المحمودَ، وأعطِهِ اللواءَ المعقودَ والحوضَ المورودَ، وصلِّ يا ربِّ على جميع إخوانِهِ مِنَ النبيين والمرسلينَ، (وعلى جميع الأولياء والصالحين وعلى سيدِنَا الشيخ محيي الدين أبي محمدٍ عبدِ القادر الكيلاني الأمين المكين)، صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين.

اللهم صلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمدٍ الرحمةِ للعالمين ظهورُهُ، عددَ مَنْ مَضَى مِنْ خلقِكَ ومَنْ بَقِيَ، ومَنْ سعِدَ منهم ومَنْ شِقيَ، صلاةً تَسْتَغْرِقُ العَدَّ وتحيطُ بالحَدِّ، صلاةً لا غايةَ لها ولا انتهاءَ، ولا أمَدَ ولا انقضاءَ، صلاةً مقبولةً معروضةً عليه، صلاةً دائمةً بدوامِكَ وباقيةً ببقائكَ،

صلاةً تُرضيكُ وتُرضيهِ وترضى بها عنَّا، صلاةً تَملأُ الأرضَ والسماء، صلاةً تُحَلُّ بها العُقَدُ وتفرَّجُ بها الكُرَبُ، ويَجْري بها أثرُ لُطْفِكَ من أمري وأمورِ المسلمينَ، وبارِكْ على الدوام وعافِنَا واهدِنَا واجْعَلْنا آمِنِينَ، ويسِّرْ أمورَنا مَعَ الراحَةِ لِقُلُوبنا وأبْدَانِنَا والسلامَةِ والعافِيَةِ في دينَنا ودُنْيانا وآخِرَتِنَا، وتَوَفّنا على الكتابِ والسنَّةِ، واجمَعْنَا معه في الجنَّةِ من غيرِ عذابٍ يَسْبِقُ وأنتَ راضٍ عنّا، ولا تَمْكُرْ بِنَا، واختِمْ لنا بخيرٍ منكَ وعافيةٍ بلا مِحْنَةٍ أجمعينَ

﴿سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين ﴾.

وله ﷺ هذا الحزب المبارك العظيم الشأن:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمد وهو على كل شيء قدير، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وبه نستجير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا إله إلا الله وحده وصدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً ونحن له مسلمون.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ما حمدك الحامدون.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ما ذكرك الذاكرون.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ما غفل عن ذكرك الغافلون.

وقد ورد في كتاب الغنية للشيخ عبد القادر قدس سره: أن من صلى ليلة الجمعة ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ألخ، ويقول في آخر صلاته ألف مرة. "اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي" فإنه يرى النبي ﷺ في المنام، ولا تتم له الجمعة الأخرى إلا وقد رآه ﷺ.

(ملاحظة) إن بعض أسماء الله تعالى لا يَجُوزُ أن يُسمّى بها أحدٌ غيره سبحانه وتعالى كاسمه: الخالق البارئ وذو الجلال والإكرام والقيوم.

ومنها ما يجوز تسمية غيره به على معنى مختلف يليق بحق هذا الإنسان المسمى به، لا على المعنى الذي يليق بالله، كاسمه تعالى: الرؤوف . والرحيم . والعظيم . والكريم . فإنه يجوز أن يسمى بمثل هذه الأسماء غير الله تعالى.

فقد جاء في القرآن تسمية الحبيب سيدنا محمد ﷺ بالرؤوف الرحيم وغير ذلك من الأسماء التي تشبه بعض أسماء الله تعالى من حيث اللفظ لا من حيث المعنى.

فلذلك لا يعترض على بعض الأسماء التي وردت في صيغة الصلاة المسماة بالكبريت الأحمر التي سبق ذكرها آنفاً.

ذكر بعض أوراد هذه الطريقة:

لهذه الطريقة العلية أوراد مخصوصة لمداواة القلوب وعلاجها وتنقِيتها وتصفيتها، ولتهذيب الأنفس وتزكيتها، ليتحقق عند السالك الأخلاق المحمودة والصفات المرضية والمقامات الرفعية والأحوال الصادقة الجلية، وذلك بعد تعلم الأمور الفقهية وملازمة ظاهر الشريعة مع دوام الاستقامة الظاهرة والباطنة، لينكشف له عن حقائقها الوهاجة البراقة، فيفتح له باب المشاهدة فيفنى بالله عن غيره، ويصبح قلبه مهبط للأنوار الربانية فيرى به كثيراً من الأسرار الكونية، من العوالم العلوية والسفلية، فيزداد دهشة، ويمتلئ قلبه حلاوة، ويتحقق في مقام العبودية، عند ذلك يكون محفوظاً من الغواية بعد الهداية، فلا ينشغل قلبه بشيء عن خالق البرية، ولا ينحرف عن الطرق الواضحة السنية، من جاء بها أشرف المخلوقات بالكلية، فنور الله به قلوب العارفين ذوي الأفضلية، بعد الذين اصطفاهم الله بالنبوة.

وحينئذ يصبح كالشمس المشرقة، والجبال الراسية التي لا تهزها الريح العاتية والأرض السهلة اللينة المنبتة، والأمطار الغزيرة، فترتوى به القلوب الظامئة، وتتغذى من نباته الأنفس السقيمة، ويستتر وراءه من هم بحاجة إلى الدراية من العواصف الهدامة، ويستنير بنوره من تحكمت به الغرائز الشهوانية، وكبلته المكائد الشيطانية، فيخرج من ظلمة الجهل وسجن الأهواء إلى نور المعرفة وعز الحرية.

فجاهد نفسك طالب الحق بالطاعات وترك الشهوات لتحظى بهذه العطية، وتتخلص من شر النفس الأمارة، وتصبح لوَّامة على ما ارتكبته من المعاصي المشؤومة، فإذا تحققت بمقام التوبة، صارت نفسك ملهمة، ثم مطمئنة، ثم راضية، فمرضية، فكاملة، فقف بباب الله متضرعاً باكياً مستطرحاً ليرفع عن قلبك حجاب الغفلة، ويَكْشِفَ لك الطريق السالكة، فإنه لاحول لك ولا قوة إلا بتوفيق الله ذي المنة، فمن سبقت له العناية وجبت له الولاية، فنسألك اللهم بنبي الأمة صاحب الوسيلة والدرجات العالية والمقامات المحمودة، أن تفتح لنا أبواب الخيرات لندخل من خلالها إلى الروضات السندسية، التي تشع بالأنوار الصفراء والحمراء والبيضاء والخضراء والسوداء بعد الزرقاء لتصفو قلوبنا من كل العلائق الشاغلة المردية، لتخلص لك وحدك يا من تفردت بالوحدانية والصفات العلية وتقدست عن النقائص وتعاليت عن الأشباه فلا يسبق وجودك عدم ولا يلحق وجودك فناء يا ذا الكبرياء والعزة والعظمة، فحق على من عرفك أن لا ينشغل بالحادثات عنك ياذا العطاء والفضل والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة وعلى آله وصحبه سادات الأمة.

فمن أوراد هذه الطريقة لإصلاح النفوس، ولا بد من الصدق وإخلاص النية مع بدء تلاوتها حتى الانتهاء مع حضور القلب.

١. تلاوة الكلمة الطيبة أفضل الأذكار: لا إله إلا الله" وعددُهُ سبعون ألف مرة.

٢. والاسم الثاني هو ـ الله ـ وعدده ستون ألف مرة.

٣. والاسم الثالث ـ هو ـ وعدده خمسون ألف مرة، واعلم أن هذا الاسم مختلف فيه فالصوفية يعدونه من أسماء الله، والمحدثون لا يعتبرونه من أسماء الله، ومن أراد أن يعرف تفصيل ذلك فليراجع كتاب شرح أسماء الله تعالى. للإمام الرازي قدس سره.

٤. والاسم الرابع ـ حق ـ وعدده أربعون ألفاً.

٥. والاسم الخامس ـ حي ـ وعدده ثلاثون ألفاً.

٦. والاسم السادس ـ قيوم ـ وعدده عشرون ألفاً.

٧. والاسم السابع ـ قهار ـ وعدده عشرةُ آلاف

ويستحب أن يصلي بعد كل عدد ركعتين، والشيخ هو الذي يرتب للمريد العدد ويقسمه على الأيام على حسب رؤيته.

قال بعض العلماء: إن اسم (هو) ليس من أصل الطريقة، إنما قال به بعض متأخري القادرية.

ولهذه الأسماء أعداد أخرى مع بعض التغيير وهي:

١. تلاوة الكلمة الطيبة لا إله إلا الله . مئة ألفِ مرّةٍ

٢. الاسم الثاني: هو . الله . وعدده ثمانيةٌ وسبعون ألفاً وأربعٌ وثمانون مرة

٣. والاسم الثالث: . هو . وعدده أربعة وأربعون ألفاً وستُ مئةٍ وثلاثون مرة

٤. والاسم الرابع: . حي . وعدده عشرون ألفاً واثنتان وتسعون مرة

٥. والاسم الخامس: . واحد . وعدده ثلاثة وتسعون ألفاً وأربعُ مائةٍ وعشرون مرةً.

٦. والاسم السادس: . عزيز . وعدده أربعة وستون ألفاً وستُ مائة وأربعٌ وأربعون مرة

٧. الاسم السابع: – ودود– وعدده عشرةُ آلافٍ ومئةُ مرة.

ولهذه الأسماء فروع وأعداد أخرى أذكر منها على سبيل الإيجاز هذه الأسماء الشريفة وهي . الحق . القهار . القيوم . الوهاب . المهيمن . الباسط.

وأيضاً: المحيط . العالم . الرب . الشهيد . الحسيب . الخلاق الخالق– البارئ . المصور.

وأيضاً: الوهاب . الفتاح . الواحد . الأحد.

ولكل اسم من هذه الأسماء عدد، والله الموفق. ولهذه الطريقة أوراد كثيرة غير هذه

الخلوة الأربعينية:

وأما الخلوة: فمن شروطها أن يكون تعلم من أمور الدين ما يحتاج إليه كل مسلم، ثم في خلالها يشترط عدم الكلام إلا بما فيه مرضاة لله، . ٢) وقلة الطعام . ٣) وقلة المنام، والصوم

فيها أفضل . ٤) والذكر مع كل نفس . ٥) وفعلها في المسجد أفضل إن أمكن، وإلا في مكان قريب من المسجد ليحضر الصلوات مع الجماعة، وفي أثناء طريقه ذهاباً وإياباً يحرص على ترك الكلام مع الناس إلا في رد السلام وإنشائه أو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ٦) ويستحسن ألا يحمل معه نقوداً، . ٧) وأن يكون خالياً من جميع الإرادات إلا رضا الله، . ٨) وإدامة المراقبة لله مع دوام الذكر المجرد،٩) وعدم الانشغال بما يتراءى له أثناء الخلوة سواءً كان ذلك عن طريق الحال الصادق، أو عن طريق الشياطين، فإن الغرض من ذلك تصفية القلب عن العلائق الشاغلة عن الله تعالى . ١٠) وأن يكون عمله بالذكر وتلاوة القرآن بما يمليه عليه الشيخ المرشد، فلا يكون لنفسه حظ بل يكون مُسَلِّماً.

أقول: وهذه الخلوة لها أساس فقد أخبرنا الله تعالى عن نبيه موسى ﷺ أنه بقي أربعين ليلة حين واعده الله تعالى، على الطور ليتلقى الألواح.

ومما يدل على أن هذا العدد الأربعين فيه سر وبركة قوله ﷺ: **"مَنْ داوم أربعين يوماً على صلاة الغداةِ والعشاء في جماعةٍ كُتبَ له براءة من النفاق وبراءة من الشرك"**. رواه الإمام أبو حنيفة في مسنده.

وروى الحافظ أبو نعيم وغيره قوله ﷺ: **"من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"**.

وقد اختارت الصوفية هذه الخلوة مع الانقطاع عن الناس حتى لا ينشغل هذا المريد عن الشواغل فإن حواس الإنسان دواخل على القلب يدخل من خلالها على القلب الحسن والقبيح، ولما كان أكثر الناس يعتريهم الغفلة كان البعد عنهم لفترة ينضج فيها المريد بترك عاداتهم السيئة، فإن من الصعب على أكثر المريدين ترك العادات السيئة وهم يخالطون الناس، وإلا لما اختارت الصوفية الخلوة إلى زمن النضج، فلو كان هذا المريد في عشرة الصالحين كل وقته لكانت عشرته لهم خيراً من البعد عنهم، ومع كل هذا فقد كان النبي ﷺ يختلي في بعض ليله.

وقد ورد أن مما أنزل الله على سيدنا إبراهيم في صحفه: "على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له أربع ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه،

وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو بها لمطعمه ومشربه". ذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ وغيره.

يظهر من هذا الكلام أنه ينبغي للمرء أن يكون له خلوة، فإن قال أحد لم يظهر في هذا الكلام ذكر الأربعين يوماً، وأن هذا مما نزل على سيدنا إبراهيم لا سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وأن هذه الخلوات كانت في الأمم السابقة فكيف تكون من فعل هذه الأمة؟

فالجواب على ذلك أن ما كان من أعمال الأمم السابقة يجوز لنا فعله ما لم يأت نسخه في شرع سيدنا محمد ﷺ.

ثانياً: إن في شرع سيدنا محمد ﷺ ما يرغب بالخلوة فقد جاء عن النبي ﷺ في الحديث الذي ورد فيه ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**".

ثالثاً: اختيارهم للخلوة الأربعينية لأخبار وأحاديث كثيرة منها حديث: "من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". ولما كان البعد عن الناس سببا يساعد على حضور القلب وقوة الإخلاص اختاروا أن تكون هذه الأربعين في خلوة.

وهذا كله يكون بعد تأهل المريد لهذه الخلوة، وإلا فإن بعض الناس دخلوا في هذه الخلوة قبل التهيئة وعدم الشروط والإخلاص فخرجوا منها زنادقة بسبب تلاعب الشياطين بهم، فظنوا أنهم على شيء وهم ليسوا على شيء.

وقد تكون الخلوة بسبعة أيام، وثلاثة أيام، وقد تكون الخلوة أحياناً مع الناس بحيث أن يكون ظاهراً معهم وقلبه مع الله وهذا لا يكون عادة إلا بعد مجاهدة وعناء، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم

كيفية أخذ العهد والمبايعة:

جرت العادة عند مشايخ الصوفية أنه إذا جاء أَحَدَهُم مريدٌ طالباً للحق يريد أخذ العهد عنه فإن كان جاهلاً علمه أولا ما يحتاج إليه من أمور العقيدة والعبادات ومعرفة الحلال والحرام ثم يأمره بالتوبة عن جميع المعاصي ويأمره بأن يصلي ركعتين بنية التوبة.

ثم يجلس المريد أمام الشيخ جلسة الافتراش مستقبل القبلة، ثم يقرأ الشيخ فاتحة الكتاب ويصافحه ثم يقول للمريد قل: أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيوم وأتوب إليه.

ثم يأمره بالالتزام بطاعة الله وبتجنب المعاصي كلها معاصي الجوارح ومعاصي القلب كالحسد والحقد والرياء وغيرها، ثم يقول له قل: شيخنا وأستاذنا (الشيخ عبد القادر الجيلاني) رضيته شيخاً لي وطريقته طريقة لي والله على ما نقول وكيل، ثم يقول الشيخ سراً: يا واحد يا ماجد انفحنا منك بنفحة خير، ثلاث مرات.

ثم يقرأ آية المبايعة وهي: **﴿إن الذين يُبايعونك إنما يبايعون اللهَ يدُ اللهِ فوقَ أيديهم فمن نكثَ فإنما ينكُثُ على نفسه ومن أوفى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسيُؤْتيهِ أجراً عظيماً﴾**،سورة الفتح.

ثم يقول له: اسمع مني كلمة التوحيد ثلاث مرات وقل أنت مثلها: لا إله إلا الله" وهو مغمض العينين فيقولها المريد من بعده وهو مغمض العينين أيضاً ثلاث مرات ثم يأمره الشيخ بالإكثار من تلاوتها ولو من غير تحديد عدد آناء الليل وأطراف النهار ما استطاع،ثم يقول له الشيخ هل قبلت؟ فيقول المريد قبلت.

ثم يقرأ الشيخ والمريد الفاتحة ويهدى ثوابها إلى النبي ﷺ وإلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل وصحب كل منهم أجمعين وإلى جميع المؤمنين.ويخص بالذكر الشيخ عبد القادر ومشايخ الطريقة.

ثم إذا رأى الشيخ أن يأمره بنوع من أنواع الذكر على حسب طريقته التي يسلكها فعلى المريد تنفيذ أمره ما لم يشغله أمر أهم، ومن أوراد الطريقة القادرية فرع القادرية الذهبية أن يقول صباحاً ومساءً مائة مرة: لا إله إلا الله، ومائة مرة: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه، ومائة مرة: اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ومئة مرة : حسبي الله ونعم الوكيل.

وإذا رأى الشيخ أن يزيد له أنواعاً أخرى من الأذكار زاد له، ويستحب للمريد بعد الانتهاء من العدد أن يقرأ الفاتحة ويهدى ثوابها إلى شيخ الطريقة ومشايخ سلاسلِها وشيخه.

وقد ذكرت في صدر الكتاب سند هذا التلقين ودليله، وقد ذكر مشايخ الطريق أسراراً لهذا التلقين فمن شاء فليطلع عليها في كتبهم، والله أعلم وأحكم.

وأما لبس الخرقة، فالمعنى الظاهر منه هو أن الشيخ عندما يلبس المريد الخرقة كأنه يقول له: لقد تزييت بزي الصالحين فاسلك مسلكهم بإصلاح ظاهرك بموافقة الأوامر واجتناب النواهي كالصالحين، وكما زينت ظاهرك بالطاعة والأدب فزين باطنك بالإخلاص والتوحيد والتوكل وغير ذلك من واجبات القلب لكي يكون تشبهك بالصالحين حقيقة ومعنى لا شكلاً وصورة...

ذكر بعض كلام الشيخ قدس سره في الإرشاد والآداب

فمن كلامه ﷺ في صفات الشيخ المرشد ما ذكره التادفي في القلائد والشيخ السيد إبراهيم أفندى الراوى الرفاعي في السير والمساعي بما معناه: "وليس للشيخ أن يجلس على سجادة الإرشاد حتى يتصف بصفات . منها . أن يكون ستوراً ومتسامحاً وشفيقا ورفيقا وصادقاً ومتصدقاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ذا حياء وتسليم، زاهداً شجاعاً.

وقال أيضاً: (البحر الطويل)

"إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد — وإلا فَدَجَّال يقود إلى الجهل

عليم بأحكام الشريعة ظاهراً — ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل

ويظهر للورَّاد بالبِشْر والقِرى — ويخضع للمسكين بالقول والفعل

فهذا هو الشيخ المعظم قدره — عليم بأحكام الحرام من الحل

يهذب طلاب الطريق ونفسه — مهذبة من قبلُ ذو كرم كُليّ

وقال في القلائد قال الشيخ ﷺ: "وصفة المقتدى به للسلوك أن يكون عارفاً بالعلوم الشرعية والطبية ومصطلح السادة الصوفية ولا غِنى له عن ذلك".

وقال ﷺ في الغنية: "وأما الذي على الشيخ في تأديب المريد، فهو أن يقبله لله عزّ وجل لا لنفسه، فيعاشره بحكم النصيحة، ويلاحظه بعين الشفقة، ويلأُينه بالرفق عند عجزه عن احتمال الرياضة فيربيه تربية الوالدة لولدها، والوالد الشفيق الحليم اللبيب لولده وغلامه، فيأخذه بالأسهل ولا يحمله ما لا طاقة له به . ثم بالأشد فيأمره أولاً بترك متابعة الطبع في جميع أموره، واتباع رخص الشرع حتى يخرج بذلك عن قيد الطبع وحكمه ويحصل في قيد الشرع، ثم ينقله من الرخص إلى العزيمة شيئاً بعد شيء، فيمحو خصلة من الرخص ويثبت مكانها خصلة من العزيمة، فإن وجد في ابتداء أمره فيه صدق المجاهدة والعزيمة وتفرس فيه ذلك بنور الله عزّ وجل ومكاشفة فحينئذ لا يسامحه في شيء من ذلك، بل يأخذه بالأشد من الرياضات التي يعلم أنه

لا تتقاصر قوة إرادته عنها، إذ ثبت عنده أنه مخلوق لذلك وجدير به، وهو من شأنه فلا يخونه في التهوين عليه.

ولا ينبغي له أن يرتفق من المريد بحال لا بالانتفاع بماله ولا بخدمته، ولا يأمل من الله عزّ وجل عوضاً في تأديبه، بل يؤدبه ويربيه موافقة لله عزّ وجل أداء لأمره وقبولا لهديته وطرفته، فإن المريد الذي جاء من غير تخير من الشيخ ولا استجلاب، بل قدر محض بإرشاد الله تعالى له وهدايته وإنقاذه إليه، فإنه هدية من الله، فعليه قبوله والإحسان إليه بحسن تأديبه وتربيته، فلا يرتفق به ولا بماله إلا بأمر من الله تعالى، وخيّر في استعمال وقبول ما يأتي به من ماله الذي قد جعل الله تعالى صلاح المريد ونجاته به، وقسم للشيخ فيه، فحينئذ لا سبيل إلى الاعراض عنه وردَّه.

ويحذر جداً أن يختار من المريد ما يقع له، بل ينتظر في ذلك فعل الله وقدره، فمن جاء الله تعالى به من غير تكلف منه وتخير قبله ورباه، فحينئذ يوفق في تربيته ويسرع فلاح المريد ونجاحه، فليحذر أن يكون هوىً فيه، فيعدم التوفيق والحفظ في حق المريد، وعليه أن يربيه بهمته ويتوب عنه في سره إذا وجد منه خللاً أو فترة، وعليه أن يحفظ سرّ المريدين فلا يطلع غيره على ما يحصل له من الإشراف على أحواله، إما بطريق علم لدنيّ من مواهب الله عزّ وجل، أو بإفشاء المريد له واستكتامه إياه، فلا ينبغي له أن يفشيه لغيره، لأنه أمانة عنده.

وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار، فينبغي له أن يكون مُسْتَراحاً للمريدين، وخزانة وحرزاً لأسرارهم، وملجأً لهم وكهفاً ومشجعاً ومقوياً ومعيناً لهم، ومثبتاً لهم في الطريق، ولا ينفرهم عن الطريق ومصاحبتهم والقصد إلى الله عزّ وجل.

وإذا رأى شيئاً مما يكره في الشرع من المريد وعظه في السر وأدبه، ونهاه عن المعاودة إلى ذلك إن كان ذلك في الأصول أو الفروع أو ادعاء حالة ليست له أو إعجاب بعمله ورُؤيته، فيصونه عن محل الإعجاب، ويصغر في عينه أحواله وأعماله، لئلا يهلك، فإن العجب يسقط العبد، وإن أراد أن يعم الجماعة بالنصح فليجمعهم وليتكلم فيهم فيقول: بلغني أن فيكم من يدعي كذا ويقول كذا ويرتكب كذا، ويذكر ما يتعلق بذلك من المفاسد والمصالح، ويذكرهم ويحذرهم، ولا يعين أحداً منهم على ذلك لما في ذلك من التنفير، فإن أخشن الخُلُق والقول

معهـم، وأفشـى أسـرارهم واغتـابهم وسـلبهم وذكـر مسـاوئهم، نفـرت قلـوبهم عـن قصـده ومصاحبته، وصار ذلك تهمة عندهم في أهل الطريقة، وفيما قد غرس في قلوبهم من حب أولياء الله تعالى، فليحذر من ذلك جداً، فإن غلب هذا عليه ولا يمكنه تداركه، فليعزل نفسه عن هذه المنصبة والولاية، ولينفرد عن المريدين، ويشتغل بمجاهدة نفسه ورياضتها وطلب شيخ يؤدبه ويقومه ويهذبه، فلا يصلح أن يكون شيخا مع هذه الدواهى، فلا يقطع على المريدين طريقتهم إلى الله عزّ وجل.

آداب المريدين:

من أقواله ﷺ فيما يجب على المريد أولاً.

قال قدس سره العزيز: "فالذي يجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس، فيكون على عقيدة السلف الصالح أهل السنة، سنة الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين والأولياء والصديقين، على ما تقدم ذكره وشرحه في مقدمة هذا الكتاب، فعليه بالتمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما أمراً ونهياً، أصلا وفرعاً، فيجعلهما جناحيه يطير بهما في الطريق الواصل إلى الله عزّ وجل، ثم الصدق ثم الاجتهاد، حتى يجد الهداية والإرشاد إليه والدليل عليه، وقائداً يقوده، ثم مؤنسا يؤنسه، ومستراحاً يستريح إليه في حالة إعيائه ونصبه وظلمته عند ثوران شهواته ولذاته وهنات نفسه وهواه المضلّ، وطبعه المجبول على التثبط والتوقف عن السير في الطريق قال الله عزّ وجل: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**. سورة العنكبوت، وقال الحكيم: "من طلب وجدّ وجد".

فبالاعتقاد يحصل له علم الحقيقة، وبالاجتهاد يتفق له سلوك الحقيقة، ثم يجب عليه أن يخلص مع الله عزّ وجل عهداً بأن لا يرفع قدماً في طريقه إليه، ولا يضعها إلا بالله... (أي إلا بالتوكل عليه وبما فيه مرضاته).

فلا ينصرف عن قصده بملامة لائم لأن الصادق لا يرجع، ولا بوجود كرامة فلا يقف معها ويرض بها عن الله عزّ وجل عوضاً، إذ هي حجابه عن ربه ما لم يصل إليه عزّ وجل،

(أي أنه لا يلتفت إلى الخوارق التي تحصل على يديه لأنها تعيقه عن الوصول إلى رضوان الله، فإن انشغل بها قلبه فقد لا يصل إلى الولاية). قال: "فإذا حصل الوصول لا تضره الكرامات، (أي يراها بَعْدَ أن صار ولياً منة من الله وهبة فلا ينشغل بها قلبه عن الذي وهبه سبحانه وتعالى، لأن الانشغال بالعطية عن المعطي قلة أدب، والولي متأدب مع ربه عزّ وجل)".

ثم قال ﷺ كلاما معناه: (أن الولي لا يظهر الكرامات في الغالب إلا بالإذن، لأن من شرط الولاية كتمان الكرامات).

ثم قال: "ولا ينبغى له أن يعرج في أوطان التقصير، ولا يخالط المقصرين والبطالين أبناء قيل وقال، ولا أعداء الأعمال والتكاليف المدعين للإسلام والإيمان الذين قال الله عزّ وجل في حقهم: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**.سورة الصف

وينبغي له أن لا يضنّ ببذل الميسور، ولا يبخل بالموجود، خوفاً أن ينال مثله للإفطار والسحور، ويقطع في نفسه وبقلبه علماً بأن الله لم يخلق ولياً له في سالف الدهور بخيلا ببذل الميسور.

وينبغي له أن يرضى بالذل الدائم وحرمان النصيب، والجوع والخمول (أي عدم حب الظهور يعنى يرضى بالخفاء) وذم الناس له، (أي لا يتأثر بذم الناس له كما لا يتأثر بمدح الناس له).

قال: وَتقديم أضرابه وأشكاله وأقرانه عليه في الإكرام والعطاء، والتقرب عند الشيوخ ومجالس العلماء، فيجوع هو والجماعة يشبعون، والكل أعزاء ونصيبه الذل، ويعز الجميع ويكون يستخير لنفسه الذل ويجعله نصيبه.

ومن لم يرض بهذا ويوطن نفسه عليه فلا يكاد أن يفتح عليه ويجيء منه شيء، فالنجاح الكلى والفلاح فيما ذكرنا، وينبغي له أن لا ينتظر من الله مطلوباً سوى المغفرة لما سلف من الذنوب والعصمة فيما يأتي من الدهور، والتوفيق لما يحبه من الساعات ويوصله إليه من القربات، ثم الرضا عنه في الحركات والسكنات، والتحبب إلى الشيوخ من الأولياء

والأبدال، إذ ذاك سبب لدخوله في زمرة الأحباب ذوى العقول والألباب، الذين عقلوا من رب الأرباب، واطلعوا على العبر والآيات، فصفت حينئذ القلوب والضمائر والنيات، فهذا الذي ذكرته صفة المريد، فإذا ما تجرد قلبه عن جميع الطلبات والمآرب، وينتفى عن غيرها مما ذكرنا من الحوائج والمطالب، لا يكون مريداً على نعت الاستحقاق.

أدب المريد مع شيخه:

ومن كلامه ﷺ في آداب المريد مع الشيخ قال: وأما آدابه مع الشيخ فعليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه ، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصماً على نفسه لشيخه أبداً، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهراً وباطناً، ويكثر قراءة قوله عز وجل:**﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾**.سورة الحشر

وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يصرح به لئلا ينفر به عليه، وإن رأى فيه عيباً من العيوب ستره عليه، ويتأول للشيخ في الشرع، فإن لم يجد له عذراً في الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم والتيقظ والعصمة والحمية ، ولا يعتقد فيه العصمة ، ولا يخبر أحداً به وإذا رجع إليه يوماً آخر أو ساعة أخرى يعتقد أن ذلك قد زال، وأن الشيخ قد نقل إلى ما هو أعلى رتبة ولم يقر عليه، إنما كان ذلك غفلة و حدثاً.

ملاحظة:

إن كلام سيدي الشيخ هنا هو في حق الشيخ الكامل الذي توفرت فيه شروط الإرشاد، أما إن كان هذا المتصدر للإرشاد ليس أهلاً كأن كان ممن يصرون على المعاصي أو كان مخالفاً لمسألة في الأصول والاعتقاد كأمثال بعض المتصدرين في أيامنا ممن خالفوا الأصول بجهلهم حتى إن بعضهم ما تعلم أحكام الطهارة أو الصلاة فتراه لا يعرف شيئا إلا قال فلان يعني يحكي القصص والكرامات التي قد لا يكون بعضها صحيحاً، حتى لو كان الرجل فقيهاً لكنه متعلق بالدنيا ليس زاهداً ولا مؤدَباً فليس أهلاً للإرشاد، إنما هذا وأمثاله ممن تعلموا الضروريات ليس لهم أن يتصدروا للإرشاد والتعليم إلا للضرورة كما قال سيدي الشيخ عبد القادر في إحدى مواعظه عن هؤلاء: "ليس لأحدهم أن يتصدر للإرشاد إلا بعد التأهل والإذن، إلا أن يكون في نحو قرية ليس فيها عالم فحينئذٍ يعلم للضرورة" أو كما قال، في كتاب الفتح الرباني. وقال ﷺ في كتابه أدب المريد: "إذا علم المريد الخطأ على الشيخ فلينبهه، فإن رجع عن خطئه فذاك الأمر، وإلا ترك قوله واتبع الشرع".

وقال الشيخ أحمد الرفاعي ﷺ: "سلم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع، فإن خالفوا الشرع فاتركهم واتبع الشرع"، وهذا موافق للحديث الصحيح الذي رواه الطبراني في الأوسط أن رسول الله ﷺ قال:" **ما منكم من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله**". وفي رواية: **"إلا النبي"** ﷺ، حسنه الحافظ العراقي. فالمتصدرون للناس من هؤلاء المخالفين يجب تركهم والتحذير منهم.

ونعود إلى الكلام عن آداب المريد:

قال ﷺ: "وإذا غضب الشيخ وعبس في وجهه أو ظهر منه نوع إعراض عنه لم ينقطع عنه، بل يفتش باطنه وما جرى منه من سوء الأدب في حق الشيخ أو التفريط فيما يعود إلى أمر الله عزّ وجلّ، من ترك امتثال الأمر وارتكاب النهي، فليستغفر ربه عزّ وجل وليتب إليه، ويعزم على ترك المعاودة إليه، ثم يعتذر إلى الشيخ ويتذلل له ويتملقه، ويتحبب إليه بترك المخالفة له في المستقبل، ويداوم على المرافقة له، ويواظب عليها فيجعله وسيلة وواسطة بينه وبين ربه عزّ وجلّ، وطريقاً وسبباً يتوصل به إليه،

كمن يريد الدخول على مَلِك ولا معرفة له به، فإنه لا بد له من أن يصادق حاجبا من حجابه، أو واحداً من حواشيه وخواصه، ليبصره بسياسة الملك ودأبه وعادته ويتعلم الأدب بين يديه والمخاطبة له، وما يصلح له من الهدايا والطرائف مما ليس مثلها في خزانته، ومما يؤثر الاستكثار منه، فليأت البيت من بابه ولا يتسلق من ورائه من غير بابه، فيلام ويهان، ولا يبلغ الغرض من الملك ولا المقصود منه، ولكل داخل دهشة لا بد له من مذكر ومن يأخذ بيده فيقعده موضع مثله، أو يشير إليه بذلك لئلا تتطرق إليه المهانة، ولا يشار إليه بسوء الأدب والحماقة، وليتحقق بأن الله عزّ وجل أجرى العادة بأن يكون في الأرض شيخ ومريد، صاحب ومصحوب، تابع ومتبوع من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة.

ثم ذكر كلاماً طويلاً معناه:" أنه لا بد من معلم يأخذ بيدك ويقودك إلى النجاة، وأن آدم عليه السلام الله تعالى علمه الأسماء كلها حتى صار كالشيخ بالنسبة إلى الملائكة ثم لما نزل إلى الأرض أرسل إليه جبريل عليه السلام ليعلمه أمور العبادات، وكذلك كل الأنبياء مع كونهم أفضل المخلوقات أرسل إليهم سيدنا جبريل بالوحي ليعلمهم ومن بينهم أفضل مخلوقاته سيدنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿**علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى**﴾.سورة النجم، أي جبريل عليه السلام، فمعنى كلام الشيخ عبد القادر قدس سره، لا بد من شيخ كامل ليعلمك ويؤدبك لتبلغ المعالي مع الموافقة له.

وذكر أنه ما زال الأكابر من عصر الصحابة إلى عصرنا ما بين شيخ ومريد وتابع ومتبوع، فلا تتكبر عن أن يكون لك شيخٌ يعلمك ويربيك.

ثم قال: "فالمشايخ هم الطريق إلى الله عزّ وجلّ والأدلاء عليه، فلا بد لكل مريد لله عزّ وجلّ من شيخ على ما بينا، إلا على الندور والشذوذ، فيجوز أن يصطفي الله عبداً من عباده، فيتولى تربيته وحراسته عن الشيطان وهنات النفس والهوى...

إلا أنَّا بيَّنَّا ما هو الأغلب والأكثر والأسلم والأحسن، فلا ينبغي له أن ينقطع عن الشيخ حتى يستغني عنه بالوصول إلى رضوان ربه عزّ وجل، فيستغني بربه عن غيره، فحينئذ ينقطع عن الشيخ، إلا عن صريح وخبر بين، إلا ما يتفق مجيء الشيخ إليه، أو الملاقاة له

في طريق أو جامع، كل ذلك حفظاً للحال، واستغناء بالرب، وغيرة على الحال وملازمة لها،

وقال ﷺ: "ومن آداب المريد: أن لا يتكلم بين يدي شيخه إلا في حالة الضرورة، وأن لا يظهر شيئاً من مناقب نفسه بين يديه، ولا ينبغي له أن يبسط سجادته بين يدي الشيخ إلا في وقت أداء الصلاة، فإذا فرغ من صلاته طوى سجادته في الحال، ويكون متهيئاً لخدمة شيخه ومن هو قاعد على بساطه، ويجتهد في اجتناب بسط سجادته فوق سجادة من هو فوقه في الرتبة، وإدناء سجادته من سجادته إلا بأمره، فإن ذلك عندهم سوء أدب، وينبغي للمريد إذا جرت مسألة بين يدي الشيخ أن يسكت، وإن كان عنده فصل وإشباع جواب فيها، بل يغتنم ما يفتح الله على لسان شيخه فيقبله ويعمل به، وإن رأى في جوابه نقصانا وقصوراً فلا يرّد عليه، بل يشكر الله تعالى على ما خصه من فضل وعلم ونور، ويُخفي جميع ذلك في نفسه...

وينبغي للمريد أن لا يتحرك في حال السماع بين يدي الشيخ إلا بإشارة منه عليه، ولا يرى من نفسه البتة حالا إلا أن ترد غلبة تأخذه عن التمييز والاختيار، فإذا سكنت فورته فليعد إلى حال سكوته وأدبه ووقاره وكتمان ما أولاه الله عزّ وجل من سره.

وقد بين الشيخ ﷺ أنه لا يرى السماع بالقصب والرقص وبما فيه مخالفة للسلف.

قال: إلا أنا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج به أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم، ولا ينكر أن يكون فيمن يفعل ذلك صادق، فيكون معنى ما قد سمع مهيجا لنائرة صدقه ومثيراً لها، فيشتغل بنائرته ويغيب فيها، فتتحرك أعضاؤه وجوارحه بين القوم وهو في معزل عما القوم فيه من لذة الطباع والأهوية، وتذكار كل واحد قرب من معشوقه ممن قد مات وطال به عهده، ومن هو حيّ غائب عنه فاشتد شوقه.

والمريد الصادق نائرته غير خامدة وشعلته غير هامدة، ومحبوبه غير غائب، فهو أبداً في زيادة دنو وقرب، ولذة ونعيم، فلا يغيره ويهيجه عن حالته غير كلام مراده.

ففي ذلك عنده مندوحة عن الأشعار والقيانة والأصوات، وصراخ المدعين شركاء الشياطين، ركاب الأهوية مطايا النفوس والطباع، أتباع كل ناعق وزاعق.

قال:" وينبغي للمريد أن لا يعارض أحداً في حال سماعه، ولا يزاحم أحداً في وقته في التقاضي على الذي ينشد الزهديات المرقات المشوقات إلى الجنان والحور، ورؤية الحق تعالى في الآخرة. المزهدات في الدنيا ولذاتها وشهواتها وأبنائها ونسوانها، المشجعات على الصبر على آفاتها ومحنها وبلائها، وإدبارها عن أبناء الآخرة، وإقبالها على أبنائها وغير ذلك، فليكل جميع ذلك إلى الشيخ الحاضر، فإن القوم في ولاية الشيخ.

قال ﷺ: وينبغي له إذا أراد أن يتأدب بشيخ أن يكون له إيمان وتصديق واعتقاد أن لا أحد في تلك الديار أولى منه، حتى ينتفع به فيما هو مرامه، وأن يقبله الله عزّ وجل ويحفظ سرّه في خدمته مع الله تعالى في عقد إرادته، بحفظه حتى لا يجرى على لسان شيخه إلا ما هو الأولى بشأنه، ويحذر مخالفته جداً، لأن مخالفة الشيوخ سم قاتل فيها مضرة عامة.

ويجتهد أن لا يكتم من شيخه شيئاً من أحواله وأسراره، ولا يطلع أحداً سواه على ما يأمره شيخه. ولا ينبغي له أن يجتمع إلى طلب الرخصة أو يرجع إلى شيء تركه لله عزّ وجل.

وعليه الانقياد لالتزام ما يأمر به شيخه من التأديب على مقتضى سوء أدبه، فإن وقع منه تقصير في القيام بما أشار إليه شيخه، فعليه تعريف ذلك لشيخه ليرى فيه رأيه، ويدعو له بالتوفيق والتيسير والفلاح، (قلت ومن آداب المريد أن لا يرفع صوته بحضرة شيخه وأن لا يجلس في مكان الشيخ الخاص به، ولا يجلس إذا كان الشيخ قائماً حتى يجلس الشيخ، ولا يتصرف بحضرته إلا بإذنه أو إشارته، وإذا كان الشيخ عابساً فلا يظهر البسط، وإذا مازح الشيخُ المريدَ جاراه مع لزوم الأدب)...

آداب الصحبة مع الإخوان

قال سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر قدس الله سره العزيز أما الصحبة مع الإخوان فبالإيثار والفتوة والصفح عنهم والقيام معهم بشرط الخدمة، لا يرى لنفسه على أحد حقاً، ويرى لكلّ أحد عليه حقاً ولا يقصر في القيام بحقهم.

ومن الصحبة بهم إظهار الموافقة لهم في جميع ما يقولون أو يفعلون (ما لم يكن منهيا عنه) ويكون أبداً معهم على نفسه ويتأول لهم ويعتذر عنهم، ويترك مخالفتهم ومنافرتهم ومجادلتهم ومشادَّتهم، ويتعامى عن عيوبهم، فإن خالفه أحد منهم في شيء سلم له ما يقول في الظاهر، وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقوله، ويجتنب فعل ما يكرهونه وإن علم فيه صلاحهم (يعني ينتظر حتى يتهيأوا لذلك إن كان فيه صلاحهم)

فلا ينطوي لأحد منهم على حقد، وإن خامر قلب واحد منهم كراهة له، تخلق معه بشيء حتى يزول ذلك، فإن لم يزل زاد في الإحسان والتخلف حتى يزول، وإن وجد هو في قلبه من أحد منهم استيحاشاً وأذيةً بغيبة أو غيرها فلا يظهر ذلك من نفسه ويرى من نفسه خلاف ذلك.

ومن آداب الصحبة مع الأجانب(أي الذين ليسوا من أهل الطريق)

قال ﷺ: "وأما الصحبة مع الأجانب فيحفظ السر عنهم، وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة، وأن يسلم أموالهم إليهم، ويستر عليهم أحكام الطريقة، ويصبر على سوء أخلاقهم، وترك معاشرتهم ما أمكنه، وأن لا يعتقد لنفسه عليهم فضيلة ويقول:إنهم من أهل السلامة فيتجاوز الله عنهم.

ويقول لنفسه: أنت من أهل المضايقة، فتطالبين بالنقير والقطمير والحقير والكبير، وتحاسبين على الكبير والصغير، وإن الله تعالى يتجاوز للجاهل ما لا يتجاوز بمثله من العالم، (يعنى أن الجاهل يتجاوز عنه ببعض المسائل وليس بالجهل الكلي لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، أيضاً صاحب الطريق يعرف من الحقائق ما لا يعرفه غير السالك فيعذر هذا العامي في بعض المسائل التي تخفى على أمثاله).

ومن آداب الصحبة مع الأغنياء قال ﷺ:

وأما الصحبة مع الأغنياء فبالتعزز، وترك الطمع فيهم، وقطع الأمل مما في أيديهم، وإخراج جميعهم من قلبك،وحفظ دينك من التضعضع لهم لنوالهم، فنعوذ بالله من فعل ينقص به الدين، وصحبة أقوام ينثلم بهم الدين، وتنقطع عراه، ويطفئ نور الإيمان شعاع أموالهم وبريق دنياهم، غير أنك إذا ابتليت بصحبتهم في سير أو سفر أو مسجد أو رباط مجمع، فحسن الخلق أولى ما يستعمل، وهو حكم عام شامل في صحبة الأغنياء والفقراء، فلا ينبغي لك أن تعتقد لنفسك فضيلة عليهم، لتتخلص من الكبر، ولا تطلب لنفسك فضيلة الفقر، ولا ترى لها قدراً ولا وزنا كما قيل: من جعل لنفسه قدراً فلا قدر له ومن جعل لها وزنا فلا وزن له.

فأدب الغني بالإحسان إلى الفقير، وهو إخراج المال من كيسه إليه، ويكون فارغاً من ماله مستخلفاً فيه غير متملك له، وأدب الفقير إخراج الغنى من قلبه، ويكون قلبه فارغاً من الغني وماله، ولا يجعل لشيء من الأشياء في قلبه موطنا ومحلاً ومدخلاً، بل يتصفى من ذلك كله ويخلو منه، ثم يترقب امتلاءه بربه (أي امتلاءه بمحبة ربه) عزّ وجل، فيأتيه عند ذلك فضل الله عزّ وجل فحينئذ يحصل الغنى به عزّ وجل من غير تعب ولا هم.

ومن آداب الصحبة مع الفقراء قال ﷺ:

وأما الصحبة مع الفقراء فبإيثارهم وتقديمهم على نفسك في المأكول والمشروب والملبوس والملذوذ والمجالس وكل شيء نفيس، وترى نفسك دونهم، ولا ترى لها عليهم فضلاً في شيء من الأشياء البتة.

عن أبي سعيد بن أحمد بن عيسى قال: "صحبت الفقراء ثلاثين سنة ولم يجر بيني وبينهم كلام قط تأذّوْا به، ولا جرى بيني وبينهم منافرة استوحشوا منها، قيل له: كيف ذلك؟ قال: لأني كنت معهم على نفسي أبداً، وإذا دخلت عليهم أدخلت عليهم سروراً ورفقاً، واستعملت معهم خُلُقاً هدية وأدباً وسبباً من الأسباب".

فلا ترى بذلك لك عليهم فضلاً، بل تتقلد منهم مِنّةً في قبولهم ذلك منك، واحذر أن تمن عليهم بذلك أو تراه منك، بل اشكر الله عزّ وجل على ما أولاك من توفيقه على تيسير

ذلك، وجعلك له أهلاً لخدمة أهله وخاصته وأحبابه، فإن الفقراء الصالحين هم أهل الله وخاصته.

قال قدس سره العزيز: ومن آداب الصحبة مع الفقراء أن لا تحوجهم إلى مسألتك.

ومن الأدب مع الفقير: مراعاة قلبه بتعجيل مراده دون تنغيص الوقت عليه بطول الانتظار، لأن الفقير ابن وقته.

ومن الأدب معهم: الصبر على ما يذكر الفقير من حاله، وأن تتلقاه في حال ما يخاطبك بوجه طلق مستبشر، ولا تلقاه بالعبوس ولا بالنظر الشزر ولا بالكلام الوحش، وإذا طالبك بما لا يحضر في الوقت فاصرفه بالوجه الجميل إلى مساعدة الإمكان، ولا توحشه بيأس الرد على الجزم لئلا يعود بحشمة الإخفاق وعدم الإصابة بحاجته عندك، والندم على إفشاء سره إليك حسيراً، وربما يغلب عليه طبعه، وتستولي عليه نفسه، فيظهر عليه الجهل بحاله والسخط عليك، والاعتراض على الربّ عزّ وجل فيما قسم له من الفاقة إلى الخلق والتبذّل لهم، فيعمى قلبه وينطفئ نور إيمانه.

وربما حجب أيضاً عن الثواب والمعارف والعلوم والمصالح المدفونة في سؤاله للخلق، التي لو صبر وأحسن الأدب ظهرت، وارتحل السؤال للخلق وحصل غنى اليد والقلب والبيت، وجاءته عساكر فضل الله وآلائه ونعمائه، وتحقق فيه قوله عزّ وجل: ﴿**وهو يتولى الصالحين**﴾. وجُعِلَ مصوناً مغاراً عليه، وهو غنيّ عن الأشياء بخالقها وتأتيه الأشياء وهو لا يأتيها، يقصده القاصدون فينالون من أنواره وسره، ويطيبون بطيبه، وهو لا يشعر بهم في غيب عنهم، مشغول بمولاه وجاذبه الذي جذبه إليه، وأنقذه من ظلمات مخالطة الخلق وموافقة النفس ومتابعة الهوى، والتقيد بإرادة الأشياء دنيا وأخرى: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون**﴾ [سورة يس] أهل الجنة لما باعوا في الدنيا أنفسهم وأموالهم لربهم بالجنة كما قال جل وعلا: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ [سورة التوبة] وصبروا على الإفلاس في الدنيا وردّوا التصرف في الأنفس والأموال والأولاد إلى ربهم عزّ وجل، وسلموا الكل إليه جل جلاله، وامتثلوا الأوامر وانتهوا عن النواهي وسلموا في المقدور، وتحرزوا من الخليقة، وتجوهروا عن الإرادة والأماني،

والهمم في الجملة أدخلهم الجنة فشغلهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال جل وعلا: **﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾**. فهكذا الفقير إذا فعل ذلك في الدنيا ويتحقق بظاهر القرآن حصول الجنة له، وينقل إلى ما قسم له من الغنى والعز الدائم بقرب مولاه.

ومن آداب الفقير في فقره قال ﷺ:

"فينبغي للفقير أن تكون شفقته على فقره كشفقة الغني على غناه، فلا يتعرض بالمعايش والاكتساب والأسباب للاستغناء والتكثر بالمال لا لعيال، وعفة النفس عند الضيقة، ومن شرط الفقير أن يقف مع كفايته ولا يأخذ فوقها، ويكون أخذه لذلك القدر امتثالاً لأمر الله تعالى وخوفا من الوقوع في الإثم، وهو القوت من الطعام والشراب والكسوة والقدر الذي تقوم به البنية، ولا يضعف عن أداء الأوامر من الإتيان بشرائط الصلاة وأركانها وواجباتها وكل واجب...

وينبغي أن يكون استلذاذه بفقره أكثر من استلذاذ الغني بوجود غناه، وينبغي له أن يؤثر ذله وخموله وعدم قبول الناس له على قصدهم إليه وازدحامهم لديه.

ومن شرطه أن يكون قلبه أقوى بصفاء الحال عند خلوِّ يده من المال، فكلما قلّ الفتوح كثر طيب قلبه وقوته ونوره، وازداد فرحه بشعار الصالحين.

وأما إذا أظلم ذلك قلبه وأوحشه وأسخطه على ربه، فليعلم أنه مفتون قد أحدث في فقره ذنباً عظيماً، فليتب إلى الله عزّ وجل، ويخلد إلى التفتيش والتنقير ولوم النفس.

ومن حق الفقير أن يكون كلما كثر عياله كان قلبه في باب أمر الرزق أسكن وبربه أوثق، يمتثل أمر ربه في الكسب لهم في الظاهر، ويسكن إلى وعد ربه في الباطن، ويقطع بأن لهم رزقا عند الله قد وعد به وقدره، وهو سائقه إليهم على يده أو يد غيره، ولا يعترض ولا يسخط ولا يتهم الربَّ، ولا يشك في وعده، ولا يشكو إلى أحد بل تكون شكواه إلى ربه وإنزال حاجته به عزّ وجل، وسؤاله له عزّ وجل في توفيقه بالصبر وأداء الأمر في حقهم، والرضا بما قضى عليهم بإضاقتهم، وإلزامه له مؤنتهم، ويسأله تسهيل رزقهم وتيسيره، فهو قريب مجيب، إنما يبتلي عبده ليرده بالبلية إليه عزّ وجل، لأنه يحب الملحين له بالسؤال، لأن بالسؤال

يتميز الرب من المربوب والسيد من العبد والغني من الفقير، ويخرج العبد من الكبر والاستنكاف والتعظيم والنخوة إلى التواضع والذلة والافتقار، فإذا تحقق ذلك من العبد تحققت الإجابة سريعاً عاجلاً مع ما يدخر له من الثواب في العقبى".

قال ﷺ: "ومن آدابه: أن لا يكون له همٌّ في الوقت المستقبل، بل يكون بحكم وقته لا يتطلع للوقت الثاني،بل يحفظ الحال وحدودها وشرائطها وآدابها مطرقاً غاضاً عما سواها، لا أعلى منها ولا دونها، ولا يشره إلى حال غيره، وربما كان هلاكه فيها وهي لأهلها سلامة ونعمة كالأغذية، فمن الأغذية ما يزيد لشخص عافية ولآخر سقما وبلاء، فلا ينبغي للمريض أن يتناول شيئاً منها إلا بأمر الطبيب، فكذلك ينبغي للفقير أن لا يختار حالة لنفسه حتى يدخل فيها من غير أن يكون هو فيها، بل يفعل للمولى عزّ وجل، قدراً محضاً وإرادة مجردة، لا يحلّ نفسه في شيء من الحالات والمقامات وينْزلها به فيضلّ ويردى، حتى يأتيه أمر الذي أمات وأحيا، وينقله منها الذي منع وأعطى، وأفقر وأغنى، وأضحك وأبكى، لأن ذلك أليق به، وإلى ربه أقرب وأدنى، هكذا تقدم ومضى أمر من سلف من أولى العلم من أهل الطريقة، فيما خلا فيهم الاقتداء، وإلى ربّ الخليقة المنتهى.

قال: ومن أدب الفقير (أي الصوفي): أن يكون مستعداً لورود الموت متهيئاً له منتظراً مترقباً في الساعات كلها ليكون ذلك عونا له على الرضا بفقره وحمل ما حلّ به من الأذى، لأنه به يقصر الأمل وتنكسر النفس ويزول منها وهج شهوات الدنيا، قال النبي ﷺ: **"أكثروا ذكر هاذم اللذات"**.رواه الترمذي

ومن آدابه: أن يخرج من قبله ذكر المخلوقين.

ومن آدابه: أن يتخلق مع الغنى إذا دخل عليه بما تصل يديه إليه من القوت أو الفاكهة وإن كان شيئاً يسيراً، لأنه بقلبه محترز عن الأسباب فهو بالإيثار أولى من الغني الذي هو في أسر غناه إلا أن يكون ذا عيال في ضيقة، فلا يضيق على عياله بإيثاره ذلك للغنى، إلا أن يكون يعلم من عياله الإيثار وطيب النفس بذلك والموافقة والصبر والرضا والمعرفة واليقين، والأنوار تظهر من قلوبهم على ألسنتهم وجوارحهم وأنفسهم فحينئذ لا يبالي في البذل والمنع والإيثار والإمساك.

ومن أدب الفقير: أن لا يترك الاحتياط في الورع في حال ضيق اليد، فلا يخرج إلى ما لا يحلُّ في الشرع لفقره، فيخرج من العزيمة إلى الرخص، فإن الورع ملاك الدين، والطمع هلاكه، وتناول الشبهات فساده.

كما قال بعض الصالحين: من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام وهو لا يدرى". فعليه أن لا يخلد إلى التأويلات في دينه في حالة فقره، بل يرتكب الأحوط الذي هو العزيمة.

قال ﷺ: فمن أدب الفقير ترك السؤال للخلق ما دام يجد عنده ما يكفيه، فإن ألجأته الضرورة والحاجة المحوجة، فيسأل بقدر الحاجة، فحينئذ يسلم له السؤال، وينبغي أن لا يسأل لأجل نفسه ما أمكنه بل لعياله، ومن شرط سؤاله للخلق أن لا يراهم، بل تكون إشارته إلى الله عزّ وجل، ويرى الخلق كالوكلاء والأمناء، فلا يتخذهم أرباباً من دون الله عزّ وجل، فيكون معنى سؤاله لهم إخباراً بحاله وعياله لا شكوى من ربه،...

ثم إن أعطي شكر وإن مُنع صبر، هكذا تكون صفات الفقير الصادق، ولا يستوحش بالردّ ولا يتغير فيسخط ويعترض ويذم الراد له فيظلمه...

بل يرجع إليه عزّ وجل، فيسأله التيسير والتسهيل، ليسخر له القلوب ويذلّ له الصعاب، ويدر له الأرزاق ويسوق إليه الأقسام، ويرفع عنه الجوع والعذاب والتبذل إلى العبيد، ولعله قبض أيدي الخلق عنه بالعطاء ليرده إليه، فيلازم الباب ويرفع بدعائه وتضرّعه الحجاب، فيكون هو المعطي له دون العباد.

ومن آداب المريد في عشرته مع إخوانه قال ﷺ:

وينبغي له أن يحسن العشرة مع إخوانه، فيكون منبسط الوجه غير عبوس، ولا يخالفهم فيما يريدون عنه بشرط أن لا يكون فيه خرق للشرع ومجاوزة للحد وارتكاب للإثم، بل يكون مما أباحه الشرع وأذن فيه الربّ، ولا يكون ممارياً ولا لجوجاً، ويكون أبداً مساعداً للإخوان على الشرط الذي ذكرنا ومتجملا عنهم ما يخالفونه فيه، ويكون صبوراً على أذاهم غير حقود، ولا ينطوي لأحد منهم على سوء وغشّ ومكر غير مغتاب لهم في حال غيبته، ولا يكون سيئ المحضر، ويذبّ عن أخيه في حال غيبته، ويستر العيوب على إخوانه ما أمكنه، وإن مرض أحد

منهم عاده، فإن شغله عن ذلك شاغل مضى إليه فهنأه بالعافية، وإن مرض هو ولم يعده أحد إخوانه اعتذر عنه، فإذا مرض لم يقابله بذلك، بل يعوده، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، وإذا أساء أحدهم إليه اعتذر عنه عند نفسه، ويرجع بالملامة على نفسه، ولا يرى ملكه ممنوعاً عن غيره من الإخوان، ولا يتحكم في ملكهم بغير إذنهم، ولا ينسى الورع في جميع حركاته وسكناته، وإن انبسط معه أحد من إخوانه في شيء من ماله أجابه إلى ذلك مسرعاً مستبشراً فرحاً مسروراً متقلداً منه في ذلك منة، حيث جعله أهلاً لمباسطته معه وإنزال حاجته به، ولا يستعير من أحد شيئاً إن أمكنه، وإن استعار أحد منه شيئاً لا يسترده ما أمكنه، لأنه ما استعار منه إلا لحاجته، ولا يليق بالفتوة استرداد المعار. كما لا يحسن في الشرع استرجاع الهدية والهبة، فإن لم يقدر على ذلك فليسرع إعارته ولا يمنعه من ذلك ولو كل يوم، إذ لا يليق بحاله أن ينفرد عن أحد من الناس بماله، لأنه أمين ليس في رق شيء من الأشياء فلا يملكه شيء، بل يرى الأشياء التي في يده ملكاً لله عزّ وجل وهو وبقية الناس عبيداً لله عزّ وجل.

وأما ما كان في يد الغير فيستعمل فيه بحكم الشرع والورع وحفظ الحدود، لئلا يصير في زمرة الإباحية الزنادقة.

وينبغي له إذا مسته محنة أو فاقة أن يستر حاله عن إخوانه ما أمكنه، لئلا يشغل قلوبهم بسببه، فيتكلفوا له، وكذلك إن مسه هم أو أصابه حزن لا يظهر ذلك لإخوانه، ولا يشوّش عليهم ما هم فيه من الفرح والسرور والراحة ولذة العيش، وإنَ رأى إخوانه نازلا بهم هم وغم وقد أظهروا فرحاً وسروراً، ساعدهم في الظاهر من إظهار النشاط والاستبشار، ويكتم عنهم ما هم فيه من الاستيحاش والحزن والهم، فلا يقابلهم بما يكرهون، ولا يختلف عنهم في شيء من ذلك.

وينبغي له في أدب حسن العشرة إذا استوحش من شيء أن يتكلم في حسن الخلق، ويرد قلبه إليه لتزول وحشته، وينبغي له أن يعاشر كل أحد من حيث هو لا يكلفه مجاوزة حدّه وموافقته، بل يتابعه هو فيما عليه ذلك الإنسان ما لم يكن فيه خرق للشرع، فيحدث الناس

على قدر عقولهم، وينبغي له أن يعاشر من دونه بالشفقة عليه ومن فوقه بالإجلال ومن هو مثله بالإفضال والإيثار والإحسان.

ومن آداب المريدين فيما بينهم قال ﷺ:

من ذلك إذا وطئ أحد منهم سجادته بقدمه لا يستوحش منه، ولا يضع قدمه على سجادة غيره، ولا يبسط سجادته على سجادة من هو فوقه في الرتبة، ولو مدَّ أحد يده إلى كتفه لا يمنعه، ولا يمد هو يده إلى كتف غيره، ولا يستخدم أحداً من الفقراء، ويخدم هو بنفسه كل أحد، ولا يغمز أرجل الفقراء، ولو أراد أحد أن يغمز رجله لا يمنعه، وإذا دخلوا الحمام فلا يمكنون القيم من دلكهم، ولو أراد بعضهم دلك بعض أمكنه منه ولا يمنعه، وإذا نظر فقير إلى شيء من خرقته أو سجادته أو غير ذلك فليدفعه إليه في الوقت وليؤثره به، ولا ينبغي أن يجعل الفقراء في انتظاره عند الأكل، وكذلك في كل شيء، لا يؤذي قلب أحد بأن ينتظره ما أمكنه، فإن المنتظر مستثقل، وإذا لم يكن الطعام كثيراً فلا يأكل إلا بعد ما يفضل منهم، ويجتهد في تقديم الطعام إلى الفقراء، بأن يكون أنظف ما يمكنه وأوفق لهم، وإن كان في قوم فلا ينبغي أن ينفرد عنهم بأكل شيء ولا بأخذ شيء، فإن فتح له بشيء ينبغي أن يطرحه في الوسط، وإن مرض وهو بين قوم فاحتاج إلى تخصيصه بدواء، فينبغي له أن يستأذن الجماعة في ذلك. أما إذا نزل برباط أو مدرسة وفيها شيخ أو خادم، فينبغي أن يكون بحكم ذلك الشيخ، ولا يفعل شيئاً إلا باستطلاع رأيه، وإذا ورد على قوم فينبغي أن يوافقهم على ما هم عليه، ولا ينبغي أن يرفع صوته بين الفقراء بتسبيحه وقراءته، بل يخفي ذلك عنهم ويستتر به أو ينقل ذلك إلى تفكر واعتبار عبادة باطنة، وإن كان من الخواصّ ذوى الأسرار فلا كلفة عليه في ذلك، لأن ربه يتولاه ويهيئ له، ويسخر له قلوب الجماعة ويعطفها عليه ويملؤها من حبه تارة وهيبته واحترامه أخرى.

وكذلك لا ينبغي أن يرفع صوته بغير ذلك من الكلام بينهم، وإذا كان بين قوم فينبغي أن لا يسارَ أحدا دونهم، ولا يتكلم بين الفقراء بشيء من حديث الدنيا والمأكولات ما أمكنه، وأن لا يكتب بين الفقراء شيئاً ما أمكنه ووجد من ذلك بداً، بل يشتغل بالعمل المكتوب ومراقبة قلبه وحفظ حاله والتفكر فيهما، ولا يكثر من النوافل بين أيديهم.

ولا ينام بين الفقراء وهم أيقاظ، إلا أن يغلب عليه النوم، فينفرد عنهم ويضطجع بقدر ما تنكسر فورته، ولا ينبغي له أن يتقدم بمشيئة شيء واختياره على الفقراء إذا أمكنه، وإن طالبه الفقير بشيء فلا يرده ولو بقليل، ولا يؤذي قلبه بطول الانتظار، وإذا شاوره أحد فلا يعجل عليه بالجواب فيقطع عليه كلامه، بل يمهله حتى يُنهي جميع ما في قلبه، ولا يجيبه بالردّ والإنكار، فإذا فرغ من ذلك ورآه غير صواب قابله أولا بالموافقة، وقال: هذا وجه، ثم يبين له ما هو أصوب منه عنده برفق لا بمخاشنة ووحشة، ومن آدابهم أن لا يمدحوا الطعام حال الأكل ولا يذموه.

ومن آدابهم عند الأكل قال:

من ذلك أن لا يأكلوا بالشره ولا على الغفلة، بل يذكرون الله عزّ وجل بقلوبهم عند الأكل ولا ينسونه، ومن ذلك أن لا يمدّوا أيديهم عند الطعام قبل من هو فوقهم، ومن ذلك أن لا يقولوا لغيرهم كل،ولا يضعوا مما بين أيديهم شيئاً بين أيدي غيرهم، لا على طريق الخدمة ولا على طريق الانبساط إلا صاحب الطعام، فإنه سلم له ذلك لأنه نوع خدمة منه.

وإذا أقعد موضعاً فلا يختار غيره ويقعد حيث يؤمر، ولا يرفع يده من الطعام ما دام يأكل من معه لئلا يحتشم صاحبه فيحمله على الامتناع.

ولا ينبغي أن يرفع الطعام من بين يدي الفقير ما دام يأكل وما دام عينه عليه، وساعد الأصحاب على الأكل بقدر ما لا يكون مخالفة وإن لم يكن به شهوة.

ولا ينبغي أن يلقم على المائدة أحداً، وإن عرض عليه الماء لا يردّ الساقي ولو بقطرة واحدة، ولو قام صاحب الطعام بالخدمة لا يمنع، ولو أراد صبّ الماء على يده فلا يمنعه.

وينبغي أن يأكل مع الأغنياء بالتعزز، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ولا يخطر الأكل بباله إلا إذا حضر، فحينئذ يأكل ولا يساعد نفسه في اشتهاء شهوة، ولعلها لم تكن مقسومة له، فلا ينالها أبداً فيبقى محجوباً بها عن الله تعالى، ويشتغل بها عن مراقبة حاله، فإذا أَعْرَضَ عن ذلك واشتغل بحاله كان سليما، فإن كانت مقسومة له، ثم حضرت اشتهاها وتناولها وشكر الله تعالى، ولا يجعل الأكل همه ويعلق قلبه به ويجعله حديثه، بل يمهد

مع نفسه بأنها مريضة، ومن حالها الاحتماء عن الطعام والشراب والشهوات حتى يبرأ من المرض، فالمرض هواها وإراداتها ومناها، والربّ عزّ وجل طبيبها ومداويها...

قلت ومن الآداب العامة: "أن لا يأكل حتى يجوع، وأن يجلس معه من صنع له الطعام، ولا يأكل وآخَرُ ينظر إليه، وأن يغسل يده قبل الطعام وبعده وأن ينوى بأكله التقوي على طاعة الله، ولا يأكل قائما ولا ماشيا، ولا مضطجعاً إلا لعذر، وأن يجلس بأن يقيم ركبته اليمنى ويضع اليسرى أو يجلس مفترشاً، وأن يأكل بيده اليمنى، ولا يدخل أصابعه في فمه حالة إدخال اللقمة وأن يأكل بثلاثة أصابع، وأن يتكلم على الطعام ولا يكثر الكلام ولا يمزح، وأن يصغر لقمته ويكثر المضغ، وأن يأكل مما يليه إلا إن كان يأكل مع أهله أومن فاكهة، وأن لا يأكل من الفاكهة إلا ما نضج، ولا يأكل من وسط القصعة أو الإناء، وإذا وقعت منه لقمة تناولها وأماط الأذى عنها وأكلها أو أطعمها لنحو هرة، وأن لا يأخذ لقمة حتى يبتلع ما قبلها، وأن يضم شفتيه عند الأكل، ولا يسرف في الأكل، ويقوم عنه وهو يشتهيه، ولا يأكل من نحو بضعة لحم ويردها إلى الإناء، وأن يأكل من سفرة على الأرض، ولا يعيب مأكولاً ولا يضع الإناء على الخبز، ولا يمسح يده بالخبز، ولا يكثر الشرب مع الطعام إلا لضرورة، وأن يلتقط فتات الطعام، وأن يغسل يديه ويتمضمض، ولا يبتلع ما يخرجه من بين أسنانه من الطعام، وأن يقول بعد فراغه: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا وجعلنا مسلمين، وأن يقرأ سورة قريش والإخلاص".

وإذا كان مع الجماعة وأراد أن ينشط غيره على الطعام فلا يزيد عليه عن ثلاث مرات متفرقات، ولا يحلف عليه بزيادة الأكل، ولا يحوج رفيقه أن يقول له كُلْ، ولا ينقص عن عادته شيئاً مع التزام حسن الأدب، ولا يفعل كل منهم ما يستقذره الآخر، ولا ينفض ما بقي في يده في نحو القصعة، وأن لا يضع فمه فوقها عند وضع اللقمة في فيه، وإذا أخرج شيئاً من فمه نحى وجهه عن الطعام وتناوله بيساره وستره عن رفيقه، ولا يقطع من اللقمة بفمه ثم يغمسها في الطعام، ولا يغمس اللقمة في الدسم ثم في نحو خل ولا في نحو الخل ثم في الدسم، ولا يضع اللحم على الخبز إلا إذا أراد أكله، وإذا غسل يديه بعد الطعام في نحو طست فلا يتنخم فيه إلا إذا كان وحده.

وإذا أراد الشرب فليأخذ الكأس بيمينه ويسمي الله تعالى وأن يشرب مصّاً لا عبًّا، وأن ينظر في الكأس أو الكوز قبل الشرب، وأن يشرب ثلاثاً، وأن يشرب جالساً، ولا يتنفس فيه وأن يسمي عند كل مرة ويحمد الله بعد كل مرة، ولا يتجشأ فيه، وأن يشرب ما فضل فيه من الماء بعد شرب رفيقه، فلا يضع ماء فوقه ثم يشربه، ولا يشرب مِنْ ماءٍ مشمس بمنطبع، ولا من فم المزادة، ولا من ماء مغضوب على أهله كماء ديار ثمود، وإذا أراد الساقي أن يسقي القوم فليبدأ أولاً بأفضلهم ثم يدار يَمْنة، وإذا دُعِيَ إلى ضيافة أحد فَلْيُجِبْ إلا أن يكون معذوراً أو كان في المكان حرام أو فسق، وإذا دعي إلى وليمة عرس فالإجابة واجبة إلا لعذر، وإذا أراد الداعي أن يدعو أحداً فلا يدعو من يشق عليه الإجابة، أومن إذا حضر تأذى منه الحاضرون، ولا يخص بالدعوة الأغنياء، وإذا دعي الرجل فلا يخص بالإجابة الغني دون الفقير، ويعجل للضيف إحضار الطعام، ويؤانس الضيف ويقوم بخدمته بنفسه ويباسطه عند الأكل، ويقدم أولاً الفاكهة، ولا يظهر الغضب أمام الضيف، ولا يجلس الضيف بمجلس صاحب المنْزل، وإذا أمره صاحب المنْزل بمكان لا يخالفه، ولا يجلس في مقابلة باب حجرة النساء، ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يَّخرج منه الطعام، ولا يكثر من الفضول من الكلام، ولا يكثر النظر في البيت، ولا يطيل الإقامة بعد الأكل، وإن كان صائماً فأفطر قال لهُ عند خروجه: "أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلّتَ عليكم الملائكة".

وإذا أراد الضيف النوم عند المضيف بإذنه دله صاحب البيت على بيت الخلاء والماء، وإذا أراد الانصراف استحب لصاحب المنْزل أن يشيعه ويودعه.

وإذا زار أحد صديقه في منْزله من غير دعوة استحب لصاحب المنْزل أن يقدم له ما تيسر عنده من الطعام ولا يتكلف، ولا يقترح الزائر طعاماً لم يكن حاضراً.

وينبغي أن لا يزور أحداً وقت الأكل أو وقت النوم أو وقت انشغال أصحاب البيت بشيء لا ينبغي فيه أن يكون معهم أحد، ولا يزور أحداً في هذه الأوقات إلا لحاجة أو مصلحة، فإذا حضر وكان صاحب البيت يأكل فلا يأكل معه، إلا إذا أذن له أو كان صديقاً، فيأكل قليلاً لأن صاحب البيت قد لا يكون مهيئاً لذلك، وإن علم أنه دُعِيَ للطعام حياءً فلا يأكل ولا يتطفل على الولائم، وإذا دُعِيَ أحد فلا يصحب معه

أحدا لم يدعَ. وإن زار مريضاً فليخفف الجلوس عنده، إلا إذا كان يأنس به المريض، وأن لا يشغل أهل المريض بضيافته وخدمته، لأنهم مشغولون بخدمة مريضهم، وأن يكلمه بما يعينه على الصبر وأن يخفف عنه ما استطاع فلا يكلمه بذكر الموتى وبما يسبب له اليأس، وأن لا يجلس تلقاء وجه المريض، ويدعو للمريض بالشفاء، وليطلب الدعاء من المريض، ولا يزور المريض أو غيره في وقت غير لائق، ولا يدخل البيت حتى يستأذن فيؤذن له، ولا يدق الباب بشدة وإذا سئل من الداخل من أنت؟ فليقل اسمه فلا يقل أنا، ولا يقابل الباب عند الاستئذان بل يقف جانب الباب.

والآداب العامة كثيرة ذكرت منها القليل فعلى كل مسلم أن يتحلى بها بأن يتعلمها ويعمل بمقتضاها، فإنها سلاح كل داع إلى الله تعالى).

وكلام سيدي الشيخ عبد القادر في آداب المريد والسالك كثير أكتفي بذكر ما قدمت، ومن أراد الزيادة فليراجع بعض كتبه وكتب الصوفية المعتمدة التي تتحدث عن هذه الآداب التي هي مبنية على الأسس الصحيحة التي جاءت بها السنة المطهرة.

ومن كلامه ﷺ في وصفه للصوفي: فقد ذكر التادفي الحنبلي في القلائد أنه سئل عن معنى اسم الفقير (أي الصوفي) فقال: ف ق ي ر ثمَّ أنشد:

(البحر الكامل)

فاء الفقير فناؤه في ذاته	**وفراغه من نعته وصفاته**
والقاف قوة قلبه بحبيبه	**وقيامه لله في مرضاته**
والياء يرجو ربه ويخافه	**ويقوم بالتقوى بحق تقاته**
والراء رقة قلبه وصفاؤه	**ورجوعه لله عن شهواته**

ثم قال ﷺ: ينبغي للفقير أن يكون جوال الفكر، جوهري الذكر، جميل المنازعة، قريب المراجعة، لا يطلب من الحق إلا الحق، ولا يتمذهب إلا الصدق، أوسع الناس صدراً وأذل الناس نفساً ضحكه تبسم واستفهامه تعلم، مذكراً للغافل معلما للجاهل، لا يؤذي من يؤذيه ولا يخوض فيما لا يعنيه، كثير العطا قليل الأذى ورعاً عن المحرمات متوقفاً عن

الشبهات، غوثاً للغريب أباًً لليتيم، بشره في وجهه حزنه في قلبه، مشغولاً بفكره مسروراً بفقره، لا يكشف سراً ولا يهتك ستراً، لطيف الحركة نامي البركة حلو المشاهدة سخياً بالفائدة، طيب المذاق حسن الأخلاق، لين الجانب، جوهراً سيالاً نائباً، طويل الصمت جميل النعت، حليماً إذا جهل عليه صبوراً على من أساء إليه، ولا يكن عنده جمود ولا لنار الحق خمود، لا بنموم ولا حسود ولا عجول ولا حقود، يبجل الكبير ويرحم الصغير، أمينا على الأمانة بعيداً عن الخيانة، إلْفُه التقى، خُلُقُه الحياء، كثير الحذر مداوم السهر، قليل التدلل كثير التحمل، قليلاً بنفسه كثيراً بإخوانه، حركاته أدب وكلامه عجب، لا يشمت بمصيبة ولا يذكر أحداً بغيبة، وقوراً صبوراً رضياً شكوراً، قليل الكلام كثير الصلاة والصيام، صدوق اللسان ثابت الجنان، يحتفل بالضيفان ويطعم ما كان لمن كان، وتأمن بوائقه الجيران، لا سباباً ولا مغتاباً ولا عيابا ولا نماماً ولا ذماماً ولا عجولاً ولا غفولاً ولا حسوداً ولا ملولاً ولا حقوداً ولا كنوداً، له لسان مخزون وقلب محزون وقول موزون، وفكر يجول فيما كان وما يكون.

وقال ﷺ في الغنية في المتصوف والصوفي: أما المتصوف: فهو الذي يتكلف أن، يكون صوفيا، ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفيا، فإذا تكلف وتقمص بطريق القوم وأخذ به يسمى متصوفاً، كما يقال لمن لبس القميص تقمص ولمن لبس الدراعة تدرع، ويقال متقمص ومتدرع، وكذلك يقال لمن دخل في الزهد: متزهد، فإذا انتهى في زهده وبلغ وبغضت الأشياء إليه وفنى عنها، سمي حينئذ زاهداً.

فيقال لهذا متصوف (وصوفي) إذا اتصف بهذا المعنى، فهو في الأصل صوفيّ على وزن فوعل، مأخوذ من المصافاة، يعنى عبداً صافاه الحق عزّ وجل، ولهذا قيل: الصوفي من كان صافيا من آفات النفس، خالياً من مذموماتها سالكاً لحميد مذاهبه، ملازماً للحقائق غير ساكن بقلبه إلى أحد من الخلائق...

فالمريد المتصوف مكابد لنفسه وهواه وشيطانه، متعبد لربه عزّ وجل بمفارقة الجهات الست والأشياء... فالمتصوف المبتدى، والصوفي المنتهى...

ذكر وصيته لولده الشيخ عبد الرزاق رضي الله عنهما التي يبيِّن فيها أسس هذه الطريقة العالية المباركة، والتي وردت في عدة كتب منها كتاب فتوح الغيب.

قال سيدنا ومولانا وأستاذنا القطب الغوث محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز: اعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى وإياك والمسلمين آمين: "أوصيك بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحِفْظِ حدوده".

وتعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى وإياك والمسلمين، أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة، وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحَمْلِ الأذى، والصفح عن عَثراتِ الإخوان، وأوصيك يا ولدي بالفقر، وهو حفظ حرماتِ المشايخ وحُسْنِ العشرةِ مع الإخوان والنصيحة للأصاغرِ والأكابر، وترك الخصومة إلا في أمورِ الدين، وتعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى وإياك، أن حقيقة الفقر أن لا تفتقِرَ إلى من هو مِثْلُكَ، وحقيقة الغنى أن تستغني عمَّنْ هُوَ مثلُكَ، وأن التصوف حالٌ لا لمن يأخذُ بالقيل والقال، ولكن أُخِذَ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات، ولا تبدأ الفقير بالعلم وابدأْهُ بالرفق، فإن العلْمَ يوحشُهُ والرِفْقَ يؤنسه.

والتصوف: مبني على ثماني خصالٍ: (أولها) السخاء، (والثاني) الرضاءُ، (والثالث) الصبر، (ورابعها) الإشارة، (وخامسها) الغربة، (وسادسها) لبسُ الصوفُ (وسابعها) السياحة، (وثامنها) الفقر...

ثم قال: "أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، وعليك بالإخلاصِ وهو نسيان رؤيةِ الخلق ودوام رؤيةِ الخالق. ولا تتهمِ اللهَ في الأسباب، واستكنْ إليه في جميع الأحوال، ولا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من المودة، وعليك بصحبة الفقراء بثلاثة أشياء، أولها التواضعُ ثانيها حسنُ الخلق ثالثها صفاء النفس، وأمت نفسك حتى تحيا، وأقرب الخلق إلى الله تعالى أوسعهم خلقاً، وأفضل الأعمالِ رعاية السِّرِّ عن الالتفاتِ إلى شيء سوى الله، وعليك بالتواصي بالحق والصبر، وحسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وخدمة ولي، والفقير هو الذي لا يستغني بشيء دون الله تعالى".

وتعلم: أن الصولة على من هو دونك ضعف، وعلى من هو فوقك فخرٍ، وعلى من هو مثلك سوء خلق، وأن الفقر والتصوفَ جِدَّانِ فلا تَخلِطْهُما بشيء من الهزل وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين.

ثم قال بعد ذلك في فتوح الغيب: "يا ولي الله عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع، وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع، وعليك بالتأهب لتلقى موارد القضاء فإنه واقع، واعلم أنك مسؤول عن حركاتك وسكناتك فاشتغل بما هو أولى في الوقت، وإياك وفضول تصرفات الجوارح، وعليك بطاعة الله ورسوله ومن والاه، وادع في كل حال، وعليك بحسن الظن في المسلمين وإصلاح النية لهم، وتسعى بينهم في كل خير، وأن لا تبيت ولأحد في قلبك شر ولا شحناء ولا بغض، وأن تدعو لمن ظلمك، وراقب الله عزّ وجل، وعليك بأكل الحلال، والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، وعليك بالحياء من الله سبحانه وتعالى، وتصدق في كل صباح بقرصك...

وتقول بكرة وعشية سبع مرات اللهم أجرنا من النار، وحافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، إلى آخر سورة الحشر، والله الموفق والمعين إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ومن كلام الشيخ رضي الله عنه في أمور متفرقة

قال الشيخ زين المرصفي الصياد رحمه الله تعالى في كتاب فتوح الغيب:

(البحر الكامل)

إن رمت فيض معارف ومعاني	**فاقرأ فتوح الغيب للجيلاني**
قطب الحقيقة شمس أفق سمائها	**بحر الشريعة منبع العرفان**
أبدى فتوح الغيب من أسراره	**لذوي النُّهى والذوق والإمعان**
فَبِطَيِّه شمس المعارف أشرقت	**وبنشره طبعا بلغت أماني**

قلتُ: إلا أن هذا الكتاب دخله الدس، فلا أنصح بقراءته إلا من كان من أهل التمييز.

وقال ﷺ في آخر كتاب الغنية: "ثم نختم الكتاب بذكر باب يشتمل على باب المجاهدة والتوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق، إذ هذه الأشياء السبعة أساس لهذه الطريقة والكل خير.

فمن كلامه في المجاهدة قال: فالأصل فيها قول الله عزّ وجل ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾. وروى أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد، قال: "**كلمة حق عند سلطان جائر**".

قال ﷺ: "وكل من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد في الطريقة شمة".

وقال أبو عليّ الدقاق رحمه الله: من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة". وقال أيضاً: "الحركة بركة، حركات الظواهر توجب بركات السرائر، وقال الحسن القزاز رحمه الله: بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء: أن لا يأكل إلا عند الفاقة، ولا ينام إلا عند الغلبة، ولا يتكلم إلا عند الضرورة. (وقد قيل من لم تكن بدايته محرقة لم تكن نهايته مشرقة).

قال ﷺ: "ومن آفات النفس: ركونها إلى استجلاب المدح والذكر الطيب وثناء الخلق، وقد تحتمل أثقال العبادات لذلك، ويستولي عليها الرياء والنفاق، وعلامة ذلك رجوعها إلى الكسل والفشل عند انقطاع ذلك، وذم الناس لها، ولا يتبين لك آفات نفسك ودعواها وكذبها إلا عند الامتحان في مواطن دعواها وعند الموازنة لها، لأنها تتكلم بكلام الخائفين ما لم تضطر إلى الخوف، وإذا احتجت إليها في مواطن الخوف وجدتها آمنة...

وقال أبو حفص رحمه الله: النفس ظلمة كلها وسراجها سرّها، يعنى الإخلاص، ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه في سره توفيق من ربه كانت ظلمة كلها.

وقال أبو عثمان رحمه الله: لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئاً، وإنما يراه من يتهمها في جميع الأحوال، وقال أبو حفص رحمه الله: أسرع الناس هلاكاً من لا يعرف عيبه، فإن المعاصي بريد الكفر.

قال ﷺ: والأصل في المجاهدة مخالفة الهوى، فيفطم نفسه عن المألوفات والشهوات واللذات، ويحملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات، فإذا انهمك في الشهوات ألجمها بلجام التقوى والخوف من الله عزّ وجل، فإذا مرنت ووقفت عند القيام بالطاعات والموافقات ساقها بسياط الخوف وخلاف الهوى ومنع الحظوظ.

قال: "ولا تتمّ المجاهدة إلا بالمراقبة، وهي التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**" لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا هو أصل كل خير، وإنما يصل إلى هذه الرتبة بعد المحاسبة وإصلاح حاله في الوقت، ولزوم طريق الحق...".

ولا تتم أيضاً إلا بمعرفة خصال أربع: أولها: معرفة الله تعالى. والثانية معرفة عدوّ الله إبليس. والثالثة: معرفة نفسك الأمارة بالسوء والرابعة: معرفة العمل لله تعالى.

(قلت: والمراقبة هي دوام الخوف من الله تعالى) وهي السبب في تنشيط العبد للعمل المتواصل الكثير، فيهون بها كسر نفسه، فتسهل عليه المجاهدة.

قال ﷺ: وأما التوكل فالأصل فيه قوله عزّ وجل ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾... وحقيقة التوكل: تفويض الأمور إلى الله عزّ وجل والتنقي عن ظلمات الاختيار والتدبير، والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد أن لا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته، وما لم يقدر له لا يناله، فيسكن قلبه إلى ذلك، ويطمئن إلى وعد مولاه. وقال: والتوكل ثلاث درجات: وهي التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه.

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً. (أي كفيلاً، والتوكل هو ثقة القلب بالله ودوام الاعتماد عليه).

وقال في حسن الخلق: وأما حسن الخلق فالأصل فيه قول الله عزّ وجل لنبيه ﷺ: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** [سورة القلم] وما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً"؟ قال ﷺ: "**أحسنهم خلقاً**" (قلت وحسن الخلق هو كف الأذى وبذل المعروف).

قال ﷺ: "الخلق الحسن أفضل مناقب العبد، وبه تظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخُلُقِهِ مشهور بخَلْقِهِ".

وقال: وحسن الخلق مع الله عزّ وجل: أن تؤدي أوامره، وتترك نواهيه، وتطيعه في الأحوال كلها، وتسلم جميع المقدور إليه من غير تهمة، وتوحده من غير شرك، وتصدقه في وعده من غير شك. وقيل لذي النون المصري رحمه الله تعالى، من أكثر الناس هما؟ قال: أسوأهم خلقاً. وقيل: الخلق الحسن أن تكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريباً.

وقال لقمان لابنه: "يا بني لا تعرف ثلاثاً إلا عند ثلاث: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة إليه. قال: وقال النبي ﷺ لأصحابه ﷺ: "**إنكم**

لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق" (ذكره المنذري في كتاب الترغيب والترهيب).

وقال ﷺ في الشكر: وأما الشكر فالأصل فيه قوله عزّ وجل: ﴿**ولئن شكرتم لأزيدنكم**﴾. وقوله ﷺ: " **أفلا أكون عبداً شكوراً**" (متفق عليه)، وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقيل: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه، وفي الجملة الشكر أن لا تعصي الله تعالى بنعمه.

وقال الشبلي رحمه الله تعالى: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة.

وقال أبو عثمان رحمه الله: الشكر معرفة العجز عن الشكر.

قال ﷺ: ثم الشكر ينقسم أقساماً:إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصافه بالوفاء والخدمة، وشكر بالقلب وهو انعكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة...

قال: ويقال: الشاكر الذي يشكر على العطاء، والشكور الذي يشكر على البلاء، ويقال: الشاكر الذي يشكر على النفع، والشكور الذي يشكر على المنع.

(قلت: الشاكر هو الذي أدى الواجبات واجتنب المحرمات، فإذا أكثر من الثناء على الله بلسانه وقلبه واجتهد بنوافل الطاعات سمي شكوراً).

وقال ﷺ في الصبر: وأما الصبر فالأصل فيه قول الله عزّ وجل: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ [سورة آل عمران]وقوله عزّ وجل: ﴿**واصبر وما صبرك إلا بالله**﴾. [سورة النحل] وما روي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: "**إن الصبر عند الصدمة الأولى**" (متفق عليه). فالصبر على ثلاثة أضرب: أحدها: صبر لله عزّ وجل، وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه وصبر مع الله عزّ وجل، وهو الصبر تحت جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد

والبلايا. وصبر على الله عزّ وجل، وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب في دار الآخرة.

وقيل: الصبر على قسمين: أحدهما صبر على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب له، فالصبر على الكسب ينقسم على قسمين: أحدهما: على ما أمر الله به عزّ وجل. والثاني: على ما نهاه عزّ وجل عنه.

وأما الصبر على ما ليس بكسب للعبد: فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله وقضائه فيما له فيه مشقة وألم في القلب والجسد.

وقيل: الصابرون ثلاثة: متصبر، وصابر، وصبار.وقيل:وقف رجل على الشبلي رحمه الله تعالى فقال له:أي الصبر أشد على الصابرين؟ قال: الصبر في الله، فقال:لا، فقال: الصبر لله، قال: لا، قال: الصبر مع الله، قال: لا، قال فأيش؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف. وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: الصبر التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البليه، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة.

وقيل: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: الصبر ترك الشكوى، وقيل: الصبر كاسمه هو أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما، والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنْزلة الرأس من الجسد"، وقيل: أحسن الجزاء على العبادة الجزاء على الصبر، ولا جزاء فوقه، قال الله تعالى: **﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** [سورة النحل] وقال عزّ وجل **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** [سورة الزمر].

قال يحي بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، واعجباً كيف يصبرون؟ وأنشد:

(الكامل)

وقال ﷺ في الرضا: وأما الرضا فالأصل فيه قول الله عزّ وجل: ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ [سورة البينة]وقوله تبارك وتعالى: ﴿**يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان**﴾ [سورة التوبة] الآية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله . عزّ وجل . رباً**" وقيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر.

وروي أنه قيل لِلْحَسَن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: إن أبا ذرّ ﷺ يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى، والسقم أحب إليّ من الصحة، والموت أحب إليّ من الحياة، فقال: رحم الله أبا ذرّ أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن غير ما اختار الله له.

قال ﷺ: فالله عزّ وجل طوى عن الخلق مصالحهم، وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهي، والتسليم بالمقدور والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم في الجملة، واستأثر هو عزّ وجل بالعواقب والمصالح، فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه، ويرضى بما قَسَمَ الله له، ولا يتهمه، فكل من رضي بالقضاء استراح، وكل من لم يرض به طالت شقاوته وتعبه ولا ينال من الدنيا إلا ما قسم له.

وقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات، ونهايته من جملة الأحوال وهي ليست مكتسبة، (أي هبة من الله تعالى) وفي الجملة الراضي هو الذي لا يعترض على تقدير الله عزّ وجل.

وقال. أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء، إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء.

وقد قالت المشايخ رحمهم الله تعالى: الرضا بالقضاء باب الله الأعظم وجنة الدنيا أي من أُكرمَ بالرضا فقد لقي بالرحب الأوفى، وأكرمَ بالقرب الأعلى، وسئلت رابعة العدوية رحمها

الله تعالى، متى يكون العبد راضياً بالقضاء؟ فقالت رحمها الله تعالى: إذا سرّ بالمصيبة كما يسرّ بالنعمة.

وقال: الرضا هو نهاية التوكل. وقيل إن تلميذاً قال لأستاذه: هل يعرف العبد أن الله تبارك وتعالى راضٍ عنه؟ قال: لا، كيف يعلم ذلك ورضاه غيب، فقال التلميذ: يعلم ذلك، فقال كيف؟ قال: إذا وجدت قلبي راضياً عن الله تعالى علمت أنه راضٍ عني، فقال الأستاذ: أحسنت يا غلام، ولا يرضى العبد عن الله حتى يرضى الحق جل جلاله عنه، قال الله عزّ وجل ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ أي برضاه عنهم رضوا عنه.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: ثلاثة من علامات الرضا: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء.

وقال تعالى: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ [سورة البقرة] فاتق الله تعالى وارض بقضائه.

وقال ﷺ في الصدق: وأما الصدق فالأصل فيه قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ [سورة التوبة] وما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "**لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**"(متفق عليه).

قال: وعلم أن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، والصادق هو الاسم اللازم من الصدق، والصِدّيق هو المبالغة منه، وهو من تكرّر منه الصدق فصار دأبه وسجيته، وصار الصدق غالبه، فالصدق استواء السرّ والعلانية، فالصادق هو الذي صدق في أقواله، والصديق من صدق في أقواله وجميع أفعاله وأحواله.

وقيل: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق، فإن الله مع الصادقين، وقال الجنيد رحمه الله تعالى: الصادق ينقلب في اليوم أربعين مرة، والمرائى يثبت على حالةٍ واحدة أربعين سنة، وقيل: الصدق موافقة السرّ بالنطق، وقيل: الصدق الوفاء لله بالعمل، وقال سهل بن عبد الله: لا يشمّ رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره.

وقال أبو سعيد القرشي رحمه الله تعالى: الصادق الذي يتهيأ أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف. وقيل: الصدق صحة التوحيد مع القصد، وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه، وسئل فتح الموصلي رحمه الله تعالى عن الصدق، فأدخل يده في كانون الحداد وأخرج الحديد وهي تشتعل ناراً ووضعها على كفه حتى بردت وقال: هذا هو الصدق، وسئل الحارث المحاسبي عن علامة الصدق، فقال: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله.

وقيل: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تنظر فيها من عجائب الدنيا والآخرة.

وقيل: ثلاثة لا تخطئ الصادق: الحلاوة، والهيبة، والملاحة.

وقال رضي الله عنه: يا غلام عليك بالصدق والصفاء فلولاهما لم يتقرب بشر إلى الله تعالى.

وفي القلائد (ذكر شيء من أقواله في مصطلحات الصوفية وغيرها).

وقال ﷺ في الفناء: افن عن الخلق بحكم الله تعالى، وعن هواك بأمر الله تعالى، وعن إرادتك بفعل الله تعالى، فحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى، فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم واليأس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عنك وعن هواك ترك التعلق بالتسبب فلا تتحرك فيك بك ولا تعتمد عليك لك... بل تكل ذلك كله إلى من تولاه أولاً فيتولاه آخراً، وعلامة فنائك عن إرادتك أن لا تريد مع إرادة الله تعالى سواه، بل يجري فعله فيك وأنت ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر عامر الباطن غني عن الأشياء به سبحانه وتعالى.

وقال ﷺ في الورع: الورع إشارة إلى التوقف في كل شيء وترك الإقدام عليه إلا بإذن من الشرع، فإن وجد للشرع فيه فعلاً لتناوله مساغاً وإلا تركه، والورع على ثلاثة درجات: ورع العوام وهو ورع عن الحرام والشبهة، وورع الخواص وهو ورع عن كل ما للنفس والهوى فيه

شهوة، وورع خواص الخواص وهو ورع عن كل ما لهم فيه إرادة، ومن لم ينظر في دقائق الورع لم يحصل له نفائس العطاء، والزهد أول الورع كما أن القناعة طريق الرضا...

وسئل ﷺ عن المحبة: فقال: هي تشويش في القلوب يقع من المحبوب فتصير الدنيا عليه كحلقة خاتم، أو مجمع مأتم، والحب سكر، وخلوص إلى المحبوب بكل وجه سراً وعلانية، والحب العمى عن غير المحبوب، والمحبون سكارى لا يصحون إلا بمشاهدة محبوبهم، مَرْضَى لا يشفون إلا بملاحظة مطلوبهم حيارى لا يأنسون بغير مولاهم ولا يلهجون إلا بذكره ولا يجيبون غير داعيه.

وسئل عن الهمة: فقال: أن يتعرى بنفسه عن حب الدنيا، وبقلبه عن إرادة سوى المولى، ويتجرد بسره عن الإشارة إلى الكون ولو بلمحة أو طرفة.

وسئل عن الحقيقة: فقال: هي التي لا ينافيها مضادها، ولا يقوم لها منافيها، بل تفنى عن إشارتها أضدادها، ويبطل عند مجاراتها منافيها.

وسئل عن أعلى درجات الذكر: فقال: هو ما تأثر في الفؤاد عن إشارة الحق عزّ وجل وقت الاختيار إليه ببقاء العناية السابقة، فهذا ذكر دائم واصب لا يقدح فيه نسيان ولا يكدره غفلة. وهو الذكر الكثير الذي أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في تنْزيله، وأحسن الذكر ما هيجته الأخطار الواردة من الملك الجبار في محال الأسرار.

وسئل عن الشوق: فقال: أحسن الأشواق ما كان عن مشاهدة وهو لا يفتر عن اللقاء ولا يسكن عن الرؤية ولا يذهب عن الدنو ـ أي القرب ـ ولا يزال عن الأنس، بل كلما ازداد لقاء ازداد شوقاً، ولا يصح الشوق حتى يتجرد عن علله، فيكون شوقاً مجردا عن الأسباب فلا يدرى السبب الذي أوجب له ذلك، لأنه دائماً يشاهده ويتشوق إلى المشاهدة مع المشاهدة

وسئل عن التوكل فقال: التوكل حقيقة كحقيقة الإخلاص، وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال، فذلك التوكل هو الخروج عن الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى. (أي مالك المالكين).

وسئل عن التصوف فقال: الصوفي من جعل ضالة مراده مراد الحق منه ورفض الدنيا فخدمته ووافقته أقسامه، وحصل له في الدنيا قبل الآخرة مرامه، فعليه من ربه سلامه.

وسئل عن الدنيا فقال: أخرجها من قلبك إلى يدك فإنها لا تغرك.

وسئل عن الفرق بين التعزز والتكبر فقال: التعزز ما كان لله وفي الله ويفيد ذل النفس وارتفاع الهمة إلى الله تعالى، والتكبر ما كان للنفس وفي الهوى، والكبر الطبيعي أسهل من الكبر المكتسب.

وسئل عن البقاء فقال: لا يكون إلا مع اللقاء الذي ليس معه فناء ولا يكون معه انقطاع، وقال: فناءُه بالله بقاؤه، لكنه يبقى تحت إشارة الباقي، فإن كانت إشارة الحق تفنيه فإن تجلياته تبقيه، فكان يفنيه ثم يبقيه به.

وسئل عن الإرادة فقال: هي تكرار الفكر في الفؤاد، وقال أما الإرادة فترك ما جرت به العادة، وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق سبحانه فإذا ترك العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا فتجرّد حينئذ إرادته، فالإرادة مقدمة على كل أمر، ثم يعقبها القصد، ثم الفعل، فهي بدء طريق كل سالك واسم أول منْزلة كل قاصد.

وسئل عن الوجود (**أي الوجد**) فقال: هو أن تشغل الروح بحلاوة الذكر ولذة التطريب، ويبقى السر فارغاً للحبيب خاليا من الرقيب للحق، والوجود شراب يسقيه المولى لوليه على منبر كرامته، فإذا شرب طاش فإذا طاش طار قلبه بأجنحة الأنس في رياض القدس فيقع في بحر الهيبة فيصرع فلذلك يغشى على الواجد.

وسئل عن الخوف فقال: الخوف على أنواع، فالخوف للمذنبين والرهبة للعابدين ثم الخشية للعالمين، والوجل للمحبين، والهيبة للعارفين، فخوف المذنبين من العقوبات، وخوف العابدين من ثواب العبادات (أي خوف عدم القبول والثواب) وخوف العالمين من الشرك الخفي في الطاعات (أي الرياء)، وخوف المحبين فوات اللقاء، وخوف العارفين الهيبة والتعظيم، وهو أشد الخوف لأنه لا يزول، وسائر هذه الأنواع تسكن (أي تفتر عند رؤية آثار رحمة الله ولطفه).

وسئل ﷺ عن الرجاء فقال: الرجاء في حق الأولياء أن يكون حسن الظن بالله تعالى لا لطمع في نفع ولا لدفع سوء لأن أهل الولاية قد علموا أنه فرغ لهم عن جميع ما يحتاجون إليه، فاستغنوا بعلمهم من حسن الفناء، فحسن الظن إذاً أفضل من الرجاء،

ولا يكون رجاء بلا خوف لأن من رجا أن يصل إلى شيء خاف أن يفوته، وحسن الظن بالله تعالى: معرفته بجميل صفاته، ثم أمل به من حيث هو لا من حيث العبد، علما منه بأن بعض صفاته، محسن ـ كريم . رحيم . لطيف . رؤف، وحسن الظن بالله تعالى تعليق الهمم على ما سبق من العناية، وطمع العامة نهايات أكثر أسبابه، صدق عليه اسم الرجاء، ومتى انخرمت عليه أكثر أسبابه فاسم الطمع أولى به من اسم الرجاء، والرجاء بلا خوف أمن، والخوف بلا رجاء قنوط، قال النبي ﷺ: "**لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا**".

وسئل عن الحياء فقال: هو أن يستحي العبد أن يقول . الله . ما لم يقم بحقه، وأن يتمنى على الله ما لا يستحقه عليه، وأن يترك المعاصي حياءً لا خوفا وأن يقضي الطاعات (أي يكون تركه للمعاصي وقيامه بالطاعات ليس خوف العقوبة، بل لأنه سبحانه أهلا لأَنْ يطاع) وأن يرى الحق مطلعا عليه فيستحي منه وقد يتولد الحياء من ارتفاع الحجب بين القلب والهيبة، (أي ارتفاع حجاب الغفلة والانشغال بالأغيار عن القلب حتى صار خوفه من الله خوف تعظيم وإجلال، فيكون عندئذ قيامه بالطاعات وتركه لهوى النفس والمعاصي حياءً من الله المطلع على القلوب سبحانه وتعالى وقد قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: الحياء . هو . رؤية الآلاء مع رؤية التقصير فيتولد منها حالة تسمى الحياء)

وسئل عن المشاهدة فقال: هي العماء عن الكونين بعين الفؤاد ومطالعة الحق بعين المعرفة، وإطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر به من الغيوب.

وسئل عن معنى القرب فقال: هو طي المسافات بلطف المداناة، (أي أن الله تعالى إذا أراد أن يقرب عبداً طوى له مسافات سلوك الطريق حتى يقطع المقامات بسرعة حتى يصبح من الأولياء المقربين الصِّدِّقين بلطفه، والدنو والقرب من الله تعالى على معنى الكرامة لا على معنى المسافة، كما قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه).

وسئل عن السكر فقال: هو غليان القلوب عند ذكر الحبيب والخوف... والغيبة في الذكر، وأن ترى نفسك في حال الذكر غائبا عن غيره، والتواجد في حال المشاهدة تعجز عن الفهم، والغيبوبة مع المحبة لا تتصور.

وإذا قويت الإرادة واتصل بها الذكر واشتد المرام ولدت منها المحبة. والخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، (أي انشغال قلبك بالأشياء يعميك عن رؤية آفات نفسك وعيوبها، وعيوبك وهوى نفسك تَحْجبك عن الوصول إلى مرضاة ربك، فما هي إلا خطوتان وقد وصلت، فاقطع عن قلبك الأغيار الشاغلة التي هي حجاب قلبك، وداو نفسك بمتابعة فاتح أبواب الخير سيدنا محمد ﷺ لتحظى برضا المنعم المعبود جل جلاله وتعالت صفاته وتقدست أسماؤه).

وأتاه رجل فقال له أريد العزلة فقال ﵁: "تفقه ثم اعتزل، من عَبَدَ الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، خذ معك مصباح شرع ربك، من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم،... كن مقاطعاً لمن سواه منفصلا عن الأغيار والأسباب خائفا على انطفاء مصباحك، أخلص لربك أربعين صباحاً تتفجر ينابيع الحكم من قلبك على لسانك".

وقال ﵁ في السياحة: "سفر المؤمن الخروج من أوصافه المذمومة إلى صفاته المحمودة، فيخرج من هواه إلى طلب رضا مولاه بتصحيح تقواه...".

وقال: فلا ينبغي أن يحصل له خلل في أعماله وأحواله في سفره، وإنما الرخص للضعفاء والعوام، وما للأقوياء والخواص بالرخص، بل العزيمة شأنهم في جميع أحوالهم، والتوفيق شامل لهم، والرحمة نازلة عليهم، والحفظ دائم لهم، ولا ينبغي له أن يكون سفره لغرض من أغراض الدنيا بوجه من الوجوه، بل يكون سفره لطاعة من الطاعات إما للحج أو للقاء شيخ أو زيارة موضع من المواضع المقدسة الشريفة...

وقال ﵁ في اسم الله الأعظم: اسم الله الأعظم هو (الله) وإنما يستجاب لك إذا قلت الله وليس في قلبك غيره (أي ليس في قلبك انشغال بغيره، فيكون قلبك مشغولاً بحبه وبذكره والخوف منه والتوكل عليه والرضا بقضائه وغير ذلك من أعمال القلب).

ثم قال: الله رقيب على القلب والفؤاد، الله قاهر الجبابرة قاصم الأكاسرة عالم السر والعلانية الله لا يخفى عليه خافية، من كان لله كان في حفظ الله تعالى من أحب الله تعالى لا يرى غير الله (أي لا ينشغل قلبه بسواه فهو دائماً يسعى في طلب مرضاته لا يشغله شيء عن ذلك، ينظر إلى المخلوقات على أن وجودها سبقهُ عدم والله وحده الأزلي بذاته الباقي بذاته، فكل ما سواه محتاج إليه، فكيف ينشغل قلبه بما هو محتاج مفتقر إلى الله تعالى).

قال: من سلك طريق الله وصل إلى الله تعالى (أي من قام بالعمل بكتابه تعالى والعمل بما جاء به رسوله ﷺ وصل إلى رضوان الله تعالى) قال: ومن وصل إلى الله تعالى عاش في كنف الله تعالى (أي في ستر الله وحِفْظِهِ، يحفظه من الوقوع فيما يغضبه، وإن زل لكونه ليس معصوما وفَّقه للتوبة سريعاً).

قال: من أشتاق إلى الله أنس بالله، (أي إلى النظر إلى ذاته تعالى الذي لا شبيه له ولا مثيل، وذلك يكون بعد الموت بعد دخول الجنة، فيراه بعين رأسه بلا كيف ولا مكان، المسلمون حين يدخلون الجنة يرون الله كل من مكانه والله تعالى يُرى بلا مكان، فمن كان شوقه إلى الله يُمْلأُ قلبه أنساً حتى لا يأنس إلا به جل جلاله).

قال: من ترك الأغيار صفا وقته مع الله تعالى، اقرع باب الله تعالى الجأ إلى الله تعالى توكل على الله تعالى (إقرع بابه تعالى بلزوم الاستقامة أي استمر على طاعته والجأ إليه بالتضرع واعتمد عليه حتى يفتح لك الباب فتدخل جنة قربه في الدنيا وجنة الفردوس في الآخرة).

ثم قال بعد كلام في قوله تعالى: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ [سورة البقرة] بما معناه: اذكروه بالتسليم والتفويض يذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله تعالى: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [سورة الطلاق] اذكروه بالشوق والمحبة يذكركم بالوصل والقربة، اذكروه بالحمد والثناء يذكركم بالمنن والجزاء، اذكروه بالتوبة يذكركم بالغفران والحوبة، اذكروه بالدعاء يذكركم بالعطاء، اذكروه بالسؤال يذكركم بالنوال، اذكروه بالندم يذكركم بالكرم، اذكروه بالمعذرة يذكركم بالمغفرة، اذكروه بالإرادة يذكركم بالإفادة، اذكروه بالإخلاص يذكركم بالخلاص، اذكروه بالقلوب يذكركم بكشف الكروب، اذكروه باللسان يذكركم بالأمان، اذكروه بالإيمان يذكركم بالجنان، اذكروه بالإسلام يذكركم بالإكرام، اذكروه بالقلب يذكركم برفع الحجب اذكروه ذكراً

فانيا يذكركم ذكراً باقياً، اذكروه بالتذلل يذكركم بعفو الزلل، اذكروه بالعفاف يذكركم بمحو الاقتراف، اذكروه بصفاء السر يذكركم بخلاص البر، اذكروه بالصدق يذكركم بالرزق، اذكروه بالصفو يذكركم بالعفو، اذكروه بالتعظيم يذكركم بالتكريم، اذكروه بترك الجفا يذكركم بحفظ الوفا، اذكروه بترك الخطا يذكركم بأنواع العطا، اذكروه بالحمد في الخدمة يذكركم بإتمام النعمة، اذكروه من حيث أنتم يذكركم من حيث هو، قال الله تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾** [سورة العنكبوت] (أي ذكر الله لك أكبر من ذكرك له، والمقصود مما تقدم أن من كان هذا حاله لم يكن منشغل القلب عن ربه عزّ وجل عند ذلك يستجاب له إن دعا باسم الله الأعظم أو بغيره من أسماء الله الحسنى قال تعالى: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾** [سورة الإسراء] أي فله الأسماء الدالة على الكمال سبحانه وتعالى.

توضيح لمعاني بعض الكلمات التي مرت بالكتاب بطريقة مبسطة منها

الحال: هو معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب وهو من المواهب الربانية، لا يحصل عن طريق الاكتساب فقد يأتي فجأة، فيحصل له حالة حب، أو رجاء أو خوف أو توكل وغير ذلك من غير تصنع، والأحوال متفاوتة بعضها أقوى من بعض وبعض الرجال يتحمل أكثر من البعض الآخر ومنهم من يموت بالحال. روى:أن الإمام الجنيد ﷺ حضر مجلس سماع، فتواجد كل من في المجلس إلا هو بقي ثابتاً، ولما انفض المجلس سأله أحد الحاضرين ألم تتواجد؟ فتلا الإمام قوله تعالى: **﴿وترى الجبال تحسبها هامدة وهي تمر مر السحاب﴾** [سورة النمل] يعني أن الحال الذي أتاه قويٌ جداً ولأنه من أكابر المتمكنين استطاع أن يخفيه وبقي مسيطراً على نفسه، وسمي الحال حالاً لأنه يتحول لا يستقر.

أما المقام: فهو ما تمكن به صاحبه فيقال مثلا فلان من أهل التوكل أي تحقق به متمكن فيه فلا يعود غير متوكل فهو في هذا المقام، أما من حصل له حال من التوكل قبل التمكن به فبعد قليل يعود إلى حاله العادي الذي هو توكل عوام المسلمين أو من هم في مرحلة السلوك.

والمقام يتوصل إليه بتوفيق الله تعالى، بالجد والمتابعة وبذل المجهود، فهو مكتسب، وينبغي للمريد السالك إذا توالت عليه الأحوال أن يثابر ويجد من غير التفات فإنه اقترب من الدخول في هذا المقام الذي توالت أحواله.

وأما القبض: فهو زيادة خوف في قلب العبد، بحيث يصير منقبض القلب، إما على ذنب إقترفه، أو قبل حصول أمر مريع سيحدث بظنه، وقد يظهر أثره في الوجه والبدن.

وأما البسط: فهو فوق الرجاء، وهو حال يحصل في القلب عند تذكر فضل الله ونعمه الكثيرة، أو لحصول أمر ينتظره مما يسره، والبسط أقوى من الفرح، وقد يظهر أثر ذلك في صاحبه.

وأما الهيبة: فهي أعلى من القبض وهي حال عظيم بالقلب لا يتحمله إلا الأشداء من الرجال، وسببه خوف التعظيم والإجلال لله تعالى وهو أعلى مقامات الخوف، وغالبا ما يغيب صاحب هذا النوع من الخوف، وهذا على حسب مراتب الرجال، وفي الغالب يظهر أثره في ظاهر صاحبه

وأما الأنس: فهو أعلى من البسط، وهو حال بالقلب سببه المحبة والرضا، وصاحب الأنس لا يُكَدِّر أنسه نزول البلاء وفي الغالب صاحب الأنس حاله الصحو.

وأما التواجد: فهو استدعاء للوجد بالفكر أو السماع ليحصل له الوجد، فهو ابتداء الوجد، يقال استغرق بالوجد أي بالحب، **والوجد**: هو ما يرد على القلب من الأحوال بلا تعمد وتكلف، وأما **الوجود**: فهو الغرق في بحر الوجد حتى يفنى عن نفسه فهو في حال شهود لله، وصاحب الوجود قد يكون من أهل الصحو وقد يكون من أهل المحو . أي الجذب . وكل ولي لله قلبه مجذوب، فأهل الصحو قلوبهم مجذوبة مع السيطرة على أحوالهم، وأهل المحو قلوبهم مجذوبة مع عدم السيطرة على عقولهم، وقد يكون الولي من أهل الصحو تارة ومن أهل المحو تارة، وذلك بسبب قوة الحال فإذا سرى عنه الحال عاد إلى صحوه، ومنهم من يبقى في غيبوبة حتى الموت، والعامي من المسلمين لا يقال عنه من أهل الصحو أو المحو، بل يقال:مُمَيِّز أو مكلف أو مجنون أو مصروع، وقد قال الإمام الشعراني في طبقاته: يكون حال المجذوب على ما

كان عليه قبل الجذب، فإن كان في حال البسط قبل الجذب كان الغالب عليه حال البسط في الجذب...) وهكذا في بقية الأحوال.

وأما الشهود: فهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله عندما سئل عن الإحسان: **"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"** فصاحب الشهود كأنه يرى الله بقلبه، لا يغيب عن قلبه ذكر أن الأشياء كلها بقضاء الله وقدره، فإن لم يكن على هذا القدر فليكن من أهل المراقبة، التي هي دوام الخوف من الله بذكر أن الله مطلع على القلوب والنيات وأنه يرى كل المرئيات ببصره الأزلي الأبدي الذي ليس كبصرنا سبحانه.

ولا يتوصل الإنسان إلى مقام الشهود حتى يتم له الحضور والكشف فأما . الحضور أو المحاضرة . فهي حضور القلب بالمراقبة لله تعالى بمواصلة ذكره واستحضار الأدلة الشرعية ليسد بها باب الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية فتارة يسد ذلك بكثرة ذكره وتارة بالدليل فهو في الحالتين حاضر القلب مراقب غير غافل.

وكثرة ذكر اللسان تقوي ذكر القلب ولو بعد طول زمن، فإن الذكر بمنْزلة المطر إذا انهمل أخصبت الأرض وظهر نباتها، فكذلك كثرة الذكر ينبت في القلب الحب والتوكل والرضا وغير ذلك.

وأما الكشف: فهو نور معنوي يلقيه الله تعالى في قلب العبد المؤمن الكامل، وهو أنواع، فأول نوع منه هو ما يتمناه كل سالك لطريق الحق حيث به تنكشف معالم الطريق، كالذي يسلك طريقاً في وضح النهار لم يعد بحاجة إلى زيادة أدلة لأن الطريق أمامه واضح يرى فيه السهل والحفرة والتلة والشوك وغير ذلك، فيسهل عليه الجد في المسير للوصول إلى غايته، وأيضاً ينكشف لصاحب هذا النوع من الكشف آفات النفس وعيوبها، وما يحتاج إليه من الدواء لعلاجها، وما يزيد في سقمها حتى منه يحميها، فبهذا يسهل عليه أيضاً إصلاحها، في وقت قصير لتكون أرضى لربها، أما صاحب الحضور فمثله كالذي في أول مشيه أو كالذي يسير في الليل فتارة ينتظر ضوء القمر وتارة ينتظر لمعة ليتضح له الطريق، فيكون سيره أبطأ من صاحب الكشف، فالعلم بالنسبة له كضوء القمر وكثرة الذكر كاللمع، أي بسبب الذكر تحصل له بعض الأحوال والموارد التي ينكشف له بها بعض معالم الطريق، فإذا ضعفت إرادته عاد من

حيث أتى وإذا صبر وجدَّ أي في الازدياد من العلم المصحوب بالذكر، فسرعان ما يظهر عليه ضوء الصباح وتطلع الشمس، فيزداد بذلك سرعة فإذا صبر وجد، من الله تعالى عليه بالمشاهدة فحينها ينجذب قلبه فتطوى له المسافات ويحصل له المنى بالوصول إلى منْزلة القرب ويصبحُ مرادا بعد ما كان مريداً. قال بعضهم: السالك يسير والمجذوب أو العارف يطير، أي مجذوب القلب بالحب والمشاهدة.

ومن أنواع الكشف، نوع يرى به صاحبه بعض المغيبات وبعض آيات الله تعالى من العالم العلوي والسفلي، وذلك بسبب هذا النور الذي ألقاه الله تعالى بقلب وليه، فهذا النور يكشف الحجاب المعنوي الذي على عين بصيرته فحينئذ يرى ببصيرته ما لا يراه الناظرون، وهذا الحجاب الذي على البصيرة هو حجاب الغفلة والذنوب والعيوب والشهوات،فإذا أزاله بالمجاهدة مع الإخلاص لله تعالى حصل له نوع من أنواع الكشف، قال رسول الله ﷺ: **"اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"** رواه الترمذي.

وهناك أنواع أخرى من الكشف لا أريد ذكرها، لكن لا يشترط أن يكون كل الأولياء متساوين بالكشف وأنواعه، كعلم تأويل الرؤيا فهذا العلم من العلوم الكشفية اللدنية فقد ترى بعض الأولياء من أهل الكشف لم يعطوا هذا العلم، وهكذا والله تعالى أعلم.

وأما قولهم الإشارة: فتارة يعنون بها الإلهام، فيقول إشارة ربانية . أي إلهام من الله تعالى، ويعبر عنه أيضاً بقول وارد رباني أو خاطر رباني، وقد تكون الإشارة بمعنى الأمر فيقال إشارة ربانية أي أمر من أوامره تعالى، ويقال أشار الله إلى هذا الأمر في القرآن، أي بينه لنا في كلامه المنَزل، يعني ليعمل به، وقد تكون الإشارة بمعنى الأمر أو البيان عن طريق النبي ﷺ أو عن طريق شيخ حي أو ميت عن طريق الرؤيا المنامية أو عن طريق خارق للعادة في اليقظة عن طريق ولي ميت أو بعيد، كما حصل لسارية بن زنيم رضي الله عنه حين سمع نداء سيدنا عمر رضي الله عنه وعمر في المدينة المنورة على المنبر يوم الجمعة، وسارية كان في نهاوند، وقد ثبت أيضاً سماع كلام بعض الموتى من الصحابة رضي الله عنهم كما رواه الإمام القاضي عِياضٌ المالكي في كتاب الشفا وغيره، وحصل ذلك أيضاً لكثير ممن جاء بعد الصحابة، والإشارة بمعنى الإلهام في الغالب تأتي من غير

استدعاءٍ قلبي، وأحياناً تأتي عن استدعاءٍ من القلب، قال الإمام الرفاعي رضي الله عنه: (الرجل الكامل من إذا رفع الحاجة بقلبه إلى الله تعالى أتاه الجواب).

والخواطر التي ترد على القلب أربعة كما بينها صاحب الرسالة القشيرية ﷺ وغيره.

قال صاحب الرسالة: "الخواطر خطاب يرد على الضمائر، فقد يكون بإلقاء مَلَكٍ، وقد يكون بإلقاء الشيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه،...

ثم قال: فإذا كان من قبل المِلَك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم . (أي الشرع) ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل، قلت قال ابن رسلان:(بحر الرجز)

وزن بحكم الشرع كل خاطر فإن يكن مأموره فبادر

ثم قال القشيري: وإذا كان من قبل الشيطان (ويسمى الوسواس) فأكثر ما يدعو إلى المعاصي.

وإذا كان من قبل النفس فأكثره ما يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر أو ما هو من خصائص أوصاف النفس، واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس،...

ثم قال: وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته، نطق بيان قلبه بحكم مكابدته، وقال بعض المشايخ:إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب...

ثم قال: وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان، بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها ويحصل مقصودها، اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة، ثم أنها تعاودك وتعاودك، وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى...

ثم قال: وإنما يريد أن يكون داعيا أبداً إلى زلة ما ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد.

وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه، فأما خاطر يكون من الحق سبحانه فلا يحصل خلاف من العبد له.

وسئل الشيخ عبد القادر ﷺ عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية فقال: الوارد الإلهي لا يأتي إلا باستدعاء، ولا يذهب بسبب، ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت مخصوص، والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً.

وللشيوخ كلام غير هذا أيضاً في الخواطر والواردات وبما أن المريد السالك قد يشكل عليه فهم الإشارة أو الوارد أحيانا فينصح بصحبة عالم رباني، أو يسأل، وبالجملة فإن السلوك الصحيح غالبا يكون على يد شيخ عارف بالله تعالى، وقد مر معنا شيء من أدب المريد مع الشيخ، فيا طالب الحق أنت في الحقيقة ضعيف فقير محتاج فلا تتكبر وتواضع وانكسر ليصح لك السلوك.

وقد تركت شرح بعض المصطلحات الصوفية غير التي مرَّ ذكرها خشية الإطالة والخروج عن موضوع الكتاب ففيما بينته فائدة كبيرة لمن وُفِّقَ للفهم والعمل.

ذكر بعض كلام الإمام عبد القادر في الوعظ والإرشاد

اخترت من كلامه الذي كان يلقيه على الناس في مجلسه مما يسهل علينا فهمه، فإن سيدي الشيخ عبد القادر كان يكلم الناس على حسب أحوالهم ومقاماتهم عاملا بنصيحة جده الإمام علي المرتضى عليه السلام حيث قال: **خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"** فإن للشيخ عبد القادر كلاما في المعارف بعضه لا يفهمه إلا كبار العارفين، وقد ذكر الإمام اليافعي في كتابه نشر المحاسن الغالية عن بعض الرواة، قالوا: حضرنا مجلس الشيخ محيي الدين أبي محمد عبد القادر ﷺ بمنْزله بمدرسة باب الأزج سنة سبع وخمسين وخمسمائة وهو يأكل اللبن، فترك الأكل وسها سهوة طويلة ثم قال: قد فتح لقلبي الآن سبعون باباً من أبواب العلم اللدني، سعة كل باب منها كسعة ما بين السماء والأرض، قالوا:ثم تكلم

في معارف أهل الخصوص كلاماً طويلاً دهش له الحاضرون، وقلنا: ما نظن أن أحداً يتكلم بهذا الكلام من بعد الشيخ. (يعني أن كلامه على حسب طبقات الناس).

كان سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ يعقد له ثلاثة مجالس للوعظ في الأسبوع يتكلم بها على عشرات الآلاف من الناس من العوام والخواص، مجلس بكرة يوم الجمعة ومجلس عشية يوم الثلاثاء بالمدرسة، ومجلس بكرة يوم الأحد بالرباط، وقد مر معنا أنه كان يعطى كل يوم ثلاثة عشر درساً في فنون العلم، ومر معنا أيضاً بيان بعض الأحوال التي كانت تحصل في مجلسه، وشيء عن وصف المجلس، وكيف كان حاله يسري في الحاضرين وأنه كان يسيطر على المجلس مع اتساعه بقوة سره وعظيم هيبته، وأن الكل يسمعه القريب منه والبعيد، وكل ذلك من جملة كراماته ﷺ.

وقد أحببت أن أذكر شيئاً من كلماته الوعظية العطرية الطيبة المباركة التي تنبعث منها الأنوار المشعة، كالشمس الساطعة، وبقوتها كأصوات الرعد الهدارة، التي يعقبها هطول الأمطار العزيزة، فتسيل أنهاراً صافية تروي القلوب الظامئة، كالماء الزلال عذبة باردة، وكالعسل المصفى حلوة، شعاعها يخترق القلوب الغافلة، فتشرق بالطاعة والإنابة، وتشع بها القلوب العامرة.

وأما هدير قوتها فتتحرك به القلوب وتضطرب بأحوال سنية باهرة، وبرقها يهيج القلوب العاشقة، وصواعقها تقطع الأفئدة الواهة، وتقصم ظهور أهل النفاق والزندقة والشقشقة الذين يسعون في تمزيق الأمة والتفرقة، وتتدكدك قلوبهم من هول تلك الصاعقة.

وأما فيضها فيروى القلوب المخلصة، وعذوبتها تنبت القلوب الصادقة وتقترب بها القلوب اليائسة، وحلاوتها تؤنس القلوب الموحشة وتلين بها القلوب الجامدة القاسية، فكم في مجلسه من قلوب وجلة وعيون بالدمع هطالة، وأبدان مضطربة وأصوات بالصياح عالية تارةً، ولا يسمع سوى صوت أنفاسهم وَهْلَةً، مما يتجلله من الهيبة ﷺ ورضي عنا به.

فمن كلامه ﷺ ما كان يفتتح به مجلسه.

قال التادفي في القلائد وغيره: قال سيدنا الشيخ عبد الوهاب والشيخ عبد الرحمن رضي الله عنهما: كان والدنا ﷺ يقول في مجالس وعظه: "الحمد لله رب العالمين، ثم يسكت ثم يقول: الحمد لله رب العالمين ثم يسكت، ثم يقول الحمد لله رب العالمين، ثم يقول: عدد خلقه وزنة عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته وجميع ما شاء وخلق وذرأ وبرأ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس العزيز الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو كل شيء قدير، ولا ندله ولا شريك له ولا وزير ولا عون ولا ظهير، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ليس بجسم فيمس ولا جوهر فيحس ولا عرض فيكون منتقصاً هنالك، ولا وزير له ولا مشارك، جل أن يشبه بما صنعه أو يضاف لما اخترعه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله وحبيبه وخليله وصفيه ونجيه وخيرته من خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

اللهم وارض عن الرفيع العماد الطويل النجاد المؤيد بالتحقيق المكنى بالعتيق الخليفة الشفيق المستخرج من أطهر أصل عريق الذي اسمه باسمه مقرون وجسمه مع جسمه مدفون الإمام أبي بكر الصديق، وعن القصير الأمل الكثير العمل الذي لا خامره وجل ولا عارضه زلل ولا داخله ملل المؤيد بالصواب الملهم فصل الخطاب حنيفي المحراب الذي وافق حكمه نص الكتاب الإمام أبي حفص عمر بن الخطاب، وعن مجهز جيش العسرة. وعاشر العشرة من شيد الإيمان ورتل القرآن وشتت الفرسان وضعضع الطغيان مزين المحراب بإمامته والقرآن بتلاوته أفضل الشهداء وأكرم السعداء المستحي منه ملائكة الرحمن ذي النورين أبي عمرو عثمان بن عفان، وعن البطل البهلول وزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول قالع الباب وهازم الأحزاب إمام الدين وعالمه وقاضي الشرع وحاكمه والمتصدق في الصلاة بخاتمه مفدى رسول الله ﷺ بنفسه ومظهر العجائب الإمام أبي الحسنين علي بن أبي طالب، وعن السبطين الشهيدين الحسن والحسين، وعن العمين الشريفين الحمزة والعباس، وعن الأنصار والمهاجرين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين يا رب العالمين.

اللهم أصلح الإمام والأمة والراعي والرعية، وألف بين قلوبهم في الخيرات وادفع شر بعضهم عن بعض، اللهم وأنت العالم بسرائرنا فأصلحها، وأنت العالم بذنوبنا فاغفرها، وأنت العالم بعيوبنا

فاسترها، وأنت العالم بحوائجنا فاقضها، لا ترانا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث أمرتنا وأعزنا بالطاعة ولا تذلنا بمعصية واشغلنا بك عمن سواك واقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك وألهمنا ذكرك وشكرك وأعنا على حسن عبادتك، ثم يشير بإصبعه تلقاء وجهه ويقول: لا إله إلا الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ما شاء الله لا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم لا تحينا في غفلة ولا تأخذنا على غرة، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وكان ﷺ إذا قام من مجلسه ناقضُ إيمان أو ناقض توبة يقول: "يا هذا ناديناك وما أجبت وكم ردعناك وما ارتدعت وكم استعجلناك وما عجلت وكم وبخناك وما خجلت وكم كاشفناك وأنت تعلم أنا نراك،وكم أمهلناك أياماً وشهوراً وكم بشرناك أعواما ودهوراً وأنت لا تزداد إلا نفوراً ولا ترينا إلا فجوراً.

يا هذا إن نقضت العهد والوعود، وعدت بعد أن عاهدتنا أن لا تعود ونحن قد أنذرناك لكي تقوم، وما يدريك، إنَّ صفحنا عنك لا يدوم، فكيف بك إن رددناك أو طردناك وما أردناك ولا عذرناك وما أعدناك، ولم نقبل رجوعك، ألم تعلم أنك جئتنا خاشعا ووقفت بأبوابنا خاضعاً، ثم انحرفت عنا راجعاً، عجباً لمن يدعي حبنا كيف لا يسمح بكله، ويا عجباً لمن يجد قربنا أو ذاق شربة من شراب أنسنا كيف ينفرد عن حزبنا.

يا هذا: لو كنت صادقا لكنت موافقاً، ولو كنت آلفا لم تكن مخالفا، لو كنت من أحبابنا لم تبرح عن بابنا وتلذذت بعذابنا.

يا هذا: ليتك لم تخلق، وإذا خلقت علمت لماذا خلقت، (أي ليتك بعدما خلقت علمت لماذا خلقت).

يا نائما انتبه وافتح عيونك وانظر أمامك فقد أتتك جنود العذاب واستحققتها لولا لطف الكريم الوهاب، يا زائل يا راحل يا منتقل تزود وهيِّئ سفرتك، سافر ألف عام لتسمع مني كلمة واحدة، يا أخي بالله عليك لا تغتر بطول الحياة وكثرة المال والجاه، فإن بين تقلب الليل والنهار أموراً عجيبة وحادثات غريبة، كم سَمَّتِ الدنيا مثلك مما كان قبلك، فخذ حذرك،

فها هي قد جردت سيفها لقتلك فإنها غدارة مكارة، وإذا أمكنتها الفرصة شنت عليك الغارة، كم غرت مثلك بخلب برقها اللامع، وأوسعت له المطامع فهو لأمرها طائع وليمينها سامع ولمرادها وهواها متابع، ثم سقته على غرة منه كأساً من سمها الناقع، فما أحس إلا والديار منه بلاقع، وبكى الدم فضلا عن المدامع حيث صار رهين عمله بقعر قبره إلى يوم بعث الأموات من المضاجع.

وهذه جُمَلٌ من كلامه الذي يفوح منه عبير المسك، اخترتها من كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني الذي جمع بعض مواعظه

– قال ﵁ في التسليم وعدم الاعتراض على الله تعالى: "الاعتراض على الحق عزّ وجل عند نزول الأقدار موت الدين، موت التوحيد، موت التوكل والإخلاص، والقلب المؤمن لا يعرف لم وكيف، بل يقول بلى، النفس كلها مخالفة منازعة فمن أراد صلاحها فليجاهدها حتى يأمن شرها.... فإذا جوهدت واطمأنت صارت كلها خيراً في خير، تصير موافقة في جميع الطاعات وفي ترك جميع المحرمات، فحينئذ يقال لها:" يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً"....

صلاح القلب بالتقوى والتوكل على الله عزّ وجل والتوحيد له والإخلاص في الأعمال، وفساده بعدم ذلك، القلب طائر في قفص البنية، كَدُرَّة في حقة، كَمَالٍ في خزانة، فالاعتبار بالطائر لا بالقفص، بالدرة لا بالحقة، بالمال لا بالخزانة.

اللهم اشغل جوارحنا بطاعتك، وقلوبنا بمعرفتك، واشغلنا طول حياتنا في ليلنا ونهارنا، وألحقنا بالذين تقدموا من الصالحين، وارزقنا ما رزقتهم، وكن لنا كما كنت لهم آمين....

يا غلام: عظ نفسك أولاً ثم عظ نفس غيرك، عليك بخويصة نفسك، لا تتعدّ إلى غيرك وقد بقي عندك بقية تحتاج إلى إصلاحها، ويحك؟ أنت تعرف كيف تخلص غيرك، أنت أعمى، كيف تقود غيرك؟ إنما يقود الناس البصير، إنما يخلصهم من البحر السابح المحمود، إنما يردّ الناس إلى الله عزّ وجل من عرفه، أما من جهله كيف يدل عليه؟لا كلام لك في تصرف الله عزّ وجل...

ويحك: تدعي أنك عبده وتطيع سواه، لو أنك عبده على الحقيقة لعاديت فيه وواليت فيه... قال عزّ وجل: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** [سورة البينة] دع عنك الشرك بالخلق ووحد الحق عزّ وجل هو خالق الأشياء جميعها وبيده الأشياء جميعها، يا طالب الأشياء من غيره ما أنت عاقل، هل شيء ليس هو في خزائن الله عزّ وجل، قال الله عزّ وجل: **﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾**[سورة الحجر] هذا آخر الزمان، قد ظهر سوق النفاق، سوق الكذب، لا تقعدوا مع المنافقين الكذابين الدجالين، ويحك نفسك منافقة كاذبة كيف تقعد معها؟ خالفها لا توافقها قيدها ولا تطلقها، اسجنها وأجر عليها حقها الذي لا بد لها منه، اقمعها بالمجاهدات، وأما الهوى فاركبه ولا تخله يركبك، والطبع فلا تصحبه فإنه كالطفل، كيف تتعلم من طفل صغير وتقبل منه، والشيطان فهو عدوك وعدو أبيك آدم عليه السلام، كيف تسكن إليه وتقبل منه وبينك وبينه دم وعداوة قديمة؟ لا تأمن منه، فإذا تمكن منك قتلك، اجعل التقوى سلاحك، والتوحيد لله عزّ وجل والمراقبة له والورع في الخلوات، والصدق والاستعانة بالله عزّ وجل جندك، فهذا السلاح وهذا الجند هم الذين يهزمونه ويهدمونه ويكسرون جيشه، كيف لا تهزمه والحق معك،....

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحبك فقال: "...**إن كنت تحبني فأعد للفقر تِجفافاً** ..." رواه الترمذي.

وجاء رجل آخر إلى النبي ﷺ فقال إني أحب الله عزّ وجل فقال: "**اتخذ للبلاء جلبابا**".

محبة الله ورسوله مقرونان بالفقر والبلاء، ولهذا قال بعض الصالحين: وكل البلاء بالولاء" كي لا يُدَّعى، لو لم يكن كذلك وإلا كان كل أحد يدعي محبة الله عزّ وجل، فجعل الثبات على البلاء والفقر تنبيها على هذه المحبة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

- من كلامه في الصبر ومواساة الفقراء، قال رضي الله عنه: "إنما يظفر بما عند الله عزّ وجل بالصبر، ولهذا أكد الله عزّ وجل أمر الصبر، الفقر والصبر لا يجتمعان إلا في حق المؤمن، المحبون يبتلون فيصبرون ويلهمون فعل الخيرات مع بلائهم، ويصبرون على ما يتجدد عليهم من عند ربهم عزّ وجل، لولا الصبر لما رأيتموني بينكم... واسوا الفقراء بشيء من أموالكم، لا تردوا

سائلا وأنتم تقدرون أن تعطوه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً، وافقوا الحق عزّ وجل في حبه العطاء، واشكروه كيف أهّلكم وأقدركم على العطاء.

ويحك: إذا كان السائل هدية الله عزّ وجل وأنت قادر على إعطائه فكيف ترد الهدية على مهديها، عندي تستمع وتبكي، وإذا جاء الفقير يقسو قلبك، فدل على أن بكاءك وسماعك ما كان خالصاً لله عزّ وجل، السماع عندي أولا بالسر، ثم بالقلب ثم الجوارح....

يا غلام: تناول الأقسام بيد الزهد لا بيد الرغبة، ليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويضحك، كُلِ الأقسام وقلبك مع الحق عزّ وجل، فإنك تسلم من شرها، إذا أكلت من يد الطبيب كان خيراً من أن تأكل وحدك ما لا تعلم أصله، يا غلام: لا تخالط الناس مع العمى مع الجهل مع الغفلة والنوم، خالطهم بالبصيرة والعلم واليقظة، فإذا رأيت منهم ما تحمده فاتبعه، وإذا رأيت منهم ما يسوؤك فاجتنبه وردهم عنه... أنتم في غفلة عن الحق سبحانه، عليكم باليقظة له...

ويحك: كم تتأول وتترخص، المتأول غادر، إذا ركبنا العزيمة وتعلقنا بالإجماع وأخلصنا في أعمالنا تخلصنا.

فكيف إذا تأولنا وترخصنا، العزيمة ذهبت وذهب أهلها، هذا زمان الرخص لا زمان العزائم، هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير الحق، قد كثر من يصلي ويصوم ويحج ويزكي ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق.

- وقال رضي الله عنه في القناعة والتسليم لله: "أيها الفقير لا تتمن الغنى فلعله سبب هلاكك، وأنت أيها المريض لا تتمن العافية فلعها سبب هلاكك، كن عاقلا، احفظ ثمرك يحمد أمرك، اقنع بهذا القدر الذي معك ولا تطلب زيادة عليه...

وليكن أكثر سؤالك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة، اقنع بهذا فحسب، لا تتخير على الله عزّ وجل، ولا تتجبر فإنه يقصمك لا تتجبر على الله عزّ وجل وعلى خلقه بشبابك وقوتك ومالك فإنه يبطش بك، ويأخذك أخذ من أخذه فإن أخذه أليم شديد...

يـا غـلام: علمـك يناديـك أنـا حجـة عليـك إن لم تعمـل بي، وحجـة لـك إن عملت بي....

يا مسكين: دع عنك الكلام فيما لا ينفعك، اترك التعصب في المذهب واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة، سترى عن قريب خبرك وتذكر كلامي سوف ترى عند الطعان وليس على رأسك خوذة... فرغ قلبك من هموم الدنيا فإنك مأخوذ منها عن قريب، لا تطلب طيب العيش فما يقع بيدك، قال النبي ﷺ: "**العيش عيش الآخرة**"... فالعاقل من يلزم بابه، ويعرض عن باب غيره، يا مُدْبِر أراك ترضي الخلق وتسخط الخالق، تخرب آخرتك بعمارة دنياك...

يا غلام: لا تكن في أخذك للدنيا كحاطب الليل ما يدري ما يقع بيده، إني أراك في تصرفاتك كحاطب ليل في ليلة ظلماء لا قمر فيها ولا ضوء معه، وهو في رملة كثيرة الدغل والحشرات القاتلة فيوشك أن يقتلك شيء منها، عليك بالاحتطاب نهاراً فإن ضوء الشمس يمنعك أن تأخذ ما يضرك، كن في تصرفاتك مع شمس التوحيد والشرع والتقوى فإن هذه الشمس تمنعك عن الوقوع في شبكة الهوى والنفس والشيطان والشرك بالخلق.

يا غلام: إن أردت أن لا يبقى بين يديك باب مغلق فاتق الله عزّ وجل، فإنها مفتاح لكل باب، قال الله تعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** [سورة الطلاق]

- وقال ﵁ في الحث على التوبة: "يا قوم: انتهزوا واغتنموا باب الحياة ما دام مفتوحاً، عن قريب يغلق عنكم، اغتنموا أفعال الخير ما دمتم قادرين عليها، اغتنموا باب التوبة وادخلوا فيه ما دام مفتوحاً لكم، اغتنموا باب الدعاء فهو مفتوح لكم، اغتنموا باب مزاحمة إخوانكم الصالحين فهو مفتوح لكم...

لا كلام لك حتى تقطع الفيافي والقفار من حيث قلبك، وتفارق الكل من حيث سرك، أما تعلم أن طالب الحق عزّ وجل مفارق الكل قد تيقن أن كل شيء من المخلوقات حجاب بينه وبينه عزّ وجل، مع أي شيء وقف انحجب به.

يا غلام: لا تكسل فإن الكسلان يكون أبداً محروماً والندامة في ربقه، جوّد أعمالك وقد جاد الحق عزّ وجل عليك بالدنيا والآخرة...

من ذاق عرف، حسن العشرة مع الخلق والموافقة لهم مع حدود الشرع ورضاه حسن مبارك...

يا قوم: استحيوا من الله عزّ وجل حق الحياء لا تغفلوا زمانكم يضيع، قد اشتغلتم بجمع ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وتبنون ما لا تسكنون، كل هذا يحجبكم عن مقام ربكم عزّ وجل، يخيم ذكر الله عزّ وجل في قلوب العارفين ويحيط بها وينسيها ذكر كل مذكور فإذا تم هذا فالجنة هي المأوى...

اطرق باب الحق عزّ وجل واثبت على بابه، فإنك إذا ثبت هناك، بانت لك الخواطر فتعرف خاطر النفس، وخاطر القلب، وخاطر إبليس، وخاطر الملك.

- وقال ﷺ في سبب محبة الله للعبد: "يا غلام: أين عبودية الحق عزّ وجل، هات حقيقة العبودية وخذ الكفاية في جميع أمورك... ارجع إليه وذل له وتواضع لأمره بالامتثال ولنهيه بالانتهاء، ولقضائه بالصبر والموافقة.

إذا صحت عبوديتك له أحبك، وقويَ حبه في قلبك وآنسك به وقربك منه من غير تعب، فتكون راضيا عنه في جميع الأحوال، فلو ضيق عليك الأرض برحبها، وسد عليك الأبواب بسعتها لم تسخط عليه، ولم تقرب باب غيره، ويحك: تعرف الله عزّ وجل وترجع تنكره، لا ترجع عنه فإنك تحرم الخير كله، اصبر معه ولا تصبر عنه، أما علمت أن من صبر قدر... عليكم به وقد رأيتم الخير عاجلا وآجلاً، عليكم بزيارة القبور والقصد إلى الصالحين، وفعل الخير وقد استقام أمركم، لا تكونوا من الذين إذا وعظوا لم يتعظوا، وإذا سمعوا لم يعملوا، ذهاب دينكم بأربعة أشياء: الأول: أنكم لا تعملون بما تعلمون والثاني: أنكم تعملون بما لا تعلمون، الثالث: أنكم لا تتعلمون ما لا تعلمون فتبقون جهالاً، الرابع: أنكم تمنعون الناس من تعلم ما لا يعلمون.

يا قوم: إذا حضرتم مجالس الذكر تحضرونها للفرجة لا للمداواة، تعرضون عن وعظ الواعظ وتحفظون عليه الخطأ والزلل، وتستهزئون وتضحكون وتلعبون، أنتم مخاطرون، توبوا من هذا لا تتشبهوا بأعداء الله عزّ وجل، وانتفعوا بما تسمعون،

يا غلام: تَنبَّه قبل أن تُنبَّه بلا أمرك، تدين وخالط أهل الدين فإنهم هم الناس، أعقل الناس من أطاع الله عزّ وجل، وأجهل الناس من عصاه.

يا غلام: تصحب الجهال فيتعدى إليك من جهلهم، صحبة الأحمق صحبة غبن، اصحب المؤمنين الموقنين العالمين العاملين بعلمهم، ما أحسن أحوال المؤمنين في جميع تصرفاتهم، ما أقواهم على مجاهداتهم وقهرهم لنفوسهم وأهويتهم، لا تخلط الجد بالهزل، الدائرة على الخوف من الله عزّ وجل والخشية له، إذا لم يكن لك خوف منه فلا أمن لك في الدنيا والآخرة، الخشية من الله عزّ وجل هي العلم بعينه ولذلك قال الله عزّ وجل: **﴿إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماءُ﴾** [سورة فاطر]

– وقال ﷺ في نصيحة المؤمن لأخيه: "المؤمن صادق في نصحه لأخيه المؤمن، يبين له أشياء تخفى عليه، يفرق له بين الحسنات والسيئات، يعرفه ماله وما عليه، سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي، إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء، آخرتي قد حصلت لي عند ربي عزّ وجل، ما أنا طالب دنيا، ما أنا عبد الدنيا ولا الآخرة، ولا ما سوى الحق عزّ وجل، ما أعبد إلا الخالق الواحد الأحد القديم، فرحي بفلاحكم، وغمي لهلاككم، إذا رأيت وجه مريد صادق قد أفلح على يدي شبعت وارتويت واكتسيت وفرحت كيف خرج مثله من تحت يدي.

يا غلام: مرادي أنت لا أنا، أن تتغير أنت لا أنا، أنا عبرت وإنما رددتني لأجلك تعلق بي حتى تعبر بالعجلة.

يا قوم: دعوا التكبر على الله عزّ وجل وعلى خلقه، اعرفوا قدركم وتواضعوا في نفوسكم...، لا تكونوا ممن يقوده الطمع ويصيده الهوى، ويحمله الهوى إلى أبواب السلاطين في تطلب شيء منهم لم يقسم له أو يطلب منهم ما قد قسم له بالذل والمهانة،
يا غلام: فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوة، السير سير القلب، القرب قرب الأسرار، العمل عمل المعاني مع حفظ حدود الشرع بالجوارح والتواضع لله عزّ وجل ولعباده، من جعل لنفسه وزنا فلا وزن له، من أظهر أعماله للخلق فلا عمل له، قد سبق تفريطك في إحكامك للأساس، ما ينفعك إحكامك للبناء الذي فوقه، أساس الأعمال

التوحيد والإخلاص، فمن لا توحيد له ولا إخلاص له لا عمل له، احكم أساس عملك بالتوحيد والإخلاص، ثم ابن الأعمال بحول الله عزّ وجل وقوته لا بحولك وقوتك، يد التوحيد هي البانية لا يد الشرك والنفاق، الموحد هو الذي يرتفع قدر عمله أما المنافق فلا، اللهم باعد بيننا وبين النفاق في جميع أحوالنا.

- وقال ﷺ يوصي بالصبر: "اصبروا فإن الدنيا كلها آفات ومصائب، والنادر منها غير ذلك، ما من نعمة إلا وفي جنبها نقمة، ما من فرحة إلا ومعها ترحة، ما من سعة إلا ومعها ضيق، تناولوا أقسامكم منها بيد الشرع، فإنه هو الدواء في تناول ما يؤخذ من الدنيا... من لا يوافق القدر لا يرافق ولا يوافق، من لم يرض بالأقضية لا يرض عنه، من لم يعط لا يُعْطَ، من لم يزر لا يركب، يا جاهل: تريد أن تغير وتبدل، تريد أن الله عزّ وجل يوافقك، هذا بالعكس، اعكس تصب، لولا الأقدار لما عرفت الدعاوى الكاذبة، عند التجارب تتبين الجواهر.

- وقال ﷺ محذراً من الرياء والنفاق: "المرائي ثوبه نظيف وقلبه نجس، يزهد في المباحات، ويكسل عن الاكتساب، ويأكل بدينه ولا يتورع جملة، يأكل الحرام الصريح، يخفي أمره على العوام ولا يخفى على الخواص، كل زهده وطاعته على ظاهره، ظاهره عامر وباطنه خراب، ويلك طاعة الله عزّ وجل بالقلب لا بالقالب، كل هذه الأشياء تتعلق بالقلوب والأسرار والمعاني، تعرَّ مما أنت فيه حتى آخذ لك من الحق عزّ وجل كسوة لا تبلى عوضا، اخلع أنت حتى يكسوك هو، اخلع ثياب وقوفك مع الخلق وشركك بهم، اخلع ثياب الشهوات والرعونات والعجب والنفاق وحبك للقبول عند الخلق وإقبالهم عليك وعطاياهم لك، اخلع ثياب الدنيا والبس ثياب الآخرة، انخلع من حولك وقوتك وجودك واستطرح بين يدي الحق عزّ وجل بلا حول ولا قوة ولا وقوف مع سبب، ولا شرك بشيء من المخلوقات، فإذا فعلت هذا رأيت ألطافه حواليك تأتيك، رحمته تجمعك ونعمته ومنته تكسوك، اهرب إليه انقطع إليه عريانا بلا أنت ولا غيرك، سر إليه متفرقاً مفارقاً حتى يجمعك ويوصلك بقوى ظاهرك وباطنك، حتى لو أغلق الأكوان عليك وحملك جميع الأثقال لا يضرك ذلك بل يحفظك فيه.

عليكم بإماتة نفوسكم وأهويتكم وشياطينكم قبل أن تموتوا، عليكم بالموت الخاص قبل الموت العام... فإذا تم هذا لك صرت دواء للخلق هاديا مهديا بإذن الحق عزّ وجل.

- وقال ﷺ في الحث على تحمل البلاء:" عن النبي ﷺ: **"إن الله لا يُعذب حبيبه ولكن قد يبتليه"**. المؤمن يثبت عنده أن الله عزّ وجل ما يبتليه بشيء إلا لمصلحة تعقب ذلك، إما دنيا أو آخرة، فهو راض بالبلاء وصابر عليه غير متهم ربه عزّ وجل، شغله ربه عزّ وجل عن البلاء، يا مشغولين بالدنيا دعوا عنكم الكلام في هذه المقامات فإنكم تتكلمون بألسنتكم لا بقلوبكم...

ويحك: كيف تفسد آخرتك بدنياك؟ كيف تفسد طاعة مولاك عزّ وجل بطاعة نفسك وهواك وشيطانك والخلق؟ كيف تفسد تقواك بشكواك إلى غيره؟ أما تعلم أن الله عزّ وجل حافظ للمتقين وناصر لهم.

يا قوم: تابعوا حتى تُتَابَعوا، اخدموا حتى تُخدموا... أما سمعتم: "كما تدين تُدَانُ، كما تكونوا يولَّ عليكم"... لا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون، أيش يعطونك؟ أيعطونك ما لم يقسم لك، أو يقدرون يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عزّ وجل، لا شيء مستأنف من عندهم، إن قلت إن عطاءهم مستأنف من عندهم كفرت، أما تعلم أنه لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع ولا مقدم ولا مؤخر إلا الله عزّ وجل؟ فإن قلت:إني أعلم ذلك قلت لك: كيف تعلم هذا وتقدم غيره عليه.

- وقال ﷺ في عدم التكلف: "التقي لا يتكلف عبادة الله عزّ وجل لأنها صارت طبعه، فهو يعبد الله بظاهره وباطنه من غير تكلف منه، أما المنافق فهو في كل أحواله يتكلف... لا يقدر أن يدخل مدخل المتقين، لكل مكان مقال، ولكل عمل رجال، يا منافقون توبوا من نفاقكم، وارجعوا من إباقكم، كيف تتركون الشيطان يضحك عليكم، ويشتفي بكم، يا غلام: ليكن الخرس دأبك والخمول لباسك، والهرب من الخلق كل مقصودك، وإن قدرت أن تنقب في الأرض سرباً تخفى فيه فافعل، ليكن هذا دأبك إلى أن يترعرع إيمانك ويقوى قدم إيقانك، ويتريش جناح صدقك، وتنفتح عينا قلبك، فترفع أرض بيتك... فحينئذ أطلق لسانك في الكلام، واخلع لباس الخمول، واترك الهرب من الخلق، واخرج من سربك إليهم فإنك دواء لهم غير مستضر في نفسك، لا تبال بقلتهم وكثرتهم، وإقبالهم وإدبارهم وحمدهم

وذمهم لا تبال وأنت مع ربك عزّ وجل... كل إناء ينضح بما فيه، أعمالك دلائل على اعتقادك، ظاهرك دليل على باطنك، ولهذا قال بعضهم: الظاهر عنوان الباطن...

أللهم لا تبلنا اللهم ارزقنا القرب منك بلا بلاء، اللهم قرباً ولطفاً، اللهم قربا بلا بعد لا طاقة لنا على البعد منك ولا على مقاساة البلاء....

- وقال ﷺ في معرفة الله عزّ وجل: "يا قوم: اعرفوا الله ولا تجهلوه، وأطيعوا الله ولا تعصوه، ووافقوه ولا تخالفوه وارضوا بقضائه ولا تنازعوه، واعرفوا الحق عزّ وجل بصنعته"...

كونوا في جميع أموركم بين يدي الرسول ﷺ مشدودي الأوساط تحت أمره ونهيه واتباعه،... لا ينفع لسان عليم وقلب جاهل: عن النبي ﷺ: **"أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان"** رواه الروداني.

يا علماء يا جهال يا حاضرون يا غائبون: استحيوا من الله عزّ وجل: وانظروا بقلوبكم إليه، ذلوا له، صيروا أنفسكم تحت مطارق قدره، ألزموها بالشكر على نعمه، واصلوا الضياء بالظلام في طاعته، فإذا تحقق ذلك منكم جاءتكم كرامة الله عزّ وجل**...**

يا غلام: لا تغتر بحلم الله عزّ وجل عنك فإن بطشه شديد، لا تغتر بهؤلاء العلماء الجهال بالله عزّ وجل كل علمهم عليهم لا لهم، هم علماء بحكم الله عزّ وجل جهال بالله عزّ وجل يأمرون الناس بأمر ولا يمتثلونه، وينهونهم عن شيء ولا ينتهون عنه، يدعون إلى الحق وهم يفرون منه

- وقال ﷺ في النهي عن الاستهانة بالأولياء: "يا غلام: استهانتك بأولياء الله عزّ وجل من قلة معرفتك بالله عزّ وجل، تقول هؤلاء متهمون لم لا يتعيشون معنا؟ لم لا يقعدون معنا؟ تقول هذا لجهلك بنفسك، لما قلت معرفتك بنفسك قلت معرفتك بأقدار الناس، على قدر قلة معرفتك بالدنيا وعاقبتها تجهل قدر الآخرة، وعلى قدر قلة معرفتك بالآخرة تجهل الحق عزّ وجل،... حاسب نفسك قبل مجيء الآخرة، لا تغتر بحلم الله عنك وكرمه عليك أنت قائم على أسْوَإِ الأحوال من المعاصي والزلات وظلم الناس، المعاصي برِيدُ الكفر، كما أن الحمى بريد الموت...

يا شباب: توبوا، أما ترون الحق عزّ وجل يبتليكم بالبلاء حتى تتوبوا وأنتم لا تعقلون وتصرون على معاصيه...

يا قوم لا تيئسوا من روح الله عزّ وجل وفرجه فإنه قريب،... اصبر واعمل حتى تسري بقلبك وسّرِكَ وروحك إلى باب القرب من ربك.

إذا أراد الله تعالى بعبد من عبيده خيراً علمه، ثم ألهمه العمل والإخلاص، يا غلام: لا تيئس من رحمة الله عزّ وجل بمعصية ارتكبتها، بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها، وطيبه وبخره بطيب المعرفة.

العلماء العمال بعلمهم نواب السلف، هم ورثة الأنبياء وبقية الخلق، هم مقدمون بين أيديهم يأمرونهم بالعمران في مدينة الشرع، وينهونهم عن خرابها.

يا منافق: طهر الله عزّ وجل الأرض منك، ما يكفيك نفاقك حتى تغتاب العلماء والأولياء والصالحين بأكل لحومهم، أنت وإخوانك المنافقون مثلك عن قريب تأكل الديدان ألسنتكم ولحومكم وتقطعكم وتمزقكم، والأرض تضمكم فتسحقكم وتقلبكم، لا فلاح لمن لا يحسن الظن بالله عزّ وجل وبعباده الصالحين ويتواضع لهم، لم لا تتواضع لهم وهم الرؤساء والأمراء، من أنت بالإضافة إليهم، بهم تمطر السماء وتنبت الأرض، كل الخلق رعيتهم، كل واحد كالجبل لا تزعزعه ولا تحركه رياح الآفات والمصائب، لا يتزعزعون من أمكنة توحيدهم ورضاهم عن مولاهم عزّ وجل، طالبين لأنفسهم ولغيرهم، توبوا إلى الله عزّ وجل واعتذروا إليه، إيش بين أيديكم؟ لو عرفتم لكنتم على غير ما أنتم عليه، تأدبوا كما كان يتأدب من سبقكم، الشجاعة في الدين تكون في قضاء حقوق الله عزّ وجل.

لا تستهينوا بكلمات الحكماء والعلماء، فإن كلامهم دواء وكلماتهم ثمرة، ليس بينكم نبي موجود بصورة حتى تتبعوه، فإذا تبعتم المتبعين للنبي ﷺ المحققين في اتباعه فكأنما قد اتبعتموه، اصحبوا العلماء المتقين فإن صحبتكم لهم بركة عليكم، ولا تصحبوا العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فإن صحبتكم لهم شؤم عليكم، إذا صحبت من هو أكبر منك في التقوى والعلم كانت صحبتك له بركة عليك، وإذا صحبت من هو أكبر منك في السن ولا تقوى له ولا علم له كانت صحبتك له شؤماً عليك.

وقال: يا قوم متى تعقلون متى تدركون الذي أسير إليه، طوفوا على مريدي الحق عزّ وجل فإذا وقعتم بهم فاخدموهم بأموالكم وأنفسكم، المريدون الصادقون لهم روائح لهم علامات ظاهرة نيرة على وجوههم ولكن الآفة فيكم وفي بصائركم وفي أفهامكم السقيمة، ما تفرقون بين الصدِّيق والزنديق، بين الحلال والحرام، بين المسموم وغير المسموم، بين المشرك والموحد، بين المخلص والمنافق، بين العاصي والطائع، بين مريد الحق عزّ وجل وبين مريد الخلق.

اخدموا الشيوخ العمال بالعلم حتى يعرفوكم الأشياء كما هي...

يا جهالاً ويا منافقين: ما أظلم قلوبكم، وما أنتن روائحكم، وما أكثر لقلقة ألسنتكم، توبوا من جميع ما أنتم فيه، واتركوا الطعن في الله عزّ وجل وفي أوليائه الذين يحبهم ويحبونه، ولا تعترضوا عليهم في تناول الأقسام فإنهم متناولون بالأمر لا بالهوى، عندهم شدة في حبهم لله عزّ وجل والشوق إليه والزهد فيما سواه وإعراض الظاهر والباطن عن الكُل، ولكن لهم أقسام قد سبق بها العلم لا بد لهم من تناولها، أشد البلاء عليهم قيامهم في الدنيا وبقاؤهم فيها وتَلبسهمْ بأقسامهم ورؤيتهم للمكذبين لله عزّ وجل....

وعن بعضهم أنه قال: وكل البلاء بالولاء، كي لا يدعي محبة الله عزّ وجل مع كذبه ونفاقه وريائه، ارجع عن دعواك وكذبك، لا تخاطر برأسك، إن كنت جئت تصدق وإلا فلا تتبعنا، لا تتبهرج على الصيرفي فإنه لا يقبل منك ويفضحك، لا تتولع بالحية والسبع فإنهما يهلكانك، وإن كان لك قوة فتقدم إلى السبع، طريق الحق عزّ وجل يحتاج إلى الصدق ويحتاج إلى نور المعرفة به، شمس المعرفة طالعة في قلوب الصديقين لا تغيب ليلا ولا نهاراً.

يا غلام: أعرض عن المنافقين المتعرضين لمقت الله عزّ وجل، كن عاقلا ولا تقرب أكثر أهل الزمان فإنهم ذئاب عليهم ثياب، خذ مرآة الفكر وانظر فيها واسأل الله عزّ وجل أن يبصرك بك وبهم،

اللهم سلمنا من شرورهم وارزقني خيرك دنيا وآخرة، إني لا أريدكم لي وإنما أريدكم لكم، في حبالكم أفتل، ما آخذ منكم شيئاً إلا لكم لا لي، عندي فيما يخصني غنى عما آخذه منكم، ما عندي إلا الكسب أو التوكل على الله عزّ وجل، لا أنتظر ما تأتوني به كما ينتظركم هذا المنافق المرائي المتوكل عليكم الناسي لربه عزّ وجل، أنا محك أهل الأرض فكونوا عقلاء ولا

تتبهرجوا عليَّ فإني أعرف جيدكم من رديئكم بتوفيق الله عزّ وجل وتأهيله لي، إن أردت الفلاح فكن سندانا لقضيبي حتى أقرع دماغ نفسك وهواك وطبعك وشيطانك وأعدائك وأقرانك السوء، استعينوا بربكم عزّ وجل على هؤلاء الأعداء، والمنصور من يصبر عليهم والمخذول من وكل إليهم...

وقال: يا غلام: ما دام حب الدنيا في قلبك لا ترى شيئاً من أحوال الصالحين، لا كلام حتى تزهد في الدنيا والخلق، كن مجتهداً تر ما لا يَرَاهُ غيرك تخرق لك العادة، إذا تركت ما هو في حسابك جاءك ما هو في غير حسابك، إذا اعتمدت على الحق عزّ وجل واتقيته خلوة وجلوة رزقك من حيث لا تحتسب، اترك أنت يعطك هو، في البداية الترك وفي الآخرة الأخذ، في بدء الأمر تكليف القلب بترك الشهوات، وفي آخره تناولها، الأول للمتقين، والثاني للأبدال الواصلين،... يا مرائي يا منافق يا مشرك لا تزاحمهم فيما تترك هم معدودون، لا تطلب أحوالهم فيما يقع بيدك، هم خرقوا العادات وأنت حفظتها فلا جرم خرقت لهم العادات ولم تخرق لك، قاموا عند نومك، صاموا عند إفطارك، خافوا عند أمنك، أمنوا عند خوفك، بذلوا عند إمساكك، عملوا للحق عزّ وجل وعملت أنت لغيره، أرادوه وأردت أنت غيره، سلموا الأمر إليه وجاذبته أنت وحاربته، فغنوا بقضائه، وقطعوا ألسنتهم عن الشكوى إلى الخلق ولم تفعل أنت، كذلك صبروا على المرارة فانقلبت في حقهم حلاوة،... يواصلون الحق عزّ وجل بالطاعة والخلق بحسن العشرة والأهل بالصلة، هم في نعيم الدنيا والآخرة، في الدنيا نعيم القرب وفي الآخرة نعيم الجنة، ورؤيتهم لله عزّ وجل والسماع لكلامه والتلبس بخلعه.

ما عليك منهم، اشتغل بالتوبة من ذنوبك ووقاحتك،

ويلك: الحياء من الله عزّ وجل يكون لا من الخلق، فتستحي من المحْدَثِ وتتواقح على القديم، هو الغني وغيره الفقير....

يا غلام: تتمنى على الله عزّ وجل بعبادتك مع سهوك وريائك ونفاقك وتطلب كرامته لك وتزاحم الصالحين مع فسادك....

- يا قوم: الدنيا تذهب، والأعمار تفنى، والآخرة قريبة منكم وما همكم لها بل همكم للدنيا وجمعها... العارفون العالمون به عبدوه له لا لغيره، أنتم ظاهر والقوم باطن، أنتم مبانٍ

والقوم معانٍ، أنتم جهر وهم سر، والقوم رجالة الأنبياء فصحت الوراثة لهم منهم، قال النبي ﷺ **"العلماء ورثة الأنبياء"**...

وقال: يا جاهل: تعلم العلم فلا خير في عبادة بلا علم، تعلم واعمل فإنك تفلح دنيا وأخرى، إذا لم يكن لك صبر على تحصيل العلم والعمل به كيف تفلح، العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه،... العلم حياة والجهل موت، يا غلام: تعلم العلم وأخلص حتى تخلص من شبكة النفاق وقيده، اطلب العلم لله عزّ وجل لا لخلقه ولا لدنياه، علامة طلبك العلم لله عزّ وجل خوفك ووجلك منه عند مجيء الأمر والنهي، تراقبه وتذل له في نفسك وتتواضع للخلق من غير حاجة إليهم لا طمعاً فيما في أيديهم...

وقال: إني أرى علماءكم جهالاً، زهادكم طالبي الدنيا وراغبين فيها، متوكلين على الخلق، "من تعزز بمخلوق فقد ذَلّ"...

وقال: من تقدم كانوا يطوفون الشرق والغرب في طلب الأولياء والصالحين الذين هم أطباء القلوب والدين فإذا حصل لهم واحد منهم طلبوا منه دواء لأديانهم، وأنتم اليوم أبغض إليكم الفقهاء والعلماء والأولياء الذين هم المؤدبون والمتعلمون فلا جرم لا يقع بأيديكم الدواء.

إيش ينفع علمي وطبي معك فكل يوم أبني لك أساساً وأنت تنقضه، أصف لك الدواء ولا تستعمله، أقول لك لا تأكل هذه اللقمة فيها سم كل هذه ففيها دواء فتخالفني،.... إني أنصحك ولا أفزع من سيفك ولا أريد ذهبك، من يكون مع الله عزّ وجل لا يفزع من أحد في الجملة لا من جن ولا من إنس ولا من حشرات الأرض وسباعها.

لا تزدروا بالشيوخ العمال بالعلم... عن بعضهم أنه قال: من لم يكن له شيخ فإبليس شيخه، اتبع العلماء بالكتاب والسنة العاملين بهما وحسن الظن بهم وتعلم منهم وأحسن الأدب بين أيديهم والعشرة معهم وقد أفلحت...

أما سمعت: "من استغنى برأيه ضل" هذب نفسك بصحبة من هو أعلم منك، اشتغل بإصلاحها ثم انتقل إلى غيرها....

الفقه في الدين سبب لمعرفة النفس، من عرف ربه عزّ وجل عرف الأشياء كلها به تصح له العبودية والعتق من عبودية غيره....

وقال: العلم يؤخذ من أفواه الرجال لا من الصحف، من هؤلاء الرجال رجال الحق عزّ وجل المتقون التاركون الوارثون العارفون العاملون المخلصون، ما هو غير التقوى هوس وباطل، الولاية للمتقين دنيا وآخرة.

لو كان لك خاطر صحيح عرفتهم وأجبتهم وصحبتهم، وإنما يصح الخاطر إذا تنور القلب بمعرفة الله عزّ وجل، لا تسكن إلى خاطرك حتى تصح المعرفة**....**

وقال عن كلام العارفين: كلامهم ككلام الجمادات (أي أنهم يتكلمون بإلهام الله وتوفيقه فيكون وقع كلامهم على القلوب كما لو سمع إنسان كلام جماد أنطقه الله فكيف يكون وقعه على القلب؟)...

وقال: العارف هو في كل ساعة أقرب إلى الله عزّ وجل مما كان في الساعة التي قبلها في كل ساعة يتجدد خشوعه لربه عزّ وجل وذله له... من أكثر مخالطة العارفين بالله عزّ وجل عرف نفسه، ذل لربه عزّ وجل، ولهذا قيل: من عرف نفسه عرف ربه...

تعلم مني الزهد والتناول، لا تقعد في زاويتك مع جهلك، تفقه ثم اعتزل، تفقه في حكم الله عزّ وجل واعمل به ثم انعزل.... آحاد أفراد من العلماء بالله عزّ وجل مخالطتك لهم وسماعك منهم أفضل من انعزالك، إذا رأيت واحدا منهم فالزمه وتعلم منه الفقه، العلم يؤخذ من أفواه الرجال من هؤلاء الرجال العلماء بحكم الله عزّ وجل فإذا صح لك ذلك انعزل وحدك بلا نفس وشيطان وهوى وطبع وعادة ورؤية للخلق... وإلا فانعزالك نفاق وتضييع من زمانك في لا شيء.

ويحك: تدعي العلم وتفرح فرح الجهال وتغضب كغضبهم، فرحك بالدنيا وإقبال الخلق عليك ينسيك الحكمة ويقسي قلبك... الوراثة إنما تصح بالعلم والعمل والإخلاص، وكلامه ﵁ في عدم الاستهانة بالأولياء وفي الحث على صحبتهم والحث على طلب العلم كثير.

- وقال ﵁ في الجهاد:" قد أخبرك الله عزّ وجل بجهادين: ظاهر وباطن. فالباطن: جهاد النفس والهوى والطبع والشيطان والتوبة عن المعاصي والزلات والثبات عليها، وترك الشهوات المحرمات،

والظاهر جهاد الكفار المعاندين له ولرسوله ﷺ ومقاساة سيوفهم ورماحهم وسهامهم يقتلون ويقتلون، فالجهاد الباطن أصعب من الجهاد الظاهر، لأنه شيء ملازم متكرر، وكيف لا يكون أصْعَب من الجهاد الظاهر وهو قطع مألوفات النفس من المحرمات وهجرانها وامتثال أوامر الشرع والانتهاء عن نهيه، فمن امتثل أمر الله عزّ وجل في الجهادين حصلت له المجازاة دنيا وآخرة، الجراحات في جسد الشهيد كالفصد في يد أحدكم لا ألم لها عنده، والموت في حق المجاهد لنفسه التائب من ذنوبه كشرب العطشان للماء البارد...

يا غلام: كن صحيحاً تكن فصيحاً، كن صحيحاً في الحكم تكن فصيحاً في العلم، كن صحيحاً في السر تكن فصيحاً في العلانية، كل السلامة في طاعة الله عزّ جل وهي امتثال جميع ما أمر به والانتهاء عن جميع ما نهى عنه، والصبر على جميع ما قضى به، مَنِ استجاب لله عزّ جل أجابه، ومن أطاعه طوع له خلقه.

- يا قوم: اقبلوا مني فإني ناصح لكم... لا تتهموني فإني أريد لكم ما أريد لنفسي قال النبي ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"** هذا قول أميرنا ورئيسنا وكبيرنا وقائدنا وسفيرنا وشفيعنا، مقدم النبيين والمرسلين والصديقين من زمان آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، قد نفى كمال الإيمان عمن لا يحب لأخيه المسلم مثل ما يحب لنفسه... يا قليل التدبير لك جار فقير ولك أهل فقراء ولك مال عليه زكاة، ولك ربح كل يوم، ومعك قدر يزيد على قدر حاجتك إليه، فَمَنْعُكَ لهم عن العطاء هو الرضا بما هم فيه من الفقر، ولكن إذا كان نفسك وهواك وشيطانك وراءك فلا جرم لا يسهل عليك فعل الخير، معك قوة حرص وكثرة أمل وحب الدنيا وقلة تقوى وإيمان

- يا قوم: يا إيش ينفعكم الجوع والعطش بالنهار والإفطار على الحرام بالليل، تصومون بالنهار وتعصون بالليل، يا أكلة الحرام أنتم تمنعون نفوسكم شرب الماء بالنهار ثم تفطرون على دِماء المسلمين، ومنكم من يصوم بالنهار ويفسق بالليل يا غلام: صم وإذا أفطرت فواس الفقراء بشيء من إفطارك...

ويحك: هلا قمت وأخذت ما بين يديك وأعطيته تجمع بين الحالين، التواضع في قيامك والعطاء من مالك، نبينا محمد ﷺ، كان يعطي السائل بيده ويعلف ناقته، ويحلب شاته،

ويخيط قميصه، كيف تدعون متابعته وأنتم مخالفون له في أقواله وأفعاله، وأنتم في دعوى عريضة بلا بينة....

يا قوم: تشبعون وجيرانكم جياع، وتدعون أنكم مؤمنون، يكون بين يدي أحدكم طعام كثير يفضل عنه وعن أهله ويقف السائل على بابه ويرد خائباً، عن قريب تبصر خبرك عن قريب تصير مثله وترد كما رددته مع القدرة على إعطائه....

وقال: المؤمن يتزود والكافر يتمتع، المؤمن يتزود لأنه على طريق يقنع باليسير من ماله ويقدم الكثير إلى الآخرة، يترك لنفسه بقدر زاد الراكب، بقدر ما يحمله، كل ماله في الآخرة، كل قلبه وهمته هناك، هو منقطع القلب هناك، من الدنيا يبعث جميع طاعاته إلى الآخرة لا إلى الدنيا وأهلها، إن كان عنده طعام طيب يؤثر به الفقراء، يعلم أنه في الآخرة يطعم خيراً منه، غاية همة المؤمن العارف العالم باب قربه من الحق عزّ وجل.

وقال: يا غلام قدم الآخرة على الدنيا فإنك تربحهما جميعاً، وإذا قدمت الدنيا على الآخرة خسرتهما جميعاً عقوبة لك...

قال: لا تهتم برزقك فإن طلبه لك أشد من طلبك له، إذا حصل لك رزق اليوم فدع عنك الاهتمام برزق الغد، كما تركت أمس مضى وغد لا تدري هل يصل إليك أم لا،....

قال: يا غلام لا تغتر بطاعتك وتعجب بها، اسأل الحق سبحانه وتعالى قبولها واحذر وخف أن ينقلك إلى غيرها...

قال: أعمالكم عمالكم، تعمل عمل أهل النار وترجو من الله عزّ وجل الجنان... وعن بعضهم أنه قال: وافق الحق عزّ وجل في الخلق ولا توافق الخلق في الحق، انكسر من انكسر وانجبر من انجبر، تعلموا موافقة الحق عزّ وجل من عباده الصالحين الموافقين... هم أعقل الناس،... ويحك تعمل عمل أهل النار وترجو الجنان، فأنت طامع في غير موضع الطمع، لا تغتر بالعارية وتظنها لك، عن قريب تؤخذ منك...

- وقال ﷺ في الإخلاص والمجاهدة: "يا غلام إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة، وإذا سكت فاسكت بنية صالحة، كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له...

يا قوم عليكم رقباء أنتم في توكيل الحق وما عندكم خبر، كونوا عقلاء، افتحوا أعين قلوبكم، إذا حضر أحدكم في بيته جماعة فلا يكن مبتدئاً بالكلام بل يكون كلامه جواباً ولا يسأل عما لا يعنيه، التوحيد فرض، وطلب الحلال فرض، وطلب ما لا بد منه من العلم فرض، والإخلاص في العمل فرض... اهرب من الفاسقين والمنافقين، والتحق بالصالحين الصديقين، إذا أشكل عليك الأمر ولم تفرق بين الصالح والمنافق فقم من الليل وصل ركعتين ثم قل يا رب دلني على الصالحين من خلقك، دلني على من يدلني عليك...

قال: الحق عزّ وجل أهل أن يخاف ويرجى ولو لم يخلق جنة ولا ناراً، أطيعوه طلبا لوجهه... ذلوا له بدموع أعينكم وقلوبكم، البكاء عبادة وهو مبالغة في الذل...

ويحك: أنت لا تعد من الرجال، الرجل الكامل في رجوليته لا يعمل لأحد سوى الحق عزّ وجل: قد عميت عينا قلبك وتكدر صفاء سرك، وقد حجبت عن ربك عزّ وجل وما عندك خبر ولهذا قال بعضهم سلام الله عليهم: ويل للمحجوبين الذين لا يعلمون أنهم محجوبون...

قال: معظم أعمالكم كجسد بلا روح، الروح هو الإخلاص والتوحيد والثبات على كتاب الله عزّ وجل وسنة رسوله...

وقال: عن الحسن البصرى رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: عظ الناس بعلمك وكلامك، يا واعظا عظ الناس بصفاء سرك وتقوى قلبك ولا تعظهم بتحسين علانيتك مع قبح سريرتك.... وعن بعضهم رحمة الله عليه أنه قال: كل ما يشغلك عن الله عزّ وجل فهو عليك مشؤوم...

قال: اللسان غلام القلب وتبع له، داوم على سماع المواعظ فإن القلب إذا غاب عن المواعظ عمي، حقيقة التوبة تعظيم أمر الحق عزّ وجل في جميع الأحوال، ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه:الخير كله في كلمتين: التعظيم لأمر الله عزّ وجل والشفقة على خلقه، كل من لا يعظم أمر الله عزّ وجل ولا يشفق على خلق الله فهو بعيد من الله.

– وقال: احذروا من أذية المؤمن فإنها سم في جسد مؤذيه وسبب لفقره وعقوبته، وقال: ويحك إذا كان هذا الكلب الشره حفظ الصيد، ويترك شرهه وطبعه، وهذا الطائر أيضاً بالتعليم يخالف طبعه ويترك ما كان عليه من أكل الصيود التي تجعل له، فنفسك أولى بالتعليم، علمها وفهمها حتى لا تأكل دينك وتمزقك.

وقال: كن عاقلاً لا تكذب، تقول أنا خائف من الله عزّ وجل وأنت تخاف من غيره... العاقل لا يخاف لومة لائم في جانب الله عزّ وجل... لا تتهم ربك عزّ وجل في فعله، نفسك أولى بالتهم واللوم من غيرها، قل لها العطاء لمن أطاع والعصا لمن عصى... لا يعرف الرياء إلا المخلصون.

قال: ويلك لا تجيئ بمحض العلم فحسب، كما لا تنفع دعوى بلا بينة، لا ينفع علم بلا عمل، ترتحل بركته وتبقى دراسته، يا تاركين العمل بالعلم أحدكم يحذق الشعر بعبارته وفصاحته وبلاغته وليس له عمل ولا إخلاص، لو تهذب قلبك لتهذبت جوارحك لأنه مَلِكُ الجوارح فإذا تهذب الملك تهذبت الرعية.

وقال: إن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا في حق العوام، وأما الخواص فيزيد إيمانهم بخروج الخلق من قلوبهم وينقص بدخولهم إليها...

قال: عليك بالصمت والحلم عن جهل الجاهلين وثوران طباعهم ونفوسهم وأهويتهم، أما إذا ارتكبوا معصية الحق عزّ وجل فلا صمت لأنه يحرم، يصير الكلام عبادة وتركه معصية، إذا قدرت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا تقصر عنه فإنه باب خير قد فتح في وجهك فبادر الدخول فيه.

وقال: قد قيدت نفسك بالخوف من الخلق والرجاء لهم، أزل هذه القيود من رجلها وقد قامت إلى خدمة ربها عزّ وجل... اللهم إنا نعوذ بك من الاتكال على الأسباب والوقوف مع الهوس والأهوية والعادات نعوذ بك من الشر في سائر الأحوال... وقال: دخلت على بعض الشيوخ وكان يتكلم على الخواطر فقال: تحب هذا الذي أنا عليه؟ قلت نعم، قال: أنا أصوم الدهر وأفطر وقت كل سحر، وطعام هذه البلدة ليس بطيب فتورع منه

وقال رضي الله عنه: بئس الرجل ينتبه بعد الموت، ينبغي للفقير أن يتزر بالقناعة ويرتدي العفة حتى يصل إلى الحق عزّ وجل ويسعى بقدم الصدق طالبا لباب القرب.

وقال: أكل الشهوات يقسي القلب ويقيد السر ويزيل الفطنة ويكثر النوم والغفلة ويقوي الحرص ويطول الأمل، يا مسجونا في سجن هواه... اعقل ذكر الموت فإن ذكره مفتاح كل خير وسلامة، إذا ذكرت الموت انقطع عنك الفضول، إذا ضعف حرصك وقل أملك استرجعت، فوضت أمورك كلها إلى الله عزّ وجل.

وقد سأله سائل أيهم أشد نار الخوف أو نار الشوق؟ فقال ﵁: نار الخوف للمريد، ونار الشوق للمراد، هذا شيء وهذا شيء أي النارين عندك يا سائل؟ ثم قال: يا معتمدين على الأسباب: نافعكم واحد، وضاركم واحد، ملككم واحد، وإلهكم واحد أما سمعتم قوله عز وجل: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾** [سورة الكهف]

ويحك: كيف تطلب الجاه والمال من هذا المِلك وتعتمد عليه في مهماتك وهو عن قريب إما معزول أو ميت، يذهب ماله وملكه وجاهه وينقل إلى قبره الذي هو بيت الظلمة والوحشة والوحدة والغم والهم والدود، وينقل من مُلْكٍ إلى هلك، إلا أن يكون له عمل صالح ونية صالحة فيتغمده الله برحمته ويخفف حسابه، لا تتكل على من يعزل أو يموت فيخيب رجاؤك وينقطع مددك، المؤمن ارتفعت همته... علم أن ربه عزّ وجل يحب العالين من الهمم فعلى همته،... فأعطاه النيابة والرياسة والإمارة والتمكن في الخلق فعاش في الدنيا رئيساً وفي الآخرة رئيساً، في الدنيا مَلِكاً وفي الآخرة مَلِكاً، يا قومِ اشكروا ربكم على نعمه ولا تضيفوها إلى غيره.

وقال: ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم، تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم،... توبوا واتركوا ذنوبكم وارجعوا إلى ربكم دون غيره، اذكروه وانسوا غيره... وقال: يا قوم اطلبوا الكل من الخالق، ابذلوا كلكم في طلبه (أي طلب رضاه) القوم بذلوا الأرواح في طلب قرب ربهم عزّ وجل علموا بالذي يَطْلبون فهان عليهم بذل أرواحهم، من علم ما يَطلب هان عليه ما يبذل، حكي: أن رجلا اجتاز على حجرة نخاس فرأى فيها جارية مستحسنة فتعلقت بقلبه

فلم يقدر أن يتجاوز الموضع، وكان تحته فرس يساوي مائة دينار وعليه أثواب جميلة وهو مقلد بسيف محلى بالذهب وبين يديه مملوك أسود يحمل الغاشية إلى صاحبها وطلب منه بيعها، فقال له: لا شك أنك قد أحببت جاريتي والمحب يبذل كل ما يملك في طلب محبوبه ولا أبيعها إلا بجميع ما تملك يدك في هذه الساعة، فنَزل عن فرسه وخلع جميع ما عليه من الثياب واستعار قميصاً من النخاس وسلم الجميع إليه مع المملوك الذي كان بين يديه وأخذ الجارية ومضى إلى بيته حافيا مكشوف الرأس، لما بذل الثمن أخذ المثمن، عرف ما طلب فهان عليه ما يبذل، الصادق المحبة لا يقف مع غير محبوبه، إذا قال الواحد من الخلق قد سمعت بخبر الجنة وما فيها من النعيم بقوله عزّ وجل: **﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين﴾** [سورة الزخرف] فما ثمنها؟ قلنا له قال الله عزّ وجل: **"إن اللهَ اشترى منَ المؤمنينَ أنفسَهُمْ وأموالهُمْ بأن لهم الجنة﴾** [سورة التوبة]

وقال: ويحك تعلمت وما عملت بعلمك فكيف ينفعك علمك، ما خدمت الشيوخ في حال شبابك كيف تخدم في حال كبرك، إن اتهمت شيخك فلا تصحبه فإنه لا يصح لك صحبته(أي لا تنفعك) المريض إذا اتهم الطبيب لم يبرأ بمداواته...

تتمنى سعة الرزق وقد سبق القلم بضيقه، فأنت معاقب ممقوت فإنك تطلب ما لم يقسم لك، كم تسعى في طلب الدنيا وتحرص وليس لك منها إلا ما قسم لك، القوم على قدم الطاعة وقلوبهم وجلة، وأنتم على قدم المعصية وقلوبكم آمنة، هذا هو عين الاغترار، احذروا أن يأخذكم على غرة. أنت لقلقة أنت لسان بلا جنان، أنت ظاهر بلا باطن، أنت جلوة بلا خلوة، جولة بلا صولة، سيفك من خشب، وسهامك من كبريت، أنت جبان لا شجاعة لك، أدنى سهم يقتلك، بَقّةٌ تقيم عليك قيامتك. وقال: لا بارك الله فيكم يا منافقون فما أكثركم كل شغلكم في عمارة ما بينكم وبين الخلق وتخريب ما بينكم وبين الحق عزّ وجل، اللهم سلطني على رؤوسهم حتى أطهر الأرض منهم.

وقال ﷺ: إني مسلط على كل كذاب منافق دجال، مسلط على كل عاص لله عزّ وجل أكبرهم إبليس وأصغرهم الفاسق، إني محارِب لكل ضال مضل داع إلى الباطل: مستعين على ذلك بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،...

وقال: لا تستعر كلمات الصالحين وتتكلم بها وتدّعيهَا لنفسك، العارية لا تخفى اكبش من مالك لا من العارية، ازرع القطن بيدك، واسقه بيدك وربه بجهدك ثم انسجه وخيطه والبسه، لا تفرح بمال غيرك وثياب غيرك، إذا أخذت كلام غيرك وتكلمت به وادعيته مقتتك قلوب الصالحين، إذا لم يكن لك فعل فلا قول كل الأمر معلق على العمل، قال الله تعالى: **﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾** [سورة النحل]... يا غلام لو كان عندك ثمرة العلم وبركته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها، العلم لا رجلين له يسعى بهما إلى أبواب الخلق، والزاهد لا يَدَيْنَ له يأخذ بهما أموال الناس... المحب الصادق في محبته لو لقي الخلق كلهم ما حلا له النظر إليهم، لا ينظر إلى غير محبوبه...

وقال: ويلك تدعي أنك صوفي وأنت كدر، الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله عزّ وجل وسنة رسوله، فكلما ازداد صفاؤه خرج من بحر وجوده ويترك إرادته واختياره ومشيئته من صفاء قلبه.

أساس الخير متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله، كلما صفا قلب العبد رأى النبي ﷺ في منامه يأمره بشيء وينهاه عن شيء... قلع الجبال الرواسي يحتاج إلى معاول المجاهدات والصبر على المكابدات ونزول الآفات...

- وقال رضي الله عنه:عن النبي ﷺ: **"من حسن إسلام المرء ترْكه ما لا يعنيه"**.كل من حسن إسلامه وتحقق أقبل على ما يعنيه وأعرض عما لا يعنيه، الاشتغال بما لا يعني شغل البطالين المهووسين، المحروم رضا مولاه من لم يعمل بما أمر واشتغل بما لم يؤمر به، هذا هو الحرمان بعينه... اشتغالك بالدنيا يحتاج إلى نية صالحة وإلا فأنت ممقوت، اشتغل بطهارة قلبك أولاً فإنه فريضة إذا ضيعت الأصل لا يقبل منك الاشتغال بالفرع، احفظ قلبك حتى تحفظ جوارحك، كل إناء ينضح بما فيه... القلب الصحيح ممتلئ توحيداً وتوكلاً ويقينا وتوفيقا وعلما وإيمانا ومن الله عزّ وجل قرباً وقال رضي الله عنه:" إذا صح إيمان المؤمن صار مرآة للخلق جميعهم يبصرون وجوه أديانهم في مرآة كلامه وقت رؤيته والقرب منه... يا غلام: إذا أحكمت الإيمان وصلت إلى دار المعرفة ثم إلى وادي العلم ثم إلى وادي الفناء عنك وعن الخلق ثم إلى الوجود به لا بك ولا بهم فحينئذ يزول حزنك....

يا قعوداً في الصوامع والخلق مِلءُ قلوبهم ما تسمعون صراخي عليكم وإليكم، أبْكُمٌ صُمٌ؟ قوموا تعالوا لا بأس ما أعاملكم وأخاطبكم بسوء أدبكم وأفعالكم بل أرفق بكم برفق الله عزّ وجل بإذنه ولا تهربوا من خشونة كلامي فما ذلك منى إني أنطق بما أنطقنى به....

وقال: ويحك إنك تظن أنك تقدر تبهرج نفسك، لولا الحكم لنَزلت إليك يا منافق وفضحتك، لا تخاطر برأسك معي فإني لا أستحي إلا من الله عزّ وجل، ومن عباده الصالحين...

- ويحك، قد جمعت بين حب الدنيا وبين التكبر وهاتان خصلتان لا يفلح صاحبهما إن لم يتب منهما، كن عاقلاً من أنت وما أنت ومن أي شيء خلقت ولأي شيء خلقت؟ لا تتكبر فما يتكبر إلا جاهل بالله عزّ وجل وبرسوله والصالحين من عباده، يا قليل العقل تطلب الرفعة بالتكبر؟ اعكس تصب، فإن النبي ﷺ قال: **"من تواضع لله رفعه الله عزّ وجل ومن تكبر وضعه الله"**.

من رضي بالآخرة صار في الأولى، ومن رضي بالقليل جاءه الكثير، ومن رضي بالذل جاءه العز، ارض بالدون حتى ينقلب الأمر في حقك، التواضع وحسن الأدب يقربك والتكبر وسوء الأدب يبعدك، الطاعة تصلحك وتقربك والمعصية تفسدك وتبعدك

يا غلام: لا تبع الدين بالتين، لا تبع دينك بتين السلاطين والملوك والأغنياء وأكلة الحرام، إذا أكلت بدينك اسود قلبك، يا مخذول لو كان في قلبك نور لفرقت بين الحرام والشبهة والمباح، وبين ما يسود قلبك وينوره، بين ما يقرب قلبك ويبعده...

وقال رضي الله عنه: يا إنسان اسمع، يا ناس اسمعوا يا مكلفين اسمعوا يا بُلَّغْ يا عُقَّلْ كلام الباري عزّ وجل وهو أصدق القائلين، غيروا له من نفوسكم ما يكره حتى يؤتيكم ما تحبون...

- وقال: اسمعوا كلام النبوة، يا منافقون، يا بائعي الآخرة بالدنيا، يا بائعين ما يبقى بما يفنى، خسرت تجارتكم وذهبت رؤوس أموالكم، ويلكم أنتم متعرضون لمقت الله عزّ وجل وسخطه لأن من تزين للناس بما ليس فيه مقته الله عزّ وجل، زين ظاهرك بآداب الشرع وباطنك بإخراج الخلق منه، رد أبوابهم افنهم من حيث قلبك حتى كأنهم لم يخلقوا، قد اشتغلت

بزينة القالب وتركت زينة القلب، زينة القلب بالتوحيد والإخلاص والثقة بالله عزّ وجل وبذكره ونسيان غيره...

اجهد في حفظ سرك مهما قدرت على الحفظ، فإذا جاءتك الغلبة فأنت معذور، الحب يخرب حيطان الخدر والستور...

- حقيقة التقوى أنك لو جمعت ما في قلبك في طبق مكشوف وطفت به في السوق لم يكن فيه شيء يستحى منه، يا جاهل: ما يكفيك أنك غير متق حتى إذا قيل لك اتق الله تغضب،...

خلوتك ما صحت لأن الخلوة عبارة عن التعري من حيث القلب عن جميع الأشياء، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحب إلي من ألف عابد في الصوامع،...

وأنت يا غافل تبارز الحق عزّ وجل بالمعصية والمخالفة ثم تأمنه، عن قريب ينقلب أمنك خوفا، سعتك ضيقاً، عافيتك مرضاً، عزك ذلاً، رفعك وضعاً غناك فقراً، اعلم أن أمنك يوم القيامة من عذاب الله عزّ وجل على قدر خوفك منه في الدنيا، وخوفك في الآخرة على قدر أمنك في الدنيا، ولكنكم غائصون في بحر الدنيا ساكنون في قعر بئر الغفلة...

وقال: إذا ارتكبت الذنوب جاءت الآفات ووقعت عليك فإن تبت واستعفرت ربك عزّ وجل واستعنت به وقعت حواليك، لا بد لك من بلية، فاسأل الله عزّ وجل أن يأتيك معها بالصبر والموافقة حتى يسلم ما بينك وبينه فيكون الخدش في القالب لا في القلب، في الظاهر لا في الباطن، في المال لا في الدين، فحينئذ تكون البلية نعمة لا نقمة،...

- كلام الطامع لا يخلو من رجة ومداهنة لا يمكنه المحاقَّة يكون كلامه قشراً فارغاً لا لب فيه صورة بلا معنى، الطامع فارغ كالطمع لأن حروف الطمع كلها فارغة الطاء والميم والعين،

- يا عباد الله عزّ وجل اصدقوا وقد أفلحتم، الصادق همته عالية في السماء لا يضره قول قائل...

اشترى رجل مملوكاً وكان ذلك المملوك من أهل الدين والصلاح فقال له: يا مملوك إيش تريد تأكل؟ فقال: ما تطعمني، فقال له ما الذي تريد تلبس؟ فقال: ما تلبسني، فقال له أين تريد تقعد من داري؟ فقال: موضع ما تقعدني، فقال له ما الذي تحب أن تعمل من الأشغال؟ فقال: ما تأمرني، فبكى الرجل فقال: طوبى لي لو كنت مع ربي عزّ وجل كما أنت معي، فقال المملوك يا سيدي وهل للعبد مع سيده إرادة أو اختيار، فقال له: أنت حر لوجه الله وأريد أن تقعد عندي حتى أخدمك بنفسي ومالي،...

ويحك: كن عاقلاً لا تزاحم القوم بجهلك بعد ما خرجت من الكُتَّاب صعدت تتكلم على الناس، هذا أمر يحتاج إلى إحكام الظاهر وإحكام الباطن ثم الغنى عن الكل، ثم يحتاج أن تقع في ضرورتين: الأولى أن لا يبقى في بلدتك غيرك فتتكلم على الناس ضرورة، والأخرى أنك تؤمر بالكلام من حيث قلبك فحينئذ ترقى إلى هذا المقام لترد الخلق إلى الخالق.

وقال: قال النبي ﷺ: "**الدنيا سجن المؤمن**" كيف يفرح المسجون في سجنه؟ ما يفرح ولكن بشره في وجهه وحزنه في قلبه، بشره على ظاهره والآفات تقطعه من حيث باطنه وخلوته ومعناه، جراحاته مُعَصَّبَةٌ من تحت ثيابه، يغطي جراحاته بقميص تبسمه، ولهذا يباهي به ربه عزّ وجل الملائكة،...

- وقال رضي الله عنه في جلاء الخاطر: يا غلام إياك والحسد، فإنه بئس القرين، وهو الذي خرب بيت إبليس وأهلكه، وجعله من أهل النار، وجعله ملعون الحق عزّ وجل وملائكته وأنبيائه وخلقه، كيف يحسن للعاقل أن يحسد وقد سمع قوله عزّ وجل **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾** [سورة الزخرف]، وقوله تعالى: **﴿أم يَحْسُدون النَّاسَ على ما آتاهم الله من فضله﴾** [سورة النساء] وقول النبي ﷺ: "**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**".

- وقال في الفتح الرباني: "أين أنتم يا خونة في العلم والعمل، هذا النفاق إلى متى، يا علماء ويا زهاد؟ كم تنافقون الملوك والسلاطين حتى تأخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها أنتم وأكثر الملوك في هذا الزمان ظَلَمَة خونة في مال الله عزّ وجل في عباده،

اللهم اكسر شوكة المنافقين واخْذُلْهُمْ أو تب عليهم واقمع الظلمة وطهر الأرض منهم أو أصلحهم آمين.

يا ملوك ويا مماليك، يا ظالمون ويا عادلون، يا منافقون ويا مخلصون: الدنيا إلى أمد والآخرة إلى أبد، فارق من سوى الحق عزّ وجل بمجاهدتك وزهدك، احذر أن يصطادك شيء أو يحبسك شيء أو يوقفك شيء عن مولاك عزّ وجل... المؤمن منقطع القلب عن الخلق وعن الأهل والمال والولد، وإنما يتشاغل بهم وقلبه منتظر لمجيء رسول الملك وصل باب البلد وقد ودع أهله وهو قاعد بينهم، المؤمن أبداً مودع وهو بين الخلق وقد ودعهم، ذره مع الخلق وحبله مع الخالق، إذا وقر التوحيد في القلب صح العمل من حيث الظاهر، لأنه يستوي ظاهرك وباطنك غناك وفقرك إقبال الخلق وإدبارهم، ذمهم لك ومدحهم، كيف لا تخرجهما وقد ضاقت مضغتك عنهما بما رحبت، وامتلأ قلبك بحب الله عزّ وجل وبذكره والشوق إليه.

يا طالبي الدنيا يا محبي الدنيا: تقدموا إليّ حتى أعرفكم عيوبها وأدلكم على طريق الحق عزّ وجل وألحقكم بالذين يريدون وجه الله عزّ وجل، أنتم على هوس اسمعوا ما أقول لكم واعملوا به وأخلصوا بالعمل، إذا علمتم ما أقول ومتم على العمل رفعتم إلى عليين فتنظرون إلى هناك فترون أصل كلامي من هناك، فتدعون لي وتسلمون عليّ وتتحققون حقيقة ما أشير إليه.

يا قوم، أزيلوا التهمة لي من قلوبكم، فلست بلعَّاب ولا طالب دنيا إنما أقول الحق، وأشير إلى الحق، ما زلت في عمري كله أحسن الظن في الصالحين وأخدمهم وذلك الذي ينفعني، لا أريد منكم أجرة على نصحي لكم وكلامي عليكم، ثمن كلامي العمل به، وهو كلام يصلح للخلوة للإخلاص، النفاق ينقطع عند انقطاع الحيل والأسباب....

وقال بما معناه بعد ذكر حديث الدنيا سجن المؤمن. "عجباً للمسجون كيف يحب سجنه ويتعلق به" (يعني كيف لا يزهد بها ويطلقها مع كونها سجنه والمسجون يتمنى الخلاص من السجن بأسرع وقت...

وكلام سيدنا الإمام القطب الغوث محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره في الوعظ والإرشاد كثير، فإنه تكلم على جموع الناس المؤلفة أربعين سنة، ولسيدي الإمام طبقة

عالية جداً في الكلام على لسان أهل الحقائق لم أذكر منه في كتابي هذا، وإنما حاولت أن أذكر من كلامه ما يسهل فهمه على أمثالنا، ﷺ ونفعنا الله بعلومه وأسراره وأحواله وإمداداته.

وقد قال الإمام اليافعي في نشر المحاسن الغالية بعد ذكر شيء من كلامه:

" معـــارف لـــيس يـــدريها ويعرفهـــا　　　إلا خبيـــر معـــاني الحســـن يألفهـــا

مشـاهداً فـي حماهـا حسـن طلعتهـا　　　عـن المحيـا سـتور الحسـن يكشـفها

ذكر صفته ﷺ وشيء من أحواله وتواضعه وهيبته، وثناء بعض الأكابر عليه، مع ذكر بعض كراماته إضافة إلى ما سبق.

فأما صفته ﷺ كما في كتب المناقب والتراجم عن الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي قدس سره قال: "كان شيخنا محيي الدين عبد القادر" ﷺ: نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر واللحية طويلها، أسمر، مقرون الحاجبين، ذا صوت جهوري، وسمت حسنٍ وقدر علي وعلم.

وقال بعض أهل التراجم: "إنه يميل إلى الطول، تبدو عليه أمارات النبل والاستقامة، عريض الجبهة، يميل لونه إلى السمرة، يصل شعره إلى كتفيه، عريض المنكبين، متناسق الأعضاء، عذب الصوت جهوريه، ذو نطق متميز، نظراته حادة ثاقبة تجعل من الصعب على جليسه أن يديم النظر إليه، لحيته متوسطة الكثافة، ولكنها طويلة، رمادية اللون، هيئته العامة مع هيبته يظهر فيها التواضع والطيبة المحببة إلى قلوب الناس وكان على قدر من الجمال ﷺ.

وفي القلائد: قال إبراهيم بن سعد الداري: "كان شيخنا عبد القادر ﷺ يلبس لباس العلماء، ويتطيلس، ويركب البغلة، وترفع الغاشية بين يديه، ويتكلم على كرسي عال، وكان في كلامه سرعة وجهر، وله كلمة مسموعة، إذا تكلم أنصت له وإذا أمر ابتدر لأمره وإذا رآه القلب القاسي خشع".

وقال الحافظ بن كثير في تاريخه: "الشيخ محيي السنة والدين بن أبي صالح أبو محمد الجيلي: دخل بغداد فسمع الحديث واشتغل به حتى برع فيه... وكان له اليد الطولى في الحديث والفقه والوعظ وعلوم الحقائق، وكان له سمت حسن وصمت، عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للخلفاء والوزراء والسلاطين والقضاة والخاصة والعامة، يصدعهم بذلك على رؤوس الأشهاد ورؤوس المنابر وفي المحافل، وينكر على من يولي الظلمة، ولا يأخذه في الله لومة لائم، وكان فيه زهد كثير، وله أحوال خارقات للعادات ومكاشفات، بالجملة كان من سادات المشايخ الكبار قدس سره ونور ضريحه".

قال التادفي وغيره: وكان ﷺ يأمر كل ليلة بمد السماط ويأكل مع الأضياف ويجالس الضعفاء ويصبر على طلبة العلم، لا يظن جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب

من أصحابه ويسأل عن شأنهم ويحفظ ودهم ويعفو عن سيئاتهم، ويصدق من حلف له ويخفي علمه فيه، وكان له حنطة مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه من الرستاق يزرعها له كل سنة، وكان بعض أصحابه يطحنها ويخبز له منها أربعة أقراص أو خمسة، ويأتي بها إليه آخر النهار،فكان ﷺ يفرق منها على من حضره كسرة كسرة والباقي يدخره لنفسه، وكان غلامه مظفر يقف على باب داره والطبق فيه خبز على يده ويقول: من يريد الخبز من يريد العشاء من يريد المبيت، وإذا أهديت إليه هدية فرقها أو بعضها على من حضره ويكافئ عليها مهديها، وكان يقبل النذر ويأكل منه.

وقال ابن النجار في تاريخه عن الجبائي: أن الشيخ عبد القادر قال مرة له: أود لو كانت الدنيا بيدي أطعمتها الجائع، وقال: كفي مثقوبة لا تضبط شيئاً، لو جاءني ألف دينار لم تبت عندي.

وفي غبطة الناظر: "وقال الشيخ المعمر جرادة:" ما رأت عيناي أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفسا ولا أعطف قلبا ولا أحفظ عهداً ووداً من سيدنا الشيخ عبد القادر، ولقد كان مع جلالة قدره وعلو منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء، وما قام لأحد من العظماء ولا الأعيان، ولا ألمَّ بباب وزير ولا سلطان، وكان ﷺ يفلي ثياب ضيوفه كما في الطبقات للشعراني وغيره.

وفي غبطة الناظر والقلائد وغيرهما: قال الشيخ محمد بن الخضر عن أبيه أنه قال: خدمت سيدي الشيخ عبد القادر ثلاث عشرة سنة فما رأيته فيها تمخط ولا تنخع ولا قعدت عليه ذبابة، ولا قام لأحد من العظماء ولا أَلَمَّ بباب ذي سلطان ولا جلس على بساطه ولا أكل من طعامه إلا مرة واحدة، وكان يأتيه الملك والوزير وهو جالس فيقوم ويدخل داره فإذا جلسوا خرج الشيخ من داره لئلا يقوم لهم، وأنه ليكلمهم الكلام الخشن ويبالغ لهم في العظة، وهم يقبلون يده ويجلسون بين يديه متواضعين، وكان إذا كاتب الخليفة يكتب إليه: عبد القادر يأمرك بكذا، أو أمره عليك نافذ، أو هو لك قدوة وعليك حجة، فإذا وقف على ورقته قبلها وقال: صدق الشيخ.

وقال المناوي في طبقاته: "كان لا يقعد عليه ذباب وراثة جده المصطفى ﷺ" وفي القلائد وغيره: قال محمد بن الخضر: "كنت إذا دخلت على سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ في وسط الشتاء وقوة البرد أجد عليه قميصا واحدا وعلى رأسه طاقية، والعرق يخرج من جسده وعنده من يروح عليه بمروحة كما يكون في شدة الحر.

وقال أبو الفداء في تاريخه: أن الخليفة المقتفي طلب من وزيره أن يدعو له علماء العراق فدعاهم، فلما حضروا سأل الخليفة وزيره هل حضروا جميعهم؟ فأجابه: نعم ما عدا الشيخ عبد القادر وعدي بن مسافر، فقال له: لم يحضر أحد إذاً.

وفي كتاب نشر المحاسن الغالية للإمام اليافعي قال قلت: وروي مسنداً في كتاب مناقب الإمام شيخ الإسلام قدوة الأنام قطب الأولياء الكرام الشيخ عبد القادر ﷺ: "أنه جاء فضل الله بن إسماعيل البغدادي التاجر فقال له: يا سيدي قال جدك رسول الله ﷺ: "**من دعي فليجب**" وقد دعوتك إلى منْزلي، فقال: إن أُذِنَ لي جئت، ثم أطرق ملياً ثم قال: نعم، فركب بغلته، وكان عنده شيخان من الشيوخ الكبار، فأخذ أحدهما بركابه الأيمن والآخر بركابه الايسر حتى أتوا داره، فإذا فيها مشايخ بغداد وعلماؤها وأعيانها وقد مد سماط فيه من كل حلو وحامض، وأتى بسلة كبيرة مختومة يحملها اثنان ووضعت في آخر السماط، وقال فضل الله: الصلاة، والشيخ مطرق فما أكل ولا أذن في الأكل ولا أكل أحد من أهل المجلس كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، فأشار إلى الشيخين اللذين جاءا معه أن قدما إليّ تلك السلة، فقاما وحملاها حتى وضعاها بين يديه، وأمرهما ففتحاها فإذا بها ولد للذي دعاهم أكمه مقعد مجذوم مفلوج، فقال له الشيخ: قم بإذن الله معافى، فإذا الصبي يعدو وهو بصير ولا عاهة به، فضج الحاضرون، وخرج الشيخ في غلبات الناس ولم يأكل شيئاً.

وقد عد الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي كثيراً من مناقب الشيخ عبد القادر وكراماته في عدة من كتبه.

ومن أوصافه وأحواله أيضاً، قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الأنبيلي رحمه الله في كتاب المشيخة البغدادية للرشيد بن مسلمة: "عبد القادر الجيلاني فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد وشيخ جماعتهما، وله القبول التام عند الفقهاء والفقراء والعوام، وهو

أحد أركان الإسلام وانتفع به الخاص والعام، وكان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، دائم الذكر، كثير الفكر، رقيق القلب، دائم البشر، كريم النفس، سخي اليد، غزير العلم، شريف الأخلاق، طيب الأعراق، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد.

وفي القلائد، قال مفتي العراق محيي الدين أبو عبد الله البغدادي:

كان الشيخ عبد القادر ﷺ سريع الدمعة، شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، الهيبة تلوح من سمته، كريم الأخلاق، طيب الأعراق، أبعد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله عزّ وجل، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لغير ربه، ولا يرد سائلاً ولو بأحد ثوبيه، كان التوفيق رائده، والتأييد معاضده، والعلم مهذبه، والقرب مؤدبه، والمحاضرة كنْزه، والمعرفة حرزه، والخطاب مشيره، واللحظ سفيره، والأنس نديمه، والبسط نسيمه، والصدق رايته، والفتح بضاعته، والحلم صناعته، والذكر وزيره، والفكر سميره، والمكاشفة غذاؤه، والمشاهدة شفاءه، وآداب الشريعة ظاهره ، وأوصاف الحقيقة سرائره، وأنشد فيه: (البحر الكامل)

لله أنــت لقــد رحبــت جنابــا	**وشــرفت أصــلاً طــاهراً ونصــابا**
وعظمـت قـدراً شـامخاً حتـى غـدا	**قــوس الغمــام لأخمصــيك ركابــا**
وبنيـت بيتـاً فـي المعـالي أصـبحت	**زهــر الكواكــب حولــه أطنابــا**
يــا ملــبس الــدنيا برونــق مجــده	**بعــد المشــيب نضــارة وشــبابا**
طلبتـك أبكـار العلـى نجـم الهـدى	**وهــي التــي قــد أعيــت الطلابــا**
لمــا رأتــك حســانها كفــؤاً لهــا	**خطبــت إليــك وردت الخطابــا**
وأتتــك مســمحة القيــاد مناقــب	**كانــت علــى مــن أمهــن صــعابا**
رجــل يروقــك منظــراً وجلالــة	**ومكارمــاً وخلائقــاً وخطابــا**
وتـرى عليـه مـن المحاسـن ملبسـاً	**ومــن المهابــة والعــلا جلبابــا**

وقال الشيخ عبد الله الجبائي رحمه الله تعالى: "كان شيخنا محيي الدين عبد القادر ﷺ إذا جاء أحد بذهب يقول: ضعه تحت السَّجادة ولا يلمسه بيده فإذا جاء الخادم يقول اذهب به وأعطه الخباز والبقال، وإذا جاءه خلعة من الخليفة يقول أعطوها لأبي الفتح الطحان وكان يأخذ

منه الدقيق بالقرض لأجل خبز الفقراء والأضياف، ولم يُعَدّ عنه أنه لبس خلعة من الخلع التي كانت تأتيه من الخليفة في رأس كل شهر، بل يأمر بها للطحان المذكور.

وقال الشيخ الخضر الحسيني: كنت مع سيدي الشيخ عبد القادر ﵁ في الجامع يوم الجمعة فأتاه تاجر وقال له: إن معي مالاً أريد أن أعطيه للفقراء والمساكين من غير الزكاة، وما وجدت له مستحقاً فمرني من أعطيه، أو قال: أعطيه لمن تريد، فقال له الشيخ: أعطه لمن يستحقه ولمن لا يستحق، قال الشيخ خضر: ورأى ـ أي الشيخ ـ فقيراً مكسور القلب فقال له: ما شأنك؟ قال: مررت اليوم بالشط وسألت ملاحاً يحملني إلى الجانب الآخر فأبى وانكسر قلبي لفقري قال، فلم يتم الفقير كلامه حتى دخل رجل معه صرة فيها ثلاثون ديناراً للشيخ، فقال الشيخ لذلك الفقير: خذ هذه الصرة واذهب بها إلى الملاح وأعطه إياها وقل له لا ترد فقيراً بعدها أبداً، وخلع الشيخ ﵁ قميصه وأعطاه للفقير.

وكان الشيخ عمر البزاز رحمه الله إذا ذكر الشيخ عبد القادر ﵁ ينشد هذين البيتين:

(البحر البسيط)

"الحمد لله أني في جوار فتى ... حامي الحقيقة نفَّاع وضرَّار

لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة ... من الحياء ولا يغضي إلا على عار

وقال الشيخ أبو محمد الجوني: "دخلت على سيدي الشيخ عبد القادر يوماً وأنا على فاقة وعائلتي لهم أيام لم يأكلوا شيئاً فسلمت عليه، فرد عليّ السلام وقال لي: يا جوني الجوع خزانة من خزائن الحق لا يعطيها إلا لمن أحب، قال: فهممت أن أصرخ فأشار إلي أن اسكت، ثم قال: إذا ابتلى الحق العبد ببلاء فكتمه كان له أجران فإن تكلم فله أجر واحد، ثم قال: ادن مني فدنوت منه فناولني شيئاً من الدنيا سراً، فهممت أن أتكلم، فقال: يا جوني الكتمان أولى بالفقر وأحسن.

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد الذهبي في تاريخه سير الأعلام: أنبأنا أبو بكر بن طرخان أن الشيخ الموفق بن قدامة أخبره قال وقد سئل عن الشيخ عبد القادر: "أدركناه في آخر عمره فأسكننا في مدرسته وكان يعتني بنا، وربما أرسل إلينا ابنه يحيى فيسرج لنا السراج، وربما أرسل لنا

طعاماً من منزله وكان يصلي الفريضة بنا إماماً، وكنت أقرأ عليه من حفظي من كتاب الخرقي غدوة، ويقرأ عليه الحافظ عبد الغني من كتاب الهداية في الكتاب، وما كان أحد يقرأ عليه ذلك الوقت سوانا، فقمنا عنده شهراً وتسعة أيام ثم مات وصلينا عليه ليلاً في مدرسته، ولم أسمع عن أحد يحكى من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه، وسمعنا عليه أجزاء يسيرة.

وفي البهجة للشطنوفي عن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن الشيخ العماد إبراهيم عبد الواحد المقدسي قال: سمعت شيخنا موفق الدين بن قدامة يقول: "دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر مما انتهت إليه الرياسة بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاءً، كان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر، كان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله،

وقال غيره: كان الشيخ ﷺ سكوته أكثر من كلامه، وكان يتكلم على الخواطر وله قبول تام، لا يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة إلى الجامع أو إلى رباطه، وتاب على يديه معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود والنصارى، وكان يصدع بالحق على المنبر وينكر على من يولي الظلمة، ولما ولى المقتفي لأمر الله للقاضي أبي الوفا يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر المشهور بابن مزاحم الظالم، قال على المنبر: وليت على المسلمين رجلا من أظلم الظالمين، ما جوابك غداً عند رب العالمين أرحم الراحمين، فارتعد الخليفة وبكى، وعزل القاضي المذكور لوقته.

وفي غبطة الناظر، قال أنبأنا أبو الحسن بن أبي المجد عن أبي الفضل بن ظاهر أنبأنا عبد الرحمن بن نجم قال: "حكى شيخنا أبو الحسن بن عربية": أن الوزير يحيى ابن هبيرة قال له الخليفة المقتفي لأمر الله محمد، قد شكا من الشيخ عبد القادر قال: إنه يستخف بي ويذكرني ويقول للنخلة التي برباطه يا نخلة لا تتعدي أقطع رأسك، وإنما يشير إليّ، امض إليه وقل له في خلوة: ما يحسن بك أن تتعرض للإمام أصلاً وأنت تعرف حرمة الخلافة، قال أبو الحسن: فذهبت إليه فوجدت عنده جماعة فجلست أنتظر منه الخلوة فسمعته يحدث ويقول في أثناء كلامه: نعم أقطع رأسها، فعرفت أنه أشار إلي، فقمت وذهبت، فقال لي الوزير: بلغت الشيخ؟ فقلت له جميع ما

جرى: فبكى الوزير وقال: لا شك في صلاح الشيخ عبد القادر، زاد في القلائد: ثم حمل نفسه إلى عنده وجلس بين يديه متأدباً فوعظه الشيخ فأبلغ له في الموعظة حتى أبكاه ثم تلطف به".

وفي القلائد، قال إبراهيم الداري: "كان شيخنا الشيخ عبد القادر ﷺ إذا مر إلى الجامع يوم الجمعة وقف الناس في الأسواق ليسألوا الله به حوائجهم، وكان له صيت وصوت وسمت وصمت، ولقد عطس يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمع من في الجامع ضجة عظيمة يقولون يرحمك الله ويرحم بك، وكان المستنجد بالله الخليفة في مقصورة الجامع، فقال: ما هذه الضجة؟ فقيل له: قد عطس الشيخ عبد القادر، فهاله ذلك.

وقال ابن نقطة الصيريفيني: "كان الشيخ بقا والشيخ علي بن الهيتي والشيخ القيلوي يأتون إلى مدرسة الشيخ عبد القادر، ويكنسون بابها ويرشون، ولا يدخلون عليه إلا بإذن فإذا دخلوا عليه يقول لهم: اجلسوا، فيقولون ولنا الأمان فيقول ولكم الأمان فيجلسون متأدبين، وكان من حضر منهم يرفع الغاشية بين يديه إذا ركب ويمشي بها خطوات، وكان ينهاهم عن ذلك، فيقولون بمثل هذا يتقرب إلى الله تعالى.

وفي غبطة الناظر قال: قال أحمد بن المبارك المرفعاني: "وكان من جملة من يتفقه على الشيخ عبد القادر رجل أعجمي وكان بعيد الخاطر بعيد الذهن لا يكاد يفهم الشيء إلا بعد تعب ومشقة ، فبينما هو بعض الأيام يقرأ على الشيخ إذ دخل ابن السمحل ـ أحد الرؤساء ـ لزيارة الشيخ فتعجب من صبر الشيخ عليه، فلما قام الرجل العجمي، قال ابن السمحل للشيخ لقد عجبت من صبرك على هذا المتفقه، فقال الشيخ: قد بقي من تعبي معه دون الأسبوع ويمضي، فتعجبنا لذلك وأخذنا نعد يوماً بعد يوم حتى مات الرجل في آخر يوم من الأسبوع، وحضر ابن السمحل ذلك اليوم للصلاة عليه، وتعجب من إعلام الشيخ بموته قبل دنو أجله رحمه الله ورضي الله عن سيدي الشيخ.

وحكى أحمد بن مطيع الباجرامي قال: "جئت للشيخ مرة فانتهرني وقال: قم، فمضيت، فلحقني شخص من عنده فرجعت فقال الشيخ: لما انتهرتك كنت ضجراً فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال لي: أنت معلم الخير لا تضجر أعادها ثلاثاً، ثم أقرأني ما أردت.

وقال محمد بن النجار: أنبأنا محمد بن سعيد الشاهد عن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر سمعت الشيخ صالح أبا بكر بن علي بن أبي سعيد قال: "كنت أنا وجماعة بين يدي الشيخ قعوداً وهو في القبلة فلم يتكلم بشيء، فقلت في نفسي أرى الشيخ اليوم لا يتكلم علينا، فرفع رأسه والتفت إليّ من دون الجماعة فواجهني بوجهه وقال لي: سكوتي لكم كلام وقال عبد الرحمن بن النجم الحنبلي: ذكر خالي أبو الحسن بن نجا الواعظ أنه اجتمع يوماً بالشيخ عبد القادر فحضر العيد فسبقته إلى المصلى، فجاء الشيخ وهو معه خلق كثير والناس يقبلون يده، فبدأ فصلى ركعتين فقلت في نفسي: ما هذا والسنة أن لا يصلي قبل العيد؟ فلما سلم التفت إليّ وقال: لها سبب.

وقال الشيخ محمد بن الخضر: سمعت أبي يقول: "كان الشيخ يتكلم في مجلسه بأنواع العلوم، وكان إذا صعد الكرسي لا يتكلم أحد ولا يبصق ولا يمخط ولا يتنحنح هيبة له، فإذا توسط المجلس قال: مضى القال وحضر الحال، فيضطرب الناس اضطراباً شديداً ويتداخلهم الوجد.

وقال الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر: قلت لوالدي أريد أن أتكلم على الناس بحضرتك فأذن لي، فصعدت الكرسي وتكلمت بما شاء من العلوم والمواعظ فلم يخشع قلب ولم تجر دمعة فضجوا بوالدي أن يتكلم عليهم فنَزلت وصعد فقال: يا عويلة الشجاعة صبر ساعة، فضج أهل المجلس بالصراخ، قال: فكنت أسأله عن ذلك فيقول: أنت المتكلم عنك وأنا المتكلم عن غيري، وكان إذا سئل مسألة في مجلس وعظه ربما أجاب السائل بقوله: حتى أستأذن في الكلام عليها ويطرق فتجلله الهيبة ويعلوه الوقار ثم يتكلم عليها بما شاء الله، ويقول: وعزَّة المعبود ما تكلمت حتى قيل لي يا عبد القادر تكلم.

وفي البهجة من طريق أبي عبد الله بن أبي الفتح: "كان الشيخ يقول: أتمنى أن أكون في البراري والصحاري كما كنت أولاً لا أرى الناس ولا يروني ولكن أراد الله بذلك منفعة الخلق"...

وفي القلائد، قال الشيخ خليفة النهرملكي ﷺ: "قد قلد الأمر إلى الشيخ عبد القادر ﷺ في الأولياء وأسرارهم، وما نظر إلى جهة من جهات الأرض إلا خاف سكان ذلك القطر إلى أقصى الأرض شرقاً كان أو مغرباً من هيبته ومن هيبة نظرته ويرجون الزيادة في أحوالهم من بركة

نظره ويخافون سلب أحوالهم من سطوة هيبته"،وكان الشيخ علي الهيتي قدس سره يقول ما معناه: كنا لا نستطيع أن نحدق النظر في وجهه خشية أن تسلب أحوالنا من هيبته.

وقال البطائحي: دخلت على سيدنا وشيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ ببيته يوماً فوجدت عنده أربعة أنفار وما رأيتهم قبل ذلك فوقفت مكاني، فلما قاموا من عنده قال الشيخ الحقهم واسألهم الدعاء لك، فلحقتهم في صحن المدرسة وسألتهم الدعاء فقال لي أحدهم: لك البشرى أنت خادم رجل ببركته يحرس الله الأرض سهلها ووعرها وبرها وبحرها وبدعوته يرحم الله الخليقة، ونحن وسائر الأولياء تحت ظل قدمه(أي طريقته) وفي دائرة أمره، ثم خرجوا فلم أرهم، فرجعت إلى الشيخ متعجبا فقال لي قبل أن أخبره بشيء: يا عبد الله لا تخبر أحداً بما قالوا لك وأنا حي فقلت: يا سيدي ومن هؤلاء؟ فقال: رؤساء جبل قاف وهم الآن في موضعهم.

وقال الشيخ الإمام عبد الجبار بن الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما: "كانت أمي إذا دخلت مكانا مظلماً أضاءت عليها شمعة تستضيء بها، فدخل والدي عليها مرة فرأى الشمعة، فحين وقع نظره عليها خمدت، فقال لها: هذا النور شيطاني كان يخدمك والآن صرفته عنك، قد أبدل لك نوراً رحمانياً، وكذلك أصنع بكل من انتمى إلي أو كان لي به عناية، فكانت إذا دخلت بعد ذلك مكانا رأت فيه نوراً مثل نور القمر يجلي المكان".

" وقيل له: إنا نصوم مثل ما تصوم ونصلي مثل ما تصلي ونجتهد مثل ما تجتهد وما نرى من أحوالك شيئاً؟ فقال: زاحمتونا في الأعمال، وتزاحمونا في المواهب، والله ما أكلت حتى قيل لي كُلْ ولا شربت حتى قيل اشرب وما فعلت شيئاً حتى أمرت بفعله. وقال مرة: كل الطيور تقول ولا تفعل والبازي يفعل ولا يقول، فأنشد أبو المظفر منصور بن المبارك جرادة: (البحر البسيط)

بك الشهور تهنى والمواقيت	يا من بألفاظه تغلو اليواقيت
أشم من قدميك الصدق مجتهدا	لأنه قدم من نعلها صيت

وقال أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان: "كان سكوته أكثر من كلامه وكان يتكلم على الخواطر، فظهر له صيت عظيم وقبول تام، وما كان يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة أو في الرباط، وتاب على يديه أهل بغداد وأسلم أكثر اليهود والنصارى، وكان يصدع بالحق على المنبر وكانت له كرامات ظاهرة، أدركه جماعة يحكون منها جملة".

وفي غبطة الناظر والقلائد وطبقات الشعراني وغيرها: "كان أبو الفتح الهروي ﷺ" يقول: خدمت الشيخ عبد القادر ﷺ أربعين سنة فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء، وكان كلما أحدث جدد في وقته وضوءه ثم يصلي ركعتين، وكان يصلي ويدخل خلوته، ولا يمكن أحداً أن يدخلها معه فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر، ولقد أتاه الخليفة يريد الاجتماع به ليلاً فلم يتيسر له الاجتماع إلى الفجر، قال الهروي: وبت عنده ليلة فرأيته يصلي أول الليل يسيراً، ثم يذكر الله تعالى إلى أن يمضي الثلث الأول يقول: المحيط الرب الشهيد الفعال الخلاق الخالق البارئ المصور، فتتضاءل جثته مرة، وتعظم أخرى، ويرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري مرة، ثم يصلي قائماً على قدميه يتلو القرآن إلى أن يذهب الثلث الثاني، وكان يطيل سجوده جداً، ثم يجلس متوجها مشاهداً مراقباً إلى طلوع الفجر، ثم يأخذ في الدعاء والابتهال والتذلل، ويغشاه نور يكاد يخطف الأبصار إلى أن يغيب فيه عن النظر، قال: وكنت أسمع عنده سلام عليكم سلام عليكم وهو يرد السلام، إلى أن يخرج لصلاة الفجر...

وفي غبطة الناظر والقلائد قال: وقال الشيخان أبو عمرو عثمان الصيريفيني وعبد الحق الحريمي: "كان شيخنا محي الدين عبد القادر ﷺ يبكي" ويقول: يا رب كيف أهدي لك الروح وقد صح بالبرهان أن الكل لك، وربما كان ينشد هذا البيت: (البحر الطويل)

وما ينفع الإعراب إن لم يكن تُقَى   وماضر ذا تقوى لسان معجم

وقال الشيخ أبو البركات السهروردي: " سمعت الشيخ عبد القادر الجيلي ينشد على كرسي وعظه بباب الأزج هذا البيت": (البحر الطويل)

أليس من الخسران أنّ لياليــاً   تمرُّ بلا نفع فتحسب من عمري

وفي القلائد، قال: وروى شيوخ العراق عمر البزازي وأبو السعود المدلل والناصري قائد الأواني:أنه اجتمع الشيخ عبد القادر وابن بطو والقيلوى وابن الهيتي بدار باب الأزج فقال الشيخ عبد القادر لابن الهيتي: تكلم، قال كيف أتكلم في حضرتك، فقال للشيخ بقا: تكلم، فقال كيف أتكلم في حضرتك فقال للشيخ القيلوي: تكلم، فتكلم يسيراً ثم سكت، وقال: تكلمت امتثالاً لأمرك وسكت إجلالا لك، ثم تكلم في علوم الحقائق بكلام أكبره الحاضرون، ثم استأذنه في قول فأذن له، فأنشد: (البحر الكامل)

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى يبدو	**بـــــرق تــــألق مــــوهن لمعانــــه**
كحاشـــــية الــــرداء ودونــــــه	**صـــعب الـــذرى متمنــــع أركانـــه**
فبــدا لينظــر كيــف لاح فلــم يطــق	**نظــــــراً إليـــــه ورده أشــــجانه**
فالنــار مــا اشــتملت عليــه ضــلوعه	**والمـــاء مـــا ســـمحت بـــه أجفانـــه**

فعلا الشيخ عبد القادر على الأرض في الهواء، وجعل يدور ويعلو في الهواء حتى طلع من سماء الدار فذهبوا إلى المدرسة فوجدوه فيها، ﵃ أجمعين.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله اليافعي الشافعي اليمني في كتابه نشر المحاسن الغالية: "ومما رويناه عن الشيخ شهاب الدين السهروردي ﵁ في العوارف، ما سمع به عن الشريف الحسيب النسيب ذي المجد والمفاخر،الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد القادر رضي الله تعالى عنه، أنه بعث إليَّ شخصاً وقال: لفلان عندك طعام وذهب، ائتني من ذلك بكذا ذهب وكذا طعام، فقال الرجل: كيف أتصرف في وديعة عندي، ولو استفتيتك ما أفتيتني بالتصرف، فألزمه الشيخ بذلك، فأحسن الظن بالشيخ وجاء إليه بالذي طلب، فلما وقع التصرف منه جاء مكتوب من صاحب الوديعة وهو غائب في بعض نواحي العراق أن احمل إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر، فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال: ظننت بالفقراء أن إشارتهم تكون على غير صحة.

قلت ـ أي اليافعي ـ وكذلك روي مسنداً من ثلاث طرق عن جماعة من الشيوخ في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر ـ للقطب اليونيني ـ: "أنه أرسل إليه بعض الشيوخ جماعة من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا إلى بغداد وقولوا للشيخ عبد القادر يسلم عليك عبد الرحمن ويقول لك:إن له أربعين سنة في دركات باب القدرة فما يراك ثم لا داخلا ولا خارجاً، فقال الشيخ عبد القادر في ذلك الوقت لجماعة من أصحابه: اذهبوا إلى الشيخ فلان وستجدون في طريقكم جماعة من أصحابه بعثهم إليّ بكذا وكذا، فإذا لقيتموهم فردوهم معكم، فإذا أتيتموه فقولوا له: يسلم عليك عبد القادر ويقول لك: أنت في الدركات، ومن هو في الدركات لا يرى بعض من في الحضرة، ومن هو في الحضرة لا يرى من في المخدع، وأنا في المخدع أدخل وأخرج من باب السر من حيث لا تراني بأمارة أن خرجت لك الخلعة الفلانية في الوقت الفلاني على يدي خرجت لك وهي خلعة الرضا، وبأمارة خروج التشريف الفلاني في الليلة الفلانية لك على يدي خرج وهو تشريف الفتح، وبأمارة أن خلع عليك في الدركات بمحضر اثني عشر ألف ولي لله تعالى خلعة الولاية.

فانتهوا إلى نصف الطريق فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن، فردوهم وأتوا إليه وبلغوه رسالة الشيخ عبد القادر، فقال: صدق الشيخ عبد القادر سلطان الوقت وصاحب التصريف فيه.

وفي القلائد قال: قال نجم الدين النقليسي صاحب الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، دخلت الخلوة ببغداد عند الشيخ ﷺ (أي الشيخ شهاب الدين) فأشهدت في الواقعة في اليوم الأربعين الشيخ شهاب الدين عمر على جبل عال وعنده جواهر كثيرة والشيخ بيده صاع وهو يملأ من تلك الجواهر ويبثها على الناس، وهم يبتدرون إليها، وكلما قلت الجواهر نمت كأنها تلايبلاا نبع من عين، قال: فخرجت من الخلوة في آخر يومي ذلك وأتيته لأخبره بما شاهدت فقال لي قبل أن أتكلم غاتفغبالذي رأيته: يا ولدي الذي رأيته حق وأمثاله معه هو من بركة الشيخ عبد القادر ﷺ مما عوضني به من علم الكلام، فإنه كانت له اليد المبسوطة من الله تعالى في التصريف النافذ والفعل الخارق،(والشيخ شهاب الدين المذكور هو الذي بشره الشيخ عبد القادر بأنه آخر المشايخ في بغداد أي أصحاب الطبقة العليا، فكان كذلك).

ومن أحوال سيدنا الغوث الجيلاني وكراماته الباهرة التي تدل عظيم قدره ما نقله الشطنوفي في بهجة الأسرار قال:

إن الشيخ العارف أبو الخير محمد بن محفوظ بن عتيمة قال: كنت أنا والشيخ أبو السعود بن أبي بكر الحريمي، والشيخ محمد بن قائد الأواني ، والشيخ أبو محمد الحسن الفارسي، والشيخ جميل صاحب الخطوة والزعقة، والشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزاز، والشيخ أبو حفص عمر بن أبي نصر الغزال، والشيخ خليل أبن الشيخ أحمد الصرصري، والشيخ أبو البركات علي بن غنايم بن فتح العدوي العمري البطايحي الهمامي، والشيخ أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج محمد بن علي البغدادي المقري المعروف بابن الخضري، وأبو عبد الله محمد بن الوزير عون الدين أبي المظفر بن هبيرة، وأبو الفتوح عبد الله بن هبة الله، وأبو القاسم علي بن محمد بن الصاحب ،كلهم حاضرين عند شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه بمدرسته، فقال: ليطلب كل منكم حاجة أعطيها له، فقال الشيخ أبو السعود: أريد ترك الاختيار، وقال الشيخ بن قائد: أريد القوة على المجاهدة، وقال الشيخ البزاز: أريد الخوف من الله تعالى، وقال الشيخ أبو الحسن الفارسي: كان لي حال مع الله تعالى وقد فقدته وأريد رده عليَّ، وقال الشيخ جميل: أريد حفظ الوقت، وقال الشيخ عمر الغزَّال: أريد الازدياد من العلم، وقال الشيخ خليل بن الصرصري: أريد أ، لا أموت حتى أنال مقام القطبية، وقال الشيخ أبو البركات الهمامي: أريد الاستغراق في محبة الله تعالى، وقال الشيخ أبو الفتوح بن الخضري: أريد حفظ القرآن والحديث، وقلت أنا: أريد معرفةً أفرق بها بين الموارد الربانية وغيرها، وقال أبو عبد الله بن هبيرة: أريد نيابة الوزارة، وقال أبو الفتوح بن هبة الله: أريد أن أكون أستاذ الدار، وقال أبو القاسم بن الصاحب: أريد أن أكون حاجب الباب العزيز، فقال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه:﴿ **كلاًّ نمدُّ هؤلاءِ وهؤلاءِ مِنْ عطاءِ رَبِّكَ وما كان عطاءُ رَبِّكَ مَحْظُورا** ﴾، قال أبو الخير: فوالله لقد نالوا كلهم ما طلبوا، ورأيت كل واحدٍ منهم في الحالة التي أرادها إلا الشيخ خليل بن الصرصري فإنه لم يأته الوقت الذي وعده فيه بالقطبية.

قال الشيخ أبو الخير:فأما الشيخ أبو السعود فإنه بلغ في ترك الاختيار غاية قصوى، وتنسم ذروة عليا، وسبق فيه كثيراً من المتقدمين، وسمعته يقول ما خطر لي شيء خارج عن سجادتي، وكان له حالٌ يعز مثلها.

وأما الشيخ بن قائد فإنه نال في القوة على المجاهدة ما لم يبلغنا مثله عن أحدٍ من أهل زمانه، وجلس في أزجٍ تحت الأرض أربع عشرة سنة بعد أربع عشرة أخرى...

وأما الشيخ عمر البزاز فإنه وصل إلى درجة عالية في الخوف حتى إنه في وقت يقطر من مخه ماء إلى حلقه من شدة الخوف.

وأما الشيخ أبو الحسن الفارسي فإن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه نظر إليه وهو جالسٌ في مجلسه نظرة فاضطرب منها وقام لوقته،فلقيته من الغد وسألته عن شأنه فقال: قد رد الشيخ عليَّ حالي الذي كنت فقدته بزيادة في تلك النظرة.

وأما الشيخ جميل فإنه نال في حفظ الوقت ومراعاة الأنفاس ما لم ينله غيره فيما نعلم، حتى إنه كان إذا دخل الخلاء علَّق سبحته في وتدٍ في الحائط فتدور وحدها حبة حبة إلى أن يأخذها،ورأيتها هكذا مراراً.

وأما الشيخ خليل الصرصري فإن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه قال له في مجلسه ذلك: ما تموت يا خليل حتى تتقطب، وسمعته بعد ذلك يقول غير مرة: ما يموت خليل الصرصري حتى يتقطب.

وأما الشيخ عمر الغزال فإنه جمع من فنون العلم أشتاتا، وحفظ منه كثيراُ، وباع من خزانته أكثر من ألف سفرٍ فعوتب في بيعها،فقال: كلها من حفظي.

وأما الشيخ أبو البركات الهمامي فإن الشيبخ عبد القادر رضي الله عنه نظر إليه وهو جالسٌ في مجلسه ذلك نظرة فخرَّ مغشياً عليه، فحمل في جرابٍ بين يديه وهو لا يعقل، وفقدناه من بغداد زماناً وهو هائم، ثم رأيته بعد مدة في خراب الكرخ وهو شاخصٌ إلى السماء فكلمته فلم يكلمني فانصرفت، ثم انحدرت بعد سنين إلى البصرة فرأيته على مثل حاله الأول على تلٍّ بين البطائح، فأتيته وكلمته فلم يكلمني، فذهبت فجلست بإزائه وقلت:اللَّهم إني أسالك بحرمة الشيخ عبد القادر أن ترد عليه عقله ليكلمني، فقام وأتاني وسلم عليَّ، فقلت له: ما هذا الحال؟ فقال: يا أخي قد أعطيت بتلك النظرة التي نظر إليَّ الشيخ عبد القادر بها من محبة الله عزَّ وجل ما غيبتني

عن الوجود وعن نفسي، وصيرني كما ترى، ثم رجع إلى مكانه، وعاد إلى حاله،وانصرفت عنه باكياً، ثم بلغني أنه مات على هذه الحالة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

وأما الشيخ أبو الفتوح بن الخضري فإنه حفظ القرآن الكريم في ستة أشهرٍ وتيسر عليه الحفظ بعد أن كان صعباً عسيراً عليه، وأتقن القراءات السبع،وكتب الكثير منَ الحديث ولم يزل يسمع ويفيد إلى أن مات.

وأما أنا فإن الشيخ رضي الله عنه وضع يده على صدري وأنا جالسٌ بين يديه في مجلسه ذلك فوجدت في الوقت العاجل نوراً في صدري، وأنا إلى الآن أفرق به بين موارد الحق والباطل، وأميز به بين أحوال الهدى و الضلال، وكنت قبل ذلك شديد القلق لالتباسها عليَّ.

وأما أبو عبد الله بن هبيرة فإنه تولى نيابة الوزارة،وتولى أبو الفتوح بن هبة الله أستاذ دار الخليفة، وتولى أبو القاسم بن الصاحب حاجباً على الباب،وتصرفوا في الولاية زماناً طويلاً.

وأما الشيخ خليل الصرصري فقد قال الشطنوفي، قال أبو الفتوح بن يوسف القطفني: سمعت الشيخين، الشيخ أبا عمرو عثمان بن يوسف سليمان المعروف بالقصير ببغداد في المحرَّم سنة خمسٍ وثلاثين وستمائة، والشيخ أبا الحسن علياً بن سليمان المعروف بالخباز ببغداد سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة يقولان: قطب الشيخ خليل الصرصري رحمه الله قبل موته بسبعة أيام.اهـ

فسيدي الشيخ عبد القادر قدس سره العزيز كان مع ما ورد من أوصافه وأحواله وعلو قدره، وما ورد من أنه كان يقسو أحيانا في كلامه أثناء وعظه فإنه أيضاً كان رفيقاً يتكلم أحيانا مع الفسقة والكفرة بلسان الشفقة فكان ذلك سببا لإسلام آلاف الكفار على يديه وتوبة من لا نحصي من الفساق على يديه ففي كلا الأسلوبين حكمة، وذلك مما أفاض الله عليه، وكان يعرف أهل القدر ويجلهم ويحترمهم ويقربهم ويصغي إليهم، كما أنه كان يصغى للفقراء والصبيان والنساء وكان يقف لهم ويسمع لهم ولو كان على الطريق، وكان يثني على المشايخ الأكابر في عصره، منهم الشيخ علي الهيتي ﷺ فإنه ﷺ كان يقول: كل من دخل بغداد من الأولياء فهو في ضيافتنا، ونحن في ضيافة الشيخ علي بن الهيتي، وكان يزوره، والشيخ علي الهيتي كان أكثر المشايخ ترددا على الشيخ عبد القادر، وكان عنده الخرقتان اللتان ألبسهما سيدنا الصديق ﷺ أبا بكر الهواري في النوم واستيقظ فوجدهما عليه وهما ثوب وطاقية وأخذهما منه الشيخ الشنبكي وأخذهما

منه الشيخ تاج العارفين أبو الوفا، وأخذهما منه الشيخ علي بن الهيتي المذكور وأخذهما منه الشيخ علي بن إدريس ثم فُقِدَتَا من عنده، والشيخ علي الهيتي كان من أصحاب التصريف الذين يبرئون الأكمه والأبرص ويحيون الموتى بإذن الله، وقد أوقع الله له القبول في قلوب الناس.

وكان الشيخ عبد القادر يثني على الشيخ موسى بن ماهين والشيخ عدي بن مسافر ويعظم قدرهما، وشهد للشيخ عدي بالسلطنةعلى الأولياء، وقال قدس سره مرة: ستطلع عليكم شمس ما طلعت عليكم بعد، فقيل ومن هو؟ قال: الشيخ موسى بن ماهين الزوالي، ثم أمر الناس بتلقيه من مسيرة يومين.

وقال في الشيخ عدي بن مسافر: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر، وكذلك لما ذكر عنده الإمام السيد الشريف الكبير سيد الطائفتين أبي العلمين محيي الدين أبي العباس أحمد بن علي الرفاعي رضي الله عنه، قال:"ألأولياء عيال على مائدة الرفاعي" رضي الله عنهما، والإمام الرفاعي غني عن التعريف فشهرته غطت الآفاق.

قلت: كفى الرفاعي شرفاً تقبيل يد المصطفى، ﷺ

وروى الإمام الرافعي في كتابه سواد العينين في مناقب أبي العلمين أن الشيخ عبد القادر ؓ قال مادحاً الإمام الرفاعي ؓ: "جلَّ من وهب هذا الرجل يعني السيد أحمد الرفاعي، وأنشد: (البحر البسيط)

هـذا الـذي سـبق القـوم الأُلـى وإذا رأيتـــه قلـــت هـــذا آخـــر النـــاس

ومناقب الإمام أحمد الرفاعي كثيرة مشهورة ؓ ورضي عنا به، أفرده العديد من المؤلفين.

وفي القلائد قال: وسئل شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني سقى الله ثراه بوابل الرحمة والرضوان، هل ورد عن الشيخ عبد القادر أنه حضر السماع الذي اتخذه الفقراء بالدفوف، والمواصيل وغير ذلك من الآلات أوْ أَمَرَ بحضوره أو قال فيه شيئاً بإباحة أو تحريم؟

فأجاب رحمة الله عليه: " أما الشيخ عبد القادر، فالذي وصل من أخباره الصحيحة أنه كان فقيها زاهداً عابداً يتكلم على الناس ويرغبهم في الزهد والتوبة ويحذرهم من العقوبة على المعصية فكان يتوب على يده من الخلق ما لا يحصى كثرة، وله كرامات مستفيضة لم ينقل لنا عن أحد من أهل عصره ولا من بعده أكثر ما نقل عنه، ولا أعرف عنه في مسألة السماع بهذه الآلات شيئاً.

وقال الإمام أبو العباس الشهير بابن فضل الله في كتاب مسالك الأبصار: الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي علم الأولياء محيي الدين أبو محمد، سيد طائفة كانوا بالنهار لا يفترون وبالأسحار هم يستغفرون، طلع من هاشم بن عبد مناف في الدوائب، وكرع منه في غدير لم يرتفع بالسوائب، كان من الشرف في تشامخ جلاله وراسخ النسب العلوي في كرم خلاله، كان له مجلس يوالى فيه الانتحاب ويحرك فيه الأصحاب،" وترى الجبال تحسبها جامده وهي تمر مر السحاب" فما برح اجتهاده محدوداً وجهاده، وكان مخلصا دون أشكاله ومخلصا توكل على الله حق اتكاله، على أنه كان من بقيه قوم يرجعون ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ وصلوا الليالي بالأسحار وركبوا هيج الفيافي وقفار البحار فحمدوا ما كانوا يعملون وعلى ربهم يتوكلون.

وقد وصفه الإمام العلامة العارف بالله تعالى الشيخ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح، اليافعي اليمني ثم المكي الشافعي، بطريقة جميلة عالية من حيث الأسلوب حيث قال في تاريخه: قطب الأولياء الكرام شيخ المسلمين والإسلام، ركن الشريعة ، وعلم الطريقة، وموضع أسرار الحقيقة، حامل راية علماء المعارف والمفاخر، شيخ الشيوخ، وقدوة الأولياء العارفين الأكابر، أستاذ الوجود، أبو محمد محيِّ الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قدس سره ونور ضريحه ، فحلا ﷺ بحلي العلوم والشريعة ونال لطائفها، وتجمل بتيجان الفنون الدينية وحاز شرائفها، وهجر في مهاجرته إلى الحق كل الخلائق، وتزود في سفره أحسن الأدب واشرف الخلائق، وعقد له ألوية الولاية، ورفع له منازل جلاله في سماء القرب كواكبها.

ونظر قلبه إلى رقوم الفتح في ذيول الكشف عن الأسرار، وشخص سره إلى شموس المعارف من مطالع الأنوار، وأشهدت بصيرته عرائس الحقائق، وأسكنت سريرته حضرة القدس في

خلوة وصل المحب بالمحبوب، ورفعت أسراره إلى مشاهد المجد والكمال، ودام إحضاره في معالم العز والجلال، هنالك انكشف له عن علم السر المصون، واتضح له حقيقة حق اليقين، وأظهر التحف من مكامنها فأتاه الأمر النقي من تدنيس التلبيس، بالجلوس للوعظ بالحلبة النوارنية، في شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة. فجلس مجلساً لله دره من مجلس، تجلله الهيبة والبهاء، وتحف به الملائكة والأولياء، فقام بنص الكتاب والسنة خطيبا على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، يا له من داع أجابته أرواح المشتاقين، ومن مُنَادٍ لبته قلوب العارفين، ومن هاد هيَّمَ ركائب النفوس في خلوات الشوق إلى رؤية الجمال،ومن هاد ساق نجائب القلوب إلى حمى الوصال، ومن ساق روى عطاش العقول من شراب القدس وشوقها إلى مناجات الحبيب على بساط الأنس،وكشف براقع اللبس عن وجوه المعارف، ورفع أغطية الغين عن عين شرائب اللطائف، وناغى أطيار الأسرار في جوامع قدسها بألحان لذيذ أنسها، فطارت من أركان أطوارها في حُبها إلى أوكارها، وجلا عرائس المواعظ، فدهشت ببهجة حسنها العشاق، وزف مخدرات المواهب فصبا لمعنى جمالها كل مشتاق، بنفائس الحكم من رياض أنس أينعت مروجها، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها،يرى معانيها من معانيها درراً وياقوتا،ويأخذ من درها دراً ومن ياقوتها قوتاً، ودبج روض الحقائق بحدائق ذات بهجة، فيالها للسالكين إلى الله سبحانه وتعالى محجَّة وحجة،وبث لآلئ الفتح على بساط الإلهام فسابق لالتقاطها أولو الألباب والأقلام فتنضد منها فوائد هدى في أعناق ذوي الهمم العلية، يصل المتحلي بها بإذن الله تعالى إلى المقامات السنية، فجال في النفوس مجال الأنفاس في الصدور وعبق بالقلوب عبق الروض الممطور، وأبرأ النفوس من أسقامها، وشفى الخواطر من أوهامها، فما سمعه إلا من أوضح للتوبة رجونه، أو من انتحل بالبكاء جفونه، وكم رد إلى الله عاصياً، وكم ثبت به واهيا، وكم أضحى من خمرالهوى سكارى، وكم فك من قيد النفوس أسارى، وكم اصطفى الله به أوتاداً وأبدالا،وكم وهب الله به مقاماً رجالاً، وما زالت نجائب المواهب ترحل إليه رحمة الله تبارك وتعالى عليه.

(البحر الكامل)

عبـــدك فـــوق المعـــالي رتبـــة	**ولـــه المحاســـن والفخـــار الأفخـــر**
ولـه الحقـائق والطرائـق فـي الهـدى	**ولـــه المعـــارف كالكواكـــب تزهـــر**

ولــه الفضــائل والمكــارم والنــدا ... **ولـه المناقـب فـي المحافـل تنشـر**
ولــه التقــدم والمعــالي فــي العــلا ... **ولــه المراتــب فــي النهايــة تكثــر**
غوث الورى غيث الندى نور الهدى ... **بدر الدجى شمس الضحى بل أنور**
مــا فــي عــلاه مقالــة لمخــالف ... **فمســائل الإجمــاع فيــه تســطر**

أضحى الزمان مشرقة به مناكبه، والدين شرفت به مناصبه،والعلم علية به مراتبه، والشرع منصورة به كتائبه،فانتمى إليه جمع كثير من العلماء، وتلمذ له خلق كثير من الفقهاء، ولبس عنه الخرقة خلق لا يحصون من الفقراء والمشايخ والكبراء والعلماء الخبراء، وأن جمهور شيوخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إليه،بعضهم لبسها من يده لما قدمت أعلام فضائله عليهم، والأكثرون من رسول أرسله إليهم،وفيه وفي انتساب معظم شيوخ اليمن المنتسبين في لبس الخرقة إليه قال أبياتا منها: (البحر الطويل)

وفــي مــنهج الأشــياخ إلبــاس خرقــة ... **ومنشـور فضـل يرجـع الفـرع بالأصـل**
ولــبس اليمــانيين يرجــع غالبــا ... **إلـى سـيد سـامي فخـار علـى الكـل**
سراج الهدى شمس على فلك العلا ... **بجـيلان مبـداها علاهـا بـلا أفـل**
طــراز جمــال مــذهب فــوق حلــة ... **غدا الكونُ فيها الدهر يختال ذا رَفْلِ**
لحـد ذاك يـا بحـر النـدا عبـد القـادر ... **أنــا يــافعيّ ذو افتقــار وذو محــل**
قفـا ههنـا فـي رأس نهـر عيـونهم ... **ملاهـا ومـن بحـر النبـوة مسـتملي**
وســبحانك اللهــم ربــاً مقدســاً ... **وواسـع فضـل للـورى فضـله مـولي**

ثم قال: وأما كراماته فخارجة عن الحصر، وقد أخبرني من أدركت من أعلام الأئمة الأكابر: أن كراماته تواترت أو قربت من المتواتر، ومعلوم بالاتفاق أنه لم يظهر ظهور كراماته لغيره من شيوخ الآفاق.

قال سيدي العارف الكبير محيي الدين بن العربي قدس سره: من رجال الله رجل واحدٌ، وقد يكون امرأة في كل زمان... شهم شجاع، مقدام كثير الدعوى بحق، يقول حقاً ويحكم

عدلاً، قال: وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلي ﷺ ببغداد، وكان له الصولة والاستطالة بحق على الخلق، كبير الشأن مشهور الذكر، لم ألقه.

قال: ولما دخل الشيخ محمد بن قائد الأواني قدس سره الحضرة، وقال لم أجد فيها الشيخ عبد القادر، فسئل الشيخ عبد القادر عن ذلك فقال: "كنت في المخدع، ومن عندي خرجت له النوالة، يعني الخلعة قال الشيخ محيي الدين قدس سره: وكان كما قال، وإنما قال في المخدع ولم يُسَمِّ المكان، ثم قال: فإن حضرة ابن قائد في هذه الواقعة حضرته الخاصة به من حيث معرفته بربِه، لا حضرة[1] الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر، فستر عنه مقام عبد القادر خداعاً، وقول عبد القادر رضي الله عنه: من عندي خرجت له النوالة، يدل على أنه كان شيخه في تلك الحضرة، وعلى يده استفادها، وجهل ذلك ابن قائد فإن الرجال في ذلك كانوا تحت عبد القادر فيما حكي لنا من أحواله وأحوالهم، وكان يقوله عن نفسه، فيسلم له حاله، فإنَّ شاهده يشهدُ له بصدقِ دعواه، فإنه كان ذا حالٍ ربانية مؤثرة مدة حياته.

ثم قال الشيخ محيي الدين: وما انتقل ـ أي الشيخ عبد القادر ـ إلى حال أبي السُّعود، وإن كان تلميذه إلا عند موته، وهي الحالة الكبرى، وكانت هذه الحالة مستصحبة لأبي السعود ﷺ طول حياته، قصد الشيخ محيي الدين بن العربي: أن الشيخ عبد القادر حاله أعلى من حال تلميذه أبي السعود، أما من حيث المقام فإن تلميذه أبا السعود بن شبل البغدادي أتمّ، وإن الشيخ عبد القادر لم يتحقق بهذا المقام إلا عند موته، قال ابن العربي:لأن أبا السعود أعطي التصرف فلم يتصرف، والشيخ عبد القادر أعطي التصرف فتصرف.

يعنى: أنّ الشيخ عبد القادر في نهاية الأمر أفضل من تلميذه أبي السعود لأنه يزيد عليه بعلو الحال وإن تأخر حتى تمَّ له مقام أبي السعود.

قلت: والذي عليه جماهير الشيوخ غير هذا، فإن تصرف الشيخ عبد القادرﷺ ما كان منه حباً في رؤية الكرامات على يديه، فإن ما في قلبه من المعرفة يشغله عن ذلك، وإنما كان في إظهار كراماته مصلحة واضحة جلية، فقد كان ذلك سببا في هداية آلاف الآلاف من العصاة

---

[1]. المقصود بكلمة حضرة هنا: الحضرة المشرفة عند الله.

والكفار، وتقوية ليقين المريدين حتى عصرنا هذا، فالذي كانت بداياته كما مر معنا لم يعد بحاجة لرؤية الكرامات حتى يكون ذلك سببا في ترقيه.

وقال الشيخ محي الدين بن العربي في موضع آخر: قد رأينا من رجال الروائح جماعة، وكان عبد القادر الجيلي ﷺ منهم، يعرفُ الشخص بالشم، جاءه ابن قائد، وكان يرى لنفسه حظاً في الطريق، فشمَّه نحو ثلاث مراتٍ، ثم قال لا أعرفك، فكان تربية في حقه، فعلتْ همةُ ابنِ قائد ﷺ حتى التحقَ بالأفراد.

فسيدنا الشيخ عبد القادر قدس سره كان شيخ وقته وإمام زمانه بإجماع المشايخ وأنه ﷺ أعطي ولاية خاصة تميز بها عن كثير من السابقين واللاحقين، وجمهور المشايخ على أنه لم يأت مثله بعده، هذا الذي رأيته في كثير من كتب التراجم والطبقات والتواريخ، ولا يضر اعتقاد المنتسبين إلى طرق أخرى بأن مشايخ طرقهم أفضل منه، فإنه لو لم يعتقدوا ذلك ما استطاعوا أن يسلكوا في تلك الطرق، فإن المريد إذا اعتقد بشيخ طريقته مرتبة ولو لم يكن عليها فإن ذلك لا يضره بل يكون سببا في زيادة همته، بشرط ألا يصل إلى حد الغلو، وألا يتعصب بحيث يستهين بأهل الطرق الأخرى أو يقلل من قدرهم، كذلك من اعتنق مذهبا من المذاهب الصحيحة السنية يُنهْى عن التعصب والغلو بحيث يزدري بأهل المذاهب الأخرى، فالحقيقة التي لا محيد عنها: أن أئمة المذاهب الحقة وأئمة الطرق والتصوف كلهم على هدى ونور وكل من رسول الله ﷺ ملتمس ، وهم من نعم الله علينا، وقد رأينا من أتباع المذاهب والطرق المجمع على صحتها علماء وأولياء ومرشدين وصالحين وزهاداً عابدين، مما يدل على أن الكل على حق ونور وصلاح ومتابعة للنبي الأعظم ﷺ وإن اختلفت اجتهاداتهم ومشاربهم، فإنهم لم يختلفوا في أصول الدين، فعلى طالب الحق والوصول إلى رضوان الله تعالى أن يكون مخلصا صادقاً فيما يريد ويبتغي، والله تعالى كريم لا يخيب من طلب رضاه ودعاه وناجاه وسلك طريق الحق ما دام مخلصا صادقاً، وليسلك عندها أي طريق من طرق أهل الله، وليتمذهب بأي مذهب من مذاهب أهل السنة، والله تعالى هو أعلم بأوليائه، فيوم القيامة يُظْهِرُ الله تعالى مقاماتهم وكراماتهم التي لم نعرفها في الدنيا على التحقيق،إلا أننا نقطع بأن قسماً من الصحابة هم أفضل الأولياء على الإطلاق كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم لورود الخبر بذلك. وكذلك نقطع في قسم من التابعين وتابع التابعين، لحديث:(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

زواجه ﷺ وأولاده قدست أسرارهم

قال الإمام الشيخ الأجل شهاب الدين عمر السهروردي ﷺ في كتابه عوارف المعارف.

سمعنا أن الشيخ عبد القادر قال له بعض الصالحين لم تزوجت: قال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ تزوج.

وقال: نقل عنه أنه قال: كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا أتجرأ على التزوج خوفاً من تكدير الوقت، فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله إليَّ أربع زوجات ما منهن إلا من تنفق عليَّ إرادة ورغبة.

وقال ابن النجار في تاريخه: سمعت عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي يقول: ولد لوالدي تسع وأربعون ولداً سبعة وعشرون ذكراً، والباقي إناثاً.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني ﷺ في غبطة الناظر وغيره: "وكان . أي الشيخ عبد القادر . إذا ولد له مولود حمله على يديه وقال: هذا ميت، فيخرجه من قلبه، فإذا مات لم يؤثر فيه موته شيئاً، ولهذا كان إذا مات له ولد وهو في مجلس وعظه يأمر بتجهيزه ولا يقطع كلامه في المجلس، وربما كان الغاسل يغسل الميت وهو يعظ الناس، فإذا فرغ أحضروا الجنازة ونزل عن كرسيه فيصلي عليه، ويذهب به ويعود هو إلى ما كان عليه.

وذكر الإمام الرافعي في سواد العينين: أن الشيخ عبد القادر تزوج أيام تجرده وسلوكه، وأقام بعياله وأولاده على حال التجريد والفقر، فلما دخل بغداد طاول الخليفة صولة ودولة، وقد خدمته حال تجريده مدة أربعين سنة، فكان يصلي الصبح بوضوء العشاء، وتصدر على بساط الغوثية العظمى".

ولم أعثر فيما وقع بين يدي من التراجم على أسماء زوجاته رحمة الله عليهن إلا أنهن عرفن بالطيبة والزهد والتقوى والتحمل قدست أرواحهن الطاهرة، ولم أعرف أول زواج له، إلا أنه تزوج في سن الأربعين كما ورد في بعض التراجمِ.وقيل قبل ذلك وهو أرجح.

وأما أولاده فقد مات أكثرهم في حياته ولم يبق منهم بعده إلا ثلاثة عشر ذكراً وبنتين، فكما ترى أن حياة سيدي القطب الغوث عبد القادر ﷺ كلها مجاهدات وتحمل وصبر ورضا منذ ولادته إلى آخر حياته، فكان فرداً من أفراد هذه الأمة المحمدية، وقد اختلف في أي أولاده أكبر، فقال صاحب القلائد هو عبد الله، وقال بعضهم هو عبد الوهاب، وأما أصغرهم فهو يحيى، وقيل بقي من أولاده أربعة عشر ذكراً.

وقد ورد ذكر أسماء أولاده في آخر كتاب فتوح الغيب، والقلائد وغيرهما، وهم: السيد الشيخ عبد الله، والشيخ عبد الوهاب، والشيخ عبد الرزاق والشيخ عبد العزيز، والشيخ عبد الجبار، والشيخ عبد الغفور، والشيخ عبد الغني، والشيخ صالح، والشيخ محمد،والشيخ موسى والشيخ عيسى،والشيخ إبراهيم والشيخ يحيى، وعبد الرحمن والسيدة الشيخة العلوية الطاهرة أمة الجبار فاطمة، والسيدة خديجة الملقبة بالزهراء، قدست أسرارهم، وقد قال العلماء أن أبناء سيدي شيخ الشيوخ عبد القادر ﷺ وعنهم، كلهم من أكابر العلماء والفقهاء والأولياء، نفعنا الله بهم:

١) **فأما سيدي الشيخ عبد الله:** وهو أكبر أولاد الشيخ عبد القادر فقد ولد سنة ثمان وخمسمائة هجرية، وتوفي ببغداد في السابع وقيل الثامن عشر من شهر صفر سنة سبع وقيل تسع وثمانين وخمسمائة هـ سمع من أبيه ومن ابن البناء ولد له السيد عبد الرحمن وقد سمع من نصر بن نصر العُكبري، وسعيد بن أحمد بن البناء، توفي في السادس والعشرين من المحرم سنة أربع عشرة وستمائة هـ.

٢) **ومنهم السيد الشيخ عبد الوهاب قدس سره** وهو من أعيان ومشاهير أولاد سيدي الإمام عبد القادر رضي الله عنه، ولد في شهر شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ببغداد، وتوفي بها ليلة الخامس والعشرين من شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الحلبة، تفقه سيدي الشيخ عبد الوهاب على والده، وسمع منه ومن أبي غالب بن البناء وغيرهما ورحل إلى بلاد العجم في طلب العلم.

ودرّس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه في مستهل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وقد نيف على العشرين سنة من عمره.

وبعد والده وعظ وأفتى وتخرج به جماعة منهم الشريف الحسيني البغدادي وأحمد بن عبد الواسع بن أميركاه وغيرهما، وكان قدس سره أكثر أولاد أبيه تميزاً.

كان فقيهاً فاضلاً حسن الكلام في مسائل الخلاف، له لسان فصيح في الوعظ وإيراد مليح مع عذوبة الألفاظ، وحدة الخاطر، وكان ظريفاً لطيفاً مليح المنادرة ذا مزاح ودعابة وكياسة، وكانت له مروءة وسخاوة، وجعله الامام الناصر لدين الله على المظالم، فكان يوصل إليه حوائج الناس قال الذهبي: حدث ووعظ وأفتى وناظر، وروسل من الديوان العزيز وكان أديباً ظريفاً خفيفا على القلوب، روى عنه الدنيثي وابن خليل وجماعة، وقال ابن رجب في طبقاته:ذكر الفارسي أنه سمع من ابن الحسين وابن الرعوابي وأبي غالب بن البناء وغيرهم،وكان فقيها مجرداً زاهداً واعظاً وله قبول حسن، وتولى المظالم للناصر سنة ثلاث وثمانين، وكان كيساً ظريفاً من ظرفاء أهل بغداد، ولم يكن في أولاد أبيه أفقه منه. وقال بعض أهل التراجم: وكان قلمه شديداً في الفتوى، وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدنيا رضي الله عنه،وقد ترجم له عدد من المؤلفين.

ولد للسيد الشيخ عبد الوهاب: السيد سليمان والسيد عبد السلام: فأما السيد سليمان فكان مولده في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وتوفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وستمائة قبل أخيه الشيخ عبد السلام بنحو عشرين يوماً، ودفن بمقبرة الحلبة عند أبيه رحمهما الله، سمع الشيخ سليمان من أكثر من واحد وكان يقال له، ابن الشيوخ والرواة، قيل أنه لم يسمع عنه أنه حدث شيئاً، يبدو أنه كان من أهل الخفاء يحب الخلوة والعزلة رحمه الله تعالى، وولد للشيخ سليمان بن الشيخ عبد الوهاب:داود، توفي السيد الشيخ داود عشية يوم السبت الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة ببغداد، ودفن يوم الأحد بمقبرة الحلبة عند أبيه وجده.

قال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه:داود بن سليمان بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح القرشي الهاشمي، سمع من جده عبد الوهاب وحدث، سمع منه الحافظ الدمياطي ببغداد، ثم ذكر وفاته، قال التادفي: وذكر لي أنه قدم دمياط، وقال الشريف عز الدين: وهو من بيت الصلاح والزهد والحديث.

قال التادفي: أقول وفي معرة النعمان تابع حماه جماعة من ذريته يعرفون بالداودية مقيمون بها إلى يومنا هذا نفع الله بهم،ولقد اجتمعت بشخص منهم يدعى بالشيخ عبد الكريم، وسألته عن نسبه فذكر لي أنه من ذرية الشيخ عبد الوهاب، وأن أباه عبد الوهاب بن صدقة بن أحمد بن حسن بن داود بن أحمد بن منصور بن سليمان بن داود بن سيف الدين سليمان بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي الحسني نفعنا الله به، وأن له ابن عم يدعى صدقة بن شحاته بن صدقة بن أحمد بن حسن بن داود بن أحمد بن سليمان بن داود بن شرف الدين سليمان بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي.

وأما سيدي الشيخ عبد السلام بن السيد عبد الوهاب، فكان مولده في ليلة ثامن ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وتوفي ببغداد ثالث رجب سنة إحدى عشرة وستمائة ودفن بمقبرة الحلبة من يومه، تفقه الشيخ عبد السلام على والده وجده سيدنا الشيخ عبد القادر، ودرس وأفتى وتولى عدة ولايات وكان حنبلي المذهب حج مرة متولياً كسوة البيت الشريف ورسوم أهل الحرمين الشريفين، وسارت سيرته في آخر عمره قدس سره، وقد سجنه الوزير ابن يونس بتهمة السحر والشعوذة ثم بعد فترة أخلي عنه وعاد إلى التدريس والارشاد في مدرسة جده ، ثم بعد ذلك قُبض على الوزير ابن يونس، وكان السيد عبد السلام ملقبا بركن الدين.

٣) **وأما سيدي الشيخ عبد الرزاق قدس سره ورضي الله عنه:** "فمولده عشية الاثنين الثامن عشر من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، ووفاته ببغداد ليلة السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة ودفن بباب حرب من بغداد، كان ﷺ حافظا فقيهاً عارفاً كبيراً رحمه الله تعالى، تفقه على والده وسمع منه ومن أبي الحسن بن ضرما وغيرهما، وحدث وأملى وخَرَّجَ ودرس وأفتى وناظر، وتخرج به غير واحد منهم إسحق بن أحمد بن غانم العلثي وعلي بن علي خطيب زوبا وغيرهما.

قال الحافظ ابن النجار في تاريخه:أسمعه والده في صباه وسمع من أبي الحسن محمد بن الصائغ والقاضي أبي الفضل محمد الارموى وأبي القسم سعيد بن البناء وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ وأبي بكر محمد بن الزاغواني وأبي المظفر محمد الهاشمي وأبي المعافى أحمد بن علي بن السمين وأبي الفتح محمد بن البطر، إلى أن قال: وطلب بنفسه وقرأ الكثير على أصحاب أبي الخطاب بن البطر وأبي عبد الله بن طلحة، ومن دونهم حتى سمع من مشايخنا ومن أمثالهم، وكتب

بخطه كثيراً لنفسه وللناس، وكان خطه رديئاً قرأت عليه كثيراً وكان حافظاً متقناً ثقة صدوقاً حسن المعرفة بالحديث فقيها على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ورعاً متديناً كثير العبادة منقطعا في منْزله عن الناس لا يخرج إلا في الجمعات، محباً للرواية، مكرماً لطلاب العلم سخيا بالفائدة ذا مروءة مع قلة ذات يسرة، وأخلاق حسنة وتواضع وكيس، وكان جشب العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: أبو بكر عبد الرزاق الجيلي ثم البغدادي الحنبلي، المحدث الحافظ الثقة الزاهد، سمع الكثير بإفادة أبيه ثم بنفسه وعنى بالطلب والأجزاء والسماعات... وقال: ويقال له الحلبي نسبة إلى الحلبة محلة بشرقي بغداد.

وقال مؤلف الروض الزاهر: "قال أبو شامة في تاريخه: كان ـ أي الشيخ عبد الرزاق ـ زاهداً عابداً ثقة مقتنعا باليسير.

قال التادفي الحلبي في القلائد: قلت روى عنه الدنيثي وابن النجار والضياء والنِجيب عبد اللطيف والتقي البلداني وطائفة، وأجاز للشيخ شمس الدين عبد الرحمن والكمال عبد الرحيم وأحمد بن شيبان وخديجة بنت الشهاب بن راجح وإسماعيل العسقلاني والفخر علي المقادسة.

وقال أبو الطيب البخاري القنوجي، في كتابه التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: "عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي المحدث الحافظ ولد سنة... إلى أن قال: سمع من والده ومن ابن ضرما والحافظ ابن ناصر وابن البناء وأبي الوقت ومن في طبقتهم... وقال: قال الحافظ الضياء: لم أر ببغداد مثله في تحريه وتيقظه، أثنى عليه أبو شامة، وذكره الذهبي فقال: حدث عنه الدنيثي وابن النجار والضياء المقدسي وآخرون، توفي سنة ثلاث وستمائة هـ /١٢٠٧ر ودفن بباب حرب.

وقال الحافظ ابن رجب في طبقاته: "وكانت له معرفة بالمذهب، ولكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه، قال ابن نقطة: كان حافظاً ثقة مأموناً، وأثنى عليه الدنيثي وغيره.

وقال التادفي: حُدِّث عنه أنه مكث ثلاثين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء، من حيائه رضي الله عنه، ولما توفي رضي الله عنه قال ابن النجار: ونودي بالصلاة عليه من الغد في محال بغداد فاجتمع له خلق كثير، وأخرجت جنازته إلى المصلى بظاهر البلد فصلي عليه هناك، ثم حمل على رؤوس الرجال إلى

جامع الرصافة فصلي عليه به، ثم صلي عليه بباب تربة الخلفاء، ثم على شاطئ الدجلة عند الخضريين، ثم عبر به إلى جانب الغربي فصلي عليه بباب الحريم، ثم أدخل الحربية فصلي عليه بها، ثم حمل إلى مقبرة الإمام أحمد فصلي عليه هناك، ودفن وكان يوماً مشهوداً. ﷺ ونفعنا الله به ونوَّر مرقده وأعلى مقامه.

وقد ولد لسيدي الشيخ الكبير عبد الرزاق، **الشيخ القدوة العالم الزاهد قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر قدس سره العزيز** قال التادفي: ولد ليلة السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة، وتوفي ببغداد سَحَراً ليلة الأحد سادس عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ودفن بباب حرب بدكة الإمام أحمد، ومن إنشاده لنفسه ﷺ:

(البحر الخفيف)

أنـــا فـــي القبـــر مفـــرد ورهـــينُ	**غـــارم مفلـــس علـــيَّ ديـــونُ**
قـــد أنخـــت الركـــابَ عنـــد كـــريم	**عتـــق مثلـــي علـــى الكـــريم يهـــونُ**

وأمه أم الكرم تاج النساء بنت فضائل التركيني سمعت وحدثت، وكان لها حظ وافر من الخير والصلاح، توفيت ببغداد ودفنت بباب حرب رحمة الله عليها.

قال الحافظ ابن رجب في طبقاته:" الفقيه المناظر المحدث الزاهد الواعظ قاضي القضاة شيخ الوقت عماد الدين. نصر بن الشيخ عبد الرزاق. قرأ القرآن في صباه وسمع الحديث من والده وعمه عبد الوهاب...

ثم قال: وأجاز له أبو العلاء الهمداني وأبو موسى المديني وغيرهم...

وقال: وكان ذا لسن وفصاحة وجودة، وأفتى وتولى مدرسة جده...

وقال: وتوفي الخليفة الناصر وولي ابنه الظاهر، وكان من خيار الخلفاء وأحسنهم سيرة وأظهرهم ديانة وصلاحاً وعدلاً أزال المكوس ورد المظالم واجتهد في تنفيذ الأحكام الشرعية على وجهها حتى قال ابن الأثير: لو قيل ما ولي بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً، وكان يختار لكل ولاية أصلح من يجد لها.

فقلد أبا صالح ـ نصر بن عبد الرزاق- هذا القضاء بجميع مملكته، ويقال أنه لم يقبل إلا بشرط أن يورث ذوى الأرحام، فقال له الخليفة:أعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تتقِ أحداً سواه، وأمره أن يوصل إلى كل من ثبت له حق بطريق شرعي حقه من غير أن يراجعه، وأرسل إليه بعشرة آلاف دينار يوفي بها ديون من في سجنه من المدينين الذين لا يجدون وفاء، ثم رد إليه النظر في جميع الوقوف العامة ووقوف المدارس الشافعية والحنفية وجامع السلطان وابن المطلب، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية، ولما توفي الظاهر أقره ابنه المستنصر مدة مديدة، واستدعاه عند المبايعة ليثبت له وكالة وكلها لشخص، فلم يحكم فيها حتى قال له: وليتني ما ولاني والدك؟ فصرح بالتولية.

وكان في أيام ولايته يؤذن ببابه في مجلس الحكم ويصلي بالجماعة، ويخرج إلى الجامع راجلاً، ويلبس القطن وكان متحرياً في القضاء، قوي النفس في الحق، وسار سيرة السلف، ولما عزله المستنصر أنشد: (البحر الوافر)

حمِـــدتُ الله عـــز جـــل لمـــا — قضـى لـي بـالخلاص مـن القضـاء
وللمستنصـــر المنصـــور أشـــكر — وأدعـــو فـــوق معتـــاد الـــدعاء

قال ابن رجب: ولا أعلم أن أحداً من أصحابنا دعي بقاضي القضاة قبله، ولا استقل بولاية قضاء القضاة في مصر غيره، وأقام بعد عزله بمدرستهم يدرس ويفتي ويحضر المجالس الكبار والمحافل، ثم فوض إليه المستنصر رباطا بناه بدير الروم وجعله شيخا به، وكان ـ الخليفة ـ يعظمه ويبجله ويبعث إليه أموالاً جزيلة ليفرقها في وجهها، وقد صنف في الفقه كتاباً سماه إرشاد المبتدئين، تفقه عليه جماعة وانتفعوا به، وفيه يقول الصرصري في قصيدته اللامية التي مدح فيها الإمام أحمد وأصحابه ﷺ:

(البحر الطويل)

وفي عصرنا قد كان في الفقه قدوة — أبـــو صـــالح نصـــر لكـــل مؤمـــل

وقال التادفي: "وكانت توليته للقضاء في يوم الأربعاء ثامن ذي القعدة سنة اثنين وعشرين وستمائة من الامام الظاهر بأمر الله، وخلع عليه السوار وقرئ عهده في جوامع مدينة السلام

الثلاثة، فسار السيرة الحميدة الحسنة وسلك الطريق المستقيمة... قال: ولم تغيره الولاية عن أخلاقه وتواضعه وسيرته التي عرفت منه قبل الولاية.

واستمر قاضيا مدة حياة الظاهر فلما أفضت الخلافة إلى ولده المستنصر بالله أقره أربعة أشهر وأياماً ثم عزله وقال: وكان والده أسمعه الكثير في صباه وكان ثقة نبيلا متحريا محققاً لما يرويه ذا معرفة بالحديث، وله اليد الطولى في المذهب مليح الكلام في مسائل الخلاف، حلو العبارة حسن الإيراد متواضعا لطيف الطبع ظريف المعاشرة مزاحاً كيساً مقداماً رجلاً من الرجال لا يهاب أمراً، قال التادفي: قال ـ أي الشيخ نصر ـ رحمة الله عليه: كنت في دار الوزير العمشي أكتب خطي على الاجازات الناصرية، فبينما أنا في الدار وهناك محمد بن منحب الرزاز المحدث وابن زهير العدل وابن المروزي بسبب شيخ الشيوخ، إذ دخل رجل عليه ثياب حسنة وله هيئة فلما سلم وثب الجماعة وخدموه فوافقتهم وظننت أنه من بعض الفقهاء فسألت عنه فقالوا: ابن كرم اليهودي عامل دار الضرب، وكان قد مضى وقعد في صفة مقابلنا، فقلت له: قم إلى هنا فجاء ووقف بين يدي فقلت له: ويلك حين دخلت توهمت أنك فقيه من فقهاء الإسلام فقمت لك إكراماً لذلك، ولست ويلك عندي بهذه الصفة، ثم كررت ذلك عليه مراراً وهو قائم يقول: الله يحفظك الله يبقيك، ثم قلت له اخسأ هناك بعيداً عنا فذهب.

وقال الشيخ عماد الدين نصر أيضاً: كان لي رسم في رجب من الصدقة الناصرية آخذه من البدرية، فاتفق في بعض السنين في يوم الأربعاء، وكنت قد مضيت إلى زيارة قبر الإمام أحمد، فلما عدت من الزيارة وجدت الناس أخذوا رسومهم وانفصلوا، وقيل لي: إن رسمك عند ابن توما النصراني قد رفع إليه فامض إليه وخذه منه، فقلت والله لا أمضي إليه ولا أطلب رزقي من كافر، وعدت إلى بيتي متكلاً على الله سبحانه، وأنشدت لنفسي هذه الأبيات:

(بحر الرمل)

نفسي ما عن ديننا من بدل	**فدع الدنيا وخلي جدلي**
ما يساوى أننا نمضي إلى	**مشرك إذ ذاك عين الزلل**
ان يكن ديننا علينا فلنا	**خالق يقضيه هذا أملي**

قال: ولم يزل ذلك الرسم عند النصراني لا أتعرض لطلبه ولا ينفذه إليَّ إلى أن قتل في جمادى الأولى من السنة الأخرى،وأُخذ الذهب من داره فنفذ إليَّ.

وكان الشيخ نصر يقول: (بحر الرمل)

نحـــن مـــن أولاد خيـــر الحســـنين مـــن بـــه أصـــلح بـــين الفئتـــين

يشـــبه المختـــار فـــي أعـــلاه إذ كـــان أدنـــاه شـــبيهاً بالحســـين

ســـــر كتمـــــان أبينـــــا أصـــــله أنـــــه قـــــال بـــــأن الفقـــــر زيـــــن

رحمة الله تعالى عليه

وولد لسيدي تاج الدين الإمام عبد الرزاق بن الشيخ الإمام عبد القادر رضي الله عنهما أيضاً: الشيخ عبد الرحيم، سمع من والده ومن الشيخة شهدة بنت الابرى والشيخة خديجة بنت أحمد النهرواني وغيرهم، ولد يوم الأربعاء رابع عشر ذي القعدة سنة ستين وخمسمائة،وتوفي في يوم الخميس سابع شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة ببغداد ودفن من يومه بباب حرب رحمه الله تعالى.

والشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الرزاق، سمع من غير واحد وتفقه وحدث، توفي ببغداد ودفن بمقبرة الامام أحمد رحمه الله تعالى قال التادفي: ولم أقف على تاريخ مولده ولا وفاته.

والشيخ أبو المحاسن فضل الله بن الشيخ عبد الرزاق، تفقه على والده وغيره وسمع منه ومن عمه الشيخ عبد الوهاب وأبي الفتح وغيرهم، توفي شهيداً بأيدي التتر ببغداد في صفر سنة ست وخمسين وستمائة.

وأخته الشيخة سعادة بنت الشيخ عبد الرزاق، سمعت من عبد الحق وغيره، توفيت ببغداد وصلى عليها أخوها الشيخ أبو صالح نصر رحمة الله عليها.

والشيخة عائشة بنت الشيخ عبد الرزاق، سمعت من عبد الحق وغيره وحدثت، وكانت خيرة زاهدة عابدة صالحة، توفيت ببغداد ودفنت من الغد بباب حرب، ومن أبناء سيدي عبد

الرزاق أيضا ولدا آخر هو السيد علي، ذكره الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه (هكذا ظهر جيل صلاح الدين). رحمة الله عليهم أجمعين.

وذرية سيدي الشيخ تاج الدين عبد الرزاق بن سيدنا ومولانا الشيخ عبد القادر كثرت واشتهرت، وانتشرت باركها الله سأذكر بعض مشاهيرها إن شاء الله تعالى.

٤) **ومن أبناء إمامنا القطب الغوث عبد القادر الجيلاني، سيدنا وجدنا الإمام القطب الفرد الذهب الابريز أبو بكر عبد العزيز قدس سره العزيز.**

قال التادفي: ولد لثلاث بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وتوفي بالجبال يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وستمائة رحمة الله عليه، تفقه الشيخ أبو بكر عبد العزيز على والده وسمع منه ومن ابن منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز وغيرهما، وقد حدث ووعظ ودرس، وتخرج به غير واحد، وكان بهياً متواضعا، رحل إلى الجبال واستوطنها في حدود سنة ثمانين وخمسمائة، بعد أن غزا عسقلان وزار القدس الشريف قال التادفي:وذريته بالجبال إلى يومنا هذا ـ في قرية الحيال قرب عقرة الموصل- وذرية الشيخ عبد العزيز كبيرة ولها انتشار واسع في العراق وبلاد الشام والحجاز ومصر وبلاد أخرى كثيرة، وسأذكر بعض مشايخ ذريته الذين استوطنوا في شمال لبنان من بلاد الشام وهم العائلة الزعبية الجيلانية إن شاء الله تعالى.

واعلم أن نقابة الأشراف في بغداد لم تزل في ذرية الشيخ عبد العزيز لم تنتقل منهم إلا مرة واحدة إلى أحد المشايخ من ذرية أخيه الشيخ عبد الرزاق ثم أعيدت إليهم، وكذلك أمر ذريته في لبنان، منذ جاء الزعبية واشتهر أمرهم تسلموا نقابة الأشراف ولم تزل بأيديهم حتى ألغيت.

وقد اجتهد سيدي الشيخ عبد العزيز في طريقة والده، فسميت طريقته الطريقة العزيزية القادرية، وقد تخرج به عدد من العلماء والأولياء، نفعنا الله به ـ آمين.

٥) **والشيخ الأجل سيدي عبد الجبار قدس سره العزيز**، لم أعثر على تاريخ ولادته، وقد مات شاباً قبل أخيه الشيخ عبد الرزاق بنحو ثمان وعشرين سنة من تاسع عشر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة هـ، ودفن بالحلبة برباط والده في بغداد.

تفقه سيدي الشيخ عبد الجبار على والده وسمع منه ومن أبي منصور والقزاز وغيرهما، وكان ذا كتابة حسنة يكتب خطاً عجيباً.

وقد سمع منه وتخرج به عدد، منهم أخوه الشيخ عبد الرزاق سمع منه شيئاً يسيراً، وقد اشتهر ﷺ بالتصوف يكثر من مخالطة الفقراء وأرباب القلوب، ولم أعلم أنه قد ترك ذرية من بعده ﷺ وطيب ثراه.

٦) **والشيخ الكامل سيدي محمد قدس سره**، لم أعثر على تاريخ مولده وأما وفاته فكانت ببغداد في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ستمائة ودفن من يومه برباط والده بمقبرة الحلبة، تفقه على والده وسمع منه ومن ابن البناء وأبي الوقت وغيرهما، وقد حدث ووعظ وخرج، وكان سيدي باز الله الأشهب عبد القادر ﷺ يكنى به وبأخيه صالح رحمة الله عليهم أجمعين وله عقب وذرية.

٧) **والشيخ العظيم سيدي موسى قدس سره**،ولد في ختام ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وتوفي بمحلة العقيبة بدمشق في أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وستمائة، ودفن بسفح جبل قاسيون، وهو آخر من مات من أولاد سيدى الشيخ عبد القادر

تفقه سيدي موسى على والده وسمع منه ومن ابن البناء وغيرهما وحدث بدمشق واستوطنها وعمر بها وانتفع به الناس، ودخل مصر ثم عاد إلى دمشق.

قال الشيخ عمر بن الحاجب في معجمه: كان حنبلي المذهب،شيخا مسنداً من بيت حديث وزهد وورع وممن يشار إلى بيته، ورد شيخنا هذا إلى دمشق واستوطنها وتوفي بها، وكان شيخا ظريفاً مطبوع الحركات، رق حاله واستولى عليه المرض في آخر عمره، إلى أن توفي، وصُلي عليه بالمدرسة المجاهدية ودفن بجبل قاسيون رحمة الله عليه، وممن تخرج بصحبته:الشيخ إسحاق بن إبراهيم، والشيخ خليل بن أبي بكر المراغي، والشيخ الزاهد محمد بن عبد الرحيم المقدسي، والشيخ أحمد بن عبد المجيد المقدسي، ذكر ذلك الامام اليافعي في مرآة الجنان

٨) **والشيخ العارف الرباني سيدى عيسى قدس سره العزيز**، لم أعثر على تاريخ ولادته، وأما وفاته فكانت بمصر في الثاني عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

تفقه على والده وسمع منه ومن أبي الحسن بن ضرما وغيرهما، وحدث ودرس ووعظ وأفتى وصنف مصنفات منها كتاب جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علم التصوف.

وقدم مصر وحدث بها ووعظ وتخرج به من أهلها الكثير، منهم أبو تراب ربيعة بن الحسن الحضرمي الصنعاني، ومسافر بن يعمر المصري، وحامد بن أحمد الارتاجي، ومحمد بن محمد الفقيه المحدث، وعبد الخالق بن صالح القرشي الأموي المصري وغيرهم.

قال ابن النجار في تاريخه: خرج من بغداد بعد وفاة والده، ودخل الشام وسمع بدمشق من علي بن مهدي بن المفرج الهلالي في سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وحدث عن والده، ثم إنه دخل مصر وأقام بها إلى حين وفاته، وكان يعظ على المنابر وله قبول من الناس حيث حدث هناك عن والده، روى عنه أحمد بن ميسرة بن أحمد الحلال الحنبلي، وكذا قال المنذري.

وقال ابن النجار: قرأت على بلاطة قبر عيسى بن الشيخ عبد القادر الجيلي بقرافة مصر، توفي في الثاني عشر من رمضان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ومن شعره قدس سره: (البحر الطويل)

تحمّلْ سلامي نحو أرض أحبتي ... وقــلْ لَهُــمُ إن الغريــب مشــوقُ

فإن سألوكمْ كيف حاليَ بعدَهُمْ ... فقولــوا بنيــران الفــراق حريــقُ

فليس لـه إلـف يسير بقـر بِهِـمْ ... ولـيس لــه نحــو الرجــوع طريــقُ

غريب يقاسي الهمّ في كل بلدة ... ومــن لغريــب فــي الــبلاد صــديقُ

قال التادفي: يوجد بقرية ياعو من أعمال عزاز جماعة من ذرية الشيخ عيسى رضي الله تعالى عنه ونفعنا به.

٩) **والشيخ الجليل سيدي إبراهيم قدس سره**، لم أعثر على تاريخ ولادته تفقه سيدي إبراهيم على والده وسمع منه ومن سعيد بن البناء وغيرهما. ورحل إلى واسط من أرض العراق فاز به الناس وبقي هناك إلى حين وفاته سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ﷺ. وله ذرية مستكثرة.

١٠) **والشيخ المؤيد ذو المواهب والأسرار سيدى يحيى قدس سره،** ولد ﷺ قبل وفاة والده بنحو إحدى عشرة سنة يعني سنة خمسين وخمسمائة وهو أصغر أولاد سيدي الشيخ عبد القادر سناً ووفاته في شعبان سنة ستمائة، ونودي بالصلاة عليه فحضر خلق كثير، وصلي عليه بمدرسة والده ودفن عند أخيه الشيخ عبد الوهاب برباط والده بالحلبة النورانية، وكانت أمه حبشية. قال سيدي الشيخ عبد الوهاب قدس سره: مرض والدي مرضاً أشرف فيه على الموت، فقعدنا حوله نبكي، وكان مغشيا عليه، فأفاق وقال: لا تبكوا علي فإني لا أموت الآن، فإن يحيى في ظهري ولا بد أن يخرج إلى الدنيا، قال الشيخ عبد الوهاب: ظنناه يقول هذا من غلبة المرض، ثم إنه عوفي ورزق بولد وسماه يحيى وكان آخر أولاده.

تفقه سيدي يحيى على والده وسمع منه ومن محمد بن عبد الباقي وغيرهما، وحدث وانتفع الناس به، وقدم مصر وأقام بها، ورزق بها بولد سماه عبد القادر، ثم قبل وفاته عاد بولده إلى بغداد فتوفي بها ﷺ.

١١) **وأما السيدة الجليلة الشريفة فاطمة بنت الشيخ عبد القادر قدس سرها،** فكانت على قدر عال من الصلاح والزهد والعلم، وقد زوجها والدها للشيخ الطفسونجي زوجه إياها بعد وفاة والده، وقد رزق منها ذرية طيبة صالحة، وصاروا فيما بعد يُنْسبون إلى الشيخ عبد القادر لشهرتهم، والصواب أنهم من ذرية الطفسونجي وإن كانوا من حيث الحسب إلى سيدي الشيخ عبد القادر، قدست أسرارهم جميعاً.

كان رضي الله عنه أي زوج السيدة فاطمة الجيلانية من الأكابر وهو الشيخ عمر بن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي ﷺ.

والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي هو الذي أرسل بعض أصحابه إلى الشيخ عبد القادر ليقولوا له: إن الشيخ عبد الرحمن له أربعون سنة في الدركات وما رآك طيلة هذه المدة دخلت الحضرة أو خرجت منها، إلى آخر القصة التي أوردناها قبل هذا الفصل.

وقد جاء في ترجمته أنه كان من الأوتاد ومن أعيان المشايخ وله كشف جلي وكراماته مستفاضة من ذلك:أنه أراد يوماً صلاة الجمعة فوضع رجله في الركاب ليركب بغلته ثم نزعها

ووقف على الأرض ساعة ثم ركب، فقيل له في ذلك، فقال: كان سيدي الشيخ عبد القادر يريد أن يركب بغلته في ذلك الوقت ببغداد فأردت أن لا أتقدم عليه.

وروي أنه كان مرة على جبل فقال: سبحان من سبحت له الوحوش في القفار، وإذا بين يديه وحوش عظيمة قد ملأت البطحاء وهي ترنم بلغاتها وامتزجت الأسْدُ بالأرانب والظباء، وجاء بعضها يتمرغ على قدميه ثم قال: سبحان من سبحت له الطيور في أوكارها فإذا على رأسه في الهواء طيور كثيرة من كل جنس قد سدت الفضاء وهي تلحن بأنغامها فدنت منه حتى عكفت على رأسه، ثم قال: سبحان من سبحته الرياح العواصف، فهبت الرياح مختلفة ما رُئِيَ ألطف منها، ثم قال: سبحان من سبحته الجبال الشوامخ، فاضطرب الجبل الذي تحته وسقط منه صخرات.

وكراماته كثيرة ومناقبه مشهورة، والطفسونجي نسبة إلى طفسونج بلدة من أرض العراق، مات الشيخ بها مسنَا وقبره بها ظاهر يزار.

ولما حضرت الشيخ الوفاة قال له ولده: أوصني فقال: أوصيك بحفظ حرمة الشيخ عبد القادر والوقوف عند أمره ولزوم خدمته، فلما توفي جاء ابنه إلى الشيخ عبد القادر، فأكرمه الشيخ عبد القادر وألبسه خرقة وزوجه ابنته، وكان الشيخ عمر يلبس ثياب العلماء، فجلس يوما في مدرسة الشيخ عبد القادر، فجاء فقير موله وقعد إلى جانبه وجعل يقلب أكمامه ويقول: ما هذه أكمام ابن الشيخ عبد الرحمن هذه أكمام ابن هبيرة يعني الوزير، فقام الشيخ عمر ودخل إلى داره وخلع ثيابه ولبس مسحا وخرج على وجهه، فقال الشيخ عبد القادر بعد مدة لرجلين من أصحابه إذهبا إلى عبادان تجداه فيها فأحضراه إليّ، فتوجها وأحضراه، فألبسه ثوبه وأدخله على زوجته ﷺ أجمعين.

١٢) **وأما السيدة خديجة الملقبة بالزهراء قدس سرها،** فقد ذكرالدكتور محمد بن عبد الرحمن الويسي الحسيني في كتابه المسمى (أويس القرني) أنها تزوجت من السيد الجليل أويس الخولاني بن يحيى بن محمد الحازم بن إبراهيم بهاء الدين بن محمد الملقب بحامي الحمى بن علي عز الدين الحائري المتوفى سنة ٣٠٠ هـ المدفون في قرية الطيبة التابعة لمدينة حماه، ابن السيد إبراهيم المجاب بن السيد محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم الحسيني ﷺ،...

والسيد أويس يعرف مقامه اليوم بمقام الشيخ أبي طاسة، لقب بهذا اللقب لأنه كان كثير الجهاد في سبيل الله، فإنه كان لا يخلع الطاسة عن رأسه، وأصله قدس سره من خولان اليمن، قدم خولان إلى اليمن ومن اليمن إلى بغداد وذلك سنة ٥٥٥ هـ وعندما وصل إلى بغداد تعرف على سيدي القطب الغوث الجيلاني ﷺ فأحبه وزوجه ابنته السيدة خديجة، ثمَّ خرج من بغداد مجاهداً في سبيل الله إلى أن وافته المنية فاستشهد في حلب ودفن في المدرسة الطرنطائية، باب النيرب وتعرف الآن في حلب بزاوية البادنجكية (فرع القادرية)، وقبره فيها مشهور يقصده الزوار، وله ذرية، ومن كراماته كما في طبقات الشعراني أنه كان يمشي على وجه الماء في دجلة، ومنها أنه شوهد جسده في قبره بعد وفاته بنحو ٦٠٠ سنة كأنه دفن الآن قدس الله سره ونفعنا به.

وأما الشيخ عبد الغفور، وعبد الغني، وصالح قدست أسرارهم فلم أعثر على ترجمة لهم، وقد ذكر الشيخ يونس السامرائي في كتابه مناقب الشيخ عبد القادر ولداً آخراً للشيخ عبد القادر اسمه **الشيخ عبد الرحمن** المتوفى سنة سبعٍ وثمانين وخمسمائة هـ وبهذا يكون عددهم أربعة عشر ذكراً.

وبالجملة فإن أبناء سيدنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر كانوا على قدر عظيم من العلم والصلاح أصحاب مقامات عالية وأحوال سنية أصحاب كرامات وأساتذة مرشدين، تخرج بهم الكثير، كالمطر أينما انهل أنبت ورثوا من أبيهم وأجدادهم رضوان الله عليهم، وشهرة والدهم شيخ الشيوخ ساعدتهم، فكان واحدهم أينما توجه يستقبل بالترحاب ويجتمع عليه الخلق الكثير فينتفعون منه، وقد سلكوا قدست أسرارهم مسلك السلف الصالح من حيث السيرة والتواضع وعدم حب الظهور، والوقوف عند حدود الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد نشروا طريقة والدهم كما نشرها بقية خلفاء الشيخ عبد القادر في بقاع الأرض، كما نشروا العلم، حتى انتسب إلى الطريقة القادرية آلاف الآلاف، في العراق وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي والعديد من الدول الأفريقية والهند والباكستان وبلاد العجم والروس وبلغاريا والعديد من الدول الأوربية وتركيا والحجاز، وغيرها حتى سادت الطريقة القادرية وأصبحت أكثر الطرق انتشاراً واشتهاراً في العالم حتى يومنا هذا، ولم يتوانوا عن المشاركة في الغزو والجهاد والدعوة إلى دين الله تعالى.

وقد دخل مئات الآلاف في دين الإسلام على أيديهم من غير قتال من دول شتى كالهند والباكستان وأفريقية وروسيا، كما شارك في هذا غيرهم من أهل الطرق الصوفية الصحيحة.

وذرية سيدنا الشيخ عبد القادر بارك الله فيها، فهي من أكبر العائلات وأكثرها عدداً واشتهاراً وانتشاراً وقد ظهر فيها العدد الكبير من العلماء والصلحاء والمرشدين.

وقد تغيرت كنية العديد من ذرية الشيخ من كيلاني وجيلاني إلى ألقاب وأسماء أخرى بسبب لقب جد من أجدادهم، أو بسبب إقامة أحدهم في بلد ما فنسب إليه، وغير ذلك، ومع ذلك فإنهم معروفون في الغالب في كل بلدة أو قرية هم ساكنوها ثم إن أبناء سيدنا الشيخ عبد القادر ظهر صيتهم خصوصاً بعد وفاة والدهم، فمنهم من ترك بغداد وهاجر في طلب العلم ونشر الخير والصلاح، ومنهم من بقي فيها.

فالذين بقوا ببغداد، عمروا مدرسة والدهم بالوعظ والإرشاد والتربية فقد تولى أمر التدريس فيها والإرشاد سيدي الشيخ عبد الجبار حتى توفي، وكذلك الشيخ إبراهيم حتى توفي، والشيخ عبد الوهاب حتى توفي، كذلك الشيخ عبد الرزاق، ثم درس فيها ووعظ حفيد الشيخ عبد القادر الشيخ عبد السلام بن الشيخ عبد الوهاب، كذلك الشيخ نصر بن الامام الحافظ تاج الدين الشيخ عبد الرزاق وغيرهما.

وقد شيدوا جامعاً متصلاً بالمدرسة اشتهر باسم الجامع ذي القباب السبعة، وباسم جامع الشيخ عبد القادر.

ومحلة باب الأزج التي فيها مدرسة الشيخ عبد القادر، صار اسمها محلة باب الشيخ عبد القادر بعدما فوضت المدرسة إليه.

وظل الأمر كذلك إلى حين غزو التتار مدينة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة، فقتلوا عدداً من ذرية الشيخ عبد القادر مع من قتل من المسلمين، وهدموا المدرسة والجامع، ثم أعيد بناؤهما بعد زوال خطر التتار، ثم في سنة أربع عشرة وتسعمائة هدمت المدرسة والجامع عندما احتل بغداد الشاه إسماعيل الصفوي.

ثم لما استعادها السلطان العثماني سليمان القانوني وذلك يوم الاثنين في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أمر بإعادة بنائهما وبناء رواق للفقراء إلى جانب الجامع.

ثم في سنة ثلاث وثلاثين وألف تعرضت المدرسة والجامع للتخريب مرة أخرى وذلك على يد الشاه عباس الأول الصفوي، ثم أخرجهم من بغداد السلطان العثماني مراد الرابع في سنة ثمان وأربعين وألف وجدد العمارة للمدرسة والجامع تحت إشراف المفتي الأكبر يحيى كما أشرف على إعادة بناء مسجد الامام أبي حنيفة رضي الله عنه.

وفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف هـ أضاف السيد الشيخ علي الكيلاني نقيب الأشراف الرواق الكبير المجاور لحرم الجامع، وفي سنة سبع وتسعين ومئتين وألف عمَّر السيد الشيخ سليمان الكيلاني نقيب الأشراف منارة على الباب الغربي للجامع، وفي سنة سبع عشرة وثلاث مائة وألف هـ عمّر السيد الشيخ عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف ساعة تناطح السحاب، وحوضاً للوضوء، ورواقاً والطابق العلوي الكائن فوق حجرات الطابق الأرضي، وقد أمر السلطان العثماني الثالث والعشرون أحمد الثالث ببناء مدرستين أضافهما إلى البناء القديم لتدريس التلاميذ فيها وللأكل فيها والنوم مجاناً.

وهكذا لم يزل حتى اليوم في ذرية الشيخ عبد القادر وأهل طريقته صلحاء وعلماء ينشرون الخير والفضيلة، ولكن كما هو معروف وظاهر فإن عدد المصلحين منهم ومن غيرهم قد تضاءل بسبب انتشار الفساد والإقبال على الدنيا وشهواتها وحب الشهرة والظهور والمداهنة وغير ذلك.

إلا أن الأرض لن تخلو من الصلحاء مهما كثر الفساد، فإن النبي ﷺ قال: "**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**"رواه بن ماجه وغيره.
وقال سيدنا باب مدينة العلم علي عليه السلام لكميل بن زياد: لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة". ولا بد من الفرج القريب إن شاء الله تعالى.

وقد رأينا أيضاً مما مر معنا كيف البلاء والشدة على أهل بيت النبي ﷺ، وذلك لعلو قدرهم عند الله تعالى، وقد سئل سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ أي الناس أشد بلاءً قال: **الأنبياء ثم**

الأمثل فالأمثل" رواه الترمذي، نفعنا الله بأحبابه وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وفاة سيدنا وقدوتنا ومرشدنا
مولانا باز الله الأشهب عبد القادر الجيلاني ﷺ

روي أنه ﷺ: مرِض مرَض الوفاة فكان ذلك يوماً وليلة فقط

وفي آخر كتاب الفتح الرباني: استوصاه ولده الشيخ عبد الوهاب فقال له: عليك بتقوى الله وطاعته، ولا تخف أحداً ولا ترجه، وكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عزّ وجل(معنى الثقة هنا الاعتماد الحقيقي والتوكل الكامل) ولا تعتمد إلا عليه سبحانه، وعليك بالتوحيد التوحيد التوحيد وجماع الكل التوحيد.

وقال لولده الشيخ عبد الجبار: أنت نائم أو منتبه؟ موتوا فيّ وقد انتبهتم، ودخل عليه الشيخ عفيف، وكان الشيخ عبد العزيز يكتب عنه، فقال له: أعط عفيفا ليكتب، فأخذ وكتب "سيجعل الله بعد عسر يسراً" مروا بأخبار الصفات على ما جاءت(أي من غير تشبيه ولا تعطيل كما وضح ﷺ ذلك في كثير من أقواله).

الحكم يتغير والعلم لا يتغير، الحكم ينسخ والعلم لا ينسخ، ولا ينقض علم الله بحكمه.

وفي آخر كتاب فتوح الغيب: سأله ولده الشيخ عبد العزيز عن ألمه وحاله فقال: لا يسألني أحد عن شيء أنا أتقلب في علم الله عزّ وجل، وسأله عن مرضه فقال: إن مرضي لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد.

وسأله ولده الشيخ عبد الجبار ماذا يؤلمك من جسمك فقال: رضي الله عنه: جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله عزّ وجل.

وقال ﷺ في مرض وفاته:أنا لب بلا قشر، بيني وبينكم وبين الخلق بعد ما بين السماء والأرض، فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسوا عليّ أحد.

وقال: أنا لا أخاف من أي إنسان، أنا لا أخاف من الموت، ولا من ملك الموت (لم يقل ذلك استخفافاً بملك الموت عزرائيل عليه السلام فإنه ملك كريم على الله، إنما المقصود أنا معتمد على الله وخوفي منه سبحانه أعظم).

وروى الشيخ الأكبر القطب العارف الرباني سيدي محيي الدين محمد بن العربي في الفتوحات: أن الشيخ عبد القادر ﷺ قال في مرض وفاته: يا ليت أمي لم تلدني.

وذكر الشيخ المناوي في طبقاته: أن سيدي الشيخ عبد القادر كان تحت رأسه مخدة، فقال:أنزلوا خدي عنها، ضعوه على التراب لعلَّ الله يرحمني، ثم قال: هذا هو الحق الذي كنا عنه في حجاب.

وفي آخر فتوح الغيب، قال ﷺ لأولاده أبعدوا من حولي فإني معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن.

وقال ﷺ: قد حضر عندي غيركم فأوسعوا لهم وتأدبوا معهم ههنا رحمة عظيمة، ولا تضيقوا عليهم المكان، وكان يرد عليهم السلام (الظاهر أنهم من الملائكة).

وكان يقول أحياناً:وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته غفر الله لي ولكم تاب الله علي وعليكم، بسم الله غير مودعين، ثم يرفع يديه ويمدها ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، توبوا وادخلوا في الصف (الظاهر أنهم جماعات من الجن جاءوا لوداعه ﷺ).

وكان يقول أيضاً: ارفقوا ارفقوا (كأنه يخاطب الملائكة).

كان يردد ما ذكرناه طيلة اليوم والليلة حتى أتاه الحق وسكرة الموت وكانت آخر كلمات سيدنا شيخ الأقطاب ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء في هذا الدنيا الفانية: "استعنت بلا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت ولا يخشى الفوت، سبحان من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

قال ولده الشيخ موسى: أنه لما قال: تعزز ـ لم يؤدها لسانه على الصحة، فما زال يكررها حتى قال: تعزز ومدبها صوته وشددها حتى صح لسانه بها ثم قال: "الله الله الله، ثم خفي صوته، ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الطاهرة ومات ﷺ وأرضاه.

وذلك ليلة السبت عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة هـ وله من العمر واحدة وتسعون سنة.

قال بعض أهل التراجم كانت وفاته بالنسبة للسنة الشمسية الرومية في اليوم الثالث عشر من الشهر الثاني من سنة ١١٦٦.

قال محمد العيني في كتابه مناقب الشيخ عبد القادر: وعندما انتشر نبأ وفاته في اليوم التالي احتشد أهل بغداد في باب الأزج وارتفعت صيحات البكاء والتنهدات، وحاولوا الدخول إلى المدرسة ليودعوا شيخهم، ولكن أبواب المدرسة ظلت مغلقة حتى علا النهار ففتحت للناس، قال محمد العيني: غسله وجهزه أولاده.

وقال الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان: "ودفن ليلاً لكثرة الزحام، فإنه لم يبق ببغداد أحد إلا جاء، وامتلأت الحلبة والشوارع والأسواق والدور، فلم يتمكن من دفنه في النهار، وكذا قال ابن كثير في تاريخه وغيرهما.

وقال الحافظ ابن النجار في تاريخه: أنه توفي ليلة السبت عاشر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة، وأنه فرغ من تجهيزه ليلاً، وصلى عليه ولده الشيخ عبد الوهاب في جماعة ممن حضر من أولاده وأصحابه وتلامذته، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وهُرع الناس إلى الصلاة على قبره وزيارته، وكان يوماً مشهوداً.

قال التادفي: كان الخليفة ببغداد إذ ذاك المستنجد بالله أبا المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله عبد الله العباسي رحمهم الله تعالى.

فكان مولده ﷺ بجيلان سنة سبعين وأربعمائة، ودخوله بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وظهوره وكلامه على رؤوس الأشهاد سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وبناء

مدرسته وتصدره فيها للفتوى والتدريس والوعظ سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، ولم يزل ظاهراً متصدراً إلى حين وفاته سنة إحدى وستين وخمسمائة.

قال بعض أهل التراجم في آخر كتاب فتوح الغيب: "ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله ـ يعني تاريخ الولادة والوفاة والعمر ـ ببيتٍ مفردٍ حيث قال:(بحر الرمل)

"إن باز الله سلطان الرجال جاء في عشق ومات في كمال"

فعلى هذا: كلمة عشق عددها بحساب الجمل ـ أربعمائة وسبعون ـ فهو تاريخ الولادة، وكلمة ـ كمال، واحد وتسعون ـ فهو قدر العمر، وإذا ضممنا كلمة ـ عشق مع كلمة كمال، يكون الحاصل من العدد خمسمائة وواحدا وستين ـ فهو تاريخ الوفاة.

هذا وقد رثاه عدد من أصحابه منهم الشيخ نصير النميري رثاه بقصيدة طويلةغداة دفن الإمام عبد القادر رضي الله عنه كما في ذيل طبقات الحافظ ابن رجب الحنبلي،جاء فيها :

مُشكلُ الأمرِ ذا الصّباحِ الجديد ... مالَه ذاكَ السَّنَا المِعْهودُ
ومَرَامي الأبصار من كل قُطر ... مُظلامَاتٌ على النَّواظِر سُودُ
مَطلع الشَّمس فيه داجٍ كأنْ قدْ ... كُوِّرَتْ أو أتى عَليْها خُمُودُ
أتُرىَ حَلَّتِ المنونُ بمُحيي الدّينِ ... حَقاً فَما لِنُورِه خُمودُ
ذو المقام العليّ في الزُّهْدِ ... لا يُنْكِرُ قوْلَ المحِبِّ فيهِ الحَسُودُ
والفقيه الذي تَعَذَّر أنْ ... يَلْقى له في الوَرَى جَميعاً نَديدُ
تَتَرامَى إليهِ في العلم باللهِ ... وبالحُكْمِ في الفتاوى الوُفُودُ
مُعْرِضُ الطَّرْفِ والضَّمير عَنِ ... الدُّنيا تَصَدَّى لِوَصْلِهِ وتَحيدُ
مُخْلِصٌ في جميع أعْمَالِهِ للهِ ... مَا إنْ عَلَيْهِ فيها مَزيدُ
لم يَزُغ عنْ طريقة السَّلَفِ ... الصَّالِحِ والمقْتفِي بهم مَسْعُودُ
وَرَعٌ كَامِلٌ وَزُهْدٌ صحيحٌ ... وَتُقىً وافِرٌ وعَهْدٌ وَكَيدُ
وكلامٌ يَرُوقُ كالدُّرِّ نَاطِقُهُ ... بأعْنَاقِها الحِسانُ الغيدُ
تَخْشَعُ القُلوب عِندَهُ ويَظَلّ الدّمْعُ ... يَجْرِي وتَقْشَعِرُّ الجُلودُ
يَلْتَقي النَّجعُ مُلْتَقيهِ وَيُعطَى ... عِنْدَه غَايةَ المرادِ المريدُ
وَلَعَمْري لقد مَضَى وَهُوَ عِندَ اللهِ ... والنَّاس كُلِّهم مَحْمُودُ
طَيِّب الذّكرِ والأحاديثِ لمْ يَدْنَس ... بلُؤمٍ رِداؤُهُ والبُرُودُ

شَكَتِ المِكْرُمَاتُ لَمَّا تَشَكَّى وَمَضى   إذْ مضى التُّقَى والجُودُ
هذهِ نَكْبَةٌ تَسَاوَى قريب النَّاس في   شُربِ كَأسِهَا والبَعيدُ
بَكَتِ الأرضُ والسَّمَاواتُ فِيها أسَفَاً   وَاعْتَرى النَّسَمَ رُكُودُ

رضي الله تعالى عنه وقدس روحه وأسراره وأمدنا بإمداداته آمين

تم الجزء الأول من هذا الكتاب بعون الله ويليه الجزء الثاني

الجزء الثاني من كتاب

إتحاف الأكابر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل وصحب كلٍ منهم وسلم،أما بعد:

ذرية الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه

قد بينا أن ذرية الإمام عبد القادر من سبعة من أولاده وهذا ليس على وجه التأكيد إنما هذا مبلغ علمي حتى الآن، وإلا فقد مر معنا أيضاً أن السيد عبد الله بن الإمام عبد القادر رزق بولد اسمه عبد الرحمن.

وقد ذكرنا خلافاً في أي أولاده أكبر عبد الله أم عبد الوهاب، فيحتمل أن يكون الأكبر هو عبد الوهاب لأنه هو الذي قُدِّمَ للصلاة على والده، وأيضاً لأن السيد عبد القادر رضي الله عنه كان يوكله بالتدريس والوعظ في حال غيابه بمرض أو غيره، ومع ذلك ليس شرطا أن يكون هو الأكبر، لأن الذي ذكره التادفي أن السيد عبد الله ولد سنة ثمان وخمسمائة، أما السيد عبد الوهاب فقد ولد سنة اثنتين وعشرين، وهذا يدل أيضا أن الإمام عبد القادر تزوج قبل بلوغ الأربعين سنة.

أما بالنسبة لذرية السيد عبد الوهاب قدس سره، فقد نقلت أن الشيخ التادفي أجتمع ببعض المشايخ من ذريته، ولا شك أن ذريته قد تكاثرت ووسع انتشارها

٢) أما ذرية السيد عيسى قدس سره

فقد ذكر التادفي: أنه يوجد في حلب بقرية باعو من أعمال عزاز إلى يومنا هذا جماعة مستكثرة من ذرية الشيخ عيسى بن الشيخ عبد القادر المدفون بالقرافة بمصر، قال التادفي : يقال لهم أولاد الشيخ باعو، لهم زاوية وسماط وحرمة عند الناس، وعندهم كرم أخلاق معظمون عند الخاص والعام،

ذكر منهم: **الشيخ عبد العزيز**، كان حسن الخلق كريم النفس حسن الملتقى بشوشا، لا يمسك على شيء من الدنيا، مزاحاً رجلاً من الرجال، توفي بقرية باعو ودفن بها عند آبائه وأجداده،

وأخوه **الشيخ أحمد**: دين خير متواضع لطيف كريم النفس حسن الخلق والملتقى مقيم بالقرية المذكورة إلى يومنا

قال: **والشيخ عثمان بن الشيخ عبد العزيز** المذكور، كان حسن الخلق متواضعاً متخلياً عن الناس، وكان مقيماً بالقرية المذكورة مع عمه أحمد ، توفيَ إلى رحمة الله تعالى

قال: **والشيخ موسى،** كان جميل المنظر حسن الخلق ظريفاً وجيهاً معظماً عند الناس، توفي قبل وفاة الشيخ عبد العزيز،

وولده **الشيخ عبد الرزاق** كان ظريفاً جميلاً متواضعاً ذا هيبة ووقار، توفي أيضاً قبل أخيه ودفن بالقرية المذكورة عند أبيه وأجداده،

والشيخ زين الدين عمر كان من أهل الفضل وله حظ حسن وحرمة وافرة وكلمة نافذة عند الحكام، وتولى التوقيع بحلب ودمشق عند نواب السلْطَنة بهما، توفي بدمشق ودفن بها، وله أولاد بدمشق إلى يومنا هذا،

وبالقاهرة منهم شخصان أخوان أحدهما يقال له **السيد عبد القادر والثاني السيد أحمد،** تولى عبد القادر نقابة الأشراف بها والنظر على أوقافهم وهو الآن بها إلى يومنا هذا،(أي زمن التادِفي)

وبالقاهرة جماعة مستكثرة بالزاوية التي بالقرافة المعروفة قديماً بسيدي عدي بن مسافر، وهم من ذرية الشيخ عيسى بن الإمام الجيلاني المتوفى بالقاهرة كما ذكره الحافظ ابن النجار في تاريخه.

وقد أسس الشيخ السيد عيسى في القاهرة فرعاً للطريقة القادرية لما قدم مصر، ولا يزال هذا الفرع حتى اليوم ويعرف اليوم باسم (الطريقة القادرية القاسمية) قدس سره

وذرية السيد عبد القادر رضي الله عنه في مصر كثيرة من طريق السيد عيسى ومن غيره عن طريق بعض إخوته أيضاً.

٣) ذرية الشيخ السيد يحيى بن الإمام عبد القادر رضي الله عنهما

مر معنا أن السيد يحي هو أصغر أولاد السيد عبد القادر، وأن أمه حبشية الأصل، وأنه رزق بولد لما كان في مصر سماه عبد القادر وعاد به إلى بغداد،

ثم إن السيد عبد القادر رزق بمولود سماه عبد العزيز، يعرف بالسيد عبد العزيز الحبشي، لأنه استوطن الحبشة بلد جدته زوجة الإمام عبد القادر، وفي قصة السيد عبد العزيز الحبشي الجيلاني قدس سره بعض الغرابة كما يلي

يقول الشيخ السيد عبد الحي الكتاني الحسني في كتابه فهرس الفهارس والأَثبَات:أن الشيخ عبد العزيز الحبشي بن عبد القادر ولد بوادي فاطمة، ثم بعد كلام قال في عُمُر الشيخ عبد العزيز عدة روايات: منها أنه عاش من العمر ٥٢٠ سنة وأنه ولد سنة ٧٥٦هـ ومات في ٢١ صفر سنة ١٢٧٦هـ

والرواية الثانية نقلها عن كتاب المجد الطارف والتالد للعلامة المؤرخ محمد الأمين الصحراوي الشنكيطي المراكشي قال: حدثنى العلامة الصوفي سيدي الحاج عمر بن سودة ونحن بدكالة عام ١٢٨٤هـ قال لي: أنه رأى أيام موسم الحج بمكة رجلاً من الحبشة،وأن له من العمر نحو ستمائة سنة، وكان أخبرني بهذا الرجل بعض الحجاج قبله الذين ذهبوا إلى بلاد الحبشة، وزاد: أنه تسقط أسنانه بمدة وتنبت في موضعها أسنان أخر، قال الكتاني أيضاً: بأنه اجتمع بفاس بالأستاذ المقري الناسك المعمر أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس البدراوي الفاسي الذي طاف المشرق والمغرب، سنة ١٣٢٠هـ وأخبره بأنه التقى بحبشي معمر وأخذه عنه عن الشيخ عبد العزيز بن عبد القادر،

ثم نقل الكتاني رواية ثالثة بعد كلام: أن الشيخ عبد العزيز ولد ثالث ربيع الأول سنة ٥٨١هـ وأنه عاش ٦٩٥ عاماً، وأنه سمع من عم والده الشيخ عبد الرزاق بن الإمام عبد القادر، ومن الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي ومن الفخر بن البخاري، وأنه أدرك الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني ومن في طبقته وأخذه عنه، وذكر أنه طاف بلاداً كثيرة لتحصيل العلم.

قال الكتاني:إن السيد أحمد الشريف من المدينة المنورة أرسل له كتابة فيها: أنه اجتمع في موسم الحج بالسيد حبيب من ذرية السيد عبد العزيز الحبشي المعمر، وأنه أخبره بأن ما بين جده السيد عبد العزيز والنبي صلى الله عليه وسلم ١٧ أباً.

ثم ذكر الكتاني كلاما بين فيه أن هذا الأمر ليس مستحيلاً من حيث العقل وإن كان فيه غرابة وأنه بخلاف العادة المعهودة

ثم ذكر أحد أسانيده إلى الإمام العسقلاني عن طريق المعمرين وهو: أن الشيخ عبد الحي الكتاني روى عن المعمر الناسك عبد الهادي بن العربي عواد عن المعمر الحافظ الأستاذ محمد بن علي السنوسي عن المعمر المحدث عبد العزيز الحبشي عن الإمام ابن حجر العسقلاني.
قلت: واختلاف الروايات في عمره لا يدل على عدم صحة هذا الخبر لأن رجلاً عاش هذا العمر قد يختلف فيه.

فعلى هذا فإن ذرية السيد يحيى بن الإمام عبد القادر موجودة في بلاد الحبشة، ولا يبعد أنها توسعت وحصل لها انتشار في بلاد أخرى.

والطريقة القادرية لها انتشار واسع في الحبشة وعدة بلاد في القارة الإفريقية.

٤) ذرية السيد إبراهيم بن الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما

يقول السيد إيهاب بن يعقوب الكتبي الحسني في كتابه المنتقى: أما السيد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن القطب عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فقد دخل إلى غرناطة بالأندلس سنة ٦٧١هـ، ولما اشتدت وطأة الصليبيين على الإسلام والمسلمين بالأندلس سنة تسعمائة ونيف هـ، أرغم العلماء والأشراف على الانتقال من الأندلس إلى جهات مختلفة من العالم الإسلامي وخاصة إلى مدينة فاس .

وكان أول من دخل فاس من عدوة الأندلس بغرناطة هو الشريف أصل السلالة القادرية سيدي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مسعود بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن السيد إبراهيم بن القطب عبد القادر الجيلاني، توفي سنة ٩٥٠ هـ ودفن بروضة الأشراف القادريين خارج باب عجيسة بفاس.

قال: وخلف رحمه الله ثلاثة أبناء وهم: محمد وأبو العباس أحمد– وعبد العزيز توفي السيد محمد سنة ١٠٧٠هـ، وتوفي السيد أبو فارس عبد العزيز سنة ١٠٢٩هـ

ومن عقب أبي العباس أحمد: السيد محمد بن علال بن عبد القادر بن أحمد المذكور. ومن الأسر القادرية في المغرب:أسرة الشريف الكتبي القادري بفاس.

وقد ظهر من ذرية سيدي إبراهيم عدد من أكابر العلماء والأولياء في غرناطة والمغرب العربي وغيرها من البلاد.

ومن مشاهير ذريته في القرن الثاني عشر، ما نقله المؤلف درنيقة في كتابه أعلام القادرية نقلا عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، والتقاط الدرر لمحمد القادري:

الشيخ السيد محمد العربي بن الطيب بن محمد القادري الحسني، ولد بفاس عام ١٠٥٦هـ - ١٦٤٦ر، وتوفي سنة ١١٠٦هـ ١٦٩٤ر، بمدينة فاس ودفن بالجنان خارج باب الفتوح، وهو رحمه الله تعالى فقيه صوفي مؤرخ يعد أول من ألف في تاريخ القادريين بفاس. له خبرة كبيرة بتاريخ التصوف الطرقي في المغرب، وله معرفة بالنحو والبيان والفقه والحديث والتأريخ.

أخذ عن جماعة: كأبي محمد عبد القادر الفاسي والحسن بن مسعود وأبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي، وسلك على الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله معن،

عرف قدس سره بالعبادة والزهد والأدب والذوق في التصوف، وله مؤلفات منها:

١) الطرفة في اختصار التحفة،مخطوط توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٤٠٧.

٢) ثبت للعائلة القادرية وخاصة بالمغرب

٣) تقايد كثيرة، وهي عبارة عن نصوص ذات موضوعات مختلفة، وهذا اللون شائع معروف بين علماء المغرب باسم الكناشة.

ومنهم الشيخ السيد محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري

ولد بفاس سنة ١١٢٤هـ ١٧١٢ر، وتوفي بفاس سنة ١١٨٧هـ ١٧٧٣ر

نشأ الشيخ محمد في بيت عرف بالعلم والصلاح، فقد كان والده فقيها متصوفاً، فحفظ القرآن الكريم وحفظ المتون، وطلب العلم من أهله،ومن أشهر مشايخه: الشيخ محمد بن عيسى الميسوري- والشيخ أبو جيدة محمد المشاط- والشيخ محمد بن الحسن المصمودي- والشيخ محمد بن الشيخ- والشيخ محمد التاودي بن الطالب بن سودة- والشيخ عبد القادر بن العربي بو خريص- والشيخ عبد الحميد بن علي المنالي الفقية اللغوي الصوفي- والشيخ محمد بن محمد السرغيني- والشيخ محمد بن عبد السلام بناني وأخذ التصوف عن عدة مشايخ منهم: الشيخ محمد الخديم الدلائي- والشيخ عبد السلام التواتي والشيخ محمد المدرع.

وبعد أن أتقن مختلف العلوم والفنون تصدر للوعظ والإرشاد والتدريس، وشيخا للطريقة القادرية ، وقد صنف كتباً عديدة منها:

١) منظومة الدرة الفريدة في العترة المجيدة في ٢٨٤ بيتاً

٢) التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر في أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، وقد جعله تذييلا لكتاب لقط الفرائد لابن القاضي

٣) الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج في تراجم علماء المالكية

٤) شرح المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر

٥) مواهب التخصيص وفرائد التلخيص في شرح ما انبهم من شواهد التلخيص

٦) الزهر الباسم أو العرف الناسم في مناقب السيد قاسم الخصاصي

٧) نظم الدر النفيس فيمن وصف بالتدليس

٨) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، في تراجم الشخصيات والأحداث التاريخية فيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

٩) لمحة البهجة العلية في بعض فروع الشعبة الحسينية الصقلية

١٠) أشرف الوسائل برواة الشمائل

١١)فريدة الاشتياق في ترتيب لامية الزقاق، وهي أرجوزة في القضاء الشرعي

١٢) الفتح والتيسير في آية التطهير: (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**)

١٣) التعبير عن شناعة منكر التكبير

١٤) الصوارم الفتكية في نحور أهل القصيدة الأفكية

١٥) اقتطاف المعارف من سؤل الشيخ العارف، في موضوع السماع والرقص والغناء عند الصوفية،

وغيرها من المصنفات.

ومن تلاميذه: ولده السيد يحيى المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ١٧٩١ر

والشيخ سليمان الحوات الكاتب والمؤرخ والفقيه المتوفى سنة ١٢٣١هـ ١٨١٩ر

والشيخ أبو القاسم الزباني المؤرخ الفقيه الجغرافي المتوفى سنة ١٢٤٩هـ ١٨٣٤ر، وغيرهم

قدس الله روحه ونفعنا به، أنظر ترجمته في التقاط الدرر لمحمد القادري، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، والأعلام للزركلي.

وذكر السامرائي:أن في مراكش جماعة من القادرية من ذرية السيد إبراهيم والسيد عبد العزيز أبناء الإمام الجيلاني رضي الله عنهم

٤) ذرية السيد محمد بن الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما

عرفت ذرية الشيخ السيد محمد قدس سره بالعلم والزهد والعبادة والكفاح وخدمة طريق أهل الله كما عرفت ذرية إخوته وذرية باقي أهل البيت الأطهار.

وذريته منتشرة في عدة بلاد منها الحجاز وفلسطين وقد تغيرت كنية بعضهم، ومن العائلات المشهورة من هذه الذرية الطاهرة عائلة آل دحلان، وأشهرهم الذين بمكة المكرمة.

وبيت الدحلان بمكة المكرمة سادة أجلاء من نسل الحسن بن علي كرم الله وجهه، ومن أكرم بيوت الحجاز علماً وفضلاً ونسباً، بيت علم ودين ومعرفة، عرف أهله بأخلاقهم الفاضلة من تواضع ورأفة ورحمة وجهاد وكفاح ووفاء وسماحة في المعاملة وحمل للمودة والسمعة الطيبة، تحدث عنهم كثير من العلماء والمؤرخين وبينوا فضلهم وجودهم في خدمة الدين والعلم وأهله.

ومن مشاهيرهم العلامة الفلكي إمام المسجد الحرام السيد عبد الله بن صدقة بن زيني دحلان، والسيد أحمد بن عبد الله دحلان مدرس الفلك بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة، وغيرهما.

ومن أشهرهم العالم الكبير المحدث الفقيه اللغوي النحوي الصوفي محي الشريعة والطريقة الشيخ السيد أحمد زيني دحلان رضي الله عنه.

وقد ترجم له عدد من العلماء، منهم العالم الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد شطا في مؤلف خاص سماه (نفحة الرحمن في مناقب مفتى مكة أحمد زيني دحلان) وقد انتخبت منه ما يلي:

نسبه الشريف

هو قدس سره مفتي مكة وإمام الحرمين الشريفين الشيخ السيد أحمد بن زيني بن أحمد بن عثمان بن نعمة الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عثمان بن عطايا بن فارس بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن زيني بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرزاق بن أحمد بن أحمد بن محمد بن زكريا ابن السيد يحيى ابن السيد محمد ابن سيدنا باز الله الأشهب الغوث الأعظم الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه

ولد السيد أحمد زيني دحلان بمكة المكرمة عام ١٢٣٣هـ وتوفي بالمدينة المنورة عام ١٣٠٤هـ

قال المترجم: والسيد أحمد بن زيني دحلان إمام الحرمين مفتي مكة المكرمة شيخ علماء الحجاز في عصره، وحياته معروفة لجمهرة الدارسين في الدول العربية والإسلامية، فهو رحمه الله أفنى عمره كله في تحصيل العلم الديني، وفي الدعوة إلى الدين وفي التأليف، فقد ألف رحمه الله كتباً كثيرة في جوانب المعرفة الشرعية والبيانية والنحوية والتاريخية والرياضية،فمن مؤلفاته:

١. السيرة النبوية.

٢. الفتوحات الإسلامية بعد الفتوحات النبوية

٣. الفتح المبين في سيرة الخلفاء الراشدين

٤. تاريخ الأندلس

٥. فضائل الجمعة والجماعات

٦. بيان المقامات وكيفية السلوك

٧. تقريب الأصول لتسهيل الوصول

٨. الأنوار السنية بفضائل ذرية خير البرية

٩. النصائح الإيمانية للأمة المحمدية

١٠. تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية

١١. طبقات العلماء

١٢. شرح متن الشاطبية الجامع بكل المرام في القراءات

١٣. الرد على الروافض والمبتدعة

١٤. فتنة الوهابية

١٥. كتاب في الرد على الوهابية

١٦. شرح متن البهجة وأبي شجاع وعقود الجمان

١٧. شرح متن الألفية

١٨. تلخيص منهاج العابدين للإمام الغزالي

١٩. تلخيص أسد الغابة

٢٠. تلخيص الإصابة في معرفة الصحابة

٢١. حاشية على الزبد لابن رسلان

٢٢. فتح الجواد المنان بشرح فيض الرحمن

٢٣. رسالة في البسملة

٢٤. رسالة عن فضائل الجمعة
٢٥. شرح رسالة الشكر للإمام الغزالي
٢٦. رسالة في البعث والنشور
٢٧. إرشاد العباد في فضائل الجهاد
٢٨. شرح الأجرومية
٢٩. شرح على الألفية
٣٠. تقريرات على تفسير البيضاوي
٣١. تقريرات على الأشموني والصبان
٣٢. تقريرات على السعد
٣٣. حاشية البناني
٣٤. حاشية على مختصر الإيضاح لإبن حجر
٣٥. حاشية على جمع الجوامع

كما ألف رحمه الله في الجبر وغيرها من الكراسات والتآليف التي لم يكملها في حياته

هذا وقد أثنى عليه العديد من علماء عصره، فمن هؤلاء العلماء العلامة الشيخ عبد الحميد بن محمد علي، أحد علماء الحجاز صاحب التآليف، قال بعد أن أثنى على مؤلفات الشيخ أحمد زيني دحلان وخصوصاً على كتابه تقريب الأصول:

" نووي زمانه، وسيبويه أوانه، مربي المريدين، ومفيد الطالبين، وكعبة القاصدين، المتخلق بالأخلاق المحمدية، وزمزم شراب الواصلين، المتضلع بالعلوم النقلية والعقلية، ورحلة السادة الكبراء المحققين، ومحط رحال القادة المدققين، شيخ الإسلام بلا نزاع، وبركة الأنام بلا دفاع، رئيس العلم وذويه، الأحق بأن يقال فيه:

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ... ملأ المسامع والأفواه والمقل

مفتي السادة الشافعية بالديار المشرفة، والمعاهد المعظمة المكية، وجهبذ الجهابذة، أستاذنا وأستاذ الأساتذة... فرع طه الرسول، محيي سنة جده سيد ولد عدنان، والمتأسي به في جميع أحواله حتى في كونه ولد بمكة وتوفي بالمدينة

فمكة ذات البيت مطلع بدره ... ومغربه في طيبة دارة السعد

فمـــن حـــرم أســـرى إلى حـــرم لكـــي	يحـوز جـوار المصـطفى مكـرم الوفـد
فكـــــان لـــــه في ذا التأســــي بجـــــده	فلا فضـل يلفـي مثـل ذلـك في العد

النادرة التي أفلتت من ضنين الزمان، فخر الأقران، المشار إليه بأطراف البنان، العلي الهمة العظيم الشأن، المرحوم بكرم الرحيم الرحمن سيدنا ومولانا السيد أحمد زيني دحلان...

وقال الشيخ أبو بكر بن محمد شطا

البيــت بيــت عُــلا والعلــم شــيده	والأصل من عنصر المختار منتخبُ
والفــرع فــرع عظــيم بالفخــار سمــا	لقد سما فتدلت دونَهُ الشهبُ

سلطان العارفين في زمانه، وخاتمة المحققين في عصره وأوانِهِ، عين أعيان الصوفية الأبرار، درة عِقدِ العلماء الأخيار، ركنُ الولاية والهداية، بحر العلم والدرايةِ، نور السادة المقربين، وبقية السلف الصالحين، فخر بني هاشم الأكرمين، وبدر الأشرافِ السادةِ المفلحين، صاحب الأحوال والمقامات والمراتب والدرجات العاليات، العارف بالله والدال عليه، والسائرُ بكل محب إليه، البحر الزاخر والدر الفاخر والغمام الماطر والبدر الباهر، شموس فضائله لم يصبها كسوف، وأقمار معارفه لم يلْمَسْهَا خسوف، تصانيفهُ في أقسام العلوم صنوف، وتآليفهُ في مسامع الدهر أقراط وشنوف، شهد بنشر علومه العاكف والبادي، وارتوى من بحر فهومِهِ الظمآن والصادي، حامي ذِمارَ الدين وعاضِدُه، وقامعُ طريق المعتدين وخاضِدُه، سيدنا ومولانا وبركتُنَا كعبة المريدين ومربي السالكين من اختارَهُ لِجواره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان المرحوم بكرم الله السيد أحمد زيني دحلان.

وقال: وكان معظم انتفاعِهِ على يدِ العالم العلامة الحبر البحر الفهامة ولي الله بلا نزاع ومُحِل المشكلات بلا دفاع الشيخ عثمان بن حسنِ الدمياطي الأزهري نزيل بلد الله الأمين الشافعي مذهباً والخلوتي طريقة المتوفى سنة ألف ومائتين وخمس وستين.

قال: وقد أخذ العلمَ عن كثير من المشايخ والثقات أرباب الحقيقة، من أعظمهم وأجلهم العلامة الشيخ عبد الله الشرقاوي الأزهري الشافعي مذهباً والخلوتي طريقة.

والعلامة سيدي الشيخ محمد الأمير الكبير الأزهري المالكي مذهباً والشاذلي طريقة ومشرباً

والعلامة الشيخ محمد الشنواتِيُّ الأزهري الشافعي مذهباً الخلوتي طريقة ومشرباً

قال: وأخذ طريق السادة الصوفية من تلقين الذكر والخلوة والإلباس من شيخه الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي، وهي طرق كثيرة منها:الطريقة العيدروسية - والقادرية- والخلوتية- والنقشبندية- والشاذلية وغيرها.

قال: وقد أجازني بها كلها، أي الشيخ أبو بكر

وقال: حفظ القرآن العظيم في أول نشأته، وفاق أقرانه في عزمه وهمته.... وحفظ جملة من المتون.

قال: كان أي السيد أحمد زيني دحلان- يعرض نفسه على القبائل، وكان يدرس في المسجد الحرام،وأنه حفظ على يديه القرآن مئآت المريدين، وتلمذ على يديه عدد كبير، وقد ذكر المؤلف عددا من كراماته ومكاشفاته،وتاب على يديه الكثير،وانتسب إليه جماعة من العلماء.

(صفته)

وقال في صفته:" كان رضي الله عنه أسمر اللون، مقرون الحاجبين، أنور، متوسط اللحية، عريض الصدر، أزهر، رَبْعَ القامة، نحيف البدن، جهوري الصوت، بهي السمتِ، حسن، سريع الدمعة، مجاب الدعوة، شديد الخشية، كثير الهيبة.

ثم ذكر من أخلاقه وتواضعه وأحواله أشياء تدل على كماله وصدق متابعته لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر بعض الذين أثنوا عليه من العلماء، وبعض القصائد في مدحه، وبعض من رثاه بكلام أو قصيدة قدس الله روحه ونفعنا به.

٦) ذرية السيد عبد الرزاق بن الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما

وأما ذرية سيدي الحافظ عبد الرزاق وأخيه القطب السيد عبد العزيز أبناء سيدنا الإمام عبد القادر، فإنها أكبر ذرية الإمام الجيلاني وأكثر شهرة وانتشاراً في العالم الإسلامي بحيث يظن البعض أن نسل السيد عبد القادر منهما فقط.

فأما الشيخ الحافظ الإمام عبد الرزاق فقد مر الكلام عليه وعلى أولاده وخصوصاً ولده الحافظ قاضي القضاة السيد عماد الدين نصر المكنى بأبي صالح قدست أسرارهم.

أولاد السيد نصر

الشيخ السيد أبو موسى يحيى، قال الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في معجمه:" يحيى بن نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي البغدادي المولد والدار، الحنبلي، الفقيه الواعظ.

وقال القطب اليونيني بعد كلام:" تفقه على والده وغيره، وسمع من والده، وحدث ووعظ، وله كلام حسن على لسان أهل الحقائق، ومن شعره لنفسه:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته ... عن النديم ولا يلهو عن الكاس

أطاعه سكره حتى تحكم في ... حال الصحاة وذا من أعجب الناس

ومنه أيضاً:

ويشرب ثم يسقيها الندامى ... ولا يلهيه كاس عن نديم

له مع سكره تأييد صاح ... ونشوة شارب وندى كريم

والسيدة الأصيلة الشيخة زينب بنت الشيخ نصر، سمعت على زيد بن يحيى بن هبة الله وغيره، وأجازت لشيخ القراء بحرم الخليل برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، كما نقله مؤلف الروض الزاهر.

والشيخ السيد أبو نصر محمد بن الشيخ نصر، تفقه على والده وغيره وسمع منه ومن غيره، وكان يشبه جد أبيه الإمام عبد القادر رضي الله عنه.

وقال الحافظ زين الدين أبو الفرج في طبقاته: سمع من والده ومن الحسن بن علي بن المرتضى العلوي، وأبي إسحاق يوسف بن محمد بن الفضل الأرموي- وعبد العظيم الأصفهاني- وابن المشترى وغيرهم، وطلب وتفقه وكان عالماًُ ورعاً زاهداً يدرس بمدرسة جده، ويلازم الإشتغال بالعلم إلى أن توفي، ولما تولى أبوه قضاء القضاة ولاه القضاء والحكم بدار الخلافة، فجلس في مجلس الحكم مجلساً واحداً ثم عزل نفسه ونهض إلى مدرستهم بباب الأزج ولم يعد إلى ذلك تنَزها عن القضاء وتورعاً، وحدث وسمع منه الحافظ الدمياطي وذكره في معجمه، وذكر ابن الدواليبي أنه سمع منه، توفي قدس سره

ليلة الاثنين ثاني عشر شوال سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد ودفن إلى جانب جده الشيخ عبد القادر بمدرسته.

وقد رزق السيد محمد بن نصر عدة أولاد وهم السادة المشايخ:عبد القادر- وعبد الله- وأحمد، وعبد الرزاق والشيخ أحمد هو أشهر إخوته، وقد نعت بظهير الدين أبي السعود.

قال الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع السلامي في تاريخه:"**أحمد بن محمد** بن نصر بن عبد الرزاق الجيلي البغدادي الجد والوالد والولد، أبو السعود بن أبي نصر بن أبي صالح المنعوت بالظهير".

قال التادفي:"كان فصيحا صبيحا يعظ بمدرسة جده،ويخطب بها أيام الجمع، وكان إماما فاضلا واعظا، ومن شعره:

بدا فحسبنا الليل أطلع فجره ... وما ذاك إلا نوره حين أسفرا

وأدخلنا من ذلك الحسن هيبة ... وغيبنا عنا فلم ندر ما جرى

قال التادفي: فقد أي السيد أحمد ظهير الدين الثلاثاء في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستمائة، وقال الشريف عز الدين الحسيني: أنه ظهر مقتولا في بئر، رحمه الله تعالى.

وأما السيد عبد القادر شقيق السيد ظهير الدين فقد أعقب الشيخ عبد السلام، سمع من عمه الشيخ عبد الله، قال البرزالي: كان رجلا مباركا، حسن الهيئة، كثير المكارم، من بيت المشيخة والجلالة، له مرتبات وافرة، وإطلاقات من الأبواب السلطانية، توفي صبيحة الاثنين سابع وعشرين جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبعمائة بسفح قاسيون، وصُلي عليه ظهر الاثنين بالجامع المظفري، ودفن بتربة الشيخ إبراهيم الأرموي بقاسيون رحمه الله تعالى.

وأما السيد ظهير الدين أحمد فقد أعقب:

السيد يحيى سيف الدين المكنى بأبي زكريا، ولد ببغداد، وكان صالحا عابدا وجيها، وهو أول من استوطن مدينة حماة من ذرية الإمام عبد القادر رضي الله عنه وقد حدث عن والده وجده.

يقول الدكتور عبد الرزاق الكيلاني في كتابه الذي ألفه في مناقب الإمام الجيلاني رضي الله عنه: إن السيد سيف الدين يحيى حج في سنة ٦٨٥ هـ ومر في طريقه إلى الحج بمدينة حماة السورية فأعجب بها، وعند عودته من الحج في سنة ٦٨٥،جعل طريقه من مدينة حماة أيضا فنَزل فيها واستوطنها هو وعائلته وحاشيته، وكان ذلك في عهد ملك حماة المظفر الثالث حفيد الشاه أخي صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى، الذي دام ملكه لحماه من سنة ٦٨٣ هـ إلى سنة ٦٩٨هـ.

وكانت مدينة حماه القديمة مع قلعتها غربي نهر العاصي، وعندما طلب السيد سيف الدين يحيى أرضا من ملك حماه ليبني عليها دارا له ولحاشيته، أعطاه أرضا على الضفة الشرقية لنهر العاصي، التي كانت خالية من البناء، وقال له: هذا الحاضر، فسمي الحي الذي نشأ بعد ذلك على الضفة الشرقية من نهر العاصي بحي الحاضر.

توفي السيد سيف الدين يحيى في مدينة حماه سنة ٧٣٤هـ أي بعد وفاة ملك حماه أبي الفداء الذي حكم من سنة ٧١٠ هـ إلى٧٣١ هـ بثلاث سنوات، ويقول صاحب(قلائد الجواهر) إنه دفن ظاهر باب الناعورة تجاه الزاوية القادرية، ولكن الذي أعرفه أنه مدفون في القبو الكائن تحت قصر الطيارة الحمراء، والزاوية القادرية على الضفة الشرقية لنهر العاصي.

قال: وقد بنى سيف الدين يحيى رحمه الله تعالى دورا له ولعائلته وحاشيته، كما بنى زاوية دعيت بالزاوية القادرية، على الضفة الشرقية لنهر العاصي، في مقابلة القلعة وجامع نور الدين زنكي (الجامع النوري) الكائنين على الضفة الغربية للنهر، ثم توسعت هذه الدور وامتدت على الضفة الشرقية بطول ١-٢ كيلومتر وبعمق نصف كيلومتر أو أكثر أحيانا، وأصبحت حيا كبيرا يدعى بحي الكيلانية أو آل الكيلاني، وبني جسر يربط ضفتي النهر في ذلك المكان دعي بجسر الشيخ عبد القادر وكانت العامة تدعوه بجسر بيت الشيخ.

وفي سنة ١١١٣ هـ جدد الشيخ ياسين، أحد حفدة السيد سيف الدين يحيى في حماه بناء الزاوية القادرية وقصر الطيارة الحمراء فوق الأقبية والسراديب التي تشكل حي الكيلانية، وزين ذلك القصر بأنواع النقوش والمنمنمات، والأعمدة الرشيقة والفسافي اللطيفة(أي البحيرات أو البرك الصغيرة) من الرخام ، حتى أصبح تحفة فنية معمارية إسلامية تفوق بروعتها وجمالها وأصالتها قصر العظم، وكنت أرى السياح يتجولون في سراديب هذا الحي وأقبيته ويدهشون من اتصال هذه السراديب والأقبية بعضها ببعض وبتراكب ركائزها على بعضها بعضا.

وفي سنة ١٩٢٣ ر طبعت الحكومة السورية منظر الحي والزاوية على طابع بريد قيمته خمسة قروش وسنة ١٩٢٥ طبعت وزارة المالية السورية هذه الصورة على ورقة النقد من فئة ٢٥ قرشا، ولكن، مع الأسف هدم هذا الحي مع الزاوية جميعه في شهر شباط سنة ١٩٨٢ر وأنشئ مكانه بناء حديث ، هو فندق(أفاميا الشام) أهـ كلام الدكتور كيلاني.

قال التادفي : ولده أي ولد السيد سيف الدين يحي هو: **الشيخ شمس الدين محمد** بن يحي بن أحمد ظهير الدين، قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: أبو عبد الله محمد بن يحي...كان شيخا عالما سمع من جماعة ببيت المقدس روى عن أبي زكريا يحي، وقد أعقب السيد شمس الدين محمد أولادا منهم:

السيد عبد القادر– والسيد علاء الدين علي

قال العلامة أبو الصدق ابن قاضي شهبة في تاريخه... :"محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن يحي سيف الدين... توجه للحج في هذه السنة يعني سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وتوفي بها عن نيف وعشرين سنة من عمره... في السنة المذكورة.

وقال الإمام المؤرخ تقي الدين أحمد علي بن المقريزي في كتابه درر العقود:" توفي بعد عودته من الحجاز عن نيف وعشرين سنة من عمره... وكان من أهل الدين والعبادة متقللاً من الدنيا متخليا من طلبها على أجمل طريق رحمه الله تعالى.

وأما الشيخ علاء الدين علي ابن شمس الدين محمد، فقد قال العلامة أبو الصدق بن قاضي شهبة:" علاء الدين علي ابن شمس الدين محمد بن يحي بن أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، توفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، أولاده هم السادة المشايخ:

شمس الدين أبو عبد الله محمد، توفي بحماه ودفن بتربة المخلصة ظاهر حماه من جهة الشرق.

والشيخ بدر الدين حسن توفي بحماه ودفن بتربة جَد أبيه الشيخ سيف الدين يحي ظاهر باب الناعورة تجاه الزاوية القادرية.

والشيخ بدر الدين حسين، توفي بحماه ودفن بالتربة المذكورة.

فغالب الكيلانية الذين يعود أصلهم إلى مدينة حماه من ذرية الشيخ الفاضل السيد سيف الدين يحيى قدس سره، تفرعوا من هؤلاء الثلاثة، كما سكن حماه من الكيلانية غير السيد سيف الدين يحيى، إلا إن السيد سيف الدين أول من استوطنها من الكيلانية.
وقد ظهر فيهم عدد كبير من العلماء والصلحاء ولهم حظ كبير في نشر الطريقة في بلاد مختلفة.

فمن مشاهيرهم:

- **الشيخ الأصيل شمس الدين محمد بن عبد القادر** بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق بن الإمام عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وكان عابداً زاهداً صالحاً دفن بتربة المخلصة بحماه، وأمه السيدة الشريفة بنت الشيخ بدر الدين حسين.
- **والشيخ الصالح الأصيل محيي الدين عبد القادر بن محمدبن عبد القادر** ابن شمس الدين محمد ابن علاء الدين علي ابن شمس الدين محمد ابن سيف الدين يحيى... الجيلي الحسني الحموي المولد والدار والوفاة، كان صالحاً مهيباً وحسن الخلق والخلق كريم النفس جميل الهيئة مع كيس وتواضع وحلم وحسن ملتقى لطيف الطبع ظريف المحاضرة مزاحاً لا يزال متبسما معظماً عند الخاص والعام، له حرمة وافرة وكلمة نافذة وهيبة عند الحكام وغيرهم.
- قال التادفي:

قدم حلب واستوطنها وتأهل بشقيقتي ورزق منها بولدين، ثم عاد إلى حماه مع زوجته وولديه، وكان له بحماه وحلب ودمشق مرتبات، ورزق وظائف دينية وأنظار وهي الآن بيد ولديه، توفي رحمه الله بحماه شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ودفن بتربة عائلتهم ظاهر باب الناعورة وقد جاوز الستين سنة، وللشيخ محيي الدين عبد القادر شقيق يدعى **يحيى** كان من الصالحين الزاهدين توفي قبل أخيه محيي الدين، الذي توفي سنة ٩٣٣هـ

أبناء السيد محيي الدين عبد القادر

- السيد درويش محمد وشرف الدين عبد الله- وعفيف الدين حسين.

فأما السيد درويش: كان نساباً ظريفاً عفيفاً نشأ على عبادة الله على أجمل طريق وتوفي بحماه ودفن بالتربة تجاه الزاوية القادرية وكان مولده بحماه.

- **وأما السيد شرف الدين**: ولد بحلب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، قرأ القرآن وشيئاً من النحو والفقه، وسافر إلى مصر ودمشق وحلب ثم عاد إلى حماه، وكان على سيرة حميدة من الأخلاق والتواضع والظرافة والزهد في الدينا

- **وأما السيد عفيف الدين**: ولد بحلب في رجب سنة ست وعشرين وتسعمائة، قرأ القرآن وتفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وسمع الحديث بقراءة الشيخ محمد التادفي على العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد البارزي الجهني الشافعي الحموي، وقد أوقع الله محبته في قلوب الناس فكثر مريدوه في كل ناحية،مع هيبة في قلوب الحكام وغيرهم وكلمة نافذة وهو أحد كبار السادة القادرية في وقته بحماه مقصود بالزيارة، وله حال حسنة في السماع بسكون وخشوع، وكان على قدر من الأخلاق، سافر إلى مصر ودمشق وطرابلس وحلب لنشر العلم والطريقة، ولما قدم دمشق تلقاه الفقراء والمشايخ والقضاة والأكابر والأعيان، واجتمع بنائب السلطان الأمير عيسى باشا بن إبراهيم باشا فأحسن ملتقاه وأكرمه إكراماً زائدا، وكان برفقته شقيقه السيد شرف الدين عبد الله والشيخ محمد التادفي، وكان في كل يوم جمعة بعد الصلاة يقيم حلقة الذكر بالجامع الأموي بشرقي المقصورة، ويحضره خلق كثير من العلماء والمشايخ والمتقين وكان قدومه دمشق يوم الخميس سادس وعشرين شعبان سنة ثمان وأربعين وتسعمائة، وخرج منها يوم الأحد خامس شوال، وخرج لوداعه الخاص والعام وكان يوماً مشهوداً قدس سره

- ومن مشاهيرهم الشيخ الصالح الزاهد السيد **شمس الدين محمد** ابن بدر الدين حسن ابن علاء الدين علي الخ توفي بحماه ودفن بتربتهم ظاهر باب الناعورة.

- **وأخوه السيد أحمد** كان صالحاً ديناً خيراً، توفي بحماه...

- فأما السيد شمس الدين محمد ابن بدر الدين حسن، فقد أعقب **القطب الكبير السيد عبد الرزاق** قدس سره، قال التادفي: كان شيخ السادة القادرية وشيخ الشيوخ بحماه وسائر البلاد الشامية، وكانت كلمته نافذة عند الحكام والخاص والعام، حسن الخلق والخلق ذا هيبة ووقار وسكنية وعلم وعفة وكرم لا يضبط على شيء لو جاءه ألف دينار لم يتركها تبيت عنده، ولا يرد سائلا ولو بأحد ثوبيه، وكان له حفدة وجماعة ومريدون، وكان يتفقد أصحابه ويسأل عنهم، وكان كثير الأسفار إلى حلب ودمشق وطرابلس، وكان الولاة والحكام يعظمونه ويطيعون أوامره، وكان إذا أهدي إليه هدية فرقها على من حضره ويكافئ عليها مهديها، وكان له سماط

لا ينقطع ولا يخلو يوماً من ضيف إلا نادراً، وكان مقصوداً بالزيارات من جميع البلاد، وللناس فيه حسن اعتقاد لصلاحه وصلاح بيته الطاهر.

قال التادفي: ومن جملة من لبس منه الخرقة الشريفة القادرية سيدي والدي قاضي القضاة نظام الدين أبو المكارم يحيى التادفي الحنبلي قاضي حلب وابن قاضيها وأخو قاضيها وابن بنت قاضيها، وشقيقاه عماي قاضي القضاة كمال الدين محمد التادفي الشافعي بحلب والعلامة البرهاني أبو إسحق إبراهيم التادفي الحنفي، وكذا جدّي لأبي قاضي القضاة جمال الدين يوسف التادفي الحنبلي.

توفي الشيخ عبد الرزاق بحماه في سادس صفر الخير سنة إحدى وتسعمائة ودفن بقبر جده الشيخ حسن ولم يعقب.

- ومنهم ابن عمه الشيخ الصالح الزاهد **عبد الباسط بن أحمد** بن بدر الدين حسن بن علاء الدين علي...، كان شيخ السادة القادرية بحماه، توجه إلى القاهرة وأقام بها مدة ثم عاد إلى حماه واستمر بها إلى أن توفي بعد ابن عمه الشيخ عبد الرزاق بنحو سنتين ودفن بتربتهم ظاهر باب الناعورة ولم يعقب سوى بنتين ماتتا بعد وفاته، وكان حسن الخلق ظريفا وله حظ حسن رحمه الله تعالى.
- وأخوه الشيخ **السيد أبو النجا بن السيد أحمد** توفي بحماه غريقاً بنهر العاصي في سنة عشر وتسعمائة قبل وفاة الشيخ الآتي ذكره.
- ومن ذرية السيد بدر الدين حسين ابن علاء الدين علي، ولده الشيخ الصالح **السيد محيي الدين يحيى** ابن بدر الدين حسين، كان عين السادة القادرية بحماه وبلاد الشام معظما عند الخاص والعام، ذا ثروة مع تواضع وكيس، محباً لأهل العلم كريم الشمائل، توفي بحماه ودفن بتربتهم ظاهر باب الناعورة وقد جاوز الثمانين سنة تغمده الله برحمته.
- ولده الشيخ **السيد شرف الدين قاسم**، شيخ السادة القادرية وأعيانهم في وقته، انتهت إليه تربية المريدين، حسن الخلق والخلق، كثير الصدقة والإحسان سراً من غير إعلان، لا يفتر عن تلاوة القرآن، ذو هيبة ووقار وكلمة مسموعة عند الخاص والعام وولاة الأمور والحكام، قال التادفي: ولقد اجتمعت به في سنة عشرة وتسعمائة لما وردت إلى حماه بصحبة سيدي والدي وأنزَلَنا بخلوته التي في الزاوية مدة، وتكلف علينا كلفة زائدة وأكرمنا غاية الإكرام، وحصل لنا

ببركته كل خير، توفي رحمه الله ليلة الاثنين سادس ربيع الآخر سنة ستة عشر وتسعمائة وقد جاوز الخمسين سنة ودفن بتربتهم.

أولاده: السادة المشايخ شمس الدين محمد- وشهاب الدين أحمد- وعبد القادر- وبركات- ومحمد أبو الوفا، فعبد القادر ومحمد أبو الوفا لم يعقبا.

- **فأما السيد شمس الدين محمد،** قال التادفي: الحموي الأصل والمولد والدار الحسني الشافعي، وابن شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الخاشع الناسك شيخ السادة القادرية بحماه وغيرها.... كثير الإحسان من غير تظاهر ولا تفاخر، منقطع عن الناس، ذو ثروة ومروءة ما قصده أحد ورده خائباً، ولا زاره أحد إلا وأطعمه مما تيسر ويقضي حوائجه بنفسه، يقبل الهدية ويكافئ عليها مهديها ويتفقد أصحابه، وكان مولده سنة ٨٨٥ وهو أكبر إخوته سنا، أولاده السادة عبد الله – وشهاب الدين أحمد – وتاج العارفين وأما الشيخ الرئيس شهاب الدين أحمد شيخ السادة القادرية، قدم حلب بسبب تفتيش الأوقاف، ونزل عند الشيخ محمد التادفي، واجتمع به أيضاً بالقاهرة ومنها توجه للحجاز، وكان لا يهاب أمراً وله وجاهة وحرمة عند الحكام، وكان مولده الخميس سادس عشر رمضان سنة ٨٨٦، توفي بحماه في شهر رجب سنة ٩٣٦ ودفن بالجنينة تجاه تربتهم، وقد أعقب السيد الشيخ علي الهاشمي.
- **وأما شقيقه السيد عبد القادر** بن شرف الدين قاسم فكان على طريقة أهله من العلم والصلاح والعبادة، مولده ليلة الخميس رابع شهر المحرم سنة ٨٩٣، ولد له السيد شمس الدين محمد في شهر الله المحرم سنة ٩٣٤، قال التادفي: قرأ القرآن الكريم وكتبا من فقه الشافعي وعلم القرآن، وسمع مني الحديث بقراءتي على الشيخ شهاب الدين أحمد البارزي الجهني الحموي الشافعي.
- **وأما السيد بركات ابن شرف الدين قاسم** قال التادفي: كان لطيفاً ظريفاً متواضعاً ورعاً عليه سمة الصلاح، لا يخالط أحداً ملازما للعبادة كثير التوعك، سألت عن مولده من أخيه الشيخ عبد القادر فذكر أنه لا يعلم له تاريخاً إلا أنه أصغر منه بنحو خمس سنوات.
- وأما شقيقهم الخامس الشيخ **السيد محمد أبو الوفا** بن شرف الدين قاسم، قال التادفي:" العالم العامل الزاهد المسلك المحدث القدوة شيخ السادة القادرية وصدرهم.... قرأ القرآن

والفقه والحديث، وسافر إلى مصر والشام والحجاز وحلب وأخذ عن المشايخ وله مريدون وحفدة، وله هيبة معظم عند الخاص والعام رجل من الرجال لا يهاب أمراً من الأمور، وهو أصغر أولاد أبيه سناً وأكبرهم قدراً ورفعة

- ومن مشاهير كيلانية حماه **نقيب الأشراف أحمد بن علي الهاشمي** بن شهاب الدين أحمد بن شرف الدين قاسم.... ولد سنة ٩٧٤ وتوفي سنة ١٠٣٤هـ **ولده السيد نقيب الأشراف شرف الدين– والسيد يحيى نقيب الأشراف أيضاً** المولود سنة ٩٩٠ والمتوفي سنة ١٠٤٠هـ، والسيد يحيى المذكور كان نقيباً للأشراف لحماه وحمص وطرابلس، وأولاده السادة **علاء الدين– وجود الله**– والثالث لم يذكر إسمه مع كونه ألف كتاباً سماه (بلوغ البغية في شرح منظومة الحلية،وقد ترجم له المؤلف درنيقة، فذكر **أن اسمه علي**، وأن من مؤلفاته أيضاً (الرحلة المكية– وديوان شعر) وستأتي ترجمته مفردة.
- فأما السيد **علاء الدين واسمه علي المنعوت بالكبير**، فله تأليف سماه تحفة الأبرار ولوامع الأنوار في ذكر الذرية القادرية في حماه، وكانت ولادته سنة ١٠٤٠.
- **وأما السيد نقيب الأشراف شرف الدين** بن نقيب الأشراف أحمد بن علي الهاشمي فمولده سنة ٩٩٠ ووفاته سنة ١٠٦٧ هـ وكان شيخ الزاوية القادرية في حماه، وهو شيخ السلطان محمد الرابع بن إبراهيم، وشيخ أمه أيضاً الست طرخان سلطان، وقد أعقب ثمانية ذكور وبنت،
- **أشهرهم الشيخ السيد عبد الرزاق** نقيب الأشراف في حماه وحمص وطرابلس وشيخ السجادة القادرية بعد أبيه، ومن أشهر الذين لبسوا منه الخرقة القادرية العلامة الكبير العارف بالله صاحب التصانيف الكثيرة الشيخ الجليل عبد الغني النابلسي الحنفي القادري النقشبندي.

نقل المؤلف يوسف زيدان في كتابه الطريق الصوفي، أن الإمام النابلسي أنشد عند تلقيه الطريقة القادرية أبياتا جاء فيها:

أيا ساكنين الشرقَ قد شَرَقَتْ بِكُمْ ... عيوني بِرَفْعٍ حين شَامَتْ سَنَا البرقِ
فَقوموا بِعُذري عندكُمْ إن مُبْتَدَى ... غرامي بكم قد كان مِنْ أقربِ الطُرْقِ
وما ذاكَ إلاّ أنني كنتُ غافلاً ... أظنُ جداري ليس يُؤْذَنُ بالخَرْقِ
فَمُدتْ يدٌ شرْقية قادريَّة ... بَها نشأَتي خضراءُ طيِّبةُ العِرْقِ

ثم ذكر عن النابلسي أنه تكلم عن ازدهار الطريقة القادرية وانتشارها في عصره، في كتابه الحقيقة والمجاز.

- ومن مشاهيرهم ولده **الشيخ ياسين،** تولى نقابة الأشراف بحماه كما كان شيخ السجادة القادرية بها، توفي بدمشق سنة ١١٤٦هـ.
- ومنهم ولده **الشيخ عمر**: ولد بحماه عام ١١٢٧هـ ١٧١٥ر وفي عام ١١٤٣هـ ١٧٣٠ر قدم مع معظم الأسرة الكيلانية إلى دمشق، وبعد وفاة والده ساح فدخل بغداد والرقة وحلب ثم عاد إلى دمشق حيث تولى مشيخة القادرية فيها، وسافر إلى الأستانة للدفاع عن حقوق حماه فنال مطلوبه، وذلك زمن السلطان مصطفى خان، كما كان نقيب الأشراف بحماه بعد والده، توفي بحلب سنة ١١٨٥ هـ ١٧٧١ر ودفن بتربة الصالحين بالقرب من الشيخ الدباس، ترجم له المرادي في سلك الدرر، ومحمد البخشي الحلبي في شمس المفاخر ذيل قلائد الجواهر. وللشيخ عمر شقيق هو **الشيخ عبد الله الكبير**(المجذوب)

أعقب الشيخ عمر من المشاهير:

- **الشيخ علي الكيلاني** مفتى حماه وشيخ السجادة القادرية فيها، وهو أحد مشايخ شقيقه.
- **والشيخ محمد سعدي الأزهري الكيلاني** مفتى حماه وشيخ السجادة القادرية بها،ولد بحماه سنة ١١٦٨هـ ١٧٥٥ر وفيها نشأ وتلقى علومه الأولى، ثم رحل إلى مصر فقرأ على شيوخ الأزهر العلوم الشرعية والأدبية ثم عاد إلى حماه فدرس في مساجدها وعين مفتيا لها، ثم ارتحل إلى بغداد وتصدر بها للتدريس والإرشاد حتى وفاته سنة ١٢٤١هـ ١٨٢٦ر ومن تصانيفه:

- شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري
- ضم الأزهار إلى تحفة الأبرار
- ورسالة في ذرية الجيلانيين القاطنين بحماه، ترجم للشيخ محمد الأزهري كل من المؤلفين: محمد الحلبي في ذيل قلائد الجواهر- وكحالة في المعجم والزركلي في الأعلام- وأحمد قدامة في معالم وأعلام- ومحمد درنيقة في أعلام القادرية.

- ومن المشاهير **الشيخ محمد نجيب الكبير** مفتي حماه وشيخ السجادة، المولود سنة ١٢٠٧هـ والمتوفى سنة ١٢٥٦هـ، وشقيقه **الشيخ محمد مكرم** مفتي حماه، توفي سنة ١٣١٣هـ ، وهما أبناء الشيخ محمد سعدي الأزهري.

- **والشيخ محمد مرتضى** نقيب الأشراف وشيخ الطريقة المتوفي ١٣٢٣هـ وهو ابن الشيخ محمد نجيب بن محمد الأزهري.
- ولده **الشيخ صالح** نقيب الاشراف.
- ومنهم **الشيخ محمد طاهر الكيلاني** بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد سعيد بن عبد الله الكبير المجذوب بن ياسين بن عبد الرزاق بن شرف الدين بن أحمد بن علي الهاشمي، تولى نقابة الأشراف، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد سعدي الأزهري، ثم جدد العهد على ولده الشيخ محمد نجيب الكبير بعد وفاة شيخه، ولد بحماه سنة ١٢٦٢هـ ومات بها.

- ومن أهل القرن الماضي الشيخ محمد مرتضى الكيلاني الذي رأيت توقيعه على عدة مشجرات فإنه كان نقيب الأشراف. وسيأتي ذكر بعض كيلانية حماه فيما سيأتي.

وقد تفرع عن كيلانية حماه فروع عدة في حمص ودمشق وغيرها من المدن السورية وفي مصر ولبنان والهند وغيرها من البلاد ففي شمال لبنان من العائلات المتفرعة من كيلانية حماه:

عائلة آل زكريا (الكيلاني)

وقد أطلق عليهم اسم آل زكريا نسبة إلى جدهم الشيخ الكبير والقطب الشهير السيد زكريا قدس سره العزيز الذي يعود نسبه إلى الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني رضي الله عنه عن طريق الشيخ الأجل السيد سيف الدين يحيى أول من استوطن حماه.

وقد اطلعت على شجرة نسبهم في بيت السيد محمود شقيق الدكتور محمد مرتضى ابن الشيخ بكار ابن الشيخ محمود ابن الشيخ بكار... وهو مدرس في مدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية في قرية فنيدق.

والد السيد محمود – أي الشيخ بكار- هو ابن عم الشيخ سيف الدين بن بكار ابن الشيخ بكار أيضاً، المقيم حالياً في العبدة على طريق عكار من شمال لبنان وله زاوية هناك، وهو الذي أرسلني إلى قرية فنديق بعد أن سألته عدة أسئلة عن عائلتهم للإطلاع على شجرة عائلتهم

وبعد أن اطلعت عليها وجدت عليها أختام وتواقيع كل من السادة:

- الشيخ محمد مرتضى الكيلاني نقيب الأشراف بحماه وشيخ السجادة القادرية فيها آنذاك
- والشيخ عبد الجبار الكيلاني شيخ السجادة القادرية بحماه أيضاً
- والشيخ بكار الزعبي الجيلاني القادري شيخ الطريقة القادرية والرفاعية دفين مشحا عكار
- والشيخ عبد الله الزعبي دفين حيزوق عكار
- والشيخ أحمد قاسم خادم العلم الشريف وشيخ سلاسل الطرق العلية بطرابلس الشام
- والشيخ عبد الغني الكيلاني
- والشيخ يحيى الكيلاني
- والشيخ المفتى مصطفى الحاج الكيلاني
- والشيخ عثمان طالب الكيلاني
- والشيخ علي طالب حسن الرباني الرفاعي
- والشيخ محمد علي طالب حسن الرباني الرفاعي
- والشيخ صالح الكيلاني

- والشيخ محمد مرتضى نقيب السادة الأشراف بحماه وشيخ السجادة القادرية في البلاد الإسلامية

وهذا نسبهم الشريف، إلى الإمام سلطان الأولياء باز الله الأشهب عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: أعقب الإمام أبا بكر تاج الدين الحافظ السيد عبد الرزاق- أعقب الإمام الحافظ قاضي القضاة نصراً أبا صالح- أعقب العالم المحدث القاضي السيد أبا النصر محمداً وكان شبيها بجده الإمام عبد القادر- أعقب الإمام السيد ظهير الدين أحمد المكنى بأبي السعود- أعقب الشيخ الكبير السيد سيف الدين يحيى أبا زكريا أول من استوطن حماه- أعقب المحدث الشيخ شمس الدين محمداً أعقب الشيخ علاء الدين علياً المدفون بالقاهرة- أعقب الشيخ بدر الدين حسناً المدفون بحماه باب الناعورة تجاه الزاوية القادرية- أعقب الشيخ شمس الدين محمداً- أعقب الشيخ عبد الله- أعقب الشيخ شمس الدين صالحاً المتوفى في قرية عذرة في سوريا أعقب الشيخ أحمد- أعقب الشيخ إبراهيم صلاح الدين المتوفى في مدينة حمص- أعقب الشيخ قاسم شهاب الدين- أعقب الشيخ أحمد- أعقب الشيخ إبراهيم- أعقب الشيخ نوحاً- أعقب الشيخ عمر- أعقب القطب الكبير الشيخ زكريا قدست أسرارهم أجمعين، دفين قرية فنيدق عكار من أعمال طرابلس الشام، حرر هذا النسب عن النسخة الأصلية سنة ١٢١٣هـ

وقد أعقب الشيخ زكريا بن عمر الكيلاني أربعة ذكور وهم: السادة عبد القادر- ومحمد- وأحمد- وخليل

فأعقب السيد عبد القادر: عمر- وعلياً

وأعقب السيد محمد: محي الدين

وأعقب السيد أحمد: دياً- وعلياً

وأعقب السيد خليل: إسماعيل

ثم إن هذه الفروع الأربعة تكاثرت وتوسع انتشارها في عدة قرى وبلدات ومنهم من سكن طرابلس، ولم تزل بلدة فنيدق هي الأم.

ونسب السيد محمود المدرس الذي أطلعني على النسب يعود إلى السيد عبد القادر بن الشيخ زكريا.

وقد ظهر في آل زكريا الكيلاني عدد من العلماء والأولياء ومشايخ الطريقة وقد عرفوا بالتواضع والزهد والكرم وحب الإصلاح بين الناس والدفاع عن المظلومين، وكان لهم منْزول يقصده الناس، كما كانوا موقرين يحترمهم الخواص والعوام، ولم يتسع لي الوقت لأعرف أسماء كل مشايخهم والكثير عن أخبارهم، لذلك أذكر ما تيسر لي معرفته فأبدأ كلامي عن جدهم السيد الجليل الشيخ زكريا بن عمر الكيلاني قدس الله سره:

كان من أهل العلم والفضل وهو أول من سكن قرية فنيدق إحدى قرى عكار في شمال لبنان من الكيلانية الحمويين، وكان قدس سره رجلاً مهيباً معظماً عند الناس وله كلمة نافذة عند الخاص والعام والحكام والسلاطين، وقد أطلعني السيد محمود بن بكار آل زكريا على ثلاثة عشر فرمان يخصون جدهم القطب السيد زكريا من السلاطين العثمانيين فيها الثناء والتعظيم للشيخ زكريا، مكتوب في بعضها الولي الكبير الشيخ زكريا، وفي بعضها القطب الغوث وغير ذلك، وبعض هذه الفرمانات يتضمن ذكر البراءة لآل زكريا الكيلاني، وبعضها يتضمن ذكر بعض ما أوقِفَ لآل زكريا من الأراضي، وفي بعضها يسمون قرية فنيدق- قرية الشيخ زكريا- وقد نقلت بعض التواريخ التي صدرت فيها هذه الفرمانات،

فرمان سنة:١٠٤٧هـ

فرمان سنة: ١٠٥٤هـ

فرمان سنة: ١٠٥٤هـ

فرمان سنة: ١٠٦٥هـ

فرمان سنة: ١٠٧٥هـ

فرمان سنة: ١١١٦هـ

وقد بنى رحمه الله زاوية لإقامة حلقات العلم والذكر فيها، كما اشتهر بكثرة ظهور الكرامات على يده.

فمن كراماته ما حدثني به عدد من آل زكريا منهم الشيخ سيف الدين بن بكار زكريا قال: كان جدنا القطب الشيخ زكريا عالي القدر ظهرت على يديه كرامات كثيرة أشهرها:

" أنَّ الشيخ زكريا أرسل ولده السيد محمد وأحد أحفاده واسمه علي بن أحمد ابن الشيخ زكريا، والشيخ محمد العلمي القادري الرفاعي طريقة الملقب بالشيخ السبع وكان من أصحاب الشيخ وأخذ عنه، أرسلهم إلى استنبول ليأتوا بفرمان البراءة لآل زكريا من السلطان العثماني آنذاك، وأوصى ولده محمدا بأن لا يدخل استنبول يوم الجمعة وأن لا يقبل التحدي إذا تحداه أحد،

وبعد مسيرهم وصلوا إلى استنبول وكان ذلك يوم الجمعة من غير انتباه منهم، وبعد أن عرفوا عن أنفسهم استضافهم بعض الأهالي هناك فقدموا لهم طعاماً منه الطيب ومنه الخبيث، فَكُشِفَ للسيد علي عن ذلك فعرب الطيب من الخبيث، وقال: خذوا هذا الطعام واتركوا هذا، ولما وصلوا إلى السلطان وطلبوا منه الفرمان بعد أن أخبره أنهم أتوا من قبل الشيخ زكريا، عرض أعوان السلطان عليه أن يمتحنهم ليعرف صدقهم فأذن لهم السلطان بذلك، فقالوا لهم: إن لدينا أسد غير مُرَوَّض محبوس في قفص من حديد فإذا استطاع أحدكم أن يدخل عليه أعطيناكم ما تطلبون، فقام الشيخ محمد العلمي وقال: أنا لذلك، ففتحوا له باب القفص فدخل عليه ومسح ظهر الأسد بيده فصار الأسد يتململ على قدميه ويتمسح به، ثم أخرجه الشيخ من القفص وركب عليه وسار به بين الناس ثم رده إلى القفص، فتعجبوا لذلك وبلّغوهم مرادهم، وبعد أن انتهوا مما هم فيه قيل للسيد محمد: رأينا من الشيخ علي والشيخ محمد العلمي ولم نر منك شيئاً فهل تستطيع أن تدخل في الفرن المسعر بالنار، فتردد السيد محمد لوصية والده، وبعد أن رأى إلحاحهم قبل، فدخل الفرن، وفي تلك الساعة التي دخل فيها الفرن كان الشيخ زكريا أمام بيته في قرية فنيدق وبيده إبريق فيه ماء يتوضأ منه، وإذْ بِهِ يقذف الماء الذي في الإبريق وهو يقول اماتك الله يا ولدي لما فعلت ذلك، فسمعته زوجته فقالت له لما تدعو عليه بالموت،فقال لها: يموت بعد أن يعود إلينا، ثم أخبرها بما أوصاه، والماء الذي أراقه نبع في الفرن الذي دخل فيه السيد محمد، وبقي الماء ينبع في الفرن بعد ذلك بإذن الله وسمي بنبع الشيخ زكريا، وذلك بعد انتشار خبر تلك الكرامة العظيمة، ثم إن السيد محمد بعد أن عاد إلى أهله لامه والده وفي اليوم الثاني مات السيد محمد رحمه الله تعالى.إهـ

وأما الشيخ محمد العلمي لقب بعد أن ظهرت له تلك الكرامة- بشيخ السبع- وبقي هذا اللقب على ذريته يعني صاروا يعرفون بآل السبع، وهؤلاء غير آل السبع العلمي الذين يعود نسبهم إلى الإمام القطب الكبير سيدي عبد السلام بن مشيش المغربي الإدريسي الحسني رضي الله عنهم.

ومن مشايخ آل زكريا الكيلاني: الشيخ بكار زكريا، كان الشيخ بكار قدس سره من أهل العلم والصلاح معروفا بهيبته ووقاره وظهور الكرامات على يديه وله شهرة في شمال لبنان وخصوصاً في عكار ولشهرته صار بعض الناس يطلقون على آل زكريا- آل بكار- وكان يقيم حلقات العلم والإرشاد والذكر في زاويتهم، كما درس في مدينة طرابلس في جامع المنصوري الكبير وجامع طينال،

ومن كراماته

ما حدثني به حفيده الشيخ سيف الدين قال: إن علي باشا ومحمد باشا كانا يحاولان السيطرة على قرية الشيخ زكريا فنيدق، فكان الشيخ بكار يتصدى لهما ويمنعهما من ذلك وكانا لا يجرؤان عليه،

فخطط علي باشا لاغتياله، فأرسل أحد رجاله ببندقية ليقتله أثناء خروجه ليلاً من منْزوله، وكان الشيخ بكار لا يخرج من المنْزول حتى ينتهي من قراءة ورده، ففي تلك الليلة وبعد أن انتهى من ورده وأراد الخروج إلى بيته، وصل إلى باب المنْزول وأخرج إحدى رجليه من الباب ثم عاد وأمضى ليلته في المنْزول، فانزعج الرجل الذي يريد قتله فقتل له الفرس، ثم عاد مسرعاً إلى الباشا وأخبره بما جرى

وعلى أثر ذلك ابتلى الله زوجة علي باشا بالجان أي لبسها جني- واسمها حلوم- فقصد علي باشا المشايخ لأجل ذلك ولكن بدون جدوى، وفي بعض الأيام وكان علي باشا في طرابلس وفي بعض الطرقات مَرَّ بِهِ شيخ من الدراويش وقال له: ليس لك غير الشيخ بكار، فتعجب الباشا منه،ثم أرسل أحد رجاله يتشفع له عند الشيخ، وكان الشيخ قد رأى في منامه بما معناه" أن الباشا جاء إليه بزوجته فأقعد زوجة الباشا وراء ستار، وأقام حلقة الذكر ثم نظر إلى نافذة المنْزول فوجد فيها صرة فيها صفوة وسمع قائلا يقول له أعطِ هذه الصرة للباشا وقل له قد احترق الجني الذي كان يلبس زوجتك

ثم إن الشيخ قبل اعتذار الباشا وأذن له بالمجيء مع زوجته في الليلة التي يقيم بها الحضرة، فلما جاء الباشا في معاده، فعل الشيخ بكار ما رآه في المنام، وحصل الأمر كما كان فتاب الباشا وصار يعظم شأن الشيخ

وأما الذي قتل الفرس فإنه لم يتب وسلط الله عليه من قطعه حتى مات في إحدى الدول الأوروبية.

قال: ومن كراماته أنه جيء إليه برجل نصراني قد التوق حنكه، فقال مدير المنْزول السيد عبد المجيد للشيخ بكار: بالباب رجل نصراني قد التوق حنكه قصدك لتقرأه، فقال الشيخ بكار متهكما أليس عندهم رهبان كما يدعون لما لا يذهب إليهم، ثم قام الشيخ وضربه على حنكه فعاد كما كان.

وأخبرني الصديق السيد خالد بن أحمد بن عبد العزيز زكريا: أن الشيخ بكار كان مرة بخلوته فنادته زوجته لم يعد عندنا طحين للأكل وأنت في خلوتك، لما لا تخرج وتأتينا بطحين، فناداها من داخل الغرفة : اذهبي إلى المكان الفلاني من البيت الذي نضع به الطحين وقولي بسم الله وسوف تجدين الطحين ففعلت فوجدت كيساً من الطحين

أعقب الشيخ بكار ستة ذكور وهم السادة: محمود- وعلي- ويوسف- ومحمد- وبكار- ورشيد، كما أخبرني بذلك الشيخ سيف الدين قال الشيخ سيف الدين ومن المشايخ المعروفين في آل زكريا والدي الشيخ بكار بن الشيخ بكار،كان من أهل الصلاح وهو أحد مشايخ الطريقة القادرية أخذ عنه عدد كبير من شمال لبنان وسوريا وكان معظما مقصوداً وله كرامات، منها:

أن والدي دعا عدداً من المشايخ على الغداء، وفي أثناء تهيئة زوجته للطعام قال لها: هذه المأدبة ينقصها السمك، فقالت له: ومن أين يأتي السمك الآن، فقال لها: يأتي، ثم وضع يده على فمه وقال:ألو ألو شيخ عبد الرحمن الشلبي أريد سمكاً، والشيخ بكار في بيته وأما الشيخ الشلبي فمن سكان طرابلس، ولم يمر من الوقت إلا مسافة الطريق وإذ بالشيخ عبد الرحمن قد أتى وفي يده كيس من السمك وهو يقول لما أتعبتني بطلب السمك في وقت ضيق، فهذه كرامة للشيخين معاً.

وقال:إن عدداً من أهل عكار أتوا الشيخ بكار والدي يقصون عليه مناماً واحداً كلهم رأوه في ليلة واحدة، وهو: أن ناراً عظيمة اندلعت في عكار فجاء الناس إليه يقولون يا شيخ بكار أدركنا فإن عكار تحترق، فقام الشيخ ونظر إلى النار وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فانطفأت

قال: مضى على وفاة والدي نحو ٤٠ سنة أو أقل.

قلت: والشيخ عبد الرحمن الشلبي قدس سره من أكابر المشايخ، وكان فقيها على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان يترأس معهداً للعلوم الشرعية في مدينة حمص وكان معروفاً بالصلاح، وفجأة

طرق له حال عظيم فجذب على أثره وساح حتى استقر به المقام في طرابلس الشام، وقد شوهدت له كرامات كثيرة، وهو من آل البيت الأشراف، وكان نقشبندي الطريقة من الأبدال كما شهد له بذلك أهل المعرفة، أوصى قبل وفاته بأن يدفن في جبانة حيزوق لحبه مشايخ آل الزعبي، فدفن عندهم رحمه الله تعالى.

والزاوية القادرية في فنيدق بإدارة الشيخ عبد العزيز الآن، وهو إبن عم الشيخ سيف الدين.

ومن مشايخ آل زكريا **الشيخ محمود بكار** كان مرجعاً وقيل إنه كان من أصحاب الكرامات توفي من نحو ستين سنة، ومنزوله اليوم باستلام الشيخ أحمد ابن حسن ابن علي ابن بكار زكريا، **والشيخ محمد** شقيق الشيخ محمود كان مدرساً للدين في فنيدق، **والشيخ علي أبي رشيد** توفي من نحو خمسين سنة، **والشيخ خالد الحرف** وهو صهر الشيخ محمود بكار توفي من خمسين سنة، **والشيخ إسماعيل زكريا** كان قاضياً في حلبا ثم ترك القضاء توفي من نحو خمسين سنة، **والشيخ عمر الضهر** توفي من نحو أربعين سنة قيل ومن كراماته أنه كان يأكل الحصاة، وولده **الشيخ محمد** توفي سنة [٢٠٠٧ ر]، والشيخ **محمد علي الضهر** توفي من نحو عشر سنين، **والشيخ عبد العال** توفي من نحو خمس وعشرين سنة، **والشيخ عبد العزيز** ابن الشيخ بكار ابن الشيخ بكار وهو والد الشيخ محمد الذي بإشرافه الزاوية اليوم، قيل إنه كان من أصحاب الكرامات ومن كراماته أنه كان يخاطب الذئاب توفي في الشهر السابع من سنة [١٩٨٩ ر]، **والشيخ محمد رشيد** ابن الشيخ محمود بكار كان من أهل الجذب وظهرت على يديه عدة خوارق توفي من نحو خمس عشرة سنة، وشقيقه الأكبر **الشيخ عبد الرحمٰن رشيد** كان من أهل الجذب أيضاً، **والشيخ عبد اللطيف** ابن الشيخ محمود بكار كان شجاعاً ووجيهاً وهو والد الشيخ سعيد الذي توفي سنة [٢٠٠٧ ر] على ما أظن، وأظن أنه كان من أهل الجذب، **والشيخ بدر** ابن الشيخ محمد ابن بكار علم أجيالاً وكان مديراً لمدرسة المقاصد في فنيدق توفي [في تشرين الأول سنة ١٩٨٩ ر]، **والشيخ سليمان عمار** توفي من نحو عشر سنين، **والشيخ أحمد اسماعيل، والشيخ محمد علي خضر** توفي له سبعة أولاد فكان من الصابرين وهو الذي كان يغسلهم ويكفنهم، **والشيخ زكريا عمران** كان خطيباً لمسجد فنيدق وهو شقيق الشيخ أحمد زكريا، ومن مشايخهم الصديق **الشيخ الأديب عبد**

الخالق ابن السيد محمد ابن الشيخ أحمد زكريا وهو الآن مدرس للغة العربية في ثانوية البراءة الإسلامية وهو حائز على إجازة في علوم التاريخ وله ديوان شعر جميل ومتقن حفظه الله، ومن مشايخهم **الشيخ فيصل** ابن الشيخ محمود بكار اعترل الناس في بيته من نحو ثلاثين سنة تقريباً، ومنهم **الشيخ الشاب أسامة** ابن الأستاذ محمود ابن الشيخ بكار ابن الشيخ محمود ابن الشيخ بكار.

وهذا ما يسر الله لي جمعه عن هذه العائلة الكيلانية الشريفة الحسنية الحسينية نفعنا الله بالصالحين منهم.

وأُذكِّر بأن الذين التقيتهم من آل زكريا كالشيخ سيف الدين والأستاذ محمود وغيرهما رأيت فيهم التواضع وحسن الملتقى والضيافة مع ظرافة ولين كلام.

كما أشاد عدد من آل زكريا بالشيخ سيف الدين بكار زكريا صاحب الزاوية التي في بلدة العبدة، وقالوا: أنهم رأوْا منه خوارق، ولما التقيته لم يحدثني عن نفسه من باب التواضع.

آل الحاج الكيلاني
في شمال لبنان

ومن العائلات المتفرعة عن كيلانية حماه في شمال لبنان عائلة آل الحج الكيلاني، استوطن جدهم الشيخ محمد بن أحمد الكيلاني قرية خربية الجندي من قرى عكار القريبة من بلدة حلبا ثم ان حفيد السيد محمد هو الشيخ الكبير مصطفى الشهير بالحاج، إنتقلت ذريته إلى القرية المجاورة لقرية خربية الجندي فسميت القرية بإسم شهرة الشيخ مصطفى فصار اسمها- قرية بيت الحاج- وكيلانية بيت الحاج لهم شهرة واسعة ومع انتساب مشايخهم لطريقة جدهم الإمام عبد القادر رضي الله عنه فإن شهرتهم بالعلم غطت على الطريقة، فإن غالب مشايخهم تصدروا للإرشاد والتدريس والفتوى وهذا أساس الطريقة.

هذا وقد أطلعني على نسبهم الشريف فضيلة الشيخ زيد بن محمد الكيلاني المجاز بالدراسات الإسلامية والمدرس في مدرسة المقاصد الإسلامية في ببنين عكار، وهو كما ظهر متواضع بشوش ظريف كريم صاحب خلق أطلعني على نسبهم في بيته في قرية بيت الحاج، فرأيته صحيحاً موثقاً عليه أختام وتواقيع كل من السادة الأفاضل:

السيد الشيخ الكبير المرشد محمد مرتضى الكيلاني نقيب السادة الأشراف وشيخ السجادة القادرية بحماه

- والشيخ صالح الكيلاني نقيب السادة الأشراف وشيخ السجادة القادرية في حماه
- والشيخ رباح بن محمد بن عبد الواحد البستاني الرفاعي الحسيني
- والشيخ محمد علي طالب الصيادي الرفاعي الحسيني
- والشيخ القطب الكبير أحمد شاكر الزعبي الجيلاني شيخ السجادة القادرية
- والشيخ أحمد علي طالب الصيادي الرفاعي الحسيني
- والشيخ محيى الدين نافع
- والشيخ عبد الرزاق بن السيد محمد بن عبد الرزاق الصعيدي
- والشيخ علي السعد الشيباني
- والشيخ محمد مرتضى زكريا الكيلاني
- والشيخ محمد نجيب مرتضى الكيلاني مفتي قضاء عكار القادري
- والشيخ عبده حسين الجسر خادم العلم الشريف بطرابلس والطريقة الخلوتية
- والشيخ علي رشيد
- وهناك ثلاثة تواقيع أخر محيت أسماؤهم بسبب مرور الزمن.
- **وهذا هو نسبهم الشريف أبدأ به من السيد الإمام عبد الرزاق بن الإمام سلطان الأولياء سيدي عبد القادر رضي الله عنهما، فهو قدس سره أعقب الإمام الحافظ قاضي القضاة أبا صالح نصراً- أعقب العالم المحدث القاضي أبا محمد شبيه جده الإمام الجيلاني- أعقب الإمام السيد ظهير الدين أحمداً المكنى بأبي السعود- أعقب الشيخ الكبير السيد سيف الدين يحيى المكنى بأبي زكريا نزيل حماه- أعقب الشيخ المحدث شمس الدين محمداً- أعقب الشيخ علاء الدين علياً دفين القاهرة- أعقب الشيخ بدر الدين حسناً دفين حماه باب الناعورة- أعقب الشيخ شمس الدين محمداً- أعقب الشيخ عبد الله- أعقب الشيخ شمس الدين صالحاً دفين قرية عذراء أو عذرة وتسمى اليوم عدرا- سوريا- أعقب الشيخ أحمداً أعقب الشيخ صلاح الدين ابراهيم دفين مدينة حمص- أعقب الشيخ قاسماً شهاب الدين- أعقب الشيخ أحمداً، جد آل الحاج الكيلاني في قرية بيت الحاج، وآل زكريا الكيلاني في قرية فنيدق، أعقب الشيخ محمداً**

نزيل قرية خريبة الجندي عكار ودفينها، أعقب الشيخ أحمد، أعقب الشيخ مصطفى الشهير بالحاج دفين خريبة الجندي المترجم في أنساب السادة القادرية الرزاقية الحموية، ثم إن السيد الشيخ مصطفى الحاج الكيلاني أعقب ذكرين وهما: السيد محمد- والسيد أحمد، فأما السيد محمد فأعقب السادة: محمداً- وأحمداً- وعبد الرحمن- ومصطفى- وعلياً - ومحموداً، وكلهم أعقبوا إلا السيد محموداً، وهذا الفرع يسكن في حي (الزوق) من قرية بيت الحاج.

وأما السيد أحمد الحاج فقد أعقب السادة: مصطفى- وعلياً- وصالحاً- وحسناً، وكلهم قد أعقبوا، وهذا الفرع يسكن في حي (الدار) من القرية،

ثم بعد أن كثر عدد هذه العائلة توسع انتشارها، فسكن بعضهم طرابلس، وبعضهم قرية القرنة عكار ويطلق عليهم آل يوسف الحاج الكيلاني.

فمن مشاهيرهم:

- المفتي الأول في عكار الذي عين بفرمان سلطاني صادر عن الأستانة (استنبول) منذ مائة وثمانين سنة تقريباً ، **سماحة الشيخ السيد أحمد أفندي الحاج الكيلاني ابن الشيخ مصطفى** قدس سرهما، كان واعظاً وأستاذا مرشداً، تخرج على يديه كبار علماء طرابلس الشام، منهم مشايخ آل الخطيب الحسني المعروفون اليوم بآل الحفار، كما درس مادتي أصول الفقه والفقه في المدرسة الحميدية، وبعد وفاته تولى منصب الإفتاء ولده:
- **سماحة الشيخ مصطفى أفندي الكيلاني قدس سره،** فكان على سيرة والده كما كان يعقد في منْزِله في بيت الحاج حلقات التعليم وتحفيظ القرآن الكريم وشرح الأحاديث النبوية، حيث عرف فيما بعد بمنْزول المفتي الشيخ مصطفى، فلما توفاه الله تعالى انتخب قضاء عكار بشيوخه وعلمائه ولده:
- **السيد الشيخ محمد أفندي الحاج الكيلاني،** فكان المفتي الثالث على سيرة أجداده، فلما توفاه الله انتخب ولده لمنصب الإفتاء:

- **سماحة الشيخ مصطفى أفندي الحاج الكيلاني**، وكان على سيرة أهله، فلما توفاه الله انتخب من بعده لمنصب الإفتاء ولده:
- **سماحة الشيخ محمد أفندي الحاج الكيلاني**، كان رحمه الله صاحب نشاطات علمية وثقافية وخدماتية، فكان بحق مرجعاً دينياً وسياسياً معظماً مقصوداً من كل الطوائف، يقصده أهل الطوائف الأخرى كما المسلمين يستفتونه فيما كان يعترضهم من خلافات، فلما توفاه الله انتخب:
- **شقيقه الشيخ عمر أفندي الكيلاني** مفتياً على عكار، فسار على نهج شقيقه وكان مثالاً يحتذى في العلم والفضيلة والعدل، فلما توفاه الله تعالى انتخب نجله:
- **سماحة الشيخ خالد أفندي الحاج الكيلاني** مفتيا على عكار، وقد ضبطت في عهده الدواوين وجمعت الأوقاف، كما كان مرجعاً دينياً وسياسياً يستفتى من كل الطوائف، وله مؤلفات عديدة منها:
  - الزهرة النرجسية في الألفاظ اللغوية
  - والزهرة الأقحوانية في الخطب المنبرية

كما كان خطيبا لامعاً، وقد ترك العديد من مجلدات الفتاوى لا يزال قسم منها محفوظاً في دائرة الأوقاف الإسلامية في عكار، توفي سنة ١٩٥٧ر، انتخب قضاء عكار من بعده ولده:

- **سماحة الشيخ محمد بهاء أفندي الكيلاني** مفتيا على عكار، فسار سيرة آبائه وله مؤلفات في الفتوى محفوظة أيضاً في دائرة الأوقاف الإسلامية في حَلْبَا عَكَّار، وكان من علماء الفرائِض (المواريث) اخبرني والدي الحاج طه الدهيبي حفظه الله، أن سماحة المفتي محمد بهاء: كان على قدر عال من الأخلاق والتواضع والتسامح والمسارعة في قضاء حوائج الناس، وكان يظهر على وجهه أثر الخشية، وأنه كان بينهما زيارات...

توفي رحمه الله سنة ١٩٧٤ر وبموته لا يزال منصب الإفتاء شاغراً حتى الآن، وشقيق الشيخ محمد بهاء هو:

- **فضلية الشيخ عمر أفندي الحاج الكيلاني** الحسني الحسيني، المرشح لمنصب الإفتاء في عكار الذي لم يزل حياً مد الله في عمره ووفقه لخدمة دينه، تخرج الشيخ عمر من الأزهر الشريف في مطلع السبعينات، كما يحمل إجازة في الحقوق، ويعمل الآن في القضاء(المحاكم الشرعية عكار) وكان مدرساً لمادة الفقه الإسلامي في كلية التربية والتعليم الإسلامية، كما كان رئيساً للجنة

المصالحات في عكار أثناء الأحداث اللبنانية، وقد أخذ الله على يديه فأنجز وأتم فوق العشرين مصالحة من أعقد أنواع الخلافات التي كانت تعصف بقضاء عكار وذلك بتوفيق الله تعالى.
وله العديد من المقالات في الصحف والمجلات، كما أنه عمل واعظاً وخطيبا سياراً في معظم مساجد عكار، كما أنه سعى في بناء وترميم المساجد التالية – مسجد بيت الحاج عكار– ومسجد المباركية عكار– ومسجد دنبو عكار– ومسجد ذو المتارجة قرب حلبا– ومسجد خريبة الجندي عكار– كما أنه أقام مستوصفاً خيرياً في بيت الحاج لا يزال يعمل حتى الآن يقوم بتطبيب أكثر من تسعة قرى، والشيخ عمر لم يزل على صلة بأقربائه آل الدهيبي في دار عمار والمنية.

ولما زرته في منْزله في محلة أبي سمراء طرابلس استقبلني استقبالاً جميلاً، ورأيته خلوقاً متواضعاً بشوشاً كريماً على عادات أجداده أهل المروءة والكرم،ومن جملة ما دار في الحديث بيننا أخبرني بأن شقيقه المفتي محمد بهاء قام بإنشاء دار فتوى وبناء مسجد حلبا.
كما أنه أشاد في التصوف قائلاً بما معناه" إن التصوف تربية للنفس وجهادها حتى تكون أرضى لربها وهذا من عمل الصحابة، والتصوف الصحيح هو المبني على موافقة الكتاب والسنة والعقيدة الصحيحة لا عقيدة التشبيه ووحدة الوجود والحلول التي أدخلها بعض أدعياء التصوف الذين شوهوا صورة التصوف ثم قال حفظه الله: نعم أنا أتشرف بالانتساب إلى التصوف الذي كان عليه الصحابة والسلف والإمام عبد القادر والإمام أحمد الرفاعي وغيرهما من أئمة التصوف أهل العلم والفقه والصفاء، قال: وأنا على الطريقة القادرية طريقة جدي الإمام عبد القادر الكيلاني امام عصره رضي الله عنه... وكان ذلك يوم الاحد بعد العصر في بيته الكائن في أبي سمراء طرابلس الشام ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٤٢١هـ ٢٥ آذار ٢٠٠١ر

كما أن الشيخ زيداً قال كلاماً قريباً من كلام الشيخ عمر، كما أخبرني بأن سفير لبنان في الكويت حالياً هو السيد خالد الكيلاني بن مصطفى بن محمد بن مصطفى بن محمد بن مصطفى بن المفتي الأول سماحة الشيخ أحمد أفندي الحاج الكيلاني.
قال: وللسفير شقيق يدعى السيد محمد، له زاوية في طرابلس يقيم فيها الحضرات القادرية.
قال الشيخ زيد: " وهناك عدد من آل الكيلاني غير الذين وردت أسماؤهم عرفوا بالزهد والصلاح منهم الشيخ عبد الفتاح.

والشيخ زيد هو ابن السيد محمد بن خالد بن عمر ابن المفتي مصطفى ابن المفتي محمد ابن المفتي مصطفى ابن المفتي أحمد الحاج الكيلاني ابن السيد الشيخ مصطفى دفين خربية الجندي قدس سره العزيز.

ومن جملة ما ذكره لي الشيخ عمر: أنه وقع مرة من الطابق السادس، فقام وما به أذى، يعني أن هذا بسر أجداده أي كرامة لأجداده.

وقال:إن المفتين من آل الكيلاني الذين وردت أسماؤهم كانوا على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

وبهذا نكون قد بينا فضل هذه العائلة الشريفة بطريقة موجزة نفعنا الله بالصالحين منهم- أمين.

آل الكِلَلْ وآل شرف الدين
(الكيلاني الأصل)

أخبرني الشيخ ناصر مرعوش (الطرابلسي) وهو من أهل المعرفة بالأنساب: أن آل الكلل وآل شرف الدين هم فرع من كيلانية حماه، فأما آل الكلل فيقطنون بلدة المنية القريبة من طرابلس، وسبب تسميتهم بآل الكلل، أن جداً لهم من أصحاب الكرامات عين رامياً على المدفعية في الجيش العثماني، فكان يلقم المدفع بالقنابل، وكانوا أحيانا يسمون القنابل(كِلَلْ) جمع كِلَّة، شكلها كروي،فحصلت له كرامة أثناء رمي القنابل (الكلل) فلقبوه صاحب الكلل، وكان قبل ذلك من آل شرف الدين (الكيلاني) الأصل، وشرف الدين هو اسم جد لهم كان شيخ الطريقة القادرية ونقيباً للأشراف توفي في حماه، وقد مر معنا ذكر اسمه.

وأما القسم الثاني من هذا الفرع فهم آل شرف الدين، لم تزل كنيتهم على اسم جدهم المذكور، وهم مستوطنون قرية برقايل المعروفة إحدى قرى عكار.

آل البيروتي

في طرابلس الشام

ومن فروع كيلانية حماه عائلة آل البيروتي في طرابلس الفيحاء، والأصل كيلاني.

قدم أحد أجدادهم وسكن طرابلس واستوطنها وبنى بها زاوية للإرشاد والتعليم ونشر الطريقة القادرية وذلك منذ مائتي عام تقريباً، وهذه الزاوية أسست في حي من أحياء طرابلس سمي هذا الحي فيما بعد بحي–النوري– على اسم أحد مشايخ آل البيروتي، ثم في أيام الشيخ عبد القادر البيروتي الذي ولد سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٨ر نقلت الزاوية إلى حي المهاترة قرب قلعة طرابلس.

وسبب تسميتهم بآل البيروتي أن أحد أجدادهم أقام في مدينة بيروت لفترة وبعد أن عاد لقب بالبيروتي وهكذا أطلق على ذريته آل البيروتي، وهذا الفرع هو كيلاني الأصل، فإن هناك عائلة أخرى من آل البيروتي ليست من أهل هذا النسب.

وقد مضى على وفاة الشيخ مصطفى البيروتي نحو مئة عام، وله شقيق هو:

- **الشيخ السيد سعيد البيروتي الكيلاني القادري،** ولد سنة ١٢٨٧هـ ١٨٧٠ر وتوفي سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢ر ودفن بطرابلس في مقبرة باب الرمل، استلم الزاوية التي كانت تقع في حي النوري بالقرب من الجامع الكبير، وكانت تظهر على يده الخوارق كالدخول في النار واستعمال السلاح وغير ذلك، وكانت له نوبة، وقد شارك بالحرب العالمية الأولى ثم عاد سالماً إلى طرابلس، وكان يسافر أحياناً إلى بيروت لإقامة حلقات الذكر، وكان يحضره أحيانا بعض الأجانب والمنكرين على التصوف فيرون منه الخوارق فيتوب بعضهم، وقد كثر مريدوه، هذا بالإضافة إلى أنه كانت تعطى في زاويته الدروس في العقيدة وغيرها قدس سره العزيز.

هذا وقد أعقب الشيخ مصطفى ثلاثة ذكور وهم السادة: **نوري – وحسن – وجميل،** وأشهرهم: **الشيخ السيد نوري،** ولد رحمه الله في طرابلس سنة ١٣١٦هـ ١٨٩٨ر، تلقى علومه الشرعية على يد الشيخ إشراقية الكائن في حي التربيعة وقرأ عليه القرآن وحفظه، وكان والده يعده ليكون من بعده،أخذ الطريقة من والده، ثم بعد وفاة والده أخذها من الشيخ الكبير السيد أحمد شاكر الزعبي قدس سره.

شارك الشيخ نوري في الحرب العالمية الأولى في الأناضول ثم عاد سالماً، فقام بشؤون الزاوية من إقامة حلقات الذكر فيها، وكان بعد انتهاء الحلقة يعطي درساً دينياً، ثم يذكر بعض

مناقب الإمام عبد القادر رضي الله عنه، وقد اشتهر أمره وكثر عدد مريديه، حتى سمي الحي الذي كان به بإسمه ودعي أيضاً- بزقاق البيروتي وأما شقيقه الشيخ حسن فهو الذي كان يدير شؤون الزاوية قبله وكان على سيرة أجداده، وكانت وفاة الشيخ نوري بطرابلس ودفن إلى جانب والده وشقيقه السيد حسن، واستلم مكانه شقيقه السيد جميل حتى وفاته فاستلم الأمر من بعده:

- **السيد عبد القادر بن الشيخ نوري** الذي لم يزل حياً حتى الآن، ولد بطرابلس سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ر نشأ على حب العلم والزهد والصالحين، واشتغل بالتجارة مع محافظته على حضور مجالس العلم والذكر، أخذ الطريقة عن والده وعمه.

وبعد وفاة عمه الشيخ جميل أقام زاوية في حي المهاترة قرب قلعة طرابلس، أطلق على زاويته اسم- الزاوية القادرية الرفاعية- ثم أهملت هذه الزاوية وتعطلت إقامة الحلقات فيها لمدة طويلة، إلا أنه يُعِدُ فتحها من جديد، وللسيد عبد القادر شقيق من الرضاعة وهو ابن عمه أيضا: يدعى **السيد عيد الحموي البيروتي** أخذ الطريقة عن جده الشيخ حسن وفتح- الزاوية الكريمية- سوق الصاغة وهو يقيم فيها الحلقات حالياً، ولم يزل يعتني بنوبة أجداده مع تجديد فيها.

(**ملاحظة**) آل الحموي نسبة إلى مدينة حماه، وهذه الكنية تطلق على عدد كبير من الناس في سوريا ولبنان بسبب الذين هاجروا من حماه واستوطنوا في مدن أخرى، فعلى هذا ليس كل من تكنى -بالحموي- من أهل بيت النبوة.

فإن من آل الحموي من يعود نسبه إلى الإمام الحسن السبط رضي الله عنه ومنهم من يعود نسبه إلى الإمام الحسين السبط رضي الله عنه، ومنهم من ليس من أهل هذا النسب وتبقى نسبته إلى مدينة حماه فقط.

فآل الحموي البيروتي في طرابلس المعنيون في هذه الترجمة هم الذين يعود نسبهم إلى السيد عبد الرزاق ابن الإمام عبد القادر رضي الله عنهما.

آل ألقاسمي وآل الخطيب الكيلاني في مدينة دمشق

ومن ذرية الإمام عبد الرزاق بن سيدنا عبد القادر الجيلاني في دمشق آل القاسمي وآل الخطيب، ونسب العائلتين يعود للسيد عبد الرزاق ولكن ليس عن طريق كيلانية حماه بل من فرع آخر، وقد اشتهرت العائلتان بكثرة العلماء والصالحين فيهما يقول المؤلف محمد بن ناصر العجمي في كتابه- آل القاسمي- نزح الجد السادس لآل القاسمي من بغداد، **وهو السيد قاسم أبو بكر مع شقيقه السيد محمد** من نحو ثلاثمائة سنة، ولما وصلا إلى حدود الشام نزل أحدهما وهو جد آل القاسمي السيد قاسم أبو بكر في دير عطيه من جبال القلمون، فأحبّها وأقام بها، وصار له تلامذة كثيرون وأصدقاء، وانتشرت عائلته فيها، وهي في دير عطيه تعرف بعائلة- بكر- إشارة إليه، ويبدو أنه كان عالماً كبيراً حيث كان له تلامذة كثيرون يعرفون بتلامذة الشيخ بكر، وهكذا سُميت بعائلة بكر، وقد ذكرَ في شجرة نسب آل القاسمي أنه دفين دير عطية.

وأما شقيقه السيد محمد فنَزل في قرية قريبة من أخيه اسمها- حُلَى- من أعمال قضاء النبك وأقام بها، ثم رحل من ذريته وذرية أخيه فروع إلى دمشق وعدرا التابعة لقضاء دوما، وأقاموا أخيراً كلهم في دمشق واتخذوها وطناً ولا يزالون حتى الآن.

ومن ذرية السيد محمد الذي كان يسكن في حُلَى- آل الخطيب- سموا بذلك بسبب توليهم الخطبة والتدريس في الجامع الأموي فغلبت كنية الخطيب على الكيلاني.

كما غلبت كنية القاسمي على الكيلاني بسبب شهرة الشيخ قاسم سليل السيد قاسم أبو بكر الآتي ترجمته

ونسب العائلتين إلى الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني على النحو التالي:

الإمام السيد عبد الرزاق بن سيدنا محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سرهما: أعقب الإمام الحافظ قاضي القضاة نصراً- أعقب المحدث السيد أبا نصر محمداً- أعقب السيد عبد الرزاق- أعقب السيد تاج الدين محمداً- أعقب شهاب الدين أحمداً- أعقب شرف الدين يحيى- أعقب بدر الدين حسيناً- أعقب علاء الدين علياً- أعقب شهاب الدين أحمداً- أعقب شهاب الدين محمداً- أعقب السيد عبد الله الكيلاني- أعقب السيد شهاب الدين أحمداً- أعقب السيد جلال الدين- أعقب السيد عز الدين محمداً- أعقب السيد عبد الرزاق الكيلاني- أعقب السيد ياسين الكيلاني- أعقب السيد عمر الكيلاني- أعقب السيد الشيخ الكبير قاسماً أبا بكر

دفين دير عطية جد آل القاسمي الكيلاني، وشقيقه السيد الشيخ العارف محمد نزيل- حُلَى- جد آل الخطيب الكيلاني.

فأما آل القاسمي نسبة إلى السيد - **العالم الكبير العارف بالله الشيخ قاسم الكيلاني الشهير بالحلاق** ابن السيد صالح الكيلاني ابن السيد إسماعيل الكيلاني ابن السيد أبي بكر الكيلاني ابن السيد أبي أمين محمد ابن السيد أبي بكر قاسم الكيلاني دفين دير عطية...

وقد ترجم للشيخ قاسم عدد من المؤلفين منهم الشيخ محمد جميل الشطي مؤلف كتاب أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر

قال: ترجمه حفيده أستاذنا العالم المفضال الشيخ جمال الدين القاسمي، في تاريخه- تعطير المشام في مآثر الشام- قال: هو قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر الشهير بالحلاق الدمشقي الشافعي، بحر العلم الزاخر وروض العرفان الناضر إمام العلم وحامل لوائه، وفلك الفضل وكوكب سمائه، صاحب التآليف المشهورة والمناقب التي على ألسنة الدهر مأثورة، ولد بدمشق الشام سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف، ونشأ في حجر والده، فبزغ وآية النجابة ترمقه، وبشائر الفتوة تعشقه، وتكسب بصنعة الحلاقة في حداثته (فاشتهر بالحلاق) ثم أقبل على الاشتغال بالعلوم، فأخذ عن الفحول،

ومن مشايخه العلامة الشيخ السيد صالح الدسوقي، ووالده بركة عصره الشيخ محمد الدسوقي، ولازم محدث الشام السيد الشيخ عبد الرحمن الكزبري، وكان من أجل أخصائه، وأجازه بالطريقة القادرية، وألبسه الخرقة، وحضر مدة لدى الأستاذ الكبير الشيخ سعيد الحلبي، وأخذ الطريقة الرفاعية من الشيخ السيد عبد القادر الكيالي الرفاعي لما ورد دمشق، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أحمد الأربيلي خليفة مولانا خالد النقشبندي، وتصدر المترجم للإقراء والإفادة في حياة شيوخه، على ذهن متوقد في حل المشكلات، وحببه المولى إلى الأنام، الخاص منهم والعام، وكان حسن الأخلاق لطيف الذات حسن العشرة جداً، متحلياً بالقناعة متخلياً للطاعة، لذيذ الذاكرة، شهي المحاضرة، مع فصاحة لسان، وطلاوة بيان، عظيم التحري في أمور العبادة، لم يخالط الكبراء، ولم تستفزه الأهواء.

ولما رحل سنة ١٢٧٠هـ إلى مصر وزار الجامع الأزهر، استجاز العلامة الشيخ مصطفى المبلط فأجازه، والعلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، فكتب له إجازة أثنى فيها على فضله ونبله. وقد ألف المترجم مؤلفات منها

١.	إعانة الناسك على أداء المناسك

٢.	والتوسلات الحسنى بنظم أسماء الله الحسنى، وهو مشتمل على ثلاثة عقود، سمى الأولى" إغاثة الملهوف فيما دهمه من الصروف"، والثاني " إعانة المغلوب على ما نزل به من الخطوب" والثالث" مفتاح الفرج لكل ذي شدة وحرج" وقد شرح هذه العقود الشيخ أحمد الفيشي الأزهري في مجلد.

٣.	ورسالة فيمن حج البيت الحرام ومات، وعليه ذنوب صغائر وكبائر وتبعات

٤.	ورسالة في محرمات النكاح برضاع أو نسب وتصوير مسائلها

٥.	ورسالة في عقيدة أهل السنة

٦.	ومولد سماه"مورد الناهل بمولد النبي الكامل

٧.	وتضمين البردة سماه" الدرة الزاهرة بتضمين البرأة الفاخرة " طبعت بدمشق مع قصائد نبوية سنة ١٢٨٤هـ

٨.	وله تشطير لامية ابن الوردي ونظم الأجرومية، ولم يتمهما، وله غير ذلك.

وقد أخذ عن المترجم خلق كثير، وانتفع به جم غفير، وحصل له من حميد الذكر وجميل النشر ما لا تزال الرواة تدرسه والتواريخ تحرسه، وقد أم في جامع حسان، وخطب فيه ودرس بحجرته، ثم عين إماماً للشافعية بجامع السِّنانية سنة ١٢٧٩هـ خلفاً للشيخ عبد الله الكردي، فأم فيه وأحيا دروسه الليلية والنهارية حديثاً وفقهاً،

وكان له نظم فائق رائق، ومن شعره هذه القصيدة التوسلية المرتبة على حروف الهجاء نظمها وهو في رمد شديد وصار يتلوها فشفي مما ألم به ومما جاء فيها:

أشكو إلى الله ما ألقاه من لمم	وما أقاسيه من ضري ومن ألمي
بالذل وافيت باب العز منكسراً	مستغفراً من ذنوب أوجبت سقمي
تالله هذا العبد في كُرَبٍ	من ضعف همته تُلفيه كالعدم
ثَوَيْتُ في ساحة الإحسان معتكفاً	مُؤمِّلاً عادة السادات للخدم
جرَّدْتُ عزمي ويممتُ الحمى طلباً	للعفو والجود والافضال والكرم
حسنت ظني برب العالمين فلي	بحسن ظني رجاء غير منخرم

خلصت نوحاً وأيوب الصبور كما ... نجيت ذا النونِ إذ ناداك في الظلم

دعاك قوم كرام فاستجبت لهم ... هبني إلهي لهم باللوح والقلم

ذابت مرارة صبري من تحملها ... ما لا تطيق فيا حزني ويا ندمي

رَميتُ درعي وألقيت السلاح ولا ... حول ولا قوة عندي سوى سقمي

زال الشباب وزار الشيب يا أسفي ... ضيعت عمري وما أوتيت من نعم

سر بي إلى حضرة التقريب منك على ... معارج الصفح والتقديس والسلم

إلى أن قال:

نجيت موسى وهارونا وقومهما ... من كيد فرعون والاغراق بالسلم

هب لي النجاة فإني عشت ذا سرف ... من كل ذنب وحق قر في ذممي

وعافني واعف عني واهدني وقني ... شر القضاء وما قد خط بالقلم

لا حول عندي ولا لي قوة أبداً ... فلا تكلني إلى نفسي ولا رَحِمي

يسر وأصلح وأحسن منك لي كرماً ... أمري وديني مع الدينا ومختتمي

ومن شعره تخميس بيتي الأعرابي المشهورين وهو قوله:

يا سيداً سادة الأفلاك تخدمه ... وشرف العرش والكرسي مقدمه

إني جريح وجرحي عز مرهمه

يا خير من دفنت في القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم

يا طيباً فاقت العليا أماكنه ... والطيب من طيبة الفيحا معادنه

إني استجرت وقلبي هاج شاجنه

روحي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وله التشطير النفيس لبيتي الإمام ابن إدريس: "يعنى الشافعي رضي الله عنه"

ولما انقضى عمري وضاقت مذاهبي	سألت إلهي العفْوَ عمّا تقدَّما
ولما علمتُ العفْوَ عن ذَنْبِ مَنْ جَنَى	جعلتُ رجائي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قَرَنْتُه	بإحسانِكَ الفياضِ أمَّلْتُ أنعُما
تذكرتُ تقصيري فلمّا شَفَعْتُهُ	بعفْوِك ربي كان عَفْوُكَ أعْظَما

وله غير ذلك من الرقائق والأبيات.

وكانت وفاته قدس سره ليلة الثلاثاء ختام شعبان أربع وثمانين ومائتين وألف، وصلى عليه تلميذه المحدث الشيخ أحمد مسلم الكزبري في جامع السِّنانية، ودفن في مقبرة الباب الصغير لصيق قبر الشيخ إسماعيل الحايك مفتي دمشق رحمة الله تعالى عليه.

(جامع السِّنانية بناه الوزير الأعظم سنان باشا بدمشق خارج باب الجابية، ونقل العجمي في كتابه آل القاسمي نقلاً عن المحبي أن الوزير سنان باشا بنى من المساجد والمدارس والخانات والحمامات ما ينوف على المائة في عدة بلاد ومدن" رحمه الله تعالى).

ونقل العجمي عن الشيخ محمد جمال الدين القاسمي حفيد الشيخ قاسم، أن من الذين أخذوا عن الشيخ قاسم من المشاهير واتصل سندهم به: " الشيخ أحمد مُسَلَّم بن الشيخ عبد الرحمٰن الكُزْبري والعلامة الشيخ عمر حفيد الشِّهاب العطار.

ومنهم نخبة الفضلاء المرشدين السيد مرتضى ابن السيد محمد السعيد الحسني الجزائري، والعلامة التقي الأثري السيد أحمد ابن السيد محيي الدين الحسني الجزائري ثم الدمشقي، ومنهم خال والدي نخبة الفضلاء الفقهاء السيد الشيخ حسن بن أحمد جُبينة الشهير بالدسوقي الحسيني، ومنهم: بهجة الأعيان الفقيه النبيه الشيخ صالح أفندي قطنا مفتي دمشق الآن، والعلم العامل والتقي الكامل الشيخ أمين البيطار، إمام الحنيفة بجامع السنانية.

ومنهم: الشيخ محمد محمد المبارك الجزائري ثم الدمشقي، ومنهم العلامة المتَفَنِّن الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ عبد الرحمن الطيبي مفتي حوران، وأخوه الفقيه الفَرَضي الشيخ محمود الطيبي، ومنهم: الوجيه الفاضل رضا أفندي ابن إسماعيل أفندي الغزي، ومنهم: الأديب الشيخ السيد رشيد المعصراني، ومنهم:الفقيه الأديب الشيخ محمود أبو الشامات، ومنهم: الفقيه الفاضل الشيخ السيد عبد القادر ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد القادر الكُزْبري،

وغيرهم ممن ذاع أثرهم وخبرهم، أغدق الله عليهم سحائب الرضوان، وأحلّنا وإيّاهم في رياض الجنان، آمين.

قال:" إن الشيخ قاسم قد تزوج أربعاً، واحدة منهن لم تعقب، والثلاث أعقبن منه، إحداهن أعقبت أنثى واحدة، وثانيتهن أعقبت ذكوراً وإناثاً، وثالثتهنَّ هي حفيدة السيد الدُّسوقيّ، ولم تعقب منه إلا الشيخ محمد سعيد، وأبناؤه: **الشيخ محمد سعيد، والشيخ عبد الرحمن، والشيخ محمد، والشيخ عبد الغني وبناته: آسية، وميمونة، وعائشة.**

- **الشيخ محمد سعيد القاسمي الكيلاني (الشافعي)**

ترجمه عدد من المؤلفين منهم الشطي قال: وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال:" سلالة مجد أشرقت أنواره، ونفحت في رياض الأدب أنواره، فصيحٌ ألبسه المولى حلة الكمال، وبليغ نسج القريض على أبدع منوال، فحاول رقيقه وجزله، وأجاد جده وأحكم هزله..."

ولد في دمشق أوائل المحرم عام ١٢٥٩ ونشأ في حجر والده بركة عصره وفقيه مصره، فتأدب بفضائله وتهذب، وكساه من الفنون الرداء المذهب، حتى نبل وشدا وبلغ في المعارف المدى...

وقد أخذ أيضاً عن أساتذة محققين وأفاضل كاملين، واجتمع بفضلاء الحرمين وبيت المقدس عام زيارته لهما سنة ١٣٠١ وكان له إقبال على شأنه....

وكانت وفاة المترجم فجأة في ٢٢ شوال عام ١٣١٧ وصلي عليه في جامع السنانية بمشهد عظيم، ودفن في مقبرة الباب الصغير عند قبر والده

قال العجمي نقلاً عن الترجمة التي كتبها الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عن والده والتي سماها "بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد":"أن الشيخ محمد سعيد رحمه الله تعالى أخذ عن عدد من المشايخ الأفاضل غير والده الجليل، منهم الشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ سليم العطار، والشيخ محمد المنير، والشيخ عمر العطار، والشيخ سعيد الأزهري النابلسي البصير لما أقام بدمشق نحو عام، وغيرهم.

من مؤلفاته

١) بدائع الغرف في الصناعات والحرف- لم ينسج فاضل على منواله، أوضح فيه الصناعات الشامية على الحروف الهجائية، وصل في معجمه إلى حرف السين، وأتمه ولده الشيخ جمال الدين هو وزوج شقيقته خليل العظم.

٢) ومنها كتاب (الثغر الباسم بترجمة سيدي الشيخ قاسم) أي والده

٣) ومنها- سفينة الفرج في ما هبَّ ودبَّ وَدَرَجَ- على نمط الكشكول

٤) وله ديوان شعر

وكان بديع الصوت، له معرفة جيدة بالأنغام، وكان عفيف النفس، وقل ما يحضر مجالس الوزراء والوجهاء، يرضى باليسير من الرزق، وكان كثير المطالعة يحفظ ما يقرأ، وكان يُحَار من سرعة أجوبته...

وقد نقل المتَرْجِم ثناء العديد من المشايخ والفضلاء عليه.

وذكر أيضاً أن نسبه يتصل بالسادة الدسوقية الحسينية عن طريق والدته السيدة عائشة بنت السيدة فاطمة بنت السيد محمد الدسوقي الدمشقي الذي يصل نسبه إلى السيد شرف الدين أبي عمران موسى الدسوقي شقيق القطب الشهير الإمام السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه.ومن شعره:

كلُّ منْ يبغي سِوى المولَى نقصْ	واعتراه من ذوي الدُّنيا غصَصْ
وإذا أمَّل منهم حاجةً	نَغِصَ المسؤولُ عنها ونكَصْ
مُكْفَهِرَّ الوجْهِ لو أبْصَرْتَهُ	قلتَ:منْ أينَ له داءُ البَرَصْ
وعلى السَّائِلِ فَرْضاً لو سَخَا	مرةً ألقاهُ في ذل القَفَصْ
فاتركِ العالَمَ طُراً ثم سَلْ	مَلِكاً يأمر أن تُؤْتَى الرُّخَصْ
مُنْعِماً بَراً كريماً رازقاً	ليْسَ يَرْضَى عن عبيدٍ قد حَرَصْ
عالماً إجمالَ أحْوال الوَرَى	فهْوَ أدْرى في تفاصيلِ القَصَصْ

وقال:

مــن رام يــدخُلُ بــابَ النَّصْــر والفَــرَج فليجتنــبْ صــحبةً الأوغــادِ والهَمَــجِ
وليعتــزلْ أهــلَ هــذا الوقــتِ أجمَعَهــم إلاّ لِمَــنْ كــانَ ذا ديــنٍ بِــلا عِــوَجِ
أو كــانَ صــاحِبَ علــمٍ عــاملاً ورِعــاً أو ذا ســخاءٍ فمــا في ذاك مــن حَــرَجِ
واســتعمِلِ النــاس مِثْــلَ النَّــارِ منقبِضــاً منهــا وخــذ نَفْعَهــا واحْــذَرْ مــن الــوَهَجِ
فــاسمع خليلــيَ نُصْــحِي إنــني رجــلٌ قــد جــرَّب النــاس في ضــيقٍ وفي فَــرَجِ

وقال في حال المداهنين

يقــولُ لــك المنــافق وهــو أدْرَى بأســلوب النِّفــاق بمــا تمــادَى
إذا صَــلُحَ الزَّمــان فَــزِدْ صَــلاحاً وإن فســدَ الزَّمــان فــزِدْ فســاداً

وكتب للشيخ محمد زاهد الكوثري

يا أوحداً بالفضل يا سامي الذُّرا يا نافعاً بالعلمِ أبناء الورى
أنت الهُمام الزاهدُ الحَبْرُ الذي أقلام خطّك بالجواهِرِ تُشْتَرى
فامنحْ صلاحَ الدين منك محاسناً علماً وتجويداً وخطاً أوْهُرا
فلأشْكرنك شُكْرَ خِلٍّ صادقٍ في حُبِّهِ ويحق لي أن أشكُرا
لازلت ترْقى كُلَّ فضلٍ جامعٍ وتُزيِّن المحراب بل والمِنْبَرا.

صلاح الدين المقصود به ابن السيد محمد سعيد القاسمي أحد تلاميذ الشيخ محمد زاهد الملقب بشيخ الأرض.

والسيد محمد سعيد هو أكبر أبناء الشيخ قاسم الحلاق رحمة الله عليهما، وأولاده السادة: محمد جمال الدين ثم محمد عيد ثم فاطمة ثم محمد قاسم خير الدين ثم صلاح الدين يوسف.

- فالشيخ السيد محمد عيد القاسمي الكيلاني الأصل- أبو السرور- ولد رحمه الله بعد غروب شمس الخميس الواقع نهار عيد الأضحى سنة ١٢٨٧هـ

طلب العلم عند والده وعند جملة من شيوخ عصره كالشيخ عمر العطار، وغيرهما، وكان يعمل محامياً يدافع بالحق عن المظلومين

توفي يوم الثلاثاء في السادس من جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق.

- وأما شقيقه الشيخ السيد محمد قاسم خير الدين القاسمي

ولد ضحوة نهار الأحد السادس عشر من شهر شعبان سنة ١٢٩٩هـ

درس رحمه الله على والده الشيخ محمد سعيد، وأخذ عن أخيه الشيخ العلامة المحدث الكبير السيد محمد جمال الدين الكثير من العلوم، فإنه قرأ عليه الصرف والنحو والمعاني واللغة والفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم.

كما لازم الشيخ بكري العطار الشافعي القادري مدة طويلة وأخذ عنه" شذور الذهب- وسنن ابن ماجه، كما أجازه إجازة عامة.

وممن أجازه إجازة عامة العلامة الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار، كما أجازه العلامة السيد أحمد الحسني الجزائري القادري شقيق الأمير الشيخ السيد عبد القادر الحسني الجزائري القادري النقشبندي الشاذلي، والسيد أحمد الجزائري كان إمام المالكية في الشام.

وأجازه أيضاً العلامة بركة العصر محدث الدنيا الشيخ السيد محمد بدر الدين الحسني المغربي ثم الدمشقي.

وممن أجازه أيضاً العلامة المحقق والصوفي المدقق الشيخ السيد محمد أبو طالب الحسني الجزائري نزيل بيروت، والعلامة الشيخ عالم جان البارودي، والفقيه النحرير والعالم الشهير الشيخ عبد الكريم الأفغاني، وعلامة المغرب الشيخ السيد محمد جعفر الكتاني الحسني نزيل المدينة المنورة، ومرشد السالكين الأستاذ المعمر الشيخ عبد القادر المجذوب... وغيرهم.

تولّى الشيخ قاسم خير الدين التدريس في بعلبك مدة من الزمن ثم عاد إلى دمشق، فدرس فيها إلى آخر عمره، توفي رحمه الله في ضحوة يوم الأربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٥٧هـ ٢٨-١٢-١٩٣٨ر

- وأما شقيقهم الثالث وهو **الدكتور صلاح الدين يوسف القاسمي**، فمولده أذان الظهر يوم السبت ٢٠ صفر سنة ١٣٠٥، وصف رحمه الله بالذكاء والهمة فمع تعلمه لأمور دينه واللغة العربية على يد أهله، فإنه تعلم أيضاً اللغة التركية والفارسية والفرنسية وشيئاً من العلوم الكونية، ثم دخل كلية الطب ونال بها شهادته عام ١٣٣٢، كما تعلم الأدب ونظم الشعر، وحصلت له شهرة ووجاهة، ولم تطل حياته فإنه توفي سنة ١٣٣٤ عن تسعة وعشرين سنة وأشهر.

- وأشهر أبناء السيد محمد سعيد هو **السيد محمد جمال الدين القاسمي**، المنعوت بعلامة الشام، وإمام الشام، والمحدث الفقيه الأصولي المفسر والأديب الصوفي....، وهو أشهر مشايخ آل القاسمي، وهو أكبر أبناء الشيخ محمد سعيد ولد ضحوة نهار الإثنين ثامن شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ وتوفي سنة ١٣٣٢هـ له رحمه الله العديد من المؤلفات في عدة فنون، وأثنى عليه الكثير من العلماء، حصلت له محنة حيث اتهم بالوهابية، فكتب عدة مقالات في بيان فضائح الوهابية والحشوية، وكونه بريئاً منهم، فهيجت الحشوية العامة عليه، فلزم رحمه الله بيته إلى حين انطفأت تلك الفتنة، حيث دافع عن نفسه كما دافع عنه العديد من علماء دمشق وقد أفرده غير واحد بالترجمة.وأولاده السادة: محمد ضياء الدين- ومحمد مُسَلَّم- ومحمد ظافر.
- وأما **الشيخ السيد محمد ضياء الدين** ولد نهار الأربعاء ٢٨ رجب سنة ١٣١٥هـ وتوفي في ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ ولم يعقب إلا ولداً واحداً هو السيد محمد سعيد تلقى الشيخ ضياء الدين أفندي القاسمي علومه على عدة مشايخ منهم والده العلامة السيد جمال الدين، وحصل عدة إجازات منها إجازة من الشيخ محمد زاهد شيخ الأرض، والشيخ محمد زاهد هو من أصحاب والده الذين أخذوا عن والده، كما أجازه العالم الكبير الشيخ السيد حسين بن إسماعيل الغزي العامري الدمشقي الشافعي الأشعري النقشبندي القادري، وهذه الإجازة جمعت كُلاً من السادة الشيخ جمال الدين وإخوته وولده السيد ضياء الدين.
- وأما شقيقه **السيد محمد مسلم** فإنه ولد سنة ١٣٢٥هـ توفي والده لما كان في السابعة من عمره، تخرج رحمه الله طبيباً وعين أستاذاً في كلية الطب، وكان أديباً، توفي رحمه الله في ٤ رجب سنة ١٣٥٠هـ عن أربعة وعشرين سنة

- وأما **السيد محمد ظافر** فمولده في شهر صفر سنة ١٣٣١هـ توفي والده وله من العمر سنة وثلاثة أشهر، فتربى في بيت عمه السيد محمد قاسم، وأخيه الشيخ ضياء الدين، تلقى علومه في النحو على عمه الشيخ قاسم كما أخذ عنه الفقه، وأخذ دروساً في التوحيد والحديث من العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار، ودخل الثانوية الوحيدة الرسمية بدمشق فأخذ عن أجلاء العلماء والأدباء، كما أتقن اللغة الفرنسية، كما تخرج محامياً وانتخب نقيباً للمحامين سنة ١٩٥٤-١٩٥٥م

كما فتح مكتباً للطباعة والنشر سماه (مكتب النشر العربي) كما انتخب عميداً لآل البيت القاسمي،

أدّى الأستاذ ظافر فريضة الحج سنة ١٩٦٦ر واختير في هذا العام مستشاراً لوزارة التجارة والصناعة في السعودية إلى سنة ١٩٦٧ر

ثم أقام في بيروت سنة ١٩٦٧حيث تولى تدريس العلوم العربية والحضارة الإسلامية في كلية التربية وفي كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، ومستشاراً قانونياً لدى بعض الشركات والمؤسسات الاقتصادية إلى حين اندلعت الحرب في لبنان، كما درس في جامعة دمشق والجامعة الأردنية، وله مؤلفات عديدة منها باللغة الفرنسية

توفي رحمه الله في باريس فجأة إثر نوبة قلبية حادة عن عمر يناهز الثلاثة والسبعين عصر يوم الجمعة ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤هـ، ونقل جثمانه إلى دمشق فدفن في مقبرة الباب الصغير في مقابر عائلته.

ومن مشاهير آل القاسمي أشقاء الشيخ محمد سعيد أبناء الشيخ قاسم الحلاق الذين وردت أسماؤهم: **الشيخ السيد عبد الرحمٰن بن قاسم الشهير بالحلاق**، نشأ في حجر والده وبعد وفاة أبيه اشتغل في التجارة ثم ذهب إلى مكة المكرمة وجاور بها، ولاحت عليه أنوار الصلاح والهداية، وتخلى في الحرم الشريف للطاعة، وكان براً بوالدته، وحج بها، وكانت وفاته في مكة المشرفة سنة ١٣٠٦هـ رحمة الله عليه.

- وشقيقه **الشيخ محمد القاسمي** العالم الحافظ لكتاب الله المتمكن في الفقه والفرائض والنحو الشافعي المذهب كوالده وبقية عائلته، ولد سنة ١٢٧٦هـ وتوفي والده وعمره ثماني سنين، فتربى في حجر والدته، وكان صوفياً قادرياً نقشبندياً تلقى علومه على العلماء منهم الشيخ السيد عمر العطار والشيخ السيد بكري العطار، والشيخ السيد سليم العطار، ثم لازم الشيخ محمد بن محمد الخاني النقشبندي، وقد أجازه شيوخه، وقد أقام حلق الوعظ والتدريس، وقام خطيباً وإماما في مسجد حسان، وأما مؤلفاته فإنها احترقت أثناء الحرب العالمية الأولى، إلا رسالة في المولد النبوي.

ومن أشهر تلاميذه: الشيخ علي الدقر، والشيخ عبد الله الجلاد- والشيخ شريف النص- والشيخ عبد الرحمن القصار- والمؤرخ محمد كرد علي- والشيخ عبد المجيد البغال- والشيخ كامل البغال- والشيخ مُسَلَّمْ الخالد- والشيخ محمد حجازي الكيلاني- والشيخ المعمر يحيى جانو- والأستاذ لطفي الحفار- والأستاذ هاني الجلاد، وغيرهم.

توفي رحمه الله تعالى في ١١ محرم سنة ١٣٣٧ هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير وله من الأبناء: الشيخ أحمد- وبديع-ومحمد نور الدين، وأشهرهم: **السيد أحمد القاسمي** الشافعي الحنفي ولد في شهر محرم سنة ١٣١٥هـ ونشأ في رعاية والده الشيخ محمد القاسمي وحفظ على والده- ألفية ابن مالك- ومتن الزبد في فقه الشافعي - وقرأ عليه الغاية والتقريب، وشرح قطر الندى" في النحو وبعد أن أنهى دراسته الثانوية انتسب إلى الكلية الصلاحية بالقدس التي افتتحتها الدولة العثمانية في أول الحرب العالمية الأولى، وحصل على شهادتها سنة ١٣٣٤هـ، وبعد وفاه والده لازم الشيخ المفتى عطاء الله الكسم وقرأ عليه" حاشية ابن عابدين في الفقه الحنفي" وفي أصول الفقه والعربية أكثر من خمسة عشر عاماً، وقد أجازه إجازة عامة وقرأ على العلامة المتفنن الشيخ عبد القادر بن بدران الدمشقي : النحو والصرف والبلاغة والبيان والمنطق والأدب، لمدة ثماني سنوات، وحضر عند الشيخ المحدث بدر الدين الحسني دروسه العامة، وقرأ عنده في بيته صحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، وقد أجازه إجازة عامة سنة ١٣٥٥هـ وتعلم الخط في بداياته عن الخطاط حسين البغجاتي، والخطاط التركي يوسف رسا أفندي، وكان والده قد قال له قبل موته بيوم وقد نظر إلى مسجد حسان بعد أن تحول إلى خراب: يا بني برضاي عليك عمّر هذا المسجد.

وبعد موت والده انشغل بالعلم والسفر وأمور التعليم عن إعادة تعمير المسجد، فالتقى مرة في الطريق الشيخ على الدقر وهو أجل تلامذة والده، وكان متقدماً عليه سناً وعلماً، فقال له الشيخ على: يا أحمد أنا حزين منك، رأيت أباك في المنام، وقال لي: أما قلت لابني أحمد أن يعمر المسجد؟ قل له: يعمر المسجد. فقال للشيخ علي: نعم يا سيدي، ثم سعى لترميم المسجد، فر ممه وجدده وأم وخطب فيه، وبقي في مسجد حسان ثلاثاً وستين سنة.

وقد توظف بالأوقاف كاتبا ثم صار يترقى في وظيفته حتى أصبح مديراً لأوقاف دمشق ثم مديراً لأوقاف حلب وأخيراً مديراً عاماً للأوقاف الإسلامية السورية في زمن لم تكن فيه وزارة ولا وزير وعندما أحيل على التقاعد بعد أربعين سنة من ابتداء توظيفه كاتبا سنة ١٣٧٧هـ،

أقام له حفلة عشاء رئيس الجمهورية شكري القوتلي تكريماً له ولجهوده في خدمة الأوقاف بنَزاهة واستقامة وأمانة، حضرها الوزراء والأعيان، ومنحه استحقاق السوري الأول، وبعدها لزم بيته للعبادة والمطالعة وتلاوة القرآن الكريم، وقد بارك الله في عمره فعُمِّر نحو المائة إلا قليلاً، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء في سوريا ولبنان ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد صالح الخطيب،والشيخ محمد معتز السبيني- والشيخ عبد الرزاق الحلبي المدرس حاليا للفقه الحنفي في المسجد الأموي وغيرهم توفي رحمه الله يوم السبت ١٢ صفر سنة ١٤١٤هـ ودفن بجانب عائلته في مقبرة الباب الصغير.

وأولاده السادة: محمد كمال الدين- وماجد-وصالح- وحامد-وثلاث بنات.

- وأما **الشيخ السيد عبد الغني** ابن الشيخ قاسم الحلاق، فمولده في شعبان سنة ١٢٨١هـ وتربى في حجر والدته كأخويه السابقين وأخذ علومه عن أكابر العلماء كالشيخ عمر العطار- والشيخ بكري العطار- والشيخ محمد الخاني النقشبندي سافر إلى الاستانة سنة ١٣٠٣هـ فعين إماما ومفتياً في الجيش التركي، كان رحمه الله من أهل العلم وحفظة القرآن وكان مربياً مؤدباً لا يخاف في الله لومة لائم، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٢هـ عن ولدين هما: السيد منير لم يعقب، والشيخ محمد، وعدة بنات.
- **الشيخ محمد بن عبد الغني** ولد سنة ١٣٤١هـ إعتنى به والده فأدخله المدارس الشرعية حيث إنه أخذ عن جملة من علماء دمشق كالشيخ سليم الجندي- والشيخ محمد بهجة البيطار-والشيخ ياسين القطب في الفقه الشافعي، والشيخ محمود ياسين في الحديث، والشيخ عبد الحميد القنواتي وغيرهم، ثم رحل إلى القاهرة وتخرج من كلية الشريعة في الأزهر في سنتين، ثم تخصص في القضاء في سنة واحدة، ثم عاد إلى دمشق ودرس في بعض الثانويات فيها وفي اللاذقية ثم طرطوس، رحل إلى مكة عدة مرات وفي سنة ١٤٠٨هـ فتح مكتب محام شرعي في مكة المكرمة، كما رحل عدة رحلات إلى أوروبا وإستنبول،ثم ذكر العجمي جملة من أخلاقه وحكمته...

هذا وللشيخ محمد تسعة من الأولاد الذكور أكبرهم الدكتور عبد الغني، وسبع إناث.

ومعظم ما ذكرته من تراجم آل القاسمي من كتاب آل القاسمي لمحمد بن ناصر العجمي.

آل الخطيب الكيلاني

وأما آل الخطيب فهم من فروع الكيلانية الذين ظهر فيهم عدد كبير من العلماء والمحدثين وقد جمُِعَت تراجمهم في كتاب تراجم آل الخطيب، ولم أعثر عليه وترجم لهم أيضاً عددٌ من المؤلفين كالشطي ومحمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه وغيرهم، وسأذكر من تراجمهم ما تيسر لي

- **فمنهم السيد عبد القادر الخطيب** قال الشطي: أخبرنا عنه ولده العالم المحدث الشيخ أبو النصر أفندي، فهو عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب الشافعي الدمشقي القادري، أحد علماء دمشق الأجلاء، كان فقيهاً نحوياً إماماً هماماً وقوراً جسوراً، ولد بدمشق سنة ١٢٢١هـ ١٨٠٦ر نشأ في حجر والده وطلب العلم، فأخذ في دمشق عن علماء كثيرين، منهم والده المذكور، والعلامة المحدث الشيخ السيد عبد الرحمٰن الكزبري والعلامة الأستاذ سعيد الحلبي والعلامة الشيخ خليل الخشة والعلامة الشيخ محمد بن مصطفى الرحمتي والسيد عبد اللطيف مفتي بيروت والشيخ عبد القادر بن أحمد الميداني والشيخ محمد عبد العاني،وفي مصر عن العلامة الشهير الشيخ إبراهيم الباجوري والشيخ أحمد الدمهوجي والشيخ أحمد الصائم والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ إبراهيم عبد الله باشا نزيل الإسكندرية، وكلهم كتبوا له الإجازات العامة بخطوطهم الكريمة، تزوج من ابنة شيخه الخشة بعد وفاته ورزق منها أولاده الأربعة.

وقد انتفع بالمترجم وأخذ عنه جماعة كثيرون من دمشق وغيرها، منهم الشيخ أنيس الطالوي والشيخ عبد الله الكردي مدرس السنانية والشيخ السيد سليم النحلاوي الشهير بالطيبي، وابن عمه السيد محمد الخطيب والشيخ سليم حفيد أستاذه الخشة، ومن المدينة: العلامة زاهد أفندي سبط شيخه الخشة، وممن انتفع به أولاده الأربعة وهم السيد الشيخ أبو الفرج والسيد أبو الخير وشيخنا العالم التقي أبو الفتح والسيد الأستاذ الشيخ أبو النصر(وكان قدس سره شيخاً للطريقة القادرية) وكان ملازماً للتدريس في الجامع الأموي وفي مدرسة الخياطين إلى أن توفي.

ويحكى عنه أمور طريفة، منها أنه جعل أولاده على المذاهب الأربعة، فقرأ الشيخ أبو الفرج على الشيخ عبد الله الحلبي الحنفي، وبقي الشيخ أبو الخير يقرأ على والده،وقرأ الشيخ أبو الفتح

على جدنا الشيخ حسن الشطي الحنبلي، وقرأ الشيخ أبو النصر على الشيخ مصطفى المغربي المالكي، ثم أنكر عليه هذا الأمر جماعة فلم يلتفت إليهم، ثم قال رحمه الله: إنه رأى الإمام الشافعي في نومه وأمره بإعادتهم، فأعادهم إلى مذهبهم الشافعي، بعد أن اشتغل كل منهم نحو أربع سنوات، وهكذا كان للمترجم طرف ونكت تؤثر عنه.

ومن مؤلفاته:

١) حاشية على تحفة ابن حجر في الفقه لم تتم

٢) وكتاب في المناسك

٣) وديوان خطب

٤) وشرح على متن السحيمي في علم التوحيد، وغيرها ولم تنشر مؤلفاته ولم يطبع منها شيء، وكانت وفاته سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١ر ودفن في مقبرة مرج الدحداح رحمه الله تعالى

فأما ولده السيد أبو الخير هبة الله قال الشطي: ترجمه السيد الشريف تقي الدين الحصني الحسيني في تاريخه قال ما ملخصه: هو أبو الخير بن عبد القادر بن صالح الخطيب الشافعي الدمشقي، ولد بدمشق سنة ١٢٤٧ هـ ونشأ في حجر والده وأخذ عنه وبه كان أكثر انتفاعه وقرأ على غيره بعض العلوم والفنون وكان صوفي المشرب زاهداً له مواعظ حسنة، اشتهر فضله بين الأنام واعتقده الخاص والعام، تصدر للتدريس والإفادة في مدرسة القلبقجية وسعى في عمارتها سعيا مشكوراً، ودرس أيضاً في الجامع الأموي بين العشائين، وتولى الخطابة فيه بعد وفاة رشيد أفندي المحاسني سنة ١٢٨٧ بمناوبة بني المنيني وبني الاسطواني، وما زال يخطب ويفيد إلى أن توفي.

وفي تراجم آل الخطيب:" العالم المحدث السيد أبو الخير هبة الله... وكان من أهل الكرامات مُعْتَقَداً... وقد تخرج به عدد كبير... وهو أحد مشايخ الإمام المنعوت بمحدث الديار الشامية، وبمحدث الدنيا السيد بدر الدين الحسني المغربي الدمشقي...

قال الشطي: ومن أولاده العالم النابغة جمال الدين أفندي المتوفي سنة ١٣٢٩، والمحامي الفاضل زكي بك أحد نواب سورية ووزرائها حالاً، وكمال الدين توفي الشيخ أبو الخير سنة ١٣٠٨هـ، ودفن في مرج الدحداح بمشهد عظيم، قدس سره العزيز.

وأما السيد أبو الفرَج قال الشطي: ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه، قال ما خلاصته: هو أبو الفرج بن عبد القادر بن صالح الشهير بالخطيب الشافعي الدمشقي، ولد بدمشق سنة ١٢٤٤هـ ونشأ في حجر والده وكان أكثر انتفاعه منه، وهو أكبر أولاده.
وتلقى بعض العلوم عن بعض علماء الحجاز ومصر، وتصدر (في حياة والده وبعد وفاته) للتدريس في الجامع الأموي بين العشائين، ولازمه جماعة من الفضلاء وانتفع به خلق كثير، وله مؤلفات وآثار لم يطبع منها شيء منها:

١) تفسير للقرآن الكريم في ثلاثين مجلداً

٢) والفويُضات الحسان في نصائح الولدان- في أربع مجلدات،

٣) وحاشية على " القطر"

٤) وشرحان على الأجرومية،

٥) وتعليقات على مؤلف والده في علم الفراسة،

٦) وتعليقات على ألفية جده لأمة الشيخ خليل الخشة،

٧) ومختصر مسند الإمام أحمد،

٨) ومختصر تاريخ ابن عساكر،

٩) ورسالة في فضل زيارات دمشق،

١٠) ورسالة في وعيد حرمان الورثة الضعاف،

١١) ومولد

١٢) ومعراج

١٣) وثلاثة دواوين خطب منبرية.

وبالجملة فقد كان وحيداً في عصره عالماً شجاعاً تهابه الحكام وتنقاد إليه العامة، وكانت الناس تقصده من كل مكان في المدرسة النورية الصغرى (بالعصرونية) لحل مشاكلهم الزوجية ومسائلهم الدينية، وكانت وفاته في صفر سنة ١٣١١هـ ودفن في مقبرة الدحداح، وقد خلف أربعة أبناء من فضلاء دمشق ووجهائها رحمه الله تعالى.

وأما ولده الثالث أبو الفتح الخطيب قال الشطي: هو أبو الفتح بن عبد القادر الخطيب الشافعي الدمشقي، ولد في حدود سنة ١٢٥٠هـ ونشأ في حجر والده وبه كان أكثر انتفاعه، وقرأ الفقه الحنبلي على جدنا الشيخ حسن الشطي في قصة طويلة ذكرناها في ترجمة والده، وأخذ عن غيرهما من علماء دمشق، وتصدر للتدريس في الجامع الأموي. وكان عالماً فقيها تقيا ورعاً راضياً بما قسم له حسن السيرة والسريرة يكره مخالطة الحكام وفي سنة ١٢٩٨ عين محافظاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق، وكان يُقْرئ فيها بعض الطلبة وقد حضرت عليه بعض الدروس النحوية،.... وما زال قائماً بالوظيفة المذكورة إلى أن توفي يوم عاشوراء سنة ١٣١٥هـ ودفن عند قبور أسرته في مقبرة الدحداح، قال: وأعقب ولده صديقنا القديم الأستاذ محب الدين أفندي، وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه، قال: أقرأ النحو والفقه في مدرسة الخياطين، وخطب في المدرسة الأحمدية، وأم في مسجد برأس الخياطين، وأنه شرح العوامل- والأجرومية- واختصر تاريخ ابن عساكر.إهـ مختصراً.

والرابع هو السيد أبو النصر الخطيب قال الشطي: هو أبو النصر بن عبد القادر الخطيب الشافعي الدمشقي، ولد سنة ١٢٥٣هـ تقريباً ونشأ في حجر والده وبه تخرج وانتفع، وهو أصغر إخوته، ولما جعلهم والدهم على المذاهب الأربعة حضر المترجم على الشيخ مصطفى التهامي في الفقه المالكي مدة، ثم أعادهم المذكور إلى مذهبه الشافعي، وقد جد المترجم واجتهد ودرس وخطب، وكان جسوراً فصيحاً بهي الطلعة حلو الحديث والنكتة جداً، يهابه الخاص والعام، وتحترمه الأمراء والحكام، رحل إلى الأستانة مراراً وتولى القضاء الشرعي في أقضية كثيرة منها النبك وصور ومنها يافا مرتين، وهي آخر ولايته، ثم استقر في دمشق وقد ناهز السبعين، وألقى دروساً عامة في الجامع الأموي برمضان، ودروساً خاصة في داره في الحديث والفقه والنحو، وجمع ثبتاً في أشياخه ومروياته، كان من عاداته إذا تولى القضاء في بلدة

أن يخطب في جامعها ويدرس فيحسن ويجيد، وإذا حضر مجلساً قبض على زمام الحكم فأفاد الحاضرين وآنس السامعين، وبالجملة فقد كان من نوادر عصره،وكانت وفاته فجأة في قرية التل، فحمل إلى دمشق وكانت له جنازة حافلة جداً ودفن في جوار إخوته بمقبرة الدحداح، سنة ١٣٢٤هـ.

وقد أعقب ولديه القاضيين السيد عبد القادر أفندي، والسيد أحمد بدوي الخطيب، رحمهم الله تعالى.

ومن أعيانهم كما في تاريخ علماء دمشق: **الشيخ السيد ثوبان بن محمد** بن عبد الله بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب ولد في ١٠ جمادى الأولى ١٢٧٠هـ ١٨٥٣ر ولما نشأ قرأ على علماء عصره، وظهرت عليه الألمعيَّة مبكراً، درّس الفقه والنحو بالجامع الأموي عند مقام سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام، وكان خطيباً لجامع السنجقدار، وإماماً في جامع فتحي، تولاهما ببراءة سلطانية، وكان معتدل القامة، تميل بشرته للسمرة، أسود العينين والحاجبين وعرف بالجرأة توفي ٢ ربيع الآخر ١٣٠٣هـ وكان آخر كلامه قبل أن تقبض روحه الله... الله... ورثاه أحد جيرته من النصارى بالقيمريه بقصيدة مطلعها:" مضى خَلَفُ الأبرار والسيد الطهر... ورثاه أيضاً الشيخ عبد الرحمن القصار، ودفن بمقبرة الدحداح رحمه الله تعالى.

ومنهم الشيخ السيد عبد الفتاح بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب ولد بدمشق في حي القيمرية ١٤ جمادي الأخرة ١٢٧٧هـ ١٨٦٠ر، ونشأ في رعاية الشيخ أبي الفتح الخطيب محافظ دار الكتب الظاهرية، ثم زوجه إبنته وعمره ١٨ عاماً أخذ من علماء آل الخطيب وخاصة عمه المذكور، وعين محافظاً لدار الكتب الظاهرية بعد السيد أحمد الحمزاوى (الحسيني) وكانت الدار آنئذٍ مرتبطة بالأوقاف، وسلمها منه الشيخ محمود العطار وتولى الإمامة في مسجد مدرسة فتحي بالقيمرية، والخطابة في جامع سيدنا عمر رضي الله عنه بحي مئذنه الشحم، وحج ثلاثين مرة، وله ديوان خطب صغير مخطوط..

كان رجلاً ربعة حليماً لطيف المعشر وكان صبوراً توفي نهار الجمعة ٢٦ رمضان ١٣٣٦هـ ١٩١٧ر وكان مرض من أول الشهر، ودفن في اليوم الثاني بمقبرة الدحداح رحمه الله تعالى وأولاده السادة: محمد شريف والعلامة محمد سهيل– وطه–، وبنت ماتت صغيرة.

ومنهم ولده العلامة شيخ الطريقتين القادرية والنقشبندية محمد سهيل بن عبد الفتاح الخطيب، ولد بدمشق سنة ١٣١٥هـ ١٨٩٧ر نشأ على طلب العلم والآداب، فقرأ القرآن وأتقن التفسير والحديث وأصول البلاغة والنحو والصرف والحساب وغيرها، كما أتقن اللغة التركية والفارسية والإنكليزية والفرنسية والأوردو، كما حاز العديد من الاجازات وخصوصاً من مشايخ دمشق والقدس وفاس، كما عمل مشجراً لكل من آل الخطيب وآل القاسمي على شكل جميل، ضمت أسماء العائلة حتى عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ر ووقع عليهما عدد من المشايخ ونقباء الأشراف، كما أنشأ رابطة لآل الخطيب القادرية الحسنية، وله من المؤلفات:

١) ديوان خطب ابن الخطيب

٢) الأذكار والصلاة على النبي المختار

٣) السيرة النبوية

٤) قصص الأنبياء

٥) الملاحم والفتن

٦) مناسك الحج

٧) الأدعية

توفي بدمشق سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ر ودفن في مقبرة الدحداح

ومنهم العالم الفاضل الزاهد السيد كمال الدين بن أبي الخير بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب ولد بدمشق سنة ١٢٨٧هـ ١٨٧٠ر، وتلقى علومه على والده ثم أخيه الشيخ جمال الدين، كما قرأ على غيرهما من مشايخ زمنه، وحضر دروس الشيخ بدر الدين الحسني، تولى الخطابة في الجامع الأموي نيابة عن أخيه الشيخ جمال الدين الذي سافر إلى البصرة قاضياً، وكانت خطبه مؤثرة في النفوس يعالج فيها الأوضاع التي تحدث أيام الدولة العثمانية، وبعد عزله تولاها الشيخ نجيب كيوان، كما بنى أخوه الشيخ جمال الدين غرفاً للطلاب في مدرسة القلبقجية وأوكل إليه أمر إدارتها والإشراف عليها.

وكان سخياً على الأيتام والأرامل، ولم يتزوج مع أنه عني بتزويج إخوته والإنفاق عليهم زمن دراستهم، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وله نكات لطيفة، وفي آخر حياته جعل يخلو للعبادة في غرفة له بالسيمصاتية، توفي سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢٠ر ودفن بالدحداح، وشهد جنازته خلق كثيرون، رحمه الله تعالى

ومنهم الشيخ السيد حسن الخطيب بن أبي الفرج بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب ولد في حي القيمرية بدمشق سنة ١٢٧٣هـ ١٨٥٦ر ونشأ بها، تلقى علومه على والده، وتمكن في الفقه الشافعي والفرائض كان له حلقات في الجامع الأموي منذ شبابه، ثم تولى إدارة مدرسة الخياطين إلى جانب التدريس فيها، واشتغل بالعمل في أرض له في المنطقة المعروفة اليوم بجادة الخطيب، وكان يحج على نفقته كل عام، وكان طويلاً جسيماً جريئاً ذا هيبة، مرض في حجته الأخيرة، وتوفي بعد رجوعه إلى دمشق سنة ١٣٤٢هـ ١٩٢٣ر ودفن في الدحداح، وكتب على قبره أبيات منها:

قمــر فقــدنا في الضــريح ضــياءه ... مُــذْ نــال في روض الجنــان صــفاءه
مــاذا يرجــي اليــوم بعــد وفاتــه ... وطــن طــوى تحــت الثــرى علمــاءه
حسن الخطيب سليل بيت المصطفى ... مــن شــاد للعلــم الصــحيح بِنَــاءه

ومنهم العالم الصوفي المحدث الفقيه الحنفي الشيخ السيد عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الرحمن بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب القادري الحسني، ولد بدمشق سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧١ر، وحفظ القرآن الكريم صغيراً، ولازم علماء عصره، كالشيخ السيد بكري العطار الشافعي القادري- والسيد محمد أبو النصر الخطيب إبن عم والده- والشيخ يوسف النبهاني،وأخذ الفقه الحنفي عن مفتي الشام الشيخ محمد عطا الكسم، وروى عن الشيخ أحمد بن مصطفى العمري نزيل القسطنطينية.

أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ السيد صالح الأزبكي القادري، والشاذلية عن السيد علي نور الدين اليشرطي شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية(التي حرفها بعض أتباعه فأدخلوا فيها عقيدة الحلول والوحدة المطلقة فحذر منهم وتبرأ منهم) وأخذ النقشبندية عن الشيخ أسعد

الاربيلي الكردي- والرشيدية عن الشيخ محمد الدندراوي تولى سنة ١٣٠٨هـ الإمامة في الجيش بعد أداء امتحان، ثم نقل لإمامة المدارس الحربية في الأستانة، ثم تولى مأمورية الإعاشة...، ثم عين إماماً في مركز الجيش الخامس بدمشق، ثم نقل إلى عكا، فأحيا هناك مكتبة الجزار، ثم سافر إلى سيروز في البلقان، ومنها إلى أشتيب، ثم نقل إماماً إلى المدارس الحربية في الأستانة مرة أخرى،

ثم تولى تعليم أبناء السلطان عبد الحميد، فكان يعظهم ويحذرهم الغرور وتقلبات الأيام، ثم أحيل إلى التقاعد، فزار مصر، ثم عاد إلى دمشق وانكبَّ على التأليف، فترك مؤلفات عديدة منها:

١) حزب الكفاية لأهل البداية (جمع فيه أدعية تقرأ في اليوم والليلة)

٢) كنوز الأنوار الفاخرة لمبتغي السعادة في الدنيا والآخرة (مجموع أوراد)

٣) حاشية إيضاح الأسرار الزاهرة على كنوز الأنوار الفاخرة

٤) الفريدة العلياء في شروط الدعاء

٥) الخبر المؤيد والخير المؤكد في فضل اسمي أحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم

٦) بغية الإنسان فيما يدفع النسيان

٧) سلوة الفؤاد في فضل موت الأولاد

٨) الدرر المنيرة المعتبرة في خصائص حملة القرآن المفتخرة

٩) الأنوار المبهجة على قصيدة المنفرجة للإمام الغزالي

١٠) الشدائد والأهوال في خبر المسيح الدجال (بالتركية)

١١) المقامة المسعودية في الشمائل المحمودية(ألفها في مدح ناظر الحربية محمود شوكت باشا)

١٢) عقود الزمرد والفيروز في كيفية إعلان الحرية في سيروز

١٣) الرياض العبهرية في الخطب المنبرية- لم يتم-

١٤) تنوير القلوب والأفكار في خلاصة الأدعية والأذكار(لم تتم ألفها لتلاميذ المدارس الابتدائية)

١٥) معارج الترقي الجدية في تهذيب أخلاق أفراد الجندية (لم تتم)

١٦) الرد على عبد القاهر الجبار في تخليد الكافر في النار (لم تتم- ردّ فيها على موسى القازاني)

١٧) الأخلاق المرضية في الحكم النبوية

وكان رحمه الله رقيق القلب، شغوفا، رحيماً، كثير الحزن على ما أصاب الأمة، ناقماً على الظلمة، لزم في أواخر عمره داره لا يخرج منها، توفي ١٧ المحرم سنة ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ر، ودفن في مقبرة الباب الصغير، رحمه الله تعالى

وأولاده السادة: محمد- وأحمد- وأحمد حمدي- ومحمد برهان- ووديع، وللسيد عبد الرحمن شقيق هو السيد محمد صالح بن أحمد، وستأتي ترجمته.

- **ومنهم العالم الصوفي الشيخ السيد عبد الرحمٰن بن العلامة السيد رشيد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب**، ولد بدمشق في ٣ رمضان ١٣٠٧هـ ١٨٨٩ر، توفي والده وعمره ٩ سنوات فكفلته والدته وعمه الشيخ عبد الرحيم، ولما نشأ التحق بمدرسة الملك الظاهر، ثم طلب العلم على كثير من العلماء كأخيه السيد هاشم والشيخ أحمد الجوبري- والشيخ عطا الكسم- والشيخ مصطفى الطنطاوي- والسيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني- والسيد شريف اليعقوبي الحسني- والشيخ محمد المبارك- والسيد أبي النصر الخطيب- والسيد عبد القادر حلمي الخطيب- والسيد كمال أحمد الخطيب - والسيد عبد الرحيم دبس وزيت- والشيخ قاسم مدور- والشيخ عبد الوهاب الشركة- والشيخ كامل الزين- والسيد محمد بدر الدين الحسني- والسيد عبد الحي الكتاني- والشيخ صالح التونسي- والشيخ نجيب كيوان- والشيخ أمين سويد- والشيخ سليمان جوخدار- والشيخ محمد الكافي- والشيخ طه كيوان- والسيد حسن الخطيب، وغيرهم.

سلك الطريقة النقشبندية على الشيخ عبد الرزاق الطرابلسي- والقادرية على الشيخ بهاء الدين الأفغاني- والشاذلية على الشيخ محمد المبارك- والرشيدية على الشيخ صالح الرشيدي بمكة المكرمة، كما أخذ إجازات خطية وشفوية عن عدد من مشايخه.

أولع بالرياضة في مطلع شبابه، وشغف بالفروسية ودخل عدة مباريات شعبية فاز بها، وعمل بالتجارة مدة مع أخيه السيد محمد هاشم الخطيب في سوق الخياطين وسوق البزورية،

ولم يكتب لهما النجاح فيها أدَّى الخدمة العسكرية في الجيش العثماني في الحجاز، وبقي هناك سنتين حتى دخول الأمير فيصل دمشق.

إشترك في رحلة علماء دمشق المشهورة إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة عام ١٣٥٩هـ ١٩٤٠ر وانتخب رئيساً للوفد الذي قابل الملك عبد العزيز، كما شارك مع أخيه السيد هاشم في الجمعية الغراء، وهو أحد مؤسسي جمعية التهذيب والتعليم، كما كان أحد أعضاء جمعية العلماء درس في الجامع الأموي بطلب من أخيه الشيخ هاشم ونيابة عنه- فأقرأ كتاب الجامع الصغير بالمعزبة الوسطى أمام محراب الشافعية بعد الفجر، وكان من قبل قد أقرأ النحو في مدرسة القلبقجية، كما درس في المدرسة العلمية التجارية، وخطب في مساجد عديدة بدمشق ثم عين أخيراً خطيباً للجامع الأموي عام ١٣٥١هـ وبقي كذلك حتى وفاته، وكانت خطبه مؤثرة، واجتمعت فيه صفات الخطيب، وكان جهوري الصوت يسمع من في الجامع على رحابته.

وكان أطول آل الخطيب قامة وأضخمهم جثة، وكان يحث على الجهاد زمن الاستعمار، حسن السيرة صادق القول، وكانت له خلوة ليلة الجمعة لا يقابل فيها أحداً، يقضي معظم الليل في العبادة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

توفي سنة ١٣٦٧هـ ١٩٤٧ر في بيته بزقاق البرغل قرب باب الجابية، وصُلي عليه بالجامع الأموي، ولم يتسع لجثته نعش فصنع له نعش خاص، وكانت جنازته حافلة جداً، ودفن بمقبرة الباب الصغير، ووقف على قبره ما يزيد عن عشرين عالماً،ورثاه ابن أخيه الشيخ بشير الخطيب والشيخ محمد صالح فرفور والشيخ محمود المنيني والأستاذ وحيد عقاد رحمه الله تعالى.

ومنهم شقيقه العالم الفاضل الصوفي شيخ الطريقة القادرية السيد محمد هاشم بن السيد رشيد الخطيب القادري الحسني، ولد بدمشق سنة ١٣٠٤هـ ١٨٩٠ر، تلقى علومه على يد مشايخ دمشق، وحفظ القرآن وأتقن تفسيره وتلاوته، وحصل إجازات كثيرة في مختلف الفنون، ودرس في معاهد دمشق وكثير من مساجدها، وشارك في الثورة ضد الفرنسين وكان من أوائل الداعين للثورة ضدهم، وكان شديد النكير على أهل البدع من الفرق الشاذة المدسوسة على المسلمين، وله مؤلفات منها:

١) كتاب مفتاح السعادة

٢) وديوان الحيران

٣) خلاصة الرد في انتقاد مسيح الهند القادياني

٤) فواصل الحدود بين المتهورين وأهل الجمود

٥) رسالتان في الحجاب

توفي عام ١٣٧٨هـ ١٩٥٨ر بدمشق ودفن بمقبرة الدحداح.

(قلت المقصود بالقادياني غلام أحمد القادياني من الهند كان عميلاً لبريطانية، وهو رجل ادعى النبوة وصار له أتباع، وادعىأنه هو المسيح وأنه هو المهدي المنتظر، وقد أهانه الله حيث مات في بيت الخلاء، فقال أتباعه الأنبياء يدفنون حيث يموتون، فدفنوه في الخلاء، في بدء أمره أعتقد أتباعه نبوته ثم عبده بعضهم بعد ذلك، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه لا نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحكم من اعتقد جواز نبوة أحد بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التكفير قطعاً بإجماع الأمة، ثم إن هؤلاء الجماعة حرفوا الكثير من أمور الدين تارة بالتأويل وتارة بالنفي، وقد ظهر عدد من القاديانية في لبنان وغيره من البلاد العربية بسبب انتشار الجهل بالعقيدة عند كثير ممن ينتسب للإسلام، فيجب التحذير من هذه الجماعة).

ومنهم ولده العالم الصوفي خطيب الجامع الأموي وشيخ الطريقة القادرية السيد محمد بشير بن محمد هاشم الخطيب الشافعي ولد بدمشق يوم السبت ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٢٨هـ ١٩١٠ر، قرأ على والده، وحفظ القرآن، وكان يتدارسه مع ابن عمه الشيخ واصف، وقرأ على السيد بدر الدين الحسني في دار الحديث وحصل منه إجازة في ٢٠ شوال ١٣٥٢هـ، ومن الشيخ أبي الخير الميداني عام ١٣٥٣، ومن الشيخ أحمد الجوبري سنة ١٣٥٤، وله إجازة من والده سنة ١٣٥٤، وكان يتقن الفقه على المذهب الشافعي، تولى الخطابة في الجامع الأموي بعد وفاة عمه الشيخ عبد الرحمن ودرس فيه بعد والده كما خطب في حي المهاجرين بجامع الشمسية وفي جامع السنانية بباب الجابية، وعلم في عدد من المدارس كما كان شاعراً أديباً، وخطيباً مفوهاً بارزاً جهوري الصوت أشبه والده بأدائه للخطبة،وكان يفضل العزلة عن العامة توفي يوم الاثنين ٢ المحرم ١٣٨٢-٤ حزيران ١٩٦٢ر ودفن بمقبرة الباب الصغير، من أولاده : السيد محمد.

ومنهم العالم الصوفي الزاهد **السيد محمد توفيق بن السيد حسن بن أبي الفرج بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن السيد محمد الخطيب** ولد سنة ١٣٠٨هـ ١٨٩٠ر، ونشأ في رعاية أبيه الفقيه، وعنه تلقى علومه الشرعية، وقرأ على غيره من العلماء كالشيخ خليل الخشة خاله، والشيخ عطا الله الكسم.تمكن في الفقه الشافعي وعلوم العربية، وأجاد التركية كلاماً وكتابة إضافة إلى معرفة الألمانية والتشيكية، وألمّ بالفارسية إلتحق بالجيش التركي عند قيام الحرب العالمية الأولى وكان إمام طابور، ووقع خلال الحرب أسيراً بمجدل عنجر، ثم أطلق سراحه مع نهاية الحرب إشتغل بتجارة مواد البناء مع أخيه أكثر من عشر سنوات، وكان له بستان يعمل فيه تولى الخطابة في مساجد عديدة بدمشق كمسجد مدرسة الخياطين وجامع سيدي جركس بسوق القطن –ومسجد مدرسة عبد الله باشا، وكان مسجد باب السلام آخر مسجد خطب فيه، ودرس في الجامع الأموي نحو أربعين عاماً عند مقام سيدنا يحيى، وكان الطلاب الأتراك يقصدونه يدرسون عنده، وكثيراً ما كان علماء استنبول يزورونه، ومن تلاميذه الشيخ جمال الأحمر والشيخ كمال الأحمر، وحج إحدى عشر مرة توفي غرة جمادى الأولى سنة١٣٩٠. ١٩٧٠ر وصُلي عليه بجامع الفردوس، ودفن بمقبرة الدحداح بالروضة على والده، رحمه الله تعالى.

ومنهم شقيق السيد محمد بشير **الشيخ السيد محمد رشيد بن محمد هاشم بن العلامة السيد رشيد... الخطيب الحسني** ولد يوم الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٣١هـ ١٩١٢ر، قرأ على والده وكان له به اعتناء شديد، وحضر دروس السيد بدر الدين الحسني قدس سره.درس في المدرسة القلبقجية، وترأس جمعية التهذيب والتعليم التي أسسها والده، وكان يخطب في الجامع الأموي يتناوب على الخطابة فيه هو والشيخ أبو الفرج الخطيب،كما كان يخطب بجامع السنجقدار.

له ديوان خطب في نحو ٣٠٠ صفحة، وكان لطيف المعشر مهيباً كثير الذكر، جهوري الصوت ضخمه، استشهد سنة ١٤٠١–١٩٨١ر بعد خروجه من الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة، رماه بالمسدس أحد الأشخاص على دراجة وهو في زقاق المارستان بالحريقة، وكانت بصحبته زوجته وابنته، وصلي عليه بالجامع الأموي في اليوم التالي، ودفن في مقبرة الباب الصغير، ولم ينقطع نزيف دمه حتى إدخاله القبر.

ومنهم العالم الصوفي المجاهد السيد محمد صالح بن أحمد بن عبد الرحمن بن صالح ... الخطيب القادري الحسني ولد في عكا بفلسطين سنة ١٣١٣هـ ١٨٩٢ر حيث كانت أمه في زيارة ابنها البكر السيد عبد الرحمن الخطيب،إمام الجيش العثماني بعكا، ثم عادت به إلى دمشق حيث ظل فيها حتى وفاة والده الشيخ أحمد سنة ١٣٢١هـ ١٩٠٣ر فتولى رعايته شقيقه السيد عبد الرحمن ، وأخذ يتنقل معه من مدينة إلى أخرى، وكان الشيخ صالح يتابع تحصيله العلمي ضمن تنقلاته، وبعد تمكنه صار مدرساً، ومشايخه من دمشق وعكا وتركيا، وفي الحرب العالمية الأولى دُعي للخدمة العسكرية،وأتم دورتين للتدريب في ضواحي استنبول لضباط المشاة والمدفعية، ثم شارك في معارك فلسطين ثم شارك في موقعة ميسلون مع أخيه الشيخ كمال الدين سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢٠ر فاستشهد شقيقه كمال الدين ووقع الشيخ محمد صالح في الأسر، ثم أطلق سراحه، وبعد إطلاق سراحه تفرغ للتدريس والإرشاد في مساجد دمشق ومدارسها، وقد ترك السيد صالح الخطيب مؤلفات كثيرة طبع بعضها، ومن مؤلفاته:

١) سفينة الدر الثمين في مدائح الرسول الأمين

٢) الإستجابة لنصرة الخلفاء الراشدين والصحابة

٣) وهداية المسترشدين إلى معرفة عقائد العارفين

٤) والمورد السني في ترجمة سيدنا عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني

٥) والبرهان الأزهر على براءة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي

٦) والقول اللطيف- وموجز المقال في جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وغيرها.

توفي بدمشق سنة ١٤٠١-١٩٨١ر، ودفن رحمه الله بمقبرة الباب الصغير.

ومنهم الشيخ السيد العلامة رشيد بن محمد الخطيب بن عبد الله بن عبد الرحيم المتوفى سنة ١٣١٦هـ.

وشقيقه الشيخ السيد عبد المطلب بن محمد المولود سنة ١٢٨٥هـ ١٨٦٨ر بدمشق جاور في المدينة المنورة وتوفي بها سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ر.
والشيخ السيد محمد بن عثمان الخطيب المتوفي سنة ١٣٠٨هـ.
والشيخ السيد سليم بن عبد الرحمن الخطيب المتوفى سنة ١٣٣٢هـ.
والشيخ السيد شريف بن عبد الفتاح المتوفي ١٣٧٠هـ والشيخ الحافظ المعمر السيد صالح بن عبد الرحمن بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب، المولود سنة ١٢٢٩هـ ١٨١٣ر المتوفى سنة ١٣٢٨هـ١٩١٠ر.
والشيخ السيد عبد القادر بن أبي الفرج المتوفى سنة ١٣٥١هـ.
والشيخ السيد عبد العزيز بن سليم الخطيب المتوفي سنة ١٣٦٦هـ.
والشيخ السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المجاور في المدينة المنورة خمسين سنة، ولد سنة ١٢٦٣هـ ١٨٤٦ر وتوفي بدمشق سنة ١٣٣٧هـ ١٩١٨ر.
والشيخ السيد محمود بن صالح الخطيب المتوفي سنة ١٣٦٠هـ.
والشيخ السيد محمد بن عبد الله الخطيب المتوفي سنة ١٤٠٣هـ وغيرهم.

وهكذا نجد في هذا الفرع الكيلاني الذي ظهر فيه آل القاسمي وآل الخطيب الكثير من العلماء والصالحين والذين ظهر على يد بعضهم الكرامات إلَّا أن شهرتهم بالعلم غطت على ذكر كراماتهم، على أن العلم والاستقامة من أعلى الكرامات، ونجد أيضاً أنهم كانوا على العقيدة الأشعرية والمذهب الشافعي والمشرب الصوفي نفعنا الله بالصالحين منهم وقدست أسرارهم آمين.

(ملاحظة)

ذكر العلامة السيد أبو الهدى الصيادي الرفاعي القادري في كتابه الروض البسام :" أن من ذرية الإمام عبد القادر رضي الله عنه جماعة من آل الخطيب بديار حوران في سوريا يقال لهم آل سليمان الخطيب" وقد ظهر فيهم عدد من المشايخ ولكن لم أطلع على تراجمهم.

وهناك عائلة أخرى من آل الخطيب يعود نسبها إلى الإمام الحسن السبط عليه السلام، ولكن ليس من طريق الإمام عبد القادر ولا الحسن المثنى عليه السلام، بل يعود نسبهم إلى

السيد أبي علي الحسين الخطيب بن محمد بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن الأمير ابن زيد ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام، كما ذكره السيد إيهاب بن يعقوب الكتبي الحسني في كتابه المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى.

وهناك احتمال على أن فرعاً يكنى بآل الخطيب من طريق الإمام السيد عبد السلام بن مشيش الحسنى قدس سره.

ويوجد فرع حسيني يكنى بآل الخطيب أيضاً يعود نسبهم إلى السيد أبي الحسن عيسى(الخطيب) ابن السيد موسى الثاني ابن الإمام إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الشهيد الحسين السبط عليه السلام وانتشارهم ببلاد فارس والعراق.

وفي جبل لبنان عائلة تكنى بآل الخطيب أو آل الفقيه الخطيب، يعود نسبهم إلى الإمام الحسين رضي الله عنه، جدهم الأعلى هو الشيخ السيد محمد الفقيه الخطيب نزيل جبل لبنان وهو ابن الشيخ جعفر الفقيه ابن السيد هاشم الجواد بن أحمد بن محمد أبي القاسم بن سليمان بن علي نور الدين بن حمزة بن الحسن شرف الدين بن علي بن الحسين بن يحيي الفقيه بن القاسم بن عبد الله بن هاشم الأصغر بن جعفر الشامي بن عيسى بن محمد بن هاشم الأكبر بن جعفر الشهير بابن الطيار ابن أبي الحسين علي الرومي النقيب بالمدينة ابن محمد الأزرق نقيب أشراف المدينة ابن السيد علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق...، ويوجد في فلسطين جماعة من هذا الفرع.

وفي حماه عائلة من آل الخطيب يحتمل أنهامن نسب الإمام الجيلاني.

وبالنسبة لآل الخطيب وآل الحفار الخطيب في طرابلس الشام الذين ظهر فيهم عدد من العلماء والأولياء فكونهم من آل البيت أمر معروف مشهور عندنا إلا أنِّي لم أطلع على شجرة نسبهم ولكن حدثني من أثق به أن نسبهم يعود إلى الإمام الجيلاني،وقال لي: أنه اطَّلع على نسبهم كما قرأ على قبور بعض مشايخهم نسبتهم إلى الإمام الجيلاني.

- فمن مشايخ آل الخطيب في طرابلس الشام **العالم الكبير السيد عبد الحميد الخطيب**، ولد بطرابلس سنة ١٢٦٥هـ ١٨٤٨ ر،تلقى علومه أول أمره على يد علماء طرابلس ثم رحل إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف حتى تخرج، ثم عاد إلى طرابلس وتصدر للتعليم والارشاد

وتسليك الطريقة الشاذليه فانتسب إليه الكثير من أبناء طرابلس وتخرج به غير واحد، وكان على قدر من رجاحة العقل والاخلاق وكان شاعراً ومُجيداً للوعظ، وله شعر في مدح السلطان عبد الحميد ومحمد باشا الموفد من السلطان عبد الحميد لإنشاء مدرسة في مشحة عكار، وهو الذي أطلق عليها اسم المدرسة الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد.

كان الشيخ عبد الحميد الخطيب محمود السيرة أثنى عليه علماء طرابلس منهم الشيخ حسين الجسر كان يقول فيه: (المرشد الكامل المربي للمريدين بطريقة الإمام أبي الحسن الشاذلي قدست أسرارهم)، والشيخ ظافر الخطيب ابن الشيخ عبد الحميد تخرج أيضاً من الأزهر الشريف.

- ومنهم **الشيخ العارف بالله محيي الدين الخطيب**، ولد بطرابلس عام ١٢٨٢هـ ١٨٦٥ر تلقى علومه على علماء طرابلس، منهم الشيخ أبي المحاسن القاوقجي والشيخ عبد الحميد الخطيب والشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ محمود نشابة وغيرهم، وكان شاذلياً قادرياً، فوضت إليه المدرسة الحميدية في مشحة عكار لمدة ثم عاد إلى طرابلس يدرس في مساجدها وفي مدرسة الخيرية الاسلامية، كما تولى الخطابة والتدريس في جامع الاويسية القريب من قلعة طرابلس.

وقد تتلمذ على يديه عدد كبير، من أشهرهم، الشيخ عبد القادر الشلبي الطرابلسي الذي جاور بعد نيل إجازته المدينة المنورة – وأيضاً الشيخ عارف المولوي – والشيخ فخر الدين القاوقجي ابن شيخه أبي المحاسن – والشيخ بدر الدين الزعبي الجيلاني الطرابلسي – والشيخ محمد وشقيقه رشيد مرحبا – والشيخ خالد الكيلاني مفتي عكار – ونور الدين الإمام مفتي اللاذقية – والشيخ كامل البابا – والشيخ رامز الملك الطرابلسي - والشيخ ناصر الميقاتي خادم الأثر الشريف في طرابلس مدة ثلاثين سنة والمؤقت لمواقيت الصلاة، وغيرهم.

ترك الشيخ محيي الدين الخطيب عدة مؤلفات ورسائل في الفقه والتوحيد والفرائض وغيرها، وكانت دروسه تشتمل على العلوم الفقهية والتوحيد والتفسير والحديث واللغة والتصوف، توفي قدس سره سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٤ر. ذكره المؤلف درنيقة في الطبقات الشاذلية.

- **ومنهم الشيخ القاضي محمد رشاد بن محيي الدين الخطيب الطرابلسي**، ولد يوم الاثنين ١٤ من ذي الحجة سنة ١٣١٩هـ ١٩٠١ر بمحلة القبة بطرابلس الشام تلقى علومه

على والده شيخ مشايخ طرابلس محيي الدين الخطيب المذكور آنفاً، وفي عام ١٣٥٨هـ ١٩٣٩ر عُين مدرساً في مدرسة القاضي عمر، وفي عام ١٣٧٣هـ ١٩٥٣ر تولى القضاء في محكمة عكار، ثم في عام ١٣٧٩هـ ١٩٥٩ر ألقيت عليه وظيفة قراءة صحيح البخاري على الناس في جامع طينال، ثم أصبح في ما بعد مستشاراً لدى المحكمة السنية، وكان للشيخ محمد رشاد شقيق اسمه وجيه قُلد منصب القضاء أيضاً، توفي الشيخ محمد رشاد بن محيي الدين الخطيب سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ر، ذكره المؤلف درنيقة في الطبقات الشاذلية.

وذكر لي بعض آل الخطيب المستوطنيين في مدينة بيروت أن نسبهم يعود إلى الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وأنهم فرع من آل الخطيب الدمشقيين.

وهناك عدة عائلات تكنى بآل الخطيب لا يعود نسبهم إلى آل البيت النبوي صلى الله عليه وسلم، وهذا الأمر معلوم عند أهل المعرفة. ذكره المؤلف درنيقة في كتابه قضاة الشرع والافتاء في طرابلس.

آل الكليدار في بغداد والعراق

يوجد في العراق عدة عائلات بأسماء مختلفة من ذرية السيد عبد الرزاق منم آل الكليدار، سموا بذلك لأنه وجهت إليهم سدانة الحضرة الكيلانية.

منهم:

الشيخ السيد عمر.

والشيخ السيد عثمان،وجهت لهما الكليدارية سنة ١١٥٠هـ بفرمان.

والشيخ السيد فرج الله بن السيد عمر، وجهت له السدانة بعد أبيه بفرمان سنة ١١٧٦هـ ثم عين نقيباً للأشراف.

والشيخ السيد عبد العزيز بن السيد عبد القادر، نقيب الأشراف سنة ١٢٣٢هـ وقد توفي سنة ١٢٤٦هـ في مرض الطاعون ودفن في الحضرة الكيلانية.

قاله الشيخ يونس بن إبراهيم السامرائي في كتابه الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ثم قال: وأخيراً أشغل جهة الكليدار السيد مصطفى ثم أشغلها بعد وفاته ولده السيد أحمد شرف الدين، ثم أشغلها بعد وفاته ولده السيد سالم الكليدار، وهو الكليدار الحالي.

وفي مصر من ذرية السيد عبد الرزاق ذرية الشيخ السيد رضوان الكيلاني بن يونس بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن الحسن بن محمد بن عامر الكبير بن ياسين بن رضوان بن محمد بن نافع بن محمد بن نافع بن سرور بن ملاك بن محمد بن عبد الرزاق بن شرف الدين ابن النقيب أحمد بن علي الهاشمي ابن شهاب الدين أحمد ابن شرف الدين قاسم ابن محيي الدين يحيى ابن نور الدين حسين ابن علاء الدين علي ابن شمس الدين محمد ابن سيف الدين يحيى ابن ظهير الدين أحمد ابن أبي نصر محمد ابن أبي صالح عماد الدين نصر ابن أبي بكر تاج الدين الحافظ عبد الرزاق ابن الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه...

وفي الهند فرع من كيلانية حماه وهم من ذرية الشيخ السيد محمد عبد القادر الكيلاني الذي توفي في الهند سنة ١٣١٣هـ كما ذكر صاحب كتاب (ذيل شمس المفاخر ذيل قلائد الجواهر)،تفرعت ذريته من ولده السيد عبد الرزاق بن محمد عبد القادر بن أحمد الكيلاني

الحموي ابن خالد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن ابن محيي الدين ابن تاج العارفين ابن النقيب شرف الدين ابن النقيب أحمد ابن السيد علي الهاشمي الكيلاني الحموي...
وفي الهند فروع أخرى من ذرية الإمام الجيلاني.

وفي الأردن من ذرية سيدي الحافظ عبد الرزاق قدس سره عشيرة الربايعة

وتعرف باسم (رباع الكيلاني)،نسبة إلى السيد رباع ابن السيد علي ابن السيد عبد الرزاق ابن الإمام الجيلاني رضي الله عنه ، استوطن السيد رباع وادي اليابس ببلدة جديتا في لواء الكورة من الأردن الحاليةو كان هذا الوادي لشدة وعورته وعزلته ملجأً لقطاع الطرق والسارقين والفارّين من السلطة،وبذل جهده فيهم فكانوا يتوبون على يديه وانتشر بينهم الصلاح ورأوا منه الكرامات، فأكسبه ذلك احترام الأهلين وسكان القرى المجاورة فزوجوه منهم، وأنجب ولديه السيد موسى وعيسى، وذريته اليوم لها انتشارٌ واسع في عدة قرى في الأردن، وحوران من سوريا، وفلسطين وكان لهم عدة زوايا. نقلاً من كتاب(هكذا ظهر جيل صلاح الدين) للدكتور ماجد عرسان الكيلاني.

ذرية السيد عبد العزيز ابن الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما

قد قدمنا أن السيد القطب الشهير أبا بكر عبد العزيز قد رحل إلى الجبال قرب عقرة في الموصل واستوطنها في حدود سنة ٥٨٠ هـ، بعد أن غزا عسقلان، وأما الجبل المعروف بجبل عبد العزيز في الدولة السورية القريب من الحدود العراقية فهو نسبة للسيد أبي بكرٍ عبد العزيز ابن القطب المجدد السيد علي نور الدين الكبير، وهو من ذرية السيد عبد العزيز ابن الإمام الجيلاني قدست أسرارهم الطاهرة.

وقد أعقب ذرية طيبة صالحة، ولا يزال الصلاح ببعض ذريته حتى الآن، كيف لا وهو سليل السادة الأطهار الأشراف.

أعقب السيد عبد العزيز القطب الشريف شيخ الطريقة القادرية العزيزية .

١) **السيد محمد الجبالي أو الحيالي الملقب بالهتاك وبالذهبي**،وهو أعقب:

٢) **القطب الكبير السيد محمد حسام الدين شرشيق،** وقيل تشرشيق، وقيل في بعض التراجم عكس هذا أي أن السيد حسام الدين محمد وهو الذي أعقب السيد محمد الهتاك، والسيدة زهرة، والأول هو الصحيح.

والسيد محمد شرشيق كان من أكابر الصالحين مع كونه مات شاباً، قال الحافظ الذهبي :" مات الشيخ شرشيق سنة ٦٥٢هـ شاباً عن أربع وعشرين سنة"، وقال التادفي : قال ولده الشيخ محمد الأكحل: ما سمي بهذا الأسم- أي شرشيق- إلا برؤيا، وأن في القرية المدفون بها شيخا متقدماً مدفوناً بها اسمه هكذا .توفي السيد محمد شرشيق بالجبال ودفن بها،وقد أعقب:

٣) **الإمام العلامة المحدث السيد محمد شمس الدين الأكحل قدس سره** قال التادفي:" ولد في رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة ٦٥١هـ قبل موت والده بسنة، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وسبعمائة في أول ذي الحجة، وقد ولد مكحول العينين فلقب بالأكحل.

وفي الذيل على تاريخ الذهبي قال:

" الشيخ الإمام الزاهد الكبير بقية المشايخ شمس الدين أبو الكرم محمد ابن الشيخ شرشيق ابن الشيخ محمد الجبالي ابن السيد عبد العزيز ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر أبي صالح الجيلي ثم السنجاري الجبالي الحنبلي، ولد في رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة بقرية

الجبال، فيها قبور آبائه، سمع من الفخر النجار- وأحمد بن محمد النصيبي، وبمكة من عبد الرحيم بن الزجاج، وبالمدينة من العفيف مزوع، وحدّث بدمشق وبغداد، وحج غير مرة،وسمع منه بنوه الحسام عبد العزيز- والبدر حسن- والعز حسين- والظهير أحمد، وشمس الدين بن سعد، وآخرون.

وكان ذا زهد وصلاح وأتباع وصدارة كبيرة في تلك البلاد ووجاهة، وكان مقصوداً بالزيارة لفضله ولبيته، وله فعل وافر، وفيه تواضع وخير عَمَّرَ دهراً، وتوفي في أول الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ودفن عند آبائه.

وقال الشيخ المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري في تاريخه:" وفي يوم السبت الثامن من شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وسبعمائة ورد إلى دمشق الشيخ الصالح شمس الدين السيد الصالح محمد ابن الشيخ أبي بكر عبد العزيز ابن الشيخ الإمام القدوة أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، ونزل بالزاوية السلارية قاصداً الحج... مولده ليلة الجمعة نصف رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة بالجبال " بلد من أعمال سنجار"... قال: قبر والده هناك وجده وجد والده، وأنه حج مرة أخرى.... قال: وأدرك من حياة والده أربعة أشهر، وهو مشهور بتلك الديار وله سماط ممدود ولأولاده، وأصحاب البلاد والرعايا يعظمونهم ويكرمونهم، ويقصدون زيارتهم، وتلبس الناس الخرقة (القادرية العزيزية) منهم، قال: فلما قدم أُكْرِمَ بحلب ودمشق وغيرهما من البلاد وتلقاه الفقراء والمشايخ وحضر عنده أعيان الناس، واجتمع بنائب السلطنة، ولبس خلق كثير منه الخرقة القادرية، وحضر جامع دمشق يوم تكملة قراءة البخاري الذي يقرأه ابن البرزالي، وسمع منه الناس.

وقال الحافظ أبو المعالي محمد بن رافع السلامي في تاريخه بعد كلام:" أنه حدث بالأحاديث التي أخرجها الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد بسماعه بدمشق المحروسة، وحدث ببغداد، سمع منه ابن الرقوقي، وابن السيرجي... وقال: كان حسن الخلق والخُلُق فاضلاً زاهداً عابداً من أهل السنة، له وَقْعٌ في القلوب وجلالة، وفيه إيثار وله وجاهة وللناس فيه اعتقاد زائد.

وقال الامام أمير المحدثين العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة:

" محمد بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلي، شمس الدين أبو الكرم ابن أبي الفضل السنجاري حفيد الشيخ عبد القادر ولد في رمضان... وكان يعرف بالحيالي "بمهملة وتحتانية خفيفة" نسبة إلى الحيال بسنجار نزلها جده الأعلى عبد العزيز... وكان أبو الكرم حفظ القرآن وتفقه وسمع بدمشق من الفخر بن البخاري وغيره، وحدثٍ بدمشق وبغداد والحيال، وكان مشهوراً بالصلاح والعبادة والسماح، ولم يمس كفه ذهباً ولا فضة في طول عمره من الجود المفرط والحشمة والإحسان للناس والتودد، وكان هو وأهل بيته معروفين بمناصحة الاسلام والمسلمين، ومات في سلخ ذي القعدة أو في أول ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وأولاده: الحسام عبد العزيز (يعني حسام الدين) والبدر حسن (بدر الدين) — والعز حسين (عز الدين)– والظهير أحمد (ظهير الدين). رضي الله عنهم،و ذكر التادفي ولداً خامسا" هو: نور الدين علي.

فاما ولده السيد بدر الدين حَسَنُ قال الحافظ محمد بن رافع في معجمه بعد ذكر نسبه الطاهر: سمع من والده ودخل بغداد وقدم علينا دمشق قاصداً الحج في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ونزل بزاوية السلارية بظاهر البلد، وحج، ولما رجع نزل بالمكان المذكور فاجتمعت به وكان مهيباً وقوراً حسن الخلق والخلق كريم النفس جميل الهيئة، أجاز لي ما يرويه من الحديث.

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه (إنباء الغمر بأبناء العمر):" كانت له حرمة ووجاهة بتلك البلاد، مات في سنة خمس وسبعين وسبعمائة عن سنٍ عالية".

وعلى سيرته شقيقاه عبد العزيز– وأحمد.

٤) وأما الرابع **السيد عز الدين حسين** فكان من أكابر العلماء الربانيين والزهاد الصالحين على طريقة أجداده، وله شعر حسن في التصوف والزهديات ، ومن شعره ما نقله النبهاني في جامع كرامات الاولياء عند ذكر إجازته بالطريقة القادرية العالية قال:

ســر في السباســب واقطــع البيــداء	ودع القصـــور وخـــالف الأهـــواء
واطلــب رفيقــا في الطريــق لــه بــه	خـــير وخـــل الجهـــل والجهـــلاء.
وأمــط ردا الأغيــار عنــك لتكتســي	مـــن حلـــة التوحيـــد فيـــه قبـــاء
واركــب مطايــا الشــوق غــير معــرس	إلا إذا حـــــل الحجـــيج كـــداء
فــاخلع هنــا النعلــين نفســك والهــوى	حـــالاً عســـى بمـــنى تنـــال منـــاء
وعســاك تنحــر هــدي نفســك للهــدى	فتكـــون نفســـك عـــن منـــاك فـــداء
وعســاك تســعى بــين مــروة والصــفا	فـــترى بســـرك عنـــد ذاك صـــفاء
وعســـاك أن تحظـــى بمنعـــرج اللـــوى	فـــترى لجـــيش العاشـــقين لـــواء
وعسى يلوح لعين سرك بارق وعساك	منـــه تـــرى ضـــوء النهـــاء عشـــاء
تنشـــق نفحـــة الطيـــب الـــتي	علـــت فكانـــت للعليـــل دواء
هـــي نفحـــة القـــدس الـــتي في طابـــة	طابـــت فأهـــدت للعبـــير شـــذاء
نشـــرت لنـــا خـــير الحبيـــب وأولعـــت	نـــــار الجـــوى وأدارت البرحــــاء
وطـــوت لنـــا هـــذا الوجـــود وقربـــت	في ســـــيرنا وطريقنـــــا البعـــــداء
وبهـــا قـــد انكشـــف القنـــاع فـــلا تـــرى	إلا مظـــــاهر عانقـــــت أسمـــــاء
وهنـــا تغيـــب وإن أفقـــت فلـــن تـــرى	في الحـــي إلا الكـــأس والصـــهباء

وهو أعقب:

٥) **المجدد القطب الرباني السيد علي نور الدين شيخ السجادة القادرية الجامع بين الشريعة والحقيقة**، أعقب :

٦) **السيد أبا عبد الله محمد شمس الدين** ،والسيد محيي الدين عبد القادر، ثم إن السيد محيي الدين عبد القادر، أعقب: السيد شمس الدين محمد، وهو أعقب السيد الشيخ الصالح علاء الدين علي الجبالي الجيلي الذي استوطن مصر هو وأولاده بعد دخول الملك الأشرف برسباي القاهرة وعوده من آمد.

قال صاحب الروض الزاهر:" شيخنا الشيخ علاء الدين علي كان حسن الخلق والخلق ذا هيبة ووقار قل أن يوعده أحد وعدا" ويسأله أحد حاجة فيخطئ فيأتي ويعتذر إليه إلا ويقول له مسامحة: سامحه الله وإيانا آمين، وكان عين القادرية في زمانه بالديار المصرية، وقد حج

مرتين، وكان مولده على ما أخبرتني أمه الست الشريفة فاطمة بنت الشيخ حيدر في سنة أربع وثمانين أو خمس وثمانين وسبعمائة والله أعلم وكانت وفاته شهيدا" بالطاعون في نهار الخميس والشمس في قائم الظهيرة يوم عاشر صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة وصلي عليه بباب القرافة من القاهرة، ودفن بالتربة المعروفة بزاوية بسيدي عدي بن مسافر، ودفن له في هذا المكان المذكور جملة من أولاده، وكان قد بقي لشيخنا الشيخ علاء الدين علي في عقب الطاعون الذي كان في سنة إحدى وأربعين ولد فأخذه وسافر به إلى الحجاز فطعن في الطريق قبل وصوله إلى الطور ومات قبل دخوله إليها ودفن في جامعها وهو يزار وينذر عن روحه، وكان عمره إذ ذاك دون العشرين سنة.

وولد لشيخنا علاء الدين بعد ذلك أولاد وتوفي منهم ومات رحمه الله تعالى عن ذكرين وبنتين، توفي واحد بعد وفاة والده والباقون موجودون. وللسيد علاء الدين علي شقيق من أبويه هو الشيخ عبد القادر توفي بالطاعون في سنة إحدى وأربعين بدمشق ودفن بمقبرة الصوفية ولم يعقب، وكان دخوله أيضاً البلاد الشامية بعد عود الأشرف برسباي من آمد في تاسع عشر المحرم افتتاح سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وهو أصغر من أخيه بسنتين على ما أخبرت به والدتهما الست الشريفة فاطمة بنت السيد حيدر بن السلطان أويس أبي طاسة الكاظمي الحسيني".إهـ

اما السيد أبو عبد الله محمد شمس الدين فكانت وفاته اليوم الرابع من صفر سنة ٨٤٠هـ كما ذكره صاحب الروض الزاهر، ودفن في زاوية عدي ابن مسافر بالقرافة بمصر أيضاً، وأولاده:

٧) السادة: **جدنا الشيخ ابو الفتح موسى شرف الدين،** وبدر الدين- كما في الروض الزاهز والقلائد والثالث: ولي الدين، كما ذكره النسابة إيهاب الكتبي في كتابه المنتقى.

فأما السيد موسى شرف الدين وأخيه بدر الدين، فماتا شهيدين بالطاعون بعد ابيهما بسنة ودفنا بجانب قبره، فموسى مات عن ولدين، وبدر الدين عن بنت، كما في قلائد الجواهر.

وذكر السيد إيهاب الكتبي في كتابه المنتقى، أن السيد ولي الدين بن محمد شمس الدين أعقب السيد نور الدين فأعقب الشيخ حسام الدين- أعقب الشيخ محمد درويش- أعقب

الشيخ زين الدين- أعقب الشيخ مصطفى – أعقب الشيخ سليمان (راعي الشاكرية) دفين الرقة سوريا، فأعقب الشيخ علي – والشيخ محمد المشرف وإليه تنتهي (عشيرة الشرابية)

وأما شقيقه السيد علي فأعقب الشيخ حسين أبا ذر دفين الرقة، فأعقب الشيخ مرعي فأعقب الشيخ خلف فأعقب الشيخ جنيد فأعقب الشيخ قاسم فأعقب الشيخ محمد فأعقب الشيخ وحيد والشيخ أحمد، فوحيد أعقب ستة أولاد وهم السادة:

عبد الرزاق- وعبد اللطيف- وعبد العزيز- وعبد الوهاب- ونور الدين- ونورس، وإليهم تنتسب(عشيرة المرندية).

وقد اطلعت على شجرة نسبهم التي في كتاب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه للمؤلف يونس إبراهيم السمرائي تختلف قليلا" عما ذُكِرَ هنا وهو أن السيد ولي الدين بن السيد زين الدين بن السيد محمد شرف الدين بن السيد أبي الفتح موسى شرف الدين، فيكون السيد موسى شرف الدين جد أبيه، فعلى هذا يكون السيد موسى شرف الدين أعقب جدنا:

٨) **السيد محمد شرف الدين** ، ولد قدس سره بالقاهرة ودرس على علامائها لا سيما السخاوي، حج وزار بيت المقدس وسمع بها الحديث، كما برع في الفقه الحنبلي، وكان شيخ الطريقة القادرية بالقاهرة، توفي سنت ٨٨٥هـ ١٤٨٠ر، وصلت عليه جماهير غفيرة في طليعتهم أمير المؤمنين، ودفن في قرب زاوية عدي بن مسافر بالقرافة، وبعد وفاته تقلد أخوه مشيخة الطريقة، ذكر ترجمته السخاوي في كتابه الضوء اللامع، وقد أعقب السيد محمد شرف الدين: السيد زين الدين الذي مر ذكره وجدنا:

٩) **العالم المرشد السيد أبا البقاء أحمد** وهو أعقب:

١٠) **العالم العابد الزاهد السيد محمد زين العابدين** وهو أول من دخل بني زعب وبنى بهم، أعقب:

١١) **جدنا العلامة القطب المجدد شيخ السجادة القادرية السيد علي نور الدين الكبير الجيلاني** أعقب:

١٢) **جدنا الشيخ الكبير السيد أبو بكر عبد العزيز** الذي نسب إليه جبل عبد العزيز في الدولة السورية، وقيل اسمه عبد الله والأول أصح، أعقب:

١٣) **جدنا القطب السيد يعقوب** أعقب:

١٤) **جدنا الشيخ السيد يعقوب أيضاً**، ولد بعد موت أبيه فسمي بإسمه، أعقب :

١٥) **جدنا الشيخ السيد محمد** أعقب:

١٦) **العلامة المرشد العارف الرباني شيخ الطريقة القادرية الزعبية جدنا السيد علي الزعبي الجيلاني الحسني الحسيني الملقب بـ(المقرفص)** وهو أول من تكنى بالزعبي، وقبل ذلك كانوا يكنون بالكيلاني أو الجيلاني، وأحيانا بالجبالى- والحيالي- نسبة إلى بلد جدهم الامام السيد عبد العزيز أبي بكر بن سيدنا الامام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنهما، وقد تصدر سيدي علي المقرفص الزعبي للتدريس والارشاد والتسليك، فتخرج به جماعة كثر، وكان إذا إنتسب قال: جدي باز الله الأشهب عبد القادر الجيلاني قدس سره العزيز

وسبب تسميته (المقرفص) أنه قدس سره بعد وفاته وفي أثناء تشييع جنازته وصل به المشيعون إلى تلة حيث قبره، فحمل النعش أثناء ذلك ولداه محمد عبد الله المكنى بأبي بكر والسيد عمر، فكان الذي يحمل منهما من الجهة السفلى قد تعب وصار يفكر ما يفعل، وفي الحال ما عاد يشعر بثقل النعش، فلما وضعوه عند القبر ورفعوا الستار عن التابوت وجدوه على هيئة المقرفص إلى الجهة العليا، مما جعل ولده لم يشعر بالثقل، فتعجب الناس من ذلك وصار يلقب بـ المقرفص ، وهذه إحدى كراماته الكثيرة.

ونقل النبهاني في جامع كرامات الأولياء عند ذكر إجازته بالطريقة القادرية التي أجازه بها سيدي القطب العلامة الشيخ عبد الفتاح أفندي الزعبي الجيلاني دفين طرابلس الشام الذي ستأتي ترجمته، قال:" وقد وصى القطب الأكبر سيدي علي نور الدين الزعبي الجيلي (المقرفص) قدس سره ولديه أبا بكر وعمر، فقال لهما وروحه تتلجلج في صدره الأمين: إذا حظيتما بليلة القدر وما في الوقت سعة إلا لدعوة صالحة فلتكن لأمير المؤمنين، ولا تنسني من تلاوة الفاتحة ودعوة صالحة لي ولذريتي وقرابتي ولجميع أهل سلسلتي وسندي وإخواني وصحابتي والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، واختم دعاءك بما تبدأ به من الصلاة على خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى جميع عباد الله الصالحين أبد الآبدين ودهر الداهرين والحمد لله رب العالمين" بتاريخ ١٣٢٣ هـ .

دفن سيدي علي نور الدين الزعبي المقرفص في قرية المسيفرة ببلاد حوران من الدولة السورية الشامية.

أما ولداه، فإن الشيخ السيد عمر أعقب السيد إبراهيم وهو أعقب السيد محمد المكنى بأبي فاروق، والزعبية من هذا الفرع أكثرهم في الدولة السورية، ومنهم في الاردن وبعض الدول الأخرى.

١٧) **وأما جدنا الشيخ السيد أبا بكر محمد عبد الله**، فإنه أعقب:

١٨) **جدنا القطب الجليل جدنا السيد محمد بدر الدين أبا شعفة** دفين حصن الأكراد في سوريا" وهو أعقب السادة العلماء الأكابر: محمد- وبكار- ومصطفى- وعلي- وجدنا أحمد خالد الزعبي الملقب بالذهبي.

وذرية الجد السيد محمد بدر الدين شعفة كان انتشارها في بدء الأمر بين سوريا ولبنان ثم توسعت، وتفرع من العائلة الزعبية فروع عدة، ومع مرور الزمن تغيرت كنى بعض هذه الفروع، ووسع انتشارها حتى وصلت الى الأردن وفلسطين والعراق والحجاز ومصر وتركيا وغيرها، وأصبح عددها يفوق المائتي ألف نسمة.

وقد ظهر فيهم عدد من مشاهير العلماء والزهاد والأولياء والزعماء والوجهاء، على عقيدة إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري وفي الفقه على المذهب الشافعي غالباً، وبما أنني لم أقم برحلة للاطلاع على أحوال هذه العائلة للتعرف على مشاهيرهم، فإني أقتصر على ذكر بعض ما استطعت معرفته عنهم في شمال الدولة اللبنانية، فمن أعلام الزعبية في طرابلس الشام:

- **الشيخ السيد أبو علي محمد بن علي بن بكار ابن السيد محمد بدر الدين أبي شعفة.**

قال النبهاني في جامع كرامات الأولياء:" الشيخ محمد أبو علي الزعبي القادري نسبا وطريقة، أحد الأولياء الكرام السادات العظام، كان أجداده متوطنين في حصن الأكراد قدموا إليها من حوران، ثم توطن هو في طرابلس الشام، وبقيت ذريته فيها إلى الآن، وهو من السلالة الطاهرة القادرية، وله كرامات كثيرة، ذكر لي منها نقلا" عن الثقات الذين حدثوه بذلك أحد ذريته سيدي العالم العامل الكامل الشيخ عبد الفتاح أفندي الزعبي نقيب الأشراف في طرابس الشام، : أن جده المذكور رضي الله عنه، زاره حاكم طرابلس مع جماعة من حاشيته في رمضان، فلما أرادوا الانصراف قبيل المغرب دعاهم الشيخ للإفطار عنده، فأجابوه إلى ذلك وخطر في بال الحاكم أن يرسل خادمه ليحضر طعاما" من مطبخه لعلمه بعدم استحضار الشيخ على أطعمة تكفيهم وتليق بهم، فأطلع الله الشيخ على نيته، فالتفت إليه وقال: لا ترسل الخادم لاستحضار

شيء من الأطعمة، فإن عندنا ما يليق بكم، وهناك طبق مغطى، فقال للخادم: اكشف هذا الطبق وقل بسم الله، ففعل فخرج له صحن طعام، ثم أمره بتغطيته ففعل، ثم قال له: قل بسم الله واكشف، فخرج له صحن طعام آخر، ولم يزل كذلك حتى ملأ المائدة الوانا" من الأطعمة، فأكلوا منها ووجدوها أَلَذَّ من أطعمتهم.

ومن كراماته رضي الله عنه: أن ابنه طالبا" قالت له أمه وهو صغير: أئتنا بنار من عند الجيران، فذهب بدون وعاء يضع فيه النار، فقالت له جارتهم: جدك عبد القادر ووالدك ابو علي فلا يضرك وضع النار بذيلك، فبسط لها ذيله فوضعت فيه النار وذهب بها، فلم يرضَ أبوه بذلك لكشف سر الولاية لغير حاجة ضرورية، فمات الولد.

وكانت وفاة الشيخ رضي الله عنه سنة ١١٩٣هـ عن ثلاثة أولاد وهم السادة: محمد علي- والإمام عبد الفتاح الأول- ومحمد، ودفن بطرابلس سنة ١٧٧٩ر. وأشهر أولاده:

- **الإمام العلامة القطب الغوث السيد عبد الفتاح أفندي الزعبي الكيلاني الأول قدس سره العزيز.**

كان رضي الله عنه من أكابر العلماء العارفين في طرابلس الفيحاء، وكان معظما"مكرما" يوقره الخاص والعام وله كلمة نافذة عند الحكام تخرج به عدد من الصلحاء، وله كرامات كثيرة منها ما ذكره النبهاني، قال: أخبرني أحد سلالته الطاهرة سيدي العالم الفاضل الحسيب النسيب الشيخ عبد الفتاح أفندي نقيب الأشراف في طرابلس عمن روى له ذلك من الثقات، أن بعض تلامذته واسمه الشيخ مصطفى قال له: قد سألتك يا سيدي مراراً أن تسأل الله تعالى أن يمن علي باجتماعي بالخضر عليه السلام ولم تفعل؟ فقال له: يا شيخ مصطفى أما مرَّ الخضر عليك في اليوم الفلاني بالصفة الفلانية وكلمك بكذا وكذا فلم تلتفت إليه؟ فماذا أصنع لك أنا، فتذكر الشيخ مصطفى القضية وتأسف جداً ثم سأل الشيخ أن يريه القطب الغوث، فقال له:

" علامته أنه إذا قال لهذا الجبل تزلزل تزلزل، قال الشيخ مصطفى: فوالله ما أتم كلامه حتى تحرك بنا الجبل، فقال الشيخ: أسكن يا جبل نحن ضربنا بك المثل.

ومن كراماته، أنه كان إذا وضع يده على المريض شفي بإذن الله تعالى، قال الشيخ عبد الفتاح أفندي الثاني: ومن كراماته، أن علي أفندي كرامة لما مرض مرضاً شديداً أعجز الأطباء وشكى للشيخ ذلك، فأطعمه العدس بالزيت فنام من ساعته، ثم استيقظ وما به علَّة، وكان

يقول: دخلت على الشيخ محمولاً على ظهري وخرجت ماشياً على أقدامي، وله كرامات كثيرة لم تزل يتناقلها الناس في طرابلس، توفي قدس سره سنة ١٢٢٢ هـ.

- **ومن أعلامهم العلامة الفقيه العارف السيد محمد نجيب الزعبي** بن السيد عبد الفتاح الأول، الطرابلسي القادري أحد العلماء والأولياء الأجلاء، ولد بطرابلس وتلقى علومه في البداية بطرابلس على والده وغيره، ثم سافر إلى مصر وتلقى فيها العلوم في الجامع الأزهر فبرع في الفقه على المذاهب الأربعة والعلوم العقلية وغيرها، وبعد عودته إلى طرابلس الشام تسلم التدريس والخطابة بالجامع المنصوري الكبير، وتخرج به عدد من الصلحاء والعلماء منهم: الشيخ عبد الغني الرافعي العمري نسباً مفتي طرابلس والقاضي أحمد سلطان وشقيقه الشيخ أمين وغيرهم.

أخذ الطريقة القادرية عن والده، وكانت له زاوية في حي السويقة، وكان يقتني النوبة والأعلام، ويقيم حلقات الذكر والتعليم في زاويته، وكان كريما على قدر من الأخلاق والسماحة، وظهرت على يديه كرامات عديدة منها: أن خادم الشيخ جاء بدابة له وربطها أمام الزاوية والشيخ في علو، فقال للخادم: ائتني بها، فذهب الخادم ولم يرجع، لأنه يصعب الإتيان بها وصعودها على الدرج المرتفع، فلما استبطأه الشيخ صرخ على الدابة من الشباك وأمرها بأن تأتي، فقطعت رباطها وصعدت بالسلم حتى وصلت إلى باب حجرته، فوقفت ولم تزل قائمة حتى جاء الخادم فرءاها وتحير كيف ينْزلها، ثم إن الشيخ أمرها فعادت من حيث أتت، وله غير هذه من الكرامات.

ولما قصد الشيخ محمد نجيب استنبول قدمه السلطان ليؤمَّ الناس في الصلاة، فقال له الشيخ بلباقة أنت خليفة المسلمين فكيف أتقدم؟ فرد عليه السلطان قائلا": وكيف أتقدم على الغوث قطب الأولياء وجدكم الرسول عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام. كما عين نقيباً للأشراف في طرابلس.

وقد أرسل السلطان عبد الحميد الأول عدة فرمانات ووقفيات لعمدة العلماء الكرام الإمام محمد نجيب الزعبي، تلقاها عام ١٧٧٥ر.

ومن أخباره ما حدثني به حفيده الشيخ عبد الوهاب الزعبي قال: أصابت جدي الشيخ محمد نجيب علة في حلقه حتى ثقل عليه الكلام فقال منشداً وهو في زاويته بين تلاميذه:

عجـز الطبيـب فـداوني بمحمـد	مـن ذكـره أضـحى الـدواء لعلـتي
فهـو الـذي أمـر الأنـام جميعهم	يتوسـلون بـه لكـل بليـة
فبحبـه اللهـمَّ أرفـع حـاجتي	حاشـا لجـودك أن أبـوء بخيبـتي

ثم قال لتلاميذه انشدوا لي هذه الأبيات فأنشدوها فما إن انتهوا من إنشادها حتى برأ كأن لم يكن به ضر قط، توفي قدس سره سنة ١٢٦٦هـ ١٨٤٩ر ودفن بمقبرة الزعبية تحت قلعة طرابلس الشام. ومن أولاده:

- **الامام القطب الغوث المرشد المربي العلامة السيد محمد بدر الدين الزعبي الجيلاني الطرابلسي، القادري الرفاعي البدوي الدسوقي الشاذلي النقشبندي الخلوتي السعدي.... مجمع الطرق.**

أطلق عليه معاصروه: الامام العارف الرباني ذو الأسرار الظاهرة والأنوار الباهرة، وقطب الأتقياء والأولياء رضي الله عنه، تلقى علومه على والده وبعض علماء طرابلس حتى برع وصار فقيهاً على المذاهب الأربعة، وأخذ الطريقة القادرية عن والده، تولى مهمة الخطابة والتدريس والإمامة في الجامع المنصوري الكبير، كما درس في جامع العطار، واشتهر بإسلوبه في الوعظ، كما عمر زاوية أبيه في محلة السويقة وأقام بها حلقات العلم والذكر، ولم يكن له ميل إلى الضرب على الطبول والدفوف، فكان يقيم حلقات الذكر من غير استعمالها.

سافر إلى القسطنطينية (إستنبول) بطلب من السلطان، والتقى بعلمائها ومشايخ الطريقة القادرية، وحصل على عدة فرمانات ووقفيات وبراءات وإمامة وأحكام فقهية من السلطان محمود مراد الثاني الذي كان من سنة ١٨٠٠ إلى سنة ١٨٣٩ر.

وأما كراماته فكثيرة منها ما أورده النبهاني في جامع كرامات الأولياء، قال: حدثني ولده العالم الفاضل... سيدي عبد الفتاح أفندي الزعبي بأن له كثيراً من الكرامات قال: فمن ذلك ما أخبرني به الأماجد الكرام محمد يوسف الملك واحمد المطرجي ومحمود الحلبي قالوا:" كنا في بعض ليالي الصيف الحارة مع أبيك شيخنا السيد محمد بدر الدين جلوساً على جسر النهر، والقمر قد أضاء، والوقت صافٍ، والنهر له خرير يفرح القلب الحزين، فذكرنا له كرامة جده سيدنا عبد الفتاح الذي تزلزل له الجبل، فقال: يا أولادي أنا لي كرامة تقرب من كرامته وهي أني أقول لهذا الماء قف عن الجريان فيقف بإذن الله تعالى، قالوا: فوالله العظيم لقد وقف الماء حتى انقطع خريره، ثم قال الشيخ: سر يا مبارك بإذن الله تعالى فعاد لما كان عليه من الجريان.

ومنها: أنه قطع بحضور كثيرين لسان بعض تلامذته ممن كان يغتاب الناس واسمه الشيخ محيي الدين الحوراني، فلما أوْمَأَ له بأنه تاب أرجعه كما كان فلصق بإذن الله تعالى" إهـ

ومنها ما حدثني به حفيده الشيخ عبد الوهاب قال: كان جدي الشيخ بدر الدين يمشي ليلاً على ضفاف نهر أبي علي (في طرابلس) فوجد ثلاثة يشربون الخمر فنهاهم عن ذلك فغضبوا ثم قام أحدهم وبيده مسدس وأطلق عليه الرصاص، فصار الرصاص يضرب جبة الشيخ ثم يقع على الأرض، فتعجبوا من ذلك ثم قاموا إليه وقبلوا يديه واعتذروا وقالوا له تبنا على يديك، ورموا قوارير الخمر في النهر.

ومنها ما نقلَتْه الجريدة التركية أنه لما كان قدس سره في استنبول: دخل الفرن وهو مسعر بالنار وخرج منه ولم يصب بأذى كان ذلك أمام السلطان مراد الثاني وبعض الأعيان والحاشية.

بقي الشيخ في القسطنطينية حتى وفاته بعد مرض ألم به، وكانت وفاته في عام ١٢٧٩هـ من جمادى الأولى ١٨٦٢ر، ودفن في مقبرة يحيى أفندي بشكطاش.
ترك رحمه الله عدة مؤلفات من الخطب والأوراد والقصائد، فمن قصائده ما قاله في استنبول:

مَلْجأَ النَّزيل ويا مغيث الدخيل أغث … عبداً ضعيفاً بُعَادُ الدارِ أعياهُ

كم ذا يناديك في الظلماء يا سنداً … للمستجير ويا نوراً لمن تاهوا

عياله غَدَوْا في الهم مع أسف … حزناً عليه إذا ما حل منعَاهُ

يا ربِّ مالي سوى أبواب فضلكَ ملجأٌ … لي بها العبدُ قد حطَّتْ مطاياهُ

أنا الفقير الذي استغنى بسيده … والآن مالتْ عن الدنيا نواياهُ

أنا الفقيرُ الذي لَمْ يتركنَّ إلى … أطفاله غير مولاهم ومولاه

ولي على الذكر إخوان تركتُهُمْ … إليك والذكر عند القوم الله

فكن لهم سيدي واجمع قلوبهم … عليك يا ملجأ الراجي ومنحاه

وهاك سلمتُ أمري للذي خلق … الوجود منتظر ما أنت ترضاه

ومن قصائده أيضاً:

أنهـجْ في السـير علـى نَهْـجِ	البـازِ فتحظـى بـالفرجِ
وعليـك بسـنته الغـرَّا	تـرق الفـردوسَ وتبـتهجِ
وارْشـف مـن صـرفِ مدامتِـهِ	ولِجَـانِ سـواهُ لا تَعِـجِ
واحـذر بالقلـب تميـلُ بـه	للغـير فـتمْسِ في حـرجِ
واتـرك إخـوان السـوء ولا	تصـحب مـن كـان في عِـوَجِ
وإذ وفـاك الكـرب فقـل	اشـتدي أزمـة تنفرجِـي
واشـغل أوقاتـك بالطاعـات	لتسـموا بـالنور الـبَهِجِ
وازهـد في الـدنيا وزخرفِهَـا	للأمـنِ غـداً والفـوز نجـي
وأدم للـذكر ملازمـاً	واتـل القـرآن بصـوت شـجي
وارفـع كفـاً للمـولى وقـل	قـد ضـاق الحبـل علـى الـودَجِ
ولسـاحة جـودك قـد جئنـا	نـدعوك بقلـب منـزعِجِ
ثبـت يـا ربِّ طريقتنـا	وبهـا يسِّـرْ لي بـالفرجِ

وله منظومة فيها تعداد أسماء الله الحسنى ومنظومات وأشعار كثيرة، ومن أولاده : الشيخ فتح الله والشيخ عبد الفتاح الثاني، كما تخرج به عدد من الأعلام منهم أولاده، ومنهم السلطان عبد الحميد وأخوه رشاد ومنهم الشيخ أحمد الدهبي الزعبي الملقب بالذهبي دفين دار عمار، وغيرهم.

- **فأما السيد الشيخ فتح الله** فكان من كبار العلماء الأفاضل، انقطع للتدريس والخطابة والإمامة في جامع العطار بطرابلس، وله عدة مؤلفات مخطوطة، وعدة شروح وتعاليق وأبحاث في الفقه والحديث، كما حصل على عدة فرمانات سلطانية بوقفيات وخطابة وإمامة من السلطان عبد الحميد الثاني وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ١٣٤١هـ ١٩٢٢ر.

- **وأما السيد الشيخ عبد الفتاح الزعبي الثاني العالم الفاضل المنعوت بالقطب الغوث، ونقيب السادة الأشراف بطرابلس الفيحاء وشيخ الطريقة القادرية،** ولد قدس سره عام ١٨٠٤ر وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ وقيل ١٩٣٣ر عن عمر ١٣٠ سنة تقريباً.

تلقى علومه بطرابلس على يد والده وأخذ عنه الطريقة كما أخذها من الشيخ بكار بن عبد الغني الزعبي اخذ الفقه الشافعي عن والده وعن عدد من فقهاء طرابلس وتمذهب به، كما أخذ الفقه الحنفي عن الشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ السيد محمود نشابة وغيرهما، وبرع في الأدب، ولما شب سلمت إليه الزاوية الزعبية القادرية في محلة السويقة، فكان يقيم فيها حلقات العلم والذكر، وكان يستعمل بزاويته النوبة والدفوف.

كما تولى الخطابة والتدريس والإمامة بالجامع المنصوري الكبير، كان كما وصفه العلماء فصيح اللسان واضح البيان ماهراً لبيباً، حضر عنده الجمعة مرة أحمد باشا حمدي الأفخم، وكان مع الحضور(القاياتي) مؤلف كتاب نفحة الشام فأعجبوا من فصاحته وكلامه المؤثر في القلوب بحيث خشع كل الحضور، وكان رحمه الله رجلا مهيباً مع تواضع وظرافة كما كان صاحب نكتة.

وقد حصل سيدي الشيخ عبد الفتاح أفندي على عدة فرمانات ووقفيات من السلطان عبد المجيد الذي كان من سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٦١ر، وقد منحه أيضاً لما زار الشيخ استنبول وشاح الإسلام الأكبر، كما صلى به إماماً، وتلقى عدة رسائل من السلطان عبد العزيز الذي كان من سنة ١٨٦١ إلى ١٨٧٦ر

وعلى رسالة من السلطان مراد الخامس سنة ١٨٧٦ر وعلى عدة أوسمة وفرمانات ووقفيات من السلطان عبد الحميد الثاني، الذي كان من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٩ر، تسلمها بعد قتل السلطان مراد الخامس، وعلى عدة رسائل من السطان محمد رشاد الذي كان من سنة ١٩٠٩ إلى ١٩١٨ر، وعلى عدة رسائل من السلطان محمود خير الدين الذي كان من سنة ١٩١٨ إلى ١٩٢٣ر.

وأما كراماته فما زال الناس يتناقلونها ومنها ما أخبرنا به ولده الشيخ عبد الوهاب حفظه الله تعالى قال: كانت له كرامات كثيرة تحصل بوقتها، منها: انه دخل مرة إلى بيت الخلاء فوجد أفعى كبيرة على مقعد بيت الخلاء، فنادى والدتي زوجته، وقال لها انظري إلى هذه الأفعى، فخافت منها فقال لها: لا تخافي، وقال للأفعى: قومي، فدخلت بالحائط ولم ترها بعد ذلك قال الشيخ عبد الوهاب كان هذا قبل ولادتي أخبرتني بذلك أمي.

قال: وكان إذا رقى أحدا" لمرضٍ شفي بإذن الله، وكان ذلك مستمرا" معه.

قال: ومنها أنه جاءت شقيقة والدتي وكانت تحب أن يأتيها ولداً ذكرا"، فأعطاها لقمة من العسل وأشار عليها بأكلها، فأكلتها، فراحت من عنده وحملت في نفس الليلة ثم وضعت ذكرا".

ومنها أن أمرأة جاءته وقالت له: تزوجت منذ عدة سنين ولم أرزق بولد حتى الآن، فقال لها ماذا أفعل لك، إذهبي إلى الطبيب الفلاني وقولي له أرسلني الشيخ عبد الفتاح وأخبريه بحالك، فذهبت إلى الطبيب وكلمته، فقال لها أنا ماذا أفعل لك إذهبي إلى الذي ارسلك ليحبلك، فعادت إلى الشيخ عبد الفتاح وأخبرته بما جرى، فغضب الشيخ من ذلك، وكان أمام الشيخ سمن وعسل يأكل منه فأخذ منه لقمة وأطعمها للمرأة وهو يقول بسم الله، وبعد أيام سمع الناس بحملها ثم ولدت بعد مدة الحمل، وبلغ الطبيب الخبر فجاء إلى الشيخ يعتذر منه عما بدر منه، بعد أن حل به نوع من البلاء، فقبل الشيخ اعتذاره، فكشف عنه البلاء بإذن الله تعالى ومن أخباره، قال الشيخ عبد الوهاب: كان والدي معاصرا" للشيخ الولي الكبير علي العمري قدس سره، فمرة كان والدي يسير على الجسر محلة السويقة قرب جامع البرطاسي فمر به الشيخ علي وأخذ بيده وقال له: أسرع حتى نزيل الفاحشة، فأسرعا حتى وصلا قرب جامع محمود بك، وكان هناك بوابة فوقها قنطرة فضرب الشيخ علي الباب برجله، فوجدا رجلا" وامرأة يريدان الفاحشة، فبهت الرجل والمرأة عند رؤية الشيخين، ثم طلب منهما الشيخ علي أن يتوبا وأن لا يعودا إلى هذا، فتابا وعاهداه على ذلك.

ومن أخباره وكراماته أنه قدس سره سافر إلى استنبول على رأس جماعة من أعيان آل البيت والشمال اللبناني وذلك عام ١٨٥٤ر لجلب فرمان يخص آل البيت، ولما اجتمعوا بالسلطان عبد المجيد، طلب السلطان من السيد عبد الفتاح أن يتعرف على قبر والده، وذلك بعد أن أخبره السيد بأنه إبن السيد محمد بدر الدين كدليل على صحة كلامه، فقام الشيخ عبد الفتاح وذهب إلى مقبرة آل عثمان يصطحبه جماعة من حاشية السلطان، فلما وصل الموكب إلى الجبانه وكانت بوابة الجبانة مقفلة بقفل كبير، فوضع الشيخ يده على البوابة ونادى بصوت عال (الله) فانكسر القفل، وفي نفس الوقت سمع صوت الشيخ عبد الله الزعبي من قريته حيزوق عكار، يقول: قبر والدك علامته كذا وكذا وأن عليه وردة، فنادى الشيخ يا أبت وهو ينظر إلى المقابر حتى وقع نظره على قبر عليه وردة تحركت عند ندائه، فقال لحاشية السلطان: هذا هو قبر والدي، فلما عادوا إلى السلطان تعجب مما

حصل وكرمه ومنحه وشاح الإسلام الأكبر وعدة فرمانات ووقفيات وبراءة لآل الزعبي ولعدة عائلات أخرى من آل البيت، وهذه الكرامة مشهورة له.

وقد ذكر لي ولده الشيخ عبد الوهاب وغيره عدة كرامات أخرى بعضها فيها طرافة.

ترك سيدي الشيخ عبد الفتاح عدة مؤلفات منها:

١. كتاب أنساب عائلات طرابلس مخطوط

٢. والمواعظ الحميدية

٣. ومجموعة مباركة من الأوراد والأحزاب ختمها بمنظومة ذكر فيها أسماء الله الحسنى وله قصائد في مدح النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم منها قصيدة ذكر فيها أسماءه عليه الصلاة والسلام كما ذكر فيها أسماء أجداده.

وله قصيدة في مدح جده الإمام عبد القادر رضي الله عنه في أكثر من ١٥٠ بيت كما كانت له مكتبة ضخمة.

يقول في قصيدته التي ذكر فيها أجداده:

هــذا كــريمُ المخْـرَجِ المبعـوثُ مـن ... أزكـى القبائِـلِ والبطـونِ المنتخـبْ
إني بــه متوســل وبفــاطِمٍ ... وببعلِهَـا والسـيدِ الحسـنِ الأحَـبْ
وكــذاكَ بالحسـنِ المثـنى المجتـبى ... وكــذا بعبــدِ اللهِ المحْـضِ النِّسَـبْ
بـالجون موسـى مـن تسـامى قـدرُهُ ... بـالحَبْرِ عبـدِ اللهِ أكْـرَمِ مـن وَهَـبْ
وبموســى مَــعْ داودَ ثُمَّ مُحَمَّــدٍ ... وبيحــيَ ثمَّ بعابِــدِ اللهِ المحَــبْ
وبموســى ثم البــازِ غـوثِ الأوليـا ... وبنجلِــهِ عبــد العزيــزِ المنْتَــدَبْ
بمحمــدٍ ومحمــدٍ ومحمــدٍ ... وحســين ثم علــيٍّ مرفــوعِ الرُتَــبْ
بمحمــدٍ مــع موســى ثم محمــدٍ ... وبأحمــد ومحمــدٍ زيــن القــرب

بعلــي كــذا عبــدُ العزيــزِ ونجلُــهُ ... يعقــوبُ مــن شــوقاً لمــولاه انتحَــبْ
بســميِّهِ الســامي ابنِــهِ بمحمــد ... وعلــيٍ مــن للحضــرةِ العليــا اقــتَرَبْ
وبنجلِــهِ المــولى أبي بكــرٍ كــذا ... ك محمــدْ مــن للمحامــد قــد جلــبْ
بســليلِهِ بكــارِ ثم علــيهِمْ ... ومحمــدٍ مَــنْ للكمــالاتِ اكتسَــبْ
وبعابِــدِ الفتــاحِ ســيدِنا الــذي ... لكرامــةٍ عُظْمَــى لــه الجبــلُ اضْـطَرَبْ

بنجيــــبهِمْ بَحْـــرِ العلـــومِ وبـــدْرِهِمْ   مــن في سَمَــا التقـوى أنـار ومـا عَـزَبْ
وجميــعِ أبنـــاءِ النـــبي مـــن سِـــرَّهُمْ   قّـدْ طَهَّـرَ الـديانُ مـن رِجْـسِ الريَـبْ
سِـرْ بي بـنهجِ هُـدىً علـى آثـارِهِم   لِأنـــالَ في نفحـــاتِهِمْ منـــكَ الأَرَبْ

ثم قال:

وإليـــكَ أدعـــو ضـــارِعاً بقصـــيدةٍ   تســـمُو بأسمـــاءِ النـــبيِ المنتخَـــبْ
وبآلِـــهِ الأطهـــار مـــن في وُدِّهِـــمْ   جـــاءَ الكتـــابُ وحـــبُّهمْ فيناوجـــبْ
وبنيهُمُـــوا مَـــنْ في تمســـكِنا بهـــمْ   للـــدينِ والـــدنيا لنـــا أقـــوى ســـببْ
فـــاغفر لنـــاظِمِ دُرِّ عِقْـــدِ بـــديعهاَ   واجعلْـــهُ عـــنْ أســـلافِهِ لا يُقْتضـــبْ
وارحـــم إلـــهَ العَـــرش تاليهـــا كـــذا   والســـامعينَ مـــنَ لأســـطُرِهَا كَتَـــبْ
والطـف بهـم في هـذه الـدنيا وبـال   أخـــرى وكُـــنْ لهمُـــو بيـــومِ المنقلَـــبْ
واجمـــعْ قلـــوبَ المســـلمين مؤَلِفـــاً   بالحُـــبِّ بينهمُـــو وأصـــلحْ كـــلَّ خَـــبْ
مـــا بلبـــلُ الأفـــراحِ في روضِ الصـــفا   غـــنَّى وقلْـــبَ الهـــائمينَ بـــه حَلَـــبْ
أو عابِـــدُ الفتـــاحِ يـــدْعُو قـــائلاً   يـــاخيرَ مـــن أولى الجميـــلَ ومـــن وهـــبْ

أولاده السادة: الشيخ محمد نور الدين- والشيخ علي المرتضى- والشيخ حسين- والشيخ كاظم – والشيخ عبد الله- وبدر الدين- وعبد القادر- والشيخ عبد الوهاب- وعبد الرحمٰن مظهر، وثلاث بنات فأما السادة: محمد وعلي وحسين وكاظم وعبد الله، فتفقهوا على والدهم وبعض مشايخ طرابلس كالشيخ السيد محمد الحسيني والشيخ السيد محيي الدين الحفار الخطيب.

كما أن الشيخ محمد نور الدين درس في الأزهر وحاز على الشهادة العالمية، وعاد إلى طرابلس حيث تولى في حياة والده مهمة التدريس في الجامع الكبير والعطار.

وأما الشيخ علي المرتضى فكان امام وخطيب جامع المنصوري الكبير بعد أبيه، وكان يحمل سيفا" أثناء الخطبة، ولما كبر في السن ترك حمل السيف، ومنذ ذلك الوقت تركت هذه العادة في طرابلس، استلم إمامة الجامع الكبير مدة خمسين عاما وكان غزير العلم وافر الأدب كريم الأخلاق، ترك عدة مؤلفات مخطوطة، كما كان خليفة والده بالطريقة.

- وأما الشيخ كاظم فقد تسلم منصب القضاء الشرعي على ولاية طرابلس ونواحي عكار وتلكلخ(حصن الأكراد) وقضى منصبه في تلكلخ، وله مؤلفات فقهية في أربع مجلدات مخطوطة.
- وأما الشيخ حسين فقد كان محبباً إلى الناس شجاعا حكم عليه الفرنسيون بالقتل بتهمة التحريض ضدهم، قتل عدة ضباط منهم، ولم ينفذ الحكم به بسبب المظاهرات المؤيدة له، والمشايخ أبناء الشيخ عبد الفتاح أخذوا الطريقة عن والدهم **إلا الشيخ عبد الوهاب** فإنه لما مات والده كان عمره ثماني سنوات، فأخذ الطريقة عن غيره، وأما تحصيله للعلم فكان في الكلية الاسلامية وعن المشايخ: نصوح البارودي وظافر كبارة- قرآن- وعن الشيخ صلاح أبي علي المصري- تفسير- وعن الشيخ عبد الحميد الحامدي- الفقه الشافعي واللغة العربية- وعن الشيخ فهيم أبي عبية- الفقه الحنفي- والشيخ عبد الكريم عويضة وإدريس البناني- لغة ونحو- والشيخ رامز الملك أصول الدين كما أجازه.

ثم سافر إلى القاهرة وتخرج من الأزهر، ثم عاد إلى طرابلس فدرس في مدارسها، كما تسلم الخطابة في جامع ضهر المغل مدة ٣١ سنة، وبعد ذلك انقطع في بيته وتفرغ للعبادة والذكر، ولما قمت بزيارته مع بعض الاصدقاء رأيناه متوضعا" خلوقا" على وجهه أثر الخشية منور، وأخبرنا بأنه بلغ الثمانين من عمره تقريبا" باركه الله تعالى وبلغه مناه، ومولده سنة ١٩٢٢ر.

وأخيرا ًفإن السيد عبد الفتاح قدس سره كان على قدر ذا هيبة ووجاهة عالية مقصودا" من كل طبقات الناس، لما عاد من استنبول عجت الطرقات بالناس في طرابلس لاستقباله، وكان بيته في آخر حياته في ضهر المغل، كما كان آخر النقباء في طرابلس، كما بلغنى أنه تزوج في سن الثمانين حتى جمع بين أربع زوجات، وتوفي رحمه الله تعالى في طرابلس ودفن في مقبرة الزعبية تحت قلعة طرابلس.

ومن الآخذين عن السيد عبد الفتاح : أولاده، والشيخ محمد رشيد درنيقة أحد مشايخ الطريقة، والشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني صاحب كتاب جامع كرامات الأولياء، ووالد الدكتور علي شلق، والشيخ السيد حسن الدهيبي (الزعبي الأصل) دفين المنية وكان يعد من الأبدال، وغيرهم.

- **ومن أعلامهم أيضاً العلامة نقيب السادة الأشراف الشيخ السيد خالد الزعبي الجيلاني حفيد الشيخ بكار بن محمد بدر الدين أبي شعفة،** حصل عدة فرمانات منها فرمان بتسلمه نقابة الأشراف، ومنها فرمان كتب بماء الذهب ملخصه: إعادة تثبيت تملك قلعة حصن الأكراد والقرى المحيطة بها لآل الزعبي الجيلاني مع وقف (تل دو).

ومن أولاده : الشيخ عبد الحق- والشيخ عبد العزيز.

- **فأما السيد عبد الحق** فقد عين متصرفا"عاما" في استنبول، فكان يسهل قضايا وحاجات طرابلس والشمال، ويرسل إلى الشيخ عبد الفتاح ليقوم بمقتضى الأمور المطلوبة، وكان كثيرا" ما يأتي بنفسه مع وفد سلطاني إلى طرابلس بمهمات نافعة، وقد جاء مرة بفرمان سلطاني يخول الشيخ عبد الفتاح بالإشراف على التكية الجيلانية لإطعام الدراويش، كما زار مشحة عكار لترميم الجامع الحميدي، كما أهدى الجامع بتفويض من السلطان مكتبة عامرة لا تزال محفوظة حتى الآن.
- **وأما شقيقه السيد عبد العزيز،** فقد كان عالماً ومرجعاً كبيراً في الفقه والشريعة وشيخاً للطريقة ونقيباً للأشراف وكان ينعت بالقطب الغوث، وقد عاشر الشيخ عبد الفتاح وصاهره، شهد له معاصروه بالكرامات والورع والمقام العالي، وكان معظما عند الناس منحه السلطان عبد الحميد عدة فرمانات أحدها فرمان بتوليته نقابة الأشراف، وآخر : بتوليته على جبخانة الأسلحة العثمانية في طرابلس لتوزيعها على المتطوعة للجهاد، كما ترك الشيخ عدة مخطوطات أهمها تفسير القرآن العظيم.

- ومن مشايخ الزعبية في طرابلس السيد **أحمد بن فتح الله،** تولى الخطابة والتدريس والامامة في بعض مساجد طرابلس.
- **ومنهم المعتصم بالله بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الفتاح،** تولى منصب الخطابة والإمامة في الجامع الكبير مدة عشرين سنة تقريباً، كما درس في عدة مدارس.
- **ومنهم المدثر الزعبي** شقيق الشيخ المعتصم تخرج من الأزهر، كان خطيباً متجولاً في مساجد طرابلس، تسلم مهمة المفتش العام في دائرة الأوقاف الاسلامية في طرابلس وكان شجاعاً.

- **والشيخ محمد علي الزعبي**، كان خطيباً جريئاً واستاذاً في الجامعة اللبنانية، من مؤلفاته كتاب في كشف أسرار الماسونية واليهود، مما أدى إلى عدة محاولات لاغتياله، وله نحو اربعين مجلداً من المؤلفات
- **والشيخ حسن الزعبي** أحد مشايخ الطريقة تلقى علومه في طرابلس وأهم مشايخه عمه الشيخ محمد نجيب الزعبي، عين استاذا في المدرسة الوطنية، كما كان يدرس الفقه والعربية بعد أن أجازه عمه الشيخ نجيب، وقد اشتهر بالوعظ والشعر الداعي إلى الزهد والتقوى.
- **والشيخ عبد الرحمن الزعبي**، أول من سكن الملوله (التبانة او الدخولية) وسميت بحارة الزعبية، كان كريماً شجاعاً، وله مواقف ضد الفرنسيين، ومن أولاده: محمد – ومصباح– وأمين– وأسعد وكان أكثرهم وجاهة وكرماً وشجاعة، وكان له مشاركة أيام الثورة، وأما شقيقه محمد فقد حارب في فلسطين عام ١٩٤٧ر، قتل في محلة القبة أيام الثورة.
- **والشيخ عبد المجيد** من سكان حارة الزعبية في الملولة، من أولاده: نافذ – ورباح وكان وجيهاً شجاعاً، اغتيل في حيه.
- **والشيخ عبد القادر عمر الزعبي**، أحد مشايخ الطريقة وهو أيضاً من سكان الملولة.
- ومن مشاهير الزعبية أيضاً في طرابلس **السيد نجدت الزعبي** رئيس الرابطة الزعبية، وولده نافذ، وغيرهم.

وأما الزعبية في القرى الشمالية فهم موزعون وكثر، وقد تميز عدد منهم بالعلم والصلاح أو الشهرة فمن أعلامهم:

- **العالم الشيخ المرجع شيخ الطريقة القادرية والرفاعية السيد بكار ابن السيد محمد المكنى بالحكيم دفين خربة كوشا عكار ابن السيد بكار ابن السيد محمد بدر الدين أبي شعفة.**

كان الشيخ بكار من أعيان الزعبية ومرجعاً كبيراً وله كرامات كثيرة، وكان مقصوداً من كل فئات الناس من المسلمين وغيرهم وساهم في القضاء على الكثير من الفتن التي كانت آنذاك، كما تخرج به عدد من الصلحاء من الزعبية وغيرهم، كان يسكن قرية مشحة عكار وبها دفن وهو جد أكثر الزعبية في عكار، وقد كتب على ضريحه قدس سره:

لمقـــام ســـيد الأتقيـــاء بكـــار	شـــيخ الحقيقـــة بهجـــة ووقـــار
مـــن زاره منحـــت عليـــه مواهـــب	وتحـــــط عنـــــد مـــــزاره الأوزار.

- **ومنهم العالم القطب الكبير شيخ الطريقة القادرية والرفاعية السيد عبد الله بن الشيخ خضر بن الشيخ أحمد بن الشيخ بكار...** قدس سره العزيز، صاحب الزاوية القادرية في قرية حيزوق المجاورة لقرية مشحا، كان شديد الورع والزهد كثير العبادة متواضعاًكريماً صاحب منْزول وقد اشتهر بكثرة كراماته أذكر منها ما نقله النبهاني عن الشيخ عبد الفتاح الثاني قال:

كان الشيخ عبد الله ضيفاً عندنا في طرابلس، وكان أحد أصدقائنا من آل الطرقجي مريضاً، فأرسل إلي أن آخذ الشيخ عبد الله إلى زيارته لتحصل له البركة وينال الشفاء بإذن الله من ذلك المرض، فطلبت من الشيخ أن نذهب إليه فامتنع، ولم أزل ألح عليه حتى وافقني، فلما ذهبنا لزيارته لم نجد مرضه شديداً وقام لنا ورحب بنا، ثم ذهبنا، فقال لي الشيخ عبد الله بعد انصرافنا من عنده، أنا لا أحي الموتى، فقلت له: الرجل لا بأس به ولا يظهر عليه شيء من علامات الموت، فكرر قوله أنا لا أحي الموتى، ثم سافر إلى بلده وشفي المريض، فخرج إلى السوق وتعجبت من عدم ظهور ما أشار إليه الشيخ من وفاته مع كثرة كراماته وإجماع الناس على اعتقاده، وبينما الأمر كذلك وإذا بصراخ سمعته من جهة بيت المذكور، فسألت عنه فقالوا: مات، ولم يكن بين زيارتنا له وبين موته إلا نحو عشرة أيام، فظهرت كرامة الشيخ.

ومن كراماته: أن أهل قريته حضروا إليه يوما" وقالوا له: إن الشجرة التي في جانب العين عليها حية عظيمة منعت الناس من استقاء الماء، فذهب الشيخ معهم إلى تلك الشجرة ونادى الحية فنَزلت، فقال لها: انصرفي فانصرفت.

قال الشيخ عبد الفتاح أفندي: قد رأيته بعيني له فتاق ملأ ما بين فخذيه لا يستطيع المشي معه إلا بالتكلف، ثم رأيته وليس لذلك أثر، فسألته فقال: سألت الله واستغثت إليه بجاه جدنا الجيلاني فأذهبه الله ولم يبق له أثر، قال الشيخ عبد الفتاح: وقع لي أنا أيضا" ذلك، ولكنه كان خفيفا"، فاستغثت الله بجدنا الجيلاني فذهب ولم أر له أثراً إلى الآن.

ومن كراماته أيضاً: أنه حضر عنده في مرض موته جماعة من مريديه وغيرهم لإقامة الذكر، وكان طريح الفراش شديد المرض لا يقدر على الحركة، فلما شرعوا في الذكر دبت فيه القوة

حتى كأنه غير مريض، فقام وصار يذكر معهم في وسط الحلقة قائما" كعادته إلى أن فرغوا من الذكر، فرجع إلى الفراش كما كان مريضا"، ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ١٣١٥ وقيل ١٣١٨هـ ١٨٩٧ر.

وكان أوصى قبل وفاته بأن لا يبنى على قبره، فلما دفن بنوا على قبره فلما حل الصباح وجدوه محطماً، ثم عمروه فوجدوه في اليوم الثاني محطما" فعلموا أن ذلك كرامة له بسبب وصيته، ثم نادوه:إن لك شأنا" وإن الناس سيقصدونك بالزيارة، فبالإذن منك في بناء القبر، فبنوه فلم يحصل شيء.

ومن كراماته أن علم نوبته(السنجق) طار من بين أيدي الناس بعد دفنه حتى وصل القبر وغطاه.

حدثني الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد الفتاح أفندي الزعبي قال: أصابني وجع في قدمي منعني من الصلاة قائما، فزرت قبر الشيخ عبد الله في حيزوق وبعد أن قرأت شيئا" من القرآن دعوت الله متوسلا" إليه بالشيخ عبد الله أن يشفيني، ثم قلت يا شيخ عبد الله أنا ضيفك، ثم بعد ذلك دخلت مسجد حيزوق لأصلي الظهر فقدمني الشيخ نديم الزعبي للإمامة فقلت له أنا أقدامي لا تحملني فقال لي : وإن يكن، فلما دخلت بالصلاة لم أعد أحس بشيء مما كان بي وحتى الآن.

فكرامات الشيخ عبد الله الزعبي كثيرة مشهورة نفعنا الله به، تخرج به عدد من الصلحاء منهم ابن أخته:

- **الولي الشهير والقطب الغوث الكبير شيخ الطريقة القادرية والرفاعية سيدي الشيخ أحمد شاكر الزعبي الجيلاني نفعنا الله به،** ابن السيد شاكر ابن السيد عباس ابن السيد محمد ابن السيد اسماعيل ابن السيد بكار دفين مشحة...، شيخ الزاوية القادرية بحيزوق، صاحب الأخلاق العالية والصفات الزكية والأحوال المرضية والكشوفات الجلية والكرامات المتواترة الكثيرة الشهيرة، التي ما زال الناس يتحدثون عنها وعن هيبته المصحوبة بالتواضع والظرافة، له باع طويل وسر عظيم وكلمة نافذة، موقر عند الخاص والعام مقصودٌ بالزيارات والنذور، وله سماط، يجتمع عنده الناس للإستفادة من علمه وأحواله وسلوك طريقته، ولحل مشاكلهم، ساهم مع خاله السيد عبد الله في إزالة الكثير من الفتن والمنكرات في عكار، وكانت بعض الفتن تزول أحيانا ببركة دعائه وسره من غير تدخل في الظاهر، فمن ذلك أنه حصلت فتنة بين الأهالي في

عدة قرى من قضاء الضنية وعجز عن إزالتها وجهاء طرابلس مع الفرنسيين، فقيل: لو تذهبوا إلى الشيخ أحمد شاكر في حيزوق وتطلبوا منه أن يتدخل، فقصده أحد كبار الضباط الفرنسيين مع جماعة من وجهاء طرابلس، فلما رآه الضابط على هيئة الزاهد المتواضع جالسا" تحت شجرة قال: من هذا الذي جئتم بي إليه، وكيف يستطيع أن يوقف هكذا فتنة؟

فقالوا له هذا لا يعنيك وأنت لا تعرف قدره، ثم كلموه في ذلك فقبل بشرط أن لا يتدخل أحد منهم ولا يصطحبوه، ثم إن الشيخ قدس سره قصد الضنية ومر بها مرورا" من غير أن يتكلم مع أحد فانطفأت الفتنة واصطلح الأهالي بإذن الله تعالى، وهذه إحدى كرامات الشيخ.

ومنها: أنه دعي إلى وليمة طعام عند بعض أهالي عكار فلبى الدعوة، ولما ابتدؤا الطعام صار الشيخ يأكل من بعض الطعام ولا يأكل من البعض الآخر، فصار الجلساء يعرضون عليه أنواع الطعام ويصرون عليه أن يأكل منها من باب الإكرام، ولما ازداد إلحاحهم عليه قال: أنا لا ءاكل الحرام، ثم أمسك بيده حفنة من الأرز المطبوخ وعصرها فسال منها الدم وقال: من هذا تريدونني أن آكل.

ومنها: أن رجلا قصده لحاجة فأخذ معه هدية من الذرة (العرانيس) وفي أثناء طريقه للشيخ وجد أرضا مزروعة عرانيس أحسن من التي معه ، فأخذ منها شيئا وخلطها بالتي معه، فلما وصل إلى الشيخ قال له: إرم هذه العرانيس أمامي قبل أن يتكلم الرجل ،فألقاها أمامه فأخذ الشيخ بعكازه وصار يفرق بين العرانيس فيضع هذا إلى ناحية وهذا إلى ناحية ثم قال له: أرجع هذه العرانيس إلى صاحبها واترك هذه، ولا تعد لمثل هذا وتب إلى الله تعالى، فدهش الرجل لذلك وتاب على يديه ، ثم قضى له الشيخ حاجته.

ومنها: أن عبود بك وكان من زعماء عكار ولبنان وكان من كبار الأثرياء وله سيطرة ، يرسل في المواسم إلى الشيخ أحمد شاكر غلة كبيرة لعمارة زاوية الشيخ ومنْزوله تبرعا منه ، فقال مرة في نفسه: أنا لما أرسل له كل هذا وهو ليس له عليَّ شيء سأنقص مما أرسله له النصف، وإذ في اليوم الثاني وهو في مكتبه والشيخ أحمد قد جاءه زائرا ومعه سلة من القصب (يعني القرطل) مغطاة ،فيقوم عبود بك ويستقبله ويرحب به ويقول له ماذا تحمل لنا، فقال له الشيخ جئتك بهذه الهدية وقدم له السلة، فكشف عنها الغطاء فإذا بها ماءً مستقرا بها ، فدهش لهذه الكرامة كيف أن الماء لم يتسرب من خلال القصب ،فعلم أن الله أطلع الشيخ على نيته، فقال

له: سأبقى على ما أنا عليه ، ثم إن السلة نفذ منها الماء،فقال له الشيخ : إبقَ على ما أنت عليه خشية أن ينفذ مالك كما نفذ هذا الماء.

ومنها:أن الشيخ أرسل أحد أولاده وكان في سن الفتوة حتى يأتيه بحمل حطب في أيام الشتاء، فذهب الولد ولم يرجع إلا قبل الغروب بقليل ولم يحمل معه إلا عودا واحدا، فقال له الشيخ لقد استبطأتك ثم بعد تأخرك لم تأتني إلا بعود واحد؟ فقال له ولده: يا أبت كنت كلما أردت أن أقطع عودا سمعته يسبح الله تعالى فلم أجرؤ على قطعه ، حتى أردت أن أقطع هذا العود اليابس فلم أسمع تسبيحه فقطعته، فتعجب الشيخ لحال ولده ثم قال: يا ولدي هذا البلد لا يحمل اثنين إما أنا وإما أنت، فلم يطلع الفجر إلا وقد مات الولد الفتي قدس سره.

ومنها: أن بعض أهالي الشيخ أزعجه فخرج الشيخ من القرية غاضباً إلى قرية أخرى ليسكن بها، ومع خروج الشيخ انقطعت ماء عين القرية، وبعد عدة أيام أتاه أهل القرية يرجونه في أن يرجع إلى قريته وقد اعتذر منه من أغضبه فقبل الشيخ وعاد إلى قريته ومع دخوله جرت ماء العين.

ومنها:أنه طلب منه أن يظهر كرامة أمام جمع من الناس، ففرش سجادة الصلاة على وجه الماء وصلى عليها.

كان سيدي الشيخ أحمد شاكر شيخاً لمعظم مشايخ عكار وطرابلس، كما أجاز العديد منهم من بينهم ابن عمنا الشيخ عمر الدهيبي من أهل بلدة المنية، وكان قدس سره فقيهاً على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، ومناقب سيدي الشيخ أحمد شاكر وكراماته كثيرة رضي الله عنه ونفعنا به.

وكانت وفاته في ٧ جمادى الأولى سنة ٣٦٣ هـ (١٩٤٣ر) ودفن في جبانة حيزوق وقبره هناك معروف يزار، ومن أبنائه : السيد خضر والسيد سعيد.

- **فأما السيد خضر الزعبي** كان من اهل العلم والصلاح وشيخا للطريقة عرف بحسن خلقه وسعيه في الصلح بين الناس مقصوداً موقراً، توفي سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦ر) ودفن في حيزوق، **وأما السيد سعيد** فكان على سيرة أهله وقد أعقب: **الشيخ نديم الزعبي**، كان من أهل العلم والصلاح مقصودا وجيها يؤثر الخفاء على الظهور متواضعا يسعى في قضاء حوائج الناس والصلح بينهم،يصل رحمه وأصدقاءه، مرض مرة بمرض أعجز الأطباء فتضرع إلى الله فشفي وعاش بعد ذلك سنوات عديدة، وكان قل ما يرقي مريضا إلا ويعافى باذن الله، ومن كراماتة ما

حدثني به ولده فضيلة الشيخ هيثم: أنه حصل حريق في بساتين القرية فأخذ الشيخ نديم حفنة من التراب فألقاها في تلك النيران الملتهبة فانطفأت في الحال بإذن الله، وكان الشيخ نديم شديد الأدب، أمَّ وخطب في مسجد حيزوق، وكانت وفاته في ١٠ذي الحجة سنة ١٤١٧هـ ١٦ نيسان ١٩٩٧ر ودفن في حيزوق، واجتمع من الناس أثناء تشييعه ما ضاقت به القرية رحمه الله تعالى، وله شقيق هو السيد عثمان، أثنى عليه بعض من أعرفهم ولم يزل حياً حفظه الله تعالى، وخطيب مسجد حيزوق اليوم هو الشيخ هيثم ابن الشيخ نديم حفظه الله تعالى.

- **ومنهم العالم المرشد شيخ الطريقة القادرية السيد عبد القادر** ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ احمد ابن الشيخ القطب السيد بكار دفين مشحه، عرف الشيخ عبد القادر بعلمه وصلاحه، أخذ الطريقة عن أهله كما أخذها مع الإجازة بها من الشيخ سعيد الحصري الزعبي الجيلاني الذي كان مقيما في مدينة ميناء طرابلس، إنتمى إليه جماعة من الناس وتخرج به عدد من الفضلاء منهم ولده: "**الشيخ محمد** الذي شهد له الكثير بالولاية وظهور الكرامات على يديه وبقوة كشفه مع كونه يؤثر الخفاء على الظهور، كما انتمى إليه جماعة من الناس وأجاز غير واحد بالطريقة، وهو والد الشيخ صلاح الزعبي أحد وجهاء آل الزعبي في عكار اليوم، توفي الشيخ عبد القادر حوالي سنة ١٣١٥هـ ١٨٩٧ ر.

أما ولده الشيخ محمد فكانت وفاته في ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ر ودفنا في حيزوق قدس سرهما.

ومن مشايخ الزعبية في حيزوق أيضا الشيخ عمر الزعبي من أهل العلم والفقه وكان إماما لبعض المساجد ، ترك عدة مجلدات من البحوث في الفقه (مخطوطة).

والشيخ عبد الستار أحد مشايخ الطريقة.

والشيخ بديع إمام جامع الخريبة، وغيرهم.

وفي مشحة من ذرية الشيخ بكار الزعبي

- **الشيخ عبد الغني الزعبي**، كان عالما ورعاً متواضعاً وإماماً لمسجد عكار

- **والشيخ أحمد بن عبد الغني الزعبي** سافر إلى مصر وتلقى علومه بالجامع الأزهر، ثم عاد إلى لبنان، وصار يحمل كثيراً على الصوفية، ولعل السبب في ذلك رؤيته لبعض البدع التي تصدر على يد بعض المتصوفة، ثم درس التصوف وصاحب بعض صلحائهم وشاهد من أحوالهم وكراماتهم ما غير حاله فأعلن توبته عن محاربتهم، مع بقاء انكاره على ما يصدر من جهلتهم من تحريف وتخريف، وأخذ طريقة أجداده وأجيز بها، وعين شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية، كما انتخب رئيساً للرابطة الزعبية التي قام بإنشائها بمساعدة عددٍ من أقربائه منهم جدي لأمي الحاج الشيخ محمد إبراهيم الدهيبي الذي كان من أعز أصدقائه.

في هذه المرحلة اهتم الشيخ أحمد بضبط الأنساب الزعبية وقام بتوزيع النسب على فروع العائلة بعد طبعه، وعين في كل فرع عضواً مع تسليمه الختم ليصدق به على صحة النسب.

كما عين الشيخ أحمد مديراً لمدرسة الحميدية كما عمر الزاوية القادرية في حيزوق ومشحة بإقامة حلقات الذكر والتعليم، وسار سيرة أجداده إلى أن توفي في بلدته مشحا وبها دفن رحمة الله عليه.

- **ومنهم الشيخ مسعود الزعبي** كان إماماً وخطيباً لجامع قرية الشيخ عياش بالعبودية عكار، شهد له البعض بالصلاح وظهور بعض الخوارق على يديه، توفي ودفن في قرية الشيخ عياش.
- **والشيخ عبد الكريم وولده الشيخ محمود** الذي أرسله والده إلى عرب الشاطئ لإحياء الطريقة هناك، وتوفي بها.
- **والشيخ عبد المتعال الزعبي** من أهل العلم وله عدة مؤلفات.
- **والشيخ عبد الحق بن عبد المتعال،** تخرج من الأزهر واستلم الخطابة بمسجد مشحة، ترك عدة مؤلفات مخطوطة.
- **والشيخ عوض** إمام جامع تل حيات ومن مشايخ الطريقة.
- **والشيخ بدر عبد الحميد الزعبي،** إمام ومدرس وله عدة شروحات فقهية وتفسير للقرآن، وغيرهم من المشايخ والوجهاء.
- **والشيخ أحمد قدور الزعبي،** أحد مشايخ الزوايا في مشحا.

ومن وجهاء الزعبية اليوم في مشحا **فضيلة الشيخ عبد القادر محمد الزعبي،** تخرج من الأزهر، وهو خطيب جامع مشحا، معروف بأخلاقه وتواضعه.

والدكتور محمد بن الشيخ خالد الزعبي، خريج جامع الأزهر، وهو من وجهاء الزعبية، له بعض المؤلفات منها كتاب يدافع فيه عن التصوف، وبلغني أنه الآن يعد مؤلفاً عن القادرية والله أعلم، وشقيقه **الشيخ عبد القادر الزعبي** وهو يعد من وجهائهم أيضاً.

ومن مشايخ الزعبية في عكار العتيقة.

الشيخ محمد علي الزعبي كان إماماً وخطيباً لمسجد عكار، ونقلت عنه كرامات مشهودة.

والشيخ عمر محمد علي الزعبي وصف بالورع ونقلت عنه بعض الخوارق.

والشيخ عثمان محمد علي كان إماما وخطيباً لجامع عكار ونقلت عنه بعض الخوارق.

والشيخ عبد الله الزعبي شيخ الطريقة القادرية هناك.

والشيخ مصطفى محمد إبراهيم الزعبي من أهل العلم، ودرس مدة ٧٥ سنة تطوعاً.

والشيخ عبد الغني رئيس لجنة بناء المساجد في عكار.

والشيخ عبدو بن عبد الله الزعبي بن محمد ابن الشيخ علي الزعبي كان صالحاً مباركاً مشهوداً له بالولاية والكرامات من أهل التحمل وصار مستغرقاً، وضريراً مقعداً، توفي منذ سنوات قليلة، وله أشقاء هم السادة :**الشيخ عبد اللطيف والشيخ محمود والشيخ أحمد والسيد محمد.**

ولم يزل هناك عدد من المشايخ الزعبية من أهل عكار العتيقة يأمون بعض المساجد ومن أكثرهم شهرة **الشيخ عبد المجيد عثمان الزعبي** صاحب الزاوية القادرية هناك...

وفي قرية مشتى حمود:

- **الشيخ مهران الزعبي،** كان شيخاً للطريقة القادرية، نقلت عنه عدة كرامات، وقبره هناك ظاهر يزار، ومن أولاده:
- **الشيخ سعيد – والشيخ نجدت.**

وفي قرية السويسة، الشيخ علي محمود الزعبي.

وفي نهر المزرعة، الشيخ عمر الزعبي، والشيخ خالد الزعبي.

- **وفي البيرة، الشيخ عبده الزعبي** من القادرية
- **وفي حلبا، الشيخ محي الدين الزعبي كان إماماً وخطيباً لجامع حلبا.**

- **والشيخ سعيد عبد الغني الزعبي** كان إماماً وخطيباً لجامع حلبا أيضاً، وغيرهم.

وبالجملة فإن آل الزعبي الجيلاني أو الكيلاني الشرفاء من أكثر العائلات وجاهة وصدارة في شمال لبنان، ونسبتهم إلى الإمام الجيلاني أمر معروف مشهور.

وقد حصل الزعبيون على أكثر من مئتي فرمان ورسالة من السلاطين العثمانيين، وشجرة نسب آل الزعبي التي تم نسخها أيام الجد السيد محمد بدر الدين أبا شعفة كتبت في المدينة المنورة بدار الرصاص تحت إشراف عدد من أشراف وعلماء المدينة المنورة ووقعوا على صحة هذا النسب.

وحصن الأكراد في الدولة السورية قريباً من الحدود اللبنانية، وكان قبل تقسيم الدول العربية تابعاً لولاية طرابلس.

وقد ساهم المشايخ الزعبية في نشر العلم والفضيلة ونشر الطريقة القادرية في شمال لبنان بشكل واسع، فكانت الطريقة القادرية في القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر هي الأكثر انتشاراً ولغير الزعبية من القادرية سهم في ذلك الانتشار.

وأما منشأ الطريقة القادرية في لبنان فكان قبل ذلك بكثير، فقد دخلت هذه الطريقة إلى لبنان على يد صاحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه الشيخ السيد عبد الله البطائحي الحسيني دفين بعلبك، وعلى يد القطب اليونيني البعلبكي وذريته، وعلى يد بعض كيلانية حماه منهم نقيب السادة الأشراف في حماه وحمص وطرابلس السيد عبد الرزاق بن شرف الدين بن أحمد بن السيد علي الهاشمي الكيلاني، والنقيب السيد يحيى بن أحمد الكيلاني، والشيخ السيد زكريا الكيلاني دفين فنيدق جد آل زكريا.

ومن فروع الزعبية في طرابلس عائلة آل الصهيوني، كما أخبرني بذلك فضلية الشيخ خضر صهيوني، وقال: أنا خضر بن السيد مصطفى بن الشيخ خضر بن الشيخ علي الصهيوني الزعبي بن الشيخ خضر الزعبي، قدم أحد أجدادهم من قرية صهيون في سوريا، وهي قرية قريبة من حصن الأكراد، فلقب بالصهيوني ثم جرت هذه الكنية على ذريته.

آل القادري في قرية مجدل عكار

وهي قرية صغيرة مجاورة لبلدة البيرة، هذه العائلة يعود نسبها إلى الإمام الجيلاني رضي الله عنه ولم أطلع على نسبهم لأتعرف على فرعهم، إلا أن أيام الرابطة الزعبية حسبت هذه العائلة منهم، وعلى كل الأحوال فإن نسبهم للباز الأشهب صحيح، وقد ظهر في هذا الفرع عدد من المشايخ عرفوا بمشايخ الطريقة القادرية ويروى ظهور الكرامات على أيدي بعضهم فمنهم:

الشيخ عمر القادري.

والشيخ خليل القادري.

والشيخ أحمد القادري.

والشيخ علي محيي الدين القادري.

والشيخ إبراهيم القادري.

والشيخ محمد القادري.

والشيخ محمود بن إبراهيم القادري والد الشقيقين حسن وحسين القادري من وجهاء آل القادري اليوم.

ومن فروع الزعبية **آل الحوري الزعبي** عائلة تفرعت من زعبية الحصن، وهناك عائلة أخرى تكنى بنفس الكنية لا صلة لها بها.

وأما بالنسبة لآل الدنش في عكار، وآل المعرباني في طرابلس والمنية القريبة من طرابلس فقد احتمل بعضهم أنهما من فروع الزعبية ولكن لم أتأكد من ذلك، فإن ثبت لي ذلك بينته فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ومن فروعها **آل رضوان الزعبي، وآل القدور الزعبي.**

آل قاسم بريش

ومن فروع الزعبية آل قاسم وهم من الزعبية الذين استوطنو تركيا، قدم أحدهم واستوطن طرابلس الشام فأعقب ذرية أطلق عليهم (آل بريش)

وجدهم الذي استوطن طرابلس هو: **الشيخ إسماعيل قاسم**، عين قائداً على فرقة كبيرة من الجيش من قبل السلطنة العثمانية، وكانت فرقته تتمركز في العبودية على الحدود السورية اللبنانية حالياً، وكان معروفاً بالورع والتقوى والشجاعة والإقدام، وله كلمة نافذة عند السلاطين العثمانيين، فمن ذلك أن الشيخ محمد الطيب الرافعي والد النائب السابق عبد المجيد الرافعي هرب كمية كبيرة من الميرة ليوزعها على المحتاجين في الوقت الذي كان الجيش يحتاجها، فعلمت به بعض السلطات العثمانية فحكمت عليه بالقتل، وكان الشيخ محمد الرافعي من أصحاب القائد الشيخ اسماعيل، فتشفع به عند السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله، فقبل شفاعته وعفى عنه، وقد توفي الشيخ اسماعيل في طرابلس ودفن في مقبرة باب التبانة، وأما شقيقه السيد سليم قاسم فقد توفي في انطاكية.

ومن أبناء الشيخ اسماعيل: الشيخ محمد خليل بريش الذي نشأ على حب العبادة والذكر والعلم والعلماء والأولياء، وكان كريماً شهماً صابراً، وكان يعمل بالتجارة، أعقب عدةأولاد منهم السيد اسماعيل توفي شاباً عن ولدين هما محمد وأحمد.

والشيخ يحيى المعروف بحسن خلقه وتواضعه وحسن سيرته وشجاعته وسرعته في قضاء حوائج الناس، وهو من حفظة القرآن ومجازاً بعدة طرق منها القادرية والنقشبندية وغيرها.

وشقيقه السيد زكريا من أهل التقوى والسلوك الحسن.

وللشيخ محمد خليل ثلاثة أشقاء.

آل الدهيبي الزعبي الجيلاني
في شمال لبنان

آل الدهيبي عشيرة كبيرة تفرعت عن زعبية الحصن ظهر فيها عدد من المشايخ الأجلاء والوجهاء، وتمتلك هذه العائلة مساحة كبيرة من الأراضي وكان معظم عملهم في زراعة أراضيهم، وفي الفترة الأخيرة حاز عدد منهم على إجازات في عدة اختصاصات في الإدارة والهندسة والطب وغير ذلك، وسأقتصر في كتابي هذا على ترجمة أبرز مشايخ هذه العائلة فقط.

إتصال نسبهم بالزعبية

قد مر معنا أن جدنا الشيخ القطب الكبير السيد محمد بدر الدين أبا شعفة الزعبي دفين حصن الأكراد أعقب خمسة من الأولاد الذكور منهم:

- **جدنا العالم الجليل السيد أحمد خالد الزعبي** الجامع بين الشريعة والحقيقة وشيخ الطريقة القادرية الذي عرف بعلو القدر والصلاح والهيبة فلقب بالذهبي.
- وهوأعقب: **الشيخ محمد الزعبي، وجدنا الشيخ العالم السيد يوسف الناصر الزعبي الذهبي** أحد مشايخ الطريقة، أعقب:
- **الشيخ الصالح السيد علي الزعبي الذهبي الملقب بالمبروك**، أعقب:
- **الشيخ الكبير السيد حسين الذهبي** الذي ماتت أمه وهو في المهد فَسَخَّرَ الله له شاة من ماشية والدِهِ صارت ترضعه حتى أكمل مدة الرضاع، وهو أعقب:
- **الشيخ القطب العالم السيد محمد الذهبي الزعبي الجيلاني قدس سره العزيز**، عرف الشيخ محمد بغزارة علمه وعلو همته وظهور الكرامات على يديه التي منها إبراء المجانين والتي منها رد الحنك الملتوي بلمسة من يده بإذن الله تعالى، وكان أصحابه من المشايخ يطلقون عليه (الأستاذ)، وقد تاب على يديه ويد ولده الشيخ أحمد الآتي ذكره جماعة من أهل الأهواء من أصحاب الفرق الشاذة وغيرهم.

وهو أول من استوطن قرية دار عمار من هذه العائلة ويقال دار عمر، ودير عمَّار، وهي قرية فتحت زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد سيدنا عبد الله بن جعفر بن

أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما تحت قيادة سيدنا أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه (كما في كتاب فتوح الشام للواقدي)، وهي قرية قريبة من مدينة طرابلس الفيحاء الشام، وهذه القرية كانت تابعة في الأصل لطرابلس.

وفي ذلك الوقت تغيرت الكنية من الذهبي وصار الناس يقولون (الدهبي وأحياناً الدهيبي) بالدال المهملة وبقيت هكذا حتى الآن، وتاريخ هذه العائلة في هذه القرية يعود إلى نحو ٢٤٠ سنة تقريباً.

توفي الشيخ محمد الذهبي الدهيبي في دار عمار ودفن في الجبانة الأولى المجاورة للجامع والعين.

أولاده من الذكور:

السادة: الشيخ أبو علي إبراهيم — والشيخ حسين - والشيخ عبد الله — والقطب الشيخ أحمد — والشيخ عمر، وكلهم أعقبوا إلا السيد عبد الله.

فأما السيد أبو علي إبراهيم فقد عرف بالصلاح والكرم والشجاعة والهيبة مع تواضع وانكسار وكان من أهل الخفاء، وكان في حال حياته يجلس تحت شجرة خرنوب كانت قريبة من داره، فلما مات ودفن نبتت على قبره شجرة خرنوب، ثم كبرت هذه الشجرة حتى غطى جذعها قبره وقبر والده، ولم تزل حتى الآن.

أولاده السادة:

محمد — وعثمان — واسماعيل — وحسن، وإثنان درجا (أي لم يعقبا أولاداً)، وكانوا معروفين بالمشيخة، وأكثرهم شهرة ووجاهة الشيخ محمد، وأكثرهم صلاحاً الشيخ حسن قدس سره.

فأما الشيخ عثمان فذريته استوطنت بلدة المنية المجاورة في حارة الحكر، وقليل منهم في حارة النبي يوشع عليه الصلاة والسلام.

وأما الشيخ إسماعيل فقد استوطنت ذريته طرابلس في حي التبانة ثم توزعت.

وأما الشيخ الحاج محمد فبقي في قريته، وكان رحمه الله في بدء أمره فقيراً ثم أصبح ثرياً بعد كد وتعب، وقد قام بتشجير القرية فغرس نحو ثلثي القرية، وبنى منْزولاً، كما بنى أول

مسجد في القرية على قول بعضهم، وقيل إن الذي بنى أول مسجد هو جده الشيخ محمد وهذا أقرب، ويحتمل أن حفيده وسعه قليلاً.

وكان رحمه الله مقصوداً من الزعماء أمثال الشيخ عبد الحميد كرامة وكانوا ينادونه بالعالم، وكان ظريفاً مزوحاً وصاحب فراسة ودعوة مستجابة فمن ذلك:

أن امرأة سرقت له مالا، فلما كان الليل واجتمع عنده الناس وهي من بينهم قال: من كان منكم يعرف الذي سرق المال فليقل له ليرجعه، فقالوا: لا نعرف، فقال: سأدع عليه، وفي اليوم الثاني جاءته المرأة بالمال وقد تشقق جلدها فاعتذرت منه وطلبت منه أن يستر عليها وأن يدعو لها بالشفاء، فدعا لها فبرأت بإذن الله تعالى.

وزوجته السيدة حواء كانت صالحة وظهرت لها كرامات منها: أن كنوز الأرض كانت تخرج لها على وجه الأرض.

وأما الشيخ حسن قدس سره، فقد كان زاهداً صالحاً كثير الذكر والعبادة غزير الدمعة شهد له بعض أهل النظر بالولاية إلا أنه كان شديد التخفي، ظهر حاله قبل موته.

ففي السنة التي توفي بها جمع إخوته وزوجته وقال لهم: إني ذاهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وأزور جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأموت عنده وأدفن في البقيع.

وكان للشيخ حسن ولدين هما إبراهيم وعبد المجيد، فاختلى الشيخ حسن بأخيه محمد، وزوجته الشيخة حورية وقال لهما: سوف يقتل من بعدي ولدي إبراهيم على يد كافر، ثم بعد أن يختفي غريمه لسنوات يكشف أمره شقيقه عبد المجيد ويأخذ بثأره فاصبروا، فتعجب الشيخ محمد من كلامه وظن أنه يهذي وقال له: يا أخي ما تقول ! ثم كيف ستسافر وأنت لا تملك نفقات السفر؟ فقال له الشيخ حسن: عندي بقرة ودجاج وقطعة أرض صغيرة أبيعها وكيف ما كان الأمر فلا بد لي من السفر، فلما رآه شقيقه مصراً قال له: لا تبع شيئاً ونفقة سفرك وأهلك علي، ثم سافر الشيخ حسن فأدى فريضة الحج ثم زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة ودفن بالبقيع، كما أخبر بذلك أصحابه بعد رجوعهم.

ثم لم يمر إلا زمن قصير وإذا بولده إبراهيم يقتل أثناء رعايته لغنم أهله ولم يعرف غريمه، ثم بعد سنوات وفي أثناء طريق السيد عبد المجيد إلى عكار من أجل عمله سمع رجلاً يحدث بعض أصحابه في القافلة بأنه قتل رجلاً من آل الدهيبي وسلبه أثناء رعايته للغنم في المكان الفلاني وأطلعهم على بعض سلبه الذي كان يحمل شيئاً منه، فلما تأكد عبد المجيد من أنه قاتل أخيه

وخصوصاً بعد ما رأى بيده ذلك الشيء، وكان يحمل معه سيخاً من الحديد، توجه إليه وطعنه بالسيخ حتى دخلت يده مع السيخ إلى بطنه، ثم عاد مسرعاً إلى قريته، وحاول بعض أهل القافلة أن يمسكوا به فقال لهم: إنه قاتل أخي فتركوه وخصوصاً أنهم يعلمون أن الرجل على غير دين الإسلام.

ثم رفع أمره إلى الشرطة التركية، فجاء ضابط ومعه فرقة إلى بيت والدته ليلقي القبض على عبد المجيد فلم يجده، فهددهم إن لم يسلموه له بحرق زرعهم وتخريب بيوتهم، عندها قامت الولية الصالحة والدة عبد المجيد وأخذت بيدها حفنة من التراب وقالت: بسم الله ورمت بها الضابط فيبس على فرسه فخاف من معه فتملقوا لها واعتذروا من أجل الضابط، فأشارت بيدها نحو الضابط وقالت بسم الله، فعاد كما كان واعتذر لها وترك الأمر ولم يعد السيد عبد المجيد يطارد بعد ذلك إلى أن توفي، وكان السيد عبد المجيد رجلاً طويلاً قوياً، وكان يضرب الجرة باصبع واحد فينخرها.

وكل هذا والشيخ محمد حي يشاهد هذه الأحداث، وكان قد أخبر بعض أقربائه بما قاله أخوه فكانوا يتعجبون من ذلك، كما ذكر لي عنه عدة كرمات أخرى.

وللشيخ حسن أيضاً ثلاث بنات كلهن عرفن بالصلاح إحداهن: **السيدة زينب** تزوجت رجلاً من آل الحسن من قرية بتورتيج وكانت معروفة عندهم بالشيخة لا تقرأ على مريض إلا ويشفى بإذن الله رزقت ولداً سمته درويش، حصل لها حال ماتت به.

والثانية اسمها **عائشة أم صالح** كانت مثل أختها وأزيد كانت لا تحرك النار إلا بيدها من غير انفعال كأنها تقوم بأمر عادي، ولما شاهدها أخي معين مرة تفعل هذا قال لها: يا خالة كيف تصنعي هذا؟ فقالت له: هذا شيء سهل ما عليك إلا أن تقول بسم الله وتمسك النار ولا تحرقك، تزوجت أيضاً من رجل من آل الحسن ورزقت بصالح.

وأما الثالثة وهي جدتي لأبي **السيدة رحمة** كانت على جذب خفيف ظهر على يدها كثير من الخوارق وكان صوتها جميلاً إذا أنشدت أبكت الحاضرين، روت لي والدتي أنها لما كانت على المغتسل شكلها كأنها في الثامنة عشر من عمرها مع أنها عمرت نحو الثمانين سنة وأكثر، وأنه لما صارت النوبة تضرب بجانب بيتها صار جسمها كله ينتفض، ودفنت عند قبور أهلها رحمها الله تعالى.

أما عبد المجيد فقد رزق بولدين وبنت وكان والده الشيخ حسن قد أوصاه قبل سفره بأنه إن رزق ذكوراً فليسمي أحمد – وحسن، فنفذ وصية والده رحمة الله عليهم.

وأما شقيقه الشيخ الحاج محمد فقد عمَّر وكانت وفاته في القرية ودفن عند قبور أهله،تاركاً من الأبناء: السيد إبراهيم – والشيخ خليل جدي لوالدي – والسيدة أسماء وغيرها.

- **فأما السيدة الحاجة أسماء** فكانت على قدر من الصلاح وحصل لها صيت ووجاهة في القرية وخصوصاً في العائلة، وكانت تحل عندها بعض الخصومات لسداد رأيها واعتقاد الناس بها، تزوجت من رجل من أبناء عمومتها هو الشيخ مصطفى بن خضر بن حسين بن الشيخ محمد جد العائلة، وزوجها المذكور من وجهاء العائلة كريماً متواضعاً، ولما ضاقت الجبانة الأولى قدم أرضاً لجبانة أخرى.

ومن أخبارها: أنها وقعت مرة فانكسر وركها فتألمت كثيراً، فقيل لها غداً نأخذك إلى الطبيب، ففي الليل ناجت ربها وهي تقول: كيف سيكون حالي حين يكشف علي رجل، يارب لا تحوجني إلى ذلك... وفي الصباح قامت تمشي كأن لم يكن بها ضر أصابها، فقيل لها كيف حصل ذلك؟ فقالت: رأيت أن أربعة أقطاب أتوني وعالجوني وها أنا أمامكم ليس بي علة، رحمها الله تعالى.

وأما الشيخ خليل جدي لوالدي فكان كريماً ورث كثيراً وزادت ثروته فكان عنده من أنواع الأموال الذهب والخيل والبقر والغنم، وكان ينفق الكثير منها، ثم حلت عليه مصائب كثيرة أدت بذهاب معظم ثروته فكان صابراً محتسباً، وكان كثير الذكر كثير الصمت ظريفاً، ظهرت على يديه عدة خوارق فمن أخباره :

أنه زار الجبانة مع ابن أخيه الحاج محمد ابراهيم بعد صلاة الصبح ليقرأ القرآن على ميت مات قبل يوم، فسمع السيد محمد صوت أنين وصراخ من ذلك القبر، فقال يا عم تسمع ما أسمع؟ فقال له: نعم ابْدَأ بالقراءة، فقرأ ما تيسر حتى انقطع الصوت وأهداه ثواب القراءة ودعا له، وزاراه في اليوم الثاني فلم يسمعا له صوتاً فحمدا الله تعالى على ذلك، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م، تزوج من الحاجة رحمة الدهيبي السابق ذكرها – والحاجة زهية تامر صبح وكانت كثيرة الصوم والذكر، أولاده: أحمد، ومحمد علي، ووالدي طه، وإبراهيم رئيس بلدية

دير عمار لمدة ثلاثين سنة وكان من أبرز وجهاء العائلة على مستوى شمال لبنان وكان صاحب كلمة نافذة، وأما البنات فهن سكينة، وفاطمة، وحواء، وحورية.

وأما السيد ابراهيم فقد عرف بالرجولة والشجاعة وسداد الرأي عاش نحو أربعين سنة ولم يعقب إلا ذكراً واحداً وعدة بنات، فأما الذكر فهو:

- **الشيخ السيد المعروف بالحاج محمد إبراهيم الدهيبي جدي لوالدتي ولد سنة ١٣١٦هـ ١٨٩٨ر.**

كان السيد محمد في صباه مدللاً يهوى اللعب والفروسية مع ذكاء وشجاعة إلى أن بلغ الخامسة أو السادسة عشر من عمره، فوقعت فتنة في القرية دخل بسببها سجن مدينة حلب وحكم عليه بالسجن لمدة ١٢ سنة ثم خفف عنه إلى ثلاث سنوات لحسن سلوكه وكونه متمسكاً بالآداب والعبادات، ولحسن حظه يسر الله له من يعلمه في السجن، حيث كان مسجوناً معه أحد علماء حلب قيل أنه من آل الترمذي بسبب أمور سياسية، فعلمه خلال هذه السنوات القرآن والفقه على المذهب الشافعي، وعلمه من الآداب والتصوف والتاريخ والحديث، وبعد خروجه من السجن دخل مدينة حماة وتعرف على بعض مشايخ آل الكيلاني وغيرهم وأخذ عنهم، ثم اصطحبه بعضهم حتى أوصلوه إلى قريته.

فدخل قريته شيخاً مبجلاً يزيد احترام الناس له يوماً بعد يوم حتى أصبح مرجعاً مقدماً على الكل مقصوداً من كل الطبقات، كان موصوفاً بالحكمة والفطنة والذكاء والتواضع والهيبة والشجاعة وقوة التحمل والصبر والحلم وأخذ المواقف الجريئة والرأي السديد، وله مناقب كثيرة.

علم كثيراً من شباب القرية القرآن وما يحتاجون إليه من أمور العقائد والطهارة والعبادات، كما تسلم الخطابة في المسجد لفترة ثم تخلى عنها لغيره.

ومن أخباره: أنه قيل له لو بنيت لنفسك بيتاً حديثاً وواسعاً فإنك مقصود ووجيه فقال: من أراد زيارتي فأهلاً وسهلاً، ومن أراد زيارة البيت والجدران فليقصد البيوت الجميلة وليس مجبوراً أن يأتي إلينا، وكان بيته لا يخلو من الزوار وخصوصاً أهل قريته من مختلف العائلات، وكانوا يتحدثون في أمور مختلفة تارة بالسياسة وتارة في شؤون القرية وتارة بأمور الدين فيشرح لهم آية أو حديثاً، وكان يحثهم على التمسك بالعقيدة الصحيحة وتنْزيه الله،

أخبرتنا والدتنا عنه أنه كان يقول لهم: إياكم والاعتقاد بأن الله في جهة فوق أو تحت فإن الله موجود بلا مكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء.

كما أخبرني الصديق محمد خالد عيد أبو خلدون: أن وهيب عيد ابن مختار القرية محمد خليل عيد وهو (أي المختار شقيق إحدى زوجتي السيد محمد ابراهيم) قال: صار يتردد إليه بعض الملاحدة حتى شوشوا عقله بكثرة كلامهم في الإلحاد، فلم يلحد لكنه تعب، ثم وفي أثناء زيارة الشيخ محمد إلى قريبه المختار قال له: إن سألني أحد الملاحدة (ما الله) ماذا أقول له؟ فقال له السيد محمد قل له: الله شيء لا كالأشياء موجود لا كالموجودات عالم لا كالعلماء... ثم بين له عدة دلائل على وجود الله عن طريق العقل والشرع، وبعد أن فرغ من الكلام قال له وهيب عيد: أشكرك لقد أعجبني كلامك فقد أزال عن عقلي ما شوشه بعض الملاحدة، ثم إن وهيب عيد رحمه الله بين لهؤلاء الملحدين عقيدته وترك مواصلتهم، قال لي أبو خلدون: أنا كنت في ذلك المجلس، ثم صار يشيد في الشيخ محمد وعلمه وحكمته.

وكان رحمه الله مشهوراً بتعبير الرؤيا لا يعبر رؤيا لأحد إلا جاءت كما قال، وقد قص له والدي مرة رؤيا رءاها فصارت عيناه تذرف بالدمع ثم قال له متعجباً: أنت يا طه سيخرج من صلبك من يصلح الله الناس على يديه ويهديهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

كان كثير القيام كثير البكاء في خلوته، كان يسمع صوت بكائه أحياناً من خارج البيت أثناء مناجاته، توفي رحمه الله في ٢٤ من ذي الحجة سنة ١٣٩٤هـ ٧ كانون الثاني سنة ١٩٧٥ر، تزوج من الحاجة التقية الصابرة الصالحة حفيظة بنت عبد القادر حسن عيد، ، والحاجة الطيبة حسنة بنت خليل حسن عيد، ويتصل نسبهما بالإمام عبد القادر رضي الله عنه عن طريق الأمهات.

أذكر أن من جملة الذين أخذ عنهم في شبابه بعد عودته من حماه: الشيخ عبد الفتاح الزعبي وغيره من علماء طرابلس، أولاده الحاج إبراهيم أحد أبرز وجهاء العائلة اليوم ورئيس لجنة الصلح في قضاء الضنية المنية، وحسن، وسعد وهو أصغرهم سناً، وعبد الرحمٰن الحائز على الإجازة في اللغة العربية من جامعة الأزهر الشريف، له ديوان شعر وهو مدرس للغة العربية في السعودية منذ ثلاثين سنة تقريباً، وأما البنات فهن أديبة، وخديجة، ومنيرة، ونزيهة، **والسيدة الوالدة الحاجة حسنة الدهيبي** بنت الشيخ الحاج محمد ابراهيم حفظها الله تعالى، عرفت الوالدة بحبها للعلم والعلماء والشجاعة والثبات والذكاء والفطانة، تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر ولا تخاف في الله لومة لآئم، تنصر الضعيف والمظلوم وتقف ضد الظالم وإن كان ولدها، كثيرة الرحمة، غزيرة الدمعة من خشية الله، مستجابة الدعوة، كما عرفت بالكرم، تقوم بخدمة الضيوف في أي وقت كان ليلاً أو نهاراً وخصوصاً إذا كانوا من المشايخ وطلبة العلم، وهي صبورة تتحمل الكثير من الأذى والآلام، وتهتم لأمور المسلمين وتحثنا على الصبر والبذل في سبيل الله، ومن أخبارها أنها ما رقت مريضاً إلا وشُفيَ بإذن الله.

ومنها أيضاً: أنها اجتمعت بسيدنا الإمام أحمد البدوي يقظةً، ولما كانت تؤدي فريضة الحج طافت حول الكعبة على المحمل لضعف همتها وكثرة مرضها، فتمنت أن تطوف على قدميها، فلما نامت رأت الرسول في منامها وأعطاها حبة دواء وقال لها :سوف تطوفين على قدميك، فقامت من نومها نشطة ولما حان وقت طواف الإفاضة طافت على قدميها من غير أن تشعر بالتعب، وبقيت على هذا الحال حتى عادت إلى بلدها.

ومن أخبارها: أنها رأت في منامها سيدنا الخضر عليه السلام يرقيها، فقامت من النوم كأن لم يكن بها ضرٌّ قط أصابها من قبل، وبقيت على هذا الحال حتى تحدثت بذلك فعادت إليها الأمراض ،وأخبارها ومآثرها كثيرة حفظها الله تعالى.

وأما والدي رحمه الله تعالى فقد توفي بعد الانتهاء من تأليف هذا الكتاب، وكانت وفاته يوم الجمعة الساعة التاسعة والنصف صباحاً في (٢٤ صفر سنة ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٤ آذار سنة ٢٠٠٦) ودفن في يوم وفاته بع صلاة العصر في الجبانة الجديدة التي لا يفصلها عن الجبانة القديمة إلا الطريق، وأما مولده فكان سنة ١٣٣٥ هـ الموافق لـ ١٩١٦ ، بعد وفاة والده الشيخ خليل سنة ١٩٣٢ اعتنى به بالإضافة إلى أمه الشيخة رحمة ابن عمه الشيخ الحاج محمد إبراهيم الذي زوجه ابنته فيما بعد، اشتغل الوالد رحمه الله بالتجارة وكان مولعاً بالصيد كما تتبع أمور السياسة حتى كثر أصحابه ومعارفه في لبنان وسورية وعلى جميع المستويات من رؤساء جمهوريات ورؤساء وزارات وغيرهم، وكان يستغل تلك الصداقات لحل المشاكل وقضاء حوائج أقاربه وأصحابه ومن يقصده من الناس.

كان رحمه الله شجاعاً مقداماً رامياً لا يخطئ رميه، يقول عنه أصحابه لم يرو أشجع منه وكانوا يلقبونه بشيخ الشباب، ومع ذلك كان يجل الأولياء والعلماء ويحترمهم وكانوا يعتنون به ويلحظونه، كما كان يزوره عدد من أجلاء المشايخ كالشيخ الجليل السيد أحمد شاكر الزعبي والشيخ المفتي محمد بهاء أفندي الكيلاني والشيخ بكار زكريا ومن المجاذيب كالشيخ عبد الرحمٰن

الشلبي والشيخ عبد القادر الكنج والشيخ خضر والشيخ علي داود وغيرهم نفعنا الله بهم، وبعد وفاة ولده شقيقي المهندس محمد طه سنة ١٩٧٨ صار يبتعد عن الزعماء والسياسة شيئاً فشيئاً حتى ترك ذلك نهائياً، وفي آخر حياته ظهرت عليه علامات الاستقامة ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه أكثر من مرة، وقبل وفاته بيومين قال لم يبق لي من الحياة إلا يوماً أو يومين وسأموت بذبحة قلبية والله أعلم وفي اليوم التالي حصلت له ذبحة قلبية مات بها بعد نحو بضعٍ وثلاثين ساعة تقريباً، وبعد وفاته ظهرت عليه أماراتٌ تبشر بالخير منها أنه لما وضع في قبره تلألأ وجهه بالنور حتى أصبح كالشمس تغمده الله بواسع رحمته.

إخوتي:

- موديل ماتت عن عمر أربع سنين،
- ومحمد الذي تخرج من كلية الهندسة المدنية في مصر، نشأ رحمه الله تعالى على طاعة الله، كان كثير الصوم والصلاة في الليل،وكان له التأثير الكبير فينا في التوجه على طلب العلم والتمسك بالأخلاق المرضية، وكان جميل الصورة حسن الأخلاق فأحبه الناس فأصبح وجيهاً في وقت مبكر، قلما تعرف عليه أحد إلا وأحبه سواءً في لبنان أو مصر أو الإمارات العربية أو السعودية، وحصلت له صداقات كثيرة بحيث لما يكون في لبنان يأتيه الزوار كل يوم وكان كريماً بحيث أن من كان منهم جائعاً أطعمه، ومن كان منهم بحاجة إلى النوم نام عنده، وكل ذلك كان في بيت أهله مما يدل على كرم والديه، وكان ممن يزوره بعض أصحابه من الدول العربية التي كان يسافر إليها مما يدل على أنه كان محبوباً وموضع ثقة الناس، وكان شديد الورع، راودته أكثر من امرأة عن نفسها فكان يزجرهنَّ بشدة، ومن أخباره: أنه لما كان في الإمارات العربية، وفي يوم من الأيام ثارت عليه شهوته إلى حدٍ كبير بحيث خاف على نفسه، فنذر أن يصوم شهراً لله تعالى تطوعاً بنية أن يحفظه الله من السوء، فرأى في منامه أول ليلة من أيام صيام نذره، أنه سمع هاتفاً يقول له: لقد اهتز عرش الرحمٰن لصنيعك هذا.

ولما أراد السفر إلى السعودية آخر مرة قال لأمه: لو تعلمي إلى أين أنا مسافرٌ أو ذاهب لمنعتني من السفر ولو كنت سآتيك بكل مال السعودية، فقالت له: إن كان الأمر فيه كل هذا التعب فلا تسافر يا ولدي، ولم تفطن إلى ما يقصد،فقال لها لابد من ذلك، فودعها وودعنا على غير عاداته السابقة ولم ننتبه للأمر، فسافر وما هي إلا مدة قصيرة وأتانا خبر وفاته في حادث سيارة، وذلك في ٢٥ تموز سنة ١٩٧٨ر، الموافق ١٣٩٨هـ ونقل جثمانه إلى لبنان

ودفن في قريته في جبانة أجداده في ١ آب من نفس السنة، وقد اجتمع أثناء تشييعه عددٌ كبير من الناس ما حصل أن اجتمع هذا العدد لميتٍ في قريتنا مثله حتى الآن، وأما ولادته فكانت سنة ١٣٦١ هـ الموافق سنة ١٩٤٢ ر .

تزوج من هيفاء الحسن بنت القاضي المدني درويش الحسن، ورزق ببنت واحدة، ولما توفيَ كان عمرها سنة.

- وأم محمد لطيفة،
- وأبو خضر إبراهيم،
- وأبو محمد منير المتخرج من كلية الآداب، ورئيساً لمركز الدفاع المدني في المنية
- وأبو عمر معين،
- وأبو طه عمر الذي تفرغ للدعوة منذ سنين عدة.
- وأبو عبد الله عبد الرحيم الذي تخرج من كلية الهندسة في كندا،وقد قام في كندا بنشاط عظيم في حقل الدعوة بمساعدة شقيقه عمر، حتى كثر عدد الدعاة حوله، كما أسس مركزاً للدعوة هناك، وبعد عودته إلى لبنان بنى مركزاً للدعوة في قريته دار عمار اسميناه (مجمع الفرقان) على أرضٍ قدمها شقيقه معين،وقد ساهم في تجهيز المركز من أدوات وأثاثٍ وغير ذلك رواد هذا المركز من أهل القرية وغيرها، ويحتوي المركز على مصلى تقام به صلاة الجمعة والجماعات، كما يحتوي المركز على زاوية أسميناها(الزاوية القادرية الرفاعية) ويحتوى أيضاً على قاعة لإحياء المناسبات الدينية وإلقاء المحاضرات والندوات،وإقامة الدورات الدينية والثقافية والاجتماعية والرياضية،والمهارات اليدوية.

ملاحظة: افتتح هذا المركز يوم السبت ٦ شعبان سنة ١٤٢٣ هـ الموافق ١٢ تشرين الأول سنة ٢٠٠٢ ر، يعني أن افتتاحه كان بعد انتهاء هذا الكتاب.

- ثم أنا العبد الفقير إلى رحمة مولاه
- وأبو الحسن علي، وهو أصغرنا سناً

هذا ولله الحمد والمنة كلهم نشأوا على حب الطاعة لله وطلب العلم،وهم أصحاب نخوة ومروءة، يسارعون في قضاء حوائج الناس وإن كان ذلك يكلفهم بذل الأموال...

وأما الشيخ حسين بن الشيخ الاستاذ محمد الدهيبي الزعبي الجيلاني، فذريته تعدل ثلاث أربعاع العائلة الذهبية.

أولاده السادة:

الشيخ مصطفى – والشيخ خضر – والشيخ خليل – والشيخ خالد.

وأشهرهم الشيخ مصطفى الذي استوطن بلدة المنية المجاورة في حارة نبي الله يوشع عليه الصلاة والسلام.

وأما البقية فلم يتركوا قريتهم إلا أنهم انتقلوا إلى ناحية من القرية تسمى حارة (عين رزَيْق) وفي الأصل عين زريق.

فأما الشيخ خضر فأولاده: ابراهيم – وعبد الرزاق – ومصطفى – واسماعيل ولكل عقب وذرية.

وأما الشيخ خليل فأعقب ولدين هما: عبد الرحمٰن – والشيخ حسين، ولهما عقب وذرية، والشيخ حسين هو والد الشيخ عمر حفظه الله الذي ارتحل إلى المنية وستأتي ترجمته.

وأما الشيخ خالد فأعقب: خضر – وأحمد – وعبد القادر – ومحمد – ولكل عقب وذرية.

وأما شقيقهم سيدي الشيخ الجليل مصطفى بن الشيخ حسين، فكان شيخاً عظيماً تفقه وسلك على يد عمه القطب العارف الآتي ذكره، وأجازه بالإرشاد والتسليك.

رحل الشيخ مصطفى بأهله في حياة عمه الشيخ أحمد إلى المنية وسكن في حارة النبي يوشع عليه الصلاة والسلام، وصار يقيم حلق العلم والذكر ويقيم الاحتفالات بالمناسبات كذكرى المولد النبوي الشريف، وما زالت العائلة تحتفل بهذه الذكرى حتى اليوم في دار عمار والمنية.

وكان الشيخ مصطفى يأكل من عمل يده بزراعة أرضه، كما أعقب ذرية كبيرة عددها اليوم يساوي عدد أقربائهم في دار عمار تقريباً،وكان من أهل الخفاء ومع ذلك فإنه ظهر على يديه كرامات عديدة منها:

" أنه كان يوماً يعمل في أرضه وإذ بعدد من الرجال على خيولهم دخلوا أرضه فسبب ذلك إتلافاً لزرعه، فناشدهم أن يخرجوا من أرضه أو يكفوا عن اتلافاً الزرع، فتقدم إليه أحدهم وقال له: أتعرف من تكلم أنا فلان (من إحدى قرى الضنية) يكلمه بكبرياء وغرور، فقال له الشيخ: وإن يكن فإنه لا يجوز ما تفعلونه، فغضب الرجل ورماه برجله على الأرض، عندها وجه الشيخ

عصاه نحو الرجل وقال له: خذ وحرك فمه كأنه يقذفه، فصرخ الرجل من ألم في جسده وفي الحال خف عنه الألم ثم رحل وهو يضحك استهزاءً، وفي أثناء طريقه عاوده الألم ثم صار يزيد شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى بيته في الضنية ولم تعد تحمله رجلاه، فقال لأصحابه: لعل ما حل بي بسبب إيذائي لذلك الشيخ، فاذهبوا إليه وائتوني به يرقني، فعادوا إلى الشيخ وقد غربت الشمس واستدلوا على بيته وأخبروه بما حصل، فقام الشيخ ومشى معهم خطوات ثم قال لهم: لن أذهب معكم فقد فات الأوان، وما زالوا يلحون عليه وهو لا يقبل حتى وصل جماعة من أصحاب الرجل وأخبروهم بأن الرجل قد مات، فتعجبوا لذلك وصاروا ينظرون إلى الشيخ نظر إجلال وتعظيم وخوف منه وطلبوا منه السماح لأنفسهم فسامحهم وعادوا.

ومنها: أنه اجتمع عدد من مشايخ الشمال في مناسبة المولد في الساحة التي تحت مسجد النبي يوشع صلى الله عليه وسلم، وكان من بين الحضور الشيخ مصطفى وعمه الشيخ أحمد، فقال الشيخ أحمد بعد كلام: أي سادة أرجو أن لا يتصرف أحد منكم بضرب سلاح أو دخول نار وغير ذلك.... ولنكتفي بتلاوة شيء من القرآن والذكر وبعض الأناشيد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم... وبعد أن بدأوا بالذكر قام أحد مشايخ عكار وأخذ السيف وضرب به أحد الحاضرين فانفتح بطنه وظهر منه مصرانه ووقع الرجل على الأرض يتخبط بدمائه وحاول ذلك الشيخ أن يدرك الموقف فلم يستطع ذلك، وكاد الرجل أن يموت كأنه في أنفاسه الأخيرة، فصاح الشيخ أحمد بابن أخيه: أدركه يا شيخ مصطفى، فقام إليه الشيخ وغطى نفسه والرجل بعباءته وبعد لحظات كشف العباءة فقام الرجل وقد لحم بطنه بإذن الله تعالى.

ثم قام الشيخ مصطفى وقال لهم: تتحدوننا في بيوتنا؟ ثم أخذ سجادة الصلاة وبسطها على وجه ماء العين الكبيرة هناك، وقال لهم: من كان منكم يريد التحدي فليصلي على وجه الماء فلم يتقدم أحد عندها تقدم قدس سره وصلى عليها ركعتين، فأقبل الناس من بينهم ذلك الشيخ يعتذرون منه ومن عمه ويقبلون أيديهما، وله نفعنا الله به غير ذلك من الكرامات.

أولاده السادة:

الشيخ محمد – واسماعيل – وعمر – وعباس – وحسين – ومحمود – وعبد الفتاح – وكلهم نشأوا على حب الدين وصلة الرحم، وحصلت لهم وجاهة كما عرفوا بالشجاعة، ولكل منهم عقب وذرية، وأشهرهم من حيث المشيخة:

- **السيد الشيخ محمد**، تفقه وسلك على يد والده وأخذ الإجازة بالطريقة عنه وعن القطب الجليل سيدي عبد الله الزعبي دفين حيزوق، والسيد نقيب السادة الأشراف الشيخ عبد الفتاح الزعبي، وكان الشيخ محمد على صلة بهما.

أحيا الشيخ محمد الزاوية القادرية بالمنية وأصبح مقصوداً يحضر عنده الأكابر أمثال الشيخ عبد الله وعبد الفتاخ الزعبي وأمثالهما، وسار الشيخ محمد سيرة أجداده حتى وفاته رحمه الله، وأولاده السادة المشايخ: خضر – وعبد الرحمن – وحسن وكلهم أعقبوا، وأشهرهم:

- **سيدي القطب الشيخ حسن قدس سره**، الذي شهد له عدد من المشايخ الأجلاء في شمال لبنان وحمص بالولاية كما شهد له بعض الأكابر بالبدلية.

اهتم به والده فنشأ على حب العبادة والزهد وعرفه على المشايخ وأجازه بالطريقة ثم صحب الشيخ عبد الفتاح الزعبي كما صحب الشيخ أحمد شاكر الزعبي وأخذ عنهما وأجازاه ، وكانا يزورانه في زاويته التي أحياها بعد وفاة والده، فأخذ عنه جماعة كما كان يسلك الجن أيضاً، وكان أخذه الاجازة من السيد عبد الفتاح الزعبي في زاويته في المنية بحضور جماعة من المشايخ، كذلك فعل الشيخ أحمد شاكر الزعبي حين أجازه، كما أخذ الإجازة بالطريقة النقشبندية عن الشيخ ذي الفقار الحسكي دفين دمشق.

وكان الشيخ حسن شديد التخفي بحيث من كان يراه أو يعاشره لا يظنه من الأولياء مع اعتقادهم إنه من أهل الصلاح، أو من الدراويش، لكثرة تواضعه مع ظهور الهيبة على وجهه، ومع خفائه فإنه كانت تظهر له كرامات أمام الناس عند الضرورة.

أخبرني ولده عبد الستار قال: كان والدي كثير الذكر والمجاهدة يستقبل الزوار في الليل والنهار ويقوم بخدمتهم، وكان يقوم الليل وكنت أراقبه أحيانا في الليل فأرى منه أحوالاً غريبة كأنه يرى أشياءً وأحيانا أسمعه يتكلم كأن عنده أحداً من غير أن أراه، ثم فاضت عيناه بالدمع وقال: كان والدي نعمة من الله علينا ما عرفنا قيمته حتى فقدناه، قال: وقد حصلت على يديه كرامات كثيرة منها :

أنه أخذني مرة معه إلى مدينة حمص بدعوة من بعض مشايخها، وقد حضرنا هناك في بعض الزوايا حلقة ذكر، وفي أثناء الحضرة حصل لوالدي أحوال ظاهرة أثرت في الحاضرين، وبعد انتهاء الحضرة أصر عليه عدد من الحاضرين بأن يخبرهم بما حصل له وشاهد وبعد إلحاحٍ منهم قال لهم: لقد حضر معنا أثناء الذكر الشيخ محمد سليم خلف الحسيني النقشبندي قدس سره، فقالوا له: إن كان كما تقول فدلنا على قبره، والشيخ حسن لم يكن زار قبره ولا يعرفه، فقال لهم: أنا كبرت في السن والمشي يتعبني، فأصروا عليه فقال لهم: قوموا بنا لنذهب إلى المقبرة، فلما ساروا صار أسرعهم في المشي حتى وصلوا، فوقف على باب الجبانة ونظر قليلاً إلى القبور ثم قال لهم: ذاك هو قبر الشيخ سليم فإذا هو كما قال، فعظموا أمره وقبلوا يديه.

ومنها ما أخبرني به عدد منهم السيد الوالد قال: حصل نزاع بين آل الدهيبي في المنية مع عدد من العائلات بسبب بئرٍ حفروها فطلب عائلات المنية منهم أن يردموا البئر، ولما لم يستجيبوا لهم رفعوا الأمر إلى الدولة، فأرسلت الدولة فرقة كبيرة من الشرطة ومعها مدرعات من أجل هذا الأمر فأراد عدد من شبان العائلة أن يقوموا بأمر لا تحمد عقباه فبلغ الأمر الشيخ حسن فنهاهم عن القيام بأي تصرف وقال لهم: دعوا الأمر لي، فقام وأخذ معه ابن عمه وتلميذه الشيخ عمر حسين الدهيبي حتى وقفا تجاه الشرطة وهم قادمون وصارا يذكران الله ويشير الشيخ حسن بيده نحوهم وأخذ الشيخ عمر حال عظيم، فلم تعد الآلات تستطيع التقدم ثم إن قائد الشرطة أمرهم بالرجوع، وبعد رجوعهم سئل القائد ماذا حصل؟ فقال: لم تعد الآلات تستطيع التقدم ورأيت ناراً آتية من ناحية الشيخ نحوي حتى كادت تصل إلى وجهي.

قال والدي: ثم بعد ذلك تدخل رئيس الوزراء رشيد كرامي وحل الموضوع وتم الصلح بينهم.

ومنها: ما حدثني به الشيخ عمر شام الدين النقشبندي من أهل عكار العتيقة والبالغ من العمر نحو ١٣٠ سنة ولم يزل حياً، قال: اجتمع عندنا في بعض الزوايا عدد من المشايخ منهم الشيخ حسن ثم بعد انتهاء المجلس قام سائق الباص من غير استئذان الشيخ حسن فأدار المحرك بالمفتاح فلم يَدُرْ، فقال أحد تلاميذ الشيخ للشيخ: اسمح له، فلم يرد الشيخ، وحاول السائق عدة مرات وفتح الغطاء لينظر إلى الموتور(المحرك) فلم يجد عطلاً به، حتى قال الشيخ لتلميذه:إذهب أنت وأدر المحرك فإنه يدور ففعل فدار المحرك، قال الشيخ عمر شام الدين وله غير ذلك من الكرامات، وقال: الشيخ حسن كان من أكابر الأولياء.

(توفي الشيخ عمر شام الدين بعد انتهاء هذا الكتاب بنحو تسعة أشهر)
ومن كراماته العظيمة ما حدثني به عدد منهم الشيخ محمد عبيد وأخي معين نقلا عن العلامة المحدث السيد الشيخ عبد الله الهرري أنهم سمعوا منه أنه قال: الشيخ حسن كان من الأولياء الأخفياء وكان من الأبدال وله كرامات منها: أنه لما كان يقرأ التشهد في الصلاة حين يصل إلى" السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" يسمع رد الرسول صلى الله عليه وسلم " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فالشيخ حسن قدس سره مع علو قدره فإنه كان من أهل الخفاء، وكان أمياً، وأذكر الآن سنده بالطريقة القادرية:

أخد رحمه الله الطريقة مع الإجازة بها من والده الشيخ محمد وهو أخذ عن الشيخ عبد الله الزعبي، وعن والده الشيخ مصطفى عن عمه الشيخ أحمد الدهيبي الذهبي عن الشيخ محمد بدر الدين الزعبي، وعن والده الشيخ الأستاذ محمد الدهيبي الزعبي الكيلاني عن والده الشيخ حسين عن والده الشيخ علي المبروك عن والده الشيخ يوسف الناصر عن والده الشيخ أحمد خالد الزعبي الملقب بالذهبي عن والده القطب الكبير محمد بدر الدين شعفة الزعبي دفين الحصن

كما أخذ الاجازة عن الشيخ الكبير أحمد شاكر الزعبي، وعن نقيب السادة الأشراف الشيخ عبد الفتاح أفندي الزعبي دفين طرابلس الشام، وهو أخذ عن والده الشيخ محمد بدر الدين عن والده الشيخ محمد نجيب عن والده القطب الغوث الشيخ عبد الفتاح الزعبي الأول عن والده الشيخ محمد أبي علي عن والده الشيخ علي بكار عن والده الشيخ بكار عن والده السيد محمد بدر الدين أبي شعفة دفين حصن الأكراد.

كما أخذ الشيخ عبد الفتاح أيضاً عن ابن عمه الشيخ بكار عن والده الشيخ عبد الغني عن ابن عمه الشيخ يوسف الناصر عن ابن عمه الشيخ علي بكار عن عمه الشيخ أحمد الملقب بالذهبي عن والده القطب السيد محمد بدر الدين شعفة، عن والده السيد محمد أبي بكر عن والده السيد علي نور الدين المقرفص أول من تكنى بالزعبي دفين حوران، عن والده السيد محمد عن والده السيد يعقوب عن أخيه السيد محمد عن والده السيد يعقوب عن والده السيد أبي بكر عبد العزيز عن والده السيد علي نور الدين

الكبير عن والده السيد محمد زين العابدين عن والده السيد أحمد أبي البقاء عن والده السيد محمد شرف الدين عن والده السيد موسى أبي الفتح شرف الدين عن والده السيد محمد شمس الدين عن والده السيد علي نور الدين عن عمه السيد بدر الدين حسن عن والده السيد محمد شمس الدين الأكحل عن والده السيد محمد حسام الدين شرشيق عن والده السيد محمد أبي بكر الحيالي الجيلي الملقب بالهتاك وبالذهبي عن والده الذهب الابريز سيدي الشيخ أبي بكر عبد العزيز الجيلي ثم الحيالي السنجاري عن والده سلطان الأولياء ومعدن الأصفياء سيدنا محيى الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

يقول سيدي الشيخ محمد بدر الدين الزعبي دفين استنبول والشيخ مصطفى نجا مفتى بيروت سابقا وغيرهما:

" يطلق على هذه السلسلة (السلسلة الذهبية) لأنها من قطب إلى قطب ولأنها مأخوذة من شيخ عن شيخ كلهم من آل البيت الأشراف حتى الإمام عبد القادر رضي الله عنه وكلهم من ذريته".

توفي الشيخ حسن الدهيبي سنة ١٣٨٦ هـ ٢١ نيسان ١٩٦٧ر ودفن بجوار قبور أهله وجده الشيخ مصطفى في الجبانة التي بجوار مسجد النبي يوشع عليه الصلاة والسلام.

- ومن تلاميذ الشيخ حسن **ابن عمه الشيخ عمر بن حسين بن خليل بن حسين بن الاستاذ محمد الدهيبي**، ولد سنة ١٣٣٥هـ الموافق ١٩١٦ر، وقيل قبل ذلك بسنتين.

سار سيرة شيخه من حيث الخفاء والتواضع والإنكسار وحبه وإجلاله للعلماء والسعي في قضاء حوائج الناس وغير ذلك.

أخذ الشيخ عمر الطريقة في شبابه عن الشيخ أحمد شاكر الزعبي، وأوصاه الشيخ أحمد قدس سره بعدة وصايا منها: أن لا يحلق لحيته، فلم يعد يأخذ من لحيته شيئاً بعد ذلك، ثم صحب الشيخ حسن وأخذ عنه الطريقة مع الإجازة كما أخذها من الشيخ أحمد شاكر، وأنا أخذتها عنه.

كما أخذ الطريقة الرفاعية مع الإجازة بها من أحد مشايخ آل عربس الرفاعي كما أخبرني ونسيت اسم ذلك الشيخ.

ولقد رأيت الشيخ عمر يحل عليه البلاء الكثير الشديد فلم يتغير لون وجهه ولم يتأوه.

وسألته مرة من خليفة الشيخ حسن فتبسم ولم يجب، ثم سألته مرة ثانية بعد عدة أشهر فتبسم ثم قال لي:أرسل إلي الشيخ حسن ليلة وفاته وحادثني ثم أعطاني تاجه (أي عمامته الخضراء)

وسئل مرة عن كثرة زيارته لمقام سيدنا النبي يوشع عليه الصلاة والسلام فقال: كنت مرة عند مقامه فظهر لي في اليقظة وأمرني بالإكثار من زيارته.

وحال الشيخ عمر غالبا الهدوء وتراه مستغرقا في بعض الأحيان القليلة فَيُغْلَبُ عليه،

كما ظهرت على يديه عدة خوارق، منها أنه لا يكاد يرقي مريضاً إلا ويشفى بإذن الله تعالى.

ومنها: ما حدثني به أحد أقربائنا الصديق الحاج أشرف بن محمد علي عباس قال: كنت يوماً في مجلس عزاء في أيام الشتاء في المنية عند بعض العائلات، وكان في المجلس عدد من الوجهاء والزعماء منهم رئيس الوزراء رشيد كرامي، وكان من جملة الحاضرين الشيخ عمر، ثم دخل المجلس أحد المشايخ له شهرة بين الناس، ولما قدموا لنا الشاي أخذ ذلك الشيخ كأس الشاي ثم ألقاه على الأرض يريد أن يظهر كرامة بأن يلقي كأس الشاي ثم لا ينكسر ولا يراق الشاي الذي به، والذي حصل أن الشاي سال من القدح ولم تحصل كرامة، عندها قام الشيخ عمر الذي لم يلتفت إليه الناس بوجود ذلك الشيخ المشهور وقال له: تفعل مثل هذا بحضورنا ثم توجه إلى الموقد الملآن بالجمر الكبير والحطب الشاعل وصار يأخذ بالنار بيديه فيطفئ بعضها بلسانه وبعضها يضعها على عينيه وعلى ثيابه حتى أدهش الحاضرين فأعتذر ذلك الشيخ منه، وعظم أمره في أعين الحاضرين فقام بعضهم يقبل يديه، وتواجد بعضهم.

قال الحاج أشرف: وقعت أختي أم أحمد مرة فيئِسنا منها وظننا أنها تموت، فذهبنا إلى الشيخ عمر وأحضرناه فقرأ عليها نحو عشر دقائق فقامت ما بها علة، وكان ذلك في أيام الشتاء الماطرة، وبعد أن رقاها فتح باب البيت وانطلق وكان ذلك منتصف الليل، فناديناه حتى نوصله بالسيارة لأن المسافة بعيدة والمطر غزير وهو شيخ كبير، وخرجنا وراءه فوراً فلم نجده ثم بحثنا عنه ضمن مسافة واسعة فلم نجده، وقال شقيق زوج أم أحمد ركبنا سيارتنا من دار عمار إلى منْزله تتفقده على الطريق فلما وصلنا إلى منْزله وسألنا عنه رأيناه في البيت ليس به بلل ولا أثر التعب، وقال لنا: لم أتعبتم أنفسكم في هذا الليل الماطر، كما ذُكِرَ لي عدة خوارق مثل هذه.

ومن أعماله محافظته على قيام الليل منذ شبابه، وتراه لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ومع هذا كله فهو غريب في أهله متخفيا مد الله في عمره وخفف عنه آمين، وللشيخ عمر شقيق هو الشيخ محمود كان قائماً بامور مسجد الضيعة في دار عمار.

(توفي الشيخ عمر رحمه الله بعد انتهاء الكتاب يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان سنة ١٤٢٤ هـ ٢١ تشرين الأول سنة ٢٠٠٣ ر، ودفن في اليوم الثاني ظهراً في الجبانة التي بجانب مسجد نبي الله يوشع عليه السلام، وحضر جنازته حشد كبير من الناس)

- وابنة الشيخ **حسن الحاجة كاملة** أخذت عن أبيها وكانت صالحة ظهر على يديها عدة خوارق منها: أنه أصابها ورم في رقبتها وقيل لها إنك تحتاجين إلى عملية فقالت: يفعل الله ما يشاء، ثم في اليوم الثاني ظهرت أمام أهلها ليس في رقبتها ورم وعليها أثر عملية جراحية كأنه مر عليها زمن، فقالوا لها: كيف هذا؟ فقالت لهم: أتاني في منامي الليلة من قام بعملية جراحية في رقبتي ثم مسح عليها فالتحم الجلد ثم استيقظت وقد شفيت، فقالوا لها من الذي أتاك؟ فلم تخبرهم رحمها الله تعالى، وزوجها الحاج محمد الدهيبي الذي بنى مسجداً في (بحنين) المجاورة للمنية.
- **ومنهم الشيخ أحمد بن خضر** بن محمد بن الشيخ مصطفى، وهو ابن شقيق الشيخ حسن، كان مباركاً يقصده المرضى وأصحاب الحوائج فتقضى لهم بإذن الله تعالى.
- **وشقيقة الشيخ أحمد السيدة عائشة،** كانت صالحة من أهل الخفاء، وكانت تجتمع بالأقطاب الاربعة يقظة، وكانت تتحدث عن أمور فتحصل، وماتت مسنة، والنساء اللواتي كن عند غسلها أخبرن بأنها كانت كعروس تتلألأ، ودفنت في دار عمار.
- **ومنهم الشيخ حسن بن محمود** ابن الشيخ مصطفى، أخذ عن ابن عمه الشيخ حسن ابن الشيخ محمد أيضاً، وظهرت عليه أمارات الصلاح وكانت تظهر عليه أحوال صادقة وكان كثير الذكر والبكاء، وقد بنى مسجداً على أرضه في حي آل الدهيبي وكان يخطب فيه الجمعة، وكان رحمه الله زاهداً يقنع بالقليل، توفي منذ ١٠ سنوات تقريباً، وحصلت أحوال غريبة أثناء مرور جنازته تواجد لها الناس وعلت الصيحات بالبكاء.

ومنذ ثلاث أو أربع سنوات بني في حي الدهيبية مسجداً كبيراً أطلق عليه اسم (مسجد سيدي عبد القادر الجيلاني) سعى في بنائه عبد الستار ابن الشيخ حسن الدهيبي بمساعدة

صديقه الحاج راشد الطبال الطرابلسي موطناً، (الذي تبرع بالمال كله لبناء المسجد رجل من آل العيتاني يدعى السيد زهير عيتاني وشقيقه السيد وليد، وآل عيتاني عائلة عريقة من مدينة بيروت يعود نسبها إلى سيدنا الإمام الحسن السبط رضي الله عته).

ومن ذرية الشيخ حسين ابن الأستاذ محمد :الحاج أحمد بن عمر بن عبد الرزاق بن خضر ابن الشيخ حسين ، بنى مسجداً في قرية البرج الملاصقة لدار عمار.

والحاجة عائشة بنت عبد الله بن مصطفى بن خضر ابن الشيخ حسين، قدَّمت منذ عدة سنوات أرضها لبناء مسجد عليها، فسعى في بنائه زوج ابنتها الحاج مصطفى بن عبد الكريم بن ابراهيم بن خضر ابن الشيخ حسين.

قلت: بعد الطبعة الأولى لهذا الكتاب توفي الحاج مصطفى بن يوسف بن محمود بن الشيخ مصطفى فأرادوا دفنه على والدته الحاجة حلوم بنت السيد أحمد عبد العزيز التي مر على وفاتها نحو عشر سنين فوجدوها كما هي لم تتغير عن يوم دفنها قدس الله سرها، وقبرها بجانب قبر الشيخ الجليل مصطفى بن الشيخ حسين الذي مر ذكره، أ خبرني بذلك عدد من الأقرباء منهم ولد الحاج مصطفى الأستاذ فادي وعمه الدكتور توفيق بن يوسف الدهيبي.

ومن مشايخ هذه العائلة:

- **الشيخ العالم العامل والقطب المرشد الكامل شيخ السجادة الذهبية القادرية والرفاعي البدوي الدسوقي الخلوتي الشاذلي السعدي... الشافعي سيدي أحمد الدهيبي الزعبي الملقب بالذهبي ابن الأستاذ الشيخ محمد الدهيبي.**

نشأ قدس سره على حب العلم والزهد والعبادة، سلك على يد والده، ثم في أول شبابه صحب الشيخ محمد بدر الدين الزعبي وأخذ منه الإجازة بالطريقة القادرية، ثم هاجر سائحاً مدة عشرين سنة فمر في عدة بلاد يطلب فيها العلم، وقضى معظم سياحته في مصر والمغرب العربي، فبرع في الفقه والتصوف وحاز على إجازات عديدة في علوم الشريعة والطرق الصوفية والطب، وفي أيام سياحته قام بدخول خلوة استغرقت سنة كاملة لا يخرج منها، كما كانت له مجاهدات لا يقوم بها إلا أشداء الرجال.

ثم بعد عودته إلى قريته دار عمار بنى زاوية سماها المدرسة القادرية وغرفة صغيرة للخلوة، فكان يقيم فيها حلقات التعليم والذكر، كما بنى صداقات مع عدد من المشايخ والعلماء الأجلاء في سوريا ولبنان وكانوا يجلونه ويثنون عليه ثناءاً جميلاً، ومن هؤلاء العلماء العالم الفاضل الشيخ محمد الحمصي القادري قال فيه لما وقع على شجرة نسب آل الدهيبي الزعبي الكيلاني:

" الشيخ الجليل التقي المبارك فرع الشجرة الزكية، منشئ الطريقة صاحب الحقيقة السيد الشيخ الحاج أحمد القادري الحسني الذهبي الزعبي المكرم المحترم، فمن عارضه أو جافاه أو أنكره في طريقته العلية كونه مرشداً كاملاً ومن الصلحاء المتورعين الكرام كان غير عارف بمعادن الرجال... نفعنا الله ببركته ونفحاته السنية...

وقال فيه السيد الشريف مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا الحنفي القادري قدس سره:

قد جدد الذهبي خطوط تشرف	بِسُمو سنا بالمصطفى العدناني
وغدا الزمان له صفيا طبق ما	قال الإمام الشافعي ببياني
هذا هو الذهبي والشيخ الذي	شاعت لنا أحواله بعيان
هذا الذي شهد الزمان وأهله	فيه فلم يحتج إلى برهان
فله مناقب لست أنسى نقلها	ما دمت أقرأ قصة السفياني

هذا وقد قام السيد أحمد بكتابة شجرة نسب العائلة الذهبية الدهيبية ذكر فيها أسماء أجداده حتى زمنه، وأشهد عليها عدداً من مشاهير العلماء الأشراف آنذاك ووقعوا عليها مع ذكر ثنائهم على الشيخ وأطلقوا على هذه الشجرة (السلسلة الذهبية القادرية)، وهذه هي أسماؤهم :

السيد بكار الزعبي الجيلاني دفين مشحا عكار

والسيد عبد الله الزعبي دفين حيزوق عكار

والسيد عبد الفتاح الطرابلسي الثاني نقيب السادة الأشراف في طرابلس

والسيد أحمد بن عبد الرزاق الزعبي

والسيد محمد السبسبي، الرفاعي الحسيني

والسيد محمد بن خليل أبو المحاسن القاوقجي، الادريسي الحسني المشيشي المغربي، الطرابلسي

والسيد مصطفى الزعبي الكيلاني

والسيد إبراهيم أدهمي الحسيني

والسيد عبد الرحمن الشاذلي الخلوتي القادري

والسيد أحمد قاسم، خادم العلم الشريف وشيخ الطرق العلية بطرابلس

والسيد الفخر درويش النور خادم العلم الشريف بطرابلس

والسيد محمد أمين السلطاني

والسيد محمد درويش الحسيني الرفاعي

والسيد محمد سعيد الخلوتي شيخ الطريقة

والسيد محمد كمال الدِّين مطعمه الخلوتي

والسيد علي رضا السيد

والسيد محمود عبد الدائم خادم العلم والطريقة

والسيد محمد فتح الله الزعبي الكيلاني شقيق السيد عبد الفتاح الزعبي الثاني نقيب الأشراف

والسيد عبد الفتاح الزعبي الثاني

والسيد محمد خليل صادق خادم العلم الشريف في طرابلس الشام

والسيد عمر القاوقجي الحسني

والسيد محمد الحمصي القادري خادم العلم الشريف

والسيد جابر عبد الله السيد الشريف خادم العلم وعميد السادة الأشراف بحوران من الدولة السورية

والسيد مصطفى نجا القادري الحنفي مفتي بيروت آنذاك.

ذكر بعض أسانيده

في بعض الطرق

فأما سنده في الطريقة القادرية فقد أخذ الاجازة بها عن والده...

وعن الشيخ الكبير محمد بدر الدين الزعبي الكيلاني دفين استنبول، عن والده...

وأخذ الشيخ بدر الدين أيضاً عن ابن عمه السيد مسعود الزعبي عن عمه السيد عبد الغني عن والده السيد بكار الزعبي دفين مشحا عن والده السيد محمد الملقب بالحكيم دفين خربة كوشا عكار عن والده السيد بكار عن والده السيد محمد بدر الدين أبي شعفة دفين الحصن، وقد مر معنا إتصال هذه الأسانيد بالإمام الجيلاني رضي الله عنه عند ذكر إسناد الشيخ حسن الدهيبي دفين المنية فليراجع.

وأما إجازته بالطريقة الرفاعية العلية وسنده فيها، فهو:

عن الشيخ السيد عبد القادر أبي رباح الدجاني الاحمدي الرفاعي، الخلوتي القادري الدسوقي خادم العلم والطريقة، وكان ذلك سنة ١٢٧٠هـ.

وإن السيد عبد القادر الدجاني أخذ عن ابن عمه الشيخ السيد حسين سليم الدجاني عن السيد حسن الغزالي المقداسي عن السيد أحمد بن حسين الجندلي الرفاعي عن السيد عبد الرحيم بن علي الرفاعي عن والده السيد علي الرفاعي عن السيد أحمد الجندلي الرفاعي عن السيد محمد أبي شعر الجندلي الرفاعي عن السيد إسماعيل الجندلي الرفاعي عن السيد عزالدين حسن عن السيد صدر الدين الرفاعي عن السيد شمس الدين أحمد الرفاعي عن أبيه السيد تاج الدين الرفاعي عن السيد شمس الدين بن أحمد المستعجل بن محمد الرفاعي عن خاله ابن عم أبيه السيد نجم الدين أحمد أبي علي الرفاعي عن ابن عمه السيد قطب الدين علي أبي الحسن الرفاعي ابن السيد عبد الرحيم الرفاعي، عن مهذب الدولة علي ابن السيد سيف الدين عثمان الرفاعي، والسيد مهذب الدولة أخذ عن سيدنا وقدوتنا الإمام تاج الأولياء القطب الغوث الجامع أبي العلمين محيي الدين أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه،ابن السيد أبي الحسن علي

الرفاعي المكي دفين بغداد، ابن السيد يحيى نقيب البصرة ابن السيد أحمد المهاجر من المغرب، ابن السيد أبي حازم ثابت ابن السيد علي الحازم أبي الفوارس ابن السيد أبي علي أحمد المرتضى ابن السيد علي أبي الفضائل ابن السيد الحسن الأصغر رفاعة الهاشمي المكي نزيل بادية اشبيلية بالمغرب، ابن السيد أبي رفاعة المهدي ابن السيد أبي القاسم محمد ابن السيد الحسن أبي موسى رئيس بغداد نزيل مكة، ابن السيد الحسين عبد الرحمن الرضي المحدث، ابن السيد أحمد الصالح ويقال له الأكبر، ابن السيد موسى الثاني ويقال له أبو يحيى وأبو سبحة، ابن الأمير السيد أبي محمد ابراهيم المرتضى ابن السيد الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام سيدنا أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد بكربلاء عليه السلام ابن سيدنا أمير المؤمنين الغالب أبي السبطين علي الكرار وابن عم المختار وزوج ابنته السيدة البتول فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين.

وإن سيدنا الإمام أحمد الرفاعي قدس سره العزيز أخذ عن الشيخ علي القاري الواسطي عن الشيخ أبي الفضل بن كامخ الواسطي عن الشيخ غلام بن تركان عن الشيخ أبي علي الروذباري عن الشيخ علي العجمي عن الشيخ أبي بكر الشبلي عن الشيخ الإمام أبي القاسم الجنيد البغدادي عن خاله الشيخ سري السقطي عن الشيخ أبي محفوظ معروف الكرخي عن الشيخ داود الطائي عن الشيخ حبيب العجمي عن الشيخ الإمام أبي سعيد الحسن البصري عن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وللإمام الرفاعي أسانيد غير هذه السلسلة أيضاً.

إجازته بالطريقة البدوية الأحمدية وسنده فيها

فإنه قدس سره أخذها عن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ يوسف نصر الدين، وهو أخذها عن الشيخ محمد الهلال ابن الشيخ مصطفى بطيخ عن السيد عبد الكريم بن أحمد عن السيد محمد بن عبد الكريم عن عمه السيد محمد بن خلوف الشعار عن الشيخ اللوزعي السيد محمد الأحمدي الطنطاوي عن الشيخ أحمد حمودة عن عمه الشيخ عبد المتعال عن والده الشيخ عبد المجيد عن والده الشيخ عبد الكريم عن والده الشيخ محمد عن والده الشيخ سالم عن والده الشيخ عبد الكريم عن عمه الشيخ شهاب الدين أحمد عن والده الشيخ محمد شمس الدين عن والده الشيخ عبد الرحمٰن عن الشيخ الأستاذ الكبير خليفة الإمام البدوي الشيخ عبد العال عن

سيدنا الإمام القطب الغوث الغضنفر مرعب الأعادي أبي الفتيان صاحب السر والبرهان شيخ العرب الملثم العلوي السيد أحمد البدوي بن علي بن إبراهيم الحسيني رضي الله عنه

وهو قدس سره العزيز أخذ عن الشيخ البرباري عن الشيخ أبي نعيم عن الشيخ علي الواسطي عن الشيخ أبي بكر الشبلي عن الإمام شيخ الطائفتين أبي القاسم الجنيد البغدادي....رضي الله عنهم أجمعين، وللإمام البدوي أسانيد أخرى غير هذا، فهذه بعض إجازات السيد أحمد الذهبي ذكرتها للبركة

من كراماته

وأما كراماته فكثيرة بلغ بعضها حد التواتر، وشهرته في قريتنا معلومة بذلك بحيث إذا ذكر اسمه قيل: (الشيخ أحمد صاحب الكرامات)، وأحياناً يقال: (الشيخ أحمد الذي شق الجرس وأسقطه على الأرض) وهذه الكرامة من أشهر كراماته المتواترة التي ذكرها لي نحو مئة شخص من مختلف العائلات عن آبائهم أو أصحابهم، فمن الذين رووْا لي هذه الكرامة والدي عن جدي لوالدتي السيد محمد إبراهيم عن جده السيد محمد بن أبي علي إبراهيم، وأيضاً: عبد الستار بن سيدي الشيخ حسن الدهيبي عن أحمد البقار من طرابلس الشام قال:

" كنت مع الشيخ السيد أحمد الذهبي الدهيبي رحمه الله مع جماعة من الناس قاصدين بلدة مرياطة وكان انطلاقنا من دار عمار ومعنا النوبة، وسبب ذلك أن صديقاً للشيخ أحمد من مرياطة عاد من الحجاز بعد أداء فريضة الحج فأراد الشيخ أحمد أن يحتفل برجوعه، وفي أثناء طريقنا ونحن نضرب بالنوبة مررنا بقرية علما، ولما اقتربنا من كنيسة القرية هناك صار ما يسمونه بالراهب يدق جرس الكنيسة، فأرسل الشيخ أحمد أحد أصحابه إليه يطلب منه أن يتوقف عن ذلك حتى نمر، فلما وصل إليه الرجل وطلب منه أن يتوقف عن ذلك فبدلاً من أن يتوقف صار يضرب الجرس بسرعة وقوة نكاية بهم، فلما رأى الشيخ ما حصل قرأ على كفه آخر سورة الحشر من قوله تعالى:" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل... إلى آخر السورة، ثم أشار بكفه نحو الجرس فانشق الجرس نصفين ووقع على الأرض، عندها خرج إليه الذي كان يدق الجرس مع عدد من جماعته واعتذروا من الشيخ وهم ينادونه بالقديس، ولم يزل هناك عدد من النصارى يروي هذه القصة ويقولون:" كان في آل الدهيبي رجل من القديسين.

ومن كراماته أيضاً: أن رجلاً من أهل القرية دخل بيت الشيخ ليلاً خِلْسَة ليسرقه، بحيث لم يشعر به أحد، ولا الشيخ من حيث العادة، فلما مد يده لأخذ شيء من البيت سمع صوت النوبة تضرب فرفع يده فانقطع الصوت، فقال: لعلي موهوم، ثم مد يده فسمع الصوت أقوى من المرة الأولى فرفع يده فانقطع الصوت، ثم مد يده للمرة الثالثة فسمع الصوت أعلى من المرتين ورفع يده ولم ينقطع الصوت ثم فقد بصره، فناداه الشيخ من داخل غرفته قائلاً:

لم تعتبر في المرة الأولى ولا الثانية، ثم أمره بالتوبة وأخذ عليه العهد بأن لا يعود لذلك وبأن لا يخبر أحداً بما جرى في حياته، فعاهده الرجل على ما طلب منه وتاب إلى الله، فعاد إليه بصره في الحال، ثم خرج ولم يخبر أحداً بذلك إلّا بعد وفاة الشيخ.

وقد حصل للشيخ تحد في شبابه بدخول التنور المسعر بالنار، فدخله وبقي به حتى انطفأت النار ثم خرج من غير أن يمسسه سوء.

ومن كراماته عند وفاته: أنه لما وضع على طاولة المغتسل عفت رائحة طيبة زكية، وصار ينْزل من الجو فوقه مثل القطن الأخضر، فلما رأى الناس ذلك جمعوا الماء الذي غسل به ووزعوه فيما بينهم، كما تقاسموا ثيابه فيما بينهم.

ومن كراماته: أن كثيراً من الحوائج تقضى بإذن الله تعالى ببركة زيارة قبره وذلك مجرب كما أخبر به كثير من أهل القرية.

ومن مناقبه: أنه تاب على يديه كثير من العصاة وأصحاب الأهواء من المبتدعة، وكان رحمه الله يحذر من الغلو في الدين ومن كلام أهل البدع، فمن ذلك أمره بشطب التحريف الذي في كتاب مولد العروس مثل قول:إن الله قبض قبضة من نور وجهه وقال لها كوني محمداً فكانت محمداً" ويعتبره من الغلو المخالف لأصول الدين، وغير ذلك.

ومن تلاميذه الأجلاء شقيقه الشيخ عمر الآتي ذكره، وابن أخيه الشيخ مصطفى دفين المنية الذي مر ذكره، والشيخ عمر بن أحمد الصوفي من طرابلس، وولده الشيخ محمود، وابن أخيه الشيخ خضر بن عمر وغيرهم.

توفي رضي الله عنه يوم الاثنين أول شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ر عن نحو تسعين سنة تقريباً ودفن في مقبرة دار عمار بجانب قبر والده وشقيقه الشيخ أبي علي إبراهيم.

أُذَكِّر بأن الشيخ أحمد كان بصحبة الشيخ عبد الفتاح الثاني نقيب السادة الأشراف في استنبول لما حصلت له تلك الكرامة في مقبرة استنبول، وقيل إن الذي كان بصحبته هو الشيخ محمد بن أبي علي إبراهيم الذي مر ذكره.

هذا وقد أطلعني على الوثائق والإجازات التي تتعلق بالشيخ السيد أحمد الذهبي اثنان من ذريته هما: مدير مستشفى الحكومي في قضاء الضنية فهد الدهيبي وشقيقه محمد من أبناء محمود بن أحمد بن محمود بن الشيخ أحمد الذهبي، ولم يعقب الشيخ أحمد إلا ذكراً واحداً هو:

الشيخ السيد محمود الدهيبي: كان رحمه الله محمود السيرة تعلم وسلك على والده، تسلم الخطابة في مسجد الضيعة لفترة من حياته، كما علم القرآن لعدد من أبناء القرية، وكان للناس فيه اعتقاد، وكان له سر ظاهر في أمر الاستشفاء يرقي أصحاب الأمراض المستعصية فيبرؤن بإذن الله، وكان في السنوات الأخيرة من عمره وقد ضعفت همته يجلس تحت شجرة زيتون في أرضه، فكان يأتيه المريض مهما كان مرضه فيقول له الشيخ اعطني ورقة أو ورقتي زيتون فيكتب عليها ثم يقول له اجعلها في كأس ماءٍ واشربه، فيشفى بإذن الله.

ومن أخباره :أنه اجتمع عدد كبير من أهل النوبة في ساحة التل بطرابلس بمناسبة المولد النبوي وكانوا قد تعاهدوا على أن لا يتصرف أحد منهم بشيء من الخوارق، فخالف أحد المشايخ العهد فقام بعمل الدوسة، فبلغ الشيخ محمود الخبر وكانت نوبته آخر النوبات، فأخذ رحمه الله السيف وأمر من معه برفع الثياب عن بطونهم وصار يضرب الواحد منهم بالسيف ثم يمسح مكانه بيده فيلتحم الجلد مع بقاء أثر الضرب، فأقبل الناس نحوه مع المشايخ يقبلون يده ويعتذرون عما بدر من ذلك الشيخ، ومن المعلوم أن الشيخ محمود كان شديد التخفي ولم يستعمل السيف بالضرب إلا تلك المرة للضرورة مما أبهر الناس وتاب بسبب ذلك عدد من الناس وظهر أمره.

أخذ عن الشيخ محمود عدد قليل منهم الشيخ أحمد بن حسين علي عباس الذي حفظ القرآن في وقت متأخر، وكان صاحب رأي سديد كما كان كريماً متواضعاً شجاعاً وصاحب دعوة مستجابة،

توفي الشيخ محمود من نحو ٦٦ سنة تقريباً ودفن في الجبانة الثانية القريبة من الجبانة الأولى.

أعقب الشيخ محمود ولدين هما السيد عبد السلام، والسيد أحمد.

فأما عبد السلام فكان محمود السيرة وقد توفي شهيداً بفلسطين ولم يعلم له عقب.

وأما السيد أحمد فقد عرف بالمشيخة والصلاح، مات شهيداً أيضاً أثناء قتاله ضد الفرنسيين، ولم يعلم بمكان قبره في أول الأمر، ثم بعد سنين تبين أن له مقاماً يزار في قرية حديدة في دولة سوريا، وقد نقل أهل تلك القرية أنه كان من المخطط خلع قبره من أجل شق طريق، فلما وصلت الجرافة إلى قبره تعطلت وحاولوا مرارا وفي كل مرة تتعطل، فحرفوا الطريق عنه قليلاً، توفي السيد أحمد عن ولدين هما: الحاج محمود الملقب بالأمير الذي تولى أمور الزاوية القادرية والنوبة إلى حين وفاته، والحاج وجيه أحد أعضاء الرابطة الزعبية الذي قلد إليه الختم، وأذكر بأن من أبناء الحاج محمود الأمير الأستاذ أحمد مدير المدرسة الرسمية في دار عمار الحائز على الإجازة في علوم التاريخ والجغرافيا.

وأما شقيقهم الرابع فهو الشيخ السيد عمر الدهيبي ابن الأستاذ الشيخ محمد الدهيبي الزعبي الذهبي القادري الجيلاني.

نشأ رحمه الله على حب العبادة وكان زاهداً شجاعاً، تعلم وسلك على شقيقه الشيخ أحمد قدس سره، وكانت تظهر على يده الخوارق من أول شبابه منها:

أنه زار أخته المتزوجة من رجل من قرية السْفَيْنَةِ من قرى عيون السمك، فاشتكت إليه استهانة بعض أهل القرية بها وطعنهم في صحة نسبها للإمام الجيلاني رضي الله عنه، فأمرها أن تسعر التنور ثم استدعى أهل القرية فاجتمعوا ثم قال لهم: سأدخل الآن في التنور فإن كنت منسوبا للشيخ عبد القادر الجيلاني فلن تحرقنى النار وإن كنت كاذباً أحرقتني، فدخل رحمه الله في التنور فلم تحرقه النار، ثم خرج منه وأمر أخته أن تدخل التنور ففعلت فلم تحرقها النار، فدهشوا من تصرفه وعظموا قدره، وصاروا يعاملون أخته بالتبجيل والاحترام حتى ماتت رحمها الله تعالى

ومنها: أنه ذهب إلى قرية إيعال من أجل العمل وفي أثناء الراحة أخذ يتحدث مع بعض أهل القرية والعمال داخل القلعة ومن جملة الكلام الذي دار بينهم، أنهم سألوه عن أصله فأخبرهم بأنه من آل البيت من أبناء المشايخ، فقالوا له إن كنت شيخا ومن أبناء المشايخ فاقفز عن سور القلعة حتى نصدقك، وكان شقيقه الشيخ أحمد أوصاه إن تحداك أحد فلا تقبل ولا تتصرف بشيء، فاعتذر لهم لأجل وصية أخيه، فصاروا يتهمونه بالادعاء والكذب، فأخذه

الحماس ثم صعد سور القلعة أمامهم وصاح- الله فطار عن سور القلعة مسافة ثم هبط على الأرض سليماً، فلحقوا به وقبلوا يديه وهم يبكون ويعتذرون له لسوء ظنهم، ولما حصل ذلك صاح الشيخ أحمد من بيته -الله- ثم قال: لقد فعلها وقد أوصيته بأن لا يفعل، فقالت له زوجته : عما تتكلم فأخبرها،

ولما عاد الشيخ عمر إلى بيته في دار عمار ودخل على أخيه وشيخه، بادره الشيخ أحمد بالكلام عن طريق الكشف ولامه على ما فعله، قال له: ألم أنصحك بالتخفي والكتمان وبعدم كشف سرك، والشيخ عمر بين يديه متواضعاً مستمعاً نادماً، ثم لم يمضى إلا يوم وقيل أيام وقد مات، توفي الشيخ عمر رحمه الله تعالى شاباً تاركاً زوجته وولده الوحيد:

الشيخ العالم العارف بالله السيد خضر بن عمر الدهيبي الشافعي القادري الشاذلي... تعلم في صغره أمور الدين الضرورية على يد والده، وبعد وفاة والده وكان في سن الفتوة صار يعمل في زراعة الحقول عند بعض أقربائه لينفق على نفسه وأمه، وكانوا يقسون عليه في العمل فيصبر ويتحمل، وبعد فترة ليست طويلة وفي ليلة من الليالي حصل له حال عظيم، فخرج من البيت هائماً سائحاً من غير أن يعرف أحد بحاله وإلى أي وجهة ذهب، واختفي أمره لا أحد يعرف عنه شيئاً مدة خمس وعشرين سنة، لا يُعْرَفُ أحي هو أم ميت.

وبعد هذه المدة سافر عدد من أقربائه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فالتقوا به في مكة المكرمة مع عدد من أصحابه من المغرب العربي، في أول الأمر، ولم يعرفوه، والذي حصل أنهم اجتمعوا بعدد من أهل المغرب والشيخ خضر من بينهم، فصار كل واحد منهم يعرف عن نفسه فلما عرف عن نفسه عرفوه

لم يعرفوه في أول الأمر لأسباب هي غيابه عنهم هذه المدة الطويلة، وكونه يتكلم باللهجة المغربية، والسبب الثالث طول لحيته وطول شعر رأسه الذي يصل إلى منكبيه، والسبب الرابع أنه يرتدي زي أهل المغرب وكون ثيابه بذلة عليه سيمة أهل المعرفة الذين طلقوا الدنيا، وقيل قد عرفه بعض أقربائه لما نظر إليه ثم تأكد أنه هو بعد أن كلمه.

ثم بعد أن تعرفوا عليه طلبوا منه أن يعود معهم بإلحاح في الوقت الذي يطلب فيه أصدقاؤه المغاربة أن يعود معهم، وبعد أن استغرق قليلاً قال: أخذت قراري في الرجوع إلى بلدي، وبعد انتهاء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ودع أصحابه المغاربة ودموعهم تذرف.

ولما وصل إلى قريته استقبله أهل القرية بالترحاب مع دهشة واستغراب حيث كانوا قطعوا الأمل منه، ولما اجتمع بأهله سألوه عن قصته فأخبرهم بما حصل له عند خروجه من بيته، وأنه جال أثناء سياحته الكثير من الدول الإسلامية أهمها مصر والمغرب، إلا أنه قضى أكثر هذه المدة في المغرب، وأنه تعرف على الكثير من العلماء والصلحاء، وأنه تلقى العلوم الشرعية وتفقه على المذهب الشافعي، وأنه أخذ التصوف عن عدد من المشايخ وعدة طرق أبرزها القادرية، هذه القصة رواها أكثر من واحد منهم ولده الحاج هاشم الدهيبي الذي لم يزل حياً، ووالدي أيضاً.

ومن أخباره أنه كان كثير التجوال على قدميه أيام سياحته وبعد عودته أيضاً، يزور الناس في بيوتهم ويعظهم وكان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان أكثر نهيه عن الكفر عافانا الله منه، أخبرني والدي ووالدتي وخالي وولد الشيخ خضر الحاج هاشم وغيرهم: أنه كان إذا سمع من أحد لفظاً كفرياً تتغير أحواله ويتقدم إلى الذي كفر ويضربه بالعصا التي كان يحملها، وإذا هرب منه لحقه حتى يصل إليه فإما أن يضربه أو يزجره بشدة ويقول له تشهد، ولا يهاب من صدر منه كفر أو معصية كائناً من كان.

أخبرني أخي معين عن الحاج هاشم بن الشيخ خضر: أن أباه تزوج من الست فاطمة وكانوا ينادونها فطوم حسن الأجرودي وتكنى هذه العائلة الآن (بآل ريمة) من بلدة المنية.

وقال: كان زاهداً كبيراً كثير الذكر والعبادة كثير التجوال مسارعاً في قضاء حوائج الناس، يصل أقرباءه وأصحابه متواضعاً ذا هيبة ووقار، شديد الغضب إذا رأى منكراً، يحث على طلب العلم والعبادة وأوصافه هذه ذكرها عدد من الناس، كما ذُكِرَ لي الكثير من كراماته، منها ما حدثني به خال والدتي الحاج محمد سعيد بن عبد القادر حسن عيد، قال:

" لسعتني عقرب فحصل لي من ذلك ألم شديد، فخطر ببالي الشيخ خضر لو أنه يأتيني وكنت أمام بيتي، وإذْ بالشيخ خضر قد أتى في الحال، فقلت له لسعتني عقرب وإني أشعر بألم شديد فلو ترقيني، فقال لي الشيخ خضر: افتح فمك، ففتحته فتفل فيه، فذهب عني الألم في الحال.

وحدثني زوج خالتي الحاج محمد علي عباس أنه حصل مثل هذا تماما مع صديقي الحاج خليل العتر أثناء العمل بحضوري وحضور جماعة من العمال.

وحدثتني خالتي الحاجة خديجة زوجة الحاج محمد علي عباس، أنه حل على أهل القرية وباء مات به عدد من الناس لعله الطاعون، ومن جملة من حل به هذا الوباء زوجي، وقطعوا

منه الأمل، فخطر ببالهم الشيخ خضر في الوقت الذي كان فيه زوجي كأنه في سكرات الموت، ثم أرسلوا في طلبه، فلما حضر وضع يده عليه وقرأ ساعة من الزمن، فما إن انتهى من القراءة حتى قام الحاج محمد علي ليس به علة، ثم أخبرني بهذه القصة الحاج محمد علي بنفسه، هذه القصة حصلت قبل زواجه من خالتي بزمن.

ومنها أيضاً ما أخبرني به الحاج ناجي المصري قال: كان الشيخ خضر مرة على الطريق في محلة من طرابلس يريد أن يركب في سيارة، فمر من أمامه باص ثم توقف الباص ليحمل معه بعض الركاب، ولما أراد الشيخ خضر أن يصعد الباص قال له السائق أنت لا تصعد، ظناً منه أنه لا يستطيع دفع الأجرة، فنَزل الشيخ ووضع يده على الباص فتعطل الباص، وحاول السائق في الباص فلم يتحرك، فتذكر ما فعله مع الشيخ وقال لعله بسبب ذلك ولعل الشيخ من أهل الله وأنا لم أنتبه، فنَزل السائق ونظر فرأى الشيخ مكانه فاعتذر منه وقال له:أنقلك إلى أي مكان تريد، فقال له الشيخ: إصعد إليه وحرك الموتور بالمفتاح ففعل السائق ذلك، ووضع الشيخ يده على الباص فتحرك، ثم نقله السائق إلى حيث أراد.

وأخبرني أيضاً: أن الشيخ خضر مر ببعض أصدقائه وكان بيده خروف يسلخه، فقال الرجل للشيخ ابقَ معي حتى نأكل سوياً، وبعد لحظات قال له ممازحاً: غيرت رأيي ، فأنت لا تأكل إلا بضع لقيمات أنا أريد أن يأكل معي رجلٌ أكولٌ، ومن المعروف أن الشيخ خضر كان رجلاً نحيلاً قليل الطعام، فقال له: أنا إذا أردت أن آكل الخروف كله أكلته، فضحك الرجل وقال له: أنت تمزح، فقال الشيخ أنا لا أمزح، فقال له الرجل: كله إذاً، فقال له الشيخ: قطعه لي، فصار الرجل يقطعه والشيخ يأكل حتى أكله كله، فتعجب الرجل منه، ثم قال له الشيخ كلاماً معناه أنه من أهل التصريف، فازداد احترام الرجل له.

وسمعت غير هذا من كراماته تركت ذكرها خشية الإطالة، قدس سره العزيز ونفعنا الله به.

سكن الشيخ خضر بعد رجوعه من الحجاز في قريته لفترة، ثم انتقل إلى مدينة الميناء في طرابلس واستوطنها حتى وفاته بها عن عمر تسعين سنة تقريباً سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨ر ودفن في جبانة الميناء بجانب جامع سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، قلت ومن مشايخ السيد خضر عمه الشيخ أحمد الدهيبي الذهبي قدس سره.

أولاده:

أعقب الشيخ خضر ثلاثة ذكور وهم السادة: عمر- ومحمد- وهاشم، ولكل منهم عقب.

فأما الحاج عمر ابن الشيخ خضر فإنه استوطن مدينة جده في السعودية، وسبب ذلك: أنه تعرض له بعض قطاع الطريق فدافع عن نفسه فقتل منهم اثنان واستطاع الفرار من الباقي، فأخفاه والده لمدة ثم سافر به إلى الحجاز سيراً على الأقدام وتركه هناك، ثم عاد الشيخ خضر إلى بلده، ويسر الله للحاج عمر أسباب الرزق حتى أصبح ثرياً، ثم أصيب بالشلل بعد أن أعقب ذكرين هما: سعود-وزهير-وبنت.

حصلت للحاج عمر وجاهة في مدينة جدة، وعرف بالكرم وكونه من الأشراف كما زار بلده لبنان بعد أن أصيب بالشلل فاستقبله أهل قريته من مختلف العائلات استقبالاً حافلاً، ولما رأى مسجد الضيعة القديم الذي تركه عندما هاجر لم يعد يسع إلا القليل، تبرع بمبلغ كبير من المال لبناء مسجد كبير مكان المسجد القديم، فعُمر المسجد بإشراف عمي رئيس البلدية إبراهيم بن الشيخ خليل، كما تبرع أيضاً بمبلغ آخر لبناء مسجد آخر، سلمه للحاج محمود الجندي، فوضع الحاج محمود المال في محله حيث بنى المسجد الثاني في حي البساتين على أرض قدمها الحاج أحمد بن حسين نحلة، ولما لم يكف المال أكمل الحاج محمود بناء المسجد منه ومن تبرعات المحسنين، كما تبرع بمبلغ ليوزع على الفقراء والمحتاجين، ثم ودع أهل القرية وعاد إلى جدة وبقي بها حتى وفاته، وشقيقه الحاج محمد استوطن جدة أيضاً وتوفي بها، وأما الحاج هاشم فلم يزل حياً وهو مستوطن في مدينة ميناء طرابلس ولم تزل ذرية الحاج عمر وشقيقه في جدة حتى الآن.

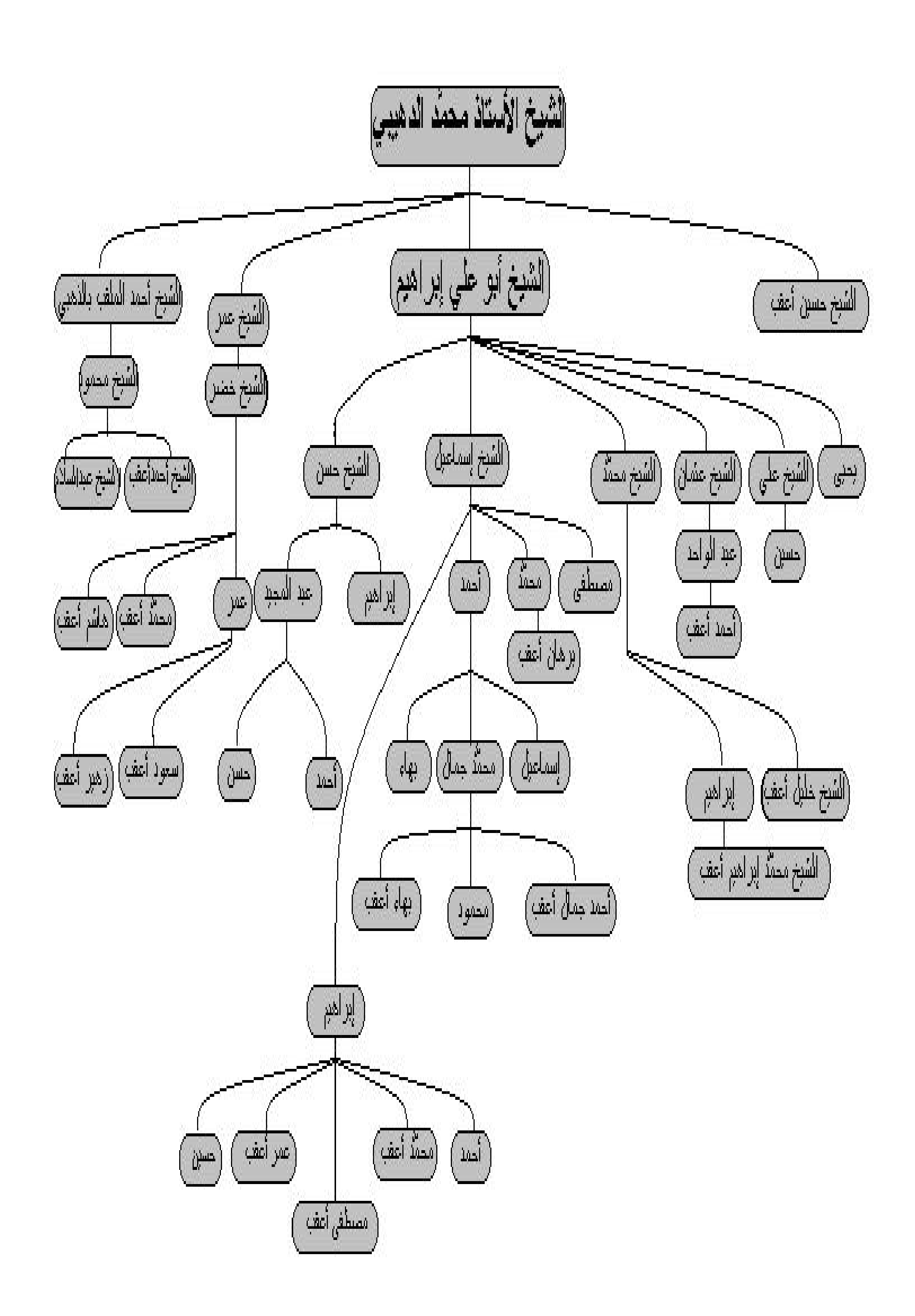
وقد قام بتوسعة المسجد للمرة الثالثة منذ سنوات قليلة ابن عمي الحاج الشاب خالد إبراهيم الدهيبي وهو الآن يقوم برعاية المسجد وشؤونه مع شقيقه السيد عبد القادر.

ولما كثر عدد عائلة آل الدهيبي قمت مع ابن عمي الحاج أمين بن محمد علي ابن الشيخ خليل بكتابة شجرة نسب جديدة أضفنا إليها أسماء العائلة حتى عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ر، وهي الآن بحوزة ابن عمي المذكور.

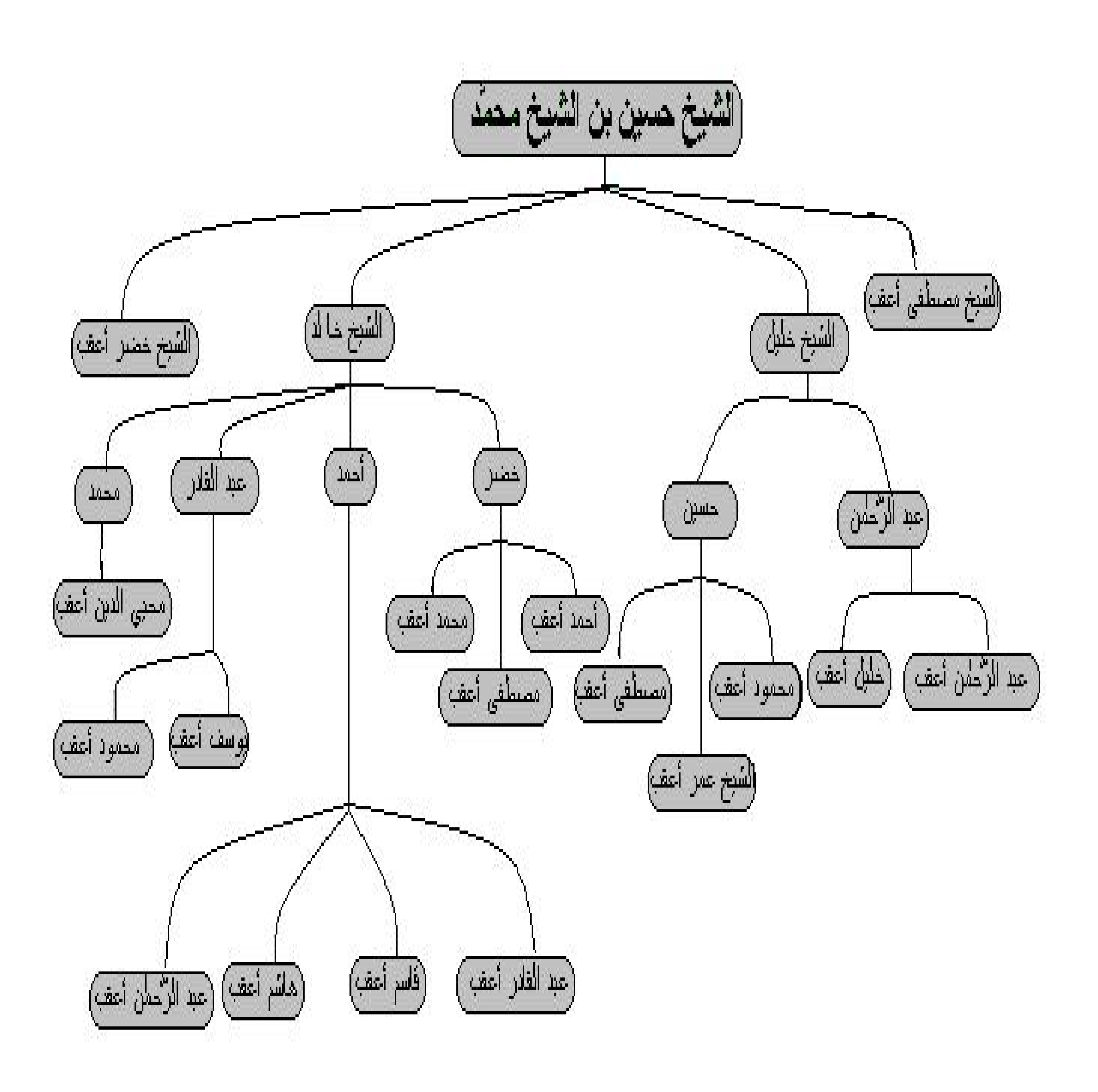
وإن شقيق بن عمي الأكبر الحاج أحمد سالم الدهيبي اشترى أرضاً منذ سنتين وقدمها جبانة جديدة لأهل القرية، عندما رأى جبانات القرية الثلاث قد ضاقت، وأول من دفن بها

والدته الحاجة نظمية، توفي الحاج أحمد سالم في [٢٠ نيسان سنة ٢٠٠٧ر] بعد الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

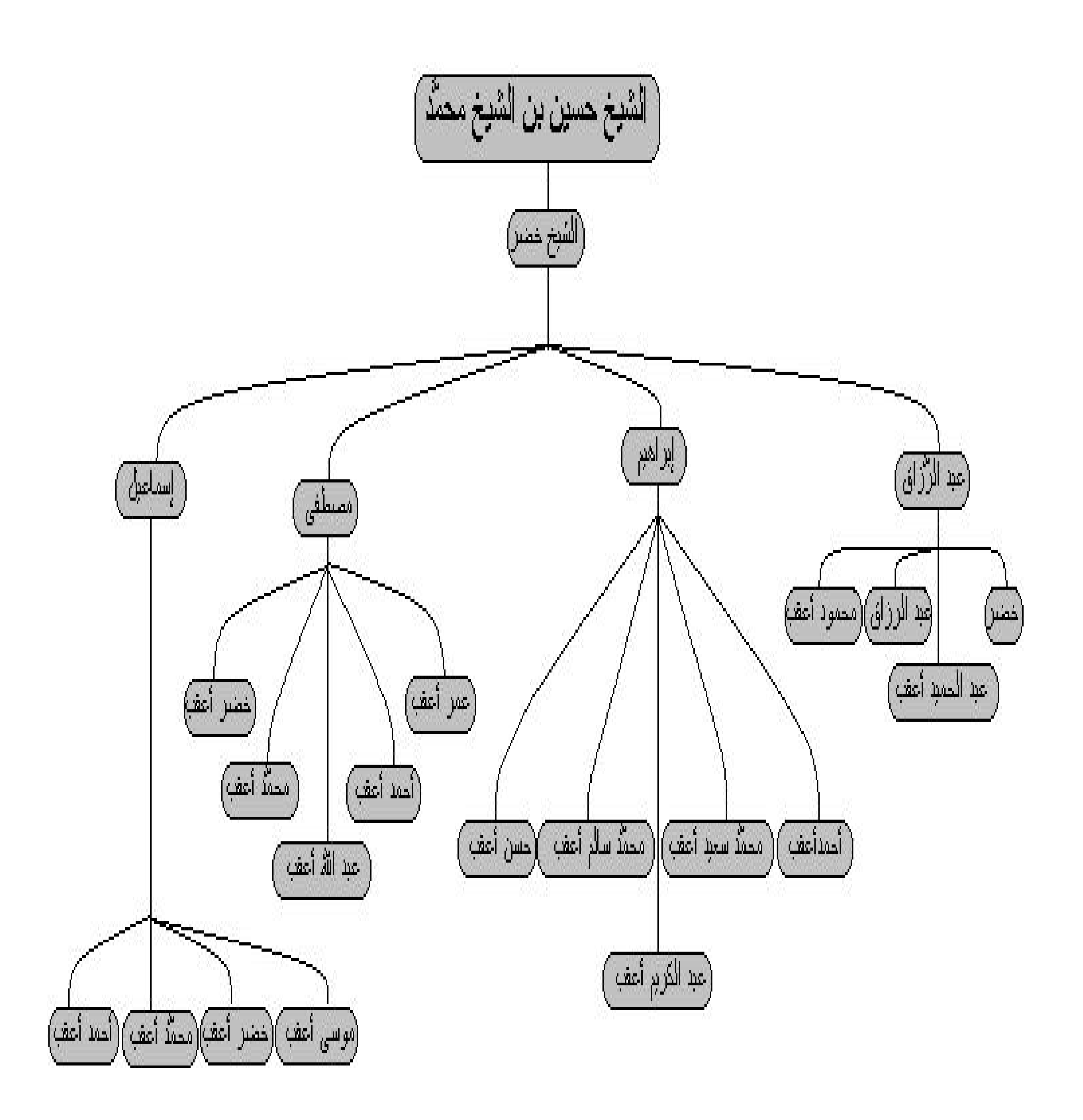
هذا وإن بقية عائلات دار عمار يغلب عليهم الميل للدين والأخلاق، وهناك ترابط بينهم بسبب التزاوج فيما بينهم، يواسون بعضهم في النكبات والأحزان، وهذه الصفات كانت أكثر ظهوراً في ما مضى، إلا أنها لم تفقد بعد نهائياً.

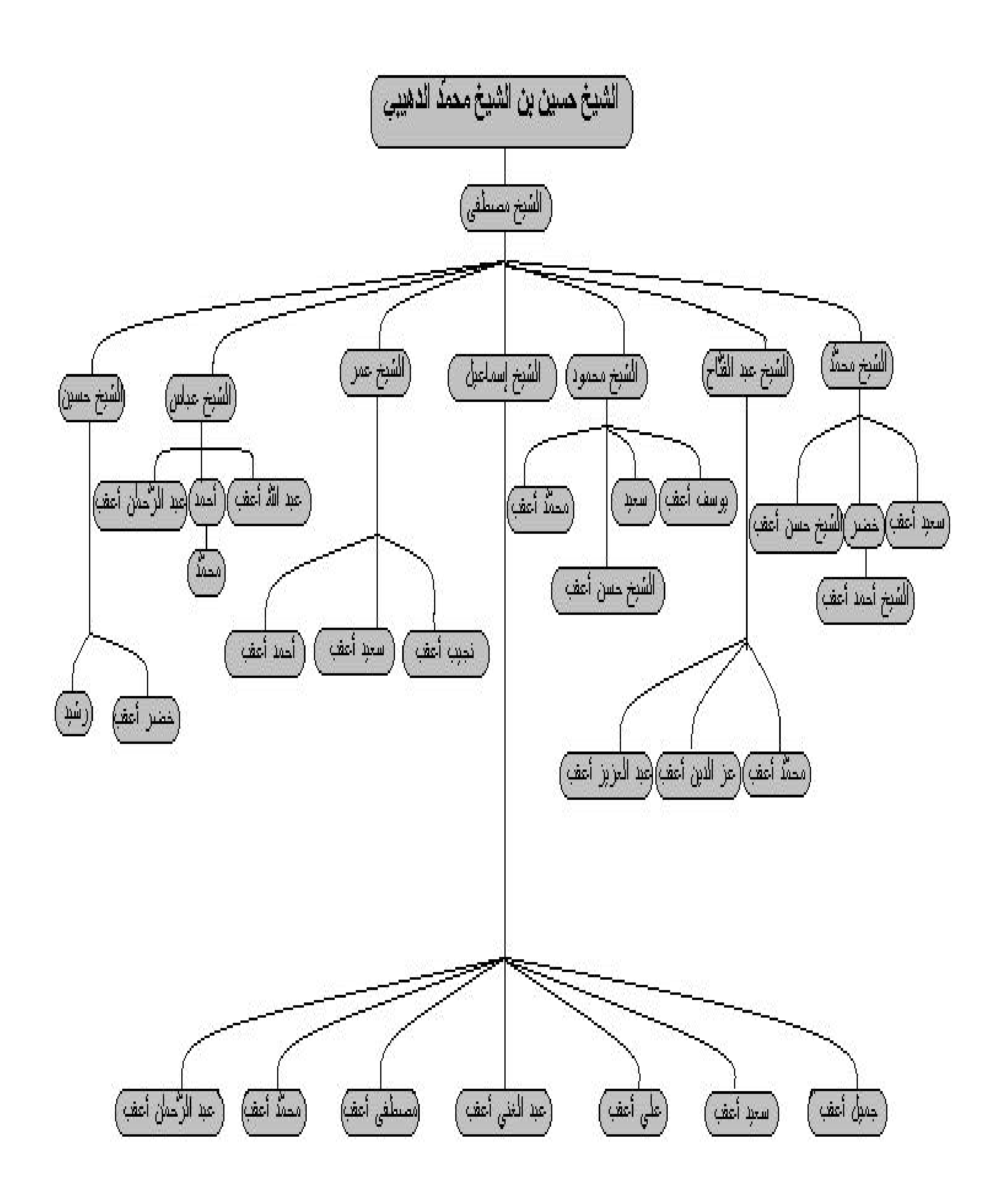


الشيخ الأستاذ محمّد الدهيبي
الشيخ حسن أعقب
الشيخ أبو علي إبراهيم
الشيخ عمر
الشيخ أحمد الملقب بالذهبي
الشيخ محمو
الشيخ خضر
الشيخ أحمدأعقب
الشيخ عبدالسلا
يحيى
الشيخ علي
الشيخ عثمان
الشيخ محمّد
الشيخ إسماعيل
الشيخ حسن
حسن
عبد الواحد
أحمد أعقب
مصطفى
محمّد
أحمد
برهان أعقب
إبراهيم
عبد المجيد
عمر
محمّد أعقب
هاشم أعقب
الشيخ خليل أعقب
إبراهيم
الشيخ محمّد إبراهيم أعقب
إسماعيل
محمّد جمال
بهاء
أحمد جمال أعقب
محمود
بهاء أعقب
أحمد
حسن
سعود أعقب
زهير أعقب
إبراهيم
أحمد
محمّد أعقب
عمر أعقب
حسن
مصطفى أعقب



الشيخ حسين بن الشيخ محمد
الشيخ مصطفى أعقب
الشيخ خليل
الشيخ خا لد
الشيخ خضر أعقب
عبد الرّحمن
حسين
خضر
أحمد
عبد القادر
محمد
عبد الرّحمن أعقب
خليل أعقب
محمود أعقب
مصطفى أعقب
الشيخ عمر أعقب
أحمد أعقب
محمد أعقب
مصطفى أعقب
محيي الدين أعقب
يوسف أعقب
محمود أعقب
عبد القادر أعقب
قاسم أعقب
هاشم أعقب
عبد الرّحمن أعقب


الشيخ حسين بن الشيخ محمّد
الشيخ خضر
عبد الرّزاق
إبراهيم
مصطفى
إسماعيل
خضر
عبد الرزاق
محمود أعقب
عبد الحميد أعقب
أحمدأعقب
محمّد سعيد أعقب
محمّد سالم أعقب
حسن أعقب
عبد الكريم أعقب
عمر أعقب
خضر أعقب
أحمد أعقب
محمّد أعقب
عبد الله أعقب
موسى أعقب
خضر أعقب
محمّد أعقب
أحمد أعقب


الشيخ حسين بن الشيخ محمد الذهبي
الشيخ مصطفى
الشيخ محمد
الشيخ عبد الفتاح
الشيخ محمود
الشيخ إسماعيل
الشيخ عمر
الشيخ عباس
الشيخ حسن
سعيد أعقب
خضر
الشيخ حسن أعقب
الشيخ أحمد أعقب
يوسف أعقب
سعيد
محمد أعقب
الشيخ حسن أعقب
عبد الله أعقب
أحمد
عبد الرحمن أعقب
محمد
نجيب أعقب
سعيد أعقب
أحمد أعقب
رشيد
خضر أعقب
محمد أعقب
عز الدين أعقب
عبد العزيز أعقب
جميل أعقب
سعيد أعقب
علي أعقب
عبد الغني أعقب
مصطفى أعقب
محمد أعقب
عبد الرحمن أعقب

وفي قرية تل كلخ السورية

جماعة من زعبية الحصن، ظهر فيهم عدد

من المشايخ والوجهاء يعرف منهم السادة:

الشيخ مصطفى عبيد الزعبي.

والشيخ عبد القادر عبيد (الزعبي).

والشيخ مهران الزعبي.

والشيخ سعيد مهران الزعبي.

والشيخ عبد الرحيم الزعبي.

والشيخ عبد القادر بن عبد الرحيم الزعبي لم يزل حياً.

والشيخ طاهر الزعبي بن محمد بن خضر بن محمد بن خلف بن حسين بن محمد بن أحمد خالد الزعبي الملقب بالذهبي ابن السيد محمد بدر الدين شعفة دفين الحصن، ولم يزل حياً.

أخبرني ابن عمنا الأخ محمد ناجي الزعبي بن الشيخ طاهر قال:

" إن والده الشيخ طاهر سعى في بناء نحو ١٠ مساجد، وله كلمة نافذة ومسموعة مقصود كما أزيلت على يديه فتنْ عدة بين العائلات والعشائر في القرى اللبنانية المجاورة للحدود السورية، وداخل سوريا، يحب الصلح بين الناس ويسعى له كما أخبرني ولده عن بعض الكرامات الحاصلة على يد المشايخ الزعبية في تل كلخ، وعن بعض وجهائهم مثل نورس الزعبي وعبد الرحمن الزعبي وغيرهما.

وممن أعرفهم في طرابلس وأصلهم من تل كلخ عدد مر ذكر بعضهم، ومنهم السيد محمد ياسر بن أحمد بن ياسين بن أحمد بن محمد بن خلف بن حسين بن محمد ابن السيد أحمد خالد الزعبي الملقب بالذهبي...

وقد أعقب السيد محمد ياسر: السيد محمود، وخالد، وعلاء، وأحمد وهو أكبرهم سناً، وعدة بنات.

وفي العراق

من ذرية السيد أبي بكر عبد العزيز عدة عشائر تفرعت منها عائلات كثيرة بأسماء مختلفة، ولم تزل نقابة الأشراف في بغداد في ذريته منذ أسست، إلا مرة أو مرتين، قد ذكر

الشيخ يونس بن إبراهيم السامرائي في كتابه (الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه) عدداً من الذين تولو نقابة الأشراف في بغداد منهم:

الشيخ زين الدين بن محمد شرف الدين ابن موسى أبي الفتح ابن محمد شمس الدين ابن نور الدين علي ابن عز الدين حسين ابن محمد شمس الدين الأكحل ابن حسام الدين محمد شرشيق ابن محمد الملقب بالهتاك وبالذهبي الحيالي الجيلي ابن أبي بكر عبد العزيز بن الامام الجيلاني رضي الله عنه.

والشيخ زين الدين هو أول نقيب للأشراف في بغداد، وقف أملاكه سنة ٩٧٨ هـ على مصالح الحضرة الكيلانية ومدرسة جده، توفي سنة ٩٨١هـ ودفن في الحضرة الكيلانية.

٢) والشيخ ولي الدين بن زين الدين، توفي ببغداد سنة ١٠٢٧هـ ودفن في الحضرة الكيلانية.

٣) والشيخ نور الدين بن ولي الدين، توفي سنة ١٠٧٥هـ.

٤) والشيخ حسام الدين بن نور الدين توفي سنة ١١٦٣هـ.

٥) والشيخ محمد درويش بن حسام الدين توفي سنة١١٧٥هـ.

٦) والشيخ زين الدين بن محمد درويش، توفي سنة ١١٩٢هـ.

٧) والشيخ مصطفى بن زين الدين ، توفي سنة ١٢٠١هـ.

٨) والشيخ سليمان بن مصطفى، توفي سنة ١٢٣٥هـ.

٩) والشيخ مراد بن عثمان، توفي سنة ١٢٦٨هـ.

١٠) والشيخ علي بن سليمان بن مصطفى، توفي سنة ١٢٦٨هـ.

١١) والشيخ سليمان بن علي، توفي سنة ١٣١٥هـ.

١٢) والشيخ عبد الرحمن المحض بن علي بن سليمان توفي سنة ١٣٤٥هـ.

١٣) والشيخ محمود حسام الدين بن عبد الرحمن توفي سنة ١٣٥٥هـ.

١٤) وشقيقه الشيخ أحمد عاصم بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٣٧٢هـ.

١٥) والشيخ إبراهيم سيف الدين الكيلاني ابن مصطفى بن سليمان النقيب المتوفى سنة١٣٨٠هـ.

١٦) والشيخ سالم بن عبد الرحمن الكيلاني، توفي سنة ١٤٠١هـ.

١٧) والشيخ برهان الدين بن عبد الرحمن الكيلاني توفي سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ر.

١٨) والمتولي في الوقت الحاضر هو الاستاذ السيد يوسف بن عبد الله بن علي الكيلاني.

١٩) والسيد أحمد بن محمود حسام الدين بن عبد الرحمن النقيب.

(ملاحظة)

إن من اطلع على مشجرات الكثير من أهل البيت النبوي صلى الله عليه وسلم وجد تغايراً في بعض الأسماء ما بين واحدة وأخرى، وذلك راجع لأسباب منها: الخطأ والسهو، فتجد إسماً زائداً أحيانا، أو ساقطاً، فأما بالنسبة لبعض الأسماء الساقطة في بعض النسخ فبعضها سهواً، وأحيانا عن تعمد من الناسخ مع الاحتفاظ بنسخة أخرى كاملة لأسباب تخص أصحابها، والسبب الثاني هو :أن الكثير من سادات أهل البيت في الماضي تجد الواحد منهم له عدة أسماء أو ألقاب وكنى.

مثال ذلك: أن السيد محمد عبد الله المكنى بأبي بكر بن الشيخ علي المقرفص الزعبي، تجد اسمه في بعض النسخ (محمد) وفي بعضها (عبد الله) وفي بعضها (أبو بكر) وفي بعضها (محمد أبو بكر) وفي بعضها (عبد الله أبو بكر) أو العكس وكل ذلك صحيح، وتجد مثل هذا كثير في مشجرات القادرية والرفاعية وغيرها، فمثل هذه الأمور لا تشكك في صحة النسب ما دام موثقاً أو مشهوراً، ولا يخفى ذلك على من عنده دراية وعلم في الانساب.

ذكر بعض مشاهير ذرية الإمام عبد القادر الجيلاني قدس سره، على طريق الإيجاز، غير الذين مرت أسماؤهم

فمنهم:

١. **السيد آدم بن سعد بن عيسى الكيلاني:**

إستوطن مكة وجاور بها قرابة عشرين سنة، وتزوج منها. وكان يسكن آخر رباط سكر وكان شيخاً للطريقة القادرية، توفي بمكة سنة ٨٦٧هـ ١٦٤٢ر،ذكره الشيخ محمد السخاوي في (الضوء اللامع).

٢. **السيد الشيخ إبراهيم بن محمد خير بن إبراهيم الكيلاني شيخ الطريقة القادرية والنقشبندية الشهير بالغلاييني.**

نقل المؤلف محمد درنيقة عن تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري أن السيد العالم الجليل إبراهيم الكيلاني، كانت أسرته تقطن حلب، ثم ارتحل جده إبراهيم إلى دمشق وقطن حي العقيبة، ثم قال: ولد السيد إبراهيم بحي السمانة بدمشق سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٢ر. ونشأ في حجر والده الذي وجهه نحو التجارة، ولكن السيد إبراهيم لم ينسجم مع هذا التوجه، فأقبل على طلب العلم الشرعي، فانتسب إلى مدرسة الشيخ عبيد السفرجلاني أولاً، ثم درس على أعلام عصره كالشيخ عطا الكسم والشيخ السيد محمود العطار والمحدث السيد بدر الدين الحسني والشيخ سليم المسوحي والشيخ السيد عبد القادر الإسكندراني، ثم سلك الطريقة النقشبندية على يد الشيخ عيسى الكردي، وجمع بين الطريقتين القادرية والنقشبندية

تولى منصب الافتاء في قضاء قطنا بالقرب من دمشق، فانصرف إلى التعليم والإرشاد والفتيا وذلك في عام ١٣٣٠هـ ١٩١١ر، كما اهتم بإنشاء المساجد في المناطق النائية.

قال: كان الشيخ إبراهيم كثير التلاوة للقرآن الكريم لا سيما في الثلث الأخير من الليل، زاهداً في الدنيا ومتاعها، وكثير التواضع والتفكر، توفي بدمشق عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧ر ودفن في مقبرة الباب الصغير بالقرب من ضريح الشيخ بدر الدين الحسني. وقد رثاه عدد كبير من أعلام دمشق منهم السيد الشيخ محمد الخطيب والشيخ حسين الخطاب، كما ذكر خطباء المساجد مناقبه وعدَّدوا مآثره قدس سره.

٣. ومنهم السيد الشيخ تاج العارفين شهاب الدين أحمد ابن السيد قاسم بن يحيى بن حسين بن علي بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد ابن القاضي نصر ابن الإمام عبد الرزاق الجيلاني الحسني الحسيني.

قال التادفي: الحموي الأصل والمولد والدار والوفاة، ولد يوم الخميس سادس عشر رمضان سنة ٨٨٦هـ ١٤٨١ر

قال: كان كريم النفس جميل الهيئة لطيف الطبع، مزاحاً معظماً عند الخاص والعام، كثير المروءة مقداماً، رجلاً من الرجال لا يخاف في الله لومة لائم، وله وجاهة وحرمة عند الحكام وكان شيخ السجادة القادرية، ولقد اجتمعت به بحماه وحلب مراراً، ولما قدم حلب بسبب تفتيش الأوقاف أنزلناه بدارنا على عادته السابقة ووقفنا في خدمته وخدمة من معه من أهل بلده وتعاطى سيدي الوالد والعم مصالحه ومصالح من معه إلى أن عاد إلى وطنه معظماً مبجلاً، قال: واجتمعت به أيضاً بالقاهرة لما قدمها متوجهاً للحجاز الشريف وبصحبته شقيقاه الشيخ عبد القادر والشيخ أبو الوفا محمد، وحصل له الرعاية والإكرام الزائد من قبل ولاة الأمر إلى أن توجه إلى الحجاز بصحبة الركب المصري، وعاد سالماً إلى حماه،توفي قدس سره بحماه في شهر رجب سنة ٩٣٦هـ ١٥٢٩ر ودفن بالجبانة تجاه تربتهم.

٤. ومنهم السيد الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله النوباني الجيلاني المتوفى سنة ١٣٢٢هـ ١٩٠٤ر. ذكره النبهاني في جامع كرامات الأولياء فقال: الشيخ أحمد من أهل قرية المزارع من أعمال القدس، وهو من بيت الصلاح والولاية والشرف من سلالة الغوث الأعظم سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وآل النوباني هؤلاء هم يقطنون في تلك القرية، ولجدهم الشيخ النوباني الكبير مزار فيها، والشيخ أحمد هذا هو من صلحائهم وأخيارهم ولي من أولياء الله تعالى، صاحب كرامات وخوارق عادات، وقد اجتمعت به مراراً في بيروت.

قال: وقد أخبرني رحمه الله أنه اختلى تحت المسجد الأقصى (في الاقصى القديم) مدة من الزمان يتلو بعض الأسماء الإلهية، ثم بعد أن خرج وذهب إلى بلده رأى في منامه أنه يصلي المغرب في سهل على شاطئ نهر، فجاء طائر ووقف على كتفه ووضع منقاره في أذنه اليمنى وقال: سبحان الملك الخلاق ثلاث مرات وطار، قال: ما معناه فلما استيقظ فتح عليه وصار من كبار أهل الكشف وصار يعالج الناس عن طريق الكشف.

قال النبهاني: كنت أقرأ ترجمة الشيخ محمد البكري الكبير المصري ابن تاج العارفين أبي الحسن البكري، قال: فدخل عليَّ الشيخ أحمد النوباني وأنا أقرأ شعراً للشيخ محمد البكري سراً، فقلت له ممازحاً له: أحزر هذا الشعر الذي في هذه الورقة من كلام من هو؟ ولم أنطق بشيء من الشعر، فأبى أن يجيبني، فكررت عليه وألزمته بالجواب فقال: هو من كلام البكري، فقلت له: ما اسم بلده؟ لاحتمال أن يكون مراده سيدي مصطفى البكري الشامي لأنه هو المشهور في بلادنا الشامية، فقال لي: بلده مصر، فقلت بقي عليك أن تعرفني اسمه، فقال: اسمه محمد، فظهر يقيناً أن ذلك من كراماته واطلاعه على ذلك بطريق الكشف، مع أنه عامي لم يقرأ التاريخ ولا أخبار الناس.(ملاحظة: كلمة عامي لا تعني دائماً أنه لم يتعلم الفقه بالدين والاحكام لأنه يمكن للأمي أن يتعلم ذلك عن طريق السمع، فالله تعالى لم يتخذ ولياً جاهلاً ولو اتخذه لعلمه).

ثم ذكر النبهاني عدة من كراماته، منها اجتماعه بسيدنا الخضر عليه السلام، دفن السيد الشيخ أحمد النوباني في قريته المزارع رحمه الله تعالى.(آل النوباني الجيلاني لهم انتشار في فلسطين والاردن).

٥. **ومنهم السيد الشيخ إسحق بن عبد القادر بن إبراهيم الكيلاني**

قال المؤلف محمد درنيقة نقلا عن كتاب (سلك الدرر) للمرادي : ولد بحماه عام ١١١١هـ ١٦٩٩ر ونشأ في كنف والده، ولما استقر والده وأعمامه وإخوته بدمشق أقام معهم، سلك على والده الطريقة القادرية، فاشتهر أمره واحترمه الناس. وكان الحكام والقضاة يبجلونه ويحترمونه، قال: كان المرادي صاحب سلك الدرر يجتمع به ويطلب منه الدعاء.

قال: قتله بعض عسكر الأتراك خلال فتنة أبي الذهب المصري، وذلك طمعاً في ماله، وهو في طريقه إلى حلب على مسافة يسيرة من معرة النعمان وكانت هذه الحادثة عام ١١٨٥هـ ١٧٧١ر وقد دفن خارج المعرة رحمه الله تعالى.

٦. **ومنهم السيد الشيخ إقبال القادري.**

قال المؤلف درنيقة نقلا عن كتاب(تحفة الأحباب) للشيخ علي السخاوي: الشيخ إقبال كان حياً عام٦٩١هـ ١٢٩١ر بالقاهرة. أوقف زاوية في سويقة الدريس التي تعرف حالياً

بالقاهرة باسم الخراطين وباب الشعرية. وقد تحولت هذه الزاوية إلى جامع عرف بجامع الزاهد،وقد قام أبناؤه من بعده بشؤون هذا الجامع.

٧. ومنهم السيد الشيخ بهاء الدين القادري (المجذوب)

قال العلامة الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي في طبقاته: بهاء الدين القادري، المجذوب: كان أولاً من فقهاء الأمصار، ذا سَمْتٍ حسن ووقار، ملازماً للتقوى آناء الليل وأطراف النهار، ولا شيء يُزيِّنُ الإنسان مثلها... قال: وأصل جذبه أنه كان خطيباً بجامع ميدانِ القمح، فحضر عقداً يوم جمعة (أي عقد زواج) فسمع قائلاً يقول: هاتوا النارَ، جاءت الشهود، فصرخ وهام على وجهه في الجبل ثلاثة أيام، ثم ثقل عليه الحال، فمكث خمسَ سنين لا يأكل ولا يشرب ولا ينام.

ولما جذب تزوجت زوجته فلما جامعها الزوج وتعانقا ماتا فوراً وكان يحفظ قبل الجذب- البهجة- (كتاب البهجة الوردية وهو نظم لكتاب الحاوي الصغير في فروع الشافعية، نظمه زين الدين عمر بن المظفر الوردي الشافعي)

قال المناوي: فلم يزل يقرأ منها أبياتاً لكونه جذب وهو مشغول بها. وكل شيء جذب عليه الرجل لا يزال يذكره. وكذا من جذب في حال قبض أو بسط لا يزال دأبَهُ. قال: وكل ألف سنة عند المجذوب كأنها لمحة.

وقال الشعراني في الطبقات الكبرى: وكان كشفه لا يخطئ، قال: ومكاشفاته مشهورة بين الأكابر بمصر من المباشرين وعامة الناس. قال الشعراني: ومن وقائعه رضي الله عنه:أننا حضرنا يوماً معه وليمة فنظر للفقهاء في الليل، وزعق فيهم... ثم حذفهم بقلة من الماء كانت بجانبه فصعدت إلى نحو السقف، فقال فقيه منهم كسر القُلة، فقال له كذبت فوقعت على الأرض صحيحة كما كانت، فبعد خمس عشرة سنة رأى الفقيه فقال له: أهلاً بشاهد الزور يشهد أن القُلة انكسرت، مات رحمه الله سنة نيف وعشرين وتسعمائة، ودفن بالقرب من باب الشعرية(بالقاهرة) بزاويته إهـ.

٨. ومنهم السيد الشيخ الكبير حسين بن عبد القادر الكيلاني الحموي الأصل

ولد قدس سره بحلب سنة ٩٢٦هـ ١٥١٩ر، ثم توطن حماه بلد أهله، قرأ الفقه وسمع الحديث من الشيخ شهاب الدين أحمد البازلي الحموي الحمصي الشافعي، ثم سافر إلى دمشق فتلقاه الفقراء والمشايخ وبعض الأعيان بالترحاب، ولبس منه الخرقة القادرية جماعة منهم، وحصل له القبول من عيسى باشا ابن إبراهيم باشا نائب الشام الذي لبس منه الخرقة القادرية والمدفون بحوش محيي الدين بن العربي قدس سره بدمشق، وصار له حلقة بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة، ثم عاد إلى حماه فطلبه السلطان سليمان وسلمه زاوية دمشق التي بناها والده السلطان سليم وفي عام ٩٥٢هـ ١٥٤٥ عاد إلى حلب ثم عاد إلى حماه فتوفي بها سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٦ر رحمه الله تعالى. ذكره الغزي في الكواكب السائره- وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب.

٩. ومنهم السيد الشيخ سعيد الكيلاني

قال المؤلف درنيقة نقلا عن كتاب نفحة الشام للمؤلف محمد القاياتي: كان حيا عام ١٣٠٣هـ ١٨٨٥رمن أعيان دمشق ومشايخ القادرية فيها، كانت له زاوية بسوق ساروجا بدمشق،كما تقلد منصب رئيس البلدية فيها .

١٠. ومنهم العالم الرباني الجامع السيد إبراهيم حلمي نيازي، شيخ الطريقة النيازية فرع الطريقة القادرية، الجيلاني الحسني الأصل السكندري المولد والمنشأ والإقامة والوفاة

يعود نسبه إلى الشيخ عبد الرزاق ابن الإمام عبد القادر رضي الله عنهما، ولد في ١٦ محرم سنة ١٣٢٢هـ

يقول الدكتور يوسف محمد طه زيدان، الذي تابع أحوال الطريقة القادرية بمصر بنفسه، في كتابه"الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر:" وتلقى (الشيخ السيد إبراهيم حلمي) الرعاية من أفراد البيت القادري الذي نشأ فيه، وظل متوليًّا مشيخة الطريقة من وفاة والده سنة ١٣٥٥هـ، وحتى انتقاله إلى جوار ربه وهو ساجد يصلي بمريديه تراويح ليلة القدر سنة ١٣٩٠هـ.

قال: وأما عن اتصال سند القادرية النيازية بالإمام الجيلاني: فقد تلقى الشيخ إبراهيم حلمي القادري(الطريقة) عن والده السيد محمد حلمي المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ عن والده الغوث عبد الرحمٰن نيازي المتوفى سنة ١٣١١ هـ الذي أعطى لهذا الفرع القادري اسمه، والشيخ عبد الرحمٰن نيازي أخذ عن والده الشيخ القدوة عبد القادر الأربيلي عن المولى عبد الرحمٰن الطالباني عن القطب محمود غياث عن الشيخ أحمد بن إسحاق اللاهوري عن الشيخ محمد الأزميري عن الشيخ عبد الرزاق الحموي عن الشيخ محمد المعصوم عن الشيخ يحيى البصرى عن الشيخ عثمان الجيلي عن والده الشيخ السيد عبد الرزاق عن والده الامام عبد القادر الجيلاني.

والقادرية النيازية وفدت إلى مصر من تركيا، منذ قرابة خمسة قرون، فقد نزل بعض شيوخها الأوائل في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، واستوطنوا الاسكندرية منذ ذلك التاريخ.

قال: وكان الشيخ إبراهيم حلمي مدرسة صوفية جمعت أشتات المعارف الدينية، ومن هذه المدرسة تخرج رجال، كما ترك الشيخ العديد من المؤلفات، منها ما هو مطبوع ومتداول، ومنها ما رأيناه بخط الشيخ ولم يطبع بعد، وهذه المؤلفات هي:

١. مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة

٢. والقرب

٣. وتكذيب المدعي بصحة رحلة الإمام الشافعي

٤. والجهاد، ويحتوي على مطولتين شعريتين للشيخ، الأولى قصيدة لامية استهلها بقوله:

هــزَّتِ الوِجْــدَانُ قلــبيَ فابْتَهَــلْ طــول ليلــي مــن ضِــرَامٍ وَوَجَــلْ

وأما القصيدة الأخرى فتسمى(معاهدُ البر) ويقول مطلعها:

معاهِــدُ الــبِرِ أوْحــتْ مــن أعَالِينَــا أم الصــبابَةُ هاجَــتْ مــن تَنَاجِينَــا

٥. وكتاب شرح تعليم المتعلم

٦. محو الشبهات في ثبوت المحو والإثبات

٧. السير والسلوك

٨. العدوى والوباء، كتاب في الأخلاق

٩. الرسائل الصغرى

١٠. مناقب الإمام الجيلاني

١١. سهام الأُصابة في الدعوات المستجابة
١٢. أبو بكر الصديق
١٣. رسالة التوحيد
١٤. جلال الحق في كشف أحوال شرار الخلق، ردَّ في هذا الكتاب على بعض دعاوى الوهابية، ثم ذكر شيئاً عن أحواله ومريديه يصفهم بالعلم والأخلاق والتواضع والأدب. وذكر شيئاً من شعره في التصوف.

قال: والشيخ الحالي للطريقة القادرية النيازية هو ولده الشيخ محمد، بوصية نص عليها والده السيد إبراهيم حلمي قال: وقد ورد النص بتولية ابنه في إحدى قصائد الشيخ، حيث يقول في بعض أبياتها:

وأقمتكَ عن شخصي بدلاً   وحبوتك ما عندِي بيَدِي

قال: ولا يزال السيد محمد إبراهيم حلمي قائما مقام والده منذ انتقال والده، ولا يزال مجلسهم منعقداً على النحو الذي رسمه الشيخ...

قال: ويبدأ هذا المجلس اليومي بقراءة الفاتحة بضريح الشيخ، ثم يجتمع الإخوان مع الشيخ في قاعة الدرس، ولهم في كل يوم شغل: فيوم السبت مخصص لتدارس السُنَّة، ويوم الأحد للحديث الشريف، ويوم الاثنين للفقه، والثلاثاء للتوحيد والتصوف، والأربعاء للتفسير، ويوم الخميس تنعقد جلسة الذكر الشرعي والمراقبة، أما الجمعة فلا يجتمعون في المساء،وإنما يجلسون بعد صلاة الجمعة لقراءة سورة يٰسٓ، ثم ينصرف المريدون لتصريف شؤونهم الخاصة.

قال:وهذ الفرع القادري هو أكثر الفروع القادرية محافظة على الشريعة وآدابها في مصر مع ثنائه على بقية الفروع الأخرى.

قال المؤلف يوسف زيدان: للطريقة القادرية في مصر فروع عدة أشهرها: النيازية والشرعية والقاسمية والفارضية.

١١. فقال عن القادرية الشرعية وباختصار:إن اسم هذا الفرع مقتبسٌ من الأوراد الشرعية، كما بين ذلك شيخ الطريقة الشرعية **السيد عبد المنعم بن عبد النبي علي القادري المالكي** المتوفى

في الثامن والعشرين من رجب، سنة ١٤٠٦هـ في كتابيه (الركائز الإيمانية في أصول السادة القادرية الشرعية)، (والدرر النورانية في شرح مجلس ذكر طريقة السادة القادرية الشرعية).

قال: وكان الشيخ يحث المريدين على تعلم الشريعة والعمل بفرائضها وتنقية القلوب وإحياء نورها بذكر الله وحسن التوكل على الله والرضا بقضاء الله وقدره والعمل على أن يأكل كل تابع من عمل يده وإتقان عمله ومساندة الإخوان وتوجيههم الوجهة الصحيحة والاختلاف مرة في الاسبوع لعقد مجلس ذكر يناجي فيه العبد ربه والاعتقاد في رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه الوسيلة العظمى ونشر الدعوة بتجميع القلوب على توحيد الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم والاهتمام بنظافة الظاهر والباطن والدعوة إلى معرفة الله وإصلاح وتعمير المساجد والعمل بما سلف.

قال : ومركز هذا الفرع هو مسجد الإمام الشعراني، وهو مسجد قديم يشرف على ميدان- باب الشعرية- بالقاهرة، به مقام الإمام عبد الوهاب الشعراني العَلَوي الأصل، والشعراني يعود نسبه إلى الإمام محمد بن الحنفية، بن سيدنا علي رضي الله عنه.

قال: وقد وفد هذا الفرع إلى مصر من بلاد المغرب العربي ثم ذكر سند هذه الطريقة فقال:" شيخ هذه الطريقة هو: السيد عبد المنعم بن عبد النبي علي القادري المالكي، تلقن ذكر الطريقة القادرية عن شيخه محمد حبيب الله الشنقيطي وهو أخذ عن شيخه ماء العينين الحسني نسباً القادري طريقةً، عن والده السيد الفاضل مامين القادري، عن السيد أحمد الشريف السنوسي، عن السيد أحمد الريفي، عن السيد محمد بن علي السنوسي، عن السيد أبي العباس العرايشي أحمد بن إدريس، عن أبي المواهب التازي، عن أبي البقاء المكي، عن السيد محمد المدني، عن السيد عمر بن أحمد جبريل، عن السيد محمد بن يحيى الطواشي، عن والده السيد أبي زكريا يحيى الطواشي، عن الشيخ صالح الفريري، عن الشيخ كمال الدين الكوفي، عن الشيخ أبي الفتح سعد الدين البغدادي، عن الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ثم ذكر سنداً آخر.

وقال: عن فرع القادرية القاسمية:

١٢. شيخها الآن هو **السيد حسين أحمد علي القادري،** المقيم بالزقازيق بمحافظة الشرقية، ولد السيد حسين سنة ١٩٣٢ر، ونال دراسة أزهرية من صغره، ثم تخرج في كلية اللغة العربية

بجامعة الأزهر سنة ١٩٦٣ر، ويعمل حالياً مفتشاً للمواد العربية بمنطقة الزقازيق الأزهرية.

تلقن السيد حسين الذكر والعهد القادري عن ابن عمه السيد الشيخ محمد عبد القادر علي، عن والده السيد عبد القادر عن والده السيد علي، عن والده السيد محمد،عن والده السيد أحمد، عن والده السيد قاسم عن والده السيد محمد الكبير، عن والده السيد زين الدين، عن السيد علي، عن السيد مصطفى، عن السيد زين العابدين أحمد، عن السيد شرف الدين محمد درويش، عن السيد حسام الدين،عن السيد نور الدين محمد، عن السيد شمس الدين، عن السيد محمد عن والده السيد الشيخ المحدث الكبير شرف الدين عيسى (الملقب عند المصريين بأبي رمانة) عن والده سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

والشيخ الأصلي لهذا الفرع الذي تسمت به هو **السيد الشيخ قاسم بن السيد محمد الكبير**، الذي مر اسمه في سند الطريقة، وهذا الفرع هو من أعرق فروع القادرية وأقدمها عهداً بالديار المصرية، وعدد المنتسبين للقادرية القاسمية كبير جدا.

قال: وللقادرية القاسمية فرع في الفَيّوم، وشيخ الطريقة هناك هو **الشيخ محمود عبد التواب الفزاري**، من قبيلة فزارة العربية التي شارك رجالها في فتح مصر ثم استوطنوا الفَيّوم وما حولها في جنوب مصر.

وقد نشأ الشيخ محمود نشأة صوفية من صغره، وتلقى معالم الطريق من والده، ثم من شيخه السيد أحمد عبد الحي الأشهب، شيخ القادرية هناك في وقته.

وتلقى الشيخ تعليما أزهرياً حتى تخرج في كلية اللغة العربية سنة ١٩٦٣ر،إلا أنه عاد وحصل على بكالوريوس العلوم من قسم الجيولوجيا بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٧ر، وأكمل دراسته العليا في جامعة (ويزير بورج) بألمانيا، حيث حصل على درجة الماجستير في الجيولوجيا التطبيقية، ثم سجل هناك موضوعه للدكتوراه، وعمل بعد ذلك مستشاراً فنياً لشركة(فيلبس هوزمان)، حيث تنقل في العديد من الدول العربية والأوروبية والآسيوية، مما يسر له الالتقاء بالقادرية في هذه البلدان، خاصة في ألمانيا والهند ونيجيريا، ثم عاد الشيخ إلى مصر ليتولى شؤون القادرية بالفَيّوم بعد وفاة الشيخ أحمد عبد الحي الأشهب.

فأقام مركزاً إسلامياً للطريقة القادرية على هيئة نموذج مصغر من مسجد الصخرة بالقدس الشريف على طريق القاهرة على أطراف بلدة سنهورس، وقام ببناء العديد من المساجد والكتاتيب لتحفيظ القرآن، إلى جانب بعض المؤسسات العلاجية.

وللشيخ أتباع كثر، وقد عرف عنه أنه لا يعطي العهد القادري للمريد إلا بعد أن يتفقه ويتوب ويكثر من المجاهدات والعبادات والذكر وخصوصاً الإستغفار حتى يظهر عليه الزهد وعدم التعلق في ملذات الدنيا وشهواتها، عندئذ يعطيه العهد.

قال: أما أكثر أعمالهم روعة، فهو هذا الجهد الهائل لاستصلاح الأراضي البور بصحراء الفيوم، إذْ أقام الشيخ لهذا الغرض رباطات صوفية بالصحراء، وأعطاها اسماً يتوافق مع مقتضيات العصر هو: (شركة النور الجيلاني) ويربط شيخ الفيوم بين إنبات الأرض الجرداء وبين إصلاح النفوس الغافلة، فهو يأمر كل مريد قادري هناك بأن يروي في الصحراء من هذه الأرض التي يصلحونها فدانا على الأقل، مهما كانت المكانة الاجتماعية لهذا المريد بين الناس، وتتولى الطريقة حاليا استصلاح ١٥٠٠ فدان بالفيوم، وبضعة آلاف أخرى بالصحراء الغربية ويتملك مريدو القادرية هذه الأرض بعد إحيائها.

ولم يؤلف الشيخ كتباً إنما اكتفى بما ألفه شيخه السيد أحمد الأشهب فإنه ترك ثلاث مؤلفات وهي:

١) هداية المريد في معرفة عقائد التوحيد
٢) وهداية السالكين(شعر صوفي)
٣) النصيحة المرضية في عقائد الدين والأوراد القادرية.

وقال: عن القادرية الفارضية:

١٣. أخذت هذا الاسم نسبة إلى **الشيخ السيد محمد الفارضي الجيلاني الحسني الأصل**، إذ كان يتولى إثبات فروض النساء على الرجال،(فلقب بالفارضي) توفي سنة ١٢٨٥ هجرية، وهو ابن السيد سليمان ابن السيد سليمان زهير الخضري ابن السيد حسن ابن السيد علي ابن السيد أحمد ابن السيد نور الدين ابن السيد عبد الجوَّاد ابن السيد أحمد ابن السيد محمد ابن السيد علاء الدين علي الجيلاني قاضي الخليفة، أول من استوطن مصر من ذرية السيد عبد العزيز ابن السيد عزالدين حسين ابن السيد شمس الدين محمد الأكحل ابن السيد حسام الدين محمد شِرْشيق ابن السيد محمد الملقب بالهتاك وبالذهبي ابن السيد أبي بكر عبد العزيز ابن السيد الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

وهذا الفرع قديمٌ في مصر، كانت بدايته على يد السيد علاء الدين علي الذي استوطن مصر هو وأولاده، ونزلوا في الزاوية التي تسمى زاوية الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، وإن يكن الشيخ عدي لم يستوطن مصر ولم يدفن بها، إنما قبره في بلدة(لآلِش) بجبل هكار من أعمال الموصل.

قلت: أما دخول الطريقة القادرية إلى مصر فكان قبل ذلك على يد السيد عيسى ابن الإمام عبد القادر، وقبله على يد الشيخ بديع الدين المصري زمن الإمام عبد القادر.

قال: ومقر هذه الطريقة هو" جامع السادة القادرية" الكائن بالقرافة الصغرى بالقاهرة وهو مسجد عتيق... يقع على يمين الشارع المسمى بشارع (سكة القادرية)، والمؤدي إلى قرافة الإمام الشافعي رضي الله عنه.

قال: ويوجد في إيوانات الجامع ستة قبور وهي:
قبر السيد محمد ابن السيد علاء الدين علي،
وابنه السيد موسى،
وابنه السيد زين الدين محمد ابن السيد موسى،
والسيد حسن بن محمد بن عبد القادر بن علي ابن السيد شمس الدين محمد الأكحل
وأخوه السيد علي
وابنه السيد عبد القادر بن حسن بن محمد.

١٤. قال :والشيخ الحالي للطريقة هو **:الشيخ السيد مسعود حجازي بن عبد السلام حجازي ابن السيد مسعود القادري**، قال :ويعود نسبه إلى السيد محمد الفارضي
قال: والشيخ مسعود هو شخصية نشطة، يعمل بكل طاقته على بعث الطريقة إلى سابق عهدها بعد الانقطاع الطويل.

قال: وقد اتخذ الشيخ مسعود للطريقة من جامع السادة القادرية مقراً، كما كان الأمر في العهد الأول، ثم عمل على إحياء فروع طريقته بالمحافظات المحيطة بالقاهرة، متخذاً في كل فرع منها نائباً للطريقة، وهذه الفروع هي:

فرع بمحافظة الجيزة ببلدة(كفر طَهُرْمُسْ) وبه مسجد ملحق به مركز لتحفيظ القرآن

وفرع بمحافظة الدقهلية، ببلدة(شِربين)

وثلاثة فروع بمحافظة الشرقية، موزعة بين أبي حماد، ومنيا القمح، وكفر مسعود حجازي.

وبكل فرع منها مسجد ملحق به مركز لتحفيظ القرآن، وقال بما معناه: إنه يحث المريدين على أداء الفرائض والقيام بفضائل الأعمال وحضور مجلس الذكر الأسبوعي.

إهـ كلام المؤلف يوسف زيدان ملخصاً.

١٥. **ومنهم الشيخ السيد تاج العارفين القادري بن عبد القادر بن أحمد بن سليمان الدمشقي القادري، ولد سنة ١٠٢٧هـ ١٦١٨ر.**

ففي تاريخ علماء دمشق وأعيانها للمؤلفين محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، قال المحبي فيه: أحد صدور المشايخ ورؤساء المحافل بدمشق، كان شيخاً موقراً عالي الهمة مبسوط الكف حمولاً صبوراً مداوماً على العبادة لا يفتر عنها، ولزم مدة حياته التردد إلى الجامع الأموي في السحر، وله تصرف عجيب وعقل وافر، وبالجملة فإنه كان من الرؤساء الأخيار إهـ

قال: وكان له نوبة مع أخويه صالح وسليمان في خدمة مزار الشيخ أرسلان الدمشقي، وكان هو القائم بأعباء أمور أخويه ومتعلقاتهما.

توفي بدمشق في منتصف ربيع الأول، سنة ١٠٩٩ هـ ١٦٨٨ر، ودفن بزاوية أسرته عند أبيه وجده.

١٦. وأما شقيقه **الشيخ السيد سليمان بن عبد القادر**، فقد قال المؤلف محمد درنيقة في كتابه أعلام القادرية نقلا عن(سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) لمحمد المرادي:

"ولد (أي السيد سليمان) بدمشق وبها نشأ وتعلم على مشايخها:الشيخ السيد عبد الوهاب الفرفوري مفتي دمشق، والشيخ نجم الدين الغزي.

قال: وكان يدرس بعد العصر عند محراب الشافعية بالجامع الأموي، قام بجولة في أنحاء تركية، ثم عاد إلى دمشق حيث تقلد عدة وظائف منها: تدريس السليمانية بصالحية دمشق، وخطابة السليمانية بالميدان الأخضر، ووعظ السنانية،وكان ملازماً ومواظباً على خدمة الشيخ أرسلان.

توفي السيد سليمان بدمشق عام ١١١٥هـ ١٧٠٣ر، وتجدر الإشارة إلى أن أخويه،صالح وتاج العارفين كانا قادريين مثله.

١٧. ومنهم **الشيخ سيف الدين بن زيد القادري**

قال درنيقة نقلاً عن سلك الدرر للمرادي:"كان حياً سنة ١٣٠٣هـ، كانت له زاوية في بيت المقدس يؤمها أخواه السيد أحمد ومنيب وأبناء أعمامهم، وقد اشتهروا جميعاً بالصلاح والتقوى والعلم، وآل زيد في فلسطين هم فرع من كيلانية حماه.

١٨. ومنهم **الشيخ السيد صالح الكيلاني**

قال الشيخ محمد جميل الشطي في كتابه أعيان دمشق نقلاً عن البيطار في تاريخه: هو السيد صالح ابن السيد محمد ابن السيد صالح الكيلاني، ولد سنة ١١٨٠هـ، ونشأ في حجر والده على العلم والعبادة، وقد كان من أعيان دمشق.

قال الشطي: وتولى النيابات في محاكم دمشق الشرعية، وهو والد السيد سليم أفندي المتوفى سنة ١٣٠١ هـ عن ولديه عبد القادر أفندي المتوفى سنة ١٣١٩ هـ وعلي أفندي المتوفى سنة ١٣٤٠هـ.

توفي السيد صالح سنة ١٢٧٨ هـ.

١٩. قال الشطي: وأما والد الشيخ صالح فهو: **السيد محمد ابن السيد صالح ابن السيد عبد القادر ابن السيد إبراهيم ابن السيد شرف الدين، الحنفي الدمشقي الشهير بالكيلاني،** نسبة إلى سيدنا عبد القادر الجيلاني الحسني قدس الله سره.

ولد سنة ١١٧٣هـ، ونشأ في حجر والده، واجتهد في طلب العلم، وأجازه السادة الأفاضل، وألف الكتب والرسائل، ومن مؤلفاته" نسمات الأسحار في فضائل العشرة الأبرار".

وبالجملة فقد كان من السادات الصالحين والأفاضل المعتقدين، ناهجاً نهج أسلافه، مشهوراً بحسن أوصافه، وكانت وفاته بدمشق الشام سنة ١٢٤٤، ودفن في سفح قاسيون بتربة سيدنا ذي الكفل عليه السلام، رحمة الله عليه.

قال الشطي: أثبت العلامة المرادي في تاريخه تراجم جملة من أسلاف صاحب الترجمة وأثنى عليهم، وذكر في ترجمة جد المترجم السيد عبد القادر بيان سبب انتقالهم من حماه الى دمشق وذلك سنة ١١٤٣ هـ.

٢٠. ومنهم الشيخ السيد صفي الدين بن محمد الكيلاني

قال درنيقة نقلا عن الأعلام للزركلي، والمعجم لكحالة: جمع بين الأدب والطب والتصوف، جاور بمكة المكرمة حتى وفاته عام ١٠١٠هـ ١٦٠١ر، وله:
شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض، وعدة مؤلفات في الطب، وهو أحد أعيان مشايخ الطريقة القادرية.

٢١. ومنهم الشيخ الكبير العارف السيد ظبيان الكيلاني

قال الشطي: ترجمه لنا حفيده الأستاذ الفاضل الشيخ محمد علي ظبيان، قال ما مختصره:" هو العالم الفاضل والمرشد الكامل، صاحب الكرامات الظاهرة، الشيخ محمد ظبيان ابن الشيخ يوسف بن عبد العال بن محمد بن محمد ابن ولي الله الشيخ محمود الكيلاني دفين قرية جيرود...

قال: ونشأ في حجر والده، وقد أدخله والده المذكور في أحد الكتاتيب القرآنية، فتعلم القرآن، وأصول الكتابة والقراءة، ثم أدخله في مدرسة الملا عثمان الكردي، فقرأ فيها الفنون الأدبية والعلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير، وحضر دروساً كثيرةً على علماء دمشق، كالمحدث الشيخ السيد عبد الرحمٰن الكزبري، والفقيه الشيخ عبد الرحمٰن الطيبي وغيرهما، ولما حضر إلى دمشق العلامة التقي السيد علي أفندي الكيلاني شيخ الطريقة القادرية بحماه، أخذ المتَرْجَمْ عنه الطريقة المذكورة ولقنه الذكر، وأدخله في الخلوة، وبعد أن خرج منها كتب له إجازة بنشر الطريقة وإرشاد الخليقة، فقام بأعبائها خير قيام، والتف حوله كثير من الأنام، يسترشدون بإرشادته، ويلتمسون صالح دعواته، وكانوا يراجعونه للاستشفاء فيرقيهم بآيات من

القرآن الكريم، ويحصل لهم الشفاء بإذن الله تعالى، وقد اشتهرت كراماته في دمشق وغيرها من البلاد الشامية،ولولا خوف الإطالة لسردنا شيئاً منها.

وكان مهيب الطلعة جهوري الصوت شجاعاً صريحاً في نصحه، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان يزوره الكثير من الولاة والمشيرين والحكام، فينصحهم ويأمرهم بالعدل والرحمة، وربما أغلظ عليهم في القول، وكان سخيا كريماً، يعطف على الفقراء والمساكين، وما زال على هذا الحال حتى توفاه الله في اليوم العاشر من رجب سنة ١٢٨٨ هـ، ودفن في تربته الخاصة في مقبرة باب مصر ظاهر دمشق رحمه الله رحمة واسعة.

قال: وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وقال: كان له أطوار غربية وأحوال عجيبة، وكان يقصده الرجال والنساء من كل جانب، هذا يسأله عن تجارته، وهذا عن زوجته، وهذا عن سفره، وهذا عن شراكته، وكل واحدة من النساء تسأله عن شيء مخصوص، وهو تارة يجيب السائل بلسان مفهوم، وتارة يتكلم بكلام غير معلوم، وكان يرد عليه من المال مبلغ عظيم، ومن الهدايا مقدار جسيم، وما زال يعلو مقامه، ويعظم احترامه، وتقصده الوزراء، والوجوه والكبراء،إلى أن توفي تغمده الله برحمته.

٢٢. ومنهم الشيخ السيد سعيد أفندي الكيلاني شيخ الطريقة

قال درنيقة نقلاً عن كتاب (نفحة الشام) كان حياً عام ١٣٠٣هـ من أعيان دمشق ومشايخ القادرية فيها....

وقال الشيخ الشطي: ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال: هو السيد سعيد ابن السيد صالح ابن السيد محمد ابن السيد صالح ابن السيد عبد القادر ابن السيد إبراهيم ابن السيد شرف الدين ابن السيد أحمد ابن السيد علي الهاشمي ابن السيد أحمد شهاب الدين ابن السيد قاسم شرف الدين ابن السيد يحيي محيي الدين ابن السيد حسن نور الدين ابن السيد علي علاء الدين ابن السيد محمد شمس الدين ابن السيد يحيى سيف الدين وهو أول من نزل حماه واستوطنها ابن السيد أحمد ظهير الدين ابن السيد محمد أبي النصر ابن السيد قاضي القضاة، نصر ابن السيد الإمام عبد الرزاق ابن السيد الإمام القطب الغوث عبد القادر الجيلاني قدس الله سره.

ولد المَتَرْجَم سنة ١٢٣٧هـ في دمشق، ونشأ في الطاعة والتقوى، وجعل داره مورد المريدين ومأوى القاصدين، وصار من أعيان دمشق ورؤسائها، ومنذ شب خطبته المناصب ورفعته إلى أعلى المراتب، وقد (ولي رياسة البلدية بدمشق) وانتخب عضوا في مجلس إدارة سورية، وهو مع ذلك لطيف متواضع، ليس على بابه مانع، كثير الوداد، يساعد المريد على المراد، حاتمي الكرم علوي الهمم، سيرته حسنة، وشمائله مستحسنة، حسن الهيئة، منور الشيبة،مهاب عند الخاصة والعامة، وكانت وفاته سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف ١٣١٦هـ رحمه الله تعالى.أهـ وذكر الشطي أبياتاً في مدح السيد سعيد الكيلاني للشاعر الهلالي نزيل دمشق،منها:

بروحي من بني كيلان بدر ... سما بسماء أقمار السعود
أجل ذرية الزهراء أجلى ... وأولى بالترقي والصعود
فهم روحي وريحاني وراحي ... بهم وجدي المقيم بهم وجودي

٢٣. والشيخ السيد عبد الحميد ابن الشيخ نجيب النوباني، القادري

قال النبهاني: صاحب الولاية الظاهرة والكرامات الباهرة الموجود الآن في القدس الشريف... وقد اجتمعت به في القدس سنة ١٣٠٥هـ وكنت إذ ذاك رئيس محكمة الجزاء فيها، فاعتقدته ورأيت كثيراً من الناس يعتقدونه ولا يشكون في ولايته، وقد مررت مع بعضهم في دار خربة في خارج القدس فقال لي: هذه الدار دار بدر أفندي الخالدي، وكان قد آذى الشيخ عبد الحميد النوباني إذ هو رئيس كتاب المحكمة الشرعية في القدس ومن أجلِّ وجهائها وكبرائها وأصحا بالسلطة فيها ، فلما آذاه توجه إلى هذه الدار فوقف في مقابلتها وصار يخاطبها ويقول لها :خراب يا دار خراب يا دار ، فما مضت سنة من قوله هذا إلا وقد اختل عقل بدر أفندي ومات، ثم خربت الدار وصارت على هذه الحالة، وبعد ذلك دخل الخلل على عقول بعض ذريته وهم إلى الآن كذلك، وصاروا يكرمون الشيخ عبد الحميد كثيراً ويتبركون به ليدعو لهم ويتعاطى أسباب زوال اختلال العقل عنهم، وهم من أعز أصحابه الآن في القدس وأكثرهم إكراما له.

قال: ومن كراماته: أني بعد أن جئت إلى بيروت في وظيفتي رئاسة محكمة الحقوق فيها التي أنا موظف فيها إلى الآن سنة ١٣٢٤ هـ بتيسير الله تعالى، وذلك من سنة ١٣٠٥ هـ لأني لم أقم في رئاسة محكمة القدس الجزائية إلا نحو ثمانية أشهر، حضر إلى بيروت الشيخ عبد الحميد المذكور مرتين، فدعوته في المرة الأولى إلى العشاء وكنت قد أخذت ورق الدوالي وكوسا

ونوعا من الفاصوليا يشبه الفول والحمص وله قرون كقرون الفول (يعني البازلَّة)، فلما جاء عندي الشيخ عبد الحميد إلى المحكمة قلت له: أريد أن أتعشى معك في هذه الليلة، فأجاب إلى ذلك ،فقلت له احزر ما تأكله في هذا العشاء، فقال لي على البداهة: ورق دوالي، فقلت له: هذا معلوم في هذه الأيام أيام الربيع احزر غيره فقال: وكوسا، فقلت له: هذا أيضا معلوم في هذه الأيام فاحزر غيره، فقال: شيء مثل الفول لا أعرف اسمه، قال النبهاني: وهذا النوع أي (البازلة) كانت قليلة وقلما يزرعها أهل هذه البلاد وإنما استحضروها من بلاد الفرنج، قال: فقد رآها ببصيرته ولكنه لا يعرف اسمها لعدم وجودها في بلاده، فانظر لهذا الكشف الصحيح الصريح.

ثم ذكر له النبهاني عدة كرامات أخرى، ثم قال: وهو موجود إلى الآن مقيم في القدس ، نفعنا الله ببركاته وبركات أسلافه الطيبين الطاهرين. إهـ

٢٤. ومنهم الشيخ السيد نقيب الأشراف عبد الرحمن بن عبد القادر الكيلاني، أحد مشاهير مشايخ الطريقة

قال درنيقة نقلا عن سلك الدُّرر للمرادي:" ولد بحماه عام ١١٣٠هـ ١٧١٧ر، قدم دمشق مع والده حيث درس على بعض الشيوخ منهم: الشيخ أحمد المنيني ومحمد الكردي وصالح الحنيني وحسن المصري نزيل دمشق وأحمد البهني، ثم سافر إلى الأستانة وعاد متقلداً نقابة أشراف دمشق مع رتبة السليمانية.

قال: وفي أواخر عمره أصابته أمراض عديدة فانزوى في داره يدرس بعض العلوم لا سيما وأنه قد برع بالعلم والأدب نثراً وشعراً.

توفي بدمشق عام ١١٧٢هـ ١٧٥٨ر، ودفن بتربة الباب الصغير،

قال: ومن شعره في مدح جده السيد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، هذه الأبيات:

برق على الروم من أُفْقِ العراق سَرى وهَنَا فلم تَغْتَمِضْ أجفانُنا بِكَرَى
قطب الجلالةِ محيي الدين من سطعت أنـواره وجَلَّتْ عزماتُـهُ الغَـبَرا
الباز الأشهبُ عبد القادر الأسدُ الهصورُ من وجَمَتْ منه أسُودُ شَرىَ
الهاشميُ المنْتَمَى من عُنْصُر الحسَنِ السِّبْطِ الشريفِ الذي من ظهرِهِ ظَهَرا

٢٥. ومنهم شيخ الطريقة ونقيب الأشراف السيد عبد الرحمن بن عبد القادر الهاشمي الكيلاني

قال درنيقة نقلاً عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، وهدية العارفين وإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي: هو من فضلاء مدينة بغداد، تولى نقابة الأشراف فيها وظل في هذا المنصب حتى وفاته عام ١٢٠٠ هـ ١٧٨٦ر، وله كتاب مرآة الحسن البديع في حلية الرسول الشفيع، في مجلد.

٢٦. ومنهم شيخ الطريقة ونقيب الأشراف السيد عبد الرحمن بن علي بن سليمان القادري الكيلاني

يقول درنيقة نقلاً عن معجم المؤلفين لكحالة والأعلام للزركلي ولد ببغداد عام ١٢٦١هـ ١٨٤٥ر. وفيها تلقى علومه وسلك القادرية طريقة أجداده، تولى عام ١٣١٥هـ ١٨٩٧ر نقابة أشراف بغداد، وفي عام ١٣٣٩هـ ١٩٢٠ر تولى للمرة الأولى رئاسة الوزارة العراقية، ثم استقال بعد تولي الملك فيصل بن الحسين عرش العراق عام ١٣٤٠هـ ١٩٢١ر....
من مؤلفاته: الفتح المبين في الرد على ترياق المحبين، ورسالة الأدب، وغيرها
توفي ببغداد عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٧ر.

٢٧. ومنهم الشيخ المحدث العالم شيخ الطريقة السيد عبد الرحمٰن بن محمد الأوجاقي،

والاصل كيلاني المصري الشافعي

قال درنيقة نقلاً عن الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين الغزي:" قرأ القرآن على والده وسمع منه الحديث وأخذ عنه العلوم الشرعية، كما قرأ على الشيخ محمد الشهير بالسكندري، وعلى العلامة أبي بكر بن عياش، وأخذ العلوم الشرعية أيضاً عن شيخ الإسلام ابن حجر وعن ابن العراقي والشمس القياتي وصالح البلقيني وغيرهم.

تنقل بين المدن الإسلامية لينهل العلوم من مشايخها وعلمائها (منها القدس ومكة والمدينة)، ولبس الخرقة القادرية من والده ومن أبي الحسن علي وإبن عمه أبي المحاسن حسن نور الدين الكيلاني ومن الشيخ أحمد أبي العباس الزركشي الخطيب الشافعي.

توفي بالقاهرة عام ٩١٠هـ ١٥٠٤ر قال: ومن آثاره شعر لطيف، وذكر شيئاً منه قال، وقال عند وفاته:

لما مرضتُ من الذنوب لثِقْلِهَا ... وأيستُ مِنْ طبِّ الطبيبِ النافِعِ

علَّقْتُ أطماعي برحمةِ سيدِي ... وأتَيْتُهُ متوسِّلاً بالإمام الشافِعِي

٢٨. **ومنهم الشيخ الكبير شيخ الطريقة السيد عبد القادر بن إبراهيم الجيلاني الحسني**

قال درنيقة نقلاً عن سلك الدرر للمرادي: ولد ببغداد عام ١٠٨٠هـ ١٦٦٩ر وبها نشأ، درس أولاً على جده لأمه مدلج البغدادي كما درس على خاله الشيخ ظاهر، فبرع في العلم والخط، وكان يتكلم الفارسية والتركية بالإضافة إلى العربية، وفي عام ١٠٩٥هـ ١٦٨٣ر قدم حماه حيث درّس بالمدرسة العصرونية، ثم ما لبث أن تولى نقابة الأشراف فيها، ثم سافر إلى حلب والقسطنطينية والقاهرة، وعلى أثر اضطرابات في حماه انتقل مع أولاده إلى دمشق فقطنوا بها عام ١١٤٣هـ ١٧٣٠ر وحصل للشيخ القبول التام، وأعطي قضاء طرابلس الشام والقدس.

توفي السيد عبد القادر بدمشق عام ١١٥٧هـ ١٧٤٤ر ودفن بتربة باب الصغير بالقرب من المرقد المنسوب لزين العابدين رضي الله عنه،(من المعروف أن السيد زين العابدين مدفون بالبقيع).

ترك السيد عبد القادر عدة أبناء: السيد اسحق توفي مقتولاً بحماه عام ١١٨٠هـ ١٧٦٦ر

والسيد محمد الذي تولى نقابة أشراف دمشق، توفي بحماه عام ١١٨٦هـ ١٧٧٢ر

والسيد صالح وكان مدرساً بدمشق، توفي بها عام ١١٨٢هـ ١٧٦٨ر

٢٩. ومنهم الشيخ السيد عبد القادر بن العربي القادري الحسني شيخ الطريقة القادرية

قال درنيقة نقلاً عن المعجم لكحالة: توفي بالمغرب عام ١١٧٩هـ ١٧٦٥ر، وله ديوان شعر.

٣٠. ومنهم شيخ الطريقة القادرية الفقيه السيد عبد القادر بن علي بن محمد الجيلاني الحسني

قال درنيقة نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي: يعود نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، أصل أجداده من بغداد.

ولد الشيخ عبدالقادر بالقاهرة عام ٨٥٠هـ ١٤٤٦ر، توفي والده وهو صغير فكفلته أمه، درس على الزين قاسم الحنفي وعلى السخاوي (الحافظ) وأقبل على التحصيل ولازم الشيخ تغري بردى القادري، تقلد عدة وظائف وحج مرتين، توفي بالقاهرة عام ٨٧٩هـ ١٤٧٤ر في حياة أمه التي كان باراً بها، من آثاره تخريج كتاب (فتوح الغيب) لجده الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره.

٣١. ومنهم الشيخ السيد عبد القادر القادري

قال درنيقة نقلاً عن كتاب (بعلبك في التاريخ) لقاسم الرفاعي: كان (أي الشيخ عبد القادر) حياً بمصر عام ٨٧٧هـ ١٤٧٢ر،تتلمذ على الشيخ علي بن البهاء المعروف بابن الزيراني.

٣٢. ومنهم الشيخ السيد عبد القادر بن عمر بن محمد هاشم الكيلاني الشهير بشاه كدا

ولد بالهند عام ١٠٦٣هـ ١٦٥٣ر وفيها توفي عام ١١٥٤هـ ١٧٤١ر من تصانيفه: أسرار الكتمان، وكشف الأسرار. نقله درنيقة عن هدية العارفين وإيضاح المكنون للبغدادي، والمعجم لكحالة.

٣٣. ومنهم الشيخ السيد عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الكيلاني الحموي.

قال الشيخ يوسف النبهاني في جامع كرامات الأولياء، له واقعة لطيفة ملخصها:أنه نُوزعَ

من بعض بني عمه في توليته، فتعصب عليه رجل من مباشري ديوان الجيش بالقاهرة يقال له ابن الإنبابي منسوب إلى ولي الله الشيخ إسماعيل الإنبابي، فتوجه الشيخ عبد القادر إلى القاهرة، وأبرم على بن الإنبابي في قضاء حاجته، فأغلظ له القول، فتوجه وهو منكسر القلب إلى منْزله، وكان قد نزل بالزاوية القادرية، فتوجه تلك اليلة إلى جده وسميه الشيخ عبد القادر الجيلاني واستنهضه في قصته، وإذا ابن الإنبابي يطرق عليه الباب ليلاً، فلم يفتح له إلا بعد مراجعة، فلما فتح له بادر إلى تقبيل قدميه ووعده بقضاء حاجته، وأخبره أنه رأى في منامه جديهما الشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ إسماعيل الإنبابي، فأغلظ الشيخ عبد القادر عليه وأوعده بالقتل لولا ما شفع فيه جده الشيخ إسماعيل،وأن جده إسماعيل قال له: قم واقتل هذه الحية التي تحت وسادتك، وأنه استيقظ مرعوبا مذعوراً ورفع الوسادة فإذا الحية تحتها، قال: فقتلتها وجئت إليك من ساعتي، ثم إن ابن الإنبابي قضى حاجته واهتم بشأنه.

مات بحماه سنة ٩٣٣، قاله النجم الغزي.

٣٤. ومنهم الباشا العارف بالله الشيخ السيد عبد القادر الحاج الجيلاني الطرابلسي الملقب (بالناجي)

ولد رحمه الله في مدينة طرابلس الشام، وتلقى علومه الشرعية فيها، وحفظ القرآن الكريم، كما أتقن اللغة العربية والانكليزية، كما عين رئيساً لبلدية طرابلس، رحل إلى استبول بدعوة من السلطان العثماني، فلما وصل رحب به وطلب منه أن يعلم ابنته، فعلمها القرآن واللغة العربية والانكليزية، كما قام بأعمال أخرى، ثم عاد إلى طرابلس، فبقي بها وجيهاً ومرجعاً حتى وفاته سنة ١٢٨٣هـ ١٨٦٦ر ودفن في حرم جامع طينال.

وذريته في طرابلس يعرفون بآل (ناجي) وهي عائلة معروفة، وأكثرهم شهرة اليوم: الأستاذ طه ناجي بن عطفت بن زكي بن محي الدين بن الباشا السيد عبد القادر الحاج الجيلاني، وشقيقه الحاج فوزي ناجي، وابن عمهما الحاج كنعان ناجي بن أحمد بن زكي... الذي ترأس بعض التنظيمات الإسلامية في طرابلس، وعمهم السيد رأفت بك بن زكي....

ويعرف عنهم البذل والعطاء وحبهم للعلم والعلماء، ولهم عم آخر هو الشيخ السيد فوزي ناجي، عرف بالصلاح وعلو الهمة ولم يعمر كثيراً.

٣٥. ومنهم العارف بالله الشيخ السيد علي أبو علوك الشهرزوري البغدادي شيخ الطريقة الرفاعية والقادرية

يقول الشيخ السيد أبو الهدى الصيادى الرفاعي في كتابه قلادة الجواهر: وينتهي نسبه إلى الشيخ عبد العزيز ابن القطب الغوث الصمداني مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، سكن كركوك التي هي شهرزور وأقام بها حتى مات، وإجازته رضي الله عنه (أي بالطريقة الرفاعية) تنتهي إلى السيد مهدي نقيب البصرة ابن السيد محمد الرفاعي، والسيد مهدي أخذ عن أبيه.

وقال:شيد مراسم الطريقة الرفاعية وأعلى منار الخرقة الأحمدية، وكادت كراماته تبلغ حد التواتر في البلاد الشرقية، وله ذرية في كركوك وبغداد ونواحيها وزوايا متعددة وتلاميذ وأتباع لا تحصى نفعنا الله به وبأسلافه الطاهرين آمين

توفي في حدود ١٢٥٠هـ ودفن بمقبرة المصلى في كركوك وبنوا عليه قبة عظيمة-

٣٦. ومنهم العالم شيخ الطريقة القادرية السيد علي بن داود بن علي الكيلاني الأصل

قال المؤلف درنيقة نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي: نشأ بمكة وحفظ المنهاج، وسمع على ابن سلامة وابن الجزري وغيرهما، وتفقه بابن سلامة والشمس الكفيري اللذين أجازاه بالإفتاء والتدريس، ثم دخل اليمن بصحبة ابن الجزري عام ٨٢٨هـ ١٤٢٤ر وناب في قضاء مكة ثم بجدة عام ٨٣٥هـ ١٤٣١ر، توفي بالإسكندرية عام ٨٤٢هـ ١٤٣٨ر وله رحمه الله منظومات شعرية.

٣٧. ومنهم العالم شيخ الطريقة السيد علي بن محمد الكيلاني

قال درنيقة نقلاً عن الضوء اللامع:"كان حياً سنة ٨٣٠هـ ١٤٢٥ر، سمع على عبد الرحيم بن عبدالكريم، وعلى أبي الفضل علي بن الصالح الكيلاني الشافعي قاضي القاهرة، ومن تلاميذه الشيخ ابن أبي اليمن.

٣٨. ومنهم الشيخ علي الهاشمي ابن شهاب الدين أحمد ابن شرف الدين قاسم ابن محيي الدين يحيى ابن بدر الدين حسين ابن علاء الدين علي ابن شمس الدين محمد ابن السيد سيف الدين يحيى أول من استوطن حماه...

قال المؤلف درنيقة نقلاً عن سلك الدرر للمرادي وهدية العارفين وإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، والأعلام لخير الدين الزركلي: " ولد بحماه عام ١٠٤٠هـ ١٦٣٠ر ونشأ بها صالحاً متعبداً، قرأ القرآن واشتغل بقراءة العلوم ودرس الفقه والعربية والمنطق والتصوف، وأجازه جماعة من المشايخ في الحديث، ثم أدى فريضة الحج ورجع إلى سورية حيث تسلم نقابة الأشراف بحماه وحمص عام ١٠٧٠هـ ١٦٥٩ر، وفي ذلك نظم شيخه الشيخ يحيى الحوراني:

لما تَصَدَّرَ في النقابَةِ أرَّخوا — سَعْدُ النقابَةِ في عَلّي الكيلاني

وفي عام ١٠٨٢هـ ١٦٧١ر تولى مشيخة الطريقة القادرية في البلاد الشامية، فقام بالوظيفتين خير قيام، فكان يقيم الأذكار ويقرأ الأوراد في العشي والإبكار... وكان يتردد إلى دمشق وحلب وطرابلس وكان حيثما يحل يقابل بالترحاب والاحترام، قال: وكان داعياً إلى الله على بصيرة، كما لبس منه الخرقة القادرية عدد كبير، قال: ومن آثاره:

١) بلوغ البغية في شرح منظومة الحلية
٢) الرحلة المكية
٣) ديوان شعر متنوع، قال: ومن شعره:

يا عُرَيْباً حَلُّوا حِمَى الزَّوْراءِ — أنتمُوا داءُ علتيّ وَدَوائِي
قدْ فرَّقتم ما بيْنَ جسمِي وقلبي — حينَ فارقتُكُم وعزَّ لِقائِي
من أَقاصي الحَشَا سَلَبْتُم فؤَادي — ورقادِي مِنْ مُقْلةٍ قَرْحَاءِ

توفي رحمه الله بحماه عام ١١١٣هـ ١٧٠١ر ودفن في الزاوية الفوقانية بتربة أسلافه القادرية.

٣٩. ومنهم العلامة شيخ الطريقة السيد قاسم بن عبد السلام القادري الحسني الفاسي

قال المؤلف درنيقة نقلاً عن التقاط الدرر لمحمد القادري: ولد عام ١٠٩٩هـ ١٦٨٧ر، صحب الشيخ أحمد بن عبد الله، وأخذ عن جماعة من فقهاء فاس: كالشيخ المِسناوي والشيخ الوجاري وغيرهما، ثم حج وأقبل على زيارة أضرحة الأولياء والصالحين قال: اشتغل بنسخ الكتب، وكان دؤوباً على الذكر وتلاوة القرآن، وأوقاته عامرة بأوراده،

كان يقوم بسرد وشرح صحيح البخاري كل عام حيث يبدأ في رجب وشعبان ويختمه مع تمام رمضان توفي بفاس عام ١١٥١هـ ١٧٣٨ر.

٤٠. والشيخ العالم السيد قاسم القادري

قال درنيقة نقلاً عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: كان حياً ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ ر من سكان مصر، ومن آثاره: إتحاف أهل الدراية بما في الأسانيد والرواية.

٤١. ومنهم الشيخ السيد محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عطاء الله الكيلاني، المالكي القادري

قال الدكتور درنيقة نقلاً عن هدية العارفين لإسماعيل البغدادي ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: المعروف بالمشيشي، تفقه على المذهب المالكي، وجمع بين التصوف على طريقة أجداده الكيلانية وبين النظم، ومن آثاره:

١) مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني

٢) منظومة رائية من البحر الوافر

توفي عام ١٣١٠هـ ١٨٩٢ر ودفن قرب تونس رحمه الله تعالى.

٤٢. والشيخ السيد محمد الكيلاني بن ابراهيم الشريف، القادري

قال درنيقة نقلاً عن رسائل ابن عزوز: "كان حياً عام ١٣٠٩هـ ١٨٩١ر، كان والده شيخ الطريقة القادرية في مدينة نفطة التونسية، ولما توفي هذا الوالد تولى الشيخ محمد مشيخة الطريقة، واشتهر بالنظم، ومن غرر قصائده تلك التي امتدح بها الشيخ محمد المكي بن عزوز لما قام الأخير بتأليف رسالته(السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني) ومما جاء فيها:

يـــا فارســـاً وَبكَفِـــهِ البتـــار ... ذَلَّ الحســودُ بـــه وَعَـــزَّ الجَـــارُ

جناتُ عدْنٍ تحت ظل سُيُوف من ... قـاموا لِنُصْـرَةِ ذِي الجَـلالِ وغَـارُوا

غــارُوا أغــارُوا مخلصــين فأوْمَــأت ... لهــم الأعــادي بالخضُــوع وخَــارُوا

وبِكُــل قــرنٍ يبعــث الرحمــٰن مــن ... يَعلُـــو بـــه للهـــاشميِّ منـــارُ

فلمَّــا جــدَّ المكــيُّ قــامَ مُجــدداً ... في قرنِنـــا والشـــاهِدُ الآثـــارُ

وردتْ غيــوم مــن حسُــودٍ خــائنٍ ... فجلَّـى ظـلام الشـكِّ منهـا نهـارُ

مــولاي عبــد القــادر البــدر الــذي ... مَـــدَّتْ لـــه أعناقَهـــا الأخيـــارُ

قــام الضَّــلولُ لخذلِــهِ فَــأَبَى الــذي ... رفـعَ السَّـما أنْ تُخْسَـفَ الأقمـارُ

وأَذَلَّـــهُ بإمامنـــا المكـــيّ مـــن ... ذُلَّـــتْ لجِـــدَّةِ غَضْـــبِهِ الأخطـــارُ

فأَبـــان مِنْهـــاَجَ السَّـــدَادِ بآيـــةٍ ... بَطُلَـتْ لقـرْعِ عُصَـاتِها الأسْـحَارُ

لا زِلْــتَ كَهْفــاً للشــريعة حامِيــاً ... نـــارَتْ بنـــور بُـــدُورِكَ الأقمـــارُ

النــاس محتــاجون رِفْــدَكَ مِثــلَ مــا ... تحتاجـــهُ الأفكـــارُ والأسْـــطَارُ

فمـــتى اســـترابُوا أوْ عَـــرَتْهُم شـــدةُ ... أو ســـامَهُم بيَـــدِ الـــرَّدَى غَـــدَّارُ

نـــادَاكُمُ مـــن يَسْـــتجيرُ مُؤَرِّخـــاً ... يـــا فارِســـاً وبكفِّـــهِ بَتَّـــارُ

قلت:وله غير هذه من القصائد التي يمدح بها الشيخ محمد بن عزوز المكي الحسني نسباً التونسي الأصل القادري الشاذلي طريقة، وله قصائد أيضاً في مدح الرجالات القادرية، قال: وتجدرُ الإشارة إلى أن للشيخ محمد عدة إخوة ساروا على طريقته واقتدوا به.

٤٣. والشيخ السيد محمد بن إبراهيم الكيلاني القادري

قال درنيقة نقلاً عن رسائل ابن عزوز أيضاً:"كان حياً عام ١٣٠٨هـ ١٨٩٠ر، وهو الذي حَضَّ الشيخ ابن عزوز على تأليف رسالة في الزود عن الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، من شعره:

فسارعْ لِجَنّاتِ النعيمِ فمهرُهَا ... وربِّكَ ذبٌّ عن كرامٍ أَئمَةِ

فقابِلْ رُدودَاتِ الحسودِ بقولةٍ ... مِنَ الحقِّ تنفِي كلَّ لَبْسٍ وفِرْيَةِ

وقلْ إنَّ عرضي والأحِبَّةِ كُلِّهم ... وِقَاءٌ لِعِرضِ القطبِ تاجِ

تكنْ وحياةِ الشيخِ أقربَ خادمِ ... الأجِلَّةِ

فَدَيتك لا تزهَدْ فما زُهدُهُم هدىً ... لديْهِ وتُكْسَى العِزَّ في كُلِّ وُجْهَةِ

فلو كان ردٌّ بالمِمَاتِ لَمُتُّهَا ... وَدَاوِ كلُومَ الدين واقبلْ وَصِيَّتي

وحيثُ عَدِمْنَا مَنْ يُدَافع مثلَكم ... ولكنْ بإنصافٍ وَجُودةِ فِكْرَةِ

خُصِّصْتَ بِفَضلٍ فاحمَدِ الله إنه ... طلبتم بفرضٍ لا بنَفْلٍ وسُنَّةِ

ملاحظة: بعد أن اطلعت على كتاب السيف الرباني لابن عزوز رأيت أنه أوَّل كلاماً منسوباً للإمام الجيلاني لا يقبل التأويل وكان من الأجدر أن ينفي هذا الكلام عن الجيلاني لأنه لا يصدر مثله عن طفلٍ مميزٍ مسلم فكيف يصدر عن إمامٍ هو مرجع للشريعة والحقيقة، (مثل القول بأنه سأل الله هل يأكل وهل يشرب وهل له مكان) وغير ذلك من السخافات، وقد بينت في مقدمة الكتاب أن الإمام الجيلاني بريئ مما نسب إليه من السخافات والتي بعضها تؤدي بصاحبها إلى الكفر كالتي مرَّت.

٤٤. والشيخ محمد بن أبي السعود بن عبد القادر الكيلاني القادري

قال درنيقة نقلاً عن معجم المؤلفين لكحالة: "كان حياً عام ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ر، اشتهر بالتأريخ، ومن آثاره: الجواهر النقية في السيرة النبوية.

٤٥. والشيخ السيد محمد الأمين بن أحمد الكيلاني، القادري

قال درنيقة نقلاً عن معجم المؤلفين لكحالة وإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي: " كان حياً بتونس عام ١٢٦٣هـ ١٨٤٧ر، من آثاره: رياض البساتين في أخبار الشيخ عبد القادر محيي الدين (الكيلاني)، أوله: بحمدكَ يا من ميَزَ السعداءِ من الأشقياء، واصطفى من شاء من خلقه وجعلهُ من الأولياء" وهو ثمانية أبواب، مطبوع بتونس.

٤٦. والشيخ محمد تقي الدين الملقب بأبي شعر القادري الحنبلي الدمشقي

قال النبهاني في جامع كرامات الأولياء: أحد أكابر الأولياء وأفراد الأصفياء من أهل القرن الثالث عشر من أوائله وقد أجمع أهل الشام على ولايته والاعتقاد التام فيه، ومن المجرب عندهم أن من زار قبره بإخلاص نية لقضاء حاجة من الحاجات قضيت بإذن الله تعالى، ومن كراماته التي تواتر النقل بها عندهم واشتهرت واستفاض خبرها في اشام بين العلماء والعوام: أنه أخبر بالفتنة العظيمة التي وقعت بين النصارى والمسلمين في الشام، وحضر بسببها الوزير الأعظم فؤاد باشا، فقتل كثيراً من الناس ونفي كثيراً... إلى أن قال: وقد اطلعت له على كتاب ألفه في الصلاة على النبي ﷺ وهو مجلدان كبيران، وله فيه أساليب عجيبة في غاية الغرابة... قلت وله ذرية معروفة في دمشق تعرف بآل أبي شعر[١].

٤٧. والشيخ السيد محمد بن صالح الكيلاني الشافعي القادري

قال درنيقة نقلاً عن الكواكب السائرة للغزي وشذرات الذهب لإبن العماد الحنبلي: " كان خطيب المدينة المنورة، قدم دمشق وحلب واجتمع بعلمائهما، وشهدوا له بالفضل والتقدم، توفي بالمدينة المنورة عام ٩٥٨ هـ ١٥٥١ر وله شِعْرٌ رقيق.

٤٨. الشيخ السيد محمد بن عبد القادر بن محمد حجازي، والأصل كيلاني، القادري

قال درنيقة نقلاً عن تاريخ علماء دمشق للحافظ وأباظة: " ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولقب بالحجازي لأن أحد أجداده الشيخ أمين الكيلاني قدم من الحجاز واستوطن دمشق، ولد الشيخ محمد عام ١٢٨٧هـ ١٨٧٠ر ولما نشأ تلقى العلم والذكر عن كبار علماء عصره، وكانت له زاوية صارت فيما بعد مركزاً لتجمعات المجاهدين خلال الثورة السورية التي شارك فيها وبفعالية توفي رحمه الله بدمشق عام ١٣٦٠هـ ١٩٤١ر.

٤٩. والشيخ السيد محمد بن عبد الله الكيلاني القادري المعروف بمُلا صفي، جاور بالحرمين الشريفين، توفي عام ١٠١٠هـ ١٦٠١ر، من تصانيفه:

---

[١] بعد التحقق يعود نسبهم إلى الإمام الحسين رضي الله عنه، ولكن بسبب أن بعض أجدادهم اشتهر بالطريقة القادرية فظن البعض أن نسبهم قادري، ومع ذلك ما زال آل أبي شعر يعتنون بالطريقة القادرية كما الرفاعية والشاذلية ...

١) شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض

٢) تذكرة الشهوات في تبصرة اللذات، بالفارسية نقله درنيقة عن هدية العارفين للبغدادي ومعجم المؤلفين لكحالة.

٥٠. والشيخ محمد علي بن محمد الكيلاني، القادري الحموي

ولد بحماه، وفيها تلقى علومه، ثم تولى نقابة أشرافها ومنصب الإفتاء فيها، وجمع بين الفقه والتصوف والأدب شعراً ونثراً، توفي بحماه عام ١٢٧٢ هـ ١٨٦٥ر، ومن أثاره ديوان شعر، (نقله درنيقة عن معجم المؤلفين لكحالة).

٥١. والشيخ السيد محمد طه غزال

قال الشطي في أعيان دمشق: ترجمه صديقنا الفاضل عمر أفندي الطيبي في المشيخة الطيبية قال ما خلاصته: هو محمد بن عبد الرحمٰن طه القادري الدمشقي المعروف بالشيخ غزال، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة، الصوفي الزاهد الناسك العابد، ولي الله صاحب الكرامات ولد بدمشق في حدود سنة ١٢٢٠ هـ، ونشأ في حجر والده على العفة والصيانة، وأخذ عنه علم الأوفاق وغيره، ثم بعد وفاة والده المذكور قام مقامه على سجادة الإرشاد القادرية،...

ثم ذكر الشطي له عدة كرامات أذكر منها: قال: ما نقله ولده الشيخ عبد الغفور قال:كان أخي الأكبر الشيخ أحمد في حداثة سنه محباً للصيد، فنهاه والده عن ذلك فلم ينتهِ، وخرج يوماً إلى الصيد فأتى بستاناً من أرض العنابة، فوجد طائرين على بيت، فلم يزل يدنو منهما حتى صار بينه وبينهما نحو ذراعين ولم ينفرا منه، فرمى عليهما ففي الحال ذهبت عيناه، فأخذ الآلة بيمينه وجعل يمشي على يديه ورجليه، ثم تفقده والده فأخبروه بأنه خرج إلى الصيد، فذهب نحو الأرض المذكورة فناداه فأجابه، فسأله ما بالك فأخبره بحاله، فأخذ بيده وسأله المعاهدة على أن لا يعود إلى الصيد، وله أن يرد الله عليه عينيه، فعاهده على ذلك فمسح على عينيه فعادتا كما كانتا،... قال: وبالجملة فقد كان المترجم من عباد الله الصالحين مشهوراً بالولاية عند الخاص والعام، وكانت وفاته قدس سره سنة ١٢٨١ هـ، ودفن في مقبرة الشيخ أرسلان المقابلة لمقامه، وهذه المقبرة للرافضة ليس فيها من أهل السنة غير المترجم.

وبنو (طه) في دمشق قادات مشهورون بالصلاح، وأما شهرة المترجم بالشيخ غزال فهو لقب غلب عليه لم يعلم السبب فيه، وقد خلفه على سجادة القادرية ولده الشيخ أحمد المذكور المتوفى سنة ١٣١٥هـ تقريباً، ثم تولاها من بعده أخوه الشيخ عبد الغفور المتقدم ذكره، وأعقب المترجم من زوجته ابنتين لم تزالا على قيد الحياة حتى الآن سنة ١٣٢٤، رحمه الله تعالى.

٥٢. ومنهم الشيخ العلامة السيد محمد فتحا بن قاسم بن محمد الفاسي المغربي القادري نسبا وطريقة

ولد رحمه الله عام ١٢٥٩هـ ١٨٤٣ر، وكان بارعاً في الفقه والأصول وعلم الكلام والعربية، ترك آثاراً منها:

١) الحاشية الكبرى على شرح ابن كيران على توحيد المرشد المعين في جزأين
٢) حاشية على شرح الشيخ جسوس على الشمائل
٣) حاشية على شرح الأزهري على البردة
٤) حاشية على الأربعين النووية
٥) فهرسة لشيوخه
٦) إتحاف أهل الدراية، وهو عبارة عن أسانيده
٧) رفع العتاب والملام عمن قال العمل بالحديث الضعيف حرام

وكانت وفاته بفاس عام ١٣٣١هـ ١٩١٣ر، وصُلي عليه بجامع القرويين، ودفن بروضة الصقليين.(نقله درنيقة عن معجم المؤلفين لكحالة، والأعلام للزركلي)

٥٣. والشيخ السيد محمد القادري نسبا وطريقة

كان حياً عام ٨١٨هـ ١٤١٥ر في مدينة سبته المغربية، وله كتاب: نشر المثاني، (نقله درنيقة عن تاريخ المغرب والأندلس لأحمد العمادي)

٥٤. ومنهم العالم الشيخ السيد محمد فريز بن محمد هاشم بن محمد علي الكيلاني شيخ الطريقة الكيلانية القادرية، والنقشبندية

يتصل نسب والدته بالقطب الكبير قضيب البان محمد الموصلي الحسني النسب، ولد في حماه سنة ١٣٠٤هـ ١٨٨٦ر لأب كان يعمل في الزراعة، قرأ القرآن وهو في السابعة من عمره وختمه على الشيخ مصطفى المكاوي، رحل إلى زحلة فدرس سنة واحدة في المدرسة الشرقية، ومنها انتقل إلى دمشق، فدخل مكتب عنبر ودرس فيه سنتين، كان في أثنائهما يحضر دروس الشيخ أمين سويد، والشيخ عبد القادر المبارك، والشيخ بدر الدين الحسني في دار الحديث وفي بيته بالنوفرة، بعد ذلك عاد إلى حماه، فقرأ على الشيخ علي الدلال المتوفى سنة ١٣٤٠هـ كتباً عديدة منها: اللباب، ومراقي الفلاح، وقمر الأقمار شرح المنار، والشمسية، والسلم لإيساغوجي، وشرح الكفراوي على الأجرومية، وجوهرة التوحيد، وشرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني، والحكم العطائية، والرسالة القشيرية.

أخذ الطريقة القادرية عن ابن عمه الشيخ عبد الجبار الكيلاني، واتصل بالشيخ محمد الحامد، فأخذ عليه الطريقة النقشبندية من طريق الأروادي عن مولانا الشيخ خالد النقشبندي، ثم اجتمع بالشيخ محمد الغلاييني القره كوي الكردي فقرأ عليه عدة كتب في التصوف.

أقرأ طلابه بالزاوية القادرية بحماه كتباً عديدة، منها: طبقات الأولياء، واليواقيت والجواهر للشعراني، وشرح الطريقة المحمدية للنابلسي، وصحيح البخاري، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، وصحيح مسلم، ورياض الصالحين، وشرح الحكم، ومواقع النجوم.

عاد إلى دمشق، وصحب الشيخ أمين الزملكا، والشيخ أمين الخربوطلي، والشيخ توفيق الأيوبي، والشيخ أبو النصر خلف (الحسيني) والشيخ شريف اليعقوبي (الحسني) والشيخ محمد العربي العزوزي (الحسني) والشيخ مكي الكتاني (الحسني) والشيخ عطا الله الكسم، والشيخ عبد المحسن الأسطواني، والشيخ ابراهيم الغلاييني (الكيلاني الحسني) والشيخ رجب الطائي، والشيخ أحمد التلمساني، والشيخ السيد محمد الهاشمي، وغيرهم كثير، وحضر دروس الشيخ السيد محمد بدر الدين الحسني في البخاري، والزرقاني على المواهب، كما حج مرتين الأولى سنة ١٣٤٦هـ تقريباً والثانية سنة ١٣٧٦هـ، كما ألف كتباً عديدة منها:

١) مختصر رياض الصالحين

٢) مختصر فتح الباري

٣) النقد والتزييف (رد فيه على الشيخ سعيد الجابي الذي انتقد الطريقة النقشبندية)

٤) الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف (في الطريقة النقشبندية) وله كتب غيرها، بدأ في تأليفها ولم يتمها، توفي رحمه الله سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ر ودفن بحماه، ويطلق على ذريته (آل فريز) الكيلاني، (عن كتاب تاريخ علماء دمشق، لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة).

٥٥. والعلامة الشيخ محمد القادري نسباً وطريقة الدهلوي

قال درنيقة: تولى مركز الإفتاء في دهلي، وبرز في الفقه والتفسير، وله: تبجيل التنْزيل في تفسير القرآن الجليل، توفي رحمه الله عام ١٣٢٢هـ ١٩٠٤ر،(عن إيضاح المكنون، وهدية العارفين للبغدادي، ومعجم المؤلفين لكحالة).

٥٦. والشيخ السيد محمد الكيلاني، القادري

قال درنيقة: كان الشيخ محمد يلقب بشيخ شيوخ الجزيرة، حج مرتين، وروى الحديث عن الفخر علي بدمشق، كما امتاز بالعلم والصلاح والوقار، توفي سنة ٧٣٩هـ ١٣٣٨ر.(نقلاً عن مرآة الجنان،للإمام اليافعي)

٥٧. والشيخ السيد محمد الكيلاني، القادري

قال درنيقة: كان حياً قبل عام ١٣٠٢هـ ١٨٨٥ر، اشتهر بالوعظ والإرشاد، وله: الدرر السنية في المواعظ الكيلانية، طبعت بالقسطنطينية عام ١٣٠٢هـ ١٨٨٥ر (نقلاً عن معجم المؤلفين لكحالة).

٥٨. والشيخ السيد محمد بن محمد القادري، شيخ القادرية بمصر

توفي عام ١٠٦٩هـ ١٦٥٨ر بالقاهرة، ومن أشهر تلاميذه الشيخ عبد الله أعياش صاحب الفهرسة والمنظومة،(نقله درنيقة عن التقاط الدرر لمحمد القادري.)

٥٩. والشيخ السيد محمد نوري بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني الحموي القادري

ولد بحماه عام ١٢٥٢هـ ١٨٣٦ر، وفيها نشأ وتعلم، فبرع في التأريخ والأدب والشعر، رحل إلى القسطنطينية وعين في دائرة الرسومات، ثم عاد إلى حماه حيث تولى نقابة

الأشراف وعضوية مجلس الدعاوى، وعضوية مجلس الإدارة، ورئاسة البلدية والأحوال المدنية ورئاسة محكمة الجزاء، وله مؤلفات منها:

١) ذيل على تاريخ أبي الفداء سماه (المعتبر على تكملة المختصر من أخبار البشر)

٢) الكواكب الدرية في السلسلة المحمدية وأهل الجيلانية

٣) أحسن ما قنيت

٤) نديمة الخاطر

٥) ديوان شعر

توفي رحمه الله عام ١٣٢٦هـ ١٩٠٨ر ودفن في مقبرة الأسرة الكيلانية (نقله درنيقة عن معجم المؤلفين لكحال).

٦٠. والشيخ السيد محمد بن يوسف الكيلاني القادري

قال درنيقة نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي: كان من أكابر العلماء مع ميل للتصوف وموافقة لأهل السنة والجماعة، من شيوخه الظهير التزمنتي، تولى مشيخة القبة التي بالصحراء، وذلك بعد تمنع وتورع، كان شافعي المذهب، توفي عام ٨٩٧هـ ١٤٩١ر في نحو الثمانين.

٦١. والشيخ السيد محمد بن ابراهيم الغلاييني بن محمد خير بن ابراهيم الكيلاني، الدمشقي الشافعي القادري

ففي تاريخ علماء دمشق الجزء الثالث، قال: " ولد بدمشق سنة ١٣٣٠هـ ١٩١٠ر في حي السمانة بالقرب من العقيبة، ونشأ في حجر والده العلامة المرشد(مرت ترجمته) فأحسن تربيته ووجهه في طلب العلم قرأ على والده حتى أصبح فقيها شافعياً، وفي تلك الفترة كان يقرأ أيضاً على الشيخ توفيق الأيوبي الفقه والحديث، ووجهه والده إلى التعرف إلى المذهب الحنفي أيضاً، إشتغل بالتعليم مبكراً في مدرسة الشيخ محمد التلمساني، ثم عين بإشارة من الشيخ محمد بدر الدين الحسني إماماً وخطيباً في بلدة الزرقاء بالأردن واستمر بها ما يقارب سبع سنوات، ثم بعدها في جامع قطنا الكبير برغبةٍ من والده، وعين مدرساً عاماً بوظيفة الفتوى، فكان يقوم بالتدريس في مساجد دمشق وقطنا، له إجازات من والده ومن

الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ توفيق الأيوبي، وأتقن فن الحديث وعلومه، اتصف المترجم بالزهد والبعد عن المظاهر، وآثر العزلة وعدم الاختلاط بالناس، كما عرف بالجود والكرم والهدوء والسكينة، توفي صباح الخميس ٢٣ رجب ١٤١١هـ ٧ شباط ١٩٩١ر بمدينة جدة عند أولاده، ودفن بمقبرة المعلى بمكة المكرمة، وأولاده السادة: محمد خير، وعبد الرحمن، وعمر، وعثمان، وعلي، وحسن، وحسين.

وللمترجم شقيق هو الشيخ سعد الدين الغلاييني.

٦٢. ومنهم الشيخ السيد محمود بن حسين الأفضلي الحازقي الكيلاني الشهير بالصادفي القادري

قال درنيقة: كان مجاوراً بالمدينة المنورة، توفي بها نحو عام ٩٧٠ هـ ١٥٦٢ر، اشتهر بالتفسير وبالفقه الشافعي، ومن مؤلفاته:

١) الرسالة القدسية في الحكمة

٢) شرح الكافية لابن الحاجب

٣) حاشية على تفسير البيضاوي سماها هدية الراوي، فرغ من تأليفها عام ٩٥٣هـ ١٥٢٨ر، وهي من سورة الأعراف إلى آخر القرآن، (نقله عن الأعلام للزركلي)

٦٣. والشيخ السيد محمود الكيلاني من ذرية السيد عبد العزيز، نقيب الأشراف ببغداد، القادري شيخ القادرية فيها

كانت له مراسلات مع مولانا الشيخ خالد ذي الجناحين النقشبندي قدس سره المتوفى سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٦ر، لا سيما تلك الرسالة التي دحض فيها دعوى المفترين والمنكرين على مولانا خالد،والتي تتضمن:" الشيخ خالد، موصوف بالعلم والتقوى، وهو فارس

ميدان التدريس والفتوى، صاحب العقيدة الخالصة الأشعرية، والطريقة النقشبندية البكرية، والمتمسك بالكتاب والسنة...(نقله درنيقة عن بغية الواجد لأسعد صاحب)

٦٤. والشيخ السيد نعمة الله بن عبد الله بن محيي الدين بن عبد الرحمٰن بن عبد الله ابن علي بن أحمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن محمد بن الإمام الجيلاني، القادري

ولد بالهند، ثم رحل إلى مكة المكرمة سنة ١٠١٤ هـ وجاور بها حتى وفاته عام ١٠٤٦ هـ ١٦٥٣ر وقد جاوز الرابعة والسبعين، من شيوخه **الشيخ** السيد أبو بكر بن سالم باعلوي، في بداية أمره أقبل على الرياضات والمجاهدات مع خلوة وجوع وسهر، ثم خرج على الناس يتكلم في العلوم والمعارف، واشتهر بقضاء حوائج الناس عند شرفاء مكة وأمرائِها.

قال النبهاني في جامع كرامات الأولياء :"كان من أكابر أولياء العارفين المجمع على ولايتهم وقال: وتواترت كراماته التي لا يمكن حصرها، وكان ابتدأ العلامة إبراهيم الدهان في جمع شيء من كراماته في مؤلف ولم يعلم بذلك أحداً، فأتى إليه وهو في بيته وقال له: يا شيخ إبراهيم هل يمكن عدّ المطر للبشر؟ فقال: لا، فقال: كراماتنا كذلك، فعند ذلك صرف نفسه عن جمع التأليف، وهذه من كراماته، ثم ذكر النبهاني له عدة كرامات ،قدس سره العزيز

٦٥. والشيخ السيد يعقوب بن عبد القادر الكيلاني القادري

قال المؤلف درنيقة نقلاً عن سلك الدرر للمرادي: أصله من حماه نشأ بدمشق، كان في أول أمره متردداً بين الاعتكاف في الزوايا وبين اللذات والأخِلاء والندماء، وأخيراً ارتحل إلى القسطنطينية وسلك الطريقة القادرية، طريقة أجداده، توفي مقتولاً على يد قطاع الطرق قرب المعرة عام ١١٨٥هـ ١٧٧١ر ودفن خارج المعرة، وكان الشيخ يعقوب ينظم الشعر الجيد، فمن شعره:

رَبْعَ الأحبةِ بي إليكَ تشوُقُ ... قد كدْتُ منهُ صبابةٌ أَتَمَزَّقُ

وإذا ذكرتُكَ فاض مني عَبْرَةً ... لولا زفيري كنتُ فيها أغرقُ

أرسلْ فديْتُكَ مَعَ نُسيْماتِ الصَّبَا ... خبراً عنِ الثاوينَ عندَكَ يَصْدُقُ

فأنا لِبُرْءِ نسيمِهَا مُتَعَطِشُ ... ولعَرْفِهَا الزاكي بهم أتنشقُ

فنسيمُهَا يزكو بِمُرِّ ذُيُولِهَا ... في روضةِ الغُصْنِ الذي هو يَعْبَقُ

حيثُ الأزاهرُ كَلَّلت تِيجَانَهَا ... دُرر النَّدَىَ فَغَدَتْ لها تَتَفَتَّقُ

من العائلات والعشائر القادرية

بالإضافة لما مرَّ معنا من أسماء بعض الأسر القادرية، فإنه لم يزل هناك عائلات كثيرة تنتسب للإمام الجيلاني ﷺ.

منها ما ذكره الشيخ يونس السامرائي في كتابه نقلاً عن كتاب (تاريخ العراق بين احتلالين) للمؤلف عباس العزاوي:

١. عشيرة البو جمعة: في قضاء الدور قرب سامراء وهم من ذرية السيد عيسى بن الإمام الجيلاني، (ويتفرع منها عدة عائلات بأسماء مختلفة).

٢. عشيرة الحداحدة: في قضاء سامراء وهم من ذرية السيد عبد الرزاق بن الإمام الجيلاني، (ويتفرع منها عائلات بأسماء مختلفة).

٣. آل الشيخ عيدان في قرية السادة في لواء ديالي من ذرية السيد عبد الرزاق.

٤. عشيرة الحياليين: في اسميكة . والعبايجى . وأراضي الشيخ جميل . وفي قرية (أبي كرمة . في لواء ديالي . وفي ناحية راوة التابعة لقضاء عانة، ويتفرع منها فروع كثيرة بأسماء مختلفة) وهم من ذرية السيد عبد العزيز بن الإمام الجيلاني.

ومن العشائر القادرية أيضاً:

٥. عشيرة حمد البكر ـ من أصل الحيالي.

٦. البو حسن البكر ـ الحيالي.

٧. البو غنيمة ـ الحيالي.

٨. البو جاسم الملقبين (المناترة ـ الحيالي).

٩. البو غنام ـ الحيالي.

١٠. المطالكة ـ الحيالي.

١١. العشارات.

١٢. البو صفو: في سامراء منهم الدكتور ماجد أحمد السامرائي.

١٣. الأغوات في محلة باب البيض بالموصل منهم آل الشيخ جادر، كما ذكر ذلك الأستاذ محفوظ محمد عمر العباسي.

١٤. قال: وآل الألوسي في تكريت (العراق).

١٥. وآل القاضي في تكريت أيضاً.

١٦. قال: والبو حاج أمين: في الدور قرب سامراء.

١٧. البو جمالة في الدور وتكريت.

١٨. البو أميل (أو البو مال الله) في سامراء. إ ـ هـ.

١٩. قلت وفي الأردن عدة عشائر من نسب الإمام الجيلاني ورد أسماء بعضها مثل آل النوباني وآل الزعبي.

ومن تلك العشائر أيضاً (آل المومَني) في إربد وعجلون وغيرها، كما أخبرني بذلك الصديق الشيخ ناصر مرعوش، كما بلغني أيضاً أن هناك (في الأردن) جماعة من عشيرتنا، كذلك في دمشق ولم أتأكد بعد.

٢٠. ومن العائلات الكيلانية أيضاً (آل الدباغ) الجيلاني في حمص، يعرف منهم الشيخ السيد عثمان الدباغ الجيلاني رحمه الله تعالى وهو أحد خلفاء الشيخ الكبير محمد سليم خلف (الحسيني) النقشبندي، وشقيقه الشيخ حسنو الدباغ. دفين حمص أيضاً.

ومنهم: الشيخ محمد بن السيد عثمان المذكور قدم طرابلس واستوطنها حتى وفاته بها، ودفن في الجبانة المجاورة لجامع طينال، كان أحد مشايخ الطريقة القادرية، كما أخذ الطريقة الرفاعية من الشيخ السيد أحمد الصيادي الرفاعي المدفون في نفس الجبانة، ومن مشايخ السيد محمد أديب الدباغ المذكور والمكنى بأبي أمين. العلامة محدث الديار الشامية سيدي الشيخ محمد بدر الدين الحسني الدمشقي، والشيخ عبد القادر النكدلي. القادري. دفين حمص.

٢١. ومن العائلات القادرية (آل شامية) يوجد منهم جماعة في سوريا ولبنان.

٢٢. وآل القادري في مدينة صيدا الواقعة في الجنوب اللبناني وعلى كل فإن كنية (القادري) لها انتشار واسع في العديد من الدول العربية والأعجمية.

٢٣. وآل (دبس وزيت وآل الحافظ) في مدينة دمشق يعرف منهم الشيخ السيد عبد الرحيم ابن عبد الله بن عبد القادر بن عبد الوهاب دبس وزيت، ترجمه المؤلفان محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة في كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، قالا يعود نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، ووصفاه: بأنه قارئ حافظ متقن... وذكرا عدداً من مشايخه، وعدداً من تلاميذه، وكان على الطريقة الشاذلية والقادرية، وأنه حج سبعاً وأربعين مرة رحمه الله تعالى؛ ولد المترجم في حي العقيبة بدمشق سنة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م وتوفي سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م ودفن في مقبرة الدحداح قريباً من قبر شيخه الشيخ أحمد الحلواني الكبير.

وولده الشيخ عبد الوهاب، ترجماه في نفس الكتاب في الجزء الثاني منه، فوصفاه: بفقيه الحنفية، الحافظ المقرئ المتقن، الورع الزاهد العالم الرباني الصوفي المتخلق بأخلاق السلف الصالح... الملقب بأبي حنيفة الصغير، كما برع في الفقه الشافعي وعلوم أخرى، كما أخذ عدة طرق منها الطريقة النقشبندية عن الشيخ عيسى الكردي، وكان يحرص أن يحج في كل عام ويزور النبي ﷺ، وبقي على ذلك إلى ما قبل وفاته بثلاث سنوات، وكان محبوباً، على قدر من الهيبة والوقار لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر... وذكرا

عدداً من مشايخه الأجلاء كالمحدث الشيخ بدر الدين الحسني، ووالده الشيخ عبد الرحيم، والشيخ محمود ياسين، والشيخ أمين سويد، والسيد محمود العطار... وغيرهم.

قالا: ولقبت أسرته (بـ الحافظ) لأن كثيراً من أفرادها كانوا من حفظة القرآن الكريم، ولد رحمه الله تعالى سنة ١٣١١هـ ١٨٩٢م وتوفي سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م يوم الأربعاء ١٠ رمضان، وخرج في جنازته عدد ضخم من أهالي دمشق والمحافظات السورية، وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بمقبرة الدحداح، وقد رثاه العديد من العلماء بالقصائد الشعرية كما أثنى عليه العلماء في حياته وبعد وفاته. راجع ترجمته في الجزء الثاني من الكتاب صفحة ٨٢٩.

٢٤. وآل (الإسكندراني) في دمشق يعرف منهم الشيخ السيد عبد القادر الاسكندراني والأصل الكيلاني، ففي كتاب تاريخ علماء دمشق الجزء الثاني قال: ولد بالإسكندرية ونشأ في دمشق ودرَّس في الجامع الأموي، ومن مشايخه السيد بكري العطار والشيخ السيد محمد الخاني والشيخ عبد الكريم الأفغاني والشيخ محمد عطا الكسم.

وصف رحمه الله بالفقيه العالم الأديب، ومن تلاميذه الذين اشتهروا الشيخ السيد جميل الخاني، والشيخ محمد سعيد البرهاني،والسيد عبد الوهاب دبس وزيت.

توفي الشيخ عبد القادر الإسكندراني بن السيد محمد سليم الكيلاني سنة ١٣٦٢هـ ١٩٤٣ر بدمشق تاركاً عدة رسائل منها:

١. مورد الصفا في شمائل المصطفى ﷺ.
٢. إيقاظ الوسنان في الرد على البروتستانت المنكري إعجاز القرآن.
٣. الترصيع في علم المعاني والبيان والبديع.
٤. الجوهر المعروض في علم العروض.
٥. المباحث الكلامية في أصول العقائد الإسلامية.
٦. النفحة الزكية في الرد على الوهابية.
٧. الحجة المرضية في إثبات الواسطة التي نفتها الوهابية.
٨. معراج الوصول في مبادئ علم الأصول.
٩. الجواهر المختارة في المجاز والاستعارة.

١٠. صفوة الخطاب في الرد على أعداء الحجاب... رحمه الله.

٢٥. ومن العائلات الكيلانية في الرقة من الدولة السورية آل (الحنظل) من ذرية السيد عبد العزيز.

٢٦. وآل (السدلان) من ذرية السيد عبد العزيز.

٢٧. وآل (الهوادي) من ذرية السيد عبد العزيز.

٢٨. وآل (العزيزي) في حلب . وآخس . بين حلب وإدلب، من ذرية السيد عبد العزيز.

٢٩. وآل (الراجح) في حلب، يعرف منهم الشيخ ياسين راجح دفين وادي عسكر بحلب، والشيخ عبد القادر مسكينة الراجح دفين معرة النعمان.

٣٠. آل الجنيدات: يعود نسبهم إلى السيد جنيد بن مرعي، بن حسين أبي ذر دفين الرقة ابن السيد علي بن سليمان راعي الشاكرية دفين الرقة ابن السيد مصطفى بن زين الدين بن محمد درويش بن حسام الدين بن ولي الدين بن محمد شمس الدين ابن السيد علي نور الدين، أول من دخل بني زعب الخ...وهي أسرة تقطن في نواحي الرقة

٣١. آل الشرابية (البو محمد) جدهم الأعلى هو السيد محمد المشرف بن سليمان راعي الشاكرية.

٣٢. آل عبد الرزاق : نسبة إلى السيد عبد الرزاق بن الإمام الجيلاني ﵁.

٣٣. آل عيسى : نسبة إلى السيد عيسى ابن الإمام الجيلاني ﵁.

٣٤. آل الفقيات : وهم عشيرة كبيرة من حامل قرية كفر آييل من ناحية الكورة من أعمال فلسطين، ويعود نسبهم إلى الإمام الجيلاني ﵁، كما في كتاب تاريخ شرقي الأردن وقبائلها.

٣٥. آل الفرفور : في مدينة دمشق، ظهر فيهم عدد من العلماء ترجم لهم عدد من المؤلفين، منهم الشيخ محمد جميل الشطي في كتابه (الدر المنثور) فذكر منهم السادة الشيخ مفتي الديار الشامية السيد عبد الوهاب الفرفوري، والشيخ شهاب الدين أحمد الفرفوري والد الشيخ عبد الوهاب، والشيخ ولي الدين ابن شهاب الدين احمد الفرفوري، والشيخ ولي الدين محمد الفرفوري، والشيخ محمد، والشيخ عمر، والشيخ عبد الله جمال يوسف الفرفوري، والشيخ عبد

الرحمن الفرفوري، والشيخ ولي الدين محمد أيضاً، والشيخ علاء الدين، والشيخ عماد الدين، والشيخ محمود، والشيخ بدر الدين محمد، والشيح محمد صالح الفرفور، وغيرهم.

وممن ترجم لهم صاحب كتاب (أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري) الدكتور الشيخ محمد عبد اللطيف بن الشيخ محمد صالح الفرفور المذكور أعلاه، وصاحب كتاب (تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر) للدكتور محمد مطيع الحافظ، وغيرهم.

٣٦. آل قرقاش من الحياليين.

٣٧. آل الليات : أسرة تقطن في قرية الليات من ناحية المعراض، كما في تاريخ شرقي الأردن وقبائلها.

٣٨. آل المجذوب : أسرة تقطن البقاع (من الأراضي اللبنانية) وجدهم هو السيد قاضي القضاة أبو صالح المجذوب بن السيد صالح المجذوب المدفون في قرية نيره في البقاع، ابن السيد عبد الوهاب بن الإمام الجيلاني ﷺ.

٣٩. آل المدني : أسرة موطنها كفر زيد في فلسطين، ومنهم جماعة في عمان، وجدهم الأعلى هو السيد المدني ابن السيد عبد الله ابن السيد عيسى الذي يتصل نسبه إلى الإمام الجيلاني ﷺ.

٤٠. آل المرندية : يعود نسبهم إلى السيد وحيد بن محمد بن قاسم بن جنيد بن مرعي بن حسين بن أبي ذر دفين الرقة، ابن السيد علي بن سليمان راعي الشاكرية دفين الرقة، ابن السيد مصطفى الخ...

٤١. آل الملكاوي : يعود نسبهم إلى السيد نور الدين الرومي بن بدر الدين بن تاج الدين بن سيف الدين ابن السيد أبي صالح نصر ابن السيد عبد الرزاق ابن الإمام الجيلاني ﷺ، ويتفرع منهم:

٤٢. آل محمدية : في حيفا.

٤٣. وآل رومية : في العيزرية بجوار القدس، ولهم فروع عديدة في عجلون في قرى ملكا، وجديتا، وجنين الصفا. وحيفا. وفي بعض قرى الناصرة وبيت المقدس، هاجر جدهم المذكور من بغداد

ونزل قرية ملكا، ويقال إن السلطان قانصوه الغوري منحه أراضي الحمة والمخيبة والسطح المجاورة لقرية كفر حازم في قضاء الويه وعقبه هناك، ثمَّ تفرعت منه الفروع المذكورة.

٤٤. ومن العائلات القادرية أيضاً: (آل النحلاوي) وهي أسرة تقطن دمشق منذ زمن طويل وسميت بذلك نسبة إلى قرية نحلة في حماه، وهي في دمشق فرعان: فرع في باب الجابية ويمتد إلى باب سريجة، وفرع في الأقصاب يمتد إلى شارع بغداد، ويوجد منهم جماعة قليلة في بيروت، ويقال إن جد الفريقين واحد يلتقيان في الجدود مع أسرة آل الكيلاني في حماه نقلاً عن كتاب (غرر الشام في تراجم آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم)، للشيخ عبد العزيز الخطيب.

قلت : ونسب هذه العائلة يعود إلى الإمام الحافظ عبد الرزاق ابن الإمام الجيلاني رضي الله عنهما، وممن يعرف منهم اليوم فضيلة الشيخ عماد نحلاوي(البيروتي) وهو من حفظة القرآن الكريم متمكن في العلوم الشرعية وله مؤلفات منها: رسالة في الجهاد، ورسالة في بيان حكم الديمقراطية في الإسلام، وأنها ليست من شرع الإسلام، ورسالة رد فيها على من قال بملكية الفكر وحقوق الطبع... وغيرهم.

٤٥. آل يونس : من الحياليين.

٤٦. آل البو ناصر : من الحياليين.

٤٧. آل جلول في الجزائر، ويقال إن آل جلول في لبنان منهم، ويقال إن في سوريا فرعٌ منهم.

٤٨. آل الدسوقي في دمشق، ذكر ذلك الشيخ عبد الحفيظ الفاسي في كتابه معجم الشيوخ.

٤٩. آل الطوخي في مصر.

٥٠. آل الوتَّار في دمشق وحلب، يعرف منهم الآن الشيخ عامر الوتَّار في دمشق.

هذا ما يسر الله لي جمعه من العائلات القادرية، وإن حصلت على معلومات جديدة فسوف أضيفها إن شاء الله تعالى.

ملاحظة: أذكر بأن بعض كنى العائلات قد تتشابه بسبب ما، ولا يكون بينها صلة نسب فليتنبه لذلك، فقد بين العلماء أن الإنسان إذا انتسب إلى غير آبائه يكون قد اقترف كبيرة من الكبائر للحديث الذي ورد عن النبي ﷺ في النهي عن ذلك.

كما أذكر بأن العائلات القادرية ومشايخهم كثر،فإذا تركت ذكر عائلة ما أو شيخٍ من مشايخ العائلات التي ورد ذكرها في الكتاب فذلك عائدٌ إما لعدم العلم به أو للسهو.

الخاتمة

في بعض الأدعية والأذكار والفوائد

دعاء نصف شعبان

قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت ليلة النصف مِنْ شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها**» [رواه ابن ماجه].

فقد سن لنا نبينا ﷺ قيام ليلة النصف من شعبان، فعلى هذا فإن قيامها ليس بدعة كما قالت الوهابية، وقيامها يحصل بالصلاة والدعاء والذكر، ولم يرد عن النبي ﷺ دعاء مخصوص لهذه الليلة، ولا قراءة سورة يس، وما يفعله بعض الناس من قراءة سورة يس ثلاث مرات والدعاء بعد كل مرة بدعاء مخصوص فهو شيء حسن ولا يخالف أصلاً من أصول السنة المطهرة، ما لم يكن بالدعاء شيء مخالف، لأن هناك بعض الأدعية فيها ما يخالف أصول الدين، كما سمعنا بعضهم يقول بدعائه: (اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروماً أو مطروداً أو مقتراً عليَّ في الرزق فامح اللهم من أم الكتاب شقاوتي... الخ) فإنه لا يجوز الدعاء بمثل هذا لأن ما في علم الله لا يتغير ومشيئة الله لا تتغير، فلا يمحى ما سبق العلم به، فالقضاء المبرم لا يتغير بدعوة أحد، وهذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة، كما انه يعارض أحاديث صحيحة فضلاً عن كونه مخالفاً للأصول.

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله، عن رسول الله ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة» وفي رواية: «قال لي يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد».

وفي رواية، قال ﷺ: «سألت ربي أربعاً فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة، سألته أن لا يُكْفِرَ أمتي جملة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بما أهلك به الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يُظهر عليهم عدواً من غيرهم فيستأصلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها، رواه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبي هريرة. فلو كانت تتغير مشيئة الله لدعوة أحد لتغيرت لحبيبه ﷺ، لأن تغير المشيئة يستلزم الحدوث، فيستحيل التغير على الله وعلى صفاته لأنه الأزلي القديم الخالق جل جلاله.

وإن كان الدعاء يدفع البلاء فإن ذلك بمشيئة الله أي أن الله تعالى يوفق الداعي للدعاء بمشيئته ويرفع عنه البلاء بمشيئته من غير أن تتغير مشيئته، وقد تبين لنا أيضاً أن القضاء إذا كان مبرماً فلا يرد، وفائدة الدعاء في هذا الحال أن الداعي يتقرب به إلى الله وينال ثواب ربه جل جلاله ويرى فائدة دعائه يوم القيامة.

وقد استحب بعض العلماء قيام مثل ليلة النصف من شبعان وليلة القدر فرادى، وقال بعضهم: لا بأس باجتماع الناس بمكان كالمسجد لإحيائها جماعة.

وقد روى العلامة المرشد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني في قلادة الجواهر: «أنه كان يجتمع عند الإمام الرفاعي ﷺ في ليلة النصف من شعبان مائة ألف يكفيهم بإذن الله تعالى من الطعام والشراب والمبيت ويوزع عليهم كسوة من القمصان وغيرها، وكان هذا مِنْ جملة كراماته، ولما بلغ خبر ذلك إلى الإمام ابن الجوزي الحنبلي حضر عنده وشاهد ذلك، فشهد للإمام الرفاعي بالمقام العالي والكرامات الباهرة وانتفع به...

ملاحظة: (الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم هي ليلة القدر وليست ليلة النصف من شعبان، فإن مما لا شك به أن ليلة القدر هي أفضل ليالي السنة).

وقد اخترت من بين هذه الأدعية التي وردت عن العلماء والأولياء هذا الدعاء لبعض العلماء العاملين والأولياء الصالحين وهو:

«اللهُمَّ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، يا حيُّ يا قيوُّمُ يا غفورُ يا توّابُ يا هادي يا فتّاح يا رزّاق يا واسعُ يا معْطي يا مُعين يا باسطُ يا مبدِءُ يا وهَّابُ يا مَتِينُ ويا حافِظُ يا وليُّ يا كَافِي يا حَسِيبُ يا أرحَمَ الرَّاحمينَ يا ذا المنِّ ويا ذا الفَضْلِ ويا ذَا الجَلاَلِ والإكرام ويا ذا الطَّوْلِ والإنعام ويا مَنْ تَمْحُو ما تشاءُ وتُثْبِتُ مَا تشاءُ لِمَنْ تشاءُ ويا مَن عندكَ أُمُّ الكتابِ بحقِ أسمائكَ الحُسنى وآياتِكَ العُظْمى وبحقِّ اسْمِكَ العظيم الأعظم وبالتَجَلّي في لَيْلةِ النِّصْفِ مِنْ شعبان المكرَّم صَلِّ على سيِّدِنا وَمَوْلاَنا وحَبيبنا وشفِيعنا ومَلاذِنَا محمَّدٍ رَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ الأكرم صلاةً كامِلةً دائمةً تكْتُبُنَا بِها عِنْدَكَ في هذه الليْلَةِ المباركةِ مغفورِينَ لَهُمْ مَسْعُودين مُعَمَّرين بالخَيْرِ مَرْزُوقيِنَ مُوَفَقينَ لِلأذكارِ والطاعاتِ والخَيْرَاتِ والحسَنَاتِ ومُستغنينَ بفضلك في الدَّاريْنِ عَمَّنْ سِواكَ وَصَلِّ على سيدنا محمدٍ صلاةً تكتُبُنا بِهَا في هذه الليلةِ مِنَ السُعَدَاءِ والصالحين وتَرْزقنا بها في الدارين إيماناً

كـاملاً وكمـالَ اليقـين بحـقِّ سـيدنا محمـدٍ سـيِّدِ المرسـلين وإمـامِ المتقـين ومحبـوب رَبِّ العـالمين وتكشِفُ بها عَنّا البَليَّاتِ والآفاتِ والعاهاتِ الواردةِ بإرادتكَ هذه السنةَ لتُصيبَ بها مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ إنَّكَ مُجِيبُ الدعَواتِ وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ وَسَلَّم.

دعاء يقال له سر آية الكرسي

للشيخ السيد ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين الشنقيطي الحسني نسبا القادري طريقة، يقرأ هذا الدعاء صباحاً ومساءً ثلاث مرات ومن عجز فليقرأه مرة، أو عند الحاجة، وفيه أسرار لقضاء الحوائج وتفريج الكروب وتيسير الأمور وضرب الأعداء.. وفيه زيادة فائدة وسر ليلة الأربعاء في آخر كلِ شهر قمري، وهذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي خلق العوالمَ ويسَّرَ العلوم، وأجرى الأفلاك وسخَّرَ النجوم، واستوى في علمه المنطوقُ والمفهوم، ويعلمُ الظواهرَ والسرَّ المكتوم، لكلِّ حَيٍّ عندهُ رزقٌ مقسوم وأجل معلوم ليوم محتوم "**اللهُ لا إله إلا هُو الحيُّ القيومُ**" أفنى القرون الماضية قوماً بعدَ قوم، وأبادَ الدهورَ الخاليةَ يوماً بعد يوم، وعدل في أحكامه فلا يلحقُهُ لوم، سبحانهُ "**لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ**" تعبَّدَ البرايا بفرضٍ بعد فرضٍ، وأجزلَ العطايا فأفضلَ في البَسطِ وعدل في القبضِ، سبحانه "**له ما في السمواتِ وما في الأرضِ**" وأسْبَلَ على العصاة كَنَفَ سَتْرِهِ ومَنِّهِ، وسكَّنَ روعات الخائفين منه بأمْنِهِ، ومَنَّ على المؤمنين بلطفهِ ويُمْنِهِ، ويسَّرَ الطاعاتِ لعباده بِحُسْنِ عونِهِ، سبحانه "**مَنْ ذا الذي يشفعُ عِندهُ إلا بإذنه**" خَلَقَ العبادَ ورزقهم وأهل الرشاد بطاعته وفَّقَهُمْ وبمرضاتِهِ أسعَفَهُمْ واجتنباهم، وأهلَ العناد بعذابِهِ خوَّفَهُمْ سبحانه" **يعلمُ مَا بين أيديهمْ وما خلفهُمْ**" خلق ما شاء كما شاء وحكم على ما شاء بما شاء وقدر الأشياء كيف شاء سبحانه "**ولا يُحِيطُونَ بشيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بما شاء**" مكونُ الدارينِ وخالقُهُما، ومُنْشِئُ الثقيلين ومالكهما وربُّ المشرقين وربُّ المغربين وما بينهما، سبحانه "**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمواتِ والأرضَ**

ولا يؤوده حِفْظُهُما" فتبارك ربُنا ذو الإحسان الذي لم يشاركه في القدم الأزلي قديم، أعَدَّ لأوليائه دار النعيمِ وأكرمهُمْ فيها بالنظرِ إلى وجهه الكريم، وأَعدَّ لأعدائه عذابَ الجحيم، يُضِلُّ مَنْ يشاء ويهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم، سبحانه "**وهو العليُّ العظيمُ**" اللهمَّ صلِّ على نبيك وعبدك ورسولك محمد المختار صاحب المعجزات والآثار والدِلالات والأسرار والكراماتِ والأنوار، وصلى الله عليه وعلى آله وأهل بيتهِ الأخيار وأصحابه الأبرار والمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهمَّ أنزل علينا في هذه الساعةِ من خيرك وبركاتك ما أنزلت على أوليائك وخَصَّصْتَ به أحبابك، وأذقنا بَرْدَ عَفْوكَ وحلاوة مغفرتك، وانشر علينا رحمتك التي وسعَتْ كلَّ شيء، وارزقنا مِنكَ قبولاً وتوبة نصوحاً وإجابة ومغفرةً وعافية تعم (وتذكر نفسك ومن شئت من الحاضرين والغائبين) برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم لا تخيبنا مما سألناك، ولا تحرمنا مما رجوناك، واحفظنا في المحيا والممات إنك مجيب الدعوات». ثمَّ تدعو بما شئت.أهـ

وهذه الصلاة المباركة المسمات بالصلاة النارية أو الصلاة الكاملة للقطب الغوث الإمام الرفاعي ﷺ، تقرأ مئة مرة لقضاء الحوائج وتفريج الكروب، وعلى نية أن ترى النبي ﷺ في المنام، وتقرأ أيضاً على نية قضاء الحوائج وضرب الأعداء وغير ذلك (٤٤٤٤ مرة) ولها أعدادُ أخرى وهذه هي:

«اللهمَّ صلِّ صلاة كاملةً وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد الذي تنْحلُ بهِ العُقَد وتنفرِجُ به الكُربُ وتُقْضى به الحوائجُ وتُنال بهِ الرغائبُ وحُسْنُ الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم».

دعاء صلاة الاستخارة

يكون دعاء الاستخارة بعد صلاة ركعتين من النوافل أو السنن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾ وفي الثانية ﴿قل هو الله أحد﴾ ومن تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء، ويستحب افتتاح الدعاء وختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، وحديث الاستخارة رواه الإمام البخاري رضي الله عنه وذكره عدد كبير من المصنفين منهم الإمام النووي في كتابيه الأذكار ورياض الصالحين.

قال النووي رحمه الله تعالى: «ثمَّ إن الاستخارة مستحبة في جميع الأمور كما صرّح به نص هذا الحديث الصحيح، وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره والله أعلم».

قلتُ: وليس شرطاً أن يرى رؤيا فقد يرى رؤيا لا تدل على ما نوى وعزم إليه من الأمور، وقد يتلاعب به الشيطان إذا لم يكن من أهل التمكين أصحاب القلوب العامرة، وقد تكون رؤياه أضغاث أحلام بسبب هوىً في نفسه.

وليس شرطاً أن يقوم برياضةٍ قبل الاستخارة (الرياضة هنا معناها أن يقوم ببعض المجاهدات من صيامٍ أو صلاةٍ أو أذكارٍ) إلا أني أحبُّ أن يصلي المستخير على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة قبل الاستخارة من غير أن أجعله شرطاً إن أمكنه حتى يصفو قلبه ثمَّ يصلي الركعتين ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهُمَّ إنِّي أستخيرُك بِعِلْمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسألُكَ مِنْ فَضلِكَ العظيم، فَإنَّكَ تقْدِرُ ولا أَقْدِرُ وتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وأنتَ عَلاَّمُ الغُيوبِ، اللهمَّ إن كنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ خَيْرٌ لي في دِيني ومَعَاشِي وَعاقِبَةِ أمْري، فاقدرْهُ لي وَيَسِّرهُ لي، ثمَّ بارِكْ لي فيهِ، وإن كُنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شَرٌّ لي في ديني ومَعَاشِي وعَاقِبَةِ أمري، فاصْرفهُ عَنِّي واصرفْني عنهُ واقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كان ثمَّ رضني به» ثمَّ تسمي حاجتك.

دعاء صلاة الحاجة

صلاة الحاجة ركعتين كصلاة الاستخارة ثمَّ يدعو بالدعاء الذي علمه النبي ﷺ للصحابي الأعمى رضي الله عنه وهو:

«اللهم أني أسألكَ وأتوجَّهُ إليك بنبيّكَ محمَّدٍ ﷺ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ إنّي تَوَجَّهْتُ بك إلى ربيّ في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهمَّ فَشفّعْهُ فيَّ» [رواه الترمذي وابن ماجه والطبراني والحاكم وغيرهم.

(دعاء آخر لقضاء الحاجة) ويكون أيضاً بعد صلاة ركعتين: «لا إله إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ سبحانَ اللهِ ربِّ العرش العظيم، الحمْدُ للهِ ربِّ العالمين، أسألُكَ مُوجباتِ رحمتكَ، وعزائم

مغفرتكِ، والغنيمةَ مِنْ كُلِّ برٍّ، والسَّلامة مِنْ كُلِّ إثْمٍ، لا تَدَعْ لي ذنباً إلا غفرتَهُ، ولا هَمّاً إلا فَرَّجْتَهُ، ولا حاجةً هِيَ لكَ رضاً إلا قضيتَها يا أرْحَمَ الرَّاحِمين». [رواه ابن ماجه والترمذي وقال في إسناده مقال.

صلاة التسابيح

«إن صلاها في الليل فالأحسن أن يسلم من ركعتين، وإن صلاها في النهار قرأ سراً ثمَّ إن شاء سلم من ركعتين وإن شاء سلم من أربع وهي على النحو التالي: «بعد دعاء الافتتاح يسبح خمس عشرة مرة، يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» هذه مرة، ثمَّ بعد الفاتحة والسورة يقولها عشر مرات، ثمَّ في الركوع بعد تسبيحات الركوع عشراً، وفي الاعتدال عشراً، وفي السجود بعد تسبيحات السجود عشراً، وفي الجلوس بين السجدتين عشراً، وفي السجود الثاني عشراً، ثمَّ في الركعة الثانية قبل القراءة خمس عشرة مرة وبعد القراءة عشراً وهكذا مثل الركعة الأولى ثمَّ ينهي صلاته بالجلوس الأخير والتشهد والصلاة على النبي والتسليم كباقي الصلوات فيكون عدد التسبيحات في كل ركعة خمساً وسبعين مرة، وتصلى بطريقة أخرى وهي، أن يسبح خمسة عشر تسبيحة بعد القراءة في القيام فقط، وبعد السجدة الثانية يجلس ويسبح عشراً قبل قيامه للركعة الثانية، ثم في الركعة الثانية يسبح آخر عشر تسبيحات في الجلوس الأخير بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ ثم يسلم وبقية التسبيحات تبقى كما في الصورة الأولى عشراً في كل من الركوع والاعتدال والسجدتين والجلوس بين السجدتين.

دعاء عظيم الفائدة يقال صباحاً ومساء وهو:

«االلهمَّ أنتَ ربيّ لا إله إلاَّ أنت عليكَ تَوَكَّلْتُ وأنتَ ربُّ العرشِ العظيم، ما شاء اللهُ كان وما لمْ يشأ لمْ يَكُنْ، لا حوْلَ ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، أعلمُ أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرْ، وأنَّ الله قدْ أحَاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلما اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ نفسي، ومِنْ شرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنْتَ آخذٌ بناصيتِها إنَّ ربي على صِراطٍ مستقيم». قال النووي في الأذكار رواه ابن السني، يقال هذا الدعاء للحفظ.

سيد الاستغفار

قال رسول الله ﷺ: «سيِّدُ الاستغفار: اللهمَّ أنتَ ربيّ لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عَبْدُكَ وأنا على عهدكَ وَوَعْدِك ما استطعتُ، أبُوءُ لكَ بنعمتكِ عليَّ، وأبُوءُ بذنبي فاغفرْ لي فإنهُ لا يغفرُ الذُّنُوب إلاَّ أنْتَ، أعوذ بكَ من شرِّ ما صنعتُ» إذا قال ذلك حين يمسي فمات دخل الجنة وإذا قال حين يصبح فمات مِنْ يومه مثله، رواه البخاري.

دعاء الكرب وللأمورِ المهمة، يقال:

«لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا اللهُ ربُّ السَّمواتِ وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ الكريم» رواه البخاري ومسلم.

ويقال أيضاً: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتكَ أستغيث» رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

ويقال أيضاً: اللهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النَّار» رواه البخاري ومسلم.

ويقول من راعه شيء أو فزع:

«هو اللهُ، اللهُ ربيِّ لا شريك له» رواه ابن السني ويقال أيضاً: «أعوذُ بكلماتِ الله التامةِ من غضبه وعقابه وشرِّ عباده، ومِنْ هَمزات الشياطين، وأن يحضرون». كان عبد الله بن عمرو يعلم هذه الكلمات من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبها في حرز وعلقه عليه، رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن، قلت ويقال عند النوم لمن يحصل له فزع مِنْ كابوس وغيره.

ويقول مَن أصابه هم أو حزن:

«اللهمَّ إني عبدكَ وابنُ عبدِكَ وابنُ أَمتِكَ في قبضتك، ناصيتي بيدكَ، ماضٍ في حُكْمُكَ، عدْلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألكَ بِكلِّ اسمٍ هُوَ لكَ سَمَّيْتَ بِهِ نفسكَ أو أنزلتهُ في كتابكَ، أو علَّمْتَهُ أحداً مِنْ خلقكَ، أو استأثرت بِهِ في عِلْمِ الغيبِ عِندكَ أن تجعلَ القُرآن نورَ صدري، وربيع قلبي وجلاءَ حُزْني، وذهاب همي». قال النووي رواه ابن السني.

ويقول مَن وقع في ورطة أي هلكة:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِي العظيم» رواه ابن السني

ويقول من خاف قوماً

«اللهم إنا نجعلُكَ في نحوُرهِمْ، ونعوذ بِك مِنْ شُرُورهِم». رواه أبو داود والنسائي.

ويقول من خاف سلطاناً:

«لا إله إلا الله الحليمُ الحكيمُ، سُبحانَ اللهِ ربِّ السمواتِ السَّبْعِ وَرَبِّ العرشِ العظيم، لا إله إلا أنتَ، عَزَّ جارُكَ، وجلَّ ثناؤكَ» رواه ابن السني.

ويقول من نظر إلى عدوه

«يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين» رواه ابن السني

ويقول من غلبه أمرٌ:

«قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ» رواه مسلم ويقال أيضاً:

«حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوكِيلُ» رواه أبو داود.

ولدفع الآفات يقول:

«ما شاء الله لا قوَّةَ إلا باللهِ» رواه ابن السني

ومن استصعب عليه أمرٌ قال:

«اللهمَ لا سهلَ إلا ما جعلتَهُ سهلاً، وأنتَ تجعلُ الحَزْنَ إذا شئتَ سَهلاً» رواه ابن السني.

ومن تعسرت عليه معيشته يقول إذا خرج من بيته:

«بسم الله على نفسي ومالي وديني، اللهمَّ رضّني بقضائك، وباركْ لي فيما قُدِّرَ لي حتَّى لا أحِبَّ تعجيل ما أخرَّت ولا تأخير ما عَجَّلْتَ» رواه ابن السني.

ومن كان عليه دين يعجز عنه قال:

«اللهمَّ اكفني بحلالكَ عَنْ حرامِكَ وأَغنني بفضلكَ عَمَّنْ سِواك» قال الترمذي حديث حسن.

ومن أصابه وسوسة قال:

«آمنتُ بالله وَرُسُلِهِ» رواه البخاري ومسلم

دعاء الخروج من البيت:

«باسم الله توكَّلتُ على اللهِ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، اللهمَّ إني أعوذَ بكَ أن أضِلَّ أو أُضَلْ أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أظلِمَ أو أُظْلَمَ، أوْ أجهَلَ أوْ يُجْهَلَ عليَّ» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بروايات مختلفة، من قاله كفي ووُقِيَ وهُدِي وتنحى عنه الشيطان.

ومَنْ دخل بيته قال:

«اللهمَّ إنِّي أسألُكَ خيْر المؤلَجِ وخيْرَ المخرجِ، باسم اللهِ ولجنا، وباسم اللهِ خرجنا، وعلى الله ربِّنا تَوَكَّلنا، ثمَّ يُسَلِّمْ على أهله» رواه أبو داود.

ويقول عند دخول المسجد:

«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانِهِ القديم مِنَ الشيطان الرجيم، الحمدُ للهِ، اللهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهمّ اغفر لي ذنوبي وافتَحْ لي أبواب رحمتك، ثمَّ يقول: بسم الله، ويقدم رجله اليمنى، وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى ويقول جميع ما ذكرته، إلا أنه يقول: «وافتح لي أبواب فضلك».

وإذا دخل الخلاء قال:

«اللهم إني أعوذ بك من الخبثِ والخبائث» ويدخل بالرجل اليسرى، وإذا خرج، خرج باليمنى وقال «غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني، وإذا خلع ثوبه أو نعله قال: «بسم الله الذي لا إله إلا هو» وإذا لبس قال:«بسم الله» على الأقل.

فوائد

دعاء **للحفظ مِنَ السحر، أو لِفَكِّهِ** وهو:(بسم الله الرحمٰن الرحيم، أعوذُ بوجهِ الله العظيم الذي ليس شيءٌ أعظمَ منه وبكلمات الله التَّآمَّات التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجر وبأسماء اللهِ الحسنى كُلِّهَا ما عَلِمْتُ منها وما لم أعلمْ مِنْ شَرِّ ما خلَقَ وذرأ وبرأ). يقرأ صباحاً ومساءً أو يقرأ على المسحور.

ومما ينفع **لفك السحر والشفاء من إصابة العين** قراءة سورة الإخلاص، والفلق، والناس، ثلاث مرات، وينبغي للإنسان أن يحافظ على قراءتها صباحاً ومساءً ثلاث مرات.

ومما ينفع للشفاء من **إصابة العين** أيضاً: قراءة سورة (الهمزة) على المعيون.

(ملاحظة: لحصول السر في القراءة لا بد من الإخلاص وإخراج الحروف من مخارجها واللفظ الصحيح).

ومما ينفع بإذن الله تعالى لشفاء **الملدوغ والملسوع ولتسهيل الولادة** أيضاً: قراءة سورة الإنشقاء (إذا السماء انشقت) إلى آخرها، تقرأ على الملسوع، كما تقرأ على بطن المرأة حال الطلق، أو هي تقرأها أو تقرأ على ماء ثمَّ تُسقى منه.

ومما ينفع **لتسهيل الولادة** قراءة سورة الطارق عليها، أو على ماء وتشربه.

ومما ينفع من **لدغة العقرب أو لسعة الحية أيضاً** قراءة سورة الفاتحة عليه سبع مرات.

ومما ينفع لوجع الضرس إن شاء الله تعالى: أن يُرْقى بهذه الآيات وهي: المص . كهيعص . حم عسق . لا إله إلا هو رب العرش العظيم، أُسْكن أيها الوجع بالذي إن يشأ يُسْكِنِ الريح فيظللن رواكد على ظهره، وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم.

ومما ينفع للشفاء من كل داء بإذن الله تعالى، هو أن تقرأ على ماء طاهر وإذا أمكن أن يكون مِنْ ماء زمزم كان أحسن: سورة الفاتحة سبعة عشر مرة . وآية الكرسي سبعة عشر مرة . وسورة الإخلاص سبعة عشر مرة ثمَّ يشربه صاحب الداء على ثلاثة أيام على الريق.

واعلم أن سورة الفاتحة فيها من الأسرار العظيمة الكثيرة للاستشفاء وقضاء الحوائج إن شاء الله تعالى.

فائدة

نافعة لمن تسقِطُ أولادها، أي لحفظِ الجنين من السقوط بإذن الله تعالى، تكتب في ورقة وتحملها المرأة عند حملها، وعندما يأتيها الطلق تنْزعها وهي:

« كتابة سورة الفاتحة، وقوله تعالى: « ولقدْ خلقنا الإنسان من سُلالةٍ مَنْ طين، ثمَّ جَعَلناهُ نُطْفةً في قرارٍ مكين، ثمَّ خَلَقنا النطفة علقةً . فخلقنا العلقة مُضغةً . فخلقنا المضغة عِظاماً . فَكَسَوْنا العِظامَ لحماً . ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك اللهُ أحسن الخالقين، أمسكتُ ولد (كذا وكذا) يعني فلانة بنت فلانة، أو أمسكتُ ولد حاملة كتابي هذا بالله الذي يُمْسِكُ السماء أن تَقَعَ على الأرضِ إلاَّ بإذنِهِ، وبقدرة اللهِ الذي يمسك السمواتِ والأرضَ أن تزولا»انتهى.

فائدة لحرق العارض وهي:

« أن تؤذنَ في أذن الملبوس اليمنى سبع مرات، وتقرأ الفاتحة، والمعوذتين، وآية الكرسي، وسورة الصافات كلها، وقوله تعالى: لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ... إلى آخر سورة الحشر،

وسورة الطارق ، كل ذلك في أذنه اليمنى، فإنه يموت إن شاء الله تعالى.(أي الجنّي) هذه الفائدة تنفع أيضاً لمرض الصرع والجنون. »

فائدة للصبي المقرون تكتب في حرز

وتحمل للصبي وهي قوله تعالى: بعد البسملة « إذا الشمس كُوِّرَتْ، وإذا النجومُ انكدرت، وإذا الجبال سُيِّرَتْ، وإذا العِشارُ عُطِّلَتْ، عطل اللهُ عنكَ القرين بالقرآن العظيم والنبي الكريم . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نَحْسٍ مُستمر، تَنْزِعُ الناس كأنهُمْ أعجاز . أعجزَ الله هذا القرين عن هذا المولود وحفظه منه في القيام والقعود وأمَّنه من شره في اليقظة والرقود، وإلٰهكم إلٰه واحدٌ لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم).

آيات الشفاء الست

تقرأ على المريض، أو تكتب في ورقة وتُحَمَّلُ للمريض، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، وهي:

١. « ويشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين ويُذْهِبْ غيظَ قُلوبِهِمْ »

٢. « يا أيُّها النَّاسُ قَدْ جاءتكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ ربّكُمْ وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين ».

٣. « يخرجُ مِنْ بُطونِهَا شرابٌ مُخْتلِفٌ ألوانُهُ فيهِ شفاءٌ للناس ».

٤. « ونُنَزِّلُ من القرآن ما هُوَ شفاءٌ ورَحْمَةٌ للمؤمنين ».

٥. « الذي خلقني فهو يهدينِ، والذي هُوَ يُطْعِمُني ويَسْقينِ، وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشفين ».

٦. « قُلْ هُوَ للذين آمنوا هدىً وشفاء ».

آيات التخفيف

تقرأ على المحموم أو المريض، أو تكتب وتعلق عليه، ويبدأ بالبسملة ثمَّ يقرأ:

١. « ذلك تخفيفٌ مِنْ ربّكُمْ ورحمة ».

٢. « يريد اللهُ أنْ يُخفِّفَ عنكم وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفا »

٣. « الآن خَفَّفَ اللهُ عنكُمْ وعَلِمَ أنَّ فيكُمْ ضَعْفا» ثمَّ يصلي على النبي وآله »

وإذا زاد على أيات التخفيف هذه الآيات كان أحسن وهي:

٤. « قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ».

٥. « رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا العذابَ إنا مؤمنون ».

٦. « وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍ فلا كاشف لهُ إلا هُوَ، وإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ على كُلِّ شيء قدير».

لقضاء الحوائج

تقرأ هذه الصيغة(٢٧ مرة) وهي: « أستغفر الله العظيم لي وللمؤمنين والمؤمنات ثمَّ تدعو بما شئت فإنه يستجابُ لك إن شاء الله، والأحسن أن يكون ذلك بعد صلاة العصر أو بعد منتصف الليل.

السبع آيات المنجيات

فيها من الأسرار العظيمة لرفع البلاء وقضاء الحوائج وتسهيل الأمور والشفاء بإذن الله تعالى، تقرأ صباحاً ومساءً وعند الحاجة، وهي:

١. « قُلْ لَنْ يُصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا هو مَوْلَانا وعلى اللهِ فَلْيتوكِلِ المؤمنون ».

٢. « إنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضرٍ فلا كاشِفَ له إلاَّ هو وإنْ يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لِفَضْلِهِ يصيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ من عباده وهو الغفورُ الرحيم »

٣. « وما من دابَّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رِزْقها ويَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها كُلٌّ في كتابٍ مُبين »

٤. « إنِّي تَوَكَّلْتُ على اللهِ رَبِّي وَرَبِكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إلاَّ هو آخِذٌ بِنَاصِيَتِها إنّ ربّي على صِراطٍ مُسْتقيم ».

٥. « وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وإيَّاكُمْ وهُوَ السميعُ العَليم »

٦. « ما يفتح اللهُ للناس مِنْ رَحْمَةٍ فلا مُمسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكيم ».

٧. « وَلَئِن سَأَلتَهُمْ مَنْ خَلَق السمواتِ والأرضَ لَيَقُولُنَّ الله ، قُلْ أفَرَأيْتُمْ مَا تَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ إنْ أرادنِيَ الله بِضُرٍّ هَلْ هُنّ كاشِفَاتُ ضَرِّهِ ، أوْ أرادني بِرحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ، قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَلُ المتوكلون ».

دعاء

من قرأه ثم دعا بعده لقضاء حاجة أو تيسير أمر أو شفاء من مرض أو غير ذلك استجيب له إن شاء الله تعالى، يقرأ الفاتحة قبل الدعاء ويهدي ثوابها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وإلى كافة مشايخ سلاسل الطريقة القادرية وإلى سائر الأولياء، ثم يحمد الله ويصلي على النبي وآله وأصحابه،ثم يبدأ بالدعاء وهو:

اللَّهُمَّ لا إِلهَ إلا أنت

اللهُ الرحمٰن الرحيمُ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم
القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحَكَمُ العَدْلُ
اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت
الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث
الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئُ المعيد
المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر
المقدم المؤَخِّرُ الأَول الآخر الظاهر الباطن الوَالي المتعال البَرُّ التَّوَابُ
المُنْتَقِمُ العَفُوُّ الرؤوف مالكُ الملك ذو الجلال والإكرام المُقْسِطُ الجامعُ الغنيُّ المغْني المانع
الضَّارُّ النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبورُ

(بسم الله الرحمٰن الرحيم، ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنكَ وزرك، الذي أنقضَ ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فإنَّ مع العُسرِ يُسراً، إنَّ مَع العُسْرِ يُسرا، فإذا فرغت فانصبْ، وإلى ربِّكَ فارغَبْ) الَّلهمّ صلِّ على خير من طلعت عليه الشمس سيد الكائنات وخاتم الأنبياء وتاج الأصفياء سيدنا وحبيبنا وقائدنا وشفيعنا ومعلمنا ومرشدنا ودليلنا إلى الخير وإلى رضوان الله عبدك ونبيك محمد أبي القاسم ﷺ، الَّلهمَّ يا ربَّ محمدٍ وآلِ محمد صلِّ على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد وأعطِ سيدَنا محمداً الدرجة والوسيلة في الجنة، الَّلهمَّ يا ربَّ محمد وآل محمد اجْزِ سيدَنا محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم ما هو أهله.

الَّلهمَّ إني أسألكَ بحقه يا عظيم يا كريم يا جبَّار يا قادر يا حفيظ يا معطي يا مانع يا ضار يا نافع يا لطيف يا رحمٰن يا رحيم يا هادي يا واسع المغفرة يا من بإرادته كل شيء ويعلم كل شيء وقادر على كل شيء، الَّلهمَّ يا غياث المستغيثين يا مجيب دعوة المضطرين يا رب العالمين يا قادر يا مقتدر يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، يا ربُّ يا ربّ يا ربّ يا ربّ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

الَّلهمَّ إنِّي أسألك بأنِّي أشهد أنَّك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

الَّلهمَّ إني أسألك بأنَّ لك الحمد لا إلٰه إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حيُّ يا قيوم إني أسألك... ثمَّ تدعو بما تشاء.

واختم الدعاء بالصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه وقراءة الفاتحة وتهدي ثوابها للنبي ﷺ.

(وهذا ختم قادري)

وفيه أسرار عظيمة لإصلاح النفس وقضاء الحوائج... وهو بعد الرابطة مع إمام الطريقة والاستمداد تقرأ الفاتحة وتهدي ثوابها إلى رجال سلسلة الطريقة (أي السلسلة التي تنتمي لها) فرداً فرداً تبدأ بذكر اسم النبي ﷺ أولاً ثمَّ سيدنا علي ﷺ، وهكذا حتى تنتهي إلى ذكر اسم

شيخك، ثمَّ تقول: حسبي الله ونِعْمَ الوكيل) ٥٠٠ مرة في خلوة على النية التي تريد، ثمَّ تختم بقراءة سورة الفاتحة وإهداء ثوابها إلى النبي ﷺ وإلى الإمام الجيلاني وإلى من أخذت عنه وإلى كافة مشايخ سلاسل الطريقة القادرية.

حزب في الصلاة على النبي ﷺ

يقرأ على نية أن ترى النبي ﷺ في المنام، وذلك بعد صلاة ركعتين، على طهارة كاملة، وإذا استقبلت القبلة كان أحسن، وعدد قراءته (١٢ مرة) ثمَّ بعد الانتهاء تنام على وضوء على جنبك الأيمن مستقبل القبلة، ولك أن تقرأه في الليل أو النهار،وهو بعد البسملة:

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المجاهدين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الشاهدين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الخاشعين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الطائعين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد التائبين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد العابدين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الحامدين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الصالحين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الراكعين

الَّلهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الساجدين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد القائمين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد القاعدين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المتقين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المستغفرين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الشاكرين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الحافظين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الذاكرين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد العاقلين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المحسنين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الأكرمين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المنذرين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المبشرين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد الطيبين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد النبيين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد العالمين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد النبي الذكي النقي

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد القرشي الهاشمي

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد المدني العربي المكرم يوم القيامة

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد أهل الجنة

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد صاحب الصراط المستقيم

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد أفضل الأولين والآخرين

اللَّهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى جميع الملائكة المقربين وعلى عبادِ اللهِ الصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين وعلينا معهم أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

الحزب المسمى بالصلاة الصغرى

للإمام الجيلاني ﷺ

قال: « اللَّهمَّ صلِّ على سيدنا محمد الرحمةِ للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي، ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه دائمة بدوامك باقية ببقائك وعلى آله وأصحابه وعترته كذلك والحمد لله على ذلك ».

قال أهل المعرفة إن في هذه الصلاة المباركة من الأسرار والبركة الشيء الكثير فينبغي المحافظة عليها، ومن أعدادها قراءتها عشر مرات صباحاً ومساءً.

حزب الوسيلة لسيدي وملاذي

الإمام الجيلاني ﷺ

قال: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد «إنَّ الله وملائكته يصلُّونَ على النبيِّ يا أيُّها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسلِّمُوا تسْليماً ».

اللَّهـمَّ صلِّ على سيدنا محمد وبارك وسلم: وصلى الله على مجمَعِ كماله ومحيط نواله ومحضر إنزاله سيدنا محمد وآله إلهي بك أستغيث فأغثني وبك استعنت فأعني . وعليك توكلت فاكفني يا كافي اكفني المهمات من أمر الدنيا والآخرة يا رحمن الدنيا والآخرة، ويا رحيمهما، إني عبدك ببابك فقيرك ببابك،، سائلك ببابك . ذليلك ببابك . ضعيفك ببابك، أسيرك ببابك، مسكينك ببابك، يا أرحم الراحمين، صنيعك ببابك يا رب العالمين الطامع ببابك يا غياث المستغيثين مَهمُوُك ببابك يا كاشف كرب المكروبين، أنا عاصيك ببابك، يا طالب المستغفرين المقِرُّ ببابك يا غافراً للمذنبين المعترف ببابك يا أرحم الراحمين، الخاطئ ببابك يا رب العالمين، الظالم ببابك، البائس ببابك، الخاشع ببابك، ارحمني يا مولاي وسيدي إلهي أنت الغافر وأنا المسيء وهل يرحم المسيء إلا الغافر،

مولاي إلهى أنت الرب وأنا العبد وهل يرحم العبد إلى الرب،

مولاي إلهي أنت المالك وأنا المملوك وهل يرحم المملوك إلا المالك،

مولاي مولاي، إلهي أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز،

مولاي مولاي، إلهي أنت القوي وأنا الضعيف وهل يرحم الضعيف إلا القوي،

مولاي مولاي، إلهي أنت الكريم وأنا اللئيم وهل يرحم اللئيم إلا الكريم،

مولاي مولاي، إلهي أنت الرازق وأنا المرزوق وهل يرحم المرزوق إلا الرازق،

مولاي مولاي، إلهي أنا الضعيف وأنا الذليل وأنا الحقير وأنت الغفور وأنت الغافر وأنت الحنَّان وأنت المنَّانُ، وأنا المذنب وأنا الخائف وأنا الضعيف،

إلهي أسألك الأمان في القبور وظلمتها وضيقها،

مولاي مولاي، إلهي أسألك الأمان الأمان عند سؤال منكر ونكير وهيئتهما،

إلهي أسألك الأمان الأمان عند وحشة القبر وشدته،

إلهي أسألك الأمان الأمان « في يوم كان مقدارُهُ خمسين ألف سنةٍ »

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله » .

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم زلزت الأرض زلالها»

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب »

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم تشقق السماء بالغمام »

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ».

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم ينظر المرءُ ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا »

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم»

إلهي أسألك الأمان الأمان « يوم ينادي المنادي من بطن العرش أين العاصون وأين المذنبون وأين الخاسرون هلموا إلى الحساب، وأنت تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي،

إلهي آه آه من كثرة الذنوب والعصيان، آه من كثرة الظلم والجفاء آه من نفسي المطرودة آه من نفسي المطبوعة على الهوى آه من الهوى آه من الهوى أغثني يا مغيث . ثلاثاً . أغثني عند تغير حالي.

الَّلهمَّ أنا عبدك المذنب المخطئ أجرني من النار، يا مجير . ثلاثاً . الَّلهمَّ إن ترحمني فأنت أهل لذلك وإن تعذبني فأنا أهل لذلك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة . ثلاثاً ويا أرحم الراحمين ويا خير الناصرين ويا خير الغافرين، حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير حسبي الله وحده، إرحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين . انتهى

قال الشيخ محمد الأمين الكيلاني في مقدمة شرح هذا الحزب في كتاب السفينة القادرية أن هذا الحزب فيه من الأسرار الباهرة وقد استغنى به عن غيره عدد من العارفين منهم السيد الشيخ أحمد أبو العباس التيجاني الحسني، حيث كان يداوم على قراءته في خلواته فحصل له فتح عظيم، كما ذكر الشيخ سنده فيه إلى الإمام الجيلاني قدس سره العزيز.

ورد عظيم النفع

والبركة لأمور الدنيا والآخرة لمن حافظ عليه مخلصاً لله تعالى، يتلى في الليل، أو في النهار، أو يقسم بين الليل والنهار وهو: بعد قراءة الفاتحة مرة:

١. كلمة التوحيد لا إله إلا الله ...١٠٠٠. مرة
٢. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ...١٠٠. مرة
٣. سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ...١٠٠. مرة
٤. لا حول ولا قوة إلا بالله ...١٠٠. مرة
٥. حسبي الله ونِعْمَ الوكيل ...١٠٠. مرة
٦. ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكن ...١٠٠. مرة
٧. قدَّرَ الله وما شاء فعل ...١٠٠. مرة
٨. يا حيُّ يا قيومُ برحمتكَ نستغيث ...١٠٠. مرة
٩. أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيوم وأتوب إليه ...١٠٠. مرة
١٠. يا مالك يومِ الدينِ إياكَ نعبدُ وإياك نستعين ...١٠٠. مرة
١١. لا إله إلا أنتّ سبحانك إنِّي كُنْتُ مِنَ الظالمين ...١٠٠. مرة

١٢. ربِّ إنِّي مغلوبٌ فانتصرْ .١٠٠. مرة

١٣. رب إني مَسَّنِيَ الضُرُّ وأنْتَ أرحمُ الراحمين .١٠٠. مرة

١٤. رب لا تَذرْنِي فَرْداً وأنت خَيْرُ الوارثين .١٠٠. مرة

١٥. الَّلهمَّ اهدني وسدِّدْني .١١. مرة

١٦. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قوْلِي .١١. مرة

١٧. الله اللهُ ربي لا أشركُ بهِ شيئاً .١١. مرة

١٨. الَّلهمَّ لا سَهْلَ إلا ما جعلتهُ سهلا وأنتَ تجعلُ الحَزْنَ إذا شئت سهلا. .١١. مرة

١٩. سلامٌ قولاً مِن رَبٍّ رحيم .١١. مرة

٢٠. سورة قريش .١١. مرة

٢١. سورة الإخلاص .١١. مرة

٢٢. بسم الله الرحمٰن الرحيم .١٠٠. مرة

٢٣. سبوحٌ قدوس ربُّ الملائِكَةِ والروح .١٠٠. مرة

٢٤. يا اللهُ .١٠٠. مرة

٢٥. يا ودود .١٠٠. مرة

٢٦. يا لطيف .١٠٠. مرة

٢٧. يا فتاح .١٠٠. مرة

٢٨. يا وهاب .١٠٠. مرة

٢٩. يا رزاق ..١٠٠. مرة

٣٠. يا مُغْنِي ..١٠٠. مرة

٣١. يا قهار ..١٠٠. مرة

٣٢. يا ذا الجلال والإكرام ..١٠٠. مرة

٣٣. صلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ..٢٠٠. مرة

٣٤. اللَّهمَّ صلِّ على سيدنا محمد النبي الأُمي الطاهر الزَّكي وعلى آله وصحبه وسَلِّمْ ..١٠٠. مرة

٣٥. اللَّهمَّ صلِّ على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمَّهاتِ المؤمنين وذريَّتِهِ وأهل بيتهِ كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم إنك حميد مجيد ..١٠٠. مرة

٣٦. الصلاة الإبراهيمية . مرة .

٣٧. قراءة سورة الفاتحة مرة، وإهداء ثوابها مع الورد إلى سيدنا محمد ﷺ والأنبياء والمرسلين، والآل والأصحاب والتابعين وأتباع التابعين، والأئمة المجتهدين، والأقطاب والعارفين، وخصوصاً الأقطاب الأربعة المشهورين، والأئمة الصوفية المعتبرين، ومشايخ سلاسل طرقهم، وخصوصاً الإمام الجيلاني ومشايخ سلاسل طريقته، وإلى مشايخك وخصوصاً شيخك المربي، وإلى القطب الغوث الحالي وأهل دولته وإلى سائر العلماء العاملين والأولياء والصالحين، وإلى والديك وأجدادك، ومن أوصاك بالدعاء من المسلمين، وإلى مَنْ له حَقٌّ عليك مِنَ المسلمين، وإلى إخوانِكَ في الطريق، وإلى سائر المسلمين والمسلمات.

ملاحظة: مَنْ كان مشغولاً بالعلم والتعليم أو الدعوة أو خدمة المسلمين، أو عليه مسؤوليات، أو نفقات وغير ذلك، فليخفف العدد من المئة إلى . ٣٣ . أو إلى . ١١- مرة. إلا كلمة التوحيد فأُحِبُ أن لا ينقصها عن الألف،إلا لأمرٍ مهم فليخفف العدد إلى

المائة، وعلى كل الأحوال فالمريد الكامل لا ينبغي له أن يغفل عن ذكر الله تعالى، والله الموفق.

أذكر بالمحافظة على أوراد الصباح والمساء المأثورة عن رسول الله ﷺ، والتي تجدونها في كتب الحديث، وقد جمع الكثير منها الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه الأذكار مع أذكارٍ أخرى كثيرة لمعظم الأحوال والمناسبات.

كما أذكر بالمحافظة على ورد الطريقة الأساسي، والمحافظة على تلاوة كتاب الله كل يوم جزء أو نصف جزء على الأقل، والمحافظة على تلاوة سور منه كل ليلة، كسورة يس، والملك، والأعلى . والانشراح، وغيرها من السور والآيات التي ورد في السنة المحافظة عليها، وسورة الكهف ليلة الجمعة أو نهاره قبل الظهر.

وأذكر أيضاً بأن لا تُحَمِّلَ نفسكَ ما لا تُطيق خشية أنْ يُصيبك الملل فتترك الكل، « فإنَّ أحَبَّ العملِ إلى الله أدْوَمَهُ وإنْ قَلْ » كما ورد في الحديث.

وأختم بدعاء الاختتام للغوث الجيلاني ﷺ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله

الصلاة والسلام عليك يا أكرم الخلق على الله

يا الله يا حقُ يا نورُ يا مبينُ نوّرْ قلبي بنورك، واكسُني مِنْ نورِكَ وعلمني مِنْ عِلْمِكَ، وفَهِّمْنِي عنك وأسْمِعْني مِنْكَ وبَصِّرني بِكَ إنك على كل شيء قدير.

يا سميع يا عليم يا حليم يا عظيم يا عليُّ يا الله (استجب دعائي) آمين

أعوذ بكلمات اللهِ التاماتِ مِنْ شَرِّ ما خلق،

يا عظيم السلطانِ يا قديمَ الإحسانِ يا دائمَ النِعَم يا باسط الرزق يا واسعَ العطايا يا دافع البلايا يا سامع الدُعاءِ يا قريباً ليْسَ بغائبٍ يا (مغيثاً) عند الشدائد، يا لطيف الصنع يا جميلَ السَّتْرِ يا حليماً لا يعْجَلُ يا جواداً لا يبْخَلُ، اقضي حاجتي، يا مجيبُ. ١٩ ـ مرة يا مَن لَهُ الأمرُ كلُّهُ أسألك الخيرَ كُلَّهُ، وأعوذُ بكَ من الشَّرِّ كُلِّهِ.

الَّلهمَّ افتحْ علينا أبواب رحمتكَ وسهِّل لَنَا أسبابَ رزقِكَ،

وصلى الله على سيدنا محمدٍ النبي الأمي الطاهر الزكيِّ، صلاة تُحَلُّ بها العُقَدُ وتُفَرِّجُ بها الكُرَبُ، وعلى آله وصحبه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين، لك الحمدُ وبكَ الاعتصام سبحانك ألهمتنا الابتداء ويسرتَ لنا الاختتام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأئمة الشريعة الأعلام رضي الله عنهم بالتمام، الَّلهمَّ يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى، طهر قُلوبَنا مِنْ كُلِّ وصفٍ يُباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك، وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقاك يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسَلَّمَ تسليماً، وآخِرُ دَعْوَانَا أن الحمدُ لله رب العالمين.

تَمَّ بعونِ اللهِ في ليلة النصف من شهر شعبان المبارك سنة ١٤٢٣هـ ليلة الأربعاء الموافق ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٢ ر

أسأل الله تعالى بحق سيدنا محمد ﷺ وبسر إمامنا الجيلاني أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلنا من عباده الصالحين المصلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن ينفعني والقارئين والمسلمين بما حوى هذا الكتاب.

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن سار على نَهْجِهِ إلى يوم الدين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

قصيدة للشيخ أبي عبد الله سيدي محمد المنلا رحمه الله تعالى المسماة، بنُزهة المشتاق إلى قطب العراق، وتشتمل على غالب كرامات الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ ونفعنا به آمين:

مل لبغداد واركبنَّ البحارا ... واقطعنَّ الديار داراً فدارا

واقطعنَّ الربى وكل الفيافي ... والصحاري بسرعة والقفارا

والزم الجد في المسير إلى أن ... تملأ الليل بالخطا والنهارا

وأت داراً أنوارها قد تبدت ... من سناها كل الوجود استنارا

وغدا نشرها يفوح عبيقاً ... بشيوخ حازوا العلا والفخارا

سادة احرزوا سمّوا وفخراً ... وكمالاً ورفعة ووقارا

زر حماهم ملازماً باعتقاد ... فاز من قد أتى حماهم وزارا

وأبدؤ بالجيلي الجليل المعلى ... من حوى رتبة بها لا تجارى

سيد كامل شهير المزايا ... بالكرامات حير الأفكارا

صام في مهده على رضع ثدي ... واقتفى قول أمه حين سارا

ناهجاً سالكاً سبيلاً قويماً ... من سوى الصدق لا يطيق اقتدارا

سألته القطاع عند انتهاب ... ما لديك فأظهر الأسرارا

قال عندي مخيطة في ثيابي ... أربعون معدودة دينارا

فتشوا ثوبه الشريف فألفوا ... مثل ما قال ذلك المقدارا

فترامو على يديه وتابوا ... إذ كساهم نوراً يزيد انتشارا

جاء بغداد قاصداً نيل علم ... تاركاً في زمانه الأغيارا

حل عاماً حفت به أنوار ... صاح أكرم بذي الفخار فخارا

أخذ العلم عن شيوخ كبار ... خائضين من العلوم بحارا

وأفاض العلوم عن أهل عصر ... مثل سحب أفاضت الأمطارا

وتصدى إلى جواب الفتاوى ... سرعة يظهر الجواب الخيارا

وأتت لامتحانه أذكياء ... فغدا علمهم يزيد فرارا

تفــل المصــطفى شــفيع الــورى في فيــه ســبعاً يــا حبــذا أعطــارا

ثمَّ قــال لــه تكلــم علــى النــا س فأبــدى قــولاً غــدا مختــارا

وأتتــه الشــهور تخــبر عمــا كــان فيهــا إذ طــورت أطــوارا

قــال يومــاً للحاضـرين اطلبـوا مـا قــد أردتم فكــل شــخص أشــارا

فغـدوا نـائلين مـا طلبـوه كـل شـخص قـد جـاءه مـا اختـارا

ورأى في الطريــق أحمــال خمــرٍ حملــت للســلطان فاحــت جهــارا

قــال للســائقين كونــوا وقوفــاً فــأبوا فاغتــدوا بــداء حيــارى

ثمَّ للحــاملات فــاه بــأمر أن قفـي فاغتـدت تحـاكي الحجـارا

ثمَّ مــن بعــد ذا القــوم تــابوا قــارنين بالتوبــة اســتغفارا

فشـفاهم وعـادت الخمـر خـلا ثمَّ ســارت للحــاملات ابتــدارا

ولقــد رد مــاء دجلــة يومــاً بعصــاه لمــا ترقــى وفــارا

وابــن إدريــس قــد كســاه قميصــاً منــه لم يلــف لســقام قــرارا

وترقـى البلخـي لمـا أتـاه وتعــنى لــه وجــاء وزارا

فاكتســى خلعــة الرضــى وســقاه كــأس ود وزاده الأســرارا

وأبــو عمــرو الهمــام الصــير في أتــاه لمــا رأى الأطيــارا

فكســاه طاقيــة فترقــى ورأى مــن عــوا لم مــا تــوارى

ولقــد أبــرأ الســقيم بــدار لأبي غالــب بــه الطــب حــارا

وبقبقابـه رمـى العـرب لمـا سـلبوا مـن دعـا بـه واسـتجارا

أســقطت فــأرة عليــه ترابــاً فــدعا بانقطــاع رأس فطــارا

ولقــد بــال طــائر عنــه يومــاً فســقاه موتــاً وأبــدى اعتــذارا

ولديــه حــط الخليفــة مــالاً حــين وافى فــرده اســتقذارا

شــط كيســين إذ ألح عليــه لهمــا عاصــراً فبالــدم فــارا

قــال مــا تســتحي تقابــل وجهــي بــدماء فــزال عقــل فــرارا

وأتــاه يومــاً وقــد رام منــه أن يــرى مــن مناقــب آثــارا

فــأراد التفــاح في غــير وقــت فحبــاه تفــاحتين ابتــدارا

وحـــــــديث أبي المعــــــــالي رووه | نشـــق القـــــوم نـــــده والعــــرارا
حيــــث جاءتـــه حقنـــة أســـكنته | وهـــو في مجلــس الإمـــام فحـــارا
فأتـــاه الأســـتاذ مـــن فـــوق كرســـ | ـــي لكـــي مـــا يزيـــل عنـــه اضـــطرارا
وبكـــمٍّ غطـــى لـــه الـــرأس فـــانزا | ح إلى المجلـــس الـــذي منـــه ســـارا
فقضـــى حاجـــة ونـــال وضـــوء | وصـــــــلاة لـــــــركعتين جهـــــــارا
رفـــع الشـــيخ كمَّـــه عنـــه فـــانزا | ح إلى المجلـــس الـــذي منـــه ســـارا
جـــاءه الجوســـقي فأعطـــاه خيطـــاً | عنـــدما جـــاء قـــد لـــواه مـــرارا
كلمـــا حـــل ليَّـــةً منـــه أبـــدى | مـــا تعمَّـــى لـــه وأفـــنى الســـتارا
وابـــن عيـــاش الرضـــا إذ أتـــاه | وجـــد الأمـــر بـــدءه والقصـــارى
واقتفـــى إثـــره علـــيّ فأمســـى | في نهاونـــــد قـــــد أزاح الـــــديارا
وبهـــا عـــن يديـــه أســـلم شـــخص | فكســـــــاه ولايـــــــة وفخـــــــارا
ولقـــد أرســـل ابـــن أحمـــد لـــيلاً | لفـــــتى الجـــــن إذ أراد انتصـــــارا
قـال أشـكو إليـك مـن خطـف بنـتي | عنـــدها ردهـــا لـــه إجبـــارا
ووقـى مـن سـقوط سـقف أناسـاً | مخرجـــاً مـــن رواقـــه الـــزوارا
وأبـــو الفضـــل قـــد أتـــى بـــاعتراض | فتبـــــدى في رجلـــــه مســـــمارا
وأتـــى الواســـطي لـــه بكتـــاب | فمحـــت قـــدرة لـــه أســـطارا
جـــاءه الصـــيرفي مـــن قبـــل اللـــ | ـــه لإيفـــاء دينـــه إيســـارا
قـــال للســـائري المريـــق بصـــاقاً | لا بصـــاقاً مـــن بعـــد هـــذا فغـــارا
وأتـــاه القـــوال ينشـــد شـــعراً | فعلـــى في الهـــوا ودار وســـارا
ولقـــد مـــص أصـــبعيه المحلـــى | فتغـــذى ولم يحـــس اضـــطرارا
ولقـــد أظهـــر الكرامـــة يومـــاً | في عصـــاه إذ أشـــرقت أنـــوارا
وأذاق الشخصين من كأس سلب قال | حـــين لم يـــذعنا فصـــفرين صـــارا
قـــال يومـــاً للحنبلـــي علـــي | كلمـــة مظهـــراً بهـــا الأســـرارا
فحكاهـــا فنـــال مـــالاً جـــزيلاً | مـــن ملـــوك وأكســـبوه وقـــارا
نـــاول القرشـــي ويبـــة بـــر | فكفتـــه لقوتـــه أعصـــارا

قـــال يومـــاً لحامـــد إذ أتـــاه … قـــول صـــدق محققـــاً لا يمـــارى
تجلســـن علـــى بســـاط ملـــوك … فكســـاه السـلطان منـــه شـــعارا
إن يشـــأ حـــرك القلـــوب بفعـــل … فتجبــــــه لمـــــا أراد ابتـــــدارا
قـــد تصـــدى إلى الجلـــوس بـــوعظ … مرشـــداً مـــن غـــوى وظـــل وحـــارا
صـــائغاً مـــن معـــادن الـــوعظ تاجـــاً … مســــتجاداً ودملجــــاً وســــوارا
وعظـــه يمـــلأ القلـــوب ابتهاجـــاً … ومتابـــاً مـــن ذنبهـــا وازدجـــارا
يخـــرج الـــدر مـــن بحـــار علـــوم … وعلـــى الحاضـــرين يبـــدي انتشـــارا
حبـــذا مجلـــس بـــه الله يكســـو … حلـــل النـــور والبهـــا الحضـــارا
قـــد أتـــاه قنـــديل نـــور لفيـــه … مـــن سمـــاء يـــدنو ويعلـــو مـــرارا
وعلـــى قلبـــه الإلـــه تجلـــى … يـــوم أضـــحى الكرسـي رحبـاً وصـارا
صـاغ عبـد الوهـاب يومـاً علـى الكر … ســي وعظــاً في حســنه لا يجــارى
وغـــدا قائمـــاً فلـــم يـــك شـــخص … ذا خشــــوع ولم يفــــده أذكـــارا
فحكـى الشـيخ عـن طعـام فضـجوا … بصـــراخ والجفـــن فـــاض انهمـــارا
ســقطت عنـه حيـة والتـوت عـن … عنـــق منـــه فاطمـــأن اصـــطبارا
مثـــل فعـــل الجـــني لمـــا تبـــدى … حيـــة جـــاء في الصـــلاة اختبـــارا
ولقـــد أســـلمت جماعـــة كفـــر … إذ أتـــوه وكـــانوا قبـــل نصـــارى
ولقـــد دل عنـــه عيســـى بنـــوم … راهبـــاً كـــي يزيـــل عنـــه الخمـــارا
وأتتـــه مـــن الأكـــابر قـــوم … رؤســـاء فلـــم يفـــدهم وقـــارا
أظهـــر الســـر والضـــمير فأضـــحوا … هـــائمين ومشـــفقين ســـكارى
وصـــف القطـــب حـــين جاءتـــه قـــوم … قصـــدوا منـــه ذا ففـــاه ابتـــدارا
كلـــل الســـمع بـــالجواهر لمـــا … صـــاغ حليـــاً وألـــبس الحضـــارا
جـــاء يومـــاً يـــزور قـــبراً لمعـــروف … فأبـــدى لـــه الخطـــاب جهـــارا
جـــد في طاعـــة الإلـــه إلى أن … بلـــغ الأمـــر جـــده والقصـــارى
إنـــه خمســـة وعشـــرون عامـــاً … في نـــواحي الحجـــاز ســـاح وســـارا
والشـــياطين قـــد أتتـــه لحـــرب … فغـــدا ناهضـــاً فولـــوا فـــرارا

وغــــدا أربعـــين عامــــاً يصـــلي   بوضـــوء العشـــاء صـــبحاً جهـــارا

وتصـــدى لـــدرس عـــام ثـــلاث   وثلاثـــــين حجـــــة إظهـــــارا

أربـــع مـــن مئتـــين تكتـــب عنـــه   حـــين يبـــدي بمجلـــس تقـــرارا

للمريـــــدين والتلاميـــــذ حقـــــاً   يبـــدي أخـــذاً يقيـــل منـــه العثـــارا

ضـــامناً توبـــة لهـــم قبـــل مـــوت   لا يخـــــافون شـــــقوة وخســـــارا

أدعـــج أقـــرن نحيـــف لطيـــف   أسمـــر وجهـــه يحـــاكي النضـــارا

يكثـــر العطـــف والتواضـــع حقـــاً   لـــذوي الخـــير رفعـــة واختيـــارا

حســـن الخلـــق كامـــل الزهـــد بحـــر   يبـــذل البـــذل لا يخـــاف افتقـــارا

مدحتـــه الأشـــياخ في كـــل عصـــر   بمـــــديح وأكثـــــروا الإكبـــــارا

ولقـــد زاد عـــام كانـــت وأضـــحى   بعـــد تســـعين في الضـــريح مـــوارا

رضـــــي الله عنـــــه إن ســـــناه   عـــم في الكـــون مالئـــاً أقطـــارا

ربنـــــا زده رفعـــــة وأنلـــــه   في الفـــراديس مـــا ارتضـــاه ابتـــدارا

قال صاحب السفينة القادرية :

هذا ما وجدناه من كلام الإمام الأكبر، والمحب الأشهر،

صاحب النور العلي، الشيخ سيدي

محمد الإمام المنْزلي،

تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته

فمن ذلك القصيدة الميمية، التي على وزن وقافية البردة البوصيرية، وهي هذه:

يا روح سيري إلى بغداد واغتنمي ... قرباً وفوزي بوصل السيد العلم

وأقري سلامي على أرض العراق ومن ... ثوى بها من ذوي الأقدار والهمم

وانزلي حمى الشيخ عبد القادر الجيلي ... بدر الكمال وبحر العلم والحكم

وبلغيه سلامي واخبريه بما ... يلقى المحب من الأشواق والألم

لعل محبوب قلبي ومنى أملي ... يشفي فؤادي بوصل غير منصرم

ويكشف السوء عن جسمي وينقذه ... من لهيب بشغاف القلب مضطرم

ويعتق الصب من أوصاب حرقته ... ويقتنيه بكشف الضر والسقم

فإنه بحر فضل لا نفاذ له ... ومنبع الجود والإحسان والكرم

بدر سناه منير يستضاء به ... نور به يهتدى في حالك الظلم

تغنيك شهرته عن شرح رتبته ... له محاسن في التعداد كالديم

أنوار طلعته في الأفق ساطعة ... يبدو سناها لنا من ذلك الحرم

وشمس فضله في الأكوان طالعة ... وفيه سر عجيب غير مكتتم

ما زال يسمو ويرقى في مراتبه ... حتى انتهى لكمال الجاه والعظم

أهل الإشارة والأحوال قد شربوا ... من بحره كلهم كأساً من الحكم

فأصبح الكل للجيلاني منتسباً ... وكلهم بحمى الكيلاني معتصم

أكرم به مورد للقوم قد سبقت ... له العناية من مولاه في القدم

ما زال يسقيه كأس الحب حتى غدا ... بحراً بموجٍ من الأسرار ملتطم

فما تعد ولا تحصى فضائله ... ولا تقاس بمنثور ومنتظم

فغاية القول فيه أن رتبته ... تعلو على أولياء الله كلهم

يـا لائمـي في مـديح الشيخ لـو شـهدت ... عينــاك حظــي مــن الأشــواق لم تلــم

هـــو الإمـــام الـــذي رقـــت مدائحـــه ... وراق فهـــم معانيهـــا عـــن الفهـــم

يـــا واثقـــاً بحمـــى الكـــيلاني نلـــت المـــنى ... وفـــزت بـــالعز في الـــدارين والـــنعم

يـــا تابعـــاً ســـبل الجـــيلاني بشـــراك قـــد ... نجـــوت مـــن ســـائر الأهـــوال والـــنقم

فإنـــه لـــك في الـــدنيا أمـــان ومـــن ... يتبـــع طريقتـــه في الحشـــر لم يضـــم

فـــالزم محبتـــه تحـــظ بمنفعـــة ... فهـــو لنفـــع محـــب خـــير ملتـــزم

هـــو الحســـيب النســـيب الســـيد الحســـني ... قـــد حـــل في رتبـــة التشـــريف والعظـــم

أكـــرم بـــه ســـيداً مـــن نســـل فاطمـــة ... ذات العفـــاف وذات الجـــود والكـــرم

قـــد طـــاب عنصـــره الميمـــون متصـــلاً ... بأصـــله المصـــطفى المختـــار مـــن هاشـــم

أصـــل شـــريف فجـــاء الفـــرع ذو شـــرف ... شـــاعت فضـــائله في ســـائر الأمـــم

ذكـــر الرجـــال ينـــام بعـــد يقظتـــه ... وأنـــت ذكـــرك يـــا جـــيلاني لم يـــنم

شـــيخي رئـــيس لـــه عـــزم يصـــول بـــه ... كأنـــه أســـد يســـطو علـــى الـــنعم

شـــيخي لـــه رتبـــة لا يحصـــها فكـــر ... وهـــل يحـــاط بعـــدِّ الرمـــل والـــنجم

فاحـــت روائحـــه في الأرض قاطبـــة ... فـــانظر لبغـــداد مـــا تحـــوي مـــن الكـــرم

صـــوره الله إنســـاناً وكملـــه ... حســـاً ومعـــنى بســـر فيـــه مرتســـم

أنظـــر إلى قـــبره الميمـــون مـــاذا حـــوى ... طـــوبى لمنتشـــق منـــه وملتـــثم

لـــه مقـــام ســـني عـــز مدركـــه ... ورتبـــة في ذرى التشـــريف لم تـــرم

فـــإن لله أســـراراً يخـــص بهـــا ... مـــن شـــاء فـــاقطع لســـان الشـــك والخصـــم

وأعلـــم بـــأن رجـــال الله فـــوق الـــذي ... تظـــن مـــن رفعـــة الأقـــدار والهمـــم

قـــوم صـــفت عـــن ســـوى المـــولى بـــواطنهم ... فحـــبهم واصـــطفاهم بـــارئ النســـم

فـــإنهم أخلصـــوا الله نيـــتهم ... فأســـبغ الله عـــنهم وافـــر الـــنعم

ذا وصـــفهم وابـــن أم الخـــير قـــدوتهم ... وبـــدر ليلـــتهم والكـــل كـــالنجم

عـــروس حضـــرتهم وملـــك دولـــتهم ... وليـــث صـــولتهم في كـــل مصـــطدم

حصـــن حمـــايتهم مـــولى رعـــايتهم ... مـــن احتمـــى بحمـــى الكـــيلاني ذاك حمـــي

مـــن انتمـــى لابـــن أم الخـــير طـــوبى لـــه ... بمـــا يـــرى مـــن مزيـــد الـــبر والـــنعم

هـو الهمـام الـذي جـاد الزمـان بـه	فجـاء بـالنور والأسـرار والحكـم
غـوث الرجـال وبحـر السـر والشـرف	وقطـب دائـرة السـادات كلهـم
مـا زال مقـدراه في النـاس مرتفعـاً	لـه مقـام مـن التشـريف لم يحـم
عمـت محاسـنه فلـيس ينكرهـا	إلاّ حسـود علـى رأي الكمـال عمـي
فكيـف يخفـى مقـام الشـيخ عـن أحـد	وقـد سـرى سـره في سـائر الأمـم
فـاق الأكـابر في مجـدٍ وفي شـرفٍ	وفي فخـارٍ وفي عـز وفي كـرم
مـدوا الرقـاب لـه طوعـاً بـأجمعهم	في الـبر والبحـر والسـاحات والأكـم
قـد ملـك الأرض مـن قـاف الطلـوع إلى	قـاف الغـروب بـإذن المالـك الحكـم
يـولي ويعـزل مـن شـاء بسـطوته	وأمـره نافـذ في كـل محـترم
أهـل المناقـب والأسـرار أجمعهـم	قـد اسـتجاروا بـه في كـل مصـطدم
لأنـه السـبب الأقـوى لملـتمس	وإنـه العـروة الـوثقى لمعتصـم
عـول عليـه أخـي في كـل نائبـة	فإنـه المفـزع الحـامي لمحـترم
والـزم حمـى شـيخنا واتبـع طريقتـه	وافـزع إليـه لـدى الأهـوال والـنقم
فإنـه الشـرف العـالي لمنتسـب	وإنـه جنـة الـدنيا لمغتـنم
يحمـي المريـدين في الـدنيا وآخـرةٍ	ومـن يلـذ بحمـى الكـيلاني لم يضـم
يشـفي السـقيم وينجـي المسـتجير بـه	لأنـه المـورد الأهـنى لكـل ضـم
وقـد سـقى الهيـتي مـن أسـراره شـربة	حـتى لـه أعلـن المقتـول بـالكلم
ولابـن بطـو ورود مـن مناهلـه	فحـاز موهبـة جلـت عـن القـيم
ومـد مـن بحـره القيلـوبي حـتى روى	هـم الأجلـة أهـل المجـد والكـرم
عبـد أصـم قـد استشـفى بجـاههم	فـزال في الوقـت مـا يلقـى مـن الصـمم
هـذا وإن عـلام الشـرق مشـربهم	اكـرم بشـيخ جليـل القـدر محـترم
بـالبطش والقهـر للأعـداء متصـف	بـالحلم والعفـو للأحبـاب متسـم
لـه الرقـاب بـإذن الله خاضـعة	فيـا لـه مـن إمـام سـيد علـم
لعبـد القـادر سـر جـل يعرفـه	أهـل السـما والفضـا والهضـب والأكـم
قطـب الوجـود رئـيس القـوم غـوثهم	ومنبـع العلـم والأسـرار والحكـم

بـــالنور والســـر والعرفـــان مشـــتمل ... يـــدعو بـــه النـــاس مـــن طفـــل ومحـــتلم

مناقـــب الشـــيخ لا يحصـــى لهـــا عـــدد ... جلـــت فلـــيس يفيهـــا نـــاطق بفـــم

لـــــه تجلـــــى إلـــــه العـــــرش خالقـــــه ... حـــــتى رآه بعـــــين القلـــــب ذا عظـــــم

فزالـــت الحجـــب والأســـتار وانكشـــفت ... لـــــه الحقيقـــــة عرفانـــــاً بـــــلا وهـــــم

فهـــــام وجـــــداً بحـــــب الله بارئـــــه ... وحـــــق للعاشـــــق المولـــــوع أن يهـــــم

فبـــــاح بالســـــر إذ طابـــــت عنايتـــــه ... وقـــــال إني إمـــــام القـــــوم كلهـــــم

سـبحان مـن خصـه بالوصـل حـتى ثـوى ... في روضـة القـرب طـول الـدهر لم يـرم

شـيخ سـرى سـره مـن قبـل نشـأته ... قطـــب لـــه أفصـــح الثعبـــان بـــالكلم

والليـــث جـــاءَ لأم الخـــير في صـــغر ... فالشـــيخ صـــاح بـــه يـــا أســـد انهـــزم

فانصـرف الليـث وهـي ليسـت تعرفـه ... بأنـــه نجلهـــا قهـــار كـــل كمـــي

وصـام في المهـد حـتى الشـك زال بـه ... لـــولا العنايـــات والأســـرار لم يصـــم

ووفى صـــدقاً بعهـــد الأم فانعكفـــت ... عنـــه الســـيادة في بـــدء ومختـــتم

كـــم أبـــرأ المبتلـــى لمســـاً براحتـــه ... وكـــم أزال مـــن الأوجـــاع والســـقم

فكـــان مـــن كمـــهٍ يـــبري ومـــن بـــرصٍ ... ومـــن جـــذامٍ بـــدعواه ومـــن بكـــم

وكـــان يحيـــي بـــإذن الله خالقـــه ... ميتـــاً ولـــو أنـــه مـــن دارس الـــرمم

وكـــان يمشـــي علـــى المـــاء بأخمصـــه ... وفي الهـــواء بـــإذن الله ذي الـــنعم

نـــور الحقيقـــة فالمنتســـبون لـــه ... منتســـبون لعـــزّ غـــير منســـحم

ومـــن يكـــن لحمـــى الكـــيلاني منتســـباً ... لا شـــك يمنعـــه مـــن كـــل منـــتقم

ومـــن تمســـك بالشـــيخ الجليـــل فقـــد ... أضـــحى وثوقـــاً بحبـــل غـــير منفصـــم

ومـــن يـــرد شـــرف الـــدارين يحـــظ بـــه ... فلينـــتم لإمـــام القـــوم ذي الكـــرم

إن كنـــت تبغـــي الهـــدى فـــالزم طريقتـــه ... وفي محبتـــه كـــن راســـخ القـــدم

فإنـــه الســـنة البيضـــا لمنـــتهج ... وإنـــه الرتبـــة العليـــا لمســـتنم

كيـــف يحـــاط بمـــا للشـــيخ مـــن شـــرف ... وقـــد تســـامى عـــن القرطـــاس والقلـــم

ســـبحان مـــن ســـاقه نـــوراً مبينـــاً إلى ... بغـــداد فـــانزاح عنهـــا غيهـــب الظلـــم

بغـــداد صـــولي علـــى البلـــدان وافتخـــري ... لقـــد حويـــت إمـــام القـــوم فـــاحترمي

ثمَّ ألبسي حلل الأنوار وابتهجي ... بطالع في سماء السعد لم يرم
وزيدي فخراً وعزاً واكتسي شرفاً ... بسيدٍ كامل الأوصاف محترم
فوزي على سائر الأمصار واشتهري ... وفوحي طيباً بزهر فيك مبتسم
أصبحت زهراء طول الدهر مشرقة ... بنور مصباح ذاك السيد العلم
محفوظة أبداً من كل غائلة ... محروسة بإمام حامي الحرم
بغداد دار الهنا طوبى لساكنها ... في حرمة الشيخ لا يخشى من الألم
بغداد دار الوفا طوبى لزائرها ... يحمى بشيخ من الآفات والنقم
فإنه الصدر والبدر المنير الذي ... خاض بحوراً من الأسرار لم تعم
يا زينة الدين والدنيا ويا أملي ... يا نور عيني ويا سمعي بلا صمم
بحق جاهك يا جيلاني خذ بيدي ... وقل عثاري عند زلة القدم
ومن يمد لنا بالسوء منه يداً ... أصرخ به الصرخة الكبرى فينقسم
فقد وعدت بحفظ من يلوذ بك ... وأنت أهل الوفا والجود والكرم
إنا فزعنا لك في كل معضلة ... وقد وثقنا بحبل غير منفصم
فأي مقتدر بالسوء يقصدنا ... وقد لجأنا لركن غير منهدم
فسل إله الورى ذي العرش يرحمنا ... ويكسنا حلة التشريف والعظم
ويصرف السوء عنا ويعاملنا ... بشامل اللطف عند الحادث العمم
ويسقنا من شراب الحب صافية ... حتى نهيم بوجد غير منحسم
يملي البواطن إيماناً ومعرفة ... فتنجلي من سواد الران واللمم
ربِّ بأسمائك الحسنى وحرمتها ... أنعم علينا بفضل منك منسجم
ربِّ بحرمة ما أنزلت من كتب ... أمطر علينا سحاب العفو والنعم
يا ربِّ بالمصطفى المختار من مضرٍ ... نج الجميع من الأهوال والنقم
وبالنبيين لا تقطع لنا أملاً ... وأسبل علينا جميل الستر والعصم
وبالصحابة أشف القلب من كمد ... واحم الجميع من الآفات والسقم
بالسالكين سبيل الهاشمي أجب ... دعاءنا واحمنا من سائر النقم
بحرمة الشيخ عبد القادر الجيلي ... أقذف بنا في بحار السر والحكم

واملأ القلوب بأنوار اليقين ولا   تبق عليها ظلام الشك والوهم
واملأ القلوب بسر منك يا أملي   واجل عليها سحاب الطبع والظلم
واسلك بنا سبل التوفيق يا سندي   والطف بنا عند ريب الحادث العمم
واغننا عن جميع الخلق يا ثقتي   وهب لنا شرف الإقدار والهمم
يا غافر الذنب اغفر ذنب ناظمها   محمد من أتى بالذل والندم
ابن الفقيه الإمام القادري الذي   من باب أستاذه الكيلاني لم يرم
أقر بالعجز والتقصير معترفاً   بأنه في بحار الشعر لم يعم
يا ناظراً في نظام لست أحسنه   أنظر بعين الرضا عذراً ولا تلم
فإني لم أدَّع والله معرفة   لكن حبي شفيعي وهو معتصم
بلغ عبيدك يا رب بنيته   واحشره مع من أحب يا ولي النعم
واختم لنا وله بحسن خاتمة   والطف بنا يا عظيم الجود والكرم
يا رب اغفر لقاريها وكاتبها   والسامعين لها يا خير معتصم
ووالدينا مع الأحباب أجمعهم   وارحم مشايخنا يا مجري القسم
وابعث لنا رحمة يا رب تشملنا   والمؤمنين بدين الله كلهم
واحشر جماعتنا في حزب عمدتنا   وشيخنا الشيخ عبد القادر العلم
ومده بسلام لا نفاد له   يملأ الوجود بطيب المسك مختتم
ثمَّ الصلاة على المختار سيدنا   سعد السعود وبحر العلم والكرم
خير البريّة أعلاها وأعدلها   وأفضل الخلق من عرب ومن عجم
كل النبيّين والأقطاب قد وردوا   من بحره فارتووا بالسر والحكم
له معاجز لا يحصى لها عدد   جلت فليس يفيها ناطق بفم
كم أنطق الله للمختار ذا بكم   كالضب والذئب والثعبان والصنم
له البعير اشتكى والجذع حن له   وأفصح الظبي للمختار بالكلم
له فضائل لا يأتي المديح بها   ولا تقاس بمنثور ومنتظم
قد خصه الله بالإسرا وقربه   في قاب قوسين نال كل مغتنم
في ليلة خرق السبع الطباق وقد   حاز مقاماً من التشريف لم يحم

رقـــى إلى رتبـــةٍ مـــا نالهـــا ملـــك　　ولا نـــــبي بســـــر فيــــه مكتـــــتم

رب العبــاد بـــلا كيـــف تجلـــى لـــه　　حـــتى رآه بـــلا ريـــب ولا وهـــم

وعـــاد كالبـــدر في جـــنح الظـــلام وقـــد　　أنيـــل فـــوق الـــذي يرجـــو مـــن الكـــرم

يـــا رب صـــل وســـلم ثمَّ بـــارك علـــى　　محمـــــدٍ خـــــير مبعـــــوث إلى الأمـــــم

أزكـــــى صـــــلاة وتســـــليماً وتكرمـــــة　　والآل والصــــحب والأتبـــاع كلهـــم

مـــا ســـبح الرعـــد في جـــو الســـماء ومـــا　　نـــاح الطيـــور علـــى الأغصـــان بـــالنغم

والحمـــد لله حمـــداً لا نفـــاد لـــه　　والشـــكر لله في بـــدء ومختـــتم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وختاماً هذه القصيدة الجميلة وهي من تأليف ابنة أخي معين السيدة الشابة صفا، المتأهلة من ابن عمها المنشد السيد محمد بن منير بن الحاج طه الدهيبي حفظهم الله تعالى، قالت في مدح جدها الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه:

أُلقي سلامي بعد حمد الله للـ … مختار أكرمِ مرسلٍ خيرِ الورى

بركاتُ ربي بعدُ للأصحابِ والـ … أزواج والأتباع ما ليلٌ سَرَى

تعِسَ الخبيثُ لمولدِ القطبِ النقي … الأشهبِ الجيلي مصباحِ الذُّرى

ثَغْرُ الزمانِ تبسمٌ وتفاؤلٌ … وضياءُ فجرِ العلمِ منه قد انبَرى

جاد السَّحابُ فجود جدي فاقهُ … فانْهَلَّتِ الأنوارُ تحكي أنهُرا

حامي الحما ذو رهبةٍ ومهابة … عيناهُ للجهالِ رُمحٌ أُوتِرا

خمدت به نارُ المفاتنِ وانجلتْ … سُحُبُ الضلالِ وخاب كيدُ مَنِ افترى

داوى قلوبَ الغافلينَ بسرِّه … وبحاله قلبُ المريدِ تحيَّرا

ذُخرُ الضعيفِ إذا أتاهُ أجارَه … لكن على الظُّلام سيف أُشهِرا

رَقِيَ المعالي في حداثة سِنِّه … حتى تمنى بَدْءَهُ من قد درَى

زُعماءُ أهلِ الحبِّ أعطَوْا صوتَهُم … للباز ثمَّ دعوْه كي يتصدَّرا

ساد القلوبَ بعلمه معَ بِشره … والكلُّ أضحى في هواه مُسَمَّرا

شيخُ الحقائقِ والطرائقِ والذي … لعلائهِ الأشياخُ كلٌ أَجهَرا

صاح اللعينُ ليأسه ولخِزيه … وحثا عليه من الترابِ وأَدبَرا

ضرب الخُويريَّ الوضيعَ بنعله … فانحط مقتولاً وكان مُطيراً

طابت ليالي العاشقين بمدحه … وبوصله أضحى الفؤاد معمراً

ظفِرت به بغدادُ في ما حولِها … وأتتهُ ظمأى الناسِ من كلِّ القُرى

عيناهُ تقرأُ في كتاب مشرقٍ … والقلبُ من رَبِّ العبادِ تنوَّرا

غُرٌ وفي بحر الهُيامِ مقامهُ … وعلى الندامى الحبَّ كأساً دوَّرا

في مشـــرق الـــدنيا ومغرِبِهـــا تـــلا ذكــــرُ المناقـــبِ والمكـــارمِ كُـــرِّرا

قامـــت لـــه المـــوتى بقـــدرة واحـــدٍ والمِقْعـــدُ المعلـــولُ قـــامَ مُحـــرَّرا

كـــلُّ الجمـــوعِ لدرســـه مـــع كثـــرةٍ سمعـــــوا ســــــواءً أولاً أو آخِـــــرا

لمـــا أحـــسَّ تلكُّـــؤاً في درســـه بعـــث الإلـــه مـــن الطيـــور منـــوراً

مكثـــت وحامـــت عنـــده حـــتى عـــلا حـــالُ الحضـور وبُـدِّدت سُـحُبُ الكَـرى

نُصِـبتْ لـه الأعـلامُ في كـلِ الحِمـى واللهُ كـــان لـــه وليـــاً ناصـــرا

هـــالَ الأنـــامَ بعلمـــهِ وبكشـــفهِ وكـــأنَّ قلـــبَ المـــرءِ لـــوحٌ في العَـــرا

وصِـــباهُ أيضـــاً بـــاهرٌ فبِصِـــدقهِ تـــاب اللصـــوصُ وأقلعـــوا عمـــا جَـــرى

يـــا ليتـــني أحْظَـــى بعطْـــفِ جنابِـــهِ لـــو نظـــرةٍ تُطفـــي فـــؤاداً ثـــائراً

تم بحمد الله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

فهرس الجزء الأول من كتاب إتحاف الأكابر في سيرة ومناقب الإمام عبد القادر رضي الله عنه...

الفصل العاشر

في ذكر وفاة سيدنا محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه......................

تم فهرس الجزء الأول ويليه

فهرس الجزء الثاني من كتاب إتحاف الأكابر في سيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلاني
وبعض مشاهير ذريته أولي الفضل والمآثر رضي الله عنهم